مجلـــة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير :أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. بـاسمـــــة جليل عبـــد كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. أنعـــــام مهـــدي علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. سهيلـــــــة مـزبـــان كليـــــة التربية / ابن رشـــد

أ.د. سالـــم الحـاج محمـــود كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

أ.د.علي ياسيـــــن الجبـــوري كليـــــة الآثـار / جامعة الموصل

أ.م.د. فـــــاروق محمـــد علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

ا.د. طـــــــارق منصـــــــور كليـة الآداب / جامعة عين شمس

أ.د. خـــديجـــــة نشـــــار معهـــــــــد الآثار / الجزائر

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٧٢) لشهر كانون الاول لسنة ٢٠١٩

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٧٢) لشهر كانون الاول لسنة ٢٠١٩
عدد الصفحات : ٥٨١ صفحة

تصميـــم واخـــراج
علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس الهيئة الاستشارية

أ.د. طالب منعم حبيب / جامعة واسط – كلية الآداب

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ.د. زكيـــــــة حسن إبراهيم	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي	جامعـة بغداد / كلية التربية / ابن رشد
أ.د. عادل تقـــــي البلداوي	الجامعـــــة المستنصرية/ كلية التربية
أ.د. سعد عبـــــــود سمار	جامعـــــــــــة بغداد/ كلية التربية
أ.د.علاء طـــــــــه ياسين	جامعـــــــــــة تكريت/ كلية التربية
أ.د. عبد الكريـــــم الياسري	جامعـــة بغداد / كلية التربية/ ابن رشد
أ.د. نوالـــــــه أحمد المتولي	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.م.د. كاظم عبد الله الشمري	جامعـــــة بغداد / كلية التربية للبنات

التصحيح اللغوي : م.د. عبد الحسين موسى

مسؤول الموقع الالكتروني والبريد الالكتروني : م.م. هدى هادي علوش

سكرتير تحرير المجلة : م.م. هدى هادي علوش

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .

٢. إعتماد الاسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.

٣. سلامة البحث من الاخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .

٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .

٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .

٦. أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو اطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .

٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر- مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.

٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .

٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .

١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الاقراص المدمجة .

فهرس العدد (٧٢)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	التداول النقدي في خراسان وبلاد ما وراء النهر	أ.د. كاظم ستر العلاق الباحثة م.م. بلسم محمد تركي	٣٠-٣
٢.	أهم الآلهة القومية لمنطقة حضارة كوردستان القديمة	أ.د. محمد صالح زيباري م.م. عماد شاكر أحمد	٥٢-٣١
٣.	اللغة الحثية في بلاد الأناضول القديمة إبان الالف الثاني قبل الميلاد((دراسة تاريخية))	أ.م.د. جمال ندا صالح السلماني	٧٨-٥٣
٤.	الملك وهيأته المنفذة في فنون بلاد الرافدين	أ.م.د. فيحاء مولود علي	١٠٢-٧٩
٥.	سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الملف النووي الإيراني	أ.م.د. الاء حمزة شناوة دويلي أ.م.د. علاء جابر موسى	١٢٠-١٠٣
٦.	تطور البرلمان في عهد شارل الاول واثره على انكلترا (١٦٢٥-١٦٤٩)	أ.م.د. تماضر عبد الجبار ابراهيم الاحمدي	١٥٢-١٢١
٧.	الإله دجان في معتقدات سكان بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة	ا.م. د. صباح جاسم حمادي المشهداني	١٨٦-١٥٣
٨.	السقوف في مباني العراق القديم في ضوء المعطيات الآثارية والنصوص المسمارية	ا.م.د محمد كامل روكان	٢٠٦-١٨٧
٩.	" علاقة السوتيين مع الملك زمري ليم (١٧٨٢ – ١٧٦٠ ق.م)"	سوزان سليم سهيل التميمي أ.م شيماء صلاح احمد	٢١٤-٢٠٧
١٠.	العلاقات العراقية مع دولتي الجوار (تركيا وايران) في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف (نيسان ١٩٦٦-تموز ١٩٦٨)	أ.م. انوار ناصر حسن	٢٤٥-٢١٥
١١.	مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهي	م.م.إيمان عبد الجبار محمود التميمي	٢٦٩-٢٤٦
١٢.	الذهب واستعمالاته في الاندلس(٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)(دراسة تاريخية)	م.د. سعد قاسم علي السويعدي	٣١١-٢٧٠
١٣.	زهرة البابونج في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية	أ.م. عباس ابراهيم صابر م. رشا عبد الوهاب محمود	٣٣٥-٣١٢

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١٤.	بكلربكية الحبش ١٥٥٥-١٥٦٠ دراسة ادارية واقتصادية	ا.م. د. نسيبة عبد العزيز عبدالله	٣٣٦-٣٦٥
١٥.	دراسة وتقييم حالة التراث الاسلامي لمدينة الموصل بعد حربها ضد الارهاب بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافيا(GIS)	م.م رؤى زهير زيدان الكروي م.د ندى جواد محمد علي	٣٦٦-٣٨٥
١٦.	مملكة مستقلة من الالف الثاني قبل الميلاد حكمت رأس الخليج العربي	د. هند محمد التركي	٣٨٦-٤٠٣
١٧.	المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي ١٥٧٨ – ١٦٠٣	د. عبد الجليل مزعل بنيان د. حيدر شاكر عبيد	٤٠٤-٤٢٥
١٨.	أثر علماء الاندلس، البصراء والمكفوفين، في الحياة العلمية من خلال كتاب (نكث الهميان في نكت العميان) لأبي الصفاء الصفدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) دراسة تاريخية	م.م ثامر عبد علي حبيب	٤٢٦-٤٥١
١٩.	الطين وسيلة للتدوين في تاريخ القديم	م. زينة قاسم هاشم	٤٥٢-٤٥٩
٢٠.	الموقف الدولي من مشكلة الصحراء الغربية ١٩٧٠-١٩٩٠	د. نوال زغير عذاب الخفاجي	٤٦٠-٤٨٣
٢١.	أضواء جديدة على مشروع سنحاريب لأرواء نينوى	راكان فرج عازر	٤٨٤-٥٠٣
٢٢.	أعمدة هرقل (جبل طارق) قاعدة بحرية عربية إسلامية ٩٢-٨٦٦هـ/٧١١-١٤٦٢م	أ.م.د.خليل جليل بخيت القيسي	٥٠٤-٥٢٣
٢٣.	جهود علماء الكوفة في الدرس اللغوي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي	أ.م.د.آلآء حماد رجه	٥٢٤-٥٣٩
٢٤.	السيرة الذاتية للسلطان ابي سعيد	أ.م.د. سهاد خزعل نجيب الربيعي د. اسم محمد العيبي	٥٤٠-٥٧٣
٢٥.	Mama-Sharat, Tabni -Mama Cannels And Irisagrick City In the Light of Published Cuneiform Texts I_7 Ma-Ma-Šarrat I_7 Tab-ni-Ma-ma ù Iri-sag-rig^{ki}	Dr. Jassim Abid Al-Ameer Jassim	٥٧٤-٥٨١

التداول النقدي

في خراسان وبلاد ما وراء النهر

أ.د. كاظم ستر العلاق

الباحثة م.م. بلسم محمد تركي

كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد

التداول النقدي في خراسان وبلاد ما وراء النهر

أ.د. كاظم ستر العلاق

الباحثة م.م. بلسم محمد تركي

الملخص:

أدى تلاعب المتسلطين بنقود الدولة العربية الإسلامية في المشرق الإسلامي وخاصة خراسان وبلاد ما وراء النهر في حقبة البحث أحدثت أرباكاً في سوق التداول النقدي على صعيد العلاقة بين الدرهم والدينار وتحديد القوة الشرائية لكل منهما على وفق أنواع النقود الموجودة والمتداولة في دائرة التداول ضمن التنافس في التعامل النقدي بين المضروب في مدينة معينه كبخارى او سمرقند او هراة وكذلك في مرو او مدينة أخرى فنلاحظ سيطرة بعض العملات المضروبة في داخل المدينة من بلاد ما وراء النهر والأخرى في خراسان ليبدا التنافس الحر القائم في دائرة التداول النقدي وكذلك التداول فيها في المعاملات الاقتصادية والشرعية مثل دفع الخراج ونسبة الزكاة .

ان أرتفاع سعر الدينار بالنسبة للدرهم يرجع الى عوامل عدة منها السياسة التي اتخذها السلاطين إزاء النشاط التجاري وخاصة في بلاد ما وراء النهر حيث اتخذوا جملة إجراءات ازاء التجار الأجانب الواردين الى بلاد ما وراء النهر في عصر السامانيين .

Cash trading in Khorasan and the country beyond the river

The manipulation of the Arab Islamic countries' money in the Islamic Mashreq, especially Khorasan and the countries behind the river in the era of research has caused confusion in the market of monetary exchange in terms of the relationship between the dirham and the dinar and determine the purchasing power of each of them according to the types of money existing and traded in the circulation within the competition in cash Between the milled in the city of Muehba Kabkari or Samarkand or Herat as well as in Mero or another city, we note the control of some currencies multiplied within the city of the country beyond the river and the other in Khorasan to begin the free competition in the circulation of cash and circulation in it In economic and legal transactions such as payment of abscess and Zakat.

The rise in the dinar price for the dirham is due to several factors, including the policy taken by the sultans towards commercial activity, especially

in the countries beyond the river, where they took measures against foreign traders who came to the country beyond the river in the era of Samanians.

أولاً: أنواع الدراهم في خراسان وبلاد ما وراء النهر:

كانتْ العلاقات التجارية مع بلدان شرق اسيا الوسطى من الروافد المهمة في أستمرارية انسياب العملة الذهبية الى بلاد ما وراء النهر وخراسان مما أدى الى ارتفاع أسعار صرف العملات الذهبية إزاء تبادلها بالدرهم .أن قيمة الذهب والفضة ومقدار تداوله في السوق يؤثر في سعر العملة ،الى جانب كمية هذين المعدنين بالمقارنة مع بقية المعادن الأخرى في قطعة النقود المسكوكة وقد ظهرت في خراسان وبلاد ما وراء النهر ثلاثة أنواع من الدراهم ، وهي :

الدرهم الغظريفي نسبة الى غظريف بن عطاء ، امير خراسان عام ١٧٥هـ /٧٩١م [١] وفي خلافة هارون الرشيد١٤٩ – ١٩٣هـ/ ٧٦٦– ٨٠٩م ، تولى خراسان ، وهو شقيق الخيزران أم الخليفة موسى الهادي والخليفة هارون الرشيد[٢]، كانت العملة المتداولة في بخارى عليها صورة بخار خدات وهي التي ضربت قبل الفتح الإسلامي ، ولكنها صارت قليلة بينهم وفي ذلك الوقت كانتْ النقود الخوارزمية قد راجتْ بين الناس[٣]، ويصف ابن فضلان دراهم خوارزم بقوله[٤] " رأيتُ دراهم خوارزم مزيفة ورصاصاً وزيوفاً وصفراً "، وكان الناس يأخذون هذه الدراهم ويتعاملون بها عن غير رضا، ويذكر النرشخي بدء ضرب الدراهم الغطريفية في قصة[٥] مؤداها إن أشراف وأعيان بخارى ذهبوا إلى الغطريف بن عطاء وإلى خراسان، وطلبوا منه أن يضرب لهم من الدراهم الفضية على النحو الذي كان في بخارى من قبل، على أن يكون التعامل بهذه الدراهم محلياً، ولا تخرج من بلدهم ولما كانتْ الفضة عزيزة وسعرها مرتفع، فقد اتفق الغطريف مع أهل المدينة على أن تضرب السكة الجديدة من خليط يتكون من ستة معادن هي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والحديد والنحاس، وضربتْ هذه السكة بأسم الغطريف، لذا فقد اشتهرتْ هذه الدراهم بأسم الدراهم الغطريفية، وكانتْ هذه الدراهم سوداء، فرفض الناس التعامل بها، فعرضتْ عليهم بسعر إجباري جرى على أساسه تقييم الستة دراهم من الدراهم الغطريفية بدرهم واحد من الفضة الخالصة، واخذ الولاة بهذه القيمة حتى راجتْ هذه الدراهم، وقد تسببتْ هذه الدراهم فيما بعد في ارتفاع خراج بخارى، فقد كان خراج بخارى يقل عن المائتي ألف درهم، ولما كان الولاة على خراسان وما وراء النهر قد التزموا بقبول الخراج بالدراهم الغطريفية، وعلى أساس القيمة السابقة التي تسوى الستة من الدراهم الغطريفية بدرهم واحد من الفضة، وقد ألزموا الناس بأداء الخراج بهذه الدراهم، فعزتْ الدراهم

الغطريفية، حتى أصبح الدرهم منها يعادل درهماً من الفضة الخالصة، وهذا أدى إلى أن يرتفع خراج بخارى من مائتي ألف درهم إلا قليل، إلى مليون وستين ألفاً وخمسمائة وسبع وستين درهماً غطريفياً[٦]، وعلى الرغم من إن الدرهم الغطريفي أصبح مساوياً للدرهم الأبيض، إلا إن معدل الخراج لم ينخفض، فأصبح أهل بخارى يدفعون خراجاً قدره ستة مرات قدر ما كانوا يدفعونه من قبل، ولم يقف سعر الدرهم الغطريفي عند هذا الحد، بل إنه في سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، أصبحتْ المائة من الدراهم البيض[٧]، تساوي خمسة وثمانين درهماً من الدراهم الغطريفية، وفي سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م، أصبحتْ المائة من الدراهم البيض تساوي سبعين درهماً غطريفياً[٨].

وللأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية – على قدر علمي سبب ارتفاع سعر الدرهم الغطريفي لهذه الدرجة ، وليس لدينا – كذلك – معلومات تفيدنا في تحديد نسبة التبايع بين الدراهم الغطريفية والدنانير المستخدمة في بغداد ، حتى نستطيع عقد المقارنة واظن أن المسالة تحتاج الى مناقشة أحاول فيها تحليل نص النرشخي السابق لنصل في النهاية الى نتيجة مرضية وفقاً للبحث التاريخي :

١- يفهم من رواية النرشخي – السابقة – ان اهل بخارى هم الذين طلبوا من الوالي غطريف بن عطاء ، ان يضرب لهم عملة محلية خاصة بهم ، لا تخرج من بلدهم ، وذلك على غرار عملة اهل خوارزم ، والتي قال عنها المقدسي : " وجعلوا الدرهم أربعة دوانق لئلا يخرجها التجار من عندهم . فألى اليوم الفضة تحمل اليهم ،ولا تخرج من عندهم ."[٩] وبالفعل ، استجاب الوالي غطريف لهم وضرب العملة الجديدة واستبدل الفضة الخالصة بخليط من ستة معادن كما سبق القول ، ويزيد السمعاني : انه طيبها بالمسك [١٠].

إذاً ، لم يكن السبب في استخدام هذه المعادن ؛ قلة الفضة ، او غلاء سعرها ، كما يقول النرشخي . بل كان السبب هو الحد من تداول العملة الجديدة بحيث لا تخرج من بخارى . كما قرر ذلك القول الاصطخري في موضع أخر ، حيث قال :"وكانت الفضة في الدرهم الغطريفي أكثر من الاخلاط المعادن الأخرى . وقيل انه كان في كل درهم قدر من الذهب " [١١]. وعلى ذلك فأنه لم يكن هناك ما يبرر رفض أهل بخارى للعملة الجديدة ، وأعني بها الدرهم الغظريفي ، بحيث صار يعادل درهم الفضة الخالصة ولكن يبدو لي أن سبب ذلك كان يرجع الى أنخفاض قيمة الدرهم الأبيض – المضروب من الفضة الخالصة – وذلك لكثرة استعماله وقدمه . ولئن صح بعد كل هذا ان تحديد الأرقام المتعلقة بالخراج قد تم على أساس الدرهم الغطريفي ، فانه يصبح من غير الممكن ان يتوقع من الدولة تخفيضها بسبب أرتفاع الدرهم الغطريفي[١٢] .أن أنخفاض قيمة الدراهم البيضاء ومما يرجح هذا التعليل ، ما يفهم من قول المقدسي : ان الدراهم السود المتداولة ببلاد ما وراء النهر هي وحدها التي كانت لها الأفضلية هناك على

الدرهم الأبيض ، ونص المقدسي هو :" هذه الدراهم وهي سود ، على عمل الفلوس . لا تنفق الابهيطل[١٣] . ولها فضل على الدراهم البيض [١٤]. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن إستعمال هذه النقود هو المحافظة على مستويات الأسعار [١٥]

كذلك ظهرت إلى جانب الدراهم الغطريفية ،ما يعرف باسم " الدراهم المحمدية " ووفقاً لرواية الكريدزي ، فأن هذه الدراهم منسوبه الى شخص يدعى " محمد بن زبيدة "[١٦] ، ولعله يقصد الخليفة العباسي محمد الأمين ابن هارون الرشيد . فقد ذكر أبن الجوزي في أحداث عام ١٩٥ هـ / ٨١٠ م أن المامون أمر بأسقاط الدراهم والدنانير التي ضربت لأخيه بخراسان ، بسبب الحروب التي نشبت بينهما[١٧]. وعلى ذلك فمحمد المذكور في رواية الكريدزي ، هو نفسه الخليفة العباسي [١٨].

وعلى كل حال فقد ذكر ابن حوقل انه راى في بلاد ما وراء النهر دراهم تعرف " بالمحمدية " وذكر انها مركبه من معادن مختلفة ومنها : الحديد والنحاس ، والفضة وغيرها [١٩]. ووفقاً لقائمة الخراج التي أوردها المقدسي– فإن خراج فرغانه ونسف وأشروسنه ،كان يجبى بالدراهم المحمدية [٢٠]، مما يثبت استعمال هذه الدراهم في هذه الأقاليم .

أما الدراهم المسيبية التي كان التداول فيها في خراسان وبلاد ما وراء النهر وهي تنسب إلى والٍ معروف وهو المسيب بن زهير ١٦٣– ١٦٥هـ/٧٨٠ – ٧٨٣م الذي تولى حكم خراسان للخليفة المهدي ١٥٨ – ١٦٩ هـ/٧٤٤– ٧٨٥ م ، وكانت هذه الدراهم يتم التعامل بها في أقليم : الشاش وخجندة من أقليم فرغانه [٢١]، ويضيف ابن فضلان ،انها كانت تستعمل في خوارزم[٢٢] ،ولم تمدنا المصادر بمعلومات جديدة حول مقدار هذه الدراهم ،ولا عن تطورها .

وقد كان كل نوع من هذه الدراهم يروج في منطقة بعينها، كما يبدو من حديث المقدسي عن خراج ما وراء النهر، إذ يقول[٢٣] " ... وأما الخراج فعلى فرغانة مائتا ألف وثمانون الف محمدية، وعلى الشاش مائة ألف وثمانون ألف مسيبية، وعلى خجنده.. مائة ألف مسيبية، وعلى الصغد وكش ونسف وأشروسنه ألف ألف وتسعة وثلاثون ألف وواحد وثلاثون درهماً محمدية... وخراج بخارا ألف ألف ومائة ألف وستة وستون ألفاً وثمانمائة وسبعة وتسعون درهما غطريفياً.. وعلى خوارزم اربعمائة ألف وعشرون ألفاً ومائة وعشرون بدراهمهم وهي أربعة دوانيق ونصف " وكذلك ترد أسماء هذه الدراهم عند ابن خرداذبه عند حديثه عن خراج هذه المناطق أيضاً[٢٤].

مما سبق يتضح إن كل نوع من هذه الدراهم كان منتشراً ومتداولاً في منطقة بعينها، أما من حيث شكل ومظهر هذه الدراهم، فجميعها كانتْ لها أشكال مختلفة ومميزة بوضوح عن الدراهم الإسلامية العادية، كما إن نقوشها كانتْ غير واضحة[٢٥]، وعلى الرغم من ذلك فإنه حتى الآن لم تظهر دراهم تحمل بوضوح أسماء محمد والمسيب والغطريف الذين نسبتْ إليهم هذه الدراهم، غير إن هناك بعض الدراهم نقش عليها اسم "محمد" عقب البسملة، وربما كان هذا إشارة إلى محمد بن دهده[٢٦]، كما إن هناك

بعضاً من هذه الدراهم يحمل اسم الخليفة "المهدي"، وربما كانتْ هي الدراهم المسيبية، فالخليفة المهدي هو الذي عيّن المسيب بن زهير على خراسان[٢٧]، كما إن النرشخي يذكر إن الدراهم الغطريفية ضربتْ بأسم غطريف[٢٨].

وعلى الرغم من إن ضرب الدراهم والفلوس في ما وراء النهر أصبح على الطراز الإسلامي الخالص، إلا إن الدراهم العتيقة التي تحمل صوراً وأشكالاً، ظلتْ رائجة يتعامل بها الناس لفترات طويلة[٢٩]، فقد كانتْ الدراهم الغطريفية والمسيبية والمحمدية مستعملة في بخارى أيام الدولة السامانية[٣٠].

أن الدرهم الغظريفي قد أصبح يساوي درهم من الفضة أيام الحكم الساماني وخاصة بعد ان أصبحت هذه العملة نادرة التداول [٣١]ويعزي النرشخي سبب ذلك كون الدرهم الغظريفي يحتوي على فضة أكثر من الاخلاط المعدنية الأخرى كما كان فيه قدر من الذهب حيث كان كل عشرة دراهم يعادل نصف درهم الى أربعة دوانق ونصف ذهب [٣٢].

وفي خراسان أيام الطاهريين كانت قيمة الدينار تساوي ١٥ درهم[٣٣] ،وفي حياة أبو سعيد ابي الخير ٣٥٧- ٤٤٠ هـ كان معدل تحويل الدينار يساوي ١٩ درهم وخلال فترة حياته الدينار يساوي ٣٠ درهم[٣٤] .

ويذكر الثعالبي نقلا عن اهل بخارى بانهم يضربون المثل في المحقرات بالفلوس وهي لا تجوز في الدنانير[٣٥] . ويذكر ابن حوقل[٣٦] التداول النقدي في بخارى "ونقودهم الدراهم والدنانير كالعرض ولهم دراهم يسمونها الغظريفية ،وهي دراهم من حديد صفر وآنك وغير ذلك من الاخلاط بجواهر مختلفة قد رُكِبت،ولا تجوز هذه الدراهم إلا ببخارى ومواضيع مختصة خلف النهر .ومنها دراهم تعرف بالمحمدية والسكة ...ومنها شيء يعرف بالمسيبية وهي من ذخائرهم ويتبايعون بالفلوس .

وقد استطاع الرحالة أبن فضلان ان يتعرف على هذه العملة وقال انها تؤخذ عددا بلا وزن كل مائة منها بدرهم من الفضة [٣٧].ويقول اليعقوبي ان هذه النقود هي شبيهة بالنحاس . أي ان التداول في هذه العملة يكون محلي[٣٨].

وفي هراة كانوا يتدلون الدرهم الهروي نسبة الى اسم المدينة وقد ذكر في احد الفتاوى "ولا يصح بيع الهروي بالهروي " وهنا يقصد به نقد فيه ذهب وفضة فيبيع ببعضه ببعض بيع ذهب وفضة بذهب وفضة [٣٩]

ومن هنا نفهم السبب في ان خراسان وما وراء النهر لا يتعاملون بالدينار[٤٠] .ولعل ذلك سببه ارتفاع قيمة الذهب وأسعار عملته ومن ثم قلة تداوله .ولكن الذي نفهمه من رواية التنوخي أن تجار خراسان كانوا يتعاملون خارج حدود اقليمهم بالدينار[٤١] وفي سمرقند توجد عملة أخرى وصفها ابن فضلان بانها من الصفر وقد قومت ستة دراهم منها بدانق[٤٢]

ويبدو ان هناك عملة متداولة في سمرقند تسمى الإسماعيلية وهي من الدراهم الورقية وبجانبها توجد النقود المكسرة العراض ،أضافة الى الدنانير السمرقندية [٤٣]

وفي خوارزم يكون التداول النقدي في نقود خاصة لا تستعمل الا في هذا الإقليم وهي دراهم مزيفة ضربت من معدن الرصاص والصفر ويسمونها الدراهم الطازجة ووزنها أربعة دوانيق ونصف[٤٤]ويقول المقدسي أن الدراهم الخوارزمي قد قوموه بأربعة دوانيق ،ويعلل سبب ذلك حتى لا يخرجها التجار من عندهم ،ويبدو انها نظرية اقتصادية غايتها ان تحمل الفضة اليهم ولا تخرج من عندهم[٤٥].ويبدو انها أثرت على التبادل التجاري مع المدن الأخرى فضلا عن أرباك في سعر السلع والبضائع في تلك المدن .

وفي بنجهير كان التداول النقدي في الأسواق في الدراهم الواسعة ،واقل ما توجد عندهم هي الدراهم المقطعة [٤٦]وذكر ابن حوقل ان ايلاق احدى مدن الشاش كان فيها دار لضرب النقود بنوعين العين والورق فيكون التداول فيها بمال كثير ويكون من النوعين [٤٧]

ويبدو ان هناك تعاملا في الدرهم فيذكر لنا ياقوت الحموي أن رزق أبا القاسم في الشهر الف درهم ورقا ،ولابي زيد خمسمائة درهم ورقا ويتضح ان من هذه الدراهم الورقية ما هي مكسرة ومنها ما هي الوضح الصحاح [٤٨]

وربما كان اهل ما وراء النهر يفضلون في تعاملهم النقدي بالدراهم العين على الدرهم الورقي الإسماعيلي [٤٩]،ان ترويج هذه الأنواع من العملة من العوامل المؤثرة في مستوى المعيشة في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر فأن كثرتها يؤدي الى فقدان قيمتها وبالتالي الى ارتفاع الأجور والمواد الاستهلاكية [٥٠]ومن المؤكد ان جميع هذه العملات كانت على الطابع الإسلامي وهي من ضرب آل سامان [٥١]والغزنويين والسلاجقة حكام خراسان وما وراء النهر فضلاً عن الخارجين عن السلطة .

ويبدو ان اكثر هذه النقود قيمة تقديرية هي الدراهم الفضية النيسابورية [٥٢] ، وذكر ايضاَ ان ثلاثة دنانير مغربية أي دينار يتداول في مصر أيام الفاطميين يساوي ثلاثة ونصف نيسابورية [٥٣]ويتضح ان من هذه النقود ضرب القائد احمد بن عبدالله الخجستاني ت٢٦٧هـ/٨٨٠م نقوده من الدنانير والدراهم في محاولته للظهور كأحد امراء خراسان الكبار وصاحب قوة ومركز[٥٤] .

والى جانب الدراهم والدنانير كانت خراسان وبلاد ما وراء النهر تتعامل في الأسواق باجزاء العملة أيضا كالدوانيق والفلوس والبشيزات .[٥٥]وقد ضرب ال سامان والملوك الاخرون بعدهم كثيراً من اليشيزات العدلية وهي عملة صغيرة من النحاس الأحمر وتداول [٥٦] في فرغانه درهم يسمى الدرهم العدلي [٥٧] وكان مشايخ ما وراء النهر يقولون يجب ان يكون عقد النكاح بما وراء النهر بالغظريفي لا بالعدلي لان العدلي يتغير والغظريفي لا يتغيير [٥٨]،وهناك رواية عن أن الزكاة " فتعتبر دراهم اهل كل بلد بوزنهم

ودنانير كل بلد وان كان الوزن يتفاوت ،وما عدا الغظريفي قالوا :كل درهم كان خمسة اكثر من النصف لا يجب في المائتين زكاة حتى لا يجب في العدلي "[٥٩]

ومن الواضح ان هذه النقود وبقية العملة أقل قيمة شرائية من العملة النيسابورية .الا انها كانت تؤثر في مستوى الأسعار خاصة عندما يقل تداول الفضة بين الناس [٦٠]. وفي عصر الغزنويين كانت درجة نقاء الدرينار النيسابوري عالية حيث كانت تتراوح نسبة الذهب فيه من ٩٣% الى ٩٦ % وكانت نسبة الدينار الهروي تتراوح من ٦٧% الى ٧٥ % [٦١] أي نسبة الذهب الى المعادن الأخرى التي تصنع منها السبيكة .

كانت الدنانير الذهبية أساس التعامل النقدي في خراسان خلال العصر السلجوقي حيث احتلت مكانة سامية في معاملات السلاجقة المالية كان معدل وزن الدينار السلجوقي ٤٥٠ غرام من الذهب وبالتالي فقد زاد عن الوزن الأصلي للدينار الإسلامي الذي كان وزنه ٤٢٥ غرام [٦٢]، وذكر ان السلطان سنجر ضرب دينار يطلق عليه الدينار الركني الذي تم التعامل به لاطلاق الاسرى من الغز[٦٣].

وعرف الدينار السلجوقي بالدينار العوالي وهو يساوي اثنا عشر درهماً ،كما كان يتعامل بالدينار "المرسل"وهو يساوي عشرة دراهم [٦٤]،اما الدينار النيسابوري فكان يساوي في العهد السلجوقي أربعة دراهم .وكان وزن الدينار ثابتاً في عهد سلاطين السلاجقة الأقوياء ،لكنه تناقص أواخر العصر السلجوقي.[٦٥]ولكن بعد ان تقلصت واردات الذهب استخدم السلاجقة العملات الفضية والنحاسية بصورة اكبر [٦٦]

وفيما يتعلق بالدراهم الزيوف .فيعلق المقريزي ت ٨٤٥هـ – ١٤٤٣م على شيوع استعمالها في الامصار الإسلامية ومنهم دولة السلاجقة[٦٧].

ثانياً: التداول النقدي مع الروس والبلغار وأثره على السياسة النقدية :-

من أواخر القرن الثالث إلى الرابع االهجري ،تم تصدير ملايين العملات المعدنية الفضية أو الدراهم من العالم الإسلامي إلى شمال أوربا عبر أوربا الروسية ،كان أكبر مصدري هذه الدراهم هم السامانيين في أسيا الوسطى .كان شمال أوربا شريكا تجاريا مهما جداً للسامانيين .فقد كان ٧٥% من دراهم السامانيين يتم بها شراء بضائع من أوربا ،يبدو ان هذه الدراهم قد ضربهم السامانيين خصيصاً لهذه التجارة الشمالية [٦٨]الكبيرة في دراسة حديثة جداً قدر الأستاذ توماس .نونان "أن ١٢٥،٠٠٠،٠٠٠درهم ساماني تم تصيدرها الى شمال اوربا في القرن العاشر وهكذا ، في المتوسط ،تم ادخال ١،٢٥٠،٠٠٠ درهم كامل الى اوربا الروسية كل عام خلال القرن الرابع الهجري " لايبدو أن هذه الحسابات مبالغ فيها لأن ، على سبيل المثال ،الميزانية السنوية للدولة السامانية في القرن العاشر تقدر بنحو ٤٥،٠٠٠،٠٠٠ درهم ، بينما يتلقى الجيش وحده ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم سنوياً من الحكومة ،وهكذا

شكل تصدر الدرهم في القرن الرابع الهجري بأكمله الى شمال أوربا أقل من ثلث الميزانية السامانية .بينما لاتعكس الميزانية بالضرورة المبلغ الفعلي للدراهم المتوفرة داخل الدولة في أي وقت من الأوقات ،حيث أنها تشمل أيضا السلع والخدمات ،فانها تودي الى تضخم حجم اقتصاد السامانيين ، لذلك ليس من غير المعقول الاعتقاد بانه يمكن استخدام ١،٢٥٠،٠٠٠درهم أو ٢،٧ بالمائة من ميزانية السامانيين السنوية في التجارة مع شمال اوربا .تم جلب دراهم السامانيين الى شمال اوربا[٦٩] من أسيا الوسطى عبر أراضي بلغار الفولكا في المنتصف من الفولغا بدا الجزء الجنوبي من الطريق في بلاد ما وراء النهر ،اجتاز خوارزم ،وبعد ذلك دخل فولغا البلغار عبر طريق القوافل ،وفقا لابن فضلان الذي سافر في قافلة سنة ٣٠٩-٣١٠هـ/ ٩٢١ /٩٢٢م على طول هذا الطريق ، استغرق الامر سبعين يوماً للرحلة من مدينة الخوارزمية في الجرجانية /كركانج اخر مدينة إسلامية كبرى على الطريق الى عاصمة بلغار الفولكا – بولكار ،وقد ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب[٧٠] ان " القوافل تنتقل باستمرار منها أي بلكار الفولغا الى خوارزم في ارض خراسان ،ومن خوارزم لهم ..." ويذكر الكريدزي عن البلغار "واكثر أموالهم فراء القاقم ،وليس لهم الصامت [٧١]،وهو عوضاً عن الفضة يعطون فراء الدلق الواحد بدرهمين ويأخذون من ديار الإسلام الدرهم الأبيض المستدير ، فالمسلمون يحملون هذه الدراهم ، وهم يشترون منهم كل شيء ،ثم يعطى البلغار تلك الدراهم إلى الروس والصقالبة فهولاء القوم لا يبيعون الملابس والاقمشة والأمتعة إلا بالدرهم الصامت "[٧٢]

من مراكز مختلفة من روسيا الشمالية والوسطى ابحر التجار الروس في نهر الفولغا الأوسط وتداولوا معهم المستوردات التي أوردها المقدسي يقول " أنها كانت تحضر من بلغار فراء السمور والسنجاب والفاقم والمنك وابن عرس والثعلب ،بالإضافة الى جلود القندس والارنب البري المرقش والماعز البري .كذلك يستورد من هناك الحديد والسهام والمركب المصنوعه من خشب البتولا والقبعات الفرو وغراء السمك وأسنان السمك الفظ ونبات الخروع والعنبر وجلود الجياد المدبوغه والبندق والسنور والسيوف والدروع وخشب القبقب والرقيق الصقلبي السلافي والاغنام والماشية ومقابل ذلك كانت خوارزم تصدر المنتجات الزراعية والمصنعة بما فيها الاعناب والزبيب والحلويات والسمسم والعباءات والسجاد والقماش الخشن والبروكار الساتاني من نوعية تصلح للهدايا وأغطية من القماش لحمته من الحرير والاقفال والملابس الملونه والاقواس التي لا يقوى على ثنيها الا الأقوياء والجبن والخميرة والسمك والقوارب "[٧٣] وكانت النقود الإسلامية في بلاد ما وراء النهر تشغل مساحات واسعة في ألاسواق الاوربية وتبادلها في بضائع والسلع الى خراسان وبلاد ما وراء النهر الروس لم يقبلوا سوى الدراهم مقابل بضائعهم . بعد ذلك ،يبحر الروس مرة أخرى إلى الشمال الغربي روسيا مع دراهمهم بهذه الطريقة ،يمكن نقل الدراهم من بلاد ما وراء النهر الى شمال غرب روسيا في أقل من عام ، وان عدد كبير من الدراهم كانت في الواقع ، تصدر الى اوربا في غضون سنة أوسنتين بعد ضربها .أصبحت الملايين من الدراهم التي تم جلبها إلى

أراضي الروس جزءا من مخزونات العملات المحلية المستخدمة في تبادل السلع والخدمات المحلية. بالإضافة الى ذلك استخدم الروس هذه الفضة لما يقرب من قرنين من الزمن لتحقيق التوازن في تجارتها الخارجية مع دول شمال اوربا ،كما يتضح من الاحجام الضخمة من تدفق الفضة من شمال غرب روسيا الى منطقة بحر البلطيق خلال نفس الفترة ،وبالتالي لايمكن التقليل من أهمية استيراد العملات الفضية الإسلامية لتاريخ أوائل اوربا في روسيا والفايكنغ في شمال أوربا بشكل عام(٧٤) .

وهنا تاتي الإجابة على سؤال جوهري هو لماذا استخدم اهل بخارى العملات غير الفضية المعدنية والنحاسية في أنواع مختلفة من التداولات اليومية والمحلية وهذا ما أكده ابن فضلان على استخدام العملات المعدنية النحاسية في الاقتصاد الإقليمي لاراضي السامانيين ونستنتج من ذلك ان العملات الفضية التي كانت تسكها بخارى كانت تستخدم في الغالب للتجارة الدولية ،في حين ان العملات النحاسية كانت تستخدم محلياً فقط .(٧٥)

الا ان الانخفاض العام في ضرب الدراهم السامانية بعد فترة ٣٣٩-٣٤٩هـ/ ٩٥٠-٩٦٠م يمكن أن يترافق مع الانحطاط الاقتصادي والسياسي العام للمجال الساماني بداية من العقد الخامس القرن العاشر واستمر حتى سقوطها . أدى تناقص العائدات السامانية بسبب فقدان محافظاتهم خاصة في الجنوب والانهيار الزراعي والتمردات المزمنة إلى انخفاض في المعروض من الفضة لضرب الدراهم. ولعل الأهم من ذلك ، أن الغالبية العظمى من الدراهم التي ضربتها تم تصدير السامانيين بشكل منتظم إلى شمال أوروبا خلال النصف الأول من الرابع الهجري . بحلول العقد السادس ، استنزف السامانيين ببساطة مواردهم الفضية وواجهوا أزمة فضية.. بالإضافة إلى إنتاج عدد أقل وأقل من الدراهم خلال النصف الثاني ، من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي . ٣٣٢هـ/ ٩٤٣ م الدرهم الساماني أصبح محطما حيث انخفض محتوى الفضة وذلك لان السامانيين كانوا يواجهون صعوبات في توفير الفضة اللازمة للتجارة الدولية ، وبالتالي إضافة المعادن الأساسية إلى العملات المعدنية. وبالفعل ، فقد تقرر في الآونة الأخيرة أن التراجع التدريجي الكبير في تجارة السامانيين مع شمال أوروبا بدأ مع ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م واستمر لما تبقى من هذا القرن. على سبيل المثال ، من سنة٣٢٩هـ/ ٩٤٠م إلى ٣٦٠هـ/٩٧٠م ، انخفض حجم تجارة الدرهم إلى ٣٢ ٪ طوال القرن وبحلول ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م لم يمثل سوى ٥.٤ ٪. فقط خلال العقد من ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م ، انخفضت التجارة بنسبة ٥٧.٣ ٪ مما كانت عليه في ٣٦٠هـ/٩٧٠ م. بشكل عام ، يبدو أن الانهيار في ضرب الدرهم الذي شهده النصف الثاني من القرن العاشر في الدولة السامانية ، وكذلك الانخفاض الملحوظ في تجارة السامانيين باستخدام الدرهم خلال نفس الفترة ، يمكن أن يعزى إلى الانخفاض الاقتصادي العام. وتناقص الفضة المتاحة في الأراضي السامانية.(٧٦)

ما لبث ان قام البلغار بتقليد الدراهم السامانية التي كانوا يتعاملون بها مع جيرانهم – باعتبار مجاورتهم للدولة السامانية ،ووجود علاقات تجارية بينهم – فقاموا بتقليد النقود الإسلامية ،وبصفة خاصة

الدراهم الإسلامية [٧٧]، شجع اعتناق البلغار للاسلام ،ومعاملاتهم التجارية الواسعة مع المسلمين .وفي بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي كان يمكن ان يكون لتاجر من خراسان شريك في بلغار [٧٨] ،على تعلمهم فن صناعة السكة وبالتالي قيامهم بتقليد النقود الإسلامية ،وبصفة خاصة الدراهم السامانية ،وكانت النقود المقلدة تستخدم في التعامل بصورة رئيسية مع الروس والصقالبة ،الذين كانوا لا يبيعون منتجاتهم الا بالدراهم الإسلامية، وكانت هذه الدراهم مقبولة لان المتعاملين بها او من يقومون بالتداولها لا يدركون او يعرفون انها مقلدة .[٧٩]

وقد قلد امراء البلغار الدراهم السامانية لما كانت تتمتع به هذه الدراهم من انتشار كبير وثقل إقتصادي يستند الى الرخاء الذي كانت تتمتع به الدولة السامانية إلى جانب الشهرة الواسعة التي حظيت بها في التجارة العالمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين /التاسع والعاشر الميلادي ،كما كانت الدراهم السامانية اكثر النقود شهره في التداول النقدي التجاري بين أواسط اسيا وأروبا ، وكانوا املين في أن تحظى نقودهم بقدر من الرواج في التجارة مع جيرانهم في جنوب روسيا وشمال اوربا [٨٠]،فقام أمراء البلغار بتقليد تلك النقود ولكن هذا التقليد كان ركيكاً في نصوص كتاباته حيث سقط من نقاش القوالب في دور السك العديد من الكلمات بكل من الوجه والظهر وجاءت حروف النصوص في غالبيتها متصلة ببعضها البعض وفي بعض الأحيان كانت الحروف كلها بربرية[٨١] وعلى الرغم من ذلك فقد لاقت هذه الدراهم رواج تجاري كبير في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ويؤكد ذلك المجموعات الضخمة من النقود المقلدة والتي اكتشفت في شمال اوربا [٨٢].

ونورد مثال على هذه الدراهم المقلده درهم يحمل اسم الأمير إسماعيل بن احمد ضرب في دار ضرب بلغار [٨٣]

• الوجه مركز : لا اله الا الله وحده لاشريكه هامش داخلي : بسم الله ضرب هذه الدرهم بالبلغار [.....] هامش خارجي : الاقتباس القراني من سورة الروم ولكن بها كثير من الأخطاء	الظهر مركز : الله محمد رسول الله [غير واضح] أسماعيل بن أحمد هامش : الاقتباس القراني من سورتي التوبة والفتح

-المعاملات المالية في خراسان وبلاد ما وراء النهر .

وكانت المعاملات المالية الضخمة تتطلب وسائل للدفع مامونه من الضياع خفيفة الحمل وبعيدة عن متناول اللصوص ومن هذه الوسائل :

١- الصك [٨٤]:

وهو عبارة عن امر خطي ملزم بدفع مقدار للأشخاص المنصوص عليهم به ،حيث كان يجمع فيه أسماء المستحقين وعددهم وما يستحقونه من المال ثم يوقع السلطان أو الأمير بتوقيعه في آخر الصك اعتماد دفع هذه الأموال او الارزاق أو الرواتب وهو بذلك أشبه ما يعرف بالشيكات المحولة بلغة العصر الحديث .

ويعتبر الصك من أيسر المعاملات التجارية بخراسان ولم يكن قاصراً على العمليات التجارية فقط ،بل كان له استخدامات أخرى إذ استخدم لدفع رواتب الجنود [٨٥].

أما عن كيفية تحرير الصك فإنه كان يحرر ثم يوقع عليه شاهدان وفي بعض الأحيان يوقع عليه ضمان للمبلغ ويكون مسئولاً عن سداد قيمة الصك في حالة عجز المدين عن السداد [٨٦].لذا استلزم مراجعة الصكوك للتأكد من صحتها وكان السلاطين يشددون في ذلك وعينوا الكتاب للتأكد من صحة الصكوك وأمروا صاحب بيت المال بان لا يصرف صكاً إلا بعد التأكد من وجود توقيع الكاتب عليه [٨٧]

٢- السفاتج [٨٨] او الحوالات :

فقد كانت احدى وسائل المعاملات المالية [٨٩].وهي عبارة عن رقاع يكتبها الصرافون[٩٠] والجهابذة [٩١]للتجار بقيمة المبالغ المأخوذة منهم ويقوم بصرفها العملاء في أي بلد في موعد الاستحقاق المنصوص عليه إما من التاجر او من الصراف [٩٢].وقد استخدمت السفاتج في معاملات الأفراد العاديين[٩٣].غير أنها كانت اكثر استعمالاً بين التجار في خراسان وكانت وسيلة يتم للتجار عن طريقها تسوية حساباتهم مع غيرهم من التجار خارج نطاق خراسان [٩٤].

وكان التجار يفضلون ذلك حتى تكون أموالهم في امان ،وكانت السفاتج قابلة للصرف في أي بلد لأحد عملاء التجار ،وشاع استعمال السفتجة في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري حتى صارت عاملاً مهما في الحياة الاقتصادية في خراسان خلال العصر السامانى والغزنوي والسلجوقي ،وكانت السفاتج أيضا تستخدم لتسوية الديون في المعاملات التجارية في نفس القطر الذي يتواجد فيه التاجر .

ومن الأمثلة على استخدام السفتجة ،حين خرج الرحالة الفارسي ناصر خسرو من اسوان في مصر أخذ كتاباً من صديق له كتبه الى وكيله في عيذاب بأن يعطي ناصراً كل ما يريد ويأخذ منه مستند ليضاف الحساب الى حساب ذلك الصديق [٩٥] ، وباستخدامها أصبح بالإمكان تصفية الحساب بين مدن أقاليم متعددة دون الحاجة لنقل النقود[٩٦] .فكان بمقدور التاجر ان يقترض من سفاتج من بيت المال ليشتري بها بضائع من ذلك الإقليم ثم يدفع الى بيت مال إقليم آخر[٩٧] .

وأوضح بعض الباحثين معنيين للسفتجة أولهما :تعني عقدا ينقل ديناً ما من تعهد شخص الى اخر .والثاني :انها تقليص دين ما من الالتزام بواسطة دين مماثل ،[٩٨]أو بمعنى آخر ان يعطي مالاً لآخر ،وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه ،ثم يستفيد آمن الطريق ،فهي والحالة هذه كتاب صاحب المال لوكيله يخوله ان يدفع مالاً قراضاً يأمن به خطر الطريق [٩٩].

وكانت خراسان وبلاد ماوراء النهر من أقاليم الدولة العربية الإسلامية التي أحاطت بها مظاهر الصيرفة ،واساليبها بحكم نشاط حركاتها التجارية ومراكزها الكثيرة والمنتشرة على طول الطريق التجاري الرابط بين أجزاء المشرق الإسلامي من بغداد الى الصين وتفرعاته المتعددة ،واحتواؤها على أسواق ومحلات خاصة بالاعمال الصيرفية .فقد كان التجار ينظمون أمور التعامل فيما بينهم فيضمن بعضهم بعضا في بضاعة او قرض او دفع مؤجل وتتولى النقابات تقديم الضمان اللازم اذا كان التاجر من ذوي الأمانة المعروفة [١٠٠].

وفي بعض الأحيان كثيراً ما كان التجار يعقدون معاملاتهم المالية ذات حجم كبير ،اذا كانوا يرسلون البضائع الكثيرة على ذمة التجار في البلاد البعيدة وهنا ظهرت وظيفة السمسار ويحتفظ اليهم بالثمن عند اصحابهم من التجار حتى يستطيعون التصرف فيه عن طريق التعاون والائتمان[١٠١] .

وقد استعملت السفاتج في جباية الضرائب من الأقاليم وارسالها الى مركز الخلافة العباسية في بغداد على شكل سفاتج بعد ان يتم تحويلها الى نقد وعادة تجري عملية التحويل في الأسواق وكانت السفاتج اذا تم صرفها باوقاتها يكون الصرف مجاني اما اذا تأخر صرفها فأنها تصرف بعمولة [١٠٢].واذا ما صادف ان السفتجات اهملت او تركت في بيت مال العامة ،او في خزانة الوزير ،دون ان تصرف ،تسبب ذلك في الحاق اضرار مادية بخزينة الدولة ،وتعزز مركز الوزير ابن الفرات سنة ٣٠٤هـ/٩١٦ م بحصوله على أموال سفاتج وردت من فارس واصفهان ونواحي المشرق [١٠٣]. واتسع نطاق استخدام السفتجة ،فقد كان الولاة يرسلون الأموال الى العاصمة بغداد بالسفاتج [١٠٤] ويذكر العتبي أن فائق الخاصة قد أستعمل سفاتج لاغراء الغلمان السديدية لقتل الوزير أبا الحسين العتبي ينجزها اليهم فيما بعد[١٠٥]،ولم يقتصر استعمال السفتجة على اجراء المعاملات المالية بين العاصمة بغداد واقاليم خراسان وبلاد ما وراء النهر أوانما أصبحت الهدايا النقدية ترسل الى المسؤولين على هيئة سفاتج واحياناً كان

المسؤولين يقدمون هبات على شكل سفاتج ،وعندئذ يتولى الشخص الذي أعطيت له تحويلها الى نقود(١٠٦).

وكان الفلاحون في خراسان يتعاملون بهذه الطريقة حيث يستلم الفلاحون من الوزير نظام الملك صكوكا بقيمة اجرتهم وقد شاع إستخدام السفاتج في خراسان خلال العصر السلجوقي فقد تم اخذ سفتجة على ولاية بست وسيستان واخذوا مقابلها قطناً وقشر رمان .

أما البراءات فهي عبارة عن وصولات او حجج يعطيها الجهبذ لمن يؤدي ما عليه من دين لتكون بمثابة حجة تؤيده وفاءه بدينه (١٠٧).

وهذا النوع من وسائل المعاملات المالية والتجارية التي شاع استخدامها نظراً لازدياد النشاط التجاري واتساع نطاقه (١٠٨)،أدى استخدام الصكوك والسفاتج والبراءات في المعاملات المالية والتجارية إلى نشأة وظهور الصرافين والجهابذة(١٠٩) .

مما تقدم يتضح ان النظام المصرفي الذي اعتمد في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر نظاما متقدما وفقاً لظروف وأمكانيات تلك المرحلة وان هذا التطور في النظام المصرفي والنقدي كان استجابة لتطور النظام الاقتصادي بشكل عام والتجاري بشكل خاص في أقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر وباقي أقاليم الدولة العربية الإسلامية .

الصيرفة :

أرتبطت الصيرفة ارتباطاً وثيقاً بالحركة التجارية في الأسواق حيث كانت تقام للصرافة سوق عقب كل سوق تجارية فيسوى التجار حساباتهم مع بعضهم البعض وتحرر الوثائق بالرصيد الباقي على أن تدفع في السوق التالي (١١٠).

كانت أسواق خراسان تحوي الكثير من دور الصرافة حيث يتم أستبدال العملة فيها وكان الصراف في السوق يقوم بالكثير من اعمال البنوك الحالية إذ يقوم بتغيير العملة وجرت العادة أن التاجر إذا دخل السوق أودع ما معه من مال لدى أحد الصرافين واخذ بدلها رقاعاً مختومة من الصراف (١١١)،مسجل بها الحد الأقصى الذي يستطيع التاجر ان يتعامل به ،وبهذه الرقاع يشتري التاجر ما يريد ويعطي البائع منها ما يساوي قيمتها ،ويذهب الناس بهذه الرقاع إلى الصراف لياخذوا قيمتها النقدية(١١٢) . وكان الصرافون في القرن الرابع الهجري يتوسطون بين الناس وبين دار الضرب فيأخذون من الناس المعادن الثمينة ويعطونهم ما يساويها في القيمة الاسمية للنقود ، ولعل الصيارفه كانوا يحبذون زيادة المعدن الرخيص في الدنانير وذلك لانهم كانوا يأخذون الذهب والفضة من الناس إلى دار الضرب ويعطون أصحابها نقوداً تساوي ما أخذوه في القيمة الاسمية ، أي ان النقود لا تصبح قيمتها السلعية كاملة فكانت زيادة الخليط تزيد من أرباحهم(١١٣) وكانت بخارى مركزاً هاماً للصيرفة يستبدل فيه سكان آسيا الشرقية والغربية سكتهم بوساطة أهلها (١١٤)

ويتضح مما سبق إنتظام المعاملات المالية فقد اعتبرت النقود وسيلة التعامل الأساسية في أتمام تلك المعاملات وبلغ الدينار الساماني والغزنوي والسلجوقي مكانة عالمية نظراً لشيوع انتشاره في ربوع العالم المجاور نظرا لاتساع معاملاتهم التجارية وانتشارها في كل الارجاء .

الأجور و الأسعار :

الأسعار عرضه للارتفاع والانخفاض حسب قانون العرض والطلب دون تدخل حكومي مباشر باجراء تسعيرة للمبيعات ،وتحديد سعر سلعة معينة يخضع لعدة مقاييس منها جودتها او ندرتها ،ومدى حاجة المشتري لها ،أو حاجة البائع لسعرها وكانت الأسعار في المدن التجارية في خراسان تتفاوت من مدينة لأخرى ،ونجد الكثير من بلاد خراسان كما وصفتها المصادر الجغرافية تتميز بكثرة خيراتها ورخص أسعارها ،مثل بلخ وهي واحدة من خمسة أمصار يطلب بها النعمة والحياز والرخص والفواكه ،وهي بلخ وبخارى ،وتعتبر مدينة نوقان بخراسان أيضاً واحدة من خمس مدن يطلب بها ونفس الأشياء المذكورة ،وهي نوقان قيسارية وخجندة والدينور[١١٥] ،ومن مدن خراسان التي تميزت برخص الأسعار الطالقان "قل في الرخص والخيرات ما شئت "[١١٦]،ومدينة طَابَران "كثيرة الخير رخيصة الأسعار"[١١٧] ،ومدينة نسا "المذهب واحد ،والرخص دائم "[١١٨].

أما عن الأسعار في أقليم خوارزم فكانت رخيصة ، ما عدا مدينة كركانج الجرجانية – عاصمة الإقليم – كانت أسعارها مرتفعة قليلاً ، وأما عن متوسط الأسعار فهي :كان القمح : يباع كل رطلين[١١٩] بدينارين ونصف . والشعير : بدينارين ، وربما زاد قليلاً ولحم الضأن : كل ثلاثة أرطال بدرهم ،وحمل الحطب بدرهمين [١٢٠]. وفي مدينة ده نوجكث من اعمال اسبيجاب يكون سعر اللحم المخلع أربعة أمناء* بدرهم [١٢١]وهذا يدلنا على مدى ما تمتع به هذ الإقليم من رخاء اقتصادي من جانب اخر نجد ان موظفي الدولة والعاملين فيها كانت رواتبهم مرتفعة لاسيما في الشاش ،وهذا دون شك سيترك اثره في القدرة الشرائية للافراد ورخص الحياة وبساطتها ، فقد بلغت الرواتب ٧٠٠ درهم في الشاش ،وفي أيلاق ٣٠٠درهم [١٢٢]،وهي نسبة مرتفعة أذا ما قورنت مع غيرها من المدن . ولعل ارتفاع تلك الرواتب يعود بسبب الظروف العسكرية الذي التي كانت حدود الثغور مثل الشاش وبعض مدنها ان تكون ثغرا على حدود العدو . كما ان عدم جباية الخراج واسقاطه عن بعض المدن ،سيترك اثره على مستوى أسعار السلع وأنخفاض قيمتها ،كمدينة اسبيجاب التي لاتدفع الخراج [١٢٣].

ويصف ان حوقل[١٢٤] المستوى المعاشي والأجور بقوله "ورزق القاضي كرزق صاحب البريد والعامل على جباية الأموال من البنادرة ووالي المعونة رأيتهم بقدر كل ناحية وحسب كل كورة ، وليس ينقص رزق بعضهم عن بعض ولا يزيد ولها عبر قديمة ودستورات ورازنامجات . فاذا كان لعامل المعونة بالناحية رسم كان للبندار بها على رسمه ،وكذلك فاذا كان للقاضي عطاء كان لصاحب البريد قسط

كقسطه ولن يبعُدَ من صاحبيه الاولين بنقصٍ ولا زيادة ... فإذا قبض أحد المتصرفين .. في البريد درهماً واحداً كان للقاضي مثله "

أي ان رواتب موظفي الدولة متساوية في جميع انحاء خراسان وبلاد ما وراء النهر في زمن السامانيين .

وقد كان مستوى أجور العمال منخفضاً ومتدنياً قياساً إلى أصحاب الحرف الرئيسية كالاساتذة وملاك الحوانيت إذ كانت إيراداتهم تصل في الشهر الى ثلاثمائة درهم في الشهر او أكثر [١٢٥]،مقارنة بأجرة عامل الحانوت ،إذ كان يحصل على نصف درهم في اليوم فضلا عن طعامه وكسوته وقد زاد حتى بلغ درهماً في اليوم [١٢٦]. في حين تصل أجرة بواب إلى خمسين ديناراً في السنة [١٢٧]. أما بالنسبة إلى العمال في البناء في مشاريع الدولة فلم تشهد أي تصاعد وأجرة العامل الماهر أعلى من أجرة العامل العادي وبما يُعادل النصف تقريباً [١٢٨]

ففي أيام القحط والفيضان ارتفعت ألاسعار واصبح سعر رغيف الخبز والشعير والقمح ،ولذلك عمل السلطان محمود وابنه مسعود على التخفيف عن السكان [١٢٩]،وذلك بتوفير كميات من الطعام وتامين سير القوافل التجارية ،وباشروا ذلك بأنفسهم [١٣٠].

وتأثرت الأسعار بوفرة الإنتاج ،وقلته ونظام الري ،والافات الزراعية ،والفيضانات ،والكوارث الطبيعية ،واحتكار بعض التجار للسلع الغذائية ،كما تأثرت أيضاً بالضرائب المفروضة فكان فرض الضرائب والمكوس يعمل على زيادة الأسعار في الأسواق ،وكان رفعها يؤدي إلى ازدياد السلع وكثرة المعروض منها في الأسواق ويزداد الإقبال عليها فرخص الأسعار ،ففي سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م حينما تولى السلطة الأمير محمد بن محمود الغزنوي بعد وفاة أبيه فتح أمور الولاية وصار العيش رغدا للناس ورخصت الأسعار ،وسر التجار ،ولما وصلت أخبار ثراء غزنة وسعة عيشها الى المدن الأخرى قصدها التجار من انحاء مختلفة واحضروا الاقمشة والملابس الجميلة ورخصت الأسعار[١٣١].

ثالثاً: السياسة النقدية للخارجين عن السلطة وأثرها في ارباك دائرة التداول النقدي في الأسواق .

لقد أدرك الثوار والخارجون أهمية النقود كوسيلة إعلامية مهمة لمخاطبة الرعية ،وبث أفكارهم ومبادئ ثوراتهم من خلالها ،وفي محاولة لجذب تأييد الرعية إلى جانبهم ،وهو ما حقق النجاح للكثيرين منهم في هذه الثورات .فقد قام الثوار والخارجين بسك النقود كمظهر مهم من مظاهر السيادة والاستقلال ،ومنازعة للحاكم في أهم شارات الملك ،وهي ضرب السكة ،لذلك حرص الثوار الخارجين على إصدار السكة باسمهم تعبيراً عن ملكهم ،واستقلالهم التام عن الحاكم الذي ثاروا ضده .وقد اكتسبت نقود الثوار أهمية خاصة لانها دليل وإثبات لا يقبل الشك على خروج صاحبها على سلطان البلاد ،ولكن نقود الثوار تعد قليلة –مقارنة بنقود الدول–لأن حكام الدول يقومون بصهر نقود الثوار مرة أخرى وإعادة سكها على

الطراز العام للدولة –ولكن ما هو مدى رواج هذه النقود وشرعية تداولها ،فمن المؤكد أن نقود الثوار لم يكن يسمح بتداولها داخل البلاد لانها نقود غير شرعية تحمل اسم مغتصب للحكم او مدعي له ،ولا تحمل اسم السلطان الشرعي للبلاد ،وهذا لا يجعلنا ننكر وجود بعض الرواج لنقود الثوار في المدن والاقاليم التي كان يسيطر عليها هؤلاء الثوار .ولعل حرص الثوار على اكتساب نقودهم للشرعية اللازمة لها في التداول ،او تشجيع الناس على تداولها دفعهم إلى سك هذه النقود بصورة جيدة وعلى عيار مرتفع ،ووزن واف في كثير من الأحيان ،على الرغم من أن بعض الثوار قاموا بسك نقود لا تتوافق مع الوزن والعيار الشرعي للنقود المعاصرة للثورة وكان القصد منها الدعاية والاعلام فقط ومن اهم نقود الثوار ضد حكام الدول المستقلة في خراسان وبلاد ما وراء النهر هي .

١-السياسة النقدية لاحمد بن عبدالله الخجستاني:

ينسب أحمد بن عبد الله الخجستاني إلى قرية خجستان من جبال هراة من أعمال باذغيس[١٣٢]، وكأن يعمل مكارياً[١٣٣]- بائعاً للحمير- ثم صار من اتباع محمد بن طاهر ٢٤٨ –٢٥٩هـ/٨٦٢-٨٧٢م آخر حكام الدولة الطاهرين في خراسان وعندما تمكن يعقوب بن الليث الصفار من الاستيلاء على نيسابور والقضاء على الدولة الطاهريه انضم الخجستاني إليه فجعله في طاعة أخي علي بن الليث.[١٣٤]

سار يعقوب بن الليث من نيسابور متوجها إلى سجستان سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م ولكن الخجستاني رغب في البقاء في خراسان لما حدثت به نفسه من الخروج على طاعة الصفاريين، لذلك أستأذن علي بن الليث في البقاء بخراسان ليقوم باموره فيها [١٣٥]وحينما ذهب الخجستاني لوداع يعقوب ابن الليث أحسن يعقوب مقابلته، وخلع عليه، فلما انصرف عنه قال يعقوب: اشهد ان قفاه قفا مستعص، وأن هذا آخر عهدنا بطاعته [١٣٦]وقد صدقت نبوءة يعقوب بن الليث حيث جمع الخجستاني نحو مائة رجل ،واستولى على مدينة بست نيسابور [١٣٧]وطرد عاملها الصفاري وجبى خراجها[١٣٨] ،ثم سار إلى قومس[١٣٩] ،فاستولى على بسطام [١٤٠]،وذلك في نهاية سنة ٢٦١ هـ/ ٢٧٥ م.[١٤١]

وفي بداية عام ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥ م أستولى الخجستاني على نيسابور ، وهرب عاملها الصفاري عزيز بن السرى، ونجح الخجستاني في الاستيلاء عليها وإقام فيها الدعوة لللطاهرين[١٤٢]، وازدادت ثورة الخجستاني قوة بانضمام رافع بن هرثمة [١٤٣] أليه ،حيث تولى قيادة جيشه واستعاد الخجستاني نيسابور مرة أخرى عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م من أبي طلحه منصور بن شركب الذي كان قد أستولى عليها [١٤٤]

وفي تلك الأثناء توفي يعقوب بن الليث وخلفه أخوه عمره في حكم الدولة الصفارية ونجح في الاستيلاء على نيسابور مرة أخرى لفترة من الوقت غير انه الخجستاني الحق به الهزيمة وفر عمر هارباً وفي سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠ م أحكم الخجستاني السيطرة على نيسابور مرة أخرى واستقرت اموره بها [١٤٥]،وابطل الدعاء لمحمد بن طاهر وأكتفى بالدعاء لنفسه وللخليفة العباسي المعتمد على الله [١٤٦]،حاول الخجستاني غزو العراق فوصل الى سمنان[١٤٧] لكنه عاد الى خراسان ثانية [١٤٨] كما حاول الخجستاني

الاستيلاء على هراة من أيدي عمر بن الليث لكنه لم يستطع وعاد إلى نيسابور بسبب الاضطرابات التي شهدتها المدينة في عام ٢٦٨هـ/٨٨٢م [١٤٩]،وأستمر الخجستاني مسيطراً على نيسابور حتى تأمر عليه أحد غلمانه وقتله في أواخر عام ٢٦٨هـ/٨٨٢م [١٥٠].

أما السياسة النقدية التي اعتمدها الخجستاني فقد أكدت بعض المصادر التاريخية في احداث عام ٢٦٧هـ على ان الخجستاني ضرب نقوداً باسمه وباسم الخليفة العباسي المعتمد على الله .[١٥١]

فقد اجاد الطبري [١٥٢]في وصف هذه النقود بقوله"وفيها ضرب الخجستاني لنفسه دنانير ودراهم وزن الدينار منها عشرة دوانيق [١٥٣]،ووزن الدرهم ثمانية دوانيق ،وعليه الْمُلكْ والقدرة لله ،والحول والقوة بالله،لا إله الا الله محمد رسول الله وعلى جانب من المعتمد على الله باليمن والسعادة، وعلى الجانب الآخر : الوافي أحمد بن عبدالله [١٥٤]"

من خلال أستقراء النص يمكن تدوين الملاحظات الاتية: ان الخجستاني سك الدنانير والدراهم على حد سواء ،ومن خلال ما اثبته الطبري لأوزان نقود الخجستاني يتضح أن هذه النقود تتمتع بارتفاع وزنها عن الوزن المعتاد للنقود[١٥٥] .

ويعزى ذلك الى كونها نقود ثورة لم تكن تسك بإعداد وفيرة ، ومن ثم رغب الخجستاني في الدعاية لنفسه ولثورته بسك نقود عالية الوزن حتى يبث الاطمئنان الى ثورته فتشجع الناس على الانضمام إلية،[١٥٦]وعملاً بالنظرية الاقتصادية القائلة بان العملة الجيدة تطرد الرديئة من الأسواق هذا من جهة ،بالإضافة إلى بعث الرضا في أنفسهم قبل تلك النقود من جهة أخرى ،وقد كان هناك العديد من النقود المتداولة في الأسواق بحواضر خراسان في ذلك الوقت ،كالنقود الصفارية والعباسية – ونقود العلويين في طبرستان ، جاء وصف الطبري للنصوص الكتابية الواردة على دراهم الخجستاني مماثلاً لما جاء على دراهمه التي وصلت إلينا آليوم ،الا انه اكتفى بذكر كتابات مركزي الوجه والظهر دون ذكر العبارة الدعائية " بالنصر والظفر" والتي سجلت باعلى وأسفل كتابات مركز السطر ،بينما أغفل الطبري النصيين المقتبسين عن القرأن الكريم المسجلين على هامش الوجه والظهر وهما من سورتي ال عمران والتوبة كما سياتي شرحه حينها. وقد وصلنا طرز متنوعة من دراهم الخجستاني تحمل مكان سكّها مدينتي نيسابور ،وهراة . حيث ضرب الخجستاني في نيسابور دراهم مؤرخه بعامي ٢٦٧هـ و٢٦٨ هـ ، وقد ضرب في نيسابور درهم سنة ٢٦٧هـ وزنه ٤،٧غرام وقطره ٣١،٨ملم [١٥٧] ونصوص كتابات هذا الدرهم جاءت على النحو التالي:

الوجه	الظهر
مركز: باليمن لا آله الا الله محمد رسول الله المعتمد على الله والسعادة	مركز: بالنصر الملك والقدرة لله الحول والقوه بالله الوفى احمد بن عبدالله والظفر
هامش: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير	هامش داخلي:بسم الله ضرب هذا الدرهم بنيشابور سنة سبع وستين ومائتين هامش خارجي :قالتول الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين

يتضح ان كتابات مركز الوجه تشتمل على خمسة أسطر متوازية ومتتالية نصها :"باليمن/لااله الا الله/محمد رسول الله /المعتمد على الله /والسعادة "،حيث ضم السطر الأول كلمة "اليمنن،"،وأحتوى السطر الثاني على شهادة التوحيد مختصرة خلافاً لما سبق [١٥٨].بينما جاءت الرسالة المحمديةبالسطر الثالث مقرونة بشهادة التوحيد ،وكانت تاتي من قبل في ثلاثة أسطر غالباً- بمركز الظهر [١٥٩].ويدل على أعتناق الخجستاني للاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة [١٦٠].وقد سار رافع بن هرثمة –الثائر على الصفاريين في عهد عمرو بن الليث –على طريقة الخجستاني في تسجيل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية .[١٦١]

وكتابات مركز الظهر تشتمل على ثلاثة اسطر ايضاً ،نقش بالسطر الأول منها عبارة "الملك والقدرة لله " وتسير هذه العبارة أن الملك لله سبحانه ،يؤتيه بقدرته لمن يشاء من عباده، ويتفق من حيث المعنى والمدلول وسبب التسجيل مع التفسير السابق للاقتباس القرآني مو سورة آلِ عمران بكتابات هامش الوجه ، وقد انفردت نقود الخجستاني بتسجيل هذه العبارة فلم تظهر بعد ذلك على النقود الإسلامية .أما السطر الثاني فدون به عبارة "الحول والقوة بالله " وهي تشير إلى أن الخجستاني يستعين بحول الله وقوته على اعدائه، وهي المرة الأولى التي تنقش فيها هذه العبارة على النقود الإسلامية [١٦٢].

واحتوى السطر الرابع على لقب "المعتمد على الله "وهو الخاص بالخليفة العباسي :أبو جعفر احمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد ،وياتي في الترتيب الخامس عشر بالنسبة لخلفاء بني العباس [١٦٣].ويلاحظ تدوين لقب الخليفة بمركز الوجه والذي ينقش به النصوص الرئيسية للنقد إذ جاء بعد شهادة التوحيد والرسالة المحمدية ،مما يلقي الضوء بصورة أكبر على لقب الخليفة ،بوصفه ولي أمر الرعية والمسئول عنها ،وخليفة الله في أرضه ،والملقى على عاتقه الذود عن الاسلام وحماية المسلمين ،وانه رمز لاهل السنة في العالم الاسلامي بأسره حينئذ[١٦٤].ويدل تسجيل لقب الخليفة على هذا

الـدرهم علـى أن الخجسـتاني مـا يـزال علـى ولائـه تجـاه خليفـة المسـلمين وفـي كنفـه الروحـي والسياسي[١٦٥]،باعتباره الخليفة المعاصر له أنذاك .

الخاتمة:

أدى نقش لقب الخليفة العباسي –والذي ينوب عنه اسمه –على نقود الخجستاني إلى تعجب المؤرخ السيوطي ودهشته ولقد نجمت تلك الدهشة نتيجة لتناقض أفعال الخجستاني قبل الخلافة العباسية ؛ذلك لأن علاقته بها كانت غير حسنة ،بسبب ما اقترفه من أعمال عدوانية على ممتلكاتها،إلى الحد الذي جرّأه على القيام بمحاولة غزو العراق نفسها كما أسلف القول !!

بيد أن سرعان ما تزول دهشة السيوطي عند العلم بان نقش اسم الخليفة أو لقبه على السكة كان من اهم شارات الخلافة ‘كما حرص الولاة والحكام المستقلين على تسجيل أسماء الخلفاء على نقودهم – التي سكوها في ولاياتهم – حتى وإن عصوهم أو ناصبوهم العداء ،سواء أكانوا ممن يعترفون بسلطان هولاء الخلفاء أم كانوا من الذين لم يعترفوا لهم بذلك .

ومرجع هذا الحرص من قبل الولاة والحكام إلى أمرين هما ؛الأمر الأول :يتعلق بالجانب السياسي والديني ،إذ يعد نقش اسم الخليفة على نقود أي حاكم بمثابة تعبير عن تبعية هذا الحاكم السياسية والدينية للخلافة ،مما يكسب حكمه الشرعية الداعمة له امام رعيته ،أما الأمر الثاني :فهو الجانب الاقتصادي ، لان تسجيل اسم الخليفة على النقود يضفي عليها الشرعية والتي تلزمها عند التداول .وتعطيها صفة الإبراء .فلا يستهين بها أحد ،فإن هي فقدت تلك الشرعية أدى إلى خذلان أصحابها وربما الأطاحة بهم حيث لم يكن مقبولا تداول عملات لاتحمل اسم خليفة المسلمين .ومن أجل ذلك كان لزاماً على الخجستاني ان يسل أسم الخليفة العباسي على نقوده مهما كانت العلاقات بينهما وبذلك فقد صنّف الخجستاني نفسه من بين قائمة الولاة او الحكام المستقلين التابعين لسيطرة الخلافة العباسية .

اما السطر الخامس فقد نقش به كلمة "والسعادة "ليكمل الدعاء "باليمن والسعادة " باعلى وأسفل كتابات مركز الوجه ،وتعد شطراً من شطرى العبارة الدعائية :باليُمن والسعادة ،بالنصر والظفر "،والتي استكمل شطرها الثاني بتسجيل كلمتي :"بالنصر والظفر"بأعلى وأسفل كتابات مركز الظهر.

وجاءت نصوص كتابات هامش الوجه مقتبسة من القرآن الكريم ونصها :"اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير "وتفسير هذه الآية :أن الله تعالى هو مالك الملك في الدنيا والآخرة يعطى الملك من يشاء ،ويذل من يشاء بسلب الملك منه ، ولا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى .

وأتى هذا الاقتباس القرآني كاختيار موفق ليعبر بصدق عن الأحداث السياسية التي كان يحياها الخجستاني ، فقد شاهد كيف تمكن يعقوب بن الليث من تأسيس دولته فأوتى بذلك الملك من الله ،كما أنه

يعبر بدقة عن الخجستاني نفسه وكيف تنقل من سائق للحمير حتى أصبح من أتباع الأمير الطاهري ،ثم أنضم الى الأمير الصفاري بعد ما ورث الصفاريون دولة بنى طاهر ،ثم داول الله الأيام فانقلب الخجستاني على نقوده أن الملك لله يؤتيه من يشاء أي الخجستاني فيعز بهذا العطاء،وينزعه ممن يشاء "أي الصفاريين " فيُذل بسلب الملك منه ،ألا أن هذا الملك الذي أوتى للخجستاني لم يدم طويلاً ،فسرعان ما فقده ؛بل فقد حياته ذاتها في آخر عام ٢٦٨ هـ،

وتعد هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها هذا الاقتباس القرآني من سورة آل عمران على السكة الإسلامية بصفة عامة وعلى نقود الخجستاني بصفة خاصة في عامي ٢٦٧، ٢٦٨ هـ على الدراهم المضروبة بنيسابور ،وظهر أيضاً على دراهم هراة في عام ٢٦٨ هـ.ويعزب هذا عن راي الحسيني الذي ذكر بان أول ظهور لهذا الاقتباس على نقود الخجستاني كان سنة ٢٦٨هـ .

الهوامش:

(١) يذكر النرشخي أنه تولى عام ١٨٥ هـ/٨٠١م ، تاريخ بخارى ، ص ٢١ .

(٢) النرشخي: المصدر السابق، ص٦١.

(٣) النرشخي: المصدر السابق، ص٦٢.

(٤) ابن فضلان: المصدر السابق، ص٨٢.

(٥) النرشخي: المصدر السابق، ص٦٠-٦٣

(٦) يذكر المقدسي: إن خراج بخارى كان ألف ألف وستة وستون ألفاً وثمانمائة وسبعة وتسعون درهماً غطريفياً. يُنظر: المقدسي: ص٣٤٠، كما يذكر ابن خردادبه رقماً آخر لخراج بخارى وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعة وثمانون ألف ومائتا درهم غطريفي. يُنظر: ابن خردادبه: ص٣٨.

(٧) الدراهم البيض: هي الدراهم النقية وافية الوزن وكان الحجاج بن يوسف أول من ضربها، وقد يكون وصفها بهذه الصفة لما ساد من الغش في الدراهم قبل الحجاج. يُنظر: عبد الرحمن فهمي، موسوعة، ص٣٠.

(٨) بارتولد: تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٩) احسن التقاسيم ، ص ٢٨٦.

(١٠) ألانساب ،ج ٤،ص ٣٠٢ .

(١١) المسالك والممالك ، ص ١٧٥ ؛ النرشخي ،تاريخ بخارى ،ص٦٣.

(١٢) بارتولد ، تركستان ، ص ٣٢٧ .

(١٣)هيطْل:(بالفتح ثم السكون ،وفتح الطاء المهملة):أسم لبلاد ما وراء النهر وهي بخارى وسمرقند وخجند ،وما بين ذلك وخلاله سمي بهيطل بن عالم ابن سام بن نوح.المقدسي ،أحسن التقاسيم ،ص ٢٦١؛ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج٥، ص٤٢٢.

(١٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٤٠ .

(١٥) النرشخي ،تاريخ بخارى ،ص٦٠؛بارتولد ،تركستان ،ص ٣٢٥ ، أنستانس الكرملي ،النقود العربية وعلم النميات ،ص١٥٠- ١٥١.

(١٦) زين الاخبار ، ص ٢٠٤.

(١٧) المنتظم ، ج ١٠، ص١١.

(١٨) وقد ذكر بارتولد أن الدراهم المحمدية تنسب الى الوالي محمد بن هدهد أنظر تركستان ص ٣٢٨

(١٩) صورة الأرض ، ص٤١١.

(٢٠) احسن التقاسيم ، ص ٣٣٩- ٣٤٠ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ .

(٢٢) المسالك والممالك ، ص٣٨؛ الرحلة ، ص٣٦.

(٢٣)المصدر نفسه ، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٢٤) ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

(٢٥) بارتولد: المصدر السابق، ص٣٢٨.

(٢٦) بارتولد: المصدر السابق، ص٣٢٩.

(27) Walker: Op. Cit., pp. XCI-XCII, 164-165.

(٢٨) النرشخي: المصدر السابق، ص٦٢.

(٢٩) بارتولد: المصدر السابق، ص٣٣٠.

(٣٠) ياقوت: المصدر السابق، المجلد الأول، ص٣٥٤.

(٣١) النرشخي ، تاريخ بخارى ،ص٦٠.

(٣٢) المصدر نفسه ،ص ٦١.

(٣٣) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ،ص ٢٧٣- ٢٧٥ .

(٣٤) أبو سعيد أبو الخير ،أسرار التوحيد في مقامات الشيخ ابي سعيد ،مقدمة ،تصحيح وتعليقات محمد رضا شفيعي ،كدكني تهران :آكاه ،١٣٦٦،ج ١ ،ص٨٨.

(٣٥) أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ٣٥٠- ٤٢٩هـ ،ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،ط١ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ،دار البشائر -دمشق ،ص٧٨٢.

(٣٦) صورة الأرض ،ص٤٠٣.

(٣٧) الرسالة ،ص٧٩.

(٣٨) البلدان ،ص٢٩٣.

(٣٩) القزويني ،ابي القاسم عبدالكريم الرافعي ت ٦٢٣هـ، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير ،تحقيق :علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،،ج ٤ ،ص ٨٧.

(٤٠) الاصطخري ،المسالك والممالك ،ص٣١٤.

(٤١) ابى على المحسن بن على ت ٣٨٤هـ،، الفرج بعد الشدة ، تحقيق :عبود الشالجي ،دار صادر – بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ،ج٢ ،ص٢٦٨- ٣٧٢.

(٤٢) الرسالة ،ص ٧٩.

(٤٣) الاصطخري ،المسالك والممالك ،ص ٣٢٣؛ابن حوقل ،صورة الأرض ، ص٤٠٤.

(٤٤) ابن فضلان ،الرسالة ،ص ٨٢

(٤٥) المقدسي ،أحسن التقاسيم ،ص ٢٨٦-٣٠٣.

(٤٦) المصدر نفسه ،ص٣٠٣.

(٤٧) صورة الأرض ،ص ٤١٨.

(٤٨) معجم الادباء ،ج١ ،ص ١٤٧.- أبا القاسم :هو عبدالله بن أحمد الكعبي كان احد الامراء الفلاسفة الذين خدموا السامانيين فترة من الزمن ، ت ٣١٧ هـ/٩٢٩م .ابو زيد :هو احمد بن سهل البلخي الذي كان أحد وزراء بني سامان وصاحب كتاب صور الأقاليم المتوفي سنة ٣٢٢هـ /٩٣٤م .

(٤٩) أبن حوقل ،صورة الأرض ،ص٤٠٤ .

(٥٠) ياقوت الحموي ، جم الادباء ،ج١ ،ص ١٤٧.

(٥١) الاصطخري ،مسالك الممالك ،

(٥٢) النرشخي ،تاريخ بخارى ،ص ١٣٣؛ناصر خسرو ،سفرنامة ،ص ١٠٤.

(٥٣) ناصر خسرو ،سفرنامة ،ص١٨٢.

(٥٤) الطبري ،تاريخ الطبري ،ج ٣،ص ٢٠٩.

(٥٥) ابن خرداذبة ،المسالك والممالك ،ص ٣٦؛النرشخي تاريخ بخارى ،ص ٦١؛ أبن حوقل ،صورة الاض ، ٤٠٤ .والبشيز عملة صغيرة ورخيصة من النحاس الأحمر هامشه .

(٥٦) النرشخي ،تاريخ بخارى ،ص ٦١ .

(٥٧) ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج ٤،ص ٢٥٣ ؛شرح فتح القدير ،ج٥ ،ص٨٥

(٥٨) عالم بن العلاء الاندريني الدهلوي الهندي ت ٧٨٦ هـ، الفتاوى التتارخانية في الفقه الحنفي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان،ج ٢،ص ٣٥٠ .

(٥٩) الولوالجي أبي الفتح ظهير الدين عبدالرشيد بن ابي حنيفة ابن عبد الرزاق ت ٥٤٠ هـ، الفتاوى الولوالجية ،تحقيق : مقداد بن موسى فريوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،ج ١ ، ص ١٨٢

(٦٠) النرشخي ،تاريخ بخارى ،ص ٥١

(٦١) صلاح سليم طايع ،مدينة هراة دراسة سياسية حضارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الطبعة الأولى ، الإسكندرية ،٢٠٠٧م، ص١٦١.

(٦٢) انستاس الكرملي ،النقود العربية وعلم النميات ،ص١٠٧؛خواند مير ،دستور الوزراء ،ص ٢٩١..

(3) –Miles George The Numismatic History of Rayy, p . 108.

(٦٤) ادريس محمد محمود ،تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ،مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة ،د.ت ،ص٢٢٤.

(٦٥) محمد باقر الحسيني ،المركز العالمي للدنانير والدراهم الإسلامية ،المجلة التاريخية العراقية ،العدد الأول ١٩٧١م،ص١٥٩.

(٦٦) أيرين فرانك ،طريق الحرير ،ص١١٧.

(٦٧) أغاثة الامة ،ص٦٦.

(٦٨) Roman K.Kovalev ,Mint output in Tenth – Century Bukhara :a case study of Dirham production and MONETARY Circulation in Northern Europe , Russian Histoire , 28 , No . 1.4 spring – Summer – Fall – WINTER 2001.ibd 245.

(٦٩) Ibd 246.

(٧٠) ج١ ، ، ص ١٤٠ .

(71) Ibd 246.

(٧٢) الكريدزي ،زين الاخبار ، ج٢ ، ، ص ٣٦٨ .

(٧٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٥ .

(1) Roman K.Kovalev ,Mint output in Tenth – Century Bukhara :.ibd 245.

(2) Roman , Mint output in tenth –century BUKHARA.P 261.

(٧٦) Roman , Mint output in tenth –century BUKHARA.P 261

(٧٧) عاطف منصور ، النقود الإسلامية واهميتها ، ص٣٩٤

(٧٨) جوزيف شاخت ،تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوري واخرون ،تعليق وتحقيق : شاكر مصطفى ،عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ ،ص ١٥٤.

(٧٩) عاطف منصور ،النقود الإسلامية واهميتها ، ص ٣٩٤

(٨٠) سعيد عطا الله ، نقود نيسابور منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية ، ص٣٠٣.

(٨١) المصدر نفسه ، ص٣٠٥.

(٨٢) مارك بلوك ،مشكلة الذهب في العصر الوسيط ، بحث في كتاب "بحوث في التاريخ الاقتصادي " ،ص ٧٢ ؛ أمين الطيبي ،النقود العربية انتشارها وأثرها في اوربا في القرون الوسطى ،مجلة المؤرخ العربي ،ع ١٩،بغداد ١٩٨١م، ص ١٩٩– ٢٠١ ،عاطف منصور ،النقود الإسلامية واهميتها ،ص ٧٤٦– ٧٤٧.

(٨٣) Lemus :Sylloge of Islamic Coin , P, 406 , No 3395 3. 12 g.

(٨٤)الصكوك والشيكات المحولة كانت من أرقى ما وصلت إليه المعاملات المالية في الدول والولايات الإسلامية وقد نقل الاوربيون هذا النظام وطوروا طرق التعامل به حيث يضمن المتعامل وصاحب رأس المال حقوقه بلا عناء .أدم متز ،المرجع السابق ،ج٢،ص٣٢١؛نعيم زكي فهمي ،دور اليهود في تجارة العصور الوسطى في الشرق والغرب ،القاهرة ،١٩٧١،ص ٢٥.

(٨٥) الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ،ص٥٦؛حسن إبراهيم ،المرجع السابق ،ج ٤ ،ص ٣٩٦.

(٨٦) عصام عبدالرؤف ،الدول المستقلة ،ص ٢٧٢

(٨٧) محمد عبدالعظيم ،السلاجقة وتاريخهم السياسي والحضاري ، دار عين للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١، ،ص٣١٢.

(٨٨) جمع سفتجة وهي لفظة فارسية معربة ومعناها خطاب الضمان .الثعالبي ،ثمار القلوب ،ص٥٤٥؛جمال الدين سرور ،تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٩٣؛عصام عبدالرؤف ،الدول المستقلة ،ص ٢٧١.

(٨٩) الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ،ص٥٨؛الصافي عبدالعليم ،المرجع السابق،ص١٧٧.

(٩٠) الصرافون :جمع صراف هو الشخص القائم بدور الوسيط بين الناس ودور الضرب وكان الصرافون يأخذون من الذهب والفضة من الناس لسكانهم يدفعون لهم نقوداً تعادلها في القيمة ،وبذلك يستفيدون من الفرق بين القيمتين .نعيم زكي فهمي ، دور اليهود في تجارة العصور الوسطى، بين الشرق والغرب ، القاهرة ،١٩٧١،ص١٧.

(٩١) الجهابذة :جمع جهبذ هو الشخص الذي يشرف على الشئون المالية والمعاملات النقدية .ابن مماتي ،قوانين الدواوين ،ص٩؛الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ،ص٥٥؛المقريزي ،المصدر السابق ،ص٢١؛القلقشندي ،المصدر السابق،ج ٩ ،ص٤٦٦.

(٩٢) ابن مسكوية ،تجارب الأمم ،ج ٥ ،ص٨٣.

(٩٣) ابن مسكوية ،تجارب الأمم ،ج٥ ،ص٨٥.

(٩٤) محمد عبد العظيم ،المرجع السابق ،ص٣١٣.

(٩٥) ناصر خسرو ،سفرنامة ،ص ١٣٥.

(٩٦) الكبيسي ،حمدان عبدالمجيد ،أصول النظام النقدي ،ط١،بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة ،١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م ،ص ٥٠ –٥١ ؛السعدي ،الصيرفة والجهبذة ،ص ٢٩٦ – ٣٠٧ .

(٩٧) مسكوية ،تجارب الأمم ،ج ١،ص٤٣.

(٩٨) الكبيسي ،أصول النظام النقدي ،ص٢٦٥.

(٩٩) ابن منظور ،لسان العرب ،ج ٢ ،مادة سفتجة ،ص ٢٩٨.

(١٠٠) مسكوية ،تجارب الأمم ،ص٥٤.

(١٠١) ناصر ،خسرو ،سفرنامة ،ص ٩٦ ؛حمودة ،عبدالحميد حسين ،أسواق بخارى في العصر الساماني ،د.م د.مط ،د.ت ،ص ١٠٩ .

(١٠٢) عبد الرؤوف عصام الدين ،الحواضر الإسلامية الكبرى ،ط١ ،دار الفكر العربي ،١٩٧٦ ،ص ١٥١.

(١٠٣) الصابي ،الوزراء ،ص٨١.

(١٠٤) مسكوية ، تجارب الأمم ، ج ١، ص ٤٣.

(١٠٥) التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٧٧.وهذا ما حدث ابان الامارة السامانية في خراسان .

(١٠٦) التنوخي ،الفرج بعد الشدة ،ج ٢،ص ١٤٣، ١٤٤.

(١٠٧) الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ،ص ٣٦.

(١٠٨) ابن مماتي ،قوانين الدواوين،ص٩.

(١٠٩) محمد جمال سرور،تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ،ص ٢٠٢.

(١١٠) القمشري ، مصطفى عبدالله ، الاعمال المصرفية والإسلام ، رسالة ماجستير ،دار العلوم ،جامعة القاهرة ،ص ٢١.

(١١١) حسين ، مؤنس ،عالم الإسلام ، القاهرة ،الزهراء للاعلام العربي ،١٩٨٩م ، ص ٢٨٠ .

(١١٢) الاصطخري، المسالك والممالك ، ص٢٩٨؛ابن حوقل ، صورة الأرض ، ٤٢٠.

(١١٣) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ،ص٢٢٦ ، ٢٣٣.

(١١٤) فامبري ،تاريخ بخارى ،ص٢٥.

(١١٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٠٥.

(١١٦) المصدر نفسه ، ص٣٠٢.

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .

(١١٨) المصدر نفسه ،٣٢٠ .

(١١٩) الرطل :هو كلمة مأخوذه من كلمة "Litre" اليونانية ويقابلها "Libr" في اللاتينية وقد أختلف وزنه باختلاف الأماكن والمواضع في العالم الإسلامي اثنتا عشر أوقية ،والاوقية أربعون درهما فإذا ضربنا ١٢ب ٤٠ نجد أن سعر الرطل بالدرهم يكون أربعمائة درهماً واستخدم كوحدة وزن للجواهر والفواكة واللحوم .علي جمعة محمد ،المكاييل والموازيين الشرعية ،ط٢،القاهرة ،٢٠٠١م ص١٢٩.

(١٢٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤، ص٤٧١.

- وهو ما يوزن به وجمعه آمنان ، ومقدارة رطلان . ينظر ،أبن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ، ص٤١٩ .

(١٢١) الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ،ص

(١٢٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص٣٨٩؛الذي ذكر المبالغ مقدرة بالدراهم لمعظم مدن خراسان وبلاد ما وراء النهر .

(١٢٣) الاصطخري ،،مسالك الممالك ،ص١٨٧؛المقدسي،احسن التقاسيم ،ص٢١٩-٢٦٥.

(١٢٤) صورة الأرض ، ص٣٨٩.

(١٢٥) أبو يوسف ،كتاب الخراج ، ص ٢٣-٢٤.

(١٢٦) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٢،ص ١٥٥.

(١٢٧) المصدر نفسه ،ج١ ،ص١١٩.

(١٢٨) متز ،الحضارة الإسلامية ،مج ١ ،ص٧٦.

(١٢٩) ناصر خسرو ، سفرنامة ،ص ٧.

(١٣٠) ابن الجوزي ،المنتظم ، ج ٩ ، ص١٩٢.

(١٣١) الكريدزي ،زين الاخبار ، ص٢٧٤.

(١٣٢) باذغيس: تقع على الطريق من هراة الى مرور الروذ، وهي تمتد بين نهر هراة من الغرب ومياه نهر مر غاب الأعلى من الشرق ،وهي الآتية من جبال غرجستان، وكان يسقي بعد باذغيس نفسها كثير من روافد نهر مر غاب اليسرى .كي لسترنج ،بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد ،مؤسسة الرسالة ،ط ٢،بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م ،ص ٤٥٥ .

(١٣٣) السمرقندي أحمد بن عمر عروضي تعال ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م :جهار مقالة، باهتمام د. محمد معين تهران، مؤسسة انتشارات أمير كبير ١٣٧٧ هـ ش ص ٤٢ ٤٣ والترجمة العربية: عبد الوهاب عزام ،د. يحيى الخشاب، اللجنة المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة، ١٩٥٦. المقالة الأولى ص ١٣ عباس إقبال تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرين حتى نهايه الدولة ألقاجارية ٢٠٠ وخمسها من مية وعشرين م ١٣٤ ٣٠٠٠ وتسعمية وخمسة وعشرين م ترجمة د محمد علاء الدين منصور ،القاهرة ١٩٨٩ ،ص ١١٥

(١٣٤) أبن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٦،ص ٢٦٤؛النويري ،نهاية الارب ،ج٢٥،ص٣٨٩.

(١٣٥) أبـن الاثير،الكامـل فـي التـاريخ،ج٦،ص ٢٦٥؛النـويري ،نهايـة الارب ،ج٢٥،ص٣٩٠؛رزق الله منقريـوس الصدفي ،المرجع السابق ،مج ١،ص ٢٥٤.

(١٣٦) أبن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٦،ص ٢٦٠.

(١٣٧) بست نيسابور:مدينة بين سجستان ووغزتين وهراة .ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج١ ،ص ٤٩٢.

(١٣٨) أبن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٦،ص ٢٦٥؛النويري ،نهاية الارب ،ج٢٥،ص٣٩٠.

(١٣٩) قومس:بالضم ثم السكون وكسر الميم وسين مهمله ،هو تعريب كومس وهي كوره واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي من ذيل جبال طبرستان وقصبتها دامغان ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار .ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج٤،ص٤٧٠.

(١٤٠) بسطام بالكسر ثم السكون :بلدة كبيرة في قومس على جادة الطريق الى نيسابور .ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج١،ص ٥٠٠.

(١٤١) أبن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص٢٦٥؛ النويري ،نهاية الارب ،ج٢٥،ص٣٩٠.

(١٤٢) أبن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص٢٦٥؛ النويري ،نهاية الارب ،ج٢٥،ص٣٩١،٣٩٠.

(١٤٣) أبن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص٣١٣.

(١٤٤) أبن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص٣١٣؛ النويري ،نهاية الارب ،ج٢٥،ص٢٩٢.

(١٤٥) الطبري ،تاريخ الطبري ،مج ٥ ،ص ٥٤٥؛ابن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص ٢٦٧.

(١٤٦) الطبري ،تاريخ الطبري ،مج ٥ ،ص ٥٤٦؛ابن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص ٣٨٠.

(١٤٧) سـمنان:بفتح أولـه وتكريـر النـون ،وهـي مدينـة بـين الـرى ونيسـابور .يـاقوت الحمـوي ،معجـم البلـدان ،ج٣،ص٢٨٤.

(١٤٨) ابن الاثير،الكامل ،ج ٣ ،ص ٣٠٨؛السيوطي ،المصدر السابق ،ص٣٦٤.

(١٤٩) ابن الاثير ،الكامل ،ج٦،ص ٣٦٧

(١٥٠) الطبـري ،تـاريخ الطبـري ،مـج ٥ ،ص ٥٥٩؛ابـن الاثيـر ،الكامـل ،ج٦،ص ٢٦٨.ذكـر الطبـري أن مقتـل الخجستاني كان في شهر ذي الحجة سنة ٢٦٨هـ بينما ذكر أبن الاثير ان مقتله كان في شهر شوال من نفس العام ،وايد زامباور رأي الطبري في ان الخجستاني قد قتل في شهر ذي الحجة بينما أشار السيوطي الى ان الخجستاني قتل في عام ٢٦٧هـ.أنظر السيوطي ،المصدر نفسه ،ص ٣٦٤ ؛زامباور ،تاريخ الاسر الحاكمة ،ص ٧٨.

(١٥١) االطبري،تاريخ الطبري،ص٢٨٨،أحداث سنة ٢٨٦؛السيوطي تاريخ السيوطي،٢٦٥ص.

(١٥٢) الطبري،تاريخ، سنة ٢٦٧،ج٩، ص٦٠٠؛الذهبي،تاريخ الإسلام ،المجلد السادس،ص٢٧٢.

(١٥٣) دوانيق:جمع دانق ،يعود لأصل عربي ،فهو لفظ قديم استخدم في الفارسية بلفظة "دانك "كما استخدم في الأرمنية أيضاً،وأستعمله العرب في العصر الجاهلي للدلالة على وزن معين ،ثم استعمل في العصر

الإسلامي كوزن ثقلة عشر حبات من الشعير –المتوسطة من الشعير وتقدر بقيراطين حيث يعادل سدس الدينار والدرهم على أساس ان الدرهم = ٤٨ حبة ،وذكر للدانق اوزان مختلفة منها :٠،٤ غرام ،٠،٤٢ غرام .كما جاء أيضا ان الدانق الشرعي من مثقال النقد الشرعي = ٠،٧٠٧٣ غرام ،ومن درهم النقد الشرعي = ٠،٤٩٥٨غرام ومن درهم الكيل = ٥٢٨٣ غرام كما ذكر ان وزن الدرهم ستة دوانيق ،والدانق ثمان حبات وخمسا حبة ،وبناء على ذلك يصبح الدرهم خمسون حبة وخمسا حبة .عن ذلك ينظر :أبو الحسن ديانت ،فرهنك تاريخي سنجش وارزمش ها ،تبريز ١٣٤٧ هـ ش ١٩٦٩م ،ج١ ،ص١٩١–١٩٣؛فالتر هنتس ،المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ،ترجمة :كامل العسيلى ،عمان ١٩٨٢م،ص٢٩؛أبن خلدون ،المقدمة ،ص ١٨٣ ١٨٥؛المقريزي ،إغاثة الامة ،ص٧٠؛شذور العقود ،ص ٣.

(١٥٤) الطبري،تاريخ الرسل والملوك ،ج،ص٢٨٨،احداث ٢٨٦هـ.

(١٥٥) يعادل وزن الدينار الشرعي لوزن النقد "مثقال النقد"نحو ٧٢ حبة شعير أي حوالي ٤،٢٥ غرام ؛لان وزن الحبة =حوالي ٠,٥٩٠ غرام ،في حين أن الدرهم الشرعي لوزن النقد يعدل حوالي ٢،٩٧٥ غرام ؛لان نسبة درهم النقد الشرعي إلى مثقال النقد الشرعي "الدينار"هي ١٠:٧ ،بمعنى ان كل عشرة دراهم تعدل سبعة مثاقيل –ينظر :محمود الخطيب:معادلة الاوزان،ص١٤١،١٤٣، ١٥٠ ،١٥١،١٧٩.

(١٥٦) عاطف منصور :ثورة أحمد بن عبدالله الخجستاني كما تظهرها النقود ،بحث مستخرج من "ندوة الاثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي ،٣٠ نوفمبر ١ ديسمبر ١٩٩٨"قسم الاثار الإسلامية ،كلية الاثار جامعة القاهرة ،ص٧٦٩.

(١٥٧) بهرام علاء الدين ،سكه هاى ، ص١٢٨.

(١٥٨) كانت شهادة التوحيد منذ تعريب عبدالملك بن مروان للنقود وطوال عصر بني امية –ترد كاملة في ثلاثة سطور متتالية "لاله الا/الله وحده /لاشريك له "بمركز الوجه ،ثم سار بنو العباس على هذا النهج ،ومن بعدهم أصحاب الدويلات المستقلة والتابعة اسميا لدولة الخلافة العباسية مع تعديلهم في طريقة تسجيلها احيانا مثل :الطاهريون ،السامانيون ، الغزنويون ،.....مزاد الامارات للعملات رقم ١ ،ص٤٣،٢٩،٢٧،١٢ .

(١٥٩) ينظر على سبيل المثال نقود الخلافة العباسية ونقود الدولة الطاهرية .مزاد الامارات للعملات رقم ١ ، ص٤٣،٢٩،٢٧،١٢ .

(١٦٠) عاطف منصور ،،ص٣٢٠.أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، بحث مستخرج من مجلة كلية الاداب ،جامعة جنوب الوادي ،العدد التاسع ،١٩٩٩، ،ص٣٢٨.

(١٦١) سعيد عطا الله ،نقود نيسابور ،ص ١٨٤ ١٨٥.

(١٦٢) عاطف منصور ،الكتابات غير القرأنية في شرق العالم الإسلامية ،ص٢٣٦ ،٣٤٥ ؛أضواء جديدة ،ص٣٢١.

(١٦٣) الـــذهبي ،،ج١٢،ص٥٤٠؛أبـــن كثيـــر ،البدايـــة والنهايـــة ،مـــج ٦،ج١١،ص٦٩؛السـيوطي ،تـــاريخ الخلفاء،ص٢٦٤.

(١٦٤) عاطف منصور ،أضواء على نقود أحمد بن علي الخجستاني ،ص٣٢٠.

(١٦٥) عاطف منصور ،ثورة الخجستاني كما تظهرها النقود ،ص٧٦٢.

أهم الآلهة القومية
لمنطقة حضارة كوردستان القديمة

أ.د. محمد صالح زيباري
م.م. عماد شاكر أحمد
جامعة دهوك – كلية العلوم الإنسانية – قسم التاريخ

أهم الآلهة القومية لمنطقة حضارة كوردستان القديمة

أ.د. محمد صالح زيباري

م.م. عماد شاكر أحمد

"The important National Gods of the Region of Ancient Civilization in Kurdistan"

Abstract:

Almost all researchers agree that religious thought is as old as the human person is, and in its early beginnings grew up with the sane person in the civilization of Mesopotamia, specifically in the ancient civilizations found on the Kurdistan, where man began to express belief through multiple forms depending on the evolution and growing sense of belief. Accompanied by special behavior commensurate with the multiplicity of religious beliefs.

The most important manifestation of religious beliefs is the multiplicity of Gods, according to the multitude of cosmic phenomena surrounding man at the time. This has contributed to the determination of human behavior, customs, traditions and laws, so that many researchers attribute the first roots on which the ritual began to appear due to factors caused by the circumstances of the existence of the Gods and attempts man is closer to those Gods. It is natural to find the worship of a particular goddess known by many names where that the people lived in the region of the civilization of Kurdistan. This means that the multiplicity of Gods has been accompany by the numbers that settled in the region, according to historical studies the region of the civilization of Kurdistan was home to several people.

Therefore, the search for the names of the gods in the region will lead us to the result, to find a plurality of gods and their names according to each of those people during the third millennium and the second B.C.

This is what we will address in the subject of the most important national Gods, which was known in the civilization of Kurdistan after we show in the subject of the first most important Kurdish people mentioned within the sources of the study of civilization of Mesopotamia.

المقدمة:

يكاد اغلب الباحثين يجمعون على ان أن الفكر الديني قديم قدم الإنسان نفسه، وفي بداياته الأولى نشأ مع الأنسان العاقل في حضارة بلاد الرافدين، وتحديدا في الحضارات القديمة الموجودة على أراضي كوردستان، اذ اخذ الإنسان يعبر عن المعتقد من خلال أشكال متعددة تبعا لتطور وتنامي الحس العقائدي، مصحوبة بسلوك خاص يتناسب مع تعدد المعتقدات الدينية، واهم مظهر من مظاهر المعتقدات الدينية يتمثل ابتداءً بتعدد الآلهة بموجب تعدد الظواهر الكونية المحيطة بالإنسان آنذاك، وبالتالي فقد اصبح لكل ظاهرة إله واخذت الشعوب تعط كل اله طابعا قدسيا، ثم ما لبث ذلك وبمرور الزمن، ان فرض عليهم بعض الممارسات والفعاليات والتعاويذ والتراتيل والصلوات ذات الطبيعة القدسية لكسب ود تلك الآلهة والتقرب اليها لينعموا بالأمان والاستقرار، وقد اسهم ذلك في تحديد سلوك الإنسان وعاداته وتقاليده وأعرافه وقوانينه، حتى أن الكثير من الباحثين يُرجع الجذور الأولى التي على أساسها بدأت الطقوس تظهر إلى عوامل سببتها ظروف وجود الآلهة ومحاولات تقرب الإنسان من تلك الآلهة.

ومن الطبيعي ان نجد عبادة الهة معينة عرفت باسماء ومسميات عدة وذلك من قبل الشعوب والاقوام سكنت في منطقة حضارة كوردستان، وهذا يعني ان تعدد الالهة قد رافقه تعدد الاقوام التي استوطنت المنطقة، وبموجب الدراسات التاريخية فان منطقة حضارة كوردستان كانت موطنا لعدة اقوام من اهمهم ((السوباريون- اللولوبيون- الكوتيون – الخوريون- الكاشيون – الميتانيون- سيموري – الاورارتيون- الميديون- الكاردوخيون)) وعليه فان البحث عن أسماء الالهة في المنطقة المذكورة سوف يوصلنا بالنتيجة، ان نجد تعددا في الالهة ومسمياتها حسب كل قوم من تلك الاقوام خلال الالف الثالث والثاني والاول قبل الميلاد.

وهذا ما سوف نتناوله في موضوع اهم الالهة القومية التي عرفت في منطقة حضارة كوردستان بعد ان نعرض في مبحث اول أهم الاقوام الكوردستانية التي ذكرت ضمن مصادر دراسة حضارة بلاد الرافدين.

المبحث الأول – الأقوام الكوردستانية في حضارة كوردستان القديمة:

على الرغم من صعوبة الفصل بين الأقوام الكوردستانية القديمة ووضع حدود جغرافية بينهم، الا انه يمكن القول بأن الجميع كان يجاور بعضهم البعض، فاللولوبيون على سبيل المثال جاورهم في الشمال الغربي الكوتيون وفي الجنوب الغربي الخوريون وفي الجنوب الشرقي الكاشيون وكثيراً ما يحدث تداخل بين حدود هذه الأقوام تبعاً لقوة وضعف تلك الأقوام وضغط البلدان المجاورة لهم، إذا لم تكن حدود ثابتة أو مستقرة، فقد انتشروا ما بين الأراضي الممتدة من جبال زاكروس حتى بحيرة أورميه شمالاً وإلى بلاد سومر جنوباً. واهم اقوام حضارة كوردستان القديمة هم:

أولا– السوباريون Subarians

يعد السوباريون من أقدم الأقوام الكوردستانية الذين عاشوا في كوردستان، استناداً إلى ورود إسمهم في الكتابات المسمارية لأول مرة في عهد الملك السومري (لوكال – آني – موندو lugal – Anni – Mundu) حاكم سلالة اِدب من بلاد سومر الذي أشار إلى بلاد سوبير في إحدى حملاته العسكرية لفرض وجباية الضرائب حيث يذكر في أحد نصوصه "إنه قام بجباية الضرائب من جبال الأرز وبلاد عيلام وماراخشي وكوتيوم وسوبير ومارتو"[١] كما ورد إسم السوباريون في كتابات الحاكم السومري ايانـاتم حاكم سلالة (لـگش الأولى ٢٥٢٠ – ٢٣٥٥ ق.م)[٢]، وذلك من خلال إحدى نصوصه يشير إلى بلاد سوبارتو وتحالفها مع بلاد عيلام وأوروا إذ يذكر النص "أنه قاتل وهزم تحالف جيوش عيلام وسوبارتو وأوروا".[٣] وفي العصر الأكدي٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق.م تعرض بلاد سوبارتو إلى هجمات الأكديين فذكر سرجون الأكدي ٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق.م [٤]، وحفيده نرام سين ٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق.م، من إرسال حملات عسكرية إلى بلاد سوبارتو وتمكنوا من السيطرة على مناطق نفوذ السوباريين كما ورد في أحد نصوصه "جميع عيلام ... ومناطق سوبارتو ... أنا استوليت عليها"[٥].

وقد وردت الإشارة الى بلاد سوبارتو في النصوص المسمارية بصيغ مختلفة فورد سوبارتو Šubartu بصيغة شوبارتو في اللغة الأكدية وبصيغة شوبير، شوبور، شوبار في اللغة السومرية[٦]، والمصطلح "سوبار" ورد في النصوص المسمارية بصيغة سوبارتو لأن

المقطع "تو" كان يضاف من قبل السومرين إلى نهاية المناطق الجغرافية مثل أورارتو، مارتو، ايلامتو، سوبارتو[٧]، وفيما يخص حدود بلاد سوبارتو، فلا يمكننا أن نضع لها حدود ثابتة لأنها لم تكن هناك حدود بين مناطق وأقاليم العالم القديم، ويعتقد بعض الباحثين بأن بلاد سوبارتو تقع في أعالي وادي الرافدين وتمتد من جبال زاكروس شرقاً حتى نهري الخابور والبليخ غرباً[٨] ويري جمال رشيد بأن بلاد سورباتو تشمل المناطق الممتدة من جبال طوروس غرباً باتجاه الشرق ليتشمل مناطق سيواس وديار بكر ومنابع نهر الفرات حتى تصل إلى جبال زاكروس وصولاً إلى مناطق أرابخا (كركوك) ومناطق شرق نهر دجلة[٩]. ويعتقد طيلب (Gelb) أن بلاد سوبارتو تقع مباشرة شمال بلاد بابل في المنطقة المحصورة من شرق نهر دجلة حتى جبال زاكروس[١٠]، ومن المرجح أن السوباريون كانوا يعيشون الى الشمال من بلاد الرافدين عند اطراف بحيرة وان (van) وانتشروا نحو مناطق جنوب كوردستان حتى ارابخا ومرتفعات مكحول وحمرين.

ثانيا- اللولوبيون (لولوبوم):

يعد اللولوبيون من الأقوام الكوردستانية الذين عاشوا في كوردستان خلال الألف الثالث ق.م. وكانوا معاصرين للسوباريين وساهموا مع بقية الأقوام الكوردستانية من سوباريين و كوتين و خوريين في أحداث بلاد ما بين النهرين[١١] وقد ورد ذكرهم في النصوص المسمارية السومرية والأكدية، وكذلك ورد إسم اللولوبيون مع بلاد كوتيوم وسوبارتو وأرابخا وأربيلوم في نصوص أيبلا حيث كانت لها علاقات تجارية معهم[١٢]، فجاءت بلاد لولوبو بصيغ مختلفة في النصوص المسمارية خاصة في الألف الثالث ق. م. مثل لولوبان Lulluban، ولوللوبونا Lullubuna في العصر الأكدي، وبصيغة لوللوبوم Lullubum ولوللم Lullim في عهد سلالة أور الثالثة، وبصيغة لولومي Lulumi ونولومي Nulumi في نصوص نوزي بالقرب من أرابخا (كركوك)[١٣]

أما فيما يخص موطن اللولوبيين يتفق الباحثون بأن محافظة السليمانية الحالية وأطرافها هي قلب بلاد لولوبوم وخاصة مناطق شهرزور و قرداغ[١٤]، وفي نصوص نوزي أشارت بأن بلاد لوللوبو تقع شرق مدينة أرابخا (كركوك)[١٥]، وبالرغم من صعوبة الفصل بين الأقوام الكوردستانية القديمة ووضع حدود جغرافية بينهم يمكن القول بأن اللولوبيون جاورهم في

الشمال الغربي الكوتيون وفي الجنوب الغربي الخوريون وفي الجنوب الشرقي الكاشيون وكثيراً ما يحدث تداخل بين حدود هذه الأقوام تبعاً لقوة وضعف تلك الأقوام وضغط البلدان المجاورة لهم، إذا لم تكن للللولوبيين حدود ثابتة أو مستقرة فقد انتشر اللولوبيون أحياناً في الأراضي الممتدة من جبال زاكروس حتى بحيرة أورميه شمالاً وإلى بلاد سومر جنوباً وكانت مدن سربيل زهاو وحلوان من بين مراكزهم وبصورة عامة كانت المنطقة التي تقع بين نهر سيروان شرقاً ونهر الزاب الأسفل غرباً من أهم مناطق انتشارهم وكانت منطقة قرداغ من أهم معاقلهم[١٦]، وفي عصر فجر السلالات السومرية (٢٩٠٠ – ٢٣٧١ ق.م.) أسس اللولوبيون مملكة خمازي (همازي) في منطقة السليمانيه وشهرزور[١٧]، فقد ورد في جداول اثبات الملوك السومرية بعد سقوط مدينة كيش انتقلت الملوكية إلى خمازي وبعد أن قويت سلالة الوركاء توجهت إلى خمازي وأعادتها إلى سيطرتها كما ذكر في النص التالي:

"كيش ضربت بالسلاح ونقلت ملوكيتها إلى خمازي ثم دمرت خمازي ونقلت ملكيتها إلى الوركاء"[١٨]، ومملكة خمازي لم تنل استقلالها ثانية إلا بعد ظهور سرجون الأكدي، وفرض سيطرته على المدن السومرية و تأسيس دولة القطر الواحدة سنة ٢٣٧١ ق.م. حيث فسح انشغال سرجون الأكدي بتوحيد البلاد المجال أمام مملكة خمازي لنيل استقلالها[١٩].

وبعد سقوط الإمبراطورية الآشورية سنة ٦١٢ ق.م على يد الميديين والكلدانيين أصبحت بلاد اللولوبيين جزءاً من مقاطعة ميديا وضمت الإمبراطورية الميدية (٧٠٠ – ٥٥٠ ق.م) كل من الميديين والزكرتو والمانيين واللولوبيين وبقية الأقوام القديمة في كوردستان[٢٠].

ثالثا– الكوتيون: كوتيوم:

ظهر اسم الكوتيون لأول مرة في الكتابات المسمارية زمن الملك السومري (لوطال – آني – موندو) ملك مدينة أدب خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م[٢١]، حيث دون إسمهم بجانب (عيلام، مارخاشي، سوبير، آمورو، سوتيوم)[٢٢]، ويشير إلى بلاد كوتيوم بأنها تقع ضمن المناطق التي تجبى الضرائب منهم[٢٣].

لقد ظهرت تسمية الكوتيون بصيغ عديدة منها بصيغة طوتيوم او كوتيوم Ku–ti–um في مدونات لوطال – آني – موندو ملك مدينة أدب (تل بسمايه)[٢٤].وفي العصر الأكدى جاءت بصيغة كوتو Ku–tu[٢٥] وفي العصر الآشوري الحديث والعصر البابلي الحديث

وردت بصيغة كورتو Ku–ur–tu،[٢٦] وكانت تطلق على مناطق تواجد الكوتيين اسم كوتيوم أو طوتيوم[٢٧]، ولهذا يرى كثيراً من الباحثين أو بعض الباحثين يقومون بربط إسم (الكورد) مع إسم (كوتي) أو (كوتو) أو (كورتي) في دراساتهم اللغوية. [٢٨]

أما بالنسبة لموطن الكوتيين، فقد عاشوا في المناطق الشمالية الشرقية من كوردستان و أنتشروا باتجاه الجنوب بمحاذاة الزاب الأسفل ومن المرجح أن تكون منطقة تشدتر قلعة دزه و رانيه من أهم مراكزهم[٢٩] بينما يذكر جمال رشيد بأن الكوتيون عاشوا في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهرزور في المنطقة المحصورة بين نهري الزاب الأسفل ونهر سيروان وإتخذوا من أربخا (كركوك) مركزاً لهم[٣٠]، واستناداً على الكتابات الأكدية فإن بلاد كوتيوم شملت الأراضي الواقعة بين الزاب الآسفل في الشمال وجبال حمرين في الجنوب حتى أن رعاتهم ومواشيهم، زمن الملك الأكدي شار كالى شري (٢٢٥٥ – ٢٢٣٥ ق.م) يصلون حتى شمال بابل قبل أن يغزوها.[٣١]

وفي العصر الكوتي (٢٢٣٠ – ٢١٢٠ ق.م) سيطر الكوتيون على وسط وجنوب وادي الرافدين وأسقطوا الدولة الأكدية ويظهرمن خلال جداول الملوك السومرية حالة من الفوضى سادت بلاد أكد بعد موت شاركا كالي شري إذ وردت في الجداول عبارة: لم نكن نعلم من كان ملكاً؟ ومن لم يكن ملكاً؟[٣٢]، وهذا يعني مجيء عدد من الملوك الذين تصارعوا فيما بينهم من أجل الزعامة وكانوا ضعفاءً، مما استغل الملك الكوتي أيلولوميش Elu–lu–mesh هذا الظرف و تمكن ن اسقاط الدولة الأكدية وتلقيب نفسه "الملك القوى لأكد".[٣٣]

رابعا– الخوريون:

يعد الخوريون من أهم شعوب الشرق الأدنى القديم الذين عاشوا في مناطق كوردستان خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، ولعبوا دوراً بارزاً في الأحداث التأريخية والحضارية والسياسية في مناطق تواجدهم[٣٤] وتؤكد الأدلة التأريخية أن مهد الخوريين كانت بلاد كوردستان التي تمتد من جبال زاكروس شرقاً حتى جبال طوروس والبحر المتوسط غرباً[٣٥] وهناك من يقول بأن المناطق الشمالية من وادي الرافدين في المنطقة الجبلية التي تمتد من جبال طوروس بالقرب من كركميش (جرابلس) حتى بحيرة وان (van) شمالاَ هي موطن الخوريين[٣٦]، ورد إسم الخوريين لأول مرة في النصوص المسمارية في العصر

الأكدي[٣٧]،حيث تم العثور على نصين من العهد الأكدي، أحدهما باللغة الأكدية والآخر باللغة الخورية يشيران إلى وجود مملكة خورية مركزها مدينة "أوركيش" Urkish تل "موزان" في منطقة الخابور غربي بلاد آشور[٣٨]، ويرى ساكز أن الخوريين كانوا السكان الأصليين لبلاد آشور وأزيحوا عنها الى سفوح المناطق الجبلية في الألف الثالث ق.م من قبل المهاجرين من الأقوام الجزرية.[٣٩] وأنهم عاشوا بجوار السوباريين واللولوبيين والكوتيون الا أنهم انتشروا بشكل أوسع من الأقوام الكوردستانية الأخرى في منطقة الشرق الأدنى القديم.[٤٠]

ورد اسم الخوريين في رسائل تل العمارنة التي تبادلها فراعنة مصر مع ملوك الشرق الأدنى القديم و من بينهم الخوريين وكانت احدى هذه الرسائل مكتوبة باللغة الخورية والبقية كانت بالخط المسماري وباللغة الأكدية[٤١]، وأطلق الخوريين على أنفسهم تسمية خوري Huri ذات العلاقة بكلمة خورادي Huradi التي تعني باللغة الخورية الجندي اليقظ.[٤٢]

المبحث الثاني- اهم الالهة القومية في حضارة كوردستان القديمة:

تتصف الديانة في منطقة حضارة كوردستان خلال العصور التاريخية، بأنها ليست متناسقة ومتجانسة، وتمتاز بالتنوع وذلك بسبب الأتساع الكبير للإطار الجغرافي وتنوع أشكال الإحتكاك الحضاري والديني التي عرفوها خلال تأريخهم الطويل[٤٣]، وإن كل ما يتعلق بالديانة من عبادات وشعائر دينية وأساطير ليست من أصل واحد بل هناك عناصر مختلفة دخلت في تركيب البناء الديني ومنها التقاليد الدينية التي جلبها الخوريون على سبيل المثال من أقدم مواطنهم المعروفة في كوردستان وجبال زاكروس فضلاً عن التأثيرات الدينية لبلاد الرافدين وسوريا وبلاد الأناضول وكذلك العكس أيضاً كما هي الحال مع الحيثين وتأثرهم وتبنيهم ملامح الآلهة الخورية والمماثلة لها.[٤٤]، كما أضاف الكوردستانيين القدماء آلهة أخرى غريبة عنهم تعرفوا إليها خلال تأريخهم وجعلوها مطابقة لآلهة خاصة بهم وذلك بعد اطلاعهم على الأدب الديني في بلاد الرافدين وتقبلهم لبعض الآلهة ومن ثم أغنوها بالتوفيق والمطابقة بين الآلهة الخاصة بهم والآلهة الرافدينية[٤٥]، كما عبدوا عدداً من الآلهة

شاعت عبادتها في جميع المناطق وكانت تعرف بالآلهة الرئيسية وهناك آلهة ثانوية اقتصرت عبادتها في بعض المدن أو مناطق محددة ومن أشهر الآلهة هي الآتي:

أولا- الإله كوماربي (Kumarbi):

الاله كوماربي معروف في جميع مناطق الحضارة الخورية ويطلق عليه أبو الآلهة الخورية[٤٦]، و كانت مدينة أوركيش (تل موزان) شمال شرق سوريا مركزاً لعبادة الإله الخوري كوماربي[٤٧]، وكان هذا الإله يشكل المحور الرئيسي لعدد من الأساطير الخورية التي تبحث في محاولة الوصول إلى درجة السيادة التي افتقدها إله الطقس[٤٨]، ومنها الأسطورة التي تذكر عن ذهاب كوماربي إلى مدينة نفر (نيبور) مدينة الإله السومري أنليل (إله الجو والهواء)[٤٩]. وفي نقوش مدينة يازليكايا الحيثية في الأناضول تظهر صورة الإله كوماربي وهو يحمل ساق نبات حبوب في يده، ومن المحتمل أن يكون ذلك إشارة الى إنه كان إله للحبوب مثلما هو الإله داگان إله الحبوب في بلاد الشام [٥٠] ومنطقة الفرات الأوسط، وهذا الاحتمال وارد لأن رسم رموز الأشياء مع الآلهة هي بمثابة رمز لوظيفة ذلك الإله، ولقد عبد الحيثيون الإله الكوماربي أيضاً ومن خلال النصوص الدينية الاصلية للحيثين ويظهر ان كوماربي كان على رأس الآلهة الخورية والنصوص الحيثيه هي عبارة عن ترجمة لنصوص خورية[٥١]، وذلك لأن في إحدى الأساطير الخورية المدونة باللغة الحيثية والتي تم العثور عليها في مدينة خاتوشا عاصمة الحيثيين جاء فيها "كوماربي خرج من مدينة أوركيش" وفي نص آخر ورد "كوماربي الإله أب مدينة أوركيش"[٥٢]. ويبدو أن كوماربي فقد منزلته كأب للآلهة الخورية نتيجة الصراع على سيادة الالهة بينه و بين بقية الآلهة الخورية الاخرى[٥٣].

ثانيا- الأله نيشيبا Nišiba:

هو الإله القومي لمملكة سيموروم، ففي نصوص مسلات و منحوتات الملك أيدي – سن ملك سيموروم غالباً ما يذكر اسم الإله نيشيبا الإله القومي لمملكة سيموروم ويرى گوزاد أن الإله نيشيبا كان يرمز للجبل المؤله، ويستدل على ذلك بنص عن حملة للملك الآشوري آشور ناصر ثال الثاني سنة ٨٨١ ق.م حيث هجم على بلاد زاموا وذكر اسم الجبل بصيغة (نيموش)، وقد تعززت هذه المعلومة من خلال العثور على بقايا معبد منحوت في المضيق الموجود خلف منحوتة (رَبنه) حيث هناك درج منحوت وبقايا غرف منحوتة في الجبل[٥٤]،

علماً بأن ملك أيدي – سين ذكر المعبد في العمود الأول من مسلة هَلَدني حيث يذكر معبد الإله نيشيبا بما نصه: "معبد الإله نيشيبا ، معبد ملك الأقاليم التسعة، الثابت أيدي – سين الملك القوي ملك سيموروم ملك او أمير شاوشكا/ عشتار، نيشيبا، إلهةُ او ربَّةُ أعطاه سلاحٌ قوي ... إلخ"(٥٥) .

ثالثا– الإله خالدي: khaldi

وهو الإله القومي للأورارتيين، وجاء في النصوص المسمارية الأورارتية بأن الإله خالدي هو كبير الآلهة أو رب الأرباب الأورارتية(٥٦)، وتبدأ جميع النقوش الكتابية بخطاب للإله الأعظم خالدي(٥٧)، وكان بإعتقاد الأورارتيين بأن الإله خالدي يجلب الخير والبركة لمملكتهم ولهذا قاموا بتقديسه(٥٨)، وهو إله الحرب الرئيسي لمملكة أورارتو الذي صور على شكل رجل ملتح يقف على ظهر أسد واعن زوجته الربة آروباني(٥٩)، و إن الإعتراف بالإله خالدي إلهاً قومياً ورسمياً للمملكة لأن الوضع العام للمملكة كان يقتضي بوجود إله قومي ومحارب يتقدم صفوف المحاربين لدرء الخطر المحدق بالمملكة وبث الأمن والسكينة في نفوس الشعب الأورارتي وأختاروا الرمح شعاراً للإله خالدي ليكون على رأس الجيش في ميدان القتال وهكذا أصبحت عربة الإله خالدي العسكرية بشعارها المرموق تحتل معظم الكتابات الأورارتية ويعود الفضل في احراز الانتصارات الى بركة شعار الإله خالدي على عربات القتال(٦٠)، وكان يوجد معبد كبير للإله القومي خالدي في موسامير بالقرب من رواندوز، وفي هذا المعبد كان المتعبدون يقدمون الكثير من النذور والقرابين والأسلحة المزينة والدروع المتقنة الصنع وهي أسلحة مناسبة لإله الحرب (خالدي)(٦١)، وكان الإله القومي خالدي ونظراً لقدسيته يحظى بأكبر عدد من النذور والقرابين لدى سكان مملكة أورارتو وخاصة في موساسير(٦٢).

رابعا– الإله تيشوب Teššup

يعد الإله تيشوب من أبرز الآلهة الخورية وتأتي على رأس الآلهة أي رئيس الآلهة الخورية(٦٣) وهو إله الجو من أمطار ورياح و أعاصير ورعد وبرق(٦٤) ومن أهم مراكز عبادته الرئيسية مدينة كومي Kumme عند الحدود العراقية التركية(٦٥)، أما سلاح تيشوب فهي الصواعق والمطر والرياح والبرق(٦٦)، وحيوانه المقدس هو الثور، فتذكر الأساطير

الخورية بأن الإله تيشوب يسير على عربة حربية ذات أربع عجلات يجرها ثورين مقدسين يرتبطان به، يعرف أحدهما شريش و يعني النهار والآخر خريش ويعني الليل[٦٧]، وكان الإله تيشوب يحظى بالتقديس في إطار جغرافي واسع يمتد من آسيا الصغرى شمالاً إلى أوغاريت (رأس الشمرا) على الساحل السوري غرباً وإلى نوزي وأرابخا في منطقة شرق نهر دجلة بالقرب من كركوك[٦٨]. ولهذا نرى ملوك أرابخا كلهم تقريباً يحملون أسماء تكون إسم تيشوب جزءاً منها مثل: كيبي تيشوب – أتخي تيشوب – خيشمي تيشوب – موش تيشوب[٦٩]، وكذلك حمل نصف أمراء أرابخا أسماء مشابهة[٧٠]. و إن إتخاذ الخوريون من الثور المقدس رمزاً للإله تيشوب المسيطر على شؤون الجو من أمطار وعواصف ورعد و برق و رياح ويفسر هذه العلاقة بين إله المطر وإله الرعد بالثور وخصوبة التربة الناتج من الأمطار الغزيرة وبأزدياد المحاصيل الزراعية ووفرتها ومن المحتمل أن تكون جذور هذه العقيدة الدينية ترجع إلى عصور قبل التأريخ حيث نرى قرون الثور منقوشاً على الأواني الفخارية الملونة من عصر حلف في شمال بلاد الرافدين وجنوب شرق الأناضول في الألف الخامس ق.م، وقد فسر بعض الباحثين هذه النقوش بعقيدة دينية قديمة تخص عبادة الثور في كوردستان التي سكنها فيما بعد الخوريون وعبدوا الإله المعروف بإسم تيشوب[٧١]. وكذلك ربط الخوريون الإله تيشوب مع الجبال بإعتقادهم بأن الجبال هي مصدر الأمطار والثلوج والأنهار والإله تيشوب هو المسؤول عنها ومرتبط به[٧٢]. ونلاحظ أن سكان كوردستان القدماء قدسوا الجبال وجسدوها كآلهة بهيئتها البشرية وخاصة الأقوام الخورية التي انحدرت من موطنها الأصلي ذات الطبيعة الجبلية (جبال زاكروس) ثم توافدت إلى شمال شرق وشمال غرب بلاد الرافدين[٧٣]،و من الملاحظ أيضاً بأن إله الجبل لم يكن من الآلهة المعروفة في وسط وجنوب بلاد الرافدين وربما كان إلهاً خاصاً بكوردستان حيث تكثر فيها المرتفعات الجبلية ونراه مصوراً بمنظر أمامي وهو يحمل آنية الماء الفوار أو الأغصان إشارة إلى أن الجبال مصدراً للأمطار ومنبعاً للأنهار[٧٤].

والجدير بالذكر أن إله الجو الحيثي يعرف بإسم تارخونا Tarhuna فضلاً عن ذلك وإلى جانبه الحيثيون تبنوا الإله تيشوب الخوري وأضافوه إلى مجمع الآلهة الحيثية[٧٥]، وكما ارتبط الإله تيشوب الخوري بالثور والجبال ارتبط أيضاً إله الجو الحيثي تارخونا بهما، وقد تم

تصوير الإله تيشوب في الفن الحيثي على الجدران والأختام محمولاً من قبل إلهي الجبل خازي Hazi و ناميني[٧٦]، وفي مشهد آخر يشاهد إله الجو تيشوب واقفاً محمولاً بين يدي إله الجبل المرفوعتين جانباً[٧٧]، وكذلك حمل الإله تيشوب الخوري عدد من صفات الإله أدد إله الجو والعواصف والرعد والبرق عند سكان بلاد الرافدين[٧٨]، وهذا يدل بأن الخوريون تأثروا بهذا الإله الذي وجدت عبادته شائعة عند سكان بلاد الرافدين وخاصة عند قدوم الخوريون إلى بلاد الرافدين.

خامسا- الإلهة خيبات Hepat:

عبدت خيبات كقرينة للاله تيشوب خاصة في مناطق سوريا الشمالية وقد تم ربط اسمها بشكل غير مؤكد مع إسم حواء[٧٩] وحيوانها المقدس الذي نرى الآلهة خيبات واقفة عليه وهو الأسد وتظهر ذلك في كثير من الصور والمنحوتات[٨٠]، وتظهر إسم الآلهة خيبات بجانب إسم الإله تيشوب في الإحتفالات الدينية أو تقديم القرابين والنذور وغيرها من الشعائر الدينية الخورية، ألا أن خيبات كانت في الإحتفالات الرسمية للديانة الحيثية تتقدم أحياناً زوجها الإله تيشوب ولا يوجد هذا التقدم في الإحتفالات الدينية الخورية[٨١] أما عبادة الإلهة خيبات في المدن الخورية الشرقية في بلاد الرافدين فلم تحظ بتلك الأهمية[٨٢]، وبشكل عام فإن خيبات لم تصنف ضمن الآلهة الخورية الكبرى ولا يوجد دليل على صفتها السماوية، في عبادات الخوريين[٨٣] فهي تعد زوجة للإله تيشوب ولم يكن لها تأثير مصيري على حياة الخوريين، ومع ذلك أحياناً تظهر كجزء للأسماء الشخصية ومنها الأميرتين الميتانيتين التي أهداهم كزوجات لفراعنة مصر وهما كيلو – خيبا و تادو – خيبا، ومن مدينة نوزي تظهر أسماء شور – خيبا و شاتو – خيبا تابعين لأحد أمراء نوزي[٨٤] ويظهر من الشعائر والعبادات الخورية بأن للإله تيشوب والإلهة خيبات إبناً يدعى شاروما šaruma[٨٥] وكان يلقب بالعجل الذكر لتيشوب[٨٦]، ولم يكن لهذا الإله دور يذكر سوى منزلة الإبن للإله تيشوب، وانتشر عبادة هذه العائلة الخورية (تيشوب ، خيبات، شاروما) في مدن جبال طوروس و مناطق سوريا الشمالية والتي كانت أغلب سكانها من الخوريين[٨٧]،

سادسا- الإلهة شاوشكا awškaŠ

تعد الإلهة شاووشكا من أهم الآلهة الخورية التي ورد أقدم ذكر لها في نصوص تعود إلى عصر سلالة أور الثالثة، لا سيما في بلاد آشور ومناطق شرقي دجلة الشمالية واختلطت هويتها مع الإلهة عشتار الرافدينية التي كانت تعبد هناك قديماً[٨٨] وكانت شاووشكا حسب التقاليد السومرية والأكدية و السورية و الأناضولية أخت لإله الجو تيشوب[٨٩]، وكانت وظيفتها هي الجنس و الحرب ومركز عبادتها الرئيسي هي مدينة نينوى الآشورية في شمال بلاد مابين النهرين[٩٠]، وكانت الإلهة شاوشكا تحظى باحترام كبير لدى سكان مدينة نوزي شرق نهر دجلة[٩١]، ولهذا نرى بأن معبد عشتار شاوشكا في نوزي في القرن التاسع عشر ق.م قد توسع كثيراً ليصبح معبداً مزدوجاً للإلهة شاوشكا وشقيقها تيشوب إله الجو الخوري[٩٢]، وعرف الحيثيون إلهة شاوشكا كإلهة للخصب و الحرب و الشفاء وتم إدخالها إلى مجمه الإلهة الحيثية وأصبحت الإلهة الحامية للملك الحيثي (خاتوشيلش الثالث ١٤٢٠ – ١٤٠٠ ق.م) وتم تصويرها على هيئة أنثى لها جناحان تقف مع أسد وإلى جوارها خادمان لها[٩٣] وكانت للإلهة شاوشكا شهرة واسعة في تحقيق الشفاء من الأمراض فعندما أصيب فرعون مصر أمنوفس الثالث بمرض شديد، أرسل شوترنا الملك الميتاني تمثال الإلهة شاوشكا إليه في مصر وشفي من مرضه وأعاد التمثال[٩٤] وفي السنة ٣٦ من حكم الفرعون المصري أمنوفس الثالث أصيب بالمرض ثانية فطلب من توشراتا الملك الميتاني أبن شوترنا إرسال تمثال الإلهة شاوشكا إليه مرة أخرى لشفائه، وهذا الأمر مدون في إحدى الرسائل التي عثر عليها في تل العمارنة بمصر و يحمل رقم (٢٣)[٩٥]، وعبدت شاوشكا في مملكة ميتاني ميتاني كآلهة كبرى وقد وصفها الملك توشراتا بأنها سيدة جميع الأراضي وسيدة بلادي وسيدة السماء[٩٦]، وفي العبادات الخورية في أوغاريت والالاخ تظهر شاوشكا مع تيشوب على قمة المجمع الإلهي[٩٧]. وقد أزيحت بشاوشكا عن مكانتها الدينية كأهم إلهة بجانب تيشوب من قبل الإلهة خيبات زوجة تيشوب في أساطير مدن بلاد كيزوواتنا شمال كيليكا التي كانت متأثرة بتقاليد خورية في حلب[٩٨]، وكانت للآلهة شاوشكا خادمتين وموسيقيتين إحداها نيناتا Ninatta والأخرى كوليتا Kulitta وكانتا ملازمتان لها، وكان يعتقد بأن وجود هذه الخادمات في المناطق الغربية للخوريين ترجع إلى التقاليد الحيثية[٩٩]، وكذلك تذكر نصوص من خاتوشا عاصمة الحيثيين إلهات مساعدات للإلهة شاوشكا تحمل أسماء خورية ومنها شينتل

– وري (ذات العيون السبع) و شينتل – إرتي (ذات الأثداء السبعة) وشينان – تتوكرني (المضاعفة في الحب)[١٠٠]، وكذلك وردت في النصوص الخورية أن للإلهة شاوشكا شياطين مثل أندوروما Andoruma وهو وزير الآلهة، وبيرا Beira وتعني خادم أو تابع[١٠١]، والحيوان المقدس للإلهة شاوشكا هو الأسد ولأنها توصف إلهة الحرب تم تصويرها بأجنحة واقفة على أسد.[١٠٢]

سابعا– الاله كاششو Kassu:

يعرف الاله كاششو بانه كبير الآلهة الكاشية وهو الاله القومي لدى الكاشيين وعرف باسم كاششو في النصوص البابلية[١٠٣]،وان المعلومات عن الالهة التي عبدت عند الكاشيين غامضة غير واضحة المعالم واغلب المعلومات عن الالهة ماخوذة من المنحوتات واحجار الحدود(كودورو)ورسوم الاختام وهي لا تفي بالغرض المطلوب[١٠٤].والكاشيون كان لهم مجمعهم الديني الكبير للالهة تم تصنيفها حسب اهميتها وقدسيتها الدينية مثلما كان متبعا عند السومريين والبابليين[١٠٥]،واهم هذه الالهة: كاششو ،شيباك،خاربي،شومالیا،شوقامونا،سورياش،ماروتاش[١٠٦]،اضافة الى ذلك الكاشيون احترموا الالهة البابلية وقدسوها بل احيانا فضلوا تلك الالهة على آلهتهم التي جلبوها الى بابل لذلك كان احد اسباب استمرار الكاشيين في الحكم لاكثرمن اربعة قرون في بلاد الرافدين يرجع الى اتباعهم سياسة مرنة تجاه الاعراف والمعتقدات الدينية التي كانت متبعة في بابل[١٠٧]، واكبر دليل على ذلك ما قام به الملك الكاشي آكوم الثاني بحملة عسكريةلغرض استعادة تمثال الاله مردوخ وزوجته صربنايتم بعد ان اخذهما الحيثيين اثناء غزوهم لبابل عام١٥٩٥ق.م وتم استرجاعهم ووضعهما في معبد ايساكالا في بابل[١٠٨].

ثامنا– شيميكي Simiki:

وهو إله الشمس في جميع مناطق أنتشار اللغة الخورية[١٠٩]، وكان يظهر في الأساطير والعبادات الخورية كواحد من الآلهة الكبرى في السماء، ويقف إلى جانب إله الجو تيشوب في النزاع على السيادة الآلهية وكان يعرف بالإله شيميكا في المناطق الشرقية[١١٠]، ولم يحظى شيميكي بتقديس خاص ومتميز في مناطق محددة للخوريين وبقي غامضاً في

خصائصه الشخصية ودوره في الأساطير ، ألا أنه كان له صلة بأشكال الكهانة، لأنه من خلال سيره اليومي في السماء يرى كل شيء موجود على الأرض(١١١).

تاسعا- كوشوخ Kusuh:

وهو إله القمر الذي شاع عبادته أيضاً في كل مناطق انتشار اللغة الخورية(١١٢)، وتم ربط إسم هذا الإله في أسطورة حيثية مع إسم إله القمر الحيثي كشكو(١١٣) مما يدل هذا على اتصال لغوي بين الخوريين والحيثيين ومنذ وقت مبكر(١١٤). وهذا الإله إيضاً لم يحظى بتقديس متميز في مكان خاص ومحدد وبقي غامض الملامح في خصائصه الشخصية ودوره في الأساطير أيضاً(١١٥). وتعرف إله القمر كوشوخ بأنه حامي الإيمان (جمع اليمين) وهذه الوظيفة تبعده عن الآلهة السماوية، وتقربه من آلهة العالم السفلي المسؤولة عن إزالة الشرور السحرية الدينية(١١٦).

عاشرا- نيكال Nikkal:

وهي زوجة إله القمر كوشوخ، وكانت تحتل مكانة مهمة في العبادات الخورية في أوغاريت، وربما ترجع في أصولها إلى إلهة القمر السومرية نين – كال بمعنى السيدة الكبيرة(١١٧)، ويلاحظ بأن الملكات الحيثيات في القرن ١٤ ق.م يحملن إسم نيكال كجزء من أسمائهن المركبة مثل (نيكال – ماتي) و (أشمو – نيكال) ولكنها فقدت مكانتها وأهميتها في المناطق الخورية والحيثية فيما بعد، وصارت عبادة القرينة البابلية لإله الشمس إيا Ea في العصور المتأخرة منتشرة بدلاً من نيكال في العبادات الخورية(١١٨).

حادي عشر – نوثاتيك Nupatic:

وتعرف هذا الإله في كتابات الملك الخوري تيش – أتل بالإله لوباداطا Lubadaga(١١٩) ويعد هذا الإله من الآهة الخورية الأساسية، وثمة شواهد عليه في أوغاريت وخاتوشا، لكن صفاته ووضعه من حيث النسب غير واضح(١٢٠)، وبمناسبة الاحتفال بعيد خيشوا تقدم القرابين لشكلين يمثلانه، كل في معبد مستقل ويسمى الشكل الأول (بيبيتا) أو (بيبيتخى) والشكل الثاني (زلمانا)، وربما الإله نبتيك أحد الآلهة التي تنتمي إلى الأساطير الخورية باعتبار أن قسما من سكان أوغاريت ينتمون إلى العنصر الخوري(١٢١).

اثني عشر – آشتابي Astabi:

وهو إله الحرب عند الخوريين ويعد من الآلهة الخورية الغربية في شمال سوريا، وعُد اسمه خورياً بسبب المقطع الصوتي (بي) كمال هو الحال في الإسمين كوماربي، ونَبَربي[١٢٢]

ثلاثة عشر – آلاني Allani:

تعد آلاني من الآلهة الخورية الغربية المعروفة بإلهة العالم السفلي ولا شك أن إسم آلاني ذو صلة بالكلمة الخورية آلاي بمعنى (السيدة)[١٢٣]، وكانت الإلهة آلاني تنتمي إلى مجمع الآلهة في مدينة خاشو، وقد نقل الملك الحيثي خاتو شيلش الأول تمثالها إلى العاصمة الحيثية خاتوشا وهي أم الإلهة خيبات التي كانت مستوطنة في شمالي سوريا وصارت زوجة للإله تيشوب في مجمع الآلهة الخوري الغربي[١٢٤].

أربعة عشر – الإله نركال Nergal:

من بين الآلهة الغريبة التي دخلت مجمع الآلهة الخوري وحظيت بتقديس كبير لدى الخوريين وعرفت بالآلهة المستعارة من بلاد وادي الرافدين ، اذ انه إله قديم في بلاد ما بين النهرين سومري الأصل وهو إله العالم السفلي[١٢٥] وكان الإله نركال يحظى باحترام كبير وله قدسية في كوردستان القديمة خاصة في شرق نهر دجلة وعبد بجانب شاوشكا وتيشوب في مناطق أرابخا وآزوخينوم وكورخاني Kurhanni (تل الفخار جنوب كركوك)[١٢٦]، ووردت أقدم الشواهد على الإله نركال في نصوص العصر الأكدي[١٢٧] وحظى بتقديس كبير في المناطق الخورية ويعود أقدم ذكر لعبادته عند الخوريين من خلال النقشين التأسيسين لملكين خوريين في مدينة أوركيش وهم (اتل – شين و تيش – أتل) عثرا عليه في أساسات معبد للإله نركال [١٢٨]، وبعد ذلك استمرت عبادة الإله نركال ولكن ليس في جميع المدن الخورية[١٢٩].

خمس عشر – الإله إيا Ea:

وهو إله الأرض والحكمة والمياه العذبة عند سكان بلاد الرافدين ، وكان يعرف عند السومريين بـ(أنكي) ولدى البابليين بـ(إيا)[١٣٠]، ووجد الاله (إيا) طريقه إلى مجمع الآلهة الخوري منذ العهد الأكدي[١٣١]، كما ورد ذكر الإله (إيا) في الأسطورة الخورية "أنشودة أوليكومي" ، واستمرت عبادة الإله (إيا) في مناطق خورية متفرقة، ويذكر أن الملك الميتاني

شتى وازا ينعت بالإله (إيا) في المعاهدة التي عقدها مع الملك الحيثي شوبيلوليوما ضمن قائمة الآلهة التي أقسم بها في تلك المعاهدة ولقبه بـ"سيد الحكمة"[١٣٢].

ستة عشر – الإله آنو Anu:

وهو إله السماء عند السومريين وكان يأتي على رأس المجمع الإلهي السومري ويعرف برئيس الآلهة في البداية وهو أب لجميع الآلهة[١٣٣] وكان له دور رئيسي في الخلق وزوجته كي Ki أي الأرض في السومرية و آنتو Antu في البابلية[١٣٤]. وورد إسم الإله آنو في الأساطير الخورية لكونها آلهة بالغة القدم مع الإله آلالو[١٣٥] ففي البداية كان الإله آلالو رئيس الآلهه ثم انتزع آنو منه السيادة فأصبح الإله آنو هو رئيس الآلهة الخورية وبعد ذلك أنتهت السيادة الإلهية للإله آنو لصالح الإله تيشوب وهذا حسب ما ورد في الأسطورة الخورية "أنشودة مملكة في السماء".

الخاتمة:

من الممكن القول ان الوحدة الحضارية المشتركة لدى اغلب اقوام حضارة منطقة كوردستان القديمة يمكن تلمسها من خلال عديد المظاهر الحضارية، بيد ان موضوع بحثنا المتعلق بالآلهة وجدنا انه لا يتطابق مع الوصف أعلاه، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك اختلاف بين المجمع الخوري الغربي في شمال سوريا وسواحل البحر المتوسط وبين المجمع الخوري الشرقي في شرق نهر دجلة في كل من نوزي وأرابخا (كركوك) ومناطق أخرى. إضافة الى ان هناك مزج بين عدد من الالهة الرئيسية في حضارة بلاد الرافدين وبعض الالهه الكوردستانية، ويظهر استنتاج الباحث اكثر وضوحا عندما تعرفنا على خصائص بعض الالهة والتي تتطابق مع الهة بلاد الرافدين من حيث الوظائف وحتى دور كل اله على حدة في الاساطير مع الاختلاف من حيث الاسم، وهذا الامر نابع من اختلاف اللغة بين الاقوام الكوردستانية القديمة واللغة المعروفة في حضارة بلاد الرافدين من سومرية واكدية بفرعيها البابلي والاشوري.

الهوامش:

[1] Gelb, I.J; Hurrians and Subarians, (Chicago), 1944, p.34.

[٢] (٢) احمد جمال رشيد ورشيد ، فوزي، تأريخ الكرد القديم، (اربيل، ١٩٩٠)، ص ٤١.

(٣) القرداغي: رافده عبدالله عبدالصمد، كردستان العراق في المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى ٦١٢ ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية، جامعة السليمانية،(٢٠٠٨)، ص ٣٨.

(٤) باقر: طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، (بيروت، ٢٠٠٩) ، ص ٣٩٨. كذلك ينظر: زيباري: محمد صالح،الاقوام الكوردية القديمة ، السوباريون، مجلة شاندر،عدد٣، (١٩٩٧ ،اربيل) ،ص ٨٣.

[5] Steinkeler, p. The historical Background of Urkish and the Hurrians beginnings in the northern Mesopotamia, Malibu, 1998, p.72.

[6]–Steinkler. Op.cit, p. 76.

(٧) أحمد: جمال رشيد و فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٤١.

(٨) بوترو: جين وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة (لندن، ١٩٦٧)، ترجمة عامر سليمان، (الموصل، ١٩٨٦)، ص ١١٢.

(٩) أحمد: جمال رشيد، دراسات كوردية في بلاد سوبارتو، بغداد، ١٩٨٤، ص ص ٢٦ – ٤٠، وكذلك ينظر: أحمد: جمال رشيد و فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٤٢.

[10] –Gelb, I.J; op–cit, p. 33.

(١١) زيباري: محمد صالح، الأقوام الكوردية القديمة، اللولوبيين، مجلة شاندر، عدد ٥، أربيل، ١٩٩٨، ص ٥٨.

(١٢) القرداغي: رافده عبدالله، المصدر السابق، ص ٤٣.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٤٣.

[14] –Klengel, H, "Lullubum" RLA band7, Berlin, Newyork, (1987 – 1990), p.164.

[15]– Ibid, p. 615.

[16]–Cameron, G.C, History of early Iran, (Chicago, 1968), p. 0 – 41.

كذلكينظر :احمد:جمالرشيدورشيد:فوزي،المصدرالسابق،ص٤٣

(١٧) رشيد: فوزي، مملكة خمازي، مجلة كاروان، العدد (٢١) ، ١٩٨٤، ص ص ١٤٤ – ١٤٧.

(١٨) أحمد: جمال رشيد – فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٤٤ – ٤٥. وكذلك ينظر: زيباري: محمد صالح، الأقوام الكوردية، اللولوبيون ص ٥٩.

(١٩)أحمد: جمال رشيد – فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢٠) زيباري : محمد صالح ، الأقوام الكوردية، اللولوبيين ص ٦٢، كذلك ينظر: أحمد: جمال رشيد وفوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢١) أحمد: جمال رشيد، ظهور الكورد في التأريخ، ج١، (أربيل، ٢٠٠٥)، ص ٧٢٧.

(٢٢) أحمد: جمال رشيد، دراسات كوردية في بلاد سوبارتو، بغداد، ١٩٨٤، ص ٣.

[23] – Hallo, W.W. Gutium RLA,Band III, Berlin, 1956, p,709.

(٢٤) أحمد: جمال رشيد و فوزي رشيد، المصدر سابق، ص ٥٥.

(٢٥) زيبارى : محمد صالح ، الاقوام الكوردية القديمة، الكوتيون، مجلة شاندر ، عدد٦ ، أربيل ١٩٩٨، ص٨٠

26 RLA3, p.708.

(٢٧) احمد: كۆزاد محمد، كوردستانى ناوةڕاست لة نيوةى يةكةمى هةزارةى دووةمى ثێش زايين (سلێمانى ، ٢٠٠٨)، ... ل٦٦

(٢٨) درايفر: ح. آد ، الكرد في المصادر القديمة ، ترجمة، فؤادحمه خورشيد ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص١٣

(٢٩) دياكونوف: ئى ، م ميديا ، وةرطێران ، بورهان قانيع لة زمانى فارسى بؤ زمانى كوردى (بغداد، ١٩٨٧)، ل ١٦٢.

(٣٠) أحمد: جمال رشيد و فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٣١) أحمد: جمال رشيد، ظهور الكورد، ج١، ص ٧٢٨.

(٣٢) كريمر: صمويل السومريون، ص ٤٧٧، وكذلك ينظر: باقر: طه، مقدمة، ج١، ص ٣٢٦.

(٣٣) أحمد: جمال رشيد و فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٣٤) احمد : كۆزاد محمد ، سةرضاوةى ثێشوو، ل٨٥

(٣٥) أحمد: جمال رشيد، ظهور الكورد، ج١، ص ٩٤٥.

(٣٦) باقر: طه، مقدمة ... ج١، ص ٩٩ كذلك ينظر: أحمد: جمال رشيد و فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٣٧) السليماني: جمال ندا صالح، الدولة الميتانية، أطروحة دكتوراه، غيرمنشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، (٢٠١٠)، ص٨.

(٣٨) ساكز: هاري، عظمة بابل، ص ٩٣.

(٣٩) ساكز: هاري، قوة آشور، (لندن، ١٩٨٤)، ترجمة د. عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)، ص ٦٣.

(٤٠)زيبارى: محمد صالح ، الاقوام الكوردية القديمة ، الخوريون ، مجلة شاندر ، عدد ٨ ، (اربيل ١٩٩٨) ، ص٧٣.

41 Mercer,S.A, "The Tell EL-Amarna Tablets ",Vol.1,Toronto,1939,pp.63-67.

٤٢) فيلهلم:جرنوت،الحوريون تاريخهم وحضارتهم ،ترجمة ،فاروق إسماعيل ،حلب ،٢٠٠٠ ،ص١٧ .

(٤٣) فيلهلم: جرنوت الحوريون ، ص٩٨

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٩٨، كذلك ينظر: السلمان، جمال ندا صالح، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٤٥) فيلهلم، جرنوت، الحوريون، ص ٩٨.

46 -H.G. Guterbock. Kumarbi "Mythenvom churritischen Kronos", (Zurih and New York, 1946), p. 1.

(٤٧) أحمد: جمال رشيد وفوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٦٨

(٤٨) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٢.

(٤٩) علي : فاضل عبدالواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٩٣.

(٥٠) السلماني : جمال ندا صالح ، الدولة الميتانية، ص١٨٩.

51- Guterbock, op. cit, P.1.

[52]– Guterbock, H. G, "The song of ullikummi, revised text of the Hittite version of Hurrian myth'' Jcs, vol.5, (1951–1952), P. 135.

([٥٣]) السلماني: جمال ندا صالح، الدولة الميتانية، ص ١٩٠.

[54]– Ahmed: Kozad,M,the Northern Trans Tigris in the First Half of the Second Millienium B.C (London,2003) , pp. 255 – 260.

[55]–Ibid: p. 258.

([٥٦]) ثتروظسكى: بوريس ،تمدن أورارتو،بخش اول ،ثادشايي وان ،ترجمة ،دكتور حميد خطيب شهيدي،ضاث اول،(تهران،١٣٨٣) ، ل ٣٠٣.

([٥٧]) دياكوف، ف. و كوظاليظ، س: الخضارات القديمة، ج١، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، ط٢، (دمشق، ٢٠٠٦)، ص ١٩٢

([٥٨]) كاذدان، أ، ون، نيكولسكي وآخرون، تأريخ جهان باستان ، ترجمة مهندس صادق أنصاري وآخرون، جلد أول، (طهران، ١٣٧٩)، ص ٣٤٦.

([٥٩]) الأحمد: سامى سعيد والهاشمي، رضا جواد ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ايران والأ ناصنول، ص ٣٤٤.

([٦٠]) ريمشنايدر: مارغريت، مملكة اورارتو، ص ص٥٨– ٥٩.

[61] – Frankel , David: The ancient Kingdom of Urartu, London, 1979, p. 29.

([٦٢]) ثتروظسكى: تمدن أورارتو ...، ص ٣٠٤.

[63] –Leick.G.A. Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology، London, 1991, p. 157

([٦٤]) الدباغ، تقي، الفكر الديني، ص ١٦٨.

([٦٥]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ٩٩.

([٦٦]) المصدر نفسه، ص ٩٩.

([٦٧]) موسكاتي: سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة، يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٤٦، كذلك ينظر: فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ٩٩.

([٦٨]) الخليل: أحمد محمود، مملكة ميتاني الحورية، ص ١٩٧.

[69] Laroche: E, "Tessub, Hebate te Leurcour", JCS, Vol.2, 1948, p.116

([٧٠]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٠.

([٧١]) الدباغ: تقي الفكر الديني، ص ١٦٨ – ١٦٩.

([٧٢]) مورتكات: أنطوان، الفن في العراق القديم، ص ٣٢٩ كذلك ينظر: Leick, G. op. cit, p. 121

([٧٣]) ضرك: أوسام بحر، تأثير فنون بلاد الرافدين على الفنون الحيثية، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١١٦.

([٧٤]) المصدر نفسه، ص ١١٦.

[75] Leick: G. op. cit, p. 121

(٧٦) خازي: يعرف هذا الجبل عند الخوريين والحيثيين بإسم خازي وحالياً جبل الأقرع الذي يقع عند مصب نهر العاصي في البحر المتوسط وجبل ناميني لم يتم تحديد موقعه بدقة بعد ينظر، فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٠.

77 Alexander: R, "The Storm God at Yazilikaye (Sources and Influences)" Aspects of Art and Iconography Anatolia and its Neoghbors, (Ankara, 1993), pp. 8 – 9.

(٧٨) باقر: طه وآخرون، تأريخ العراق القديم، ص ١٧.

(٧٩) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٠.

(٨٠) موسكاتي، المصدر السابق، ص ٣٤٧. كذلك ينظر: Leick: G, op.cit, p. 155

(٨١) السلماني: جمال ندا صالح، الدولة الميتانية، ص ١٨٦.

82 Laroche: E, op. cit, p. 126.

(٨٣) الدباغ: تقي، الفكر الديني، ص ١٧١.

(٨٤) السلماني: جمال ندا صالح، الدولة الميتانية، ص ١٨٦. كذلك ينظر: فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٧.

85 Alexander: R. "The Storm God ..." p. 6

(٨٦) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٠ كذلك ينظر: Alexander: R. The storm God, p. 6

.

(٨٧) الدباغ: تقي، الفكر الديني، ص ١٧٠.

(٨٨) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ص١٠٠ – ١٠١ .

(٨٩) المصدر نفسه، ص ١٠١، كذلك ينظر: الخليل: أحمد محمود، مملكة ميتاني الخورية، ص ٢٠١.

90 Lambert: W.G, "Istar of Nineveh", Iraq, Vol. 66, (2004), British Institute for the study of Iraq, p.35.

(٩١) ئةحمةد: كؤزاد محمد، كوردستانى ناوةراست ،ستةرضاوةى ثيشوو، ل ٧٢.

(٩٢) هاس: فولكت، ملاحظات حول عشتار شاوشكا الحورية في نينوى في الألف الثاني ق.م، سومر، مج ٣٥، ١٩٧٩، ص ٣٩٤.

(٩٣) مرعي: عيد، عبادة آلهة الخصوبة في الشرق القديم، دمشق، ٢٠١٦، ص ١٢٠.

(٩٤) هاس: فولكت، المصدر السابق، ص ٣٩٦.

95 Lambert: W.G, op.cit, p. 35.

96 Ibid, p. 35

(٩٧) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠١.

(٩٨)المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٩٩) Leick: G, op.cit, p. 150. كذلك ينظر: فيلهلم: جرنوت ، الحوريون، ص ١٠٢.

(١٠٠) الخليل: أحمد محمود، مملكة ميتاني، ص ٢٠٣، كذلك ينظر: فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٢

(١٠١) هاس: فولكت، المصدر السابق، ص ٣٩٥. كذلك ينظر: السلماني، جمال ندا، المصدر السابق، ص ١٨٩.

[102] Lurker: Manfred, The Rout Ledge Dictionary of Gods and Goddesses, Devils and Demons, (Taylor and Francis e-Library, 2005) p. 168.

[١٠٣] باقر : طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١ ،(بغداد،١٩٧٣)،ص٤٥٠.

[١٠٤] بريفكاني:عماد عبدالقادر، الكاشييون، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب جامعة صلاح الدين، (٢٠٠٢)، ص٦٩.

[١٠٥] المصدر نفسه،ص٦٩.

[١٠٦] رو :جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين،ط٢، (بغداد،١٩٨٦).ص٣٣٣.

[107] Knapp:A.Bernard,The history and culture of Ancient Western Asia and Egypt(Belmont,1988),p.156.

[١٠٨] الاحمد:سامي سعيد،فترة العصر الكاشي،مجلة سومر، العدد٣٩،(بغداد،١٩٨٣)، ص ص١٣٤-١٣٦.

([١٠٩])فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٣ كذلك ينظر:,Lurker: Manfred, op. cit, p. 172

([١١٠]) الخليل:احمد محمود، مملكة ميتانى، ص٢٠٣.

([١١١]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٤.

([١١٢]) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.

[113] Lieck: G, op. cit, p. 118

([١١٤]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٣.

([١١٥]) المصدر نفسه، ص ١٠٣

([١١٦]) المصدر نفسه، ص ١٠٤، كذلك ينظر: الخليل: أحمد محمود، مملكة ميتاني، ص ٢٠٤.

([١١٧]) المصدر نفسه، ص ٢٠٦كذلك ينظر: فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٤

([١١٨]) المصدر نفسه، ص ١٠٤

([١١٩]) ئەحمەد: كۆزاد محەمەد، كوردستاني ناوەڕاست، ل ٧٢.

([١٢٠]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٣.

([١٢١]) الخليل: أحمد محمود، مملكة ميتاني، ص ٢٠٦.

([١٢٢]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٧.

([١٢٣]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٧.

([١٢٤]) المصدر نفسه، ص ١٠٧

[125] Lurker: Manfred, op. cit, p. 136

([١٢٦]) ئەحمەد: كۆزاد محەمەد، كوردستاني ناوەڕاست ، سەرضاوەى ثيشوو، ل ٧٤.

([١٢٧]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٥.

[128] Salvini: Mirjo, "The Earliest of the Evidence of Hurrian before the formation of the Reign of Mittani", Vol. 26, part.3, Malibu, 1998, p. 107.

[129] Ibid, p. 107.

[130] Lurker: Manfred, op. cit, p. 55

([١٣١]) فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٦.

([١٣٢]) السلماني: جمال ندا صالح، المصدر السابق، ص ١٩٢، كذلك ينظر: فيلهلم: جرنوت، الحوريون، ص ١٠٦.

[133] Black: Jeremy and Anthony Green, "Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia", The British Museum Press, 1992, p.30

[134] Ibid, p. 30.

([١٣٥]) السلماني: جمال ندا صالح، المصدر السابق، ص ١٩٣

اللغة الحثية في بلاد الأناضول القديمة
إبان الالف الثاني قبل الميلاد
((دراسة تاريخية))

أ.م.د.جمال ندا صالح السلماني
جامعة بغداد/ كلية الآداب قسم التاريخ

اللغة الحثية في بلاد الأناضول القديمة إبان الالف الثاني قبل الميلاد ((دراسة تاريخية))

أ.م.د. جمال ندا صالح السلماني

يتضمن البحث دراسة تاريخية مركزة حول اللغة الحثية في بلاد الاناضول القديمة، من جانب: اصولها، مساحة استعمالها، اسلوب تدوينها، حفظ سجلاتها، جهود العلماء في العثور عليها، ومن ثم فك شفرتها، فضلا عن علاقتها باللغات الاخرى في بلاد الاناضول القديمة ابان الالف الثاني قبل الميلاد.

ودون شك فان اللغة تمثل الجانب الاهم في كل الحضارات القديمة، وبالنسبة للحثيين فان ما يعرف عن حضارتهم انها اصيلة في معظم جوانبها، ومن ذلك اللغة التي تكلموا بها ، ودونوا بها مآثرهم. وبحسب الادلة الكتابية التي عثر عليها في مناطق الأناضول القديمة ، لاسيما المناطق الوسطى منها، ظهر ان اللغة الحثية تؤلف القسم الاعظم من الوثائق المدونة، وتكاد تنفرد بما اعطته من معلومات عن تاريخ بلاد الاناضول بشكل عام في الالف الثاني قبل الميلاد. ومن هذا المنطلق جاءت اهمية الموضوع والبحث فيه .

Abstract

The research includes a focused historical study on the Hittite language in ancient Anatolia, in terms of:its origins, its use area, its recording method, record keeping, scientists' efforts to find it,and then deciphering it, as well as its relationship with other languages in ancient Anatolia during the second millennium. B.C.

Without a doubt,the language is the most important aspect in all ancient civilizations.According to evidence found in ancient Anatolia regions, especially the central regions, the Hittite language constitutes the bulk of the recorded documents, and is almost unique with the information it gave about the history of Anatolia in general in the second millennium BC. In this sense came the importance of the topic and research

المقدمة

لا شك ان اللغة وتدوينها يعد العنصر الأول الذي اعتمد عليه العلماء في الكشف عن مختلف جوانب حضارات الشعوب القديمة ، فمع أن الآثار المادية البحتة هي العنصر الرئيس الآخر الذي ساعد في الكشف عن قيمة الحضارة المادية ودرجة تطورها في اي منطقة من مناطق العالم القديم، إلا انها لا يمكن أن تعطي سجل تاريخ شعب فيما يخص حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها من جوانب الحياة اليومية التي تتطلب التوثيق التاريخي. ومن أجل ذلك فإن التدوين باللغة الخاصة كان أهم منجز حضاري قدمته شعوب الشرق الأدنى القديم، والتي يأتي في مقدمتها بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل.

وتعد الحضارة الحثية في بلاد الأناضول القديمة واحدة من الحضارات الرئيسة والأصيلة في منطقة الشرق الأدنى القديم، وفي هذه الحضارة استعمل الحثيون وبشكل رئيس في تدوين مآثرهم المختلفة على مدار حوالي خمسة قرون لغتهم الخاصة، التي تأثرت قليلا ببعض لغات وكتابات الحضارات المعاصرة، ومنها الكتابة المسمارية والهيروغليفية.

وكون ان اللغة الحثية قد احتلت النسبة الأعظم في التدوين الحثي، واليها يرجع الفضل الاول في التعريف بكل تفاصيل الحضارة الحثية، فضلا عن معلومات واسعة عن الاقوام الاخرى التي سكنت الأناضول من غير الحثيين، فقد قادتني الرغبة للبحث في هذه اللغة من ناحية تاريخية، دون التطرق الى مسألة القواعد والنحو التي هي خارج تخصصنا.

وعلى العموم فهو بحث مركز جدا حاولنا فيه الالمام بالجوانب الرئيسة للموضوع . اما البحث في تفاصيل اللغة فيحتاج الى دراسة موسعة جدا لا يمكن الالمام بها ببحث او بحثين.

تتضمن الدراسة باستثناء المقدمة والخلاصة عدد من المحاور تتمثل في :

١- تعريف عام بالحثيين، وموقعهم ضمن بلاد الأناضول القديمة.

٢- جذور اللغة الحثية وأصولها.

٣- ارشيف حاتوشا واكتشاف اللغة الحثية.

٤- الخط الذي دونت بها اللغة.

٥- طريقة الكتابة، وعملية حفظ الوثائق.

٦- علاقة اللغة الحثية باللغات الاخرى في بلاد الأناضول.

وقبل أن انهي المقدمة، أود القول بأنني لا أدعي الأصالة في الموضوع، لكن هو على الأقل جديد من ناحية العرض المركز، والترتيب الزمني، وتماسك المعلومات وتسلسلها، وهي نقاط أصبحت الآن من الأمور التي يبحث عنها المختصون في حقل الدراسات التاريخية، لاسيما طبلة الدراسات العليا، أو حتى المطلع غير المختص.

ولا يخفى عن المختصين في مجال الدراسات التاريخية حول صعوبة هذا الموضوع في ظل ندرة المصادر المتعلقة بالدراسات اللغوية لبلاد الأناضول القديمة.

وأخيراً اسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في الإحاطة بالجوانب الرئيسة للموضوع. والله ولي التوفيق....

اولا: من هم الحثيون Hittites

الحثيون هم أحد شعوب الشرق الأدنى القديم الرئيسة الذين استقروا في بلاد الأناضول مع بدايات الألف الثاني قبل الميلاد [١]، واسسوا هناك دولة واسعة، وانتجوا حضارة كبيرة [٢].

واستناداً إلى اللغة التي تكلموا بها فقد صنفهم العلماء ضمن الشعوب الهندوأوربية الأصل [٣]، وتشير الدلائل الاثارية إلى أن الحثيين كانوا ضمن مجموعة اقوام دخلت الأناضول مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، على أن دخول هذه الأقوام جاء بشكل متتابع وليس في دفعة واحدة[٤]، ولعل أبرز تلك الأقوام التي دخلت مع الحثيين هم اللوفيين او اللوفيان، Luvian، والباليين Palaians [٥]، وكليهما من اصل هندواوربي ايضا، وكانت للغتهما تأثير واضح في اللغة الحثية كما سنرى.

وبعد تنقل وتجوال في بلاد الأناضول استقر الحثيون في وسط قلب الأناضول، حيث النهر الكبير الذي يدعى هاليس (قزل ارمق حالياً) [٦]، وعلى هذا النهر أقاموا عاصمتهم الرئيسة حاتوشا، واللفظ الاصلي خاتوشا (Ḫatuša)[٧].

وبعد مدة ليست بالطويلة من استقرارهم تمكنوا من أن يحتلوا مركز الصدارة بين شعوب بلاد الأناضول، اذ صارت البلاد تحت امرتهم بعد ان اسسوا حوالي عام ١٦٨٠ ق.م أول دولة تحكم الأناضول عرفت باسم الدولة الحثية، والتي امتدت حدودها من وسط الأناضول حتى حدود بلاد سورية جنوباً [٨].

ومن الجدير بالذكر فإن الحيثين قد اختلطوا في اثناء دخولهم وسط الأناضول [٩] بأقوام قديمة تعرف باسم حاتي ، كما ان الأناضول وتحديداً وسطها تعرف باسم بلاد حاتي، وهذا ما ورد في النصوص الاكدية والاشورية التي سبقت الوجود الحثي، لذلك فان المهاجرين الهندواوربيين الجدد (الحثيين) قد اخذوا هذه التسمية واشتهروا بها، اذ استعملت هذه الصيغة في اغلب الخطابات المتبادلة بين الملوك الحثيين وملوك الشرق الأدنى القديم [١٠]. وفي السياق ذاته فانه اذا ما توخينا الدقة في استعمال الاسم كما ورد في النصوص القديمة، فان اللفظ الحقيقي لاسم بلاد حاتي هو خاتي Ḫatti او ختي او ختا (ومايترتب عليه من تصريف الى ختيين او ختيون)، وهذا ماورد في الوثائق الحثية، ووثائق الشرق الادنى القديم، اذ كان الملك الحثي يعرف نفسه في المعاهدات والرسائل بانه ملك ((بلاد خاتي))، وبالمقابل يخاطبة ملوك الشرق الادنى القديم بعبارة الى ((ملك بلاد خاتي او ختا))[١١]. الا ان التسمية الشائعة في الاوساط البحثية هي حثي والحثيون المأخوذة عن التوراة. ومن ثم وجدنا انفسنا مضطرين لان نستعمل التسمية الشائعة.

وكما اسلفنا فان الحثيين اقاموا دولتهم حوالي عام ١٦٨٠، وتبعاً لتطورات سياسية فان الباحثين قسموا تاريخ الدولة الحثية الى مدتين رئيستين، الأولى تمتد تقريبا من (١٦٨٠-١٤٠٠ق.م) وعرفت بالدولة الحثية القديمة، والثانية من حوالي (١٤٠٠-١٢٠٧ق.م) وعرفت بالدولة الحثية الحديثة [١٢]، وقد شهدت كلتا المدتين تطورات سياسية ومنجزات حضارية وثقها لنا الحثيون بلغتهم الخاصة.

ثانيا: <u>اللغة الحثية: الأصل وجذور الاستعمال</u>

يتفق معظم الباحثين على أن اللغة الحثية هي من عائلة اللغات الهندواوربية، قد جاء بها المهاجرون الحثيون(الهندواربيون الجدد) الى بلاد الأناضول اوائل الالف الثاني قبل الميلاد، وقد عدت اكثر اللغات الأناضولية تكاملاً من حيث البنية القواعدية [١٣]. وكونها

اهم لغات الأناضول وابرزها، وانه من خلالها تم معرفة تاريخ بلاد الحثيين بشكل خاص، وبلاد الأناضول بشكل عام، فقد تأسس علم خاص لدراسة هذه اللغة على غرار علم الاشوريات والهيروغليفات عرف باسم الحثيات Hethiology[١٤].

ووفقا للأدلة المتوفرة حاليا فان اللغة الحثية لم تكن اول لغة مستعملة في بلاد الأناضول، وانما تعد أقدم اللغات الهندواوربية في تلك البلاد ، ومن ثم اصبحت اللغة الرسمية والرئيسة للدولة الحثية في مطلع القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهذا واضح من خلال النصوص التي وصلت عن الملوك الحثيين الاوائل مثل لابارنا مؤسس الدولة الحثية، ومن بعده حاتوشيلي الأول (١٦٥٠-١٦٢٠ق.م)، وقبل هذا التاريخ لم يعثر على اثار للغة هندواوربية مستعملة [١٥]. اما أول لغة استعملت في الاناضول فهي اللغة الاكدية (الاشورية القديمة) التي استعملها الاشوريون عندما اسسوا مستعمراتهم التجارية في الأناضول مطلع الالف الثاني قبل الميلاد [١٦].

ومع ان التوثيق الرسمي باللغة الحثية قد بدأ وبشكل واضح منذ بدايات عصر الدولة الحثية القديمة، إلا ان ما وصل من كتابات عائدة لذلك العصر كان قليل جداً قياساً الى عصر المملكة الحثية الحدثية(١٤٠٠-١٢٠٧ق.م)، اذ وصلت الاف الرقم الطينية وهي توثق مواضيع متنوعة [١٧]. هذا مع العلم أن المتكلمين باللغة الحثية، ونعني بهم الحثيين قد سموا لغتهم في كتاباتهم بلغة نيسا او نيشا(Niša) نسبة الى احدى اهم مدنهم وسط الأناضول التي اتخذوها مركزاً لهم قبل حاتوشا، وتعرف باسم نيسا(نيشا) التي اظهرت الادلة الاثارية على انها مدينة كانيش Kaniš[١٨]، ولذلك فان عدد من الباحثين يستعملون مصطلح نيسا او النيسون او النيزيون لاطلاقه على الحثيين بشكل عام، أما الاسم الذي تعرف به حالياً وهو اللغة الحثية فقد اطلق عليها من قبل العلماء المحدثين، نسبة الى المكان الذي وجدت فيه، وهي بلاد حاتي [١٩]، والتسمية الاخيرة كما اسلفنا هي الشائعة فعلاً في وثائق الشرق الأدنى القديم المعاصرة للتاريخ الحثي، لاسيما الوثائق الاكدية والفرعونية، وهي الشائعة ايضاً في المدونات الحثية، لاسيما الرسمية منها، فالملك الحثي كما ذكرنا يعرف نفسه في الرسائل والمعاهدات والكتب الرسمية على أنه ((ملك بلاد خاتي)). على أن بعض

الباحثين يفضل استخدام مصطلح اللغة النيسية او الكانشية (نسبة الى كانش)، ومنهم العالم اللغوي أميل فورير Forrer [٢٠] .

ثالثا: اكتشاف اللغة الحثية

قبل اكتشاف المدونات الحثية فان المعلومات عن الحثيين، وبلاد الاناضول بشكل عام كانت محدودة جداً، اذ ورد ذكر الحثيين بشكل مقتطفات في التوراة، والكتب الكلاسيكية[٢١]، وبعد ذلك جاءت الكشوف الاثرية في منطقة الشرق الأدنى القديم عامة، وبضمنها الأناضول لتعطينا معلومات اكثر عن منطقة الحضارة الحثية، ومن ذلك مثلاً نص مسماري اكدي يعود للملك نرام رسين(٢٢٩١-٢٢٥٥ق.م) يذكر فيه أنه انتصر على تحالف مؤلف من سبعة عشر ملك من بلاد الأناضول وسورية، وكان على رأسهم بامبا Pamba ((ملك خاتي))[٢٢] ، ومعلومات قليلة اخرى حصل عليها العلماء من خلال المدونات الاشورية المتعلقة بأمور التجارة في عصر المستعمرات التجارية التي اقامها الاشوريون في بلاد الأناضول [٢٣]، كذلك المدونات المصرية التي يأتي على رأسها رسائل تل العمارنة المكتوبة بالاكدية والخط المسماري، والتي تعود بتاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهذه اعطت معلومات سياسية عن بلاد اسمها خاتي، أو ختا Ḫta [٢٤]. وطالما ان المصادر انفة الذكر قد دونت جميعا باللغة الاكدية، فقد كان من السهل على العلماء قراءتها ومعرفة محتوياتها، لاسيما وان علماء اللغة قد قطعوا شوطاً كبيراً في حل وقراءة اللغة الاكدية من ذي قبل[٢٥]، فضلاً عن ذلك فقد عثر العلماء في ضمن رسائل تل العمارنة على رسالتين مكتوبة بلغة غريبة تبين فيما بعد انها على صلة وثيقة باللغة الحثية [٢٦] . ومن كل ذلك تأكد العلماء والباحثون أن هناك شعب ذو حضارة كبيرة يسكن الأناضول يعرف بشعب حاتي[٢٧]، لذلك توالت رحلات الاستكشاف والتنقيب في بلاد الأناضول[٢٨]، لاسيما المناطق الوسطى القريبة على نهر الهاليس، وكانت النتائج ايجابية جدا، اذ تم العثور على الكثير من النقوش المكتوبة بالهيروغليفية الحثية (سنأتي على ذكر تفاصيل هذه اللغة لاحقاً)، ومن ثم جاء اخيراً الاستكشاف الاكبر على الاطلاق الذي ازاح النقاب عن لغز الحضارة الحثية، وعن لغتها المستعملة، واثبت عما ذهب اليه العلماء بوجود تلك الحضارة واللغة.

لقد تمثل ذلك الاكتشاف بالعثور على العاصمة الحثية حاتوشا (حالياً بوغازكوي على بعد ١٥٠ كم شرق انقره) من قبل العالم الالماني هوجو فنكلير H.winkeler وفريقه عام ١٩٠٦، واستمر التنقيب حتى عام ١٩١٢، اذ تم استخراج حوالي عشرة الاف لوح كتابي مسماري [٢٩]. وبعد ذلك توالت الفرق التنقيبية الاثارية في هذا الموقع، وكانت النتيجة ان زاد عدد الالواح الكتابية الى اكثر من ثلاثين الف لوح، ومازال العدد في ازدياد [٣٠].

والمهم أنه ما ان تم اكتشاف الارشيف حتى عكف العلماء على حل رموز اللغة التي دون بها الارشيف، الى ان تمكن اخيراً العالم التشيكي بيدريتش هروزني B.Hrozny من حل شفرة اللغة، التي تبين انها لغة الحثيين الخاصة، وانها ترتبط بعائلة اللغات الهندواوربية [٣١]. وهنا وكما وضحنا سابقاً في اصل اللغة الحثية فان عدد كبير من المختصين وبالاستناد الى عدد من القواعد اللغوية والنحوية التي انفردت بها اللغة الحثية عن الهندواوربية، فقد ذهبوا الى أن الحثية انفصلت عن الهندواوربية منذ وقت مبكر فشكلت فرعاً مستقلاً عن عائلة اللغات الهندواوربية [٣٢]. هذا ومن جانب اخر فقد تنوعت مواضيع نصوص الارشيف، الى درجة انها شملت معظم مظاهر الحياة عند الحثيين، لاسيما الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية [٣٣] . وكان من بين النصوص ذات الجانب السياسي هي رسائل ومعاهدات كتب قسم منها باللغة الاكدية، وطالما أن الاخيرة وكما اسلفنا هي لغة معروفة فان ذلك ساعد بسرعة على تحديد اسم موقع الارشيف وهو حاتوشا، وانها (اي حاتوشا) هي عاصمة لبلاد تعرف باسم بلاد حاتي Hatti [٣٤]. والحقيقة أنه على الرغم من ان الغالبية العظمى من المدونات الحثية تم العثور عليها في حاتوشا، الا انه هناك مواقع حثية اخرى زودت الباحثين بالواح كتابية بالحثية المسمارية تفاوتت اعدادها بين موقع واخر، وهي بالمجمل كانت قليلة، ومن ابرزها: ماسات (masat) على مسافة ١١٦كم شمال شرق حاتوشا، واورتاكوي (ortakoy) شمال حاتوشا، والكاهويوك AlacaHoyouk وكاياليمبار kayalimpar وسط الأناضول، وطرسوس في الجنوب، وكوساكلي (kusalki) ٥٠كم جنوب مدينة سيفاس (Sivas)، هذا فضلاً عن مواقع خارجية منها اوغاريت وامورو في شمال بلاد سورية [٣٥].

وإضافة الى ما سبق فإن من بين ما عثر عليه ايضاً في ارشيف حاتوشا هو عدد من الاسماء والمفردات، وبعض العبارات الصغيرة، والنصوص الطويلة محدودة العدد قد دونت جميعا بلغات اخرى غير حثية، واستخدمت الى جانب الحثية (سنأتي على ذكرها تباعاً) .

رابعا: <u>الخط الذي دونت به اللغة الحثية</u>

دون الحثيون لغتهم بخط مسماري يوصف بأنه ذات نمط حثي خاص يختلف عن الخط المسماري المستعمل في بلاد الرافدين، أو حتى الخط المسماري المستعمل من قبل التجار الاشوريين ايام المستعمرات التجارية التي اسسوها في الاناضول[٣٦]. ولكن مع هذه الخاصية التي ميزّ بها الحثيون خطهم، الا انه وبلا شك فان الخط المسماري الحثي لابد وان تأثر بالخط المسماري لبلاد الرافدين، أو عن طريق الممالك الامورية في شمالي سورية التي تستعمل الخط المسماري واللغة الاكدية [٣٧]، ومما قد يؤكد ذلك هو انتشار الخط المسماري واللغة الاكدية(الاشورية القديمة) على الاقل في منطقة كبدوكيا (وسط الاناضول)، وهي مركز المستعمرات التجارية الاشورية التي تأسست مطلع الالف الثاني قبل الميلاد، واستمرت لمدة طويلة، كذلك ان سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦ق.م) قد ذكر في كتاباته بانه قاد حملة الى بلاد الأناضول لنجدة تجار اكديين هناك[٣٨]، واذا ما صح هذا الادعاء فان ذلك يعني بأن المعاملات التجارية بين الطرفين كانت كبيرة ومستمرة، وانه من الطبيعي أن تكون الاكدية المسمارية قد استعملت هناك، ومن ثم تأثر بها السكان المحليون الذين سبقوا الحثيين في السكن. ، او ربما جاء التأثر من شمالي بلاد سورية، لاسيما وأن الاخيرة تحاذي مستوطنات الحثيين من جهة الجنوب.

وحسبما اظهره ارشيف حاتوشا والمواقع القريبة الاخرى، فان المسمارية الحثية كانت تشكل اكثر من ٩٠% من نسبة الوثائق المدونة[٣٩]، فهي استعملت لكل توثيق من قبل ادارة الدولة، بينما الحثية الهيروغليفية استعملت في الغالب للنقش على الصخور، لاسيما المرتفعة منها، من اجل التعريف بالملوك في عموم انحاء الدولة أو الامبراطورية الحثية [٤٠] .

وفيما يخص حل رموز الخط المسماري الحثي، فقد توالت جهود العلماء افراد وجماعات على حل شفرته منذ أن اعلن عن اكتشاف ارشيف حاتوشا، حتى توصل اخيراً العالم هروزني سالف الذكر عام ١٩١٥ على فك شفرة الخط بصورة نهائية [٤١].

اما اهم عامل ساعد العلماء في فك رموز الخط هو وجود اللغة الاكدية، التي استعملت في المعاهدات والمراسلات الملكية، ووجدت بها ترجمات بالحثية، كذلك وجدوا كلمات حثية وما يقابلها في السومرية والبابلية والاشورية، وهذه وان كانت لا تفصح عن حل لغة كاملة، الا انها ساعدت كثيراً في تطور حل رموز اللغة الحثية[٤٢].

خامسا: طريقة الكتابة وحفظ الالواح الطينية

في ضوء المجاميع الكبيرة للنصوص الحثية المسمارية بدى واضحا ان الكتبة الحثيين استعملوا الطين كمادة رئيسة للكتابة، اذ كان يتم تقطيع لوح الطين الى اشكال واحجام مختلفة[٤٣]، وعلى الاكثر كانت الالواح مستطيلة الشكل في اتجاه عمودي وليس افقي، وتختلف اطوالها من الصغير الذي لايتجاوز البضعة سنتيمترات الى الطويلة التي تتراوح مابين ٣٥-٤٠سم، وعرض ٢٥سم، وسمك يصل الى ٦سم [٤٤] . وعند الكتابة على اللوح فانه يقسم الى عمودين أو ثلاث او اربع، وتكون الاعمدة مفصولة بخطوط رأسية، على ان اكثر طريقة مستعملة في هذا المجال هو ان اللوح يقسم الى عمودين عمودين من الكتابة مفصولة بخطوط رأسية [٤٥]

وكان اللوح يغطى بالكتابة من الوجهين، واحياناً من وجه واحد، اما قلم الكتابة، فهو دون شك لا يختلف عن الطريقة البابلية، في ان يكون من القصب أو أي مادة عضوية اخرى، اذ يضغط به على الطين الطري لتشكيل العلامات المسمارية، ومن ثم يفخر اللوح، واحيانا يبقى كما هو، فيترك تحت الشمس ليجف دون فخر[٤٦] .

وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الالواح هي من الطين، الا انه عثر في ضمن الارشيف على الواح معدنية من الذهب والفضة والبرونز والحديد قد استعملت جميعاً للكتابة، وما عثر عليه لهذا النوع من الالواح كان قليلً جداً بسبب عامل الزمن[٤٧]، وعادة ما كانت تستعمل هذه الالواح لتدوين المعاهدات، وكتب اداء القسم، كذلك منحة الارض [٤٨].

اما الكتابة على هذه الالواح فكانت تتم بواسطة قلم خاص وبطريقة الحفر على المعدن [٤٩] .

كذلك استعملت رقائق الرصاص على شكل الواح لكتابة الرسائل الملكية، وهنا يرى دوبلهوفر بان سبب استعمال لوح الرصاص، يعود الى امكانية استعماله لاكثر من مرة بعد مسح المحتوى الأول [٥٠].

ومن خلال ما ورد من معلومات على الالواح الطينية يظهر أن الحثيين قد استعملوا الالواح الخشبية ايضاً كمادة للكتابة [٥١]، ولعل ما يؤيد ذلك هو صور الادوات والمواد الكتابية الخاصة بالخشب التي تظهر على التماثيل[٥٢]، ويبدو من خلال تلك الصور ان الحبر كان هو مادة الكتابة على الخشب[٥٣]، وفي كل الأحوال فانه لم يصل الى يد المنقبين اي نموذج من الالواح الخشبية، كونها لم تستطع أن تصمد طويلاً امام تقادم الزمن[٥٤].

ومن جانب اخر فقد اظهرت التنقيبات في حاتوشا ان الملوك الحثيين لا يقلون اهمية عن قرنائهم من ملوك الشرق الادنى فيما يخص الحس التاريخي والاهتمام بتاريخ الدولة وترتيب نظم ادارتها، وهذا واضح من خلال ارشفة الالواح وحفظها في اماكن خاصة في حاتوشا، ومن ذلك مثلا معبد المدينة، اذ وضعت الالواح المصنفة على رفوف افقية، والرفوف ذاتها قد اقيمت على مكان مرتفع عبارة عن مصاطب من الحجارة المطلية بالطين[٥٥]. غير انه وللأسف فأن هذا الترتيب لم يبقى جميعاً على حاله، بسبب تعرض العاصمة حاتوشا لكثير من الاضطرابات السياسية، وابرزها الانقلابات العسكرية المستمرة، وغزوات شعوب البحر المتوسط التي كانت سبباً في انهيار الدولة الحثية والى الابد [٥٦] ، وكل ذلك ادى الى سقوط عدد كبير من الرقم وتعرضها للتكسير والتشظي، كما أن قسم كبير قد خزن بطرق عشوائية من بعد استقرار حالة البلاد على اثر كل فوضى [٥٧] .

سادسا: <u>علاقة اللغة الحثية المسمارية باللغات المعاصرة في بلاد الأناضول</u>

في اثناء قراءة نصوص أرشيف حاتوشا اعلن العالم اللغوي أميل فورير (Forre) سنة ١٩١٩ عن وجود لغات اخرى ضمن محتوى الارشيف، وهذا ما أيده زملائه من اللغويين، والباحثين[٥٨]، وقد جاء استعمال تلك اللغات في الارشيف بشكل متفاوت، فبينما استعملت

احدى اللغات في كتابة نصوص طويلة ومعدودة، جاءت الاخرى في الاستخدام على شكل مفردات فقط، واخرى بشكل عبارات صغيرة وهكذا[٥٩]. وهذه اللغات بعضها كان محلياً، والاخر كان بتأثير خارجي. وفيما يخص اللغات المحلية فكان لها متحدثيها ومستعمليها في الأناضول، غير أنها لم تنتشر كالحثية المسمارية، وإنما بقيت منظوية تحت الاستعمال الشعبي (العام) وليس التوثيق الرسمي الواسع، ومن ثم فإن ما عثر عليه من نصوص بهذه اللغات كان قليل جداً قياساً إلى عمر حضارة الأناضول، اما تنوع اللغات فيعود الى تنوع القبائل التي سكنت الأناضول، وابرزها مجموعة القبائل الهندواوربية التي تعاقب دخولها زمنياً الى الأناضول، وسكنت كل مجموعة في اقليم معين، واصبحت وحدة قائمة بذاتها، وهذا ما فرضته بيئة الأناضول الجغرافية التي اوجدت الفواصل الطبيعية بين الاقاليم، ولم تساعد على قيام وحدة كاملة بين شعوب كل ارض الأناضول [٦٠] .

والمهم أن الباحثين، وبالاستناد الى ما اظهره فورير، فقد قسموا تلك لغات طبقاً لعلاقتها بالحثية المسمارية الى لغالت هندواوربية واخرى غير هندواوربية، وسنحاول في ادناه عرض طبيعة العلاقة بين اللغة الحثية وبقية اللغات الاخرى سواء من ناحية القرابة او من ناحية الاستعمال كلغة مساعدة.

١- <u>اللغات الهندواوربية</u>

أ- اللغة الحثية الهيروغليفية:

ترتبط الهيروغليفية الحثية بالمسمارية الحثية من جهة الاستعمال لكليهما من قبل الحثيين، وبالوقت ذاته فهي من مجموعة اللغات الهنداوربية [٦١]. والخط الهيروغليفي هذا انما قد استوحى العلماء اسمه من الهيروغليفي المصري، لان فكرة الخط قائمة على رسم الصور، أما الخط بذاته فهو يختلف عن الهيروغليفي المصري جذرياً حسبما توصل اليه علماء اللغة [٦٢]، وعلى الارجح فأن فكرة الخط قد اخذت عن الخط الهيروغليفي المصري[٦٣].

وحسب ما اظهرته كل الدلائل الاثريه فان هذا الخط يختلف عن المسمارية في مجال التدوين، فبينما كانت المسمارية الحثية هي اللغة الرسمية لتدوين كل شيء كما وضحنا، فان الهيروغليفية الحثية تكاد تنحصر استعمالاتها في النقش على الحجر في

واجهات الصخور والجبال كنوع من الدعاية الاعلامية للملك، او حتى الآلهة، واستثناءات قليلة استعمل فيها هذا الخط لنقش اسماء الملوك على الاختام [٦٤] .

والواقع ان بقايا هذا الخط تنحصر ضمن نطاق محدود في جنوبي الأناضول وشمالي بلاد سورية، وجاء استعماله بشكل رئيس بعد انهيار الدولة الحثية، وقيام الممالك الحثية المتأخرة في الالف الأول قبل الميلاد [٦٥]. على أن بدايات استعمال الخط تعود الى وقت مبكر من التاريخ الحثي، اذ كان يستعمل لاغراض دينية[٦٦]، تماماً كما حصل مع بدايات استعمال الكتابة في بلاد الرافدين ووادي النيل، في ان خصصت ايضاً لقضايا تتعلق بأمور العبادة. والمهم فان الحثيين استبدلوه ومنذ بدايات تاريخهم بالخط المسماري، لكن الهيروغليفي لم يتخل عنه وانما انحصر استعماله في النقش على الحجر [٦٧]. وهناك رأي اخر يعتقد فيه عدد من الباحثين وبناء على ادلة واستنتاجات بان هذه اللغة (الهيروغليفية) لابد وأنها استعملت الى جانب الحثية المسمارية في كتابة السجلات الملكية الحثية، غير انها انقرضت، كونها قد كتبت على الواح من الخشب الذي يعد المادة الافضل لرسم العلامات الصورية الهيروغليفية، وهذه المادة وكما ذكرنا غير مقاومة لعامل الزمن، وان هي قاومت كمادة فان النقش الصوري عليها بالحبر لا يصمد طويلاً [٦٨] . وما قد يثبت ذلك الاستعمال هو العثور على طبعة ختم عليه كتابه هيروغليفية تعود للملك اسبوتاخستو (isputaḫstu) حاكم مملكة كيزواتنا(جنوب غربي الاناضول) من القرن السادس عشر قبل الميلاد، كذلك كتابة هيروغليفية على طبعة ختم تعود لشخص يعتقد انه من الملوك الحثيين الاوائل، واسمه خوزيا (ḪUzziy)[٦٩].

وفي كل الاحوال يمكن لنا القول ان اللغة الهيروغليفية على الاقل قد استعملت كلغة مساعدة في الكتابة على الاختام، والنقوش التذكارية على الاحجار في عصر المملكة الحثية الحديثة (١٤٠٠-١٢٠٧ق.م).

كتبت علامات هذا الخط في الاغلب على الاحجار بالنقش البارز، كذلك يوجد الغائر، واستوحت صوره مما موجود في الطبيعة لاشياء واضحة المعالم يسهل التعرف عليها، كاجزاء جسم الانسان، أو رؤوس الحيوانات، أو قطع الاثاث، أو رسوم المباني[٧٠]. وبالنسبة الى حل رموز هذا الخط فقد تأخرت كثيراً على العلماء، حتى جاءت الصدفة عام

١٩٤٧ عندما عثر العالم الالماني بوسرت (H.Bossert) في موقع قره تبه شرق كيليكيا (Ciliciaجنوب الاناضول) على نص ثنائي اللغة مكون من اللغة الهيروغليفية الكنعانية والهيروغليفية الحثية يعود الى فترة القرن الثاني قبل الميلاد، أي في زمن الممالك الحثية المتأخرة ، اذ استعان عدد من العلماء بالهيروغليفي الكنعاني المعروف مسبقاً في فك الهيروغليفي الحثي [٧١]. أما ابرز العلماء الذي ساهموا في فك الهيروغليفي الحثي بالاستعانة بالهيروغلفي الكنعاني فمنهم العالم جنسن(jensen) وطومبسون (Thompson)، وكولي(Cowley)، وسايس (Syace) [٧٢] .

ومن أجل ان تكتمل الصورة سنحاول وبشكل سريع القاء الضوء على كيفية اكتشاف الخط وعلاقته بالحثيين:

لقد تم التعرف على نقوش اللغة الهيروغليفية وجمعها أو استنساخها من الأحجار الصلدة بجهود سواح وباحثين وعلماء لغة، وقد شملت جهودهم جولات مضنية في مناطق انتشار الخط (جنوبي الأناضول وشمالي سورية) امثال المبشر وليم رايت William Wright (مبشر عاش في دمشق اواخر القرن التاسع عشر الميلادي) والعالم اللغوي سايس سابق الذكر، والرحالة بورخارت (Borchart) والسائحان الامريكيان جونسون(Johnson)، وجيبوس(Gibos)، والعالم جون جار ستانج(John Jarr Stang)، وغيرهم، وبدون ذكر تفاصيل تقسيم الادوار على هؤلاء حول جهودهم في كشف النقوش، فقد شوهد صدفة نقوش بالهيروغليفي على حجر قد استخدم في بناء احد المنازل بمدينة حماة شمال سورية، وقد شاع هذا الخبر في الأوساط البحثية ابان القرن التاسع عشر ميلادي، فكان ذلك مدعاة لتهافت الباحثين ومحبي الاثار من السواح وغيرهم الى هناك، حتى تم العثور على أحجار اخرى تحمل نقش مشابه لنقش حماة في مدن حلب وكركميش (مركز الحثيين في عصر الدويلات الحثية المتأخرة) بشمال سورية، وبعد جهود مضنية مع الأهالي الذين كانوا يعتقدون بقدسية تلك الأحجار وقدرتها على الشفاء، لاسيما امراض العيون، تم نقلها (خمس منها فقط) وبمساعدة حاكم سورية التركي، والمبشر وليم رايت الى متحف القسطنطينية، ونسخة لقسم منها الى المتحف البريطاني، وهكذا اصبحت تلك الأحجار في متناول العلماء منذ عام ١٨٧٢[٧٣] .

والحال ذاته كان مع جنوب الأناضول اذ عثر على اماكن كثيرة تحمل نقوش هيروغليفية، وتتمثل تلك الاماكن بالصخور الموجودة في واجهات الجبال المرتفعة والمنخفضة، ومن ذلك المباني والصخور في موقع بالقرب من بوغازي كوي (حاتوشا)، وكذلك في منطقة الجاهويوك عند منحى نهر الهاليس، والنقوش الواضحة التي وجدت فوق الطبقة الصخرية المدونة باسم يازيليكايا Yazilikaya (وسط الاناضول) فضلاً عن مواقع عديدة اخرى [٧٤] . وبعد دراسات مطولة لجميع النقوش اعلن العلماء وعلى رأسهم سايس، أن كل النقوش الهيروغليفية التي عثر عليها في الأناضول وسورية انما تعود لشعب واحد هو الشعب الحثي [٧٥] . على ان النقوش الهيروغليفية التي عثر عليها في سورية تعود الى عصر الدويلات الحثية المتأخرة (الالف الأول قبل الميلاد)، بينما تلك التي عثر عليها في الأناضول فتعود في الغالب الى عصر الدولة الحثية في فترة الالف الثاني قبل الميلاد. هذا مع العلم فان الخط الهيروغليفي الحثي بقي في مرحلة الرسم للعلامات الى الأخير [٧٦].

ب- <u>اللوفية أو اللوية (Luvian):</u>

هي من اللغات الهندواوربية ذات الصلة من ناحية القواعد باللغة الحثية [٧٧]، وقد عثر على مفردات كثيرة منها داخل اللغة الحثية ضمن ارشيف حاتوشا، لاسيما تلك المتعلقة بطقوس العبادة، كما عثر على فقرات قصيرة يرددها الكاهن في أمور خاصة بالعبادة أيضاً[٧٨].

وطبقا للأدلة الآثارية فإن هذه اللغة تكلمت بها واحدة من المجاميع الهندواوربية التي استقرت في القسم الغربي من بلاد الأناضول[٧٩]، وقد استعملت بشكل واسع في عصر الدويلات الحثية المتأخرة[٨٠].

وقد سمي المتحدثون بهذه اللغة بين الباحثين باسم الشعب اللوفي أو اللوفيين او اللوفيان نسبة إلى كلمة لوفيلي التي ظهرت في مقدمة فقرات طقوس العبادة أعلاه [٨١]، وعلى الأرجح أن كلمة لوفيلي هنا هي ظرف مكان استعملها الكاهن للإشارة إلى منطقة تدعى لوفيلي. وفي ضوء ما يستشف من النصوص الحثية، فإن منطقة لوفيان هي في

الغالب تقع ضمن أراضي منطقة ارزاوا Arzawa، وهذه الأخيرة هي مملكة مهمة تقع غرب الاناضول، واشتهرت بصراعها ومنافستها الشديدة للدولة الحثية في الألف الثاني قبل الميلاد.

ت – اللغة البالية (Palaic)

ما اظهره ارشيف حاتوشا عن هذه اللغة هو ضئيل جداً عبارة عن كلمات مبعثرة أو عبارات تخص جميعاً عبادة إله يسمى "زيباروا"(٨٢)، ورغم قلة ما وصل من هذه اللغة، إلا أنها كانت كافية للعلماء في تحديد أصلها، حيث ثبت أنها من اللغات الهندواوربية وأنها على صلة قوية أيضاً باللغة الحثية (٨٣).

وهي كالسابقة كانت لغة خاصة بأحدى المجاميع الهندواوربية التي دخلت الأناضول في بدايات الألف الثاني قبل الميلاد، وقد سمي المتكلمون بها بالباليون نسبة إلى منطقة بالا (Pala) التي يرجح أنها تقع إلى الشمال الغربي من حاتوشا(٨٤)، واسم بالا قد اشتق من كلمة بالاومنيلي Palaumnili الواردة في عبارات عبادة الإله زيباورا (٨٥)، وعلى الأرجح أن كاتب النص آنذاك يقصد بهذه الكلمة منطقة جغرافية محددة.

١– <u>اللغات غير الهندواوربية</u>:

أ– اللغة الحاتية (ماقبل الحثية):

هي من أقدم اللغات المحلية التي تكلم بها سكان وسط الأناضول مابين الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد، اي قبل قدوم الهجرات الهندواوربية، غير انه لم يستطع العلماء حتى الآن من ارجاعها إلى أية عائلة لغوية (٨٦).

لم يصل شيء مدون عن هذه اللغة في منطقة انتشارها (وسط الأناضول)، ومن اجل ذلك فان الاشورية القديمة تعد حتى الان من اقدم اللغات المدونة في الاناضول، على ان الفضل يعود للحثية المسمارية في الحفاظ على اللغة الحاتية، إذ ورد في ارشيف حاتوشا استخدام لهذه اللغة، وذلك بشكل تراتيل قصيرة يستعملها الكهان للآلهة، فضلاً عن مفردات أخرى هي خاصة بطقوس العبادة أيضاً (٨٧). وعلى الأرجح فإن انتقاء الحثيين لمفردات

وعبارات من اللغة الحاتية في أمور تخص العبادة، هو اعتقاد بأنها مقدسة، ووجدت منذ زمن بعيد مرتبطة بالآلهة.

وفي ضوء هذه الاستعارة نستطيع القول أن اللغة الحاتية أثرت على الحثية، في كونها أخذت حيزاً وإن كان صغيرا جدا ضمن نصوص اللغة الحثية، نضف إلى ذلك أن هناك أسماء من ملوك الدولة الحثية يحملون اسماء حاتية، ومنهم الملك لابارنا (Labarna) مؤسس الدولة، وحاتوشيلي الاول (Hatušili)[٨٨]، ويبقى التأثير الأهم والأكبر وكما أسلفنا هو أن المجموعة الهندواوربية التي سكنت وسط الأناضول وفرضت وجودها على السكان السابقين وجدت نفسها مضطرة لأن تحمل اسم بلاد حاتى تلك التسمية التي كانت متجذرة في وسط البلاد، ومعروفة عند اقوام الشرق الأدنى القديم، وهذا ما جاء في النصوص الأكدية والآشورية التي سبقت الهندواوربيين في التعامل مع بلاد اسمها حاتي، او خاتي باللفظ الاصلي (كل ذلك تم توضيحه سابقاً).

ب- اللغة الأكدية:

كما هو معروف فإن اللغة الأكدية هي من اللغات التي توصل العلماء الى قراءتها وفهم قواعدها قبل اللغة الحثية بوقت غير قليل، كما كانت الأكدية هي اللغة الأكثر تأثيرا على معظم ممالك الشرق الأدنى القديم من ناحية الاستعمال [٨٩]. وفيما يخص تأثيرها في الحثية، فإنه لم يكن تأثيرا لغوياً بقدر ما كان تأثيرها كلغة مساعدة، اذ وجد الملوك الحثيون أنفسهم مضطرين إلى استعمال هذه اللغة في سجلاتهم الرسمية فيما يتعلق بعقد المعاهدات الخارجية أو المراسلات الخارجية[٩٠]، فهي كانت لغة المخاطبات الدبلوماسية بين ملوك الشرق الأدنى القديم إبان فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وفي ممالك شمال سورية التي سعى الحثيون للسيطرة عليها بقوة السلاح، أو عقد الاتفاقيات فقد كانت اللغة الأكدية هناك (أي شمال سورية) معروفة [٩١]، ولأجل كل ذلك استخدم ملوك حاتي اللغة الأكدية، وهذا ما كان واضحاً في ارشيف حاتوشا، اذ احتوى على كثير من المعاهدات والمراسلات الملكية، علماً أن نسخاً من تلك المعاهدات والمراسلات المدونة بالأكدية قد وجدت في ارشيفات بعض

مدن ممالك الشرق الأدنى القديم والتي تمثل الطرف الآخر المرسل إليه، أو الذي عقدت المعاهدة معه(٩٢).

ولعل من أبرز مراسلات الدولة الحثية باللغة الأكدية هي رسالة الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (١٣٧٠- ١٣٤٠ ق. م) إلى الفرعون اخناتون يطلب فيها تقوية العلاقات بين الطرفين، وقد عثر عليها ضمن محفوظات تل العمارنة بمصر(٩٣)، وهذه الرسالة هي ليست الوحيدة من بين الرسائل الحثية المرسلة إلى مصر، لكنها الأفضل حفظاً (٩٤).

وفيما يخص المعاهدات فهناك تقريبا تسع معاهدات حثية عقدها ملوك حاتي مع ممالك سورية، ومن ذلك مثلاً معاهدة الملك الحثي شوبيلوليوما الأول مع الملك عزيزو حاكم امورو شمال سورية، وقد عثر عليها ضمن ارشيف حاتوشا (٩٥)، كذلك معاهدة شوبيلوليوما الأول مع الملك تيتي حاكم نوخاشي شمال سورية، وكانت أيضاً ضمن مقتنيات ارشيف حاتوشا (٩٦)، وضمن الارشيف أيضاَ معاهدة الملك الحثي مورسيلي الثاني (ابن شوبيلوليوما الأول) مع الملك نقميبا حاكم اوغاريت شمال غرب سورية (٩٧).

وكما مر بنا فإن اللغة الأكدية (اللهجة الاشورية القديمة) كانت أقدم اللغات المدونة المستعملة في الأناضول، وقبل قدوم الحثيين أصلا، وذلك عندما استعملها التجار الآشوريون هناك أيام المستعمرات الآشورية في الأناضول في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد (٩٨).

ت- اللغة السومرية:

بالرغم من الفارق الزمني الكبير بين استعمال اللغة السومرية في بلاد الرافدين وبين قيام الدولة الحثية، إلا أنه ثبت من خلال ارشيف حاتوشا إن السومرية كان لها تأثير على اللغة الحثية، اذ عثر أولاً على معاجم حثية وما يقابلها بالسومرية (٩٩). لكن أهم تأثير للغة السومرية، هو استعمال العلامات السومرية المفردة، أو ما تعرف بـ(كاديوجرام)، وهي علامة مفردة توضع عند الكتابة لتدل على معنى أو فكرة كاملة دون كتابتها في سياق النص، وهي طريقة استعارها الكاتب الحثي لتوفير الوقت عند الكتابة (١٠٠)، وبما أن هذه الطريقة تحتاج إلى كتبة حثيين متمكنين ومتفقهين في اللغة السومرية (١٠١)، فيمكن لنا القول بأنه لا بد وأن قواعد اللغة السومرية كانت تدرس في حاتوشا.

هذا كل ما يتعلق بالسومرية وتأثيرها على الحثية، بقي أن نقول أنه لا بد وأن كان للمستعمرات التجارية الآشورية دور في نقل هذا التأثير، لاسيما وأن هناك أكثر من ثمان وعشرون الف لوح طيني عثر عليه داخل المستعمرات الآشورية في الاناضول وهي مدونة باللغة الأكدية والخط المسماري [١٠٢]، ولعل حجم هذا الرقم يعطينا انطباع عن مدى التعامل بالخط المسماري وعلاماته، ومن ثم انتقال علامات الـ(كاديوجرام) إلى الحثية فيما بعد.

ث- اللغة الخورية:

اللغة الخورية هي من اللغات غير معروفة الأصل [١٠٣]، التي تكلم بها الشعب الخوري الذي استوطن مناطق شمالي بلاد الرافدين تقريبا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، وشمالي سورية تقريبا مع بدايات الالف الثاني قبل الميلاد، وكان هذا الشعب قد هاجر من مناطقه الأصلية المحصورة ما بين بحيرة "وان" شرقي تركيا، وبحيرة اورمية شمال شرق ايران [١٠٤]، كما أن الأدلة الأثرية تشير إلى أن قسماً قليلاً منهم قد استقر في الأقسام الجنوبية من بلاد الأناضول، أي بقرب مناطق الحثيين [١٠٥].

وبعد أن استوطن الخوريون في مناطقهم الجديدة بدءوا يتاجرون مع بلاد الأناضول، وهذا ما ظهر في وثائق المستعمرات الآشورية، ومن أجل ذلك انتقلت اللغة الخورية إلى مناطق الحثيين، اذ كان لها نسبة من الاستعمال في ارشيف حاتوشا إلى جانب الحثية المسمارية، ومن ذلك نصوص كاملة تتعلق بالطقوس الدينية، وأخرى أدبية، وفيما يخص الاخيرة فان ابرز استعمال كان في وجود مقتطفات من ملحمة كلكامش المترجمة إلى الخورية، كذلك وجدت الخورية في ارشيف حاتوشا على شكل معجم لكلمات متقابلة بالحثية- والخورية [١٠٦].

وعلى وفق ذلك فإن اللغة الخورية وباستثناء الأكدية كانت اللغة الاكثر استخداماً إلى جانب الحثية المسمارية في ارشيف حاتوشا [١٠٧]. ونعرف أن اللغة الخورية قد تمكن العلماء من حلّها قبل الحثية وبوقت أسرع، كونه قد عثر في مواطن الحضارة الخورية في شمالي بلاد الرافدين، وشمالي سورية على ترجمات قوائم بالمترادفات الخورية والأكدية، أو الخورية والسومرية، كذلك نصوص خورية وترجمتها بالأكدي [١٠٨].

لكن السؤال: هو كيف انتقلت هذه التأثيرات إلى اللغة الحثية، ونقول أن مواطن الحضارة الخورية تقع في المناطق العليا من بلاد الرافدين وسورية، ومن ثم هي قريبة جداً من مواطن الحثيين، كما أن مناطق أعالي سورية قد خضع قسم كبير منها للسيطرة الحثية في العصر الامبراطوري، وبذلك أصبح الخوريون ضمن هذا النفوذ [١٠٩]. كذلك هناك مملكة مهمة جداً تقع ما بين بلاد الحثيين وسورية، وقد مر ذكرها تعرف باسم كيزواتنا ، وهذه قد خضعت للنفوذ الخوري طويلاً، ومن ثم خضعت فيما بعد للسيطرة الحثية خلال العصر الامبراطوري، فانتقلت منها المؤثرات الخورية، لاسيما الدينية إلى الحثيين [١١٠]، فضلاً عن الطرق التقليدية المتمثلة بالتجارة، ولاشك أن الخوريين وبحكم موقعهم كانت لهم علاقات تجارية مع الأناضول، حتى أنها جاءت منذ وقت مبكر من استيطان الخوريين، وهذا ما جاء في وثائق تجار المستعمرات الآشورية التي أحتوت على اسماء تجار خوريين [١١١].

إنَّ كل تلك العوامل كانت سبباً لانتقال كثير من جوانب الحضارة الخورية إلى الحضارة الحثية، ومن ذلك انتقال أسماء الآلهة، فضلاً عن اللغة [١١٢]، ولعل التأثير الديني كان سبباً رئيساً في انتقال نصوص دينية باكملها، أو مفردات وعبارات ذات شأن ديني، وطالما أن تلك النصوص والمفردات هي خاصة بالآلهة فإنها استعملت نصا أو تم ترجمتها للحثية كما هي، اعتقاداً بقدسيتها [١١٣]، وهذا ما لاحظناه في لغة حاتي.

ومن البديهي ان استخدام النصوص الخورية وترجمتها للحثية يشير بوضوح إلى أن كتاب حثيين قد تعلموا اللغة الخورية.

الاستنتاجات

في ضوء ما تم التطرق اليه في متن البحث يمكن لنا ان نحدد ابرز النتائج التي تم التوصل اليها :

١-تنتمي اللغة الحثية في الاصل الى عائلة اللغات الهندواوربية، وكونها قد انفصلت عنها منذ وقت مبكر في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد فقد شكلت فرعا مستقلا تميز ببعض الخصائص اللغوية.

٢- اللغة الحثية هي تسمية اطلقها العلماء المحدثون نسبة الى اسم المنطقة التي انتشرت فيها، وهي بلاد حاتي، اما المتحدثون بها قديما من الحثيين فقد اطلقوا عليها اسم لغة نيسا او نيشا نسبة الى مدينة نيسا(هي ذاتها كانش) موطنهم الاول في الاناضول.

٣-على الرغم من ان الدلائل الاثرية تشير الى استعمال اللغة الحثية المدونة في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد، الا ان ما وصل فعلا منها مدونا يعود الى اوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد.

٤- تمكن الحثيون من تدوين لغتهم بخط مسمارى خاص بهم، وعلى الرغم من ان فكرته قد استوحيت من الخط المسماري الرافديني، الا انه يختلف عنه كثيرا.

٥-تعد اللغة الحثية المسمارية هي اللغة الابرز من بين لغات بلاد الاناضول الاخرى ابان الالف الثاني قبل الميلاد.اذ لم تشكل بقية اللغات اكثر من ١٠% من التاريخ المدون لبلاد الاناضول القديمة.

٦- انقرضت اللغة الحثية المسمارية بعد انهيار الدولة الحثية في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد، ومن ثم حلت بدلا عنها اللغة الهيروغليفية التي اصبحت اللغة الرئيسة من بعد تأسيس ممالك حثية جديدة متفرقة في شمال سورية مع مطلع الالف الاول قبل الميلاد(الممالك الحثية المتاخرة) .

الهوامش:

(1)Maqueen, J. G., The Hittites and Their Contemporaries in Asia Minor (New York, No. D), pp. 22- 23. Collins, Billie Jean, The Hittites and Their World (U. S. A, 2007), p. 23.

(2) Gens, Hermann and Mielke Dirk Paul, Insights Into Hittite History and archaeology (Paris: Leuven, 2011), p. 1.

(٣) جرني، أ. ر، الحثيون (بيروت : مطبوعات البلاغ، ١٩٦٣)، ص ص ١٥٧-١٥٨؛ الأحمد، سامي سعيد، رضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، (بغداد، د. ت)، ص٢٣٩.

(٤) عن الدراسات اللغوية والتاريخية حول الاصول الحثية، يُنظُر

Gens, op. cit., p. IFF; Maqueen, op. cit., p. 26.

(٥) اللوفيين والباليين هم من الشعوب التي هاجرت إلى الأناضول مع الحثين مطلع الألف الثاني قبل الميلاد واستقر كل واحد منهما في منطقة معينة من بلاد الأناضول، فاللوفيين سكنوا غرب ألأناضول بينما الباليين سكنوا في شمال الأناضول، ينظر: الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول (بغداد، ٢٠٠٧)، ص٦٣.

(٦) تسمية هاليس هي التسمية المستخدمة من قبل العلماء الكلاسيكيين، اما تسمية النهر عند الحثيين فيعتقد على الاكثر انها جاءت بصيغة ماراسنتيا، ينظر: جرني، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٧) علي، رمضان عبده، الشرق الأدنى القديم وحضارته (الاناضول- بلاد الشام)، (القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٢)، ص٤.

(٨) عبده، المصدر السابق، ص١٦؛ Gens, op. cit., 32.

(٩) يذهب كثير من الباحثين إلى أن المنطقة الأصلية التي هاجر منها الحثيين تقع في مناطق شمال القفقاس، ينظر: Maqneen, op. cit., 26 ; Gens, op. cit., p. 24; Collins, op. cit, p. 4;

الاحمد، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(10) Down, David, "The Hittites- Second Time round", In Journal of Creatian, vol. 23, Part.1 (U. S. A, 2009), pp. 50- 51; Collins, op. cit, p. 4.

(١١) ظهر لقب ملك بلاد خاتي بصورة خاصة في الرسائل والمعاهدات، وحول هذا اللقب ينظر: محمد، جهان عزت، النصوص الأكدية للمعاهدات الحثية- السورية، (دمشق، ٢٠١٩)، ص ص٦١ وما بعدها؛

Hoffner, Harry A., Writings From The ancient World, Letters From the Hittite Kingdom (U. S. A, 1994), p. 75ff

(١٢) فيما يخص بداية تاريخ قيام المملكة الحثية القديمة فهو تاريخ تقريبي، فاذا ماعرفنا بان حكم الملك حاتوشيلي الاول(يعد المؤسس الحقيقي للمملكة القديمة) يبدأ حوالي ١٦٥٠ ق.م، وهو تاريخ تتفق عليه

معظم المصادر، فانه لابد وان هناك مجموعة سنين تضاف الى هذا التاريخ طالما ان هناك مجموعة ملوك سبقوا حاتوشيلي في الحكم، لكن لايعرف عن تاريخهم شي، وبالتالي كان من المنطقي افتراض تاريخ اعلى من ١٦٥٠، ينظر: الصالحي، المصدر السابق، ص ١٣٩هامش ٦؛ جرني المصدر السابق، ص ص ٤١-٤٢.

(١٣) ويرى أصحاب هذا الرأي أن اللغة الحثية قد استقلت عن الهندواوربية الأم منذ وقت مبكر، فكان لها وضعها اللغوي الخاص الذي ميزها عن بقية اللغات الهندواوربية، ينظر: جرني المصدر السابق، ص١٦٠؛ Down, op. cit., pp 50- 51, Guterbock, Hans, G., The Hittites: Who were They and why do we Study them, In news and otes. No. 85 (Chicago, 1983), pp.1-2; Hout, Theo p.J Van Den, "The Written Legacy Of The Hittites' in Insights Into Hittite history and archeology (Paris, 2011), p. 49.

(١٤) دوبلهوفر، أرنست، رموز ومعجزات، دراسة في الطرق والمناهج التي استخدمت لقراءة الكتابات واللغات القديمة، تر: د. عماد حاتم، (دمشق، ٢٠١٠)، ص١٩٥.

(15) Hout, op. cit., p. 47.

(16) abid., p. 47.

(17) abid., pp. 49- 51.

(١٨) جرني، المصدر السابق، ص١٦٢؛ اسماعيل، فاروق، (الحثيون وحملاتهم على سورية)، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١- ٨٢ (دمشق، ٢٠٠٣)، ص٨.

(19)Coolins, op.cit., P.4;

فاروق، المصدر السابق، ص٨. ؛ السعدي، حسن محمد محيي الدين، في تاريخ الشرق الادنى القديم(الاسكندرية، ١٩٩٥)، ص٢٨٠.

(٢٠) الصالحي، المصدر السابق، ص٤٥.

(21) Guterbock,op.cit., p. I;

دوبلهوفر، المصدر السابق، ص١٦٩.

(٢٢) الصالحي، المصدر السابق، ص ص٣١- ٣٢.

(٢٣) عن تفاصيل هذه المستعمرات وأثرها في التاريخ الحثي، ينظر: جرني، المصدر السابق، ص ص٣٨- ٤٠؛ الصالحي، ص ص٣٢- ٣٥.

(24) Coolins, op. cit., p. 4;

حسن، سليم، مصر القديمة (القاهرة، ١٩٩٢)، ج٥، ص٦٣٩.

(25) Coolins, op. cit., p. 4.

(26) Sayce, A. H., "The Latest discoveries", In The Biblical Word, vol. 33, No.6 (Chicago, 1908), pp. 368- 369.

(٢٧) جرني، المصدر السابق، ص٢٧.

(٢٨) عن رحلات الاستكشاف، ينظر: دوبلهوفر، المصدر السابق، ص ص ١٦٧-٢٣٠.

(29) Hout, op. cit., p. 56; جرني، المصدر السابق، ص٢٦

(30)Hout, op. cit., p. 56.

(٣١) جرني، المصدر السابق، ص١٦٠. وتظهر العلاقة بين الهندواوربية والحثية من خلال عدة حالات، أبرزها تصريف الاسم إلى حالة الفاعل، والمفعول به، والمضاف اليه، وحالة الجر، والجار والمجرور. للمزيد، ينظر جرني، المصدر نفسه، ص١٥٨.

(٣٢) المصدر نفسه، ص١٦٠ .

(33) Hout, op. cit., p. 57.

(٣٤)جرني، المصدر السابق، ص٢٦؛ فاروق، المصدر السابق، ص ٨.

(٣٥)عن هذه المواقع، ينظر: الصالحي، المصدر السابق، ص ص٤٠ - ٤١ ; Hout, op. cit., pp. 56- 57

وعن اسماؤها القديمة، ينظر: برايس، تريفور، رسائل عظماء الملوك في الشرق الادنى القديم، تر. رفعت السيد علي (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص٢٧٣.

(٣٦) جرني، المصدر السابق، ص١٦١؛ الصالحي، المصدر السابق، ص٤٣.

(37) Sayce, op. cit., p. 396.

(٣٨) الاحمد، سامي سعيد، العراق القديم (بغداد، ١٩٨٣)، ج٢، ص ص ٢٣-٢٤.

(٣٩) دوبلهوفر، المصدر السابق، ص١٩٨.

(40) Hout., op. cit., p. 48.

(٤١) جرني، المصدر السابق، ص١٥٧، وعن جهود الباحثين في مجال حل الكتابة المسمارية الحثية، ينظر: دوبلهوفر، المصدر السابق، ص ص١٦٩- ٢٣٠.

(42) Sayce, op. cit., p. 396 ; الصالحي، المصدر السابق، ص٤٣

(43) Hout., op. cit., p. 51.

(44) ibid., p. 51.

(45) I bid., p. 51 ;

الصالحي، المصدر السابق، ص٣٩.

(٤٦) دوبلهوفر، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ Hout., op. cit., p. 51.

(٤٧) دوبلهوفر، المصدر السابق، ص٢٢٩ ؛ Hout., op. cit., p. 51.

(48) Hout., op. cit., p. 51.

(49)Ibid.,p.51.

(٥٠) دوبلهوفر، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(51)Hout, op.cit.,p. 51.

(٥٢)دوبلهوفر، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٥٣)دوبلهوفر، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٥٤)المصدر نفسه، ص٢٢٨.

(٥٥) الصالحي، المصدر السابق، ص٤١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٤١.

(57) Hout, op. cit., p. 56.

(٥٨) جرني، المصدر السابق، ص ص١٥٧ ؛ Guterbock, op. cit., pp 1- 2.

Maqueen, op. cit., p32.

(٥٩) جرني، المصدر السابق، ١٥٧- ١٨٠.

(60) Gens, op. cit., p. 31; فاروق، المصدر السابق، ص٦.

(٦١) جرني، المصدر السابق، ص١٨٠؛ Sayce, op. cit., p. 369.

(٦٢) دوبلهوفر، المصدر السابق، ص١٧٢؛ Cuterbock, op. cit., pp. 2- 4.

(٦٣) جرني، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٦٤) جرني، المصدر السابق، ص١٧٩؛ Hout., op. cit., p. 48.

(65) Collins., op. cit., pp 1- 3.

(66) Sayce, op. cit., p. 369.

(67) ibid., p. 369.

(٦٨) دوبلهوفر، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ جرني، المصدر السابق، ص١٨٠.

(٦٩) الصالحي، المصدر السابق، ص٤٦. وفيما يخص الملك خوزيا بتشديد الراء فيعتقد انه من ضمن الملوك الحثيين الين سبقوا فترة حكم الملك حاتوشيلي الاول، لكن لاتوجد معلومات عنه سوى الختم المشار اليه في المتن، ينظر: الصالحي، المصدر السابق، ص١٣٩ هامش ٦.

(٧٠) جرني، المصدر السابق، ص١٧٩.

(71) Maqneen, op. cit., p.24; الصالحي، المصدر السابق، ص٤٧

(٧٢) الصالحي، المصدر السابق، ص٤٧.

(٧٣) عن التفاصيل الكاملة حول هذا الموضوع، يُنظُر: دوبلهوفر، المصدر السابق،ص ص١٦٩- ٢٣٠؛ جرني، المصدر السابق، ص ص٢١- ٣٤؛

Breasted, James Henry, "When did The Hittites enter Palestine", In The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Vol. 21, No. 3 (Chicago, 1905), pp 153- 158.

(٧٤) جرني، المصدر السابق، ص٢٤.

(٧٥) المَصدر نفسه، ص ٢٢، ص٢٥.

(76) Hout., op. cit., p. 48.

(77) Hout., op. cit., p. 47; Klengel, Horst, "History Of Hittites", In insights into Hittites History and archaeology (Paris, 2011), p. 31.

(٧٨) جرني، المصدر السابق، ص١٦٧.

(٧٩) للاطلاع الكامل على هذه اللغة من حيث التاريخ والقواعد والانتشار ينظر:

Yakubovich Ilyas, Sociolinguistics Of The Luvian Language (Chicago, 2008), p. 15ff.

(80) Ibid., pp. 90- 91.

(٨١) جرني، المصدر السابق، ص١٦٧.

(٨٢) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(83) Klengel, op. cit., p. 31; Hout., op. cit., p 47.

(84)Klengel, op. cit., p. 31 ;فاروق، المصدر السابق، ص٧

(٨٥) جرني، المصدر السابق، ص١٦٩.

(86) Klengel, op. cit., p. 31- 32.

(87) ibid.,p.32.

(٨٨): عن اسماء ملوك المملكة الحثية القديمة واصولهم ، ينظر:

Bryce, Trevor, the kingdom of the Hittites (New yourk, 2005),pp.61-96

(٨٩) سليمان، عامر، "التراث اللغوي"، ضمن موسوعة حضارة العراق (بغداد، ١٩٨٥)، ج١، ص٢٩٢.

(٩٠) الصالحي، المصدر السابق، ص٤٤.

(٩١) سليمان، المصدر السابق، ص ص٢٩٢- ٢٩٣؛ اسماعيل، بهيجة خليل، "الكتابة"، ضمن موسوعة حضارة العراق، (بغداد، ١٩٨٥)، ج١، ص٢٣٩.

(٩٢) محمد، جهان عزت، المصدر السابق، ص ص٥٥، وما بعدها.

(٩٣) حسن، سليم، المصدر السابق، ص٦٤٢.

(٩٤) عن هذه الرسائل ورسائل تلك العمارنة بشكل عام، ينظر:

Mercer, S. A., The Tell Al- emarna Tablets (Toronto, 1939), p. 1ff.

(٩٥) محمد، جهان عزت، ص٧٢.

(٩٦) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٩٧) المصدر نفسه، ص١٣٩.

(٩٨) ساكز، هاري، قوة آشور، تر: عامر سليمان (بغداد، ١٩٩٩)، ص٥٢.

(٩٩) جرني، المصدر السابق، ص١٧٧.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(١٠١) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(١٠٢) اسماعيل، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(103) Miroop, Marc, Ahistory Of The ancient Near East 3000- 323 b.c (U. S.A, 2004), p. 33, 116

(104) Ibid.,p.116; Hallo, William.w.and William.K. Simpson, the ancient Near East(USA,1998),p.106.

(105) Hoffner, Harry A., "Hurrian Civilization and The Hurrians Studies (Malibo, 1998), p. 193

(106) Hoffner, op. cit., p. 193.

(١٠٧) جرني، المصدر السابق، ص١٧١.

(١٠٨) بوترو، جين، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، تر.عامر سليمان(الموصل، ١٩٨٥)، ص٢٠١.

(١٠٩) عن هذا العصر ينظر: الصالحي، المصدر السابق، ص ص ٢٤٠ ومابعدها.

(110) Guterbock, H. G., "The Hurrian in The Hittite Empire" (Chicago, 1950), p. 383.

(١١١) الاحمد، سامي سعيد، "المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى"، مجلة سومر (١٩٨٧)، ص٧٦.

(112) Hoffner, op.cit.,p. 198.

(113) Ibid., p. 198.

الملك وهيأته المنفذة في فنون بلاد الرافدين

King and his personality which Implemented In the Arts of Mesopotamia

أ.م.د. فيحاء مولود علي

كلية الآداب – قسم الآثار

Dr. Fayhaa Mawlood Ali
University of Baghdad
College of Arts
Department of Archaeology
Email / f.mds66@gmail.com

الملك وهيأته المنفذة في فنون بلاد الرافدين

أ.م.د. فيحاء مولود علي

الملخص :

أرتبط النظام السياسي في بلاد الرافدين منذ البدء بالدين فكرياً وعملياً ، فهو الأساس الذي قامت عليه الملوكية وما يتعلق بها من اختيار الملك الى كل ممارساته السلطوية الأخرى فقد دأب أغلب الباحثين على القول أن الأنسان العراقي في عصوره القديمة جعل الدين جوهر حياته ، يدير من خلاله نشاطاته المختلفة بما فيها السياسية ، لكننا نرى أن الملك حينما أدخل الدين في عمله السياسي لم يكن همه الأول الأيمان بالآلهة على الرغم من اظهار الملك نفسه بمظهر التقوى والورع وتأكيده على مسالة الأيمان بالآلهة بل كان همه أن يوفق في عمله السياسي وتكون أوامره نافذة وقراراته مطاعة من قبل الجميع ولم يجد وسيلة انجح من الدين .

الكلمات المفتاحية : الملك ، بلاد الرافدين ، هيأة الملك ، المنفذة ، الفنون .

King and his personality which Implemented
In the Arts of Mesopotamia

Dr. Fayhaa Mawlood Ali
University of Baghdad
College of Arts
Department of Archaeology

Abstract :

Ancient Mesopotamians were able to reach advanced stages of cultural maturity , which the beginning of historical times , and enabled them to established the first political system in the ancient world . All that aims to organized their lives and advance in the ladder of civilized developments , some researchers have identified the beginnings of this political system , which dates back to the ancient Sumerian periods (Early Dynastic period ca. 2800-2371 BC.) , or it may be go back to prehistoric periods . The knowledge of politics and the beginning of its practice have been associated with the existence of human society , or with the emergence of the first major social systems , which resulted from the ways of peaceful coexistence between different families , or the establishment of extensive relations between those families , which ceded some of its sovereignty in favor of social unity , and they took their own decisions in its name . If we review the history of Mesopotamia in the Neolithic period specifically , the development witnessed in the nature of life and agricultural and social activities , the first regimes did not flourished in the northern cities , but in the southern cities . The reason may lie in the harsh nature of the country , and repeated flooding there in

different times , causing devastation and distraction of settlements or plantations , as well as sandstorms or lack of rain . That must be , all efforts had to be unified and organized to overcome upon these environmental conditions , all this needs to have a good leader or hero man with special attributes to unite and organize all people , hence the emergence of the first regimes and the beginning of political thought had been began .

Keywords : King , Mesopotamia , king's personality , implemented , arts

المقدمة :

استطاع سكان بلاد الرافدين من الوصول إلى مراحل متقدمة من النضج الحضاري مع بداية العصور التاريخية مكنتهم من تأسيس أول نظام سياسي في العالم القديم ، يهدف إلى تنظيم حياتهم والتقدم في سُلم التطورات الحضارية ، وقد حدد بعض الباحثين بدايات هذا النظام السياسي التي ترجع إلى مرحلة تسبق العصر السومري القديم (فجر السلالات ٢٨٠٠-٢٣٧١ ق.م) ، إذ ربما تعود إلى عصور قبل التاريخ [١] ، إذ إن معرفة السياسة والبدء بممارستها ارتبط مع وجود المجتمع البشري ، ومع نشوء أولى النظم الاجتماعية الكبرى التي نتجت من طرق التعايش السلمي بين الأسر المختلفة ، وقيام علاقات واسعة بين تلك الأسر ، التي تنازلت عن بعض سيادتها لصالح الوحدة الاجتماعية ، وأخذت بإصدار القرارات بأسمها [٢] ، وإذا ما استعرضنا تاريخ بلاد الرافدين في العصر الحجري الحديث تحديداً وما شهده من تطور طبيعة الحياة والنشاطات الزراعية والاجتماعية ، نجد أن أولى أنظمة الحكم لم تزدهر في المدن الشمالية بل في المدن الجنوبية ، ولعل السبب يكمن في طبيعة البلاد ذات البيئة القاسية وتكرار الفيضانات فيها مما تُسبب الخراب والدمار للمستوطنات والمزروعات ، فضلاً عن العواصف الرملية وقلة الأمطار ، فكان لا بد من توحيد الجهود وتنظيمها للتغلب على هذه الظروف البيئية ، وهذا يحتاج إلى وجود قائد أو زعيم يحمل سمات قيادية وميزات خاصة ليوحد الناس وينظمهم ، ومن هنا نشأت أولى أنظمة الحكم وبداية الفكر السياسي [٣] . إن بداية العصور التاريخية تحديداً في عصري الوركاء وجمدة نصر تلمسنا البدايات الأولى لأشكال أنظمة الحكم من خلال دراسة بعض الأساطير والملاحم والنصوص التاريخية ، نستطيع أن نستشف صورة للحكم البدائي آنذاك التي أطلق عليها الديموقراطية البدائية [٤] ، إذ يتكون النظام السياسي من مجلسين الأول يضم الشيوخ (شيوخ المدينة وكبارها) ومجلس الشباب الذي يضم جميع شباب المدينة ومحاربيها من حملة السلاح ، وكان المجلسان يجتمعان سوية لاتخاذ القرارات المصيرية

والنظر في الأمور التي تنظم شؤون المدينة [٥] ، ومن بين قراراتهم المهمة كانوا يقررون اختيار المسؤول عن الأمور الدينية الذي اطلق عليه لقب (en) أو (السيد) التي كانت سلطته في ذلك العصر محددة ومقيدة بسلطة وصلاحية هذين المجلسين [٦] .

تتضح صورة ومعالم النظام السياسي بشكل جلي في العصر السومري القديم (أو عصر فجر السلالات) ، إذ أصبح لطبقة الكهنة (السيد en) دوراً في تولي الشؤون الدينية وإدارة واردات المعابد [٧] ، ثم تطور النظام السياسي وظهر لقب الأمير ($ensi_2$) وهو (وكيل الإله) ، وكانت سلطته تجمع بين الأمور الدينية والدنيوية وإدارة المدينة وحل مشاكل الناس[٨] ، ثم ظهر مصطلح الرجل العظيم لوكال (lugal) الذي تميز بسلطته الدنيوية ، لكنه في الوقت ذاته كان يدور في فلك الآلهة ويمتثل لأوامرها وينفذ مشيئتها حسب معتقدات سكان بلاد الرافدين ، إن السلطة السياسية كانت قائمة في السماء والأرض ، ويقوم على رأس السلطة الإله آنو (An) فهو الذي يمسك بالنفوذ السياسي الفعلي ، وعليه فإن مثل هذا الإله يجب أن يعمل في الأرض لتحقيق ذات الوظائف عن طريق وكيله من البشر ، لذلك بعدئذ تم تفويض السلطة الإلهية لمن ينوب عنها من البشر للحكم وأعطته السلطة وشارات الملوكية ليكون نائباً مفوضاً لينفذ قرارات الآلهة على الأرض ، وبهذا نرى كيف أرتبط الفكر السياسي ارتباطاً مباشراً مع الفكر الديني ، فكانت البنية السياسية مرتبطة بعلاقات وثيقة بينها وبين القوى الإلهية ولما كان الحال هكذا ، فإن الكثير من الأفكار السياسية التي ينفذها الملك يُنظر لها بكونها ذات غطاء ديني ، على أساس أن الملك هو الممثل الشرعي للآلهة على الأرض [٩] ، وإن الملوكية على ما يعتقد الإنسان في بلاد الرافدين موجودة منذ الأزل أي قبل أن تُخلق البشرية على الأرض وكانت موجودة في السماء وتحكم من قبل الآلهة أنفسهم [١٠]، وعندما خُلق الإنسان هبطت الملوكية من السماء وفقاً لما ذكرته قوائم الملوك السومرية إلى الأرض ومُنحت إلى البشر ، لذلك فإن النشاط السياسي في بلاد الرافدين كان يعتمد بالأساس على الممارسات اليومية سيما الطقوس الدينية والاعمال الخاصة التي يؤديها الملك أثناء التتويج وبعده ، وعليه يبدو أن النظام الإداري والسياسي كان متداخلاً مع بنية الفكر الذي منبعه المعبد .

أما كيفية وصول الملك إلى السلطة وإدارة شؤون البلاد فهو الوكيل البشري عن الآلهة وممثلها على الأرض، علماً أن هذا الأمر لم يكن له شروط محددة ، فمنهم (أي الحكام) كان يصل عن طريق انتخابه من قبل مجلس شيوخ المدينة (أي كبار المدينة) ، ومنهم من يصل بالتدرج الوظيفي ، والأعم الأغلب ممن وصل إلى الملوكية عن طريق الاغتصاب للسلطة ، ولكن في جميع الأحوال كل الملوك كانوا يضعون باعتبارهم أنهم يحكمون ويشرعون دائماً باسم الآلهة وممثلين عنهم في الأرض ، بل بعضهم كان يشيع بأنه من نسل الآلهة [١١] ، وهذا يعني أن السلطة السياسية من وجهة نظرهم كانت هبة إلهية يتشرف بها ذلك المخلوق البشري (أي الملك) ويتم تفويضه بحكم البلاد من قبل الآلهة أو إله تلك المدينة ، وما عليه إلا الطاعة وتنفيذ رغبات الآلهة ، وما على البشر إلا احترام هيبة ومقام ذلك الملك ليس لكونه يمثل السلطة الدنيوية فحسب بل لكونه ذو مقام ديني والملوكية ما هي إلا امتياز إلهي له . لذلك لم يكن بإمكان الإنسان في بلاد الرافدين تصور مجتمع بلا حاكم شرعي على البلاد ، لذا أخذنا بنظر الاعتبار الترابط بين المجتمع والسلطة والدين ، إذ لا توجد سلطة بدون مجتمع ودين ، إذ ان الملك من وجهة النظر الدينية هو الواسطة بين الآلهة والناس الذين خلقوا لخدمتهم [١٢].

لذا إننا نرى أن سكان بلاد الرافدين القدماء كانوا يحيطون الملك بهالة من القدسية نتيجة ممارسته السلطة السياسية الإلهية ولكونه يمثل الناس أمام الآلهة (لا سيما إذا ادعى إنه من نسل إلهي)، فمن خلال تنظيم الآلهة لشؤونهم وهي المسؤولة عن منحهم الحياة والممات والوفرة ، وتقيّم الآلهة كل تصرفاتهم وسلوكهم فلها الحق وحدها بذلك ، فقد تنحصر تصرفات الملك على متابعة مجريات الأمور الخاصة بالبلاد والمحافظة عليها ، ولكونه يحكم باسم الآلهة لهذا كانوا يحتفون بالملك مثلما يحتفون بالآلهة ، ومن المحتمل أن يكون المثول أمام الملك عبر طقوس خاصة شبيهة بطقوس المثول أمام الآلهة عندما تكون في معابدها [١٣] ، وربما كان أيضاً يحمل تمثال الملك على أكتافهم ليطاف به في أثناء الاحتفالات والمناسبات الدينية مثلما تحمل تماثيل الآلهة من قبل الكهنة أمام المتعبدين [١٤].

لقد زخر التاريخ القديم لبلاد الرافدين بشخصيات كبيرة اضطلعت بدور مهم في وقائع الاحداث السياسية التي وقعت خلال مراحل حكمهم ، وقد انعكس ذلك على الجانب الفني ،

إذ أدى دوراً ريادياً في وضع أسس الحضارة ، ومن بعد ذلك أدوا دوراً في ازدهارها وتطورها وما يدل على ذلك هو ما تركوه من مدونات على مخلفاتهم المادية كالنتاجات الفنية التي ما زال قسماً منها شاخصاً إلى يومنا هذا . وكانت هناك عوامل عديدة ساعدتهم في تحقيق تلك الانجازات لعل من ابرزها حسب اعتقادنا هو استعمالهم الأعمال الفنية كوسيلة لتثبت سلطاتهم وكأداة من أدوات تنفيذ سياساتهم الخارجية ، اذ يكون هدف الملك هو احداث تغير في سلوك الموجه إليه وهو تغيير ما متوقع الحدوث ، وقد استعمل الملوك القدماء وسائل عديدة لتحرير رسالتهم السياسية وأساليب عدة في تلك الأعمال [١٥] .

أثر الفكر السياسي على النتاجات الفنية عبر العصور:

تبدو العلاقة واضحة بين الفكر السياسي الذي أسس على المفاهيم الدينية ، وبين النتاجات الفنية ، التي تركها سكان بلاد الرافدين ، التي تصور نشاطات الحكام والملوك ، ومن الممكن الافتراض أن بداية السلطة في بلاد الرافدين ترجع إلى دور العبيد (أي إلى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد) ، عندما تطور نظام الحياة الاقتصادية والزراعية والاجتماعية بعد أن بذل الإنسان جهوداً كبيرة في صراعه في ترويض الطبيعة القاسية ، فأصبحت الأراضي الواسعة قرى زراعية ، وهذا ولد مشكلات وصراعات كان أساسها دافع السيطرة والاستحواذ على أكبر مساحة ممكنة لغرض استثمارها مما دعا إلى وجود قائد أو حاكم يوحد تلك الجهود [١٦] . ويستوقفنا نموذج لتمثال أو لمجسم فخاري مؤرخ لعصر العبيد لرجل في وضعية الوقوف بشكل مواجه وهو يحمل بإحدى يديه المتلاقية أمام صدره عصا (صولجان) ، فقد اعتمد النحات بتجسيد غطاء الرأس والعضو الذكري بنحو واقعي ومهيمن ، فضلاً عن الحرص على تزيين الكتفين والصدر بالشارات المميزة كدلالة على أهمية هذه الشخصية آنذاك ودورها القيادي في المجتمع ، كما ان التركيز على كون التمثال عارياً وابراز العضو الذكري بوضوح ربما أراد به الفنان أن يرمز لفكرة الذكورة والفحولة لأن نظم العلاقات البشرية آنذاك تعتمد على هيمنة أفكار الخصب والتكاثر والتناسل ، أما بروز الأكتاف ومسك الصولجان جاء للتأكيد على القوة والهيمنة والسيطرة ، فهذه هي الرسالة السياسية للإعلان عن أهمية الشخصية كقائد للجماعة في زمانه ، ولعله يعلن عن كون أول

قائد أو زعيم في التاريخ يحمل سمات الزعامة في العصور اللاحقة التي استمرت على هذا المنوال .(ينظر الشكل رقم ١).

ومن المنجزات الفنية المهمة والمؤرخة إلى العصر الشبيه بالكتابة هناك (مسلة صيد الأسود)[١٧] ، فقد تظهر شخصية البطل الذي يقود معظم الصراعات في مواجهة القوى التي تهدد وجود البشرية في مدينته آنذاك ، فالدور البارز الذي قام به الرجل كونه حاكماً هو الحفاظ على مواطنيه من الشر ، وهذا ما أكدته المسلة في مشهدها عندما أراد الفنان أن يُبلغ عن فكرة قيام حاكم دويلة المدينة الذي عُرف من خلال ترتيب شعره وملبسه المميز إلى أنه في صراع بطولي أمام تحديات الحياة واستمراريتها من الأخطار الخارجية المتمثلة بشكل الأسد كرمز للموت والفناء ، وإن تكرار المشهد مرتين على سطح المسلة تأكيد على دور الرجل الحامي للحياة وثباته أمام الأسود التي تبدو من حركتها أنها في غاية الشراسة ، إلا أن دور البطولة كان للرجل الذي ثبت أمامها من خلال ضربات سهامه ورماحه القوية . إن وجود قوتين متصارعتين تتمثلان في شخصية الحاكم (وهي قوة الحياة) التي تتضح أكثر في صياغة تراكيب اجزاء جسم البطل التي أكد الفنان من خلال القوة العضلية له على أنه بطل جسور يتحدى حيوان مفترس الذي جسد قوة الموت ، نستدل من ذلك أن الكم الهائل من الرموز الكامنة في المشهد فقد تقصد الفنان أن يضمنها بهذا الشكل لكل تلك القيم التعبيرية ذات المفاهيم الناشطة في الفكر الاجتماعي آنذاك ، كما أن الحجر الصلب للمسلة ذات اللون الأسود المميز وحجمها إزاء حجوم الأعمال التشكيلية من العصر الشبيه بالكتابة ، وكذلك حجم الحاكم الذي احتل أكبر جزء في المشهد وهيمنته على باقي أجزاء الموضوع بحركته وتراكيب أجزاءه فضلاً عن كون المشهد هو دلالة لوجود حالتين من خلال التكرار لحركتين مختلفتين للموضوع ذاته ضمن المشهد الواحد ، (ينظر الشكل رقم ٢) .

إن عملية استمرار الدور السياسي للحاكم والملك وانعكاسه في معظم فنون بلاد الرافدين القديم كان له دلالات واشارات السلطة المطلقة التي تم دعمها من قبل الآلهة حسب رأي أبناء بلاد الرافدين ، وهذا ما نراه جلياً من خلال مسلة العقبان التي تعود إلى العصر السومري القديم (عصر فجر السلالات ٢٨٠٠-٢٣٧١ ق.م) نرى على قفا المسلة اشتباك الملك بواقعة حربية ، فنرى الملك وهو يقود جنوده في مواجهة العدو ويتجسد بحجم كبير

وهو يتصدر صف الجنود المدججين بالسلاح ، تاركاً بقية اجزاء المشهد تؤكد دوره البطولي في صناعة النصر في المعركة ومسؤوليته كحاكم له دور قيادة الحدث المهم ، لذا كانت المسلة تخلد القوة السياسية لشخصية الحاكم السومري بدلالة حجم المسلة الهائل وصلابة حجرها[١٨] ، وسبب صناعتها في تثبيت الحدود بين المدينتين (أوما ولكش) تخليداً لانتصار جيش لكش وانضمام منطقة (كوإدينا) المتنازع عليها إلى مدينة لكش ، ومن خلال التلاعب في حجم الشخصيات المبالغ فيه والتركيز على شخصية القائد واعطائه حجماً أكبر من جنود جيشه الذين اصطفوا خلفه في متوالية عددية لخدمة دور وهيمنة الحاكم وتأكيد على كثرتهم العددية ، وكان الهدف من وراء ذلك هو الإبلاغ عن هيبة وعظمة ومكانة القائد والمنظم لهذا الجيش ، فضلاً عن توكيد صفة الأهمية والعظمة لشخصية الزعيم والقائد للسلطة السياسية ، فالمسلة هي وثيقة تاريخية حددت العلاقات بين الدول بدلالة وجودها على الحدود بين الدولتين في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، فالمشهد الرئيسي لهذه المسلة أبلغ عن قوة الحاكم بدلالة هيمنته وحجمه وتعدد الفعاليات التي يؤديها بين السير على الأقدام وركوبه العربة الحربية وقيادته لجيشه ، مع مرافقة للكتابة المسمارية السومرية التي تشرح انتصار مدينة لكش السومرية على مدينة أوما المجاورة ، وكان النصر بقيادة الحاكم أو الملك إيأناتم (٢٤٥٤-٢٤٢٤ ق.م) إذن تركز الإبلاغ عن أهمية شخصية الحاكم في تحقيق الانتصار ومن ثم تعظيم وتخليد ذلك الانتصار .

بحلول العصر الأكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م) انبثقت سلطة سياسية منفصلة من المعبد مقرها (القصر الملكي) الذي يقابل سلطة المعبد الذي هو مقر السلطة الدينية ، ويتبع ذلك التحول لتغيير في الطاعة من طاعة الحاكم الذي هو ممثل السلطة الدينية إلى طاعة الملك الذي هو يمثل السلطة المدنية ، وكان واجب الشعب هو الخضوع للسلطة أينما كانت، وقد تزعم السلطة أول الأمر من قبل النظام الإداري الملكي (عهد الملك سرجون الأكدي) الذي فاقت شهرته الأفاق فقد أطلق على نفسه صفة القاهر الأعظم ، فضلاً عن ألقاب أخرى رافقت توحيد الدويلات الحاكمة إلى نظام واحد ، وبذلك أصبح الملك أعلى سلطة في البلاد ، وتمتع سرجون بدور سياسي متميز وبذلك ارتفع شأن السلطة السياسية على حساب السلطة الدينية ، ولعل هذا النظام زاد من أهمية القائد في ادارة شؤون البلاد على عكس

النظام السومري كان يعتمد على ما يصدر من الآلهة أولاً في ادارة الحكم ثم القائد أو الحاكم الذي هو ممثل لذلك الإله في مدينته .

وإذا اطلعنا على الفن الأكدي نجد أن قائد السلطة احتل مكانة مرموقة عمن سواه من خلال الحرص على تجسيده وفقاً للأسلوب المثالي في الكمال والسمو من حيث دقة وتقنية النحت والأداء والإخراج الفني لمعظم المنجزات التي توثقه ، وهو بكامل اناقته واحترامه ، إذ يستوقفنا نحت يُضن أنه للملك سرجون الأكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) وهو (رأس سرجون البرونزي) بملامحه وتفاصيل وجهه الطبيعية المتمثلة باللحية والعينين وعصابة الرأس وبقية تفاصيل الوجه [١٩].(ينظر الشكل ٤)

إن ظهور فكرة الملك في الفن الأكدي لم تتوقف إلى هذا الحد في تمثيل هيئة وصور الملك بأشكاله العديدة بل وصلت إلى تعظيم شأنه وسلطته وهذا ما نراه واضحاً في تعظيم سلطة الملك نرام سين (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م) وهو حفيد الملك سرجون ، عندما نراه واضحاً في مسلة النصر الأكدية التي توثق انتصاره على قبائل اللولوبيين الجبلية[٢٠] ، من خلال كثافة سرد الأحداث وتعدد الشخوص في المشهد الممثل ، إذ تتداخل الوحدات بعلاقات كانت نتيجة لترك الفضاء الأوسع للملك الممثل بشكل أكبر قليلاً من أقرانه وهذا خلق بدوره نظام متداخل متسلسل للأحداث ، فهنا المسلة تريد أن تبلغ عن وجود أمرين في انتشار وضخامة الحدث ، والشيء الثاني تقدم تسلسل منطقي للزمن الذي تجري فيه الأحداث من خلال التوسع في قدرة ايصال الدلالات عن طريق تلك الرموز البسيطة، وبذلك تكون دلالة الحركة أثناء صعوده على الجبل هي لغة فنية يمكن بها إيصال قيمة ذات مضمون ، وكون الحركة تتجه للأعلى (أي صعود الجبل) بمساعدة اشكال جانبية استعملها الفنان لتعزز وتؤكد الهدف المركزي للمضمون العام للمسلة التي تؤكد على أن المكان الذي كانت تجري فيه الأحداث هي منطقة جبلية ، أما الهدف المعنوي لهذا الموضوع يتضمن معنى أن الملك بشخصيته متواجداً أثناء المعركة هو العامل الرئيس في تحقيق النصر ، وهنا جاء دور صعود القائد أو الملك للجبل ، ما هو إلا تعبير عن عملية خلط الشعور بالقوة والرسوخ لشخصية الملك مع الوجود المكاني المتضمن قوة ورسوخ الجبل التي هي تعبير عن قوة تلك الشعوب التي واجهها الملك بنفسه وجيشه ، وبشكل عام قدم هذا المشهد للمتلقين شعور أو

إدراك معنوي وجغرافي في وقت واحد . فشخصية الملك شغلت قمة المسلة بحجم وحركة لها مركز السيادة ، فضلاً عن ارتداءه التاج المقرن الدال على القدسية (الإلوهية) كما حرص الفنان على اظهار الدقة في تمثيل حركة عضلات الأقدام والأيدي وبروزها بشكل نافر وتميزها بتشريح يقترب من المثالية، وإن شخصية الملك التي نفذها الفنان ربما أراد بها أن تُبلغ رسالة ذات مدلول خطابي بدلالة تناسب أجزاء الجسم الدالة على القوة والتأثير والدور القيادي المهم لشخصية الملك . إن الحروب والفتوحات في العصر الأكدي كانت تشكل عاملاً مهماً وكبيراً في تشكيل وتكوين شخصية الملك كونه قائداً لهذه المعركة بلباسه الحربي، فضلاً عن حجم المسلة الكبير ومادة حجرها الصلب ، فالمسلة كانت بمثابة وسيلة لتعظيم شخصية الملك نرام سين . (ينظر الشكل رقم ٥).

وبالانتقال الى العصر السومري الحديث (٢٢٢٥-٢٠٠٤ ق.م) يبدو ان ظهور الملك بهيئة تشبه الهيأة البشرية للآلهة والوقفة التعبدية وهذا ما ظهر جلياً في تماثيل الأمير كوديا(ينظر الشكل ٦). ومن العصر ذاته نعرض نموذجاً أخرا لصورة الملك بوصفه باني المعبد وجالب السلام ومشيد القنوات وهي مسلة اورنمو[٢١] وهو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) ، إذ يظهر في هذه المسلة وهو يقوم بأكثر من دور للحاكم أو الملك الصالح ففي الحقل الأول من المسلة يقوم بتحية الإله الجالس أمامه وربما يستلم منه شارات الحكم ، وفي الحقل الثاني يقوم بطقس السكب المقدس في حضرة الإله ننار/ سين إله مدينة أور ، أما الحقل الثالث فنجده يقوم بأعمال بناء معبد للإله ننار ، ونجد في هذه المسلة قد تداخلت المواضيع الدينية مع المواضيع السياسية بأسلوب تصويري بديع من قبل النحات مزج فيها العديد من الأفكار التي تنصب بدون أدنى شك لصالح الملك وتظهره على جانب مهم من أدارته لنظام الحكم (ينظر الشكل رقم ٧) .

ونجد الاتصال واضح بين الآلهة والملوك مستمرا سيما مع الملك حمورابي في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م.) ، في مسلته الشهيرة[٢٢] إذ تعرض الملك حمورابي واقفاً أمام الاله أوتو/ شمش (إله الحق والعدالة) الجالس ويستلم منه الحلقة والصولجان الرموز التقليدية للملوكية في بلاد الرافدين ، وهنا لا بد من الإشارة الى المكانة

التي كان بها الملك حمورابي مُمثلاً أمام الإله شمش وكانه في حجمه وينظر مباشرة إلى عين الإله شمش وربما يشير الى الشجاعة والقوة. (ينظر الشكل رقم ٨).

ومع تنامي التحول الفكري نحو مظاهر العظمة لدى الملوك الآشوريين قد بدأ واضحاً في المنحوتات الفنية الموجودة في عواصمهم الملكية والتي زينوا بها قصورهم الواسعة لتدل على عظمتهم وقوتهم ، مما كانت تؤدي هدفاً توثيقياً مهماً وتمثيل الأحداث الملكية ، فأصبح هدف الفن في هذه المرحلة توثيق وتعظيم الحدث الملكي، لذلك تم تنفيذ هيأة الملك بشكل طاغي على كل المشهد ، ولا سيما في تمثيل مشاهد الحروب ورحلات الصيد وكل ما يتعلق بشؤون المملكة الأخرى بل تعدى ذلك إلى تصوير مشاهد حصار المدن ودك أسوارها وتهجير سكانها ومشاهد الاحتفال بالنصر على أعداءهم ومشاهد تقديم القرابين وغيرها كثير، لذا قد استعمل الملوك الآشوريون وسائل عدة لتحرير رسالتهم السياسية وأساليب عدة في تلك الأعمال الفنية ومنها استعمال الحروب النفسية وكذلك استعمال أسلوب التشهير بالخصم(٢٣). وذات الشيء نراه متواصلاً على المنحوتات الآشورية التي تخلد الاحداث التذكارية للملوك ، وكان هدفها التأثير لدى المشاهدين لهذا الملك الفاتح وما يولده من رعب في نفوسهم واحتراماً لشخصيته ولأفراد حاشيته المرافقة للملك ، لذا نجد أكثر ما يزين جدران القصور الآشورية هي مشاهد توثيق أكثر الفعاليات الحربية ونشاطات الملك العمرانية ورحلات صيده وملاحقة الأسود والحيوانات المفترسة وغيرها ، فهي الأوسع انتشاراً وتداولاً على الألواح الحجرية التي تزين تلك القصور ، إذ يصور الملك مع حاميته في صراع مع عدد من الأسود التي ما زالت تمثل عنصر ورمز الموت والشر والفناء في الفكر الآشوري القديم ، ومن واجبات الملك القضاء عليها ليحافظ على ديمومة الحياة لأنه يمثل هذا الدور تخليداً لما كان سائداً في العصور الأقدم منه عهداً ، لذلك يتم عرض وتوثيق وتخليد لعظمة الملوك الآشوريين كفاتحين ومحررين وحامين للحياة ، كما تسجل هذه الألواح الحجرية بمواضيعها نشاطات الملوك كون الملك الرجل الأول في الدولة الآشورية .

تميز فن النحت (البارز والمجسم) في الألف الأول قبل الميلاد وأزدهر بموروثه الأصيل الذي استمر لقرون عدة سبقت هذا العصر ، ولكونه تمتع بوجود التقاليد الفنية السائدة في بلاد الرافدين بصورة عامة والتقاليد الفنية لبلاد آشور خاصة ، لأنه أرتبط بالحياة

الواقعية اليومية مركزاً على التفاصيل التي تخص الفرد وحياته الخاصة أي لم يكن للبعد السياسي من تأثير عليه أو له علاقة مباشرة به في تلك المرحلة من الزمن [٢٤] . لكن الأمر تغير كثيراً بعد ذلك عندما أخذت مهام الدولة الآشورية بالتوسع وتزايد سلطتها تدريجياً حتى بلغت الهيمنة الكاملة على جميع نواحي الحياة ، وأصبح الفن ذا طابع سياسي يحمل أفكار (ايديولوجية) خاصة [٢٥] . وبلغ فن النحت الآشوري أعلى مستوياته خلال الألف الأول قبل الميلاد ، لأنه تميز بامتلاك مميزات وسمات خاصة تفرد في توظيفها ضمن هذا الفن وتنوع الموضوعات ، بالقدر نفسه الذي يتعاطى مع وضع الحرب ، وبهذا أصبحنا بفضل النحت الآشوري نعرف الكثير عن الواقع السياسي للدولة الآشورية وكيفية ظهور ملوكها وطريقة تعاملهم مع الخصوم والأتباع ، فقد أعطتنا المنحوتات صورة عن شخصية الملك وبلاطه وما قدمته لنا من معلومات عن حياة الملوك ونشاطاتهم المختلفة في اثناء السلم والحرب [٢٦] ، كما ان المنحوتات اعطتنا معلومات غزيرة عن المقابلات الرسمية والدبلوماسية واقامة الحفلات وحملات الصيد وإداء الشعائر الدينية وما إلى ذلك ، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى اكمال الصورة الفنية لشخصية الملك وما اضافته النصوص المسمارية من واقع البيئة التي عاشها الملك وعائلته في المجتمع [٢٧] .

إن أهم ما يميز المواضيع المصورة على المنحوتات الفنية لملوك بلاد الرافدين خاصة ما يتعلق منها بالجانب السياسي هو عنصر المبالغة في اظهار شخصية الملك وهيأته واظهار قوته ضد الاعداء وطرق معاملة أعدائه ، إذ نجد بعض الملوك قد بالغوا في وضع ارقام خسائر الجانب المعادي لهم من عدد القتلى والأسرى ، ولم تتطرق تلك الأعمال الفنية والكتابية إلى ذكر خسائر الجيش الآشوري ، كما بالغ في سرد ألقاب الملوك وشجاعتهم وعظمتهم ، وغلب عليها جانب المبالغة وعدم الصراحة واحتفاظهم بالنصر في كل المعارك التي قاموا بها [٢٨] . يبدو أنهم كانوا يبغون من وراء ذلك الدعاية الإعلامية التي من خلالها عملوا على تثبيت أركان سلطتهم وبث روح الخوف والرهبة في نفوس أعدائهم وإخماد نار الثورات والعصيان ضد السلطة ، بدليل أن تلك المشاهد قد وضعت في الأماكن التي استعملت لاستقبال ضيوف الملوك الوافدين من الأقاليم التابعة لسلطتهم ، إذن هنا الحرب النفسية التي استعملوها ضد اعدائهم والتي بدت واضحة من خلال منحوتاتهم الحربية هي

نوع من الرسائل السياسية الاعلامية التي قصدوا من وراءها احداث تغير في السلوك العام لأعدائهم من خلال الهالة الكبيرة التي استعملوها في وصف قوتهم السياسية العسكرية ونتائجها الوخيمة على اعدائهم متى ما فكروا بالعدوان عليهم أو متى ما فكرت الأقوام أو المدن المنطوية تحت سلطتهم بالانفصال عن سياستهم المركزية [٢٩] .

في الوقت الذي اندفع فيه الآشوريين نحو الغلو في استعمال القوة والصرامة التي بدت واضحة في شخصية الملك وهيأته المنفذة على المشاهد الفنية ذات المضامين السياسية التي برزت بصورة واضحة خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) ، التي إذا ما قارناها مع المشاهد البابلية نجد أنهم قد ركزوا على الجانب العمراني وأولوه اهتماماً أكثر من الجانب السياسي ، فقصورهم لم تحمل على جدرانها تلك المشاهد السياسية التي ألفناها عند الآشوريين [٣٠] ، ولعل من بين الأسباب العديدة التي علل الباحثون ذلك هو انعدام الحجارة التي استعملها الآشوريين في البناء وصنع منحوتاتهم ، في حين بلاد بابل كانت تفتقر إلى تلك المواد الإنشائية وقد استعاضوا عنها بالآجر المعمول من الطين المفخور والمزجج [٣١] ، يضاف إلى ذلك أن مآثر الملوك البطولية في المعارك لم تعد تحتل المكانة الأولى لدى ملوك بابل ، بل جاءت أعمالهم في بناء المعابد واعمالهم الدنيوية في بناء القصور التي وجدوا فيها خير شفيع في تخليد ذكراهم [٣٢] .

إن التطورات السياسية في العصر الآشوري الحديث قد أثرت كثيراً على الفن ولا سيما في تنفيذ شخصية الملك وهيأته ، من خلال السعي إلى خلق مُثل عليا للرجولة ، وهذه المُثل تمثلت بالملك المنتصر والملك الأسطورة والملك القاهر والزوج القدير ، ففي كل اساليب الفنون إن كانت نحتاً بارزاً أو مجسماً ، فقد أكد الفنان الآشوري في تعبيره عن شخصية الملك وبطشه وقوته بشكل غير مألوف ، وهذا واضح في ابراز العضلات وتصفيف الشعر الطويل والكثيف ، وازياءه المعروفة ، مما تعرض الفن الآشوري إلى تغيرات هامة تبعاً لما كان يحدث في منطقة الشرق الأدنى القديم من تقلبات وتغيرات سياسية وعسكرية واجتماعية وحضارية ، غاية في الأهمية وهذا ما أدى إلى أن ينعكس بالفن من العصر الآشوري الوسيط وما بعده ، وقد تميزت الشخصيات في الفن بأنها مصاغة ومنفذة بشكل متراص والفراغات شُغلت برسوم اضافية ، أما فنون العصر الآشوري الحديث امتازت بصياغتها

الدنيوية ، إذ أنها لم تحفل بتمثيل الطقوس الدينية ، ولم تكن مسخرة للآلهة في تناولها المكانة الأولى ، فقد ظهر النحات في مجموعة مشاهد المنحوتات لا سيما الجدارية التي تغلف جدران قصور الملوك الآشوريين التي شهدت عظمة تلك الأعمال من حيث البناء الفني والتكوينات الدقيقة التي أظهرت براعة الفنان المتفردة باستعمال الإزميل في ذلك العصر ، وخصوصاً عندما نفذ شخصية الملوك وهيئتهم وملابسهم [٣٣].

كان فن النحت من أهم الفنون التي كانت تعبر عن الاحاسيس الفنية والمعتقدات الدينية والمنجزات السياسية ، والتي أبدع الفنان في صياغتها وتنفيذها ، ومن بين تلك الأعمال الفنية التي اخترناها لتكون شاهدة على ما ذكرناه اعلاه ، هو تمثال الملك شولمانو أشاريد (شلمنصر الثالث ٨٥٨- ٨٢٤ ق.م) [٣٤] الذي كشف الفنان عن ملامح الصرامة للملك الآشوري وعن شخصيته وكأنه مجرد من الأحاسيس الإنسانية ، ولما يعكس الإرادة الملكية ودورها في تفعيل السلطة بوقفته الراسخة التي ترمز إلى الشدة والصرامة في سمات الوجه ، كما يرمز إلى القوة والجبروت في شخصية الملك بدلالة استعمال نوع معين من الأحجار الصلبة ، والدليل على السمة البطولية الحربية له فقد رافقه عدد من رموز القوة مثل الصولجان والسيف الصغير المعقوف ، فقد جاءت للتدليل بعظمة هذه الشخصية بكونها تجسد ملكاً فاتحاً وبطلاً ومحارباً قوياً ، فضلاً عن المبالغة في تشريح الساعدين للدلالة عن القوة وعظمة هذه الشخصية كونه حاكماً سياسياً فذاً ومحارباً قوياً (ينظر الشكل رقم ٩).

ومثال آخر للملك نفسه فقد نحت على قاعدة من حجر الكلس وضعت في قصر الملك شلمنصر الثالث [٣٥]، إذ ظهر الملك مصافحاً للملك البابلي مردوخ زاكر شومي ، وإن هذا المشهد فريد من نوعه ، إذ أظهر الملكين وهما ندين متكافئين من حيث حجميهما المتساويين والطريقة التي تقدم كل منهما للآخر قبيل وأثناء التصافح [٣٦] (ينظر الشكل رقم ١٠)، يبدو أن المكانة الحضارية لبابل عند الملك الآشوري قد دفعت به إلى أن يوعز للفنان الآشوري الذي قام بنحت هذا المشهد أن يجعل منهما متكافئين أحدهما للآخر وهذا الأسلوب لم يكن معهوداً في الفن الآشوري [٣٧] ، ولعل هذا المشهد هو رسالة سياسية لمدينة بابل من أجل كسب ود سكان هذه المدينة ، وقد اقيم هذا المشهد أمام أنظار الجميع ويمكن عد هذا المشهد من المشاهد التي أسست لما هو متعارف عليه اليوم من تقليد اعلامي ودعائي ذا

طابع دبلوماسي ، والذي يحدث بحضور نخبة من الحضور والكتبة لتوثيق ما يدور من كلام بين الملوك ولغرض انجاز عمل سياسي وحضاري مهم [٣٨] .

لقد تميزت المنحوتات الآشورية بأنها تخلد الأحداث وهدفها توضيح عظمة الفاتح وما يولده من الرعب للزائرين وحاشيتهم المرافقة للملك ، لذا نجد أكثر ما يزين جدران القصور الآشورية هي مشاهد لتوثيق الفعاليات والأنشطة الملكية وكان أكثرها انتشاراً هي عملية صيد الحيوانات المفترسة كالأسود ، إذ يقدم الملك مع عدد من حاميته على صيد أو الدخول في صراع مع عدد من الأسود التي ما زالت تعد رمزاً للموت والشر ، ومن واجبات الملك هو القضاء عليها تيمناً وتخليداً للملوك والحكام السابقين ، وكذلك تخليداً لعظمة الملك الآشوري بأنه حامي لبلاد آشور ، كما سجلت هذه الألواح الحجرية العديد من موضوعات مشابهة لهؤلاء الملوك الآشوريين وكونه الشخص الأول في الدولة الآشورية [٣٩] (ينظر الشكل رقم ١١) .

لقد استعمل الملوك الآشوريين الدعاية الدينية للحصول على مكاسب سياسية ، فقد عثر على نحت بارز يعود للملك آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) تمثل مشهد يصور شخصية الملك نفسه وهو في لباسه الملكي ، وقد حمل على رأسه سلة مملوءة بالتراب للقيام بطقس وضع اللبنات الأولى التي استعملت في بناء معبد الإيساكيلا في مدينة بابل [٤٠] ، ويبدو من خلال هذا المشهد أن الملك الآشوري قد استعمل الدعاية المبطنة بالنوايا السياسية من أجل أن يتقبل الناس حكمه عليهم ، لذا فقد وجدناه قد قلد العرف الشائع عند ملوك بلاد الرافدين القدماء المتمثل باعمال الملوك العمرانية لا سيما في الجانب الديني وهو عمل محبب عند الملوك الذين عرفوا بنزعتهم الدينية ، والتي طغت على جميع فعالياتهم اليومية[٤١] (ينظر الشكل رقم ١٢).

أما في العصر البابلي الحديث (عصر الدولة الكلدانية) [٤٢] (٦٢٤ – ٥٣٩ ق.م) ، نرى شخصية الحاكم أو الملك متمثلة بالملك نبونائيد ، اذ نراه واقفاً بشكل جانبي ويعلو رأسه غطاء مخروطي الشكل ، ويمسك بيده عصا طويلة تصل حتى ارتفاع راسه ويرتدي ثوبا طويلا ينسدل فوقه ثوب اقصر مفتوح طولياً ويضع في جانبه سيفا قصيرا[٤٣] . ويبدو ان

الملك ظهر بصفته غير العسكرية وانما الملكية وكانه في حالة استقبال وتحية لشخص ما[٤٤]. (ينظر الشكل رقم ١٣).

الاستنتاجات

إن النماذج المنتخبة التي استعرضناها في هذا البحث لملوك بلاد الرافدين قد ألقت الضوء على الجانب السياسي وما مدى تأثيره على حياتهم ، ونلاحظ من خلال هذه الأعمال الفنية أنهم ركزوا على شخصية الملوك والحكام إما عن طريق اضفاء الصبغة الدينية على منحوتاتهم من اجل تحقيق غاياتهم أو اضفاء الصبغة العسكرية والسياسية ليستعملوها أداة ضغط على الشعوب التابعة لهم من أجل تثبيت سلطاتهم واستمالتهم لتقبل تلك السلطة ، وهكذا توصلنا إلى جملة نتائج كان من أهمها :

١- إن النحت في جميع العصور الحضارية في بلاد الرافدين كان في بدايته لا يخضع إلى السلطة السياسية ، بل كان مطاوعاً لما تخدمه المصالح المشتركة ، ولكن بعد ذلك تم اخضاع النحت والفنون الأخرى إلى سلطة الملك والحاكم بشكل عام لتخدم مصلحة معينة .

٢- إن الفن السومري الذي تميز بإظهار شخصية الملك بحجم أكبر من المعتاد لما كان يتمتع به من مكانة دينية وسياسية في آن واحد ، وامتلاكه صفة التقديس الإلهي ولكن هو أقرب منه إلى البشر ، ربما كان دال على القدسية لهذه الشخصية القيادية.

٣- كان الفن الأكدي هو عملية استمرار للفن السومري الأقدم منه عهداً ، ولكن أضفت على شخصية الملك الكثير من الدقة في عملية النحت واظهار الملامح الواضحة التي تظهر الشخصية الصارمة والحازمة والمحاربة لهؤلاء الملوك .

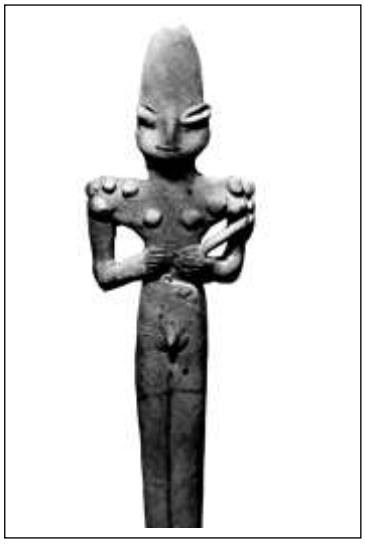
٤- نشاهد العكس أثناء تمثيل شخصية الحاكم أو الملك في العصر السومري الحديث ، لأن الملوك كانوا يتمتعون بالصفة الدينية أكثر من كونه دنيوياً ، لأن شخصيته اتصفت بالهيأة التعبدية أقرب منها إلى شخصية المحارب ، وربما يُعزى ذلك إلى أن الملوك السومريين في العصر السومري الحديث لم يكن لهم انجازات حربية كثيرة مع الممالك المجاورة .

٥- ترجع الحالة إلى تمثيل شخصية الملك في العصر البابلي القديم ، إلى أقرب لشخصية الملك السياسي المحنك والقيادي الذي تظهر كل سمات القيادة والحكمة والملوكية على شخصيته ووقفته وملابسه وهيأته ولا سيما ما نراه واضحاً في شخصية الملك حمورابي .

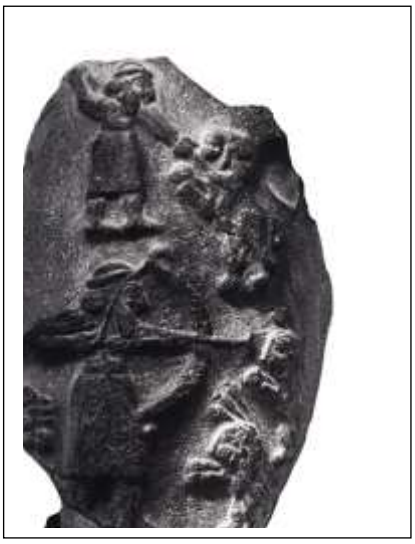
٦- أما النحت الآشوري بشكل خاص في العصر الآشوري الحديث لم يكن منقطعاً عن التقاليد الفنية التي سادت في بلاد الرافدين ، فهو وليد عوامل متعددة ساهمت في بلورة الواقع السياسي لبلاد آشور والسياسات المتبعة مع البلدان المجاورة التي هيمنت عليها .كما أن أهمية الفن الآشوري لا تنحصر في قيمته الفنية والجمالية بل في ما قدمه من معلومات تاريخية مهمة لا يتسنى الحصول عليها من مصادر أخرى ، أو جاء مطابقاً أو مؤيداً لما قرأناه في النصوص المسمارية . وان خضوع الفن الآشوري لهيمنة الدولة جعل وظيفته الأساسية خدمة البلاط الملكي من خلال ما قدمه الفن من دعاية وتوثيق وترويج لنشاطات الملوك واعمالهم سواء السياسية أو الحربية أو السلمية (العمرانية والإروائية والصيد) ، وقد ركز الفنان على ابراز شخصية الملك وهيئته المبالغ فيها في تنفيذ جسد الملوك وابراز عضلاته وملابسه الفاخرة إن كانت حربية أو رسمية .

٧- علينا أن نوجه اهتمام الدارسين بهذا الإرث الحضاري من خلال دراسة وتفحص ما ضمته النتاجات الفنية (سواء نحت أو أختام أو أي شكل من أشكال الفنون الأخرى) لتظهر تلك الدلالات التاريخية والفنية ، وربما تساهم في الكشف عن الكثير مما غظت الأنظار عنه ولكي نصل من خلال ذلك إلى ابعاد هذا التاريخ وما ضمه من عمق حضاري كبير .

صور الأشكال



شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)



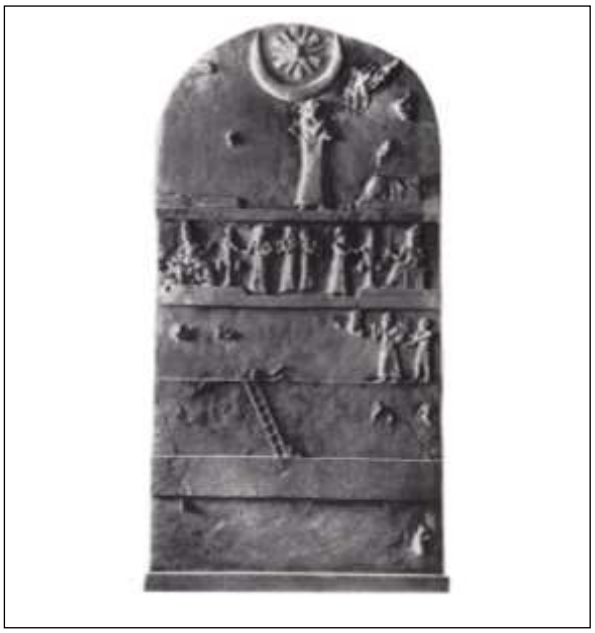
شكل رقم (٤)



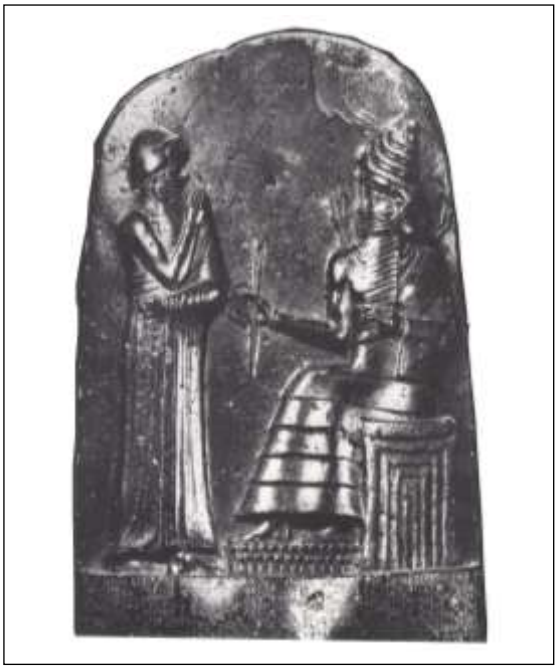
شكل رقم (٥)



شكل رقم (٦)



شكل رقم (٧)



شكل رقم (٨)



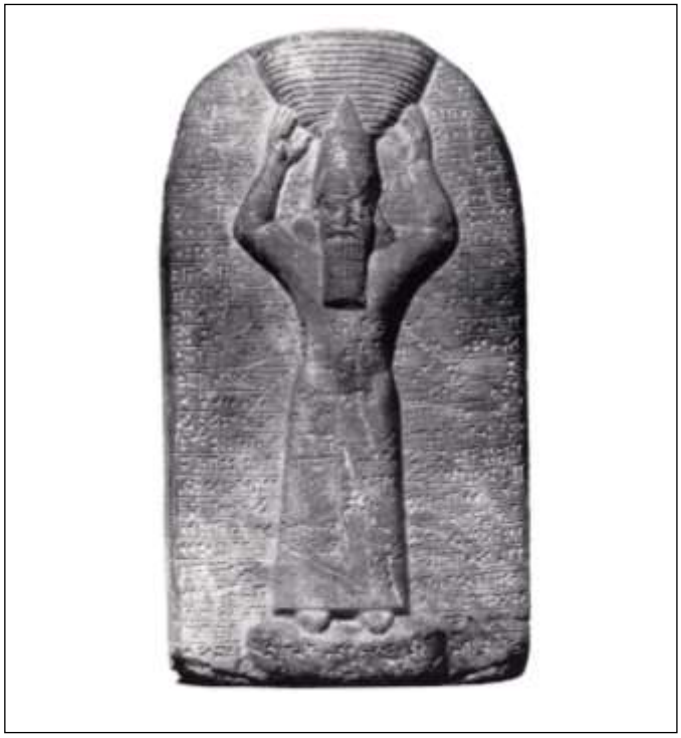
شكل رقم (٩)



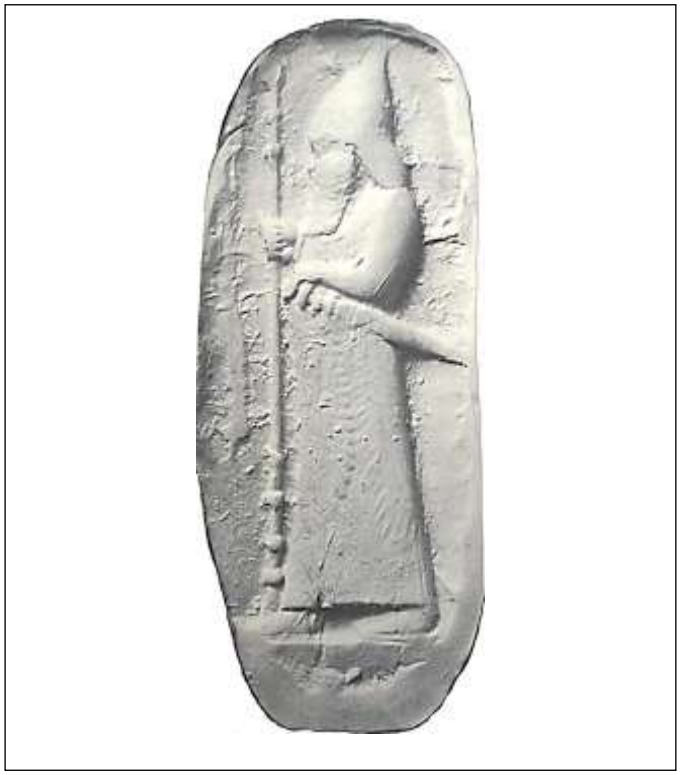
شكل رقم (١٠)



شكل رقم (١١)



شكل رقم (١٢)



شكل رقم (١٣)

هوامش البحث :

[١] أحمد مالك الفتيان ، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد:١٩٩١) ، ص ٧-١٠ .

[٢] سعدون عبد الهادي برغش الأمير ، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (بغداد:٢٠١٠) ، ص ٣٤ .

[٣] طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، (بغداد:١٩٧٣) ، ص ٥٠ .

[٤] طه باقر وعامر سليمان وفاضل عبد الواحد ، حضارة وادي الرافدين ، ج ٢ ، (بغداد:١٩٨٠) ، ص ٥١ .

[٥] عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ، (بغداد:١٩٧٨) ، ص ٨٢-٨٣ .

[٦] نجد تفاصيل نظام الديموقراطية البدائية في اثنين من الأعمال الأدبية وهي ملحمة كلكامش ، وملحمة كلكامش وأكا حاكم مدينة كيش للمزيد ينظر : عامر سليمان وفاضل عبد الواحد ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (الموصل:١٩٧٩) ، ص ٤٦-٤٧ .

[٧] طه باقر وعامر سليمان وفاضل عبد الواحد ، حضارة وادي الرافدين ..... ، ص ٤٨ .

[٨] عامر سليمان واحمد مالك الفتيان ، محاضرات ..... ، ص ٨٣ .

[٩] هاري ساكز ، عظمة بابل ، تر: عامر سليمان ، (الموصل : ١٩٧٩) ، ص ٣٩٩ .

[١٠] طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، (بغداد : ١٩٧٣) ، ص ٢٨٨ .

[11] بعض الملوك أدعوا أنهم من نسل الآلهة وكان من بينهم الملك (سرجون الأكدي ، وشولكي ، آمارسين) للمزيد ينظر : جورج رو ، العراق القديم ، تر: حسين علوان ، (بغداد : ١٩٨٤) ، ص ٢٣٧ .

[12] هاري ساكز ، عظمة بابل ..... ، ص ٤١٥ .

[13] نجد هذا الموضوع شاعاً جداً على الأعمال الفنية وخاصة الأختام الاسطوانية ابتداءً من عصر أور الثالثة وما بعده .

[14] هاري ساكز ، عظمة بابل ..... ، ص ٤١٢ .

[15] إيفا كانجيك كيرشباوم ، تاريخ الآشوريين القديم ، ترجمة : فاروق اسماعيل ، (سوريا:٢٠٠٨) ، ص ٦٧ وما بعدها .

[16] ارنولد توينبي ، تاريخ البشرية ، ج ١ ، ترجمة : نقولا زيادة ، (بيروت:١٩٨١) ، ص ٧٥ .

[17] عملت المسلة من حجر البازلت الأسود ، محفوظة في المتحف العراقي ، عثر عليها في مدينة الوركاء ، يبلغ أرتفاعها ٨٠سم ، ينظر : مورتكارت ، انطون ، الفن في العراق القديم ، تر: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد :١٩٧٥) ، ص٣٩ ، اللوح ١٤.

[18] عملت المسلة من الحجر الرملي وارتفاعها ١,٨٠سم وعرضها ١,٣سم للمزيد ينظر: أنطون ، مورتكارت ، الفن في ..... ، ص١٤٧ ، الألواح ١١٨-١٢١ .

[19] عثر عليه في مدينة نينوى ، الارتفاع ٣٦سم ، محفوظ في المتحف العراقي ، للمزيد ينظر : انطون ، مورتكارت ، الفن في .... ، ص١٧٧، اللوح ١٥٤.

[20] المسلة معمولة من حجر رملي ضارب للحمرة ، ارتفاعها٢م ومحفوظة في متحف اللوفر بباريس ، للمزيد ينظر : مورتكارت ، أنطون ، الفن في ..... ، ص١٧٩ ، اللوح ١٥٥.

[21] عثر على المسلة في معبد الإلهه اينانا عشتار في مدينة اور ، المسلة معمولة من حجر كلسي ، ارتفاعها بعد تجميعها ٣م ، محفوظة في متحف جامعة بنسلفانيا في فيلاديفيا ، للمزيد ينظر : أنطون ، مورتكارت ، الفن في ..... ، ص٢٢٩ ، اللوح ١٩٤.

[22] عثر على المسلة في مدينة سوسه ، معمولة من حجر الديورايت الاسود ، ارتفاع الجزء المنحوت فقط ٦٥سم ومحفوظة في متحف اللوفر بباريس ، للمزيد ينظر : انطون مورتكارت ، الفن في .... ، ٢٦٥، اللوح ٢٠٩.

[23] إيفا كانجيك كيرشباوم ، تاريخ الآشوريين القديم ، تر: فاروق اسماعيل ، (سوريا : ٢٠٠٨) ، ص ٦٧ وما بعدها .

[24] أكرم محمد عبد كسار ، النحت العراقي في عصري فجر التاريخ وفجر السلالات ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٧ ، (بغداد : ١٩٩٢) ، ص ١١٢ .

[25] للمزيد عن النماذج الفنية ذات الطابع السياسي ينظر : أنطوان مورتكارت ، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد : ١٩٧٥) ، ص ٣١٥ .

[26] هالة عبد الكريم سليمان الراوي ، المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تاريخية فنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل : ٢٠٠٣) ، ص ١٧٨ وما بعدها .

[27] سيتن لويد ، فن الشرق الأدنى القديم ، تر: محمود درويش ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص ٢٦ .

[28] سامي سعيد الأحمد ، كتابة التاريخ عند الآشوريين خلال عصر السلالة السرجونية ، مجلة سومر ، ج ١ ، مجلد ٢٥ ، (بغداد : ١٩٦٩) ، ص ٤٨ .

[29] Tenen , M.A. , The Ancient World , (London:1937) , p.85 .

[30] جورج رو ، العراق القديم ، تر: حسين علوان ، (بغداد : ١٩٨٤) ، ص ٥٢٦ .

[٣١] ائاري خليل المنمني ، أهم العناصر المعمارية في أبنية العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل : ٢٠٠٥) ، ص ٧٨ .

[٣٢] هديب حياوي غزالة ، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد : ١٩٨٩) ، ص ٢٠٤ .

[٣٣] أنطوان مورتكارت ، الفن في العراق ..... ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

[٣٤] شولمانو أشاريد (شلمنصر الثالث) هو رابع الملوك الآشوريين الذين حكموا في العصر الآشوري الحديث وهو من أبرز القادة والسياسيين الآشوريين على مدى تاريخ الدولة الآشورية ، للمزيد عنه ينظر : حسين يوسف حازم ، الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل) ، ص ١١-١٥ .

[٣٥] تقع بقايا ذلك القصر في مدينة النمرود (كالخو) للمزيد عنه ينظر : ميسر سعيد ، نمرود ، (بغداد:١٩٧٦) ، ص ٨ .

[٣٦] يوسف خلف الفهداوي ، المدلولات السياسية والعسكرية في مشاهد استقبال الوفود الملكية والحكام في بلاد الرافدين ، مجلة الآداب ، العدد ٦٣ ، (بغداد : ٢٠٠٢) ، ص ٥٠٤ .

[٣٧] نجد على المنحوتات الآشورية ظهور أنداد الملوك الآشوريين بأحجام صغيرة ربما الهدف منها التصغير والتقليل من شأن أولئك الملوك والاستهزاء بهم .

[38] Grayson , Royal Inscription of Mesopotamia Assyrian Periods , (Toronto :1996) , p.130 .

[٣٩] ايلاف سعد علي البصري ، وظيفة الابلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة – دراسة تحليلية مقارنة ، (بغداد : ٢٠٠٨) ، ص .

[٤٠] معبد الإيساكيلا : وهو معبد الإله مردوخ في مدينة بابل للمزيد عن الموضوع ينظر : ..... .

[41] Porter ,B.N. , Trees, Kings and Politics , (2003) , plate no.11 .

[٤٢] للمزيد عن الحالة السياسية والتاريخية للعصر البابلي الحديث ينظر : هديب حياوي غزالة ..... ص ٢٠٤ .

[٤٣] عثرت البعثة الامريكية العامة في مدينة نفر برئاسة مكواير جبسون ، على قالب طيني مفخور للمزيد ينظر : مؤيد سعيد ، "صورة حديثة لنابونائيد ملك بابل " ، مجلة سومر ، ج١-٢، مج ٣٤، (بغداد:١٩٨١) ، ٦٧.

[٤٤] المصدر نفسه ، ص٦٧.

قائمة المصادر :

١- أحمد مالك الفتيان ، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد:١٩٩١) .

٢- ارنولد توينبي ، تاريخ البشرية ، ج ١ ، ترجمة : نقولا زيادة ، (بيروت:١٩٨١) .

٣- أكرم محمد عبد كسار ، النحت العراقي في عصري فجر التاريخ وفجر السلالات ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٧ ، (بغداد : ١٩٩٢) .

٤- أنطوان مورتكارت ، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد : ١٩٧٥) .

٥- ائاري خليل المنمني ، أهم العناصر المعمارية في أبنية العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل : ٢٠٠٥) .
٦- إيفا كانجيك كيرشباوم ، تاريخ الآشوريين القديم ، تر: فاروق اسماعيل ، (سوريا : ٢٠٠٨) .
٧- إيفا كانجيك كيرشباوم ، تاريخ الآشوريين القديم ، ترجمة : فاروق اسماعيل ، (سوريا:٢٠٠٨) .
٨- ايلاف سعد علي البصري ، وظيفة الابلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة – دراسة تحليلية مقارنة ، (بغداد : ٢٠٠٨) .
٩- جورج رو ، العراق القديم ، تر: حسين علوان ، (بغداد : ١٩٨٤) .
١٠- حسين يوسف حازم ، الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل) .
١١- سامي سعيد الأحمد ، كتابة التاريخ عند الآشوريين خلال عصر السلالة السرجونية ، مجلة سومر ، ج ١ ، مجلد ٢٥ ، (بغداد : ١٩٦٩) .
١٢- سعدون عبد الهادي برغش الأمير ، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (بغداد:٢٠١٠) .
١٣- سيتن لويد ، فن الشرق الأدنى القديم ، تر: محمود درويش ، (بغداد : ١٩٨٨) .
١٤- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، (بغداد : ١٩٧٣) .
١٥- طه باقر وعامر سليمان وفاضل عبد الواحد ، حضارة وادي الرافدين ، ج ٢ ، (بغداد:١٩٨٠) .
١٦- عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ، (بغداد:١٩٧٨) .
١٧- عامر سليمان وفاضل عبد الواحد ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (الموصل:١٩٧٩) .
١٨- مورتكارت ، انطون ، الفن في العراق القديم ، تر: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد :١٩٧٥) .
١٩- مؤيد سعيد ، "صورة حديثة لنابونائيد ملك بابل " ، مجلة سومر ، ج١-٢، مج ٣٤، (بغداد:١٩٨١) .
٢٠- ميسر سعيد ، نمرود ، (بغداد:١٩٧٦) .
٢١- هاري ساكز ، عظمة بابل ، تر: عامر سليمان ، (الموصل : ١٩٧٩) .
٢٢- هالة عبد الكريم سليمان الراوي ، المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تاريخية فنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل : ٢٠٠٣) .
٢٣- هديب حياوي غزالة ، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد : ١٩٨٩) .
٢٤- يوسف خلف الفهداوي ، المدلولات السياسية والعسكرية في مشاهد استقبال الوفود الملكية والحكام في بلاد الرافدين ، مجلة الآداب ، العدد ٦٣ ، (بغداد : ٢٠٠٢) .
25- Grayson , Royal Inscription of Mesopotamia Assyrian Periods , (Toronto :1996) .
26- Porter ,B.N. , Trees, Kings and Politics , (2003) .
27- Tenen , M.A. , The Ancient World , (London:1937) .

.

سياسة الولايات المتحدة الامريكية
تجاه الملف النووي الإيراني

أ.م.د. الاء حمزة شناوة دويلي
أ.م.د. علاء جابر موسى
جامعة بغداد\ كلية التربية-ابن رشد- للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الملف النووي الإيراني

أ.م.د. الاء حمزة شناوة دويلي

أ.م.د. علاء جابر موسى

الملخص

كرِّسَ الموضوع لبيان السياسة الامريكية تجاه تطورات الملف النووي الإيراني ومايشكله من تهديد لتلك السياسة وتحالفاتها لاسيما في الشرق الاوسط.

تهدف الدراسة الى تسليط الضوء على الأستراتيجية التي اتبعتها الولايات المتحدة وكيفية تعاملها مع الملف النووي الإيراني ايجابياً قبل ثورة ١٩٧٩ وسلباً بعدها حتى الوقت الحاضر واصبحت عدوه اللدود.

بينت الدراسة طبيعة تعامل الإدارة الامريكية مع تطورات ذلك الملف لاسيما بعد عام ٢٠٠٢ بكشف المعارضة الإيرانية لحيثيات البرنامج النووي الإيراني، والطرق التي قد تتعبها الولايات المتحدة في سياستها تجاه ذلك الملف وايهما ارجح في الوقت الحاضر والمسستقبل.

تضمنت خطة البحث خمس محاور وخاتمة، تحدث الأول عن دور الولايات المتحدة الامريكية في نشاة الملف النووي الإيراني. وتناول الثاني سياسة الولايات المتحدة والملف النووي الإيراني بعد ثورة عام ١٩٧٩. وخصص الثالث لبيان دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الملف النووي الإيراني وقرارات مجلس الأمن الدولي. وتحدث الرابع عن اتفاق جنيف المبدئي ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣. اما الخامس فقد تناول اتفاق لوزان ١٤ تموز ٢٠١٥. واختتمت الدراسة بأهم السبل التي قد تنتهجها الولايات المتحدة الامريكة تجاه الملف النووي الإيراني بعد أنسحابها منه في ٨ ايار ٢٠١٨.

UNITED STATE POLICY TOWARD THE IRANIAN NUCLEAR FILE

Assistant professor Dr. Alaa Hamza Dwelee

Assistant professor Dr. Alaa Jaber Musa

Abstract

The research paper highlighted the United States policy toward the Iranian nuclear files and its threat against the U.S. Policy in the Middle East.

The study explained the strategy of the United States and how it dealt with the Iranian nuclear files in a positive way before the revolution of 1979 and a negative way till now.

It is also discussed how the American Administration dealt with the development of Iranian Nuclear file, especially after the Iranian opposite power

reveled the details of the program in 2002, and what they ways it used to deal with that file, and which of these way, are most likely to happen nowadays or in the future

The research consisted of five chapters and a conclusion. First chapter talked about the role of the United States played in establishing the Iranian nuclear program. The second one discussed United States policy, and the Iranian nuclear file after 1979 revolution. The third one talks about the role of the International Atomic Energy Agency played in the Iranian nuclear file, and the decisions of the United Nation, Security Council. The fourth chapter talked about the Geneva Accord on November 24th, 2013. The fifth chapter talked about the Lausanne Agreement on July 14th 2015. This research concluded with the most important ways the US can fallow to deal with the Iranian nuclear file after the withdrawal from it on May 18th, 2018.

اولا: دور الولايات المتحدة الامريكية في نشاة الملف النووي الإيراني

عدت الولايات المتحدة الامريكية إيران جبهة من جبهات الحرب الباردة في صراعها مع الاتحاد السوفيتي في عهد محمد رضا شاه بهلوي (١٩٤١-1979)، لاسيما بعد الاطاحة بمحمد مصدق – رئيس وزراء إيران (١٩٥١-١٩٥٢)-(١٩٥٢-١٩٥٣)- وتجربته الأنقلابية وتأميمه للنفط الإيراني، من قبل المخابرات الامريكية.[1] لذلك توطأت علاقتها بإيران وسعت الى أن تجعلها دولة نووية ودعمتها في هذا الاتجاه، بعد رغبة محمد رضا شاه تحويل إيران الى قوة اقليمة ضاربة للتوغل السوفيتي في المنطقة. فبدأت منذ منتصف الخمسينيات عرى التعاون بين الطرفين ووقعت إيران عام ١٩٥٧ مع الولايات المتحدة اتفاقية التعاون النووي في المجالات السلمية والمدنية صلاحيتها عشرة سنوات.[2] حصلت إيران بموجبها على مساعدات نووية وعلى كيلوغرمات عدة من اليورانيوم المخصب.[3] وفي عام ١٩٥٩ أنشأت إيران مركزاً للبحوث النووية في جامعة طهران، وخطط الشاه لشراء مفاعل أبحاث تقدر طاقته بخمسة ميجاوات من الولايات المتحدة لدعم مركز طهران للبحوث النووية. وبعد أنتهاء صلاحية اتفاقية التعاون النووي أقدمت الولايات المتحدة على تجديدها في عام ١٩٦٩ لعشر سنوات أُخَر.[4] ووصل عدد الخبراء والمستشارين الأمريكيين في إيران الى مايقارب اربعون الف.[5]

لم تنفرد الولايات المتحدة بمساعدة إيران لتطوير برنامجها النووي، اذ سعت كل من ألمانيا وفرنسا الى ذلك، فبعد أن عقدت الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ اتفاقية لتزويدها بالوقود النووي، اقدمت ألمانيا على ذلك عام ١٩٧٦ وفرنسا عام ١٩٧٧. وقامت إيران بشراء ١٠% من أسهم معمل يورويف Eurodif لتخصيب اليورانيوم من محطة تريكازتين Tricastin في بايغليت – دغوم Pierrelatte in Drôme بفرنسا.[6] وتمكنت إيران بعد التفاوض مع تلك الدول من شراء عشرة مفاعل نووية بتكلفة تقدر ٣٠ بليون دولار، وتدريب الإيرانيين في هذا المجال. واتفق جيمي كارتر Jimmy

Carter – الرئيس الامريكي (١٩٧٧-١٩٨١)- مع شاه إيران على شراء ٦-٨ مفاعلات نووية تعمل بالماء الخفيف.[7]

لم تكن تلك الدول بذلك الدعم غير المحدود لبرنامج إيران النووي تعلم أن السحر قد ينقلب على الساحر ولم تكن تتوقع أن العقد الإيراني سينفرط من بين يدها بقيام ثورة على نظام محمد رضا شاه بهلوي.

ثانياً: الولايات المتحدة والملف النووي الإيراني بعد ثورة عام ١٩٧٩

بعد أن أندلعت الثورة الاسلامية في إيران وبلغت أوجها في نهاية عام ١٩٧٨ وتوجه الشاه الى الولايات المتحدة ، تسلم أصحابها أمور البلاد في ١١ شباط ١٩٧٩.[8] حمل القائمون عليها الولايات المتحدة عبء مشاكلهم بصفتها الداعم الرئيس للشاه، فشنَّ مجموعة من الطلاب هجوما على السفارة الامريكية في طهران، الأمر الذي خلف بيئة من العداء بين حكومة الثورة الجديدة وبين الولايات المتحدة، وأقدم جيمي كارترعلى فرض عقوبات اقتصادية على إيران في ذات الشهر، جمد بموجبه نحو ١٢ مليار دولار من الأصول الإيرانية بما في ذلك الودائع المصرفية والذهب.[9] كانت هذه هي البداية التي أنطلقت منها العقوبات على إيران، وتبعتها عقوبات عدة الى يومنا هذا كانت سبباً في عزلة إيران وجعلت البلدين على طرفي نقيض.

كان البرنامج النووي قبل الثورة في طريقه الى الاكتمال وبمساندة الدول الغربية وفي مقدمتهم الولايات المتحدة. الا أنه وبعد ذلك العداء لايمكن أن يواكب تقدمته بمباركة امريكية. فما السياسة التي اتعبتها الولايات المتحدة تجاهه بعد سقوط نظام الشاه؟ وما موقف القائمين على الحكم في إيران من ذلك البرنامج؟

اتسمت سياسة الحكومة الإيرانية تجاه ملفها النووي بعد الثورة بالكيل بمكيالين، يكمن الاول: أن تظهر للمجتمع الدولي أنها لاتعيير أهمية له، لاسيما أنها دخلت في حرب مع العراق لمدة ثماني سنوات (١٩٨٠-١٨٨٨)، وأصدر اية الله خميني بهذا الصدد فتوى يمنع فيها أنتاج الاسلحة النووية وهي ضد مبادئ الثورة الاسلامية.[10] أما الثاني: أن تسعى الى تطوير ذلك البرنامج سراً، فقد أدركت إيران أن هدف الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الحد من نفوذها خوفاً على مصالحها في المنطقة، وأشار في هذا الصدد مستشار أية الله الخميني في ايار ١٩٧٩ الى مستشار الطاقة الدكتور فريدن فشاركي Feridun Fesharaki "**من واجبكم صنع قنبلة نووية للجمهورية الاسلامية**" [11] فضلا عن سعيها الى اكمال بناء مفاعلها في بوشهر بعد أنسحاب ألمانيا منه في تموز ١٩٧٩، بعد أن أنجزت ٥٠% منه و٥٨% في مفاعل أخر، الذي طلبته إيران من الولايات المتحدة، والاخيرة بدرورها أوقفت إمداد وقود اليورنيوم العالي التخصيب(HEU) highly enriched uranium لمفاعل طهران للأبحاث.[12]

طوال حقبة الثمأنينيات بحثت إيران عن شركات تساعدها في اكمال مفاعل بوشهر وأبدى عدد منها، مثل الارجنتين واسبانيا وايطاليا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا رغبتهم بهذا العمل،[13] الا أن الضغوط الامريكية حالت دون ذلك. فأتجهت أنظار إيران نحو الشرق ووجدت ضالتها في الصين، التي اقدمت في عام ١٩٨٤ على مساعدتها في أنشاء مركز للابحاث النووية في أصفهان. [14]

زاد إصرار إيران على تطوير برنامجها النووي بعد الضربة التي تعرضت لها من العراق أثناء الحرب العراقية – الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) في اذار ١٩٨٤، فأدرك قادتها وعلى رأسهم علي اكبر هاشمي رفسنجأني[15] ضرورة ذلك وقام بنفسه بالاشراف على تطوير البرنامج النووي.[16] فأنصب نشاط المنظمة النووية الإيرانية والحكومة من ورائها على تدريبب العلماء الإيرانيين والسعي للحصول على اليورانيوم المخصب ولم يكن أمامها الا الصين وروسيا وباكستان، الذين كانوا جاهزين لتبني اكمال تطوير برنامجها، فأتفقت مع باكستان والصين للتعامل في المجالات العسكرية النووية وتزويد إيران بمفاعل نيوترون Neutron بقدرة ٢٧ كيلوواط ومفاعلين من نوع كونيشان Konishan بقدرة ٣٠٠ كيلوواط.[17] كل ذلك أثار شكوك الغرب، فقد ذكرت مجلة جينس دفينس Jane's Defense الاسبوعية أن مخابرات ألمانيا الغربية تقدر قدرة إيران على امتلاك قنبلة نووية في غضون عامين.[18]

زاد اصرار إيران على تطوير برنامجها النووي بعد القصف العراقي الثاني والثالث في شباط واذار ١٩٨٥ على التوالي، لمفاعلها في بوشهر. فوقعت في تشرين الثاني من ذات العام اتفاقاً مع مقاول أجنبي لم يكشف عن اسمه لعمل محطة تحلية مياه عذبة لأستخدامها في محطات نووية. وفي كانون الاول وقعت اتفاقاً مع الارجنيتين لتزويدها ٢٠% من اليورنيوم المخصب.[19] وفي عام ١٩٨٦ أبرمت اتفاقاً مع باكستان تضمن تقديم مساعدات في مجال تدريب العلماء الإيرانيين على ابحاث التخصيب واستخدام الليزر في استخلاص البلوتونيوم في مختبرات كاهوتا Kahuta واستقبلت علماء إيرانيين لغرض تدريبهم في معهد العلوم والتكنلوجيا والدراسات النووية الباكستانية.[20] وفي ذات العام أبرمت مع الارجنتين اتفاقاً للحصول على اليورانيوم المخصب لمفاعل طهران التجريبي، ثم كان الاتفاق في سنتي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ مع جنوب أفريقيا للحصول على كميات من اليورانيوم. أما في اذار ١٩٩٠ وقعت مع الاتحاد السوفيتي بروتكولاً لبناء مفاعلين نووين، في المقابل توفر إيران ثلاثة مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعي، فضلا عن تعاون البلدين في مجال الابحاث النووية. أما في عام ١٩٩١ ابرمت عقداً مع الصين استلمت بموجبه مايقارب ١٠٠٠ كغم من غاز سداسي فلوريد اليورانيوم Uranium Hexafluoride ، ذي الاستعمال المزدوج مدني وعسكري و ٤٠٠ كغم من مادة اليورانيوم الخام المكثف. وفي العام التالي ابرمت اتفاقاً مع روسيا وصل اليها بموجبه اكثر من ١٠٠ خبير روسي لبناء مفاعل للماء الخفيف أنجز اول مفاعل نووي في بوشهر لتوليد ٤٠-٥٠ ميغاوات خلال أربعة اعوام [21].

أثارت تلك الجهود الإيرانية في تطوير برنامجها النووي شكوك الولايات المتحدة على الرغم من توقيع إيران في ٢٥ أيلول ١٩٩٦ معاهدة الحظر الشامل للتجارب Comprehensive Test Ban Treaty، [22] لاسيما بعد استيرادها لمواد ذات استعمال مزدوج مدني وعسكري، فقد أعرب مسؤولون امريكان عن قلقهم من استيرادها سداسي فلورايد اليورانيوم، لذلك بدأت سياستها تجاه برنامج إيران النووي تسير بأتجاهين، أولها: فرض العقوبات الاقتصادية، ونفذ بموجب إصدار الكونكرس "**قأنون العقوبات على إيران وليبيا لعام ١٩٩٦**" **"Iran and Libya sanctions Act of 1996 (ILAS)**"، [23] الذي بموجبه فرضت عقوبات على الشركات التي تتعامل مع إيران، ثم تغير هذا القانون في ٣٠ كانون الاول ٢٠٠٦ الى "**قانون العقوبات الإيراني**" **"Iran sanction Act (ISA)"**. [24] ثانياً: ممارسة الضغوط على الدول والشركات التي تتعامل مع إيران، وفي مقدمتها الصين عام ١٩٩٦ لمنع بيعها تكنلوجيا تخدم برنامج إيران النووي. [25] فضلا عن توقيعها لأتفاق مع اوكرانيا في ٦ اذار ١٩٩٨ وضعت فيه ضوابط لتصدير تكنلوجيا الاسلحة مقابل إلغاء أوكرانيا اتفاقها النووي المقترح مع إيران. فضلا عن توقيع بيل كلنتون Bill Clinton – الرئيس الامريكي (١٩٩٣-٢٠٠١)- أمر في ٢٩ تموز ١٩٩٨ يمنع فيه المساعدات لسبع شركات روسية منحت تكنلوجيا أسلحة حساسة لإيران.[26] الى جانب توقيعة في ١٤ اذار "**قانون حذر أنتشار السلاح النووي الإيراني لعام ٢٠٠٠ Iran Nonproliferation Act of "2000**" الذي يقضي بمنع دفع مبالغ لروسيا لتمويل محطة الفضاء الدولية، في حال وجود شركات روسية تدعم برنامج إيران النووي.[27]

ما أن وضعت ادارة الرئيس بوش الابن –(٢٠٠١-٢٠٠٩) إيران ضمن محور الشر Axis of Evil مع العراق وليبيا بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠٠، أصبح برنامج إيران النووي مثار قلق كبير للإدارة الامريكية لاسيما بعد أن كشف المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية National Council of Resistance of Iran (NCRI)، [28] في مؤتمر صحفي في ١٤ اب ٢٠٠٢، عن وجود منشأت نووية سرية لأنتاج المياة الثقيلة في موقع أراك Arak ومجمع نطنز Natanz لتخصيب اليورنايوم وخمسة مجمعات نووية اخرى منها محطات لتوليد الطاقة في بوشهر فضلا عن أربعة مراكز بحوث في كراج Karaj وبوناب Bonab وساغند Saghand وأمير اباد Amirabad.[29]

تأكدت الولايات المتحدة من تلك المعلومات بعد أن رصدت الأقمار الصناعية في أيلول ٢٠٠٢ وجود مواقع نووية إيرانية جديدة في ناتانز Natanz وبالقرب من اراك وبذلت جهود كبيرة لاخفائها، ونقل عن مسؤولين أمريكين أن موقع ناتانز مخصص لتخصيب اليورانيوم، وفي كانون الاول ٢٠٠٢ اتهمت الإدارة الأمريكية إيران بسعيها لتصنيع سلاح نووي، وطالبتها بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية International Atomic Energy Agency (IAEA) لتفتيش تلك المواقع.[30]

نفت إيران تلك الاتهامات الامريكية كلها وأعلن حميد رضا **Hamid Reza Assefi** – المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية (١٩٩٨-٢٠٠٦)- في مقابلة رسمية قائلاً: "**يمكنني أن أخبرك بشكل قاطع أن إيران ليس لديها برنامج أسلحة نووية وأن اي منشاة لدينا، إذا كانت تتعامل مع التكنولوجيا النووية، فأنها ضمن نطاق برنامجنا النووي السلمي.** " [31]

لم يقنع ذلك التصريح وغيرة الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة اللتين شككتا بكل التصرفات الإيرانية لذلك سعتا الى فرض عقوبات اقتصادية، فضلا عن رغبتهما في تفتيش تلك الاماكن للحيلولة دون صنع إيران سلاحاً نووياً.

ثالثاً: دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الملف النووي الإيراني وقرارات مجلس الأمن الدولي

حاولت إيران أن تبدد شكوك المجتمع الدولي في برنامجها النووي، واعترف محمد خاتمي رفسنجاني- رئيس الجمهورية الإيرانية (١٩٩٧-٢٠٠٥)- في شباط ٢٠٠٣، أن بلاده فشلت في بعض التزامتها بتقديم التقارير بموجب معاهدة حضر الأنتشار، ودعى الوكالة الدولية للطاقة الذرية الى زيارة موقع ناتانز [32] وبناء على ذلك توجه محمد البرادعي – مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية (١٩٩٨-٢٠٠٩)- في شباط ٢٠٠٣ الى تفتيش المواقع النووية الإيرانية، ولم يكن راضياً عن التعاون الإيراني، وفي ١٢ أيلول ٢٠٠٣ تبنى مجلس IAEA قراراً يدعو إيران الى تعليق الأنشطة لتخصيب واعادة معالجة اليورنيوم جميعها، وتقديم جدول زمني لجهودها المتعلقة بالطرد المركزي والسماح لخبراء الوكالة بزيارات لكافة المرافق النووية وتقديم اجابات فيما يتعلق بأنتاجها للمياه الثقيلة.[33]

سعت إيران الى استمالة سياسة الولايات المتحدة الى جانبها بعد وقت قصير من احتلالها للعراق، ففي حزيران ٢٠٠٣ قدمت اقترحاً سرياً من خلال القنوات الدبلوماسية السويسرية، يقضي بتقديم الولايات المتحدة ضمانات أمنية وتطبيع العلاقات معها، مقابل سحب دعمها لحركة حماس وحزب الله اللبناني، الا أن الإدارة الامريكية لم ترد على ذلك الاقتراح وشككت في نوايا إيران من أجل تحقيق ذلك.[34]

كان للحرب على العراق عام ٢٠٠٣ وطأتها على المجتمع الدولي، لاسيما بعد أن تبين لهم عدم امتلاك العراق للاسلحة النووية، وتبددت امال الولايات المتحدة بذلك، فلم يرغبوا أن يكرروا ذات الخطا مع إيران لذلك سعى وزراء خارجية كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا، الى بدأ مفاوضات مع إيران في أيلول ٢٠٠٣. بعد شهر من المفاوضات توصلوا الى اتفاق يقضي بضرورة تعليق إيران أنشطتها لتخصيب اليورانيوم جميعها، والسماح بتفتيش منشأتها النووية وأكدت إيران من جانبها اعادة العمل في معاهدة حظر أنتشار الاسلحة النووية.[35]

على الرغم من ذلك لم تدخر إيران جهداً لاخفاء نشاطها النووي ولم تكن تقارير الوكالة الدولية لصالحها، فقد أشارت في تقريرها في ٢٤ شباط ٢٠٠٤ الى أن إيران تعمل على أجهزة الطرد المركزي الأكثر تطوراً P-2 والتي تؤهلها لصنع سلاح نووي، ووجود جسيمات من اليورانيوم شديد الاثراء بنسبة ٣٦% .[36] وذكرت الوكالة في تقريرها في ١٨ حزيران ٢٠٠٤ إن إيران فشلت في التعاون مع مفتشيها وأنها تستأنف أنشطتها النووية، ووصف مديرها العام الوضع بـ "**أمر مثير للقلق الشديد لاسيما بالنظر الى اهمية تلك الأنشطة وحساسيتها**"[37] وهنا تدخلت الدول الاوربية الثلاث وللمرة الثانية للحد من التوتر بين الوكالة والمجتمع الدولي، وأسفر هذا التدخل عن توقيع اتفاقية باريس في ١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٤ تعهدت فيه إيران بتعليق نشاطها النووي طوال مدة المحادثات مع الاتحاد الاوربي.[38] لذلك قرر مجلس المحافظين Board of Governors الوكالة الدولية للطاقة الذرية تأجيل إحالة، عدم امتثال طهران لشروط اتفاق الضمانات الخاص بها، لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.[39]

أثارت تلك المناورات الإيرانية حفيظة الإدارة الأمريكية، التي أعربت عن عدم ثقتها بأي من التعهدات الإيرانية فقد أعلن كولن باول Colin Powel – وزير الخارجية الامريكية (٢٠٠١-٢٠٠٥)- في ١٧ تشرين الثاني ٢٠٠٤ إن إيران لن تتخلى عن تصميمها في حيازة سلاح نووي، فضلا عن تقرير المخابرات الامريكية، الذي أشار الى "**أن إيران تسعى بقوة لتطوير رأس حربي نووي لسلسة شهاب الإيرانية من الصواريخ**" وإن إيران تعمل بنشاط على حزمة لتصميم رؤوس نووية حربية.[40] وتذمرها من سياسة محمد البرادعي حيال إيران واتهمته في اتباع سياسة ناعمة حيالها.[41] بالمقابل كان الأخير يهاجم، في أغلب اللقاءات الصحفية، السياسة الامريكية تجاه برنامج إيران النووي، فقد صرح في مقابله له مع قناة CCN في ٢٨ حزيران ٢٠٠٧ بـ "**لا نريد أن نكون حجه لبعض المجانين الجدد، الذين يريدون أن يقولوا هيا بنا نقضي على إيران**" واستطرد بقوله: " **أقول إلى أي شخص يقول دعونا نستخدم القوة الأن إنه لازال لدينا متسع من الوقت للدبلوماسية**". [42]

لم تدخر إيران وسعا للمماطلة في عمليات التفتيش من جهة، وعقد صفقات من أجل تطوير برنامجها النووي من جهة أخرى، فقد أبرمت مع روسيا في ٢٧ شباط ٢٠٠٥ إتفاقاً لتزويدها بالوقود النووي لمفاعل بوشهر.[43] مما أثار حفيظة الولايات المتحدة، والمجتمع الاوربي.

توالت تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية طيلة عام ٢٠٠٥ كأن أهمها في ٦ أيلول الذي أعربت فيه عن استئناف إيران لأنشطة تحويل اليورانيوم في موقع أصفهان وأنها في ١٠ اب قامت بفض الاختام عن خطوط المعالجة ورابع فلورايد اليورانيوم بالموقع نفسه.[44] لذلك تبنى مجلس المحافظين قراراً في ٢٤ أيلول، ينص على أن عدم التأكد من سلمية برنامج إيران النووي يمهد الطريق لإحالة القضية الى مجلس الأمن الدولي.[45]

وبناء على ذلك قرر مجلس المحافظين في ٤ شباط ٢٠٠٦ اخطار مجلس الأمن بأن إيران قررت في ٦ كانون الثاني اجراء أنشطة بحثية تطويرية على البرنامج السلمي للأنشطة النووية. مقدمة معه كافة تقارير وقررات الوكالة.[46] في المقابل أعلنت إيران بعد يومين أنها ستوقف تعاونها مع الوكالة، وفي ١١ نيسان اعلنت أنها أنتجت ٣.٥ % من اليورانيوم المخصب في محطة ناتانز.[47] ثم قدمت إيران رسالة في ٢٨ نيسأن ٢٠٠٦ ،عن طريق بعثتها في الأمم المتحدة، الى الوكالة الدولية للطاقة الذرية جاء فيها "**إن إيران مستعدة لمواصلة السماح بعمليات التفتيش الخاصة بالوكالة ... شريطة أن يظل ملف إيران النووي داخل إطار الوكالة وخاضعاً لضمانات الوكالة، علماً أن جمهورية إيران الاسلامية مستعدة لتسوية القضايا المعلقة ..... وذلك وفقا للقوانين والأعراف الدولية ..... ستقدم إيران جدولاً زمنياً في غضون الاسابيع الثلاث القادمة.**"[48] الا أن ذلك التقرير لم يرفع، لأن مجلس الأمن الدولي تبنى قراره الاول بخصوص الملف النووي الإيراني في ١٣ تموز ٢٠٠٦، الذي أشار الى ضرورة وقف أنشطة التخصيب واعادة المعالجة جميعها بما في ذلك البحث والتطوير واستمرار الوكالة بعمليات التفتيش الأمر الذي يسهم في حل دبلوماسي للطرفين.[49] ثم صدر قراره الثاني في ٢٣ كانون الاول في ذات العام، الذي يقضي بضرورة تنفيذ إيران القرار السابق وضرورة امتثالها لمتطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية لكبح جماح مساعيها في تطوير التكنلوجيا الحساسة دعماً لبرامجها النووية والصاروخية، ووقف أنشطة التخصيب واعادة المعالجة جميعها وكل الاعمال المتعلقة بجميع المشاريع المتصلة بالماء الثقيل على أن يخضع ذلك لتحقيق الوكالة.[50]

لم تثنِ تلك القرارات إيران من تصريحاتها في المضي قدما في عملية التخصيب وأعلن محمود احمدي نجاد – الرئيس الإيراني (٢٠٠٥-٣٠١٣)- في أوائل عام ٢٠٠٧ إن إيران أنتهت من عملية نصب اكثر من ثلاثة الاف جهاز طرد مركزي في ناتانز.كما كشف غلام رضا زادة – رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية- أن برنامج بلاده في هذا المفاعل لايقتصر على ذلك بل اشتمل ايضاً على التخطيط لنصب وتشغيل خمسون الف جهاز اضافي.[51] وبعد أن رفعت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقرريها في ٩ و ٢٢ شباط ٢٠٠٧ الى مجلس الأمن، اللذان أشارا الى أن إيران لم تكشف عن المعلومات بشكل شفاف، فضلا عن أن أغلب الدلائل تشير الى استمرارها بعملية التخصيب.[52] لذلك أقدم مجلس الأمن على إصدار قرار في ٢٤ اذار، يقضي بضرورة تعليق جميع أنشطة التخصيب وإعادة المعالجة ، بما في ذلك البحث والتطوير، ليتحقق منها من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وفرض عقوبات من خلال حظر صادرات البلاد من الأسلحة وتجميد الأصول وتقييد سفر الأفراد المشاركين في الأنشطة النووية الحساسة للأنتشار في البلاد. وأبدى استعداده للعمل بشكل إيجابي من أجل الحل الدبلوماسي، وشجع إيران، وفقاً لتلك الأحكام، على إعادة الأنخراط مع المجتمع الدولي والوكالة الدولية للطاقة الذرية، مشددًا على أن هذه المشاركة ستكون مفيدة[53]. ولم تشر تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية طيلة عامي

٢٠٠٧- ٢٠٠٨ الى حسن نوايا الحكومة الإيرانية في تعاملها مع عمليات التفتيش وأشارت الى وجود أدلة على استئناف إيران لنشاطها النووي.[54] لذلك أقدم مجلس الأمن على اصدار قرارين في ٣ اذار و ٢٧ أيلول ٢٠٠٨ أشارا الى استمرار العقوبات بشأن أنشطة البنوك الإيرانية، وتفتيش السفن والطائرات الإيرانية، وقيود السفر على الأفراد المشاركين في النشاط النووي.[55]

دفعت تلك التحركات الدولية إيران الى السعي قدما في تطوير برنامجها النووي فما أن حل عام ٢٠٠٩ حتى تمكنت من تركيب ٨.٣٠٨ من أجهزة الطرد المركزي كما أعلنت أن لديها جيلاً جديداً من تلك الاجهزة أفضل أداء من سابقه، ودخل مفاعل بوشهر مرحلة التشغيل التجريبي وهو يضم ستة الاف طرد مركزي. واكدت الوكالة امتلاك إيران ٧.٥٠٢ جهاز طرد مركزي.[56] علماً أنها قبل عام ٢٠٠٣ لم تكن تمتلك تلك القدرة التشغيلة وتلك التحركات الدولية هي التي دفعتها الى تطوير برنامجها النووي وهذا ماأكده تقرير ملخص غير مصنف للمخابرات الامريكية عن البرنامج النووي الإيراني الذي أشار الى أن لجنة المخابرات أكدت "**وبكل ثقة** " إن إيران أوقفت برنامج الأسلحة النووية في خريف عام ٢٠٠٣ ولم تستأنف العمل فيه إلا في منتصف عام ٢٠٠٧.[57] وبالفعل في ذلك العام دخلت إيران مرحلة التصنيع النووي مع الاستمرار في الاختبارات على الالات الدفع في منشأت تخصيب اليورانيوم التجريبة والقيام بتغذية ٢٦٠ كغم من فلوريد اليورانيوم.[58]

استمر عمل الوكالة الدولية طيلة أعوام ٢٠٠٩- ٢٠١٠ زارت خلالها المواقع النووية الإيرانية مرات عدة قدمت خلال عام ٢٠٠٩ أربعة تقارير في ١٩ شباط، و٥ حزيران، و٢٨ اب ،و١٩ تشرين الثاني. وفي عام ٢٠١٠ كذلك اربعة تقارير في ١٨ شباط، و١٢ ايار، و٦ أيلول، و٢٣ تشرين الثاني. جميعاً اكدت أن إيران لم تتعاون مع الوكالة وأنها ماضية في تطوير برنامجها النووي واحتمال وصولها الى صنع قنبلة ذرية أمر ليس بالبعيد.[59] لذلك اعلن كل من الرئيس الأمريكي باراك أوباما Barack Obama- (٢٠٠٩-٢٠١٧)- ورئيس الوزراء البريطأني جوردون براون Gordon Brown- (٢٠٠٧-٢٠١٠)- والرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي Nicolas Sarkozy – (٢٠٠٧-٢٠١٢)- بشكل مشترك في ٢٥ أيلول ٢٠٠٩ أن إيران تطور من برنامجها النووي وتقوم ببناء منشأه سرية لتخصيب اليورانيوم في محطة فوردو Fordow بالقرب من قم، فضلا عن توقيعها اتفاقاً مع تركيا نص على نقل اليورانيوم منخفض التخصيب بنسبة ٣.٥ % الى تركيا، لمبادلتها بيورانيوم عالي التخصيب بنسبة ٢٠%.[60] لذلك باتت إيران قادرة على إنتاج نظائر اليورانيوم المشعة أو مايعرف بـ "**الكيك الاصفر**"، لأغراض البحث الطبي أو الصناعي في مفاعل اراك، مما اثار قلقاً فعلياً لدى الغرب لأنه يمكن تحويل هذه النظائر بتعديلات بسيطة لأنتاج البلوتونيوم المستخدم في الاغراض العسكرية.[61]

أثر ذلك القلق في المجتمع الدولي فأقدم مجلس الأمن بالاجماع على اصدار قرار بشأن إيران في ٩ حزيران ٢٠١٠، أكد على ضرورة التزام إيران بالقرارات السابقة لمجلس الأمن للاسهام في الجهود

الدولية لمنع الأنتشار النووي في منطقة الشرق الأوسط.[62] فضلا عن أن الاتحاد الاوربي فرض في ٢٦ تموز المزيد من العقوبات عليها.[63] ثم تبعه قرار اخر بالاجماع لمجلس الأمن في ٩ حزيران عام ٢٠١١، نص على تمديد عمل الخبراء حتى ٩ حزيران ٢٠١٢، فضلا عن ضرورة تقديم الوكالة تقريرها في موعد اقصاه ٩ تشرين الثاني في العام نفسه للوقوف على تطورات البرنامج النووي الإيراني، وتمديد العقوبات الاقتصادية وذلك للحد من أنتشار اسلحة الدمار الشامل التي تشكل تهديداً للسلام الدولي.[64] بناء على تقارير الوكالة في ٢٥ شباط ، و٢٤ ايار الذين أشارا الى مماطلة إيران في عمليات التفتيش وعدم شفافية معلوماتها.[65]

حاولت إيران أن تكيل بمكالين، فمن جهة أعلنت في ٨ ايار ٢٠١١ عن تشغيل محطة بوشهر النووية، وإعلانها بعد ست اشهر في ٨ تشرين الثاني أنها زادت معدل أنتاج التخصيب في مصنع فورد بنسبة ٢٠ % لاغراض سلمية.[66] ومن جهة اخرى ابدت تعاونها مع تفتيش الوكالة لمواقعها النووية وكشفت عن عدة مواقع لهذا الغرض، وهذا ما أكدته الوكالة في تقريرها المنتظر في ٨ تشرين الثاني وصفت فيه تطوير إيران لنشاطها النووي وصفاً دقيقاً، أذ أشار الى أن إيران أعلنت عن ١٥ منشات نووية و ٩ مواقع خارج المنشأت التي تستخدم فيها المواد النووية واغلب تلك النشاطات استأنفت عملها بعد عام ٢٠٠٣ وتتعارض مع قرارات مجلس الأمن الدولي.[67] ردفها تقرير اخر في ٢٤ شباط ٢٠١٢ أشارت فيه الى أن إيران لاتبدي التعاون اللازم، فضلا عن رفضها تفتيش موقع بارشين Parchin ، التي تشك بوجوب نشاط نووي عالي المستوى فيه، ولايمكن للوكالة الجزم بعدم وجود ابعاد عسكرية محتملة لبرنامجها النووي ولم يتوصل مع إيران بشأن نهج منظم لتسوية المسائل العالقة جميعاً. [68] وتقرير اخر في ٢٥ حزيران، أكد ماسبق ذكره، فضلاً عن أن إيران قدمت اعلاناً أولياً تجاهلت فيه شكوك الوكالة ورفضها تفتيش موقع بارشين.[69] تخللهما قرار لمجلس الأمن في ٢ حزيران أشار الى تمديد مهمة فريق الخبراء في مدة لاتتجاوز ٩ حزيران ٢٠١٣. [70]

لم تكن إيران طوال تلك المدة ترفض التفاوض مع المجتمع الدولي الا أنها في ذات الوقت ماضية في تطوير برنامجها النووي وكلما زادت الضغوط عليها كلما مضت قدما في تطوير ذلك البرنامج.

رابعاً: اتفاق جنيف المبدئي ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣

أفادت التقارير الصادرة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية بعد قرار مجلس الأمن الأخير الى أن إيران لم تلتزم بأي من تلك القرارات الصادرة ولم تفتح كل أبواب موقعها أمام موظفي الوكالة لغرض التفتيش، بل وزادت نشاطها في تخصيبها لليورانيوم وأجهزة الطرد المركزي لديها. فقد ذكر تقرير للوكالة الدولية بعد شهرين من قرار مجلس الأمن الأخير إن عدد أجهزة الطرد المركزي تضاعف لدى إيران في موقع فوردو من ١.٠٦٤ في ايار الى ٢.١٤٠ في اب. ومنذ عام ٢٠١٠ أنتجت إيران ١٩٠ كغم من اليورانيوم المخصب بنسبة ٢٠% بعد أن كانت ١٤٥ كغم في شهر ايار. وأشار الى أن إيران اضطلعت

بأنشطة تتعلق بتطوير جهاز متفجر نووي.[71] مما اثار حفيظة الولايات المتحدة لأن إيران تستعد لأنتاج نواة لسلاح نووي.

كان لتقرير الوكالة الدولية في ١٦ تشرين الثاني أشد وطأ على المجتمع الدولي وعلى رأسها الولايات المتحدة، فقد تضمن استمرار التوسع في قدرات التخصيب في فورد وركبت اجهزة الطرد من طراز ٢٧٨٤ IR-1 (١٦ شلال من ١٧٤ لكل منها)، الذي يمكنها من تسريع عملية تخصيب اليورانيوم بدرجة عالية، وأنتجت إيران مايقارب ٢٣٣ كغم من اليورانيوم المخص بنسبة ٢٠% اي بزيادة قدرها ٤٣ كغم منذ تقرير اب السابق مما يؤهلها لوضع نواة سلاح عسكري، وأشار الى أن الوكالة منعت من الوصول الى بارشين، الذي تشك بنشاطاته لذلك لاتستطيع أن تقدم ضمانات تثبت عدم وجود أنشطة نووية عسكرية.[72]

أيقنت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية أن استمرار الاوضاع على حالها، بفرض العقوبات فقط، سيمكن إيران من امتلاك سلاح نووي، فكان عليها أن تردعها بالقوة وهذا امر مستبعد في ظل الظروف التي يعشها العالم في حربه على الارهاب، أو يخوض تجربة الحل الدبلوماسي وتحويل ذلك البرنامج للأغراض السلمية حصراً. وكأن الاخير هو الخيار المتاح وهذا ماسعت إليه الولايات المتحدة لاسيما في عهد إدارة بارك اوباما، ذو الميول المؤيد للسلام، لذلك دخلت الدول الاوربية الثلاث (فرنسا وبريطانيا وألمانيا E3) والولايات المتحدة وروسيا والصين (٣)، واطلق عليهم تسمية (E3+3)، مع إيران في مفاوضات، توصلت الى اتفاق مبدئي في جنيف ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣ اطلقوا عليه **خطة العمل المشتركة Joint Plan of Action**، أكد التوصل الى حل شامل طويل الأجل متفق عليه بشكل متبادل يضمن أن البرنامج النووي الإيراني سيكون سلميًا بشكل حصري. وتعهد إيران تحت أي ظرف من الظروف بعدم سعيها في تطوير أي سلاح نووي. في المقابل ترفع عقوبات مجلس الأمن جميعها، وكذلك العقوبات متعددة الأطراف المتعلقة ببرنامج إيران النووي، فضلا عن أنه نص على: "**ستكون 3 + E3 وإيران مسؤولة عن أنهاء وتنفيذ التدابير المتبادلة على المدى القريب والحل الشامل بحسن نية.... ستؤلف لجنة مشتركة من 3 + E3 وإيران لمراقبة تنفيذ التدابير على المدى القريب ومعالجة القضايا التي قد تنشأ مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية المسؤولة عن التحقق في التدابير ذات الصلة النووية. وستعمل اللجنة المشتركة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية لتسهيل حل القضايا السابقة والحالية المثيرة للقلق.**" والتزمت إيران بموجبه بعدم تخصيب اليورانيوم بدرجة أعلى من ٥%. وفيما لو التزمت إيران بعملية التفتيش سيتم الافراج عن ٧٠٠ مليون دولار شهرياً من ودائعها الى أن يتوصل الى اتفاق شامل. [73] عُد هذا الاتفاق خطوة مهمة في طريق الحل السلمي للبرنامج النووي الإيراني. وبدأت تلك الدول تسير في طريق المفاوضات من أجل التوصل الى حل نهائي وشامل بين المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة وإيران.

خامساً: اتفاق لوزان ١٤ تموز ٢٠١٥

اتفقت الـ (E3 +3) مع إيران على أن يبدأ العمل بخطة العمل المشتركة الشاملة Joint comprehensive plan of Action (JCPOA) في ١٢ كانون الثاني ٢٠١٤ ويتوصل الى اتفاق خلال ستة أشهر أي حتى شهر حزيران. وتواصلت جهود الوكالة الدولية في عمليات التفتيش وقدمت خلال عام ٢٠١٤ تسعة عشر تقرير كان أولها في ١٧ كانون الثاني وأخرها في ١٩ كانون الأول. اشتملت على تشكيل لجنة مشتركة اعضائها من الممثلين الدائمين في مجلس الأمن لتلك الدول (E3+3) مع إيران، تأخذ على عاتقها التحقق من التدابير ذات الصلة بالمجال النووي والعمل كمحفل للتحاور من اجل تيسير عمل الوكالة.[74]

استمرت المفاوضات مع العمل الدؤب للوكالة الدولية للطاقة الذرية ثمانية عشر شهراً بين جنيف وفينا نيويورك ثم سويسرا، مددت خلال ستة اشهر مرتين، الاولى حتى شهر تشرين الثاني ٢٠١٤ والثانية حتى تموز ٢٠١٥. الى أن توصلت (E3+3) الى إتفاق شبه نهائي في ٢ نيسان لوقف نشاط أكثر من ثلثي قدرات التخصيب لمدة عشرة أعوام مقابل رفع العقوبات بالتدريج.[75] ثم أعلن المفاوضون في العاصمة النمساوي فينا في ١٤ تموز أنهم توصلوا الى اتفاق وسيعرض على مجلس الأمن للتصديق عليه وإنه سينفذ بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وافقت إيران بموجبه على خطة العمل المشتركة الشاملة، على خفض تخصيب اليورانيوم بنسبة ٣.٦٧% وتحديده بـ ٣٠٠ كغم وتستعمله بنسبة ٢٠% في المفاعلات الخاصة بالأبحاث العلمية خلال خمسة عشر عاماً وتخفض عدد أجهزة الطرد المركزي الى ٥٠٦٠ جهاز واجهزة الطرد الزائدة تكون تحت اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وتحديد اليورانيوم المخصب. فضلا عن إشراف روسيا على تأمين الوقود النووي. وتحويل مفاعل اراك الذي يعمل بالماء الثقيل للعمل بالماء الخفيف وأن يكون ذا أهداف سلمية للبحث العلمي وبطاقة ٢٠ ميغاواتا وعدم اقدامها على بناء اي مفاعلات تعمل بالماء الثقيل أو قيامها بأي أنشطة متعلقة بالوقود المستنفذ خلال الخمسة عشر عام بأستثناء أنتاج بطاريات النظائر المشعة، وموافقة إيران على عمليات التفتيش واعطاء التصاريح اللازمة لمفتشي وكالة الطاقة الذرية والسماح للمفتشين بالبقاء في أراضيها لمدة طويلة. في المقابل تتعد الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوربي بعدم فرض أي عقوبات جديدة ورفع العقوبات الاوربية بشكل فوري. أما الامريكية فترفع بعد نظر الكونغرس فيها. أما الدولية فترفع تدريجياً بعد اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة.[76] ورفعت خطة العمل المشتركة الشاملة الى مجلس، الذي أقرها بالاجماع في ٢٠ تموز. اثنى في ديباجته على الجهود السياسية والدبلوماسية لايجاد حل تفاوضي يضمن أن برنامج إيران النووي مخصص للأغراض السلمية.[77]

وبذلك تنفس المجتمع الدولي الصعداء بعد ذلك التسابق الطويل ولمدة اثنى عشر عاماً من المهاترات والاتهامات المتبادلة والعقوبات الدولية وحاولت الدول الكبرى من خلاله كبح جماح إيران

وسعيها في الحصول على السلاح النووي. لكن هل استمر ذلك الهدوء لاسيما بعد التشكيك في جدواه من طرفين لها وزنهما في منطقة الشرق الشرق الاوسط؟ الاول: دول جوار إيران في الخليج العربي وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية والامارات وحلفائهم المتمثلين في الاردن والمغرب الاقصى والذين عدوه أنفراجة للتوسع الإيراني في المنطقة لاسيما بعد رفع العقوبات الاقتصادية التي تؤهلها الى زيادة نفوذها في تصدير الثورة الإيرانية. اما الثاني: فيتمثل بأسرائل التي عارضت ذلك الاتفاق قلباً وقالباً وعدته فرصة لكسب الوقت لحين حصول إيران على سلاح نووي، ولزيادة النفوذ الإيراني في المنطقة. فسعيت بكل ما أوتيت من قوة لإلغاء ذلك الاتفاق. فهل نجحت مساعيها في هذا الجانب؟ لا بل هل كان ذلك الحل النهائي لبرنامج إيران النووي؟ وهل تغيرات سياسة الولايات المتحدة بتغيير إدراتها؟ أم إنها سياسة مؤسسات وليست سياسة إدارة بعينها؟

دخل دونالد جون ترماب **Donald John Trump** في سابق الرئاسة الامريكية في أنتخابات عام ٢٠١٦ واستطاع أن يحصد النصر ويصبح الرئيس الـ (٤٥) للولايات المتحدة، وكانت احد ابرزنقاط دعايته الأنتخابية معارضته لذلك الاتفاق ورغبته في أنسحاب الولايات المتحدة منه وبالفعل بعد أن باشر مهماه كرئيس في ٢٠ كانون الثاني ٢٠١٧، أقدم على هذه الخطوة، وبتأييد اسرائيلي، في ٨ ايار ٢٠١٨، على الرغم من مناشدت حلفائه الاوربيين بعدم الغاء ذلك الاتفاق، وأعلن في خطاب متلفز من البيت الابيض أنسحاب بلاده من الاتفاق النووي الإيراني وأنه سيوقع مذكرة رئاسية تعيد فرض العقوبات الامريكية على النظام الإيراني وسيطبق اعلى مستوى من العقوبات الاقتصادية لضمان عدم امتلاك إيران سلاح نووي ووصف الأتفاق بـ "**الكارثي**" وأعلن عزمة للعمل مع حلفائه الاوربيين على أتفاق جديد لايتعاطى فقط مع ملفها النووي بل يضع حدا لنفوذها الجيوسياسي، ويقيد برنامجها للصواريخ البالستية ووقف "**تشاطها الارهابي**" في الشرق الاوسط. وحذر إيران من أنها ستواجه مشاكل أكبر إذ ما واصلت أنشطتها النووية.[78] وبذلك دخل الشرق الاوسط لا بل العالم أجمع في دوامة جيدة على الرغم من بقاء أوربا على اتفاقها مع إيران، الا أن ذلك الاتفاق لم يعد ذا جدوى لأنسحاب طرف أساس ومؤثر فيه. فضلا عن تنفس اسرائيل الصعداء وتحقيق غرضها في افشال ذلك الاتفاق.

الخاتمة

شكل الاتفاق النووي الإيراني كابوساً للدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية لأن امتلاك إيران هذا السلاح الفتاك وبما تمتلكة من رغبة في التوسع والهيمنة على دول الشرق الاوسط يضرب مصالحها في مقتل. لذلك على الولايات المتحدة، لاسيما بعد أنسحابها من خطة العمل المشتركة الشاملة وفرضها عقوبات اقتصادية جديدة على إيران، أن تتعامل بحذر في التعاطي مع هذا الملف، لأن منطقة الشرق الاوسط حافلة بالمشاكل السياسية ابتداً من العراق ومروراً بسوريا واليمن. لاسيما وأن إيران

لم تذعن للتهديدات الامريكية على الرغم من تلك العقوبات وتأثيرها الكارثي على الاقتصاد الإيراني، لذلك هناك ثلاثة سبل ممكن أن تسلكها الإدارة الامريكية تجاه هذا الملف وهي:

اولاً: أن تستمر في ممارسة الضغط الاقتصادي على إيران من خلال العقوبات الاقتصادية وتجبرها الى الجلوس على طاولة المفاوضات من جديد، ولكن هذه المرة بالشروط الامريكية السابقة الذكر. ولكن هل ممكن أن تنجح الولايات المتحدة في ذلك في ظل حكومة إيرانية تمقت التشدد للأدارة الامريكية بقيادة دونالد ترامب؟ فيما لو نجح في الانتخابات القادمة!!! وهل ستتغير توجهات الإدارة الامريكية تجاه الملف النووي الايراني فيما لو فشل ترامب بالحصول على فترة رئاسية ثانية؟

ثأنياً: استعمال الحل العسكري أو على الاقل توجيه ضربات جوية محسوبة قاتلة للمنشأت النووية الإيرانية للحيلولة دون تطويرها. وهنا يمكن أن نتساءل هل بأمكان الولايات المتحدة الامريكية أن تخوض هذ التجربة للمرة الثانية بعد التجربة القاسية التي مرت بها في العراق؟ وهل بالامكان أن تضيف سبباً ثانياً للفوضى في الشرق الوسط لاسيما بعد حربها على الارهاب والاحداث في كل من سوريا واليمن؟

ثالثاً: أن ترضخ الولايات المتحدة للأمر الواقع وتقبل إيران دولة نووية . وكل المؤشرات الدولية تشير الى استحالة هذا الخيار، لأنه يتعارض مع سياستها التوسعية في المنطقة ولايمكن أن تسمح لا الولايات المتحدة ولا اسرائيل لدولة على خلاف دائم معها أن تمتلك هذا السلاح.

وعلى الأغلب حالياً فالخيار الأول للولايات المتحدة الامريكية وحلفائها هو مقاطعة إيران وفرض المزيد من العقوبات الأقتصادية لسحبها من جديد الى طاولة المفاوضات. ولكن هل ممكن أن تتعاطى إيران مع الإدارة الامريكية وتبدأ من نقطة الصفر في المفاوضات؟ أن الاحداث الدولية القادمة والمتغيرات في الشرق الاوسط كفيلة بالإجابة على كل تلك التساؤلات.

هوامش البحث ومصادره:

(1) استطاع محمد مصدق أن ينتزع من البرلمان الإيراني قرار التأميم في ١٥ اذار ١٩٥١ وصادق علية مجلس الشيوخ في ٢٠
اذار، وشكل ذلك ضربة قاسية للسياسة البريطانية والأمريكية في المنطقة، فضلا عنه أنه سيمثل بداية لسلسة عمليات تأميم في المنطقة. لذلك تعاونت المخابرات البريطانية مع الامريكية واطاحت بحكومة ومصدق بأنقلاب عسكري في ١٩ اب ١٩٥٣. للتفاصيل ينظر:
Mark J. Gasiorowski and Malcolm Byrne (ed.), Mohammed Mosaddeq and the 1953 cap in Iran, 1st Ed., New York.

(2) عمر الشيخ، البرنامج النووي الإيراني:النشاة والتطور،المعهد المصري للدراسات، ٣٠ حزيران ٢٠١٩، ص ٢،
https://eipss-eg.org/wp-content/uploads/2019/05.

(3) نفس المصدر، ص٢.

(4) نفس المصدر، ص٢.

(5) أنس الطروانة، الملف النووي الإيراني نشأته ومستقبله وأنعكاساته على العلاقات الدولية، ٢٠١٨\٨\٩،
https://www.academia.edu/21006188.

(6) عمر الشيخ، المصدر السابق، ص٣.

(7) نفس المصدر ، ص٤.
(8) للتفاصيل عن تلك الثورة ينظر:
جعفر حسين نزار، الثورة الاسلامية في إيران :وقائع واحداث، الطبعة الاولى ١٩٧٩.
(9) للتفاصيل عن تلك الأزمة وكيفية تعامل الولايات المتحدة تجاهها ينظر:
The Iran hostage crisis: A Chronology of Daily Developments, March 1981, Foreign Affairs and national defense division congressional, research service library of Congress, United States government printing office, Washington, 1981.
(10) Anthony H. Cordesman and Khalid R. Al-Rodhan, Iranian Nuclear Weapons? The Uncertain Nature of Iran's Nuclear Programs, Center for Strategic and international Studies, Washington, DC, 2006, P. 24.
(11) Quoted in Ibid. P. 24.
(12) Gordon Prather Posted on, ElBaradei Isn't Perfect, December 27, 2005
https://antiwar.com/prather? articleid=8208
(13) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.24.
(14) Ibid, P.24.
(15) هو سياسي ورجل دين ولد عام ١٩٣٤ في ضواحي قرية بهران في مدينة رفسنجان بمحافظة كرمان في عائلة ثرية، بداء دراسته في مدرسة دينية محلية ثم غادر الى قم لأكمال تعليمه. أنخرط ضمن السياسين المعارضين لحكم محمد رضا شاه، وبعد الثورة الاسلامية في إيران عام ١٩٧٩ شغل مناصب عده اهمها رئاسة البرلمان (١٩٨٠-١٩٨٩) ورئاسته للجمهورية الايرانية لدوريتن متتاليتين (١٩٨٩-١٩٩٧)، توفي عام ٢٠١٧. للتفاصيل ينظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki علي اكبر هاشمي رفسنجأني

(16) محمد عطا زهرة، البرنامج النووي الإيراني، مركز الزيتونه للدراسات والاستثمارات، ٢٠١٥، ص ٢٣.
(17) المصدر نفسه، ص ٢٤.
(18) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.24.
(19) Ibid, P. 24.
(20) محمد عطا زهرة، المصدر السابق، ص٢٣.

(21) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.٣٠.

(22) وقعت ايران على تلك المعاهدة الا انها لم تصادق عليها من قبل البرلمان للتفاصيل ينظر:
(22) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.29.

(23) فرضت العقوبات على كل من ليبيا وإيران للتفاصيل ينظر:
https://www.congress.gov/bill/104th-congress/house-bill/3107/text
(24) Kenneth Katzman, The Iran Sanctions Act (ISA),
https://fas.org/sgp/crs/row/RS20871.pdf.
(25) محمد عطا زهرة، المصدر السابق ، ص٣٥
(26) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.٣٠.

(27) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.33.
(28) هي عبارة عن ائتلاف يضم حوالي ٥٤٠ شخصية إيرانية سياسية وخمس منظمات ذات قناعات مختلفة ملتزمة بحكومة ديمقراطية وعلمانية وائتلافية في إيران. تتألف المنظمة من ٥٠٪ من أعضاء المجلس. هناك

خمس منظمات هي أيضًا أعضاء في NCRI ، بما في ذلك منظمة مجاهدي خلق الإيرانية، وهي أكبر مجموعة مقاومة وأكثرها شعبية داخل إيران. للتفاصيل ينظر:
https://iranfreedom.org/en/national-council-of-resistance-of-iran/

(29) Olli Heinonen, The Iranian Nuclear Programme: Practical Parameters for a Credible Long-Term Agreement, London, 2014, P. 9; Iran Nuclear, May, 2018, https://www.nti.org/learn/countries/iran/nuclear/;

(30) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.34.

(31) Qouted in Ibid., P.34.

(32) Olli Heinonen, Op. Cit., P.9.

(33) للتفاصيل عن الزيارات وتقرير مدير الوكالة للطاقة الذرية ينظر:
Report by the Director General, , Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran, 10 November 2003, Board of Governors, International Atomic Energy Agency GOV/2003/75,

(34) Steve Coll, will Iran get that bomb, Yale University Press, P. 35.

(35) Olli Heinonen, Op. Cit., P.١٠.

(36) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran, 24 February 2004, Board of Governors, IAEA, GOV/2004/11.

(37) Quoted in Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran, Date: 1 June 2004, Board of Governors, GOV/2004/34, P. 2.

(38) Report by the Director General, , Communication dated 26 November 2004 received from the Permanent Representatives of France, Germany, the Islamic Republic of Iran and the United Kingdom concerning the agreement signed in Paris on 15 November 2004, 26 November 2004, Board of Governors, IAEA, Information Circular, INFCIRC/637, P.2.

(39) Olli Heinonen, Op. Cit., P.9.

(40) Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.29-4.

(41) للتفاصيل عن سياسة علاقة الولايات المتحدة بسياسة البرادعي ينظر:
Anthony H. Cordesman, Op. Cit., P.40-41.

(42) Quoted in CCN Interview 28-8-2007,
http://edition.cnn.com/TRANSCRIPTS/0710/28/le.01.html

(43) Olli Heinonen, Op. Cit., P.9.

(44) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran, Report by the Director General, 15 November 2004, Board of Governors, IAEA, GOV/2004/83, , P.1,

(45) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran, Report by the Director General, 18 November 2005, Board of Governors, IAEA.

(46) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran, Report by the Director General, Date: 27 February 2006, Board of Governors, IAEA, GOV/2006/15, P. 2.

(47) Olli Heinonen, Op. Cit., P.10.
(48) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement in the Islamic Republic of Iran Report by the Director General, 8 June 2006, Board of Governors, IAEA, GOV/2006/38, P. 1.
(49) Adopted by the Security Council at its 5500th meeting, 31 July 2006, United Nations, Security Council, S/RES/1696 (2006), P.1-3.
(50) Adopted by the Security Council at its 5612th meeting, 23 December 2006, United Nations, Security Council, S/RES/1737 (2006), P. 2.

(51) محمد عطا زهرة ، المصدر السابق، ص٢٥.
(52) Cooperation between the Islamic Republic of Iran and the Agency in the light of United Nations Security Council Resolution 1737 (2006), 9 February 2007, United Nations, Security Council, GOV/2007/7, P. 1-7; Implementation of the NPT Safeguards Agreement and Relevant Provisions of Security Council Resolution 1737 (2006) in the Islamic Republic of Iran, 22 February 2007, United Nations, Security Council, GOV/2007/8, P. 1-٦.
(53) Adopted by the Security Council at its 55647th meeting, 24 march 2007, United Nations, Security Council, S/RES/1747 (2007), P. 2.
(54) قدمت الوكالة بعد اصدار قرار مجلس الأمن في ٢٤ اذار ثلاث تقارير في عام ٢٠٠٧ واربع تقارير في عام ٢٠٠٨
للتفاصيل ينظر:
https://www.iaea.org/newscenter/focus/iran/iaea-and-iran-iaea-reports
(55) Adopted by the Security Council at its 5848th meeting, 3 march 2008, United Nations, Security Council, Resolution 1803 (2008), S/RES/1803 (2008) p. 1-7; Adopted by the Security Council at its 5984th meeting, 27 September 2008, United Nations, Security Council, Resolution 1835 (2008), S/RES/1835 (2008) p. 1-٦.

(56) محمد عطا زهرة، المصدر السابق، ص ٢٨.
(57) Olli Heinonen, Op. Cit., P.10.
(58) محمد عطا زهرة، المصدر السابق ، ص٢٩.
(59) للتفاصيل عن تلك التقارير ينظر موقع الوكالة الدولية
https://www.iaea.org/newscenter/focus/iran/iaea-and-iran-iaea-reports
(60) Olli Heinonen, Op. Cit., P.10.
(61) محمد عطا زهرة ، المصدر السابق، ص ٢٩
(62) Adopted by the Security Council at its 6335th meeting, 9 Jun 2007, United Nations, Security Council, S/RES/1929 (2010), P. 1-18.
(63) Olli Heinonen, Op. Cit., P.١١.

(64) Adopted by the Security Council at its 6552nd meeting, 9 June 2011, United Nations, Security Council S/RES/1984 (2011), P.1.
(65) للتفاصيل عن تلك التقارير ينظر موقع الوكالة الدولية

https://www.iaea.org/newscenter/focus/iran/iaea-and-iran-iaea-reports

(66) Olli Heinonen, Op. Cit., P.١١.
(67) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement and relevant provisions of Security Council resolutions in the Islamic Republic of Iran, 8 November 2011, Board of Governors, IAEA, GOV/2011/65, P.2.
(68) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement and relevant provisions of Security Council resolutions in the Islamic Republic of Iran, 24 February 2012, Board of Governors, IAEA, GOV/2012/9, P. 13.
(69) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement and relevant provisions of Security Council resolutions in the Islamic Republic of Iran, 25 May 2012, Board of Governors, IAEA, GOV/2012/23, P. 2.
(70) Adopted by the Security Council at its 6552nd meeting, on 9 June 2011, United Nations, Security Council, S/RES/1984 (2011), P. 1.
(71) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement and relevant provisions of Security Council resolutions in the Islamic Republic of Iran, 30 August 2012, Board of Governors, IAEA, GOV/2012/37, P. 1-15.
(72) Report by the Director General, Implementation of the NPT Safeguards Agreement and relevant provisions of Security Council resolutions in the Islamic Republic of Iran, 16 November 2012, Board of Governors, IAEA, GOV/2012/55, P. 1-13.
(73) Quoted in Joint Plan of Action, Geneva, 24 November 2013, Negotiators from Iran, the United States and five other world powers signed an accord early Sunday that would temporarily freeze Iran's nuclear program, the New York Times, November 25, 2013.
(74) Report by the Director General, Monitoring and Verification in the Islamic Republic of Iran in the relation to the Joint Plan of Action, 17 January 2013, Board of Governors, IAEA, GOV/2014/2, Attachment, P. 5.
(75) https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2015/4/6/لوزان-اتفاق
(76) Joint Comprehensive Plan of Action, Vienna, 14 July 2015, Full text of the Iran nuclear deal, the Washington post, July 14, 2015.
(77) Adopted by the Security Council at its 7488th meeting, on 20 July 2015, United Nations, Security Council, S/RES/2231 (2015), P. 1-104.
(78) Quoted in President Donald Trump signs a document reinstating sanctions against Iran after announcing the U.S. withdrawal from the Iran nuclear deal at the White House on May 8, 2018, NBC News, https://www.nbcnews.com/think/opinion/trump-s-withdrawal-iran-nuclear-deal-has-been-vindicated-ncna1003091

تطور البرلمان في عهد شارل الاول واثره على انكلترا

(١٦٢٥-١٦٤٩)

The evolution of the Parliament under Charles I and its effect on England (1625-1649)

أ.م.د. تماضر عبد الجبار ابراهيم الاحمدي

Prepared by the Assistant Professor Dr. Tamadhur Abdul Jabbar Ibrahim AL-Ahmedi .

الجامعة المستنصرية- كلية التربية الاساسية/ قسم التاريخ

الأيميل:leath2007abr@yahoo.com

تطور البرلمان في عهد شارل الاول واثره على انكلترا (١٦٢٥-١٦٤٩)

أ.م.د. تماضر عبد الجبار ابراهيم الاحمدي

الملخص: تناولت الدراسة تطور البرلمان في عهد الملك شارل الاول واثره على انكلترا(١٦٢٥-١٦٤٩)، اذ تميز عهده بازدياد الصراعات مع البرلمان على الرغم من ان ذلك الصراع بدا في عهد والده الملك جيمس الاول بسبب حاجته الى الاموال لتمويل حروبه، وتطور الإحداث يوضح مراحل تطور البرلمان والاساليب التي اتخذها لمواجه تلك العقبات التي تمثلت في الحكم الفردي والملكية المطلقة وحق الملوك الالهي في الحكم، اذ ادت تلك الصراعات الى حل البرلمان لمدة احدى عشر عاما، وحكم الملك شارل الاول انكلترا حكما فرديا، الا ان الضرورة استوجبت على الاخير استدعى البرلمان الذي اصدار اللوائح الاصلاحية وهما ملتمس الحقوق عام ١٦٢٨ والاحتجاج العظيم عام ١٦٤١، وادت تلك الصراعات الى حدوث حرب الاساقفة الاولى والحرب الاهلية الاولى والحرب الاهلية الثانية، وتمكن البرلمان من اضعاف سلطة الملك المطلقة وتحرره من القيود الملكية واصدار قوانينه وفق بنود الدستور.

Abstract: The study examined the development of the Parliament during the reign of King Charles I and his influence on England (1625-1649). His reign was characterized by increasing conflicts with the Parliament, although this conflict appeared during the reign of his father King James I because of his need for money to finance his wars. The stages of the development of the parliament and the ways it took to face these obstacles, which were represented in the individual rule and absolute monarchy and the right of divine kings to govern, as these conflicts led to the dissolution of Parliament for eleven years, and ruled King Charles I England individually, Who issue the original regulations in 1628 And the great protest in 1641, which led to the first bishops' war, the first civil war and the second civil war, and the parliament was able to weaken the monarch's absolute authority and liberate him from royal restrictions and issue his laws according to the provisions of the constitution.

المقدمة:

تهدف الدراسة الى دراسة تطور البرلمان في انكلترا اثناء عهد الملك شارل الاول(١٦٢٥-١٦٤٩) واثر ذلك التطور على انكلترا، لما اهمية تلك المدة وما رافقها من تطورات وصراعات بين الملك والبرلمان، تلك الصراعات التي ادت الى اصدار اللوائح الاصلاحية من جانب البرلمان وهما ملتمس

الحقوق عام ١٦٢٨ والاحتجاج العظيم عام ١٦٤١، وادت تلك الصراعات الى حدوث حرب الاساقفة الاولى في اسكتلندا عام١٦٣٩، والحرب الاهلية الاولى عام١٦٤٢ والحرب الاهلية الثانية عام١٦٤٨، وبالتالي قاد تلك الحروب الى تحرر البرلمان من القيود الملكية وتطبيق قوانينه واصلاحاته وفق الدستور .

اعتمدت الدراسة على منهجية وحدة الموضوع. وكان لا بد لنا في بداية الدراسة التطرق الى نشأه الملك شارل الاول لأهمية تأثير ذلك على اسلوب حكمه كملك، فقد ادى صراع الملك شارل الاول مع البرلمان لحله، وحكم انكلترا حكما فرديا لمدة احدى عشر عاما، الا ان حاجته الى الاموال بسبب الحروب التي خاضها ادى الى استدعى البرلمان، الا ان البرلمان تمكن من اضعاف سلطته المطلقة وتقييد صلاحيته ومحاكمته عام ١٦٤٩.

قسم البحث الى ثلاث فصول ومقدمة وخاتمة وقائمة مصادر.

تناول الفصل الاول بعنوان(حياة شارل الاول وبداية حكمه لإنكلترا) ثلاث مطالب، الاول نشأه الامير شارل، والثاني ولي العهد الامير شارل(١٦١٢-١٦٢٤)، اما الثالث بداية حكم شارل الاول. اما الفصل الثاني كان بعنوان (حكم الملك شارل الاول لإنكلترا(١٦٢٥-١٦٤٠) تطرق الى مطلبين، الاول علاقه مع البرلمان الانكليزي(١٦٢٥-١٦٢٩)، اما الثاني حكمه الفردي(١٦٢٩-١٦٤٠). ودرس الفصل الثالث الذي كان بعنوان (سياسة الملك شارل الاول) في ثلاث مطالب، الاول سياسته في اسكتلندا(١٦٣٣-١٦٣٩)، والثاني علاقه مع البرلمان عام ١٦٤٠، والثالث اعمال البرلمان الطويل (١٦٤٠-١٦٤٩) .

ان دراسة البرلمان الانكليزي في القرن السابع عشر ليس بالأمر السهل بالنسبة للباحث لصعوبة الحصول على وثائق البرلمان في تلك المدة، الا ان بعض المصادر عرضت وثائق البرلمان في تلك المدة في فصل مستقل، وتناولت تفاصيل تلك الوثائق بشكل دقيق، وكان اهمها كتاب كيرزون بعنوان الثورة الانكليزية

Guizot, F., History of The English Revolution, London, 1958.

والكتاب الاخر الوثائقي هو مالكن مايكل بعنوان نبلاء العائلة الاوربية المالكة

Maclagan, Michael, Lines of Succession: Heraldry of the Royal Families of Europe (2nd ed.), London,1999.

الفصل الاول: حياة شارل الاول وبداية حكمه لإنكلترا:

اولا: نشأة الامير شارل :

ولد في قصر دنفرملاين (Dunfermline) في اسكتلندا، انكلترا في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٦٠٠، وهو الابن الثاني لجيمس الأول ستوارت (او جيمس السادس) (١٦٠٣-١٦٢٥) وآن من الدنمارك، تربى في كنف مربين اسكتلنديين وإنكليز لأنه ولد مريض وضعيف (يعاني مرض الكساح). وكان تقليد ملوك انكلترا يجب ان يعد الابن الثاني كفارس، لذلك عين دوق يورك(York) في كانون الثاني ١٦٠٥، ليتولى تدريبه كفارس، وكذلك عين توماس موراي معلم، يعلمه الكلاسيكية واللغات والرياضيات والدين، وصار الامير شارل فارس في عام ١٦١١ [١]، ولقب دوق ألباني (Duke of Albany)، اللقب التقليدي للولد الثاني للملك، بالإضافة الى القاب اخرى الماركيز أورموند (Marquess of Ormond، وإيرل روس(Earl of Ross)، واللورد أردمانوش (Lord Ardmannoch) . بالرغم من ان الامير شارل صار فارس ورامي بارز لكنه كان اقل كفاءة من اخية الاكبر هنري ولي عهد انكلترا، غير ان وفاة الاخير بسبب التيفوئيد في تشرين الثاني ١٦١٢ صار الامير شارل ولي عهد انكلترا وعمره اثناء عشر عاما، ولقب بعدة القاب دوق كورنوال(Duke of Cornwall) ودوق روثيساي (Duke of Rothesay)، وبعد أربع سنوات صار أمير ويلز وايرل شيستر في تشرين الثاني ١٦١٦[٢]. نستدل على ان الامير شارل اعد كفارس منذ الصغر وليس ولي عهد انكلترا، ذلك لأنه الابن الثاني للملك وحسب تقليد الملوك يجب ان يعد كفارس، الا ان وفاة اخية الاكبر ولي عهد انكلترا ادى ذلك الى ان يتولى مكانه الامير شارل ويكون ولي عهد انكلترا .

السؤال الذي يتبادل الى الاذهان، كيف اثرت صفاته الشخصية على ممارسة سلطته كملك؟

عانى الامير شارل في طفولته مرض المفاصل(الكساح)، وكان لديه عقبة في كلامه (الفأفأة) جعلته منزعج منها طوال حياته. وفي الحقيقة كانت نشأه في الطفولة لها تأثير كبير على أحداث حكمه حتى بلغ اثني عشر عاما، اذ كان قد عاش في ظل أخيه الأكبر سنا وأكثر ثقة هنري، والاخير قويا جسديا، وولي عهد إنكلترا حتى وفاته بسبب الحمى(التيفوئيد) بداية تشرين الثاني ١٦١٢، واسرته لم تهتم بالأمير شارل الا اهتمام ضئيل لأنه الاصغر سنا ومريض، لذلك فقد نشأه خجولا وغير قادر على التواصل بسهولة، وحساسة يفتقر إلى الثقة في قدراته الخاصة، الا انه كان ذو اخلاق اعجب كل من التقى به، وذكيا وإدراكيا في بعض الأمور، منها انه أهتم بشكل مميز بالفنانين والمهندسين المعماريين، وكان له مقر في وايتهال ووندسور الذي ضم مجموعة كبيرة من تلك الاعمال الفنية المميزة، وكذلك يحب الصيد والخيول، لذا تركت طفولته الأولى بصماتها على سلوك شارل الاول كملك[٣].

تزوج شارل الاول الأميرة الفرنسية هنريتا ماريا البالغة من العمر خمسة عشر عاما في انكلترا في الثالث عشر من حزيران عام ١٦٢٥، وبعد مرور ثلاث سنوات على زواجهما صار لدية تسعة اولاد، وكانوا أربعة أبناء وهم (شارل الذي توفي في سن المراهقة، شارل الذي أصبح الملك شارل الثاني، جيمس، هنري)، وخمس بنات (ماري، إليزابيث ، آن، كاثرين، هنريتا آن)[٤]. كان لابد لنا من التطرق الى تفاصيل تنشئه وشخصيته، التي كان لها اثر هامة في الطريقة التي تعامل بها مع الأحداث اثناء مدة حكمه، وما لها من تأثير مباشر على انكلترا.

ثانيا: ولي العهد الامير شارل (١٦١٢-١٦٢٤):

تزوجت إليزابيث شقيقة الامير شارل فريدريك الخامس(١٦١٩-١٦٣٢)[٥] امير البلاتينات الالمانية على نهر الراين عام١٦١٢، وانتقلت إلى هايدلبرغ (جنوب غربي ألمانيا). وبعد ان تمردوا البوهيميون ضد ملكهم فرديناند الكاثوليك[٦] في أب عام ١٦١٨، اختاروا فريدريك الخامس بدلا عنه الذي كان زعيم الاتحاد البروتستانتي، وقبول الاخير التاج البوهيمي في تحد للإمبراطور فرديناند الكاثوليك، وادى ذلك الى حدوث الاضطراب الذي من شأنه تطور إلى حرب الثلاثين عاما(١٦١٨-١٦٤٨). اما موقف الملك جيمس الاول الذي تردد في تقديم الدعم لفريدريك الخامس وحاول التوسط بينه وبينه الاسبان والنمسا في البداية، الا انه الاهلين في لندن والبرلمان الإنكليزي كان تأييدهم كبيرا لفريدريك الخامس، لأنه صراع بين الكاثوليك والبروتستانت، وبعد ضغطهم الشديد على الملك جيمس الاول قدم المساعدة له، وقاد الامير شارل معركة الجبل الأبيض بالقرب من براغ عام١٦٢٠، غير انه خسر فيها، واحتلت الأراضي في البالاتينات من جانب قوات هابسبورغ الهولندية والاسبانية[٧]. يتوضح لدينا بان الملك جيمس الاول تردد في البداية في تقديم المساعدة العسكرية الى فريدريك الخامس زوج ابنته واقتصر دعمه على التوسط بين الاطراف المتنازعة، وذلك بسبب ارتيابه من توتر علاقة انكلترا مع اسبانيا.

في الاثناء تلك، دعا الملك جيمس الاول البرلمان الإنكليزي للانعقاد في عام ١٦٢١، وكان البرلمان الانكليزي خاضعة لسيطرته، واثناء انعقاده طلب الملك جيمس الاول المال دون ان يبين لأعضائه السبب، لذلك منحه البرلمان الانكليزي مبلغا جزئيا، بالرغم من ذلك لم يعلن الملك جيمس الاول سبب حصوله على الاموال، وكان اعضاء البرلمان الانكليزي يرغبوا الموافقة في إنفاذ قوانين الاسترداد، وحملة بحرية ضد إسبانيا، والزواج البروتستانتي لابنه امير ويلز شارل، لذا حاول مجلس العموم التصويت على الضرائب مشروطا بإعلان الحرب على إسبانيا، وناقشوا مظالم الاهلين في انكلترا وخاصة الاحتكارات الغير قانونية التي زادت عن حدها، وكذلك اتهم البرلمان الإنكليزي فرنسيس بيكن(Francis Bacon)[٨] مستشار جيمس الاول بالفساد أمام مجلس اللوردات، وامروا بإقالته من الوزارة لأنه اخذ الرشوة، الا ان الملك جيمس الاول أصر على أن يهتم مجلس العموم بالشؤون الداخلية وللملك صلاحيه

الشؤون الخارجية التي تتمثل بإعلان الحرب ضد اسبانيا، غير ان اعضاء البرلمان الانكليزي احتجوا على أن لهم الحق في حرية التعبير في مجلس العموم، مطالبين بالحرب ضد اسبانيا وأميرة ويلز يحب ان تكون بروتستانتية وليس كاثوليكية، وكان اصرار اعضاء البرلمان الانكليزي على رايهم بعد اجتماعهم في جلسة ثانية في السنة نفسها، بالإضافة الى طلبهم طرد السفير الاسباني كوندومار (Condomar) الذي تمكن من اقناع الملك جيمس الاول في عدم دخول انكلترا الحرب ضد اسبانيا، متخذا حجة انسحاب اسبانيا من البلاتينات، اما موقف الامير شارل الذي ايد والده في انتهاك مجلس العموم صلاحيات والده الملكية، لذا حل الملك جيمس الاول البرلمان في كانون الثاني١٦٢٢[٩]. نستدل على ان البرلمان الانكليزي كانت سلطته ضعيفة والملك يفرض عليهم الموافق على الامور دون مناقشتها، وفي حالة الاعتراض عليها من جانب البرلمان يلجئ الملك جيمس الاول الى حل البرلمان ليتمكن من تنفيذ قرارته في تلك الامور دون تدخل البرلمان.

في الوقت نفسه، كان الملك جيمس الاول يسعى إلى زواج ابنه امير ويلز شارل من الأميرة ماريا آنا من إسبانيا التي هي ابنة أخ فرديناند الكاثوليك، كوسيلة دبلوماسية لتحقيق السلام في أوروبا، وشجع دوق باكنغهام(Duke of Buckingham)[١٠] الملك جيمس الاول على ذلك الامر، لذا سافر الامير شارل مع دوق باكنغهام إلى إسبانيا بشكل غير رسمي في محاولة للتوصل إلى اتفاق حول المبادرة الإسبانية وزواج الامير شارل من الاميرة ماريا أنا في شباط ١٦٢٣، وكان لدوق باكنغهام تأثير كبير على الأمير شارل في التباحث مع الاسبان، غير ان المفاوضات مع إسبانيا لم تلقى تأييدها بشكل عام في انكلترا، اذ ان الاهلين والبرلمان الإنكليزي كانا معاديا حيال إسبانيا والكاثوليكية، الا ان تلك المفاوضات فشلت بسبب طلب الإسبان أن يتحول الأمير شارل إلى الكاثوليكية كشرط لتلك المبادرة، وأصر الإسبان على التسامح مع الكاثوليك في إنكلترا، وإلغاء قوانين العقوبات، غير ان الأمير شارل رفضها لان البرلمان الانكليزي لن يوافق عليها، لذا امهلته إسبانيا مدة عام لقبول تلك الشروط، وعندما عاد الأمير شارل إلى لندن في تشرين الأول ١٦٢٣، رحب الاهلين في انكلترا بفشل تلك المبادرة وعدم زواجه من الاميرة الاسبانية ماريا آنا، لذلك شجع دوق باكنغهام الملك جيمس الاول الى إعلان الحرب ضد إسبانيا[١١]. نستدل على ان اسبانيا حاولت استغلال تفوقها العسكري في الاثناء تلك لفرض شروطها على إنكلترا، الامر الذي ادى لفشل المصاهرة بين الدولتين.

اعلان الحرب على اسبانيا كان يتوجب على الملك جيمس الاول جمع الاموال اللازمة للحرب، وشجعه مستشارية على استدعى البرلمان الانكليزي ليتمكن من طلب الإعانات للحرب عام ١٦٢٤، الا انه فشل في الحصول على الدعم من البرلمان الانكليزي، وعلى اثرها أقال اثنين هما أمين الصندوق ليونيل كرانفيلد(Lionel Cranfield) والإيرل الأول ميدليزكس(1st Earl of Middlesex)، اللذان

عارضا الحرب البرية على أساس التكلفة، وكانوا يفضلوا حرب بحرية ضد اسبانيا. بالرغم من ذلك جهز الملك جيمس الاول جيشا مؤقتا مول بشكل غير كاف بقيادة إرنست فون مانسفيلد (Ernst von Mansfeld)لاستعادة البالاتينات، ولم يتمكن الجيش من التقدم أبعد من الساحل الهولندي بداية عام١٦٢٤، كانت الاوضاع تزداد سوءا والملك جيمس الاول وجد صعوبة بالغة في السيطرة على البرلمان الانكليزي حتى وفاته في اذار ١٦٢٥، وبعد وفاة الاخير تولى الامير شارل ودوق باكنغهام السيطرة الفعلية على انكلترا[١٢]. نستوضح ان الملك جيمس الاول كان على خلاف حاد مع البرلمان الانكليزي اثناء مدة حكمه، ولم يحاول ان يتخذ وسائل دبلوماسية لأنها ذلك الخلاف لتمسكه بنظرية الحق الالهي للحكم .

ثالثا: بداية حكم شارل الاول(Charles I):

حكم شارل الاول إنكلترا واسكتلندا وإيرلندا في السابع والعشرون من اذار ١٦٢٥ حتى الثلاثون من كانون الثاني ١٦٤٩، بعد وفاة والده الملك جيمس الأول (١٦٠٣–١٦٢٥). كان فشل التعاون مع اسبانيا ادى الى توجه شارل الاول ودوق باكنغهام إلى فرنسا لتوطيد التعاون معها، لذا تزوج شارل الاول بالوكالة الأميرة الفرنسية هنريتا ماريا(Henrietta Maria) البالغة من العمر خمسة عشر عاما في باريس بداية ايار ١٦٢٥، ثم تزوجا في انكلترا في الثالث عشر من حزيران ١٦٢٥، وعمد شارل الاول الى تأخير عقد أول برلمان له حتى بعد الحفل الثاني لزواجه لمنع أي معارضة لذلك الزواج، اذ كان العديد من اعضاء مجلس العموم يعارضون زواج الملك من اميرة كاثوليكية، خوفا من ان يرفع شارل الاول القيود المفروضة على الكاثوليك، ويقوض المؤسسة الرسمية لكنيسة انكلترا التي تم اصلاحها، وعلى الرغم من تعهد الملك شارل الاول للبرلمان الانكليزي بعدم رفع بعض القيود الدينية المفروضة على الكاثوليك، الا انه وعد بذلك في معاهدة الزواج السرية مع شقيق زوجته لويس الثالث عشر في فرنسا[١٣]، بالإضافة الى ذلك، المعاهدة الخاصة بإعارة فرنسا السفن البحرية الإنكليزية السبعة، التي من شأنها أن تستخدم لقمع البروتستانت في لاروشيل في ايلول ١٦٢٥، ولتفادي ذلك الامر ارسل الدوق باكنغهام حملة الى قادش (الميناء الاسباني) للاستيلاء على الموانئ والاساطيل الاسبانية الا ان الحملة فشلت، لذلك اراد شارل الاول ان يستمد المساعدة المالية من البرلمان الانكليزي قبل ان يحارب الاسبان[١٤]. نستوضح ان الملك شارل الاول كان يتعهد لفرنسا وفي الوقت نفسة كان متعهد لبرلمان انكلترا على نقيض تلك التعهدات، وربما اتخذ شارل الاول تلك السياسة ليتخلص من الارث الثقيل الذي ورثه بعد وفاة والده الملك جيمس الاول وكان اهمها الصراع بين الملك والبرلمان.

توج شارل الاول في الثاني من شباط ١٦٢٦ في دير وستمنستر(Westminster)، ولكن من دون زوجته لأنها رفضت المشاركة في احتفال ديني بروتستانتي. كان الملك شارل الاول دينيا، وصار

طابع المحكمة اكثر بساطة في عهده، وعمد إلى الحفاظ والتركيز على الاشكال الفنية المنظمة، وانعكس ذلك في الإجراءات والقواعد التي اعتمدها لمحكمته، اذ اتخذ الشكل الرسمي للمحكمة الإسبانية التي اعجب بها خلال زيارته لها عام١٦٢٣، وكان يؤكد على احترام خصوصية العائلة المالكة، وعلى الرغم من ان البروتستانتية في معتقداته، الا انه اكد على احترام وجهات النظر الكاثوليكية[١٥].

كان الملك شارل الاول وسيما تبدو علية سيماء الملك والرجولة، محبوبا لدى الشعب الانكليزي، غير أن إرادته القوية تراجعت بسبب سوء إدارة شؤون البلاد في تقليد سياسة والده جيمس الاول، فقد واجهة في بداية حكمة ما ترك والده من صعوبات، اذا كانت علاقة الاخير مع البرلمان متوترة بسبب الخلافات في بعض الموضوعات التي وصلت المناقشات فيها الى مستوى الشك المتبادل الذي من شأنه أن يطرح مشاكل خلفه[١٦].

كانت إنكلترا أقل الدول الأوروبية في فرض الضرائب، اذ ليس لديها اي ضريبة منتظمة، ولزيادة العائدات إعادة الملك شارل الاول إحياء تقليد معلق لأكثر من قرن يسمى (تقييد الفروسية) الذي يتطلب من أي رجل ان يحصل على اربعون جنيه استرليني أو أكثر من ارضه الزراعية كل عام، يقدم نفسه في تتويج الملك ليكون فارس، ويغرم الذين لم يحضروا في حفل تتويجه عام ١٦٢٦[١٧]. نستدل على ان الملك شارل الاول اخذ في فرض الضرائب لحاجة انكلترا الى الاموال وخاصة اثناء الحرب.

الفصل الثاني: حكم الملك شارل الاول لإنكلترا (١٦٢٥-١٦٤٠):

اولا: علاقه مع البرلمان الانكليزي (١٦٢٥-١٦٢٩):

اجتمع **البرلمان الإنكليزي الاول** في الثامن عشر من حزيران ١٦٢٥، بسبب حاجة الملك شارل الاول الى الاموال للحرب ضد اسبانيا في البلاتينات، وناقش اعضاء البرلمان اثناء اجتماعهم امور عده اهمها، ان سبب الحرب مع اسبانيا هو فشل زواج الملك شارل الاول من الاميرة الاسبانية ماريا أنا، ويتوجب على الملك شارل الاول ان يستشير المستشارين بالمجلس الاستشاري في اتخاذ القرارات التي تخص شؤون انكلترا بدلا من الاعتماد على راي احد مستشارية المقربين له، وكذلك بحث البرلمان الإنكليزي زواج الملك شارل الاول من الاميرة الفرنسية هنريتا ماريا اخت لويس الثالث عشر التي تدين الكثلكة، والاتفاق السري بشان التسامح مع الكاثوليك واطلاق سراح المسجونين منهم، والافضل للملك شارل الاول ان يقضي على الكاثوليك، وحاول الاخير مع وزيره الاول دوق باكنغهام ان يبرر سياسته ومطالبته بالأموال لتغطية نفقات الحرب، الا ان البرلمان كان قراره بان يكون هجوم بحريا على المستعمرات الإسبانية التي تكون نفقاتها اقل، ومنحه البرلمان إعانة قدرها مائة واربعون ألف جنيه إسترليني، والمبلغ غير كاف لسد نفقات القوات المرسل ضد اسبانيا في البلاتينات[١٨]، بالإضافة الى ذلك

وضح دوق باكنغهام للبرلمان الانكليزي، بان الملك شارل الاول ارسل قواته الى البلاتينات لمساندة البروتستانت، ومساعدة الهولنديين في حرب الثلاثين عام، وانقاذ الدانيمركيين، الا ان اعضاء البرلمان احتجوا على ذلك الامر لأنه يعرض انكلترا لمخاطر كبيرة وتكاليفه كثير[١٩].

وفي الاثناء تلك، دعا البيورتان[٢٠] الملك شارل الاول للصلاة والتبشير في كنيسة انكلترا، الذي كان سائدة في مجلس العموم، غير انه تعاطف مع ما كان يعرف باسم حزب الكنيسة العليا، الذي أكد على قيمة كتاب الصلاة وصيانة تعاليمه[٢١].

علاوة على ذلك، لم يوافق مجلس العموم في فرض (رسوم حمولة) ورسوم كمركية اخرى لمدة عام واحدة، على الرغم من أنها كانت تفرض مدى الحياة سابقا، الا بعد إجراء استعراض شامل للعائدات الكمركية، الا ان مشروع القانون لم يحرز أي تقدم في مجلس اللوردات بعد قراءته الأولى، وعلى الرغم من أنه لم يتم الحصول على أي قانون برلماني لفرض تلك الرسوم، استمر الملك شارل الاول في جمع الرسوم لسد نفقاته الحربية بعد ان حل البرلمان[٢٢]. يتوضح لدينا، ان الملك شارل الاول كان يكرس جميع جهوده لجمع الاموال اللازمة لتمويل قواته في الحرب بينما اعضاء البرلمان الانكليزي يعارضوا ذلك الامر، وحاولوا وضع العديد من المعوقات للحيلولة دون جمع تلك الاموال، وربما يعود السبب لأنه خاض تلك الحرب دون استشارتهم .

عقد **البرلمان الإنكليزي الثاني** في السادس من شباط ١٦٢٦، بعد ان مهد الملك شارل الاول لعقده[٢٣]، وذلك بأبعاد بعض المسؤولين في مجلس العموم بعد تعيينهم في الوظائف العليا في مقاطعتهم، وتنفيذ القوانين ضد الكاثوليك، وكذلك جعل الملك شارل الاول الاسقف وليم لود(William Laud)[٢٤] واعظا في المجلسين العموم واللوردات اثناء انعقاد البرلمان الانكليزي، وكان الوعظ استعراضنا عاما لوحدة الدولة والدين، وايد أعضاء البرلمان ذلك لكن لم يهتموا به كثير، بل ايدوا انتقاد جون اليوت(John Eliot)[٢٥] الذي وضح سبب خسائر انكلترا العسكرية بقوله: "**ان سفننا اغرقت، ورجالنا هلكوا، لا بسيف الاعداء، ولا عن طريق الصدفة، انما بسبب الذين وضعنا الثقة فيهم**"، لذلك لم يوافق اعضاء البرلمان على طلب الملك شارل الاول تزويده بالمال[٢٦]. نستدل على الخسائر التي منيت بها انكلترا في حروبها السابقة لم تشجع البرلمان الانكليزي على مساندة الملك شارل الاول في تزويده بالأموال من اجل استمراره في تلك الحروب .

فيما بعد اعد مجلس العموم إجراءاته لإقالة الدوق باكنغهام في ايار ١٦٢٦، الا ان موقف الملك شارل الاول الذي تمثل بانه رشح دوق باكنغهام كمستشار لجامعة كامبريدج، وامر باعتقال زعيما مجلس العموم اللذان اصدرا القرار ضده وهما دادلي ديجز(Dudley Digges) والسير جون إليوت، مما اثار

غضب مجلس العموم بسجن اثنين من أعضائه، وعلق المجلس اعماله الى ان يطلق سراحهما، وبعد أسبوع تم الإفراج عنهما(٢٧).

في الاثناء تلك، شن مجلس العموم احتجاجا ضد دوق باكنغهام في الثاني عشر من حزيران ١٦٢٦، وقدمت مذكرة للملك شارل الاول جاء فيها: "**نحن نحتج أمام جلالتكم والعالم أجمع أنه حتى يتم إزالة ذلك الشخص العظيم من التدخل في شؤون الدولة العظيمة، نحن نتمنى كل الخير والنجاح، وخشية من أن أي أموال ستقدم أو يمكن أن تعطى، ومن خلال تدخله تتحول بدلا من ذلك إلى الأذى والتحامل على مملكتنا الى غير ذلك، كما في التجربة المؤسفة وجدنا تلك الإمدادات الكبيرة سابقا والتي أعطيت مؤخرا**"، على الرغم من احتجاج البرلمان، إلا أن الملك شارل الاول رفض إقالة دوق باكنغهام، وقرر حل ذلك البرلمان بعد ان رفض تزويده بالمال لتسديد نفقاته الحربية في نهاية حزيران ١٦٢٦(٢٨). يتبن لدينا بان الملك شارل الاول كان يثق بدوق باكنغهام مستشاره، ولا يمكن استغنائه عن خدماته ونصائحه في تسير شؤون حكم انكلترا، لذلك لم يستجيب لطلب اعضاء البرلمان الذين ارادوا وضع حد لسياسة دوق باكنغهام في ادارة شؤون انكلترا.

في الوقت نفسه، كانت الخلافات الداخلية بين الملك شارل الاول وهنريتا ماريا تزداد في السنوات الأولى من زواجهما، وتمثلت تلك الخلافات بعدم التزامه بشأن ما تعهد به من شروط قبل زواجهما في فرنسا، وممارسة ديانتها، بالإضافة الى طرد الملك شارل الاول اغلب الفرنسيين المرافقين لها في أب ١٦٢٦، ولم ينفذ اتفاقه على تزويد الفرنسيون بالسفن الإنكليزية السبع(٢٩).

علاوة على ذلك، شن الملك شارل الاول هجوما على الساحل الفرنسي للدفاع عن البروتستانت هوغينوتس(Huguenots) في لاروشيل بقيادة دوق باكنغهام في عام ١٦٢٧، لكن الاخير فشل في حمايتهم وانسحب من سانت مارتن دي ري بسبب قلت التمويل، شجع ذلك لويس الثالث عشر على حصار لاروشيل، وعزز ذلك الامر من الاسراع في عقد البرلمان الإنكليزي الجديد وقلت شعبيه دوق باكنغهام، اذ عمد الاخير الى توزيع بحارته قبل الحرب وبعدها على بيوت الاهلين في انكلترا لتامين المأكل والمبيت لهم، مما سبب ثقلا على الاهلين في انكلترا (٣٠).

أثار الملك شارل الاول مزيدا من اضطراب الاوضاع في انكلترا بعد محاوله جمع الأموال للحرب بفرض (قرض اجباري) ضريبة تفرض بدون موافقة البرلمان في تشرين الثاني ١٦٢٧، والذي يمتنع عن دفع القرض الإجباري، يحق للملك شارل الاول سجنه دون محاكمة، وامر الاخير باعتقال اكثر من سبعون شخص امتنع عن دفع ذلك القرض(٣١).

تدهور الاوضاع في انكلترا اوجب على الملك شارل الاول اطلاق سراح المسجونين ولاسيما اعضاء البرلمان، لأجراء الانتخابات، وعمد الاهلين في انكلترا الى انتخاب من وقف ضد سياسة الملك شارل الاول وخاصة الذين سجنوا من اعضاء البرلمان، وعلى اثر ذلك استئناف اجتماع **البرلمان الانكليزي الثالث** في اذار ١٦٢٨، واهم ما ناقشه البرلمان منع جمع الاموال دون موافقة البرلمان، وعدم سجن أي شخص دون توضيح السبب [٣٢].

في السادس والعشرون من ايار ١٦٢٨، اعتمد البرلمان الإنكليزي عريضة من الحقوق سميت **ملتمس الحقوق**(Petition of Rights)، التي دعت الملك شارل الاول إلى الإقرار بعدم استحصال أية ضرائب أو فرضها من دون موافقة البرلمان، وعدم فرض الأحكام العرفية على المدنيين، والزج بهم في السجون من دون محاكمة، وعدم إجبار الاهلين على استضافة الجنود في منازلهم بلا مقابل، نتيجة لذلك ازداد التوتر بين مؤيدي الملك بقيادة جورج فيليرس (George Villiers)ودوق بكنغهام، والمعارضين بقيادة جون إليوت، حول الاَحتجاج على سياسة الملك شارل الاول وضرورة قبوله مضمون اللائحة بالكامل، لذا أمر الاخير باعتقال ثمانية من أبرز قادة البرلمان الإنكليزي وسجنوا في برجِ لندن، وأبرزهم جون إليوت الذي تدهورت صحته وادى ذلك الى وفاة، الا ان ازدياد تدهور الاوضاع اضطر الملك شارل الاول على اثرها الموافقة على ملتمس الحقوق في السابع من حزيران ١٦٢٨، الا انه حل البرلمان في نهاية حزيران ١٦٢٨، وأكد حقه في تحصيل الرسوم الكمركية من دون تفويض برلماني[٣٣]. يتوضح لدينا بان الملك شارل الاول استخدم القوة في تعامله مع اعضاء البرلمان الانكليزي من اجل جمع الاموال اللازمة للحروب التي خاضها.

اغتيل دوق باكنغهام في الثالث والعشرين من أب ١٦٢٨، على اثر ذلك شعر الملك شارل الاول بالأسى الشديد، وقد وصف إدوارد هاي(Edward Hyde) حالة الاخير بانه: "**رمى نفسه على سريره، ورثاء بالعاطفة الكثيرة وبوفرة الدموع**"، وظل حزين في غرفته لمدة يومين، على الرغم من أن وفاة دوق باكنغهام أنهى الحرب مع إسبانيا، إلا أنه لم ينهي الصراع بين الملك شارل الاول والبرلمان الإنكليزي. وفي الاثناء تلك تحسن علاقة الملك شارل الاول مع زوجته هنريتا ماريا في تشرين الثاني ١٦٢٨[٣٤]. يتوضح من ذلك ان الحروب التي خاضتها انكلترا كانت بسبب مستشاره دوق باكنغهام التي توقفت بموته .

في كانون الثاني ١٦٢٩، افتتح الملك شارل الاول الدورة الثانية للبرلمان الإنجليزي الثالث، التي اجلت منذ حزيران ١٦٢٨، وبدا الاجتماع في خطاب معتدل عن مسالة الضراب منها ضريبة حمولة، في اثناء ذلك اعترض اعضاء مجلس العموم على إحياء "الممارسات البؤبؤية" في الكنائس، وفرض

الضرائب من جانب جنود الملك دون موافقة البرلمان، وكذلك انتقد أعضاء مجلس العموم سياسه الملك شارل الاول في ضوء قضية جون رول(John Rolle) عضو في البرلمان الذي تمت مصادرة بضائعه بسبب عدم دفعه ضريبة حمولة وضرائب اخرى، واحتج العديد من النواب على أن فرض تلك الضريبة يشكل خرقا لعريضة الحقوق، لذلك امر الملك شارل الاول بتأجيل اجتماع البرلمان الى الثاني من اذار ١٦٢٩، الا ان رئيس اعضاء البرلمان السير جون فينش(John Finch)اعترض على تأجيل الجلسة الا بعد ان يتم اتخاذ القرارات الكفاية في المسائل التي تخص الكاثوليك الأرمن والضرائب منها ضريبة حمولة التي يجب أن تقر في تلك الجلسة، كانت الانتقادات عديدة ضد سياسة الملك شارل الاول، لذا عمد الاخير الى حل البرلمان، وامر باعتقال تسعة من زعماء البرلمان، وبعد موتهم اتخذت القضية تأييد الاهلين في احتجاجهم ضد سياسة الملك شارل الاول[٣٥].

نستوضح من ذلك، ان الملك شارل الاول كان يعقد البرلمان من اجل منحه الاموال اللازمة لتمويل جيوشه في الحرب، بينما شؤون انكلترا يتم تداولها مع المستشارين المقربين له واولهم دوق باكنغهام، لذلك زادت التوتر بين الملك شارل الاول واعضاء البرلمان بسبب عدم استشارتهم في اتخاذ القرارات التي تخص شؤون انكلترا ولا يحق لهم الاعتراض على السياسة التي يتخذها.

ثانيا: حكمه الفردي(١٦٢٩-١٦٤٠):

ما ان حل الملك شارل الاول البرلمان الانكليزي عام١٦٢٩، أمل ان لا يضطر إلى استدعائه، وصار يتمتع بحرية في ممارسة الحكم، لأنه تخلص من القيود البرلمانية، وحكم اثناء ذلك انكلترا حكما فرديا دون برلمان لمدة أحد عشر عاما، سميت تلك المدة ب(الحكم الفردي او الحكم الشخصي الاستبداد)، فالحكم من دون برلمان لم يكن استثنائيا في انكلترا، لأن البرلمان له صلاحية فرض الضرائب بشكل قانوني، وبدون البرلمان يتمكن الملك شارل الاول من الحصول على الأموال بفرض ضرائب جديدة تتناسب مع حقوقه وصلاحياته[٣٦].

كانت اهمية مسألة الإصلاح الانكليزي لها اثرها في اعلان الملك شارل الاول، انه سيحافظ على الكنيسة الانكليزية ودستورها ضد الذين يحاولون تدنيس شعائرها وتعاليمها، بالإضافة الى الحفاظ على حقوق وحريات رعاياها، اذا ان مرونة الإصلاح الانكليزي تسمح باعتماد عقيدة أرمينيان(Arminian)، وقمع التطرف، اذ أكدت تعاليما حق الفرد على رفض أو قبول الامور، وبالتالي ينظر إليها من جانب الكالفينية على أنها الهرطقة لإعادة الكاثوليكية، لذا تعاطف الملك شارل الاول مع تلك التعاليم، رغبته منه في الحافظ على كنيسة انكلترا بعيدا عن الكالفينية في اتجاه أكثر تقليدي وسامي، اما البيوريتان كان ينظر إليها بانها ميول غير دينية، وان المواطن يكون مخلصا اذا التزم بتعاليم الكنيسة الانكليزية[٣٧].

نستوضح ان الملك شارل الاول بعد ان حل البرلمان الانكليزي وتخلص من قيوده، سعى للسيطرة على الكنيسة الانكليزية من خلال توحيدها مع الدولة، اذ اراد الابتعاد عن التطرف الديني والتسامح في تعاليمها .

عين الملك شارل الاول وليم لود رئيس الاساقفة في عام ١٦٣٣، اذ كانت الوحدة المطلقة للكنيسة والدولة هي المثالية للملك شارل الاول ووليم لود، وبدأ سلسلة من الإصلاحات في الكنيسة الانكليزية المناهضة للكالفينية التي حاولت ضمان التوحيد الديني من خلال تقييد الدعاة غير المتطرفين، وأصرا على أن يحتفل القداس كما هو منصوص عليه في كتاب الصلاة المشتركة، وتنظيم الهيكل الداخلي للكنائس الإنكليزية، وكذلك إعادة إصدار إعلان الملك جيمس للرياضة[٣٨]، واعتبرا أن كل خصومهم خطرين أخلاقيا وسياسيا، وان تسوية الخلافات حول العقيدة والتعاليم الدينية يجب ان يكون من جانب رجال الدين في الدعوة لانعقاد مجلس كنسي يخضع لسيطرة الملك، ويجب على كل مواطن ان يتقبل قراراتهم دون مناقشتها، والذين عارضوا تلك الإصلاحات قدموا للمحاكمة، اذ استخدم وليم لود اثنين من أقوى المحاكم، وهما محكمة التفويض العليا ومحكمة قاعة النجوم، وصارت المحاكم تخشى من الرقابة الملكية على آرائهم الدينية المتعارضة، وباتٌ لا تحظى بشعبية بين طبقات المجتمع الانكليزي لفرض العقوبات عليهم[٣٩]. نستدل على ان الملك شارل الاول حاول ان يتخلص من خصومه بعقد رجال الدين مجلس كنسي بأشرافه لحل القضايا الدينية والذي يعارض تلك القرارات يحاكم .

عمد الملك شارل الاول الى عقد السلام مع كل من فرنسا واسبانيا، بعد ان لم يعد بإمكانه ان يعتمد على المنح البرلمانية في الحرب ضد تلك الدول، اذ بلغ الدين الملكي أكثر من مائة جنيه إسترليني، وحصيلة الرسوم الكمركية اثناء توسيع التجارة والمستحقات الاخرى كانت إيراداتها كافية لإنكلترا في السلم، لذلك حاول الملك شارل الاول أن يمول إنفاقه على أسرته والبحرية الملكية من ضريبة (أموال السفن)، بالإضافة الى ذلك، ازداد الاستياء الشعبي من دبلوماسية الملك شارل الاول مع إسبانيا، وفشله في دعم القضية البروتستانتية خارج انكلترا[٤٠].

كانت الضريبة الرئيسية التي فرضها الملك شارل الاول هي ضريبة إقطاعية تسمى (أموال السفن)، وهي أكثر ربحا من ضريبة حمولة، اذا كانت في السابق تجمع أموال السفن في المناطق الساحلية اثناء الحرب فقط، الا ان الملك شارل الاول رغب في جمع الضرائب للدفاع عن انكلترا اثناء السلم ايضا، وفرضت الضريبة لأول مرة على الموانئ في عام ١٦٣٤، وبعد ذلك شملت الضريبة المدن الداخلية في انكلترا، اذ لا توجد حواجز قانونية في انكلترا تمنع ذلك، وبلغت أموال السفن التي تدفع إلى الخزانة البحرية مباشرة ما بين مائة وخمسون الف جنية الى مائتين الف جنية سنويا عام ١٦٣٤ حتى عام ١٦٣٨، وبعد ذلك انخفضت الضريبة، لزيادة المعارضة في دفعها، على الرغم من اعلان اثناء

عشر قاضي في القانون العام بأن الضريبة كانت ضمن امتيازات الملك، وعلى اثرها قدم جون هامبدن(John Hampden) للمحاكمة لعدم دفعه تلك الضريبة، وصار لقضيته تأييد للاحتجاج الشعبي ما بين عامي(١٦٣٧- ١٦٣٨) [٤١].

كما استمد الملك شارل الاول المال من خلال منح الاحتكارات، على الرغم من وجود قانون يمنع ذلك الإجراء، وجمع ما يقارب مائة الف جنيه استرليني سنويا في نهاية عام١٦٣٩، منها احتكارات "صابون بوبش" لأن بعض مؤيديها كانوا من الكاثوليك، بالإضافة الى الخمور والملح [٤٢].

إلغاء الملك شارل الاول جميع الأموال(الاكراميات) الى النبلاء الاسكتلنديين، وذلك بموجب قانون الإبطال عام١٦٢٥، وامر كذلك بإلغاء جميع الهدايا من الأراضي الملكية أو الكنسية التي تم رفعها إلى النبلاء منذ عام ١٥٤٠، وظلت الملكية خاضعة للإيجار السنوي[٤٣].

أعادة الملك شارل الاول حدود الغابات الملكية في انكلترا إلى حدودها القديمة بإعادة تشجير الغابات، كجزء من سياسة تحقيق زيادة الواردات عن طريق إعادة التأكيد في عدم استغلال الأرض وغرامة مستخدمي تلك الأراضي الملكية في حالة التجاوز على حدودها، اذا كان تركيز البرنامج في السابق على إزالة الغابات وبيع أراضي الغابات لتحويلها إلى المراعي او الزراعة او تطوير صناعة الحديد، وكثيرا ما تسببت عمليات إزالة تلك الغابات في أعمال شغب واضطرابات منها المعروفة باسم (الارتفاع الغربي) [٤٤].

على الرغم من فرض تلك الضرائب الا ان الملك شارل الاول واجه الإفلاس في منتصف عام١٦٤٠، بعد ان رفضت مدينة لندن تقديم أي قروض للملك بسبب ما عانهُ من تدهور اوضاعها، ولم تدعمه الدول الاخرى، لذلك اضطر الملك شارل الاول ان يستولي على سبائك الفضة بقيمة مائة وثلاثون الف جنيه استرليني المحفوظة في برج لندن في تموز عام١٦٤٠، واعادها فيما بعد بنسبة ثمانية بالمائة من الفائدة لأصحابها. اما شركة الهند الشرقية بعد أن رفضت منحه قرض في آب عام١٦٤٠، استولى اللورد كوتنغتون(Cottington) على مخزون الشركة من الفلفل والتوابل وبيعها بسعر أقل من قيمتها بمبلغ ستون الف جنيه استرليني، ووعد برد الأموال بفائدة فيما بعد[٤٥].

نستوضح من تلك الاحداث اهم ما يميز الحكم الفردي للملك شارل الاول، بانه وحد الدولة والكنيسة وسيطر عليهما بعد ان حل البرلمان، فرض العديد من الضرائب منها اموال السفن، عقد اتفاقيتا السلام مع فرنسا واسبانيا، منح الاحتكارات للحصول على الاموال منها احتكار الصابون، الغى جميع الاكراميات والهدايا للنبلاء، اعادة حدود الغابات الملكية الى حدودها القديمة، بالإضافة الى الاستيلاء على سبائك الفضة في برج لندن ومخزون شركة الهند الشرقية من المواد التجارية وبيعها، وذلك دليل

واضح على سوء ادارة الملك شارل الاول لإنكلترا اذ كان هدفه الوحيد جمع الاموال باي وسيلة دون مراعات تأثير ذلك على الاوضاع الاقتصادية في انكلترا التي ادت الى التدهور الكبير وسخط الاهلين ضد سياسته.

الفصل الثالث: سياسة الملك شارل الاول :

اولا: سياسته في اسكتلندا (١٦٣٣-١٦٣٩):

عندما حاول الملك شارل الاول فرض سياسته الدينية في اسكتلندا واجه صعوبات عديدة، على الرغم من أنه ولد في اسكتلندا، الا ان زيارته الأولى لها كانت لتتويجه الاسكتلندي في عام ١٦٣٣، واثناء ذلك أصر الملك شارل الاول على أن يكون التتويج حسب التعاليم الإنكليزية، مما ادى ذلك الى الاستياء في اسكتلندا، اذ ان الاخيريين كانوا قد أزالوا العديد من تلك التعاليم التقليدية عن ممارستهم. بالإضافة الى ذلك أمر الملك شارل الاول باستخدام كتاب الصلاة الجديد في اسكتلندا الذي كان مطابقا تقريبا للكتاب الإنكليزي للصلاة المشتركة، دون استشارة البرلمان الاسكتلندي أو كيرك(Kirk) في عام ١٦٣٧[٤٦]، على الرغم من ان كتابة كتاب الصلاة الاسكتلندي تمت بإشرافه من جانب الأساقفة الاسكتلنديين، لذا عارض العديد من الاسكتلنديين ذلك، بعد ان وجدوا ان كتاب الصلاة الجديد كوسيلة لإدخال الإنكليزية إلى اسكتلندا، نتيجة لذلك حدث الاضطراب وقاد ذلك الى حدوث أعمال الشغب في ادنبره(Edinburgh) في الثالث والعشرين من تموز ١٦٣٨، على اثر ذلك اجتمعت الجمعية العامة لكنيسة اسكتلندا في تشرين الثاني ١٦٣٨، واتفقوا حول إعادة تأكيد العهد الوطني، الذي تعهد الموقعون عليه بدعم الدين الاسكتلندي الذي تم إصلاحه ورفض اجراء أي تغيرات لم يوافق عليها كيرك والبرلمان، وقرروا أدان كتاب الصلاة الجديد، وإلغاء الحكومة الكنيسة الأسقفية التي ارسلها الملك شارل الاول، واعتمدت الحكومة الاسكتلندية المشيخية من جانب كبار السن والشمامسة[٤٧].

اعتبر الملك شارل الاول الاضطرابات في اسكتلندا تمرد ضد سلطته خاصة بعد ان وقع الاسكتلنديين العهد الوطني، لذا قرر فرض سياسته عليهم بالقوة، واعد جيشا دون مساعدة برلمانية، غير ان خوف الملك شارل الاول من هزيمة قواته، بعد ان وصل الى حدود اسكتلندا في اذار ١٦٣٩، اذا اعتقد أن عدد الاسكتلنديين يفوق جيشه، فاضطر الى عقد معاهدة بيرويك (Berwick) في الثامن عشر من حزيران ١٦٣٩، بموجبها اعاد اسكتلندا اليه، وحل الحكومة المؤقتة التي دعا إليها كل من البرلمان الاسكتلندي والجمعية العامة للكنيسة الاسكتلندية، وسميت تلك الحرب **(حرب الأساقفة الاولى)**[٤٨]. نستوضح بان الملك شارل الاول سعى في احكام سيطرته على اسكتلندا واتخذ الدين ذريعة لذلك، الا ان

الاخيرين اتحدوا وواجهه سلطته المستبدة في حرب الاساقفة الاولى التي لم تحدث عسكريا ووقع على اثرها معاهدة بيرويك عام ١٦٣٩.

كان فشل حرب الأساقفة الأولى ادى الى أزمة مالية ودبلوماسية للملك شارل الاول، واشتدت الازمة بعد ان طلب مساعدة مالية من إسبانيا، في الوقت نفسه كان يقدم الدعم لأقاربه في البلاتينات، غير ان الأساطيل الهولندية دمرت السفن الاسبانية في ساحل كينت، ولم تتمكن البحرية الانكليزية من مساعدتها(٤٩).

ثانيا: علاقه مع البرلمان عام ١٦٤٠:

عمد الملك شارل الاول في اجرى مفاوضات السلام مع الاسكتلنديين في محاولة لكسب الوقت قبل شن حملة عسكرية ثانية ضدهم بسبب قلة الاموال، الامر الذي اوجب علية استئناف اجتماع البرلمان بعد احدى عشر عام من حله، بهدف جمع الأموال لتلك الحرب، فاستدعى البرلمانان الإنكليز والايرلندي في بداية عام١٦٤٠، وعلى اثر ذلك صوت البرلمان الايرلندي في اذار من العام نفسه على الدعم بمبلغ مائة وثمانون الف جنيه استرليني مع زيادة عدد القوات الى تسعة الف مقاتل نهاية ايار من ذلك العام(٥٠).

كانت مناقشات الملك شارل الاول مع البرلمان الإنجليزي لم تصل الى التوافق في الآراء في نيسان ١٦٤٠، وحاول مستشاريه إيرل نورثمبرلاند (Northumberland) وسترافورد (Strafford)(٥١) التوصل إلى حل بينهما، فعلى الرغم من موافقة الملك شارل الاول التنازل عن أموال السفن مقابل ستمائة وخمسون الف جنيه إسترليني ما منحه البرلمان بينما تكلفة الحرب قدرت بمليون جنيه استرليني، الا انه تجاهل طلب البرلمان لإجراء المزيد من الإصلاحات، لذا حل الملك شارل الاول البرلمان الإنجليزي في ايار ١٦٤٠، أي بعد أقل من شهر من عقده، لذلك سمي **البرلمان القصير**(٥٢). نستدل من ذلك ان الملك شارل الاول سمح باستئناف جلسات البرلمان من اجل جمع الاموال للحرب ضد اسكتلندا بعد خسارته في حرب الاساقفة الاولى، وليس بهدف اعادة هيبة الحكم الدستوري لإنكلترا بعد ان حكمها حكما فرديا لمدة احدى عشر عاما.

في الاثناء تلك، عمد سترافورد نائب رئيس ايرلندا الى اتباع سياسة شاملة تهدف إلى جعل السلطة الملكية المركزية أكثر كفاءة وفعالية(٥٣). بالإضافة الى ذلك أعلن البرلمان الاسكتلندي بعد فشل البرلمان الإنكليزي القصير، أنه قادر على الحكم دون موافقة الملك شارل الاول(٥٤).

وفي أب ١٦٤٠ انتقل القوات الانكليزية بقيادة كوفينانتر إلى مقاطعة نورثمبرلاند الإنكليزية بعد مرض قائده، والقسم الاخر من القوات الإنكليزية بقيادة سترافورد توجه شمالا، اما القوات الاسكتلندية كان

تدريبها افضل وانضم اليهم عدد من المقاتلين الذين شاركوا في حرب الثلاثين عاما، وكانت القوات الانكليزية تتقدم دون ان تواجة أي مقاومة حتى وصلوا إلى نيوكاسل أبون تاين(Newcastle upon Tyne)، حيث هزموا فيها في معركة نيوبرن(Newburn)، واحتلت القوات الاسكتلندية المدينة ومقاطعة دورهام المجاورة لها، ووقعت معاهدة ريبون بين الانكليز والاسكتلنديين في تشرين الاول١٦٤٠[٥٥].

تطور الاحداث اوجب على الملك شارل الاول استدعاء مجلس كبير من مستشارية الذي اجتمع في يورك(York) شمال انكلترا في الرابع والعشرين من أيلول١٦٤٠، واثناء ذلك الاجتماع نصحه بضرورة استدعاء البرلمان للانعقاد لاتخاذ الاجراءات اللازمة ووافق الملك شارل الاول على ذلك. في الاثناء تلك عقد البرلمان وبلغ عدد اعضائه ثلاثمائة وخمسون عضوا من اصل اربعمائة وثلاثة وتسعون عضوا في تشرين الثاني١٦٤٠، طلب الملك شارل الاول من البرلمان اتخاذ الاجراءات اللازمة لجمع الأموال لدعم القوات الانكليزية ضد الاسكتلنديين، لذا أوصى البرلمان بضرورة التفاوض مع الاسكتلنديين وعقد تسوية نهائية لوقف الحرب لان معاهدة ريبون الموقعة في تشرين الاول١٦٤٠، لم تصل الى تسوية نهائية، اذ نصت المعاهدة على احتلال الاسكتلنديين نورثمبرلاند ودورهام وان يعطى لهم ثمانمائة وخمسون جنيه إسترليني يوميا إلى أن يتم عقد معاهدة السلام، وأوضح البرلمان الإنكليزي بخلاف ذلك يستوجب علية جمع الأموال الكافية للتصدي للقوات الاسكتلندية[٥٦]. يستوضح ان خسارة القوات الانكليزية في معركة نيوبرن اوجبت على الملك شارل الاول استدعى البرلمان ليقدم له الدعم المالي والدستوري لحكمة الفردي الذي كان يدير شؤون انكلترا وفق ما يتلاءم مع مصالحة واهداف الشخصية لمدة احدى عشر عاما.

ثالثا: اعمال البرلمان الطويل (١٦٤٠-١٦٤٩):

اجتمعت البرلمان في الثالث من تشرين الثاني ١٦٤٠، وبدأ إجراءات بتوجيه تهمة الخيانة لبعض مستشاري الملك شارل الاول، اذ تم احتجاز سترافورد في العاشر من تشرين الثاني من العام نفسه، واتهم لود في الثامن عشر من كانون الأول من ذلك العام، ثم وجه الاتهام إلى جون فينش في اليوم التالي، الذي تمكن من الهرب إلى لاهاي بموافقة الملك شارل الاول في الحادي والعشرين من كانون الاول١٦٤٠، وحكم البرلمان على سترافورد بتهمة الخيانة في الثاني والعشرين من اذار ١٦٤١، وتمثلت تلك التهمه بأن سترافورد هدد باستخدام الجيش الايرلندي لإخضاع البرلمان في انكلترا، والحقيقة انه لا يوجد دليلا مؤكدا لأدانته، الا ان قلق زعماء مجلس العموم من ان يتهمهم سترافورد بتهم الخيانة بعد ان تواطئوا مع القوات الاسكتلندية، فقرروا اعدامه، ادى ذلك الى زيادة توتر الاوضاع ومحاولة الانقلاب التي قام بها ضباط الجيش الملكي لدعم سترافورد وبتأثير من جانب الملك شارل الاول، غير ان قلق الاخير في مواجهة الاضطرابات وتأثير ذلك على عائلته الملكية ادى الى موافقته على اعدام سترافورد

بعد التشاور مع القضاة والأساقفة في التاسع من ايار ١٦٤١، وتم تنفيذ حكم الإعدام بعد ثلاثة أيام، اما لود رئيس الاساقفة فبقي في السجن حتى تم اعدامه عام ١٦٤٥ [٥٧].

عمد البرلمان لتقيد سلطة الملك شارل الاول في حل البرلمان وفق إرادته، اذ أقر البرلمان قانون الثلاث سنوات، الذي يتطلب استدعاء البرلمان مرة واحدة على الأقل كل ثلاث سنوات، ويسمح الى رئيس البرلمان واثناء عشر من زملائه باستدعاء البرلمان إذا فشل الملك في القيام بذلك، واقترن ذلك القانون بمشروع قانون إعانة، ومن أجل تأمين ذلك وافق الملك شارل الاول على ذلك القانون في شباط ١٦٤١، وابدا مجلس العموم موافقته على مشروع القانون بفارق كبير اذ صوت مائتان واربع عضوا مؤيدين وتسعة وخمسون عضوا معارضا ومائتان وثلاثون امتنع عن التصويت في العشرين من نيسان من العام نفسه، اما مجلس اللوردات رفضه بأغلبية ست وعشرون صوتا مقابل تسعة عشر صوتا وغياب تسعة وسبعون عضوا عن التصويت في أيار من ذلك العام [٥٨].

في الوقت نفسه، اعلن البرلمان بان أموال السفن والغرامات لا تفرض دون موافقة البرلمان، وبخلاف ذلك تعتبر غير قانونية. كذلك ألغى البرلمان محكمة قاعة النجوم ومحكمة التفويض العليا ومحكمة ويلز. بالإضافة الى ذلك وافق البرلمان على جميع أشكال الضرائب المفروضة بشرط ان ينظمها قانون الكميات والاوزان. كما أصدر مجلس العموم مشاريع قوانين تهاجم الأساقفة والأسقفية، الا ان تلك المشاريع أخفقت من جانب مجلس اللوردات[٥٩].

في الأثناء تلك، عمد الملك شارل الاول الى زيارة اسكتلندا في شهر أب إلى تشرين الثاني ١٦٤١، لمحاولة الحصول على دعم برلماني فيها، ووافق على إقامة الكنيسة الاسكتلندية، وسمح للاسكتلنديين ترشيح المسؤولين الملكيين، على اثر محاولة الانقلاب الملكية التي حدثت في اسكتلندا، والتي عرفت باسم **الحادث** (The Incident) [٦٠].

اما في ايرلندا، أدت إدارة سترافورد فيها إلى تحسين الاقتصاد الأيرلندي، وعززت الإيرادات الضريبية، بالإضافة الى ذلك درب جيشا كاثوليكيا كبيرا لدعم الملك شارل الاول بالمقابل ادى ذلك الى أضعاف سلطة البرلمان الايرلندي، كذلك صادر سترافورد الأراضي من الكاثوليك ومنحت إلى المستوطنة البروتستانتية، وفي الوقت نفسه كان يشجع الانكليكانية، لذلك اتفقت جميع الأعضاء في البرلمان الايرلندي على تقديم أدلة ضده، وناقش الأعضاء في البرلمان الايرلندي بأنهم حينما عارضوا سترافورد ظلوا موالين للملك شارل الاول، ووضحوا إن سوء سياسة الاخير كانت بسبب مستشاره[٦١]. نستدل من ذلك ان اتهام سترافورد كان بمثابة بادرة جديد للسياسة الايرلندية حيث اتفق جميع الأعضاء في البرلمان الايرلندي لتقديم أدلة ضد سترافورد، وفي الوقت نفسه اظهروا دعمهم للملك شارل الاول من اجل ان

يؤيدهم في ذلك الامر، اذ كان سترافورد نائب الملك شخصية استبدادية، واتبع تلك السياسة بهدف ارضى الملك شارل الاول وبقائه في ذلك المنصب.

كانت نهاية سلطة سترافورد قد أضعفت نفوذ الملك شارل الاول في أيرلندا، اذ حل الجيش الايرلندي ثلاث مرات من جانب مجلس العموم الإنكليزي اثناء سجن سترافورد، واضطر الملك شارل الاول لحل الجيش في نهاية محاكمة سترافورد بسبب عدم وجود الاموال لتمويله، وبعد اعدام سترافورد ازدادت الصراعات المتعلقة بنقل ملكية الأرض من الكاثوليكية الأصليون إلى المستوطنين البروتستانت، بالإضافة الى استياء البرلمان الايرلندي لأن كان خاضعا للبرلمان الإنكليزي، تلك العوامل ادى الى التمرد، ونشأ الصراع بين القوات الايرلندية والقوات الإنكليزية في نهاية تشرين الاول ١٦٤١، وفي الوقت نفسه كانت الجانبين ولائهم للملك شارل الاول[٦٢]. يوضح لنا تطور الاحداث، ان الاجراءات التي اتخذها البرلمان الايرلندي وخاصة تصفية مستشاري الملك شارل الاول قادت في النهاية الى زيادة اضطراب الاوضاع وسخط الاهلين ضد سياسة الملك شارل الاول، وبالتالي ادى ذلك الى اضعاف سلطته في ايرلندا.

في تشرين الثاني ١٦٤١، أصدر مجلس العموم وثيقة كبرى سميت (الاحتجاج العظيم)، كانت قائمة طويلة من المظالم ضد الإجراءات التي اتخذها وزراء ومستشاري الملك شارل الاول منذ بداية حكمه، واحتجوا فيها على مساوئ الادارة وفسادها والاجحاف بحق الاهلين في اثناء حكم الملك شارل الاول، والذين وقعوا على ذلك الاحتجاج تعهدوا بالدفاع عن (الملك والشرف والممتلكات)، وأقسموا الحفاظ على (الدين الإصلاحي الحقيقي)، والبرلمان، و(حقوق وحريات الأشخاص)، كان ذلك الاجراء خطوة مهمة وحاسمة في السياسة من جانب بيم، وصوت عليه مائة وثمانية واربعون من اصل مائة وتسعة وخمسون باستثناء احدى عشر صوت، وحصل على دعم عدد قليل جدا من جانب مجلس اللوردات الذي هاجم ذلك الاحتجاج. غير ان التوتر ازداد في انكلترا بسبب التمرد الايرلندي، إلى جانب الشائعات الغير دقيقة التي تربط تواطئ الملك شارل الاول مع ذلك التمرد، بالإضافة الى نشر سلسلة من الانتهاكات في إيرلندا، والتي تضمنت مجازر للمستوطنين الإنكليز من جانب الايرلنديين [٦٣]. نستوضح ان هدف البرلمان الانكليزي من اصدار الاحتجاج العظيم هو سعيه لكسب ود الاهلين لجانبه، وكذلك اراد تعزيز سلطته وقوته بإصدار القوانين .

دعا الملك شارل الاول الى اجتماع البرلمان الإنكليزي بهدف توفير الأموال للقضاء على التمرد الايرلندي، الا ان البرلمان الإنكليزي لم يثق بدوافعه، بسبب قلق العديد من أعضاء مجلس العموم في أن يستخدم الملك شارل الاول تلك القوات ضد البرلمان نفسه فيما بعد. وكان الهدف من مشروع قانون قوات بيم (او ميليشيا بيم) (Pym's Militia Bill) أن يسيطر البرلمان الإنكليزي على الجيش للحيلولة دون

سيطرة الملك شارل الاول علية، الا انه لم يحظ بدعم مجلس اللوردات وكذلك الملك شارل الاول، لذلك أقر مجلس العموم ذلك المشروع كقانون، بعد ادعائهم أنه لا يتطلب موافقة ملكية، والواضح أن قانون الميليشيات قد شجع أعضاء مجلس اللوردات إلى دعم الملك شارل الاول، في محاولة لتعزيز موقفه(٦٤). يتوضح لنا بان البرلمان سعى للتخلص من الملك شارل الاول عن طريق التخلص في البداية من مستشاريه ووزرائه الذين كانوا يدعموا حكمه بشكل كبير، من اجل ان يتسنى لهم اضعاف سلطته وتكون سلطة البرلمان اقوى من حكمه.

كانت نتيجة اضطراب الاوضاع والفوضى في انكلترا قادت الى ازدياد التوتر في لندن ضد حكم الملك شارل الاول، والتي ادت تلك الاضطرابات الى تهدده بزوال حكمه، لذلك وضع في برج لندن تحت حماية الكولونيل توماس لونسفورد(Thomas Lunsford)، بالإضافة الى ذلك وصلت شائعات إلى الملك شارل الاول بأن البرلمان يسعى لإقناع زوجته لأتهمه بالتآمر مع المتمردين الايرلنديين، وعلى اثر ذلك قرر الملك شارل الاول اتخاذ إجراءات جذرية للحد من سلطة البرلمان الانكليزي، لذا اتهم بعض أعضاء البرلمان الإنكليزي بانهم تواطأ مع الاسكتلنديين، وطلب من البرلمان الإنكليزي توجيه تهمة الخيانة الى خمسة من أعضاء مجلس العموم، وهم بيم(Pym)، جون هامبدن(John Hampden)، دنزل هولز(Denzil Holles)، ويليام ستورد(William Strode) ،السير آرثر هاسلريج (Arthur Haselrig) في الثالث من كانون الثاني ١٦٤٢، الا ان البرلمان الإنكليزي رفض توجيه تلك التهمة، وعلى الارجح ان هنريتا ماريا زوجة الملك شارل الاول أقنعه باعتقال الأعضاء الخمسة، الا ان الاخير اراد ان يسلموا انفسهم دون اعتقالهم، غير ان الاعضاء الخمسة تمكنوا من الهرب بواسطة القوارب قبل وصول الملك شارل الاول الى مجلس العموم في الرابع من كانون الثاني ١٦٤٢، الامر الذي حال دون اعتقالهم (٦٥).

كان ذلك الامر له سلبياته على علاقة الملك شارل الاول مع البرلمان الانكليزي الذي وصف من جانب الاخير بانه انتهاك لصلاحياته، نتيجة لذلك استولى البرلمان الانكليزي على لندن في العاشر من كانون الثاني ١٦٤٢، على اثر ذلك هرب الملك شارل الاول من لندن الى قصر هامبتون كورت (Hampton Court) في اليوم نفسه، ثم انتقل بعد يومين إلى قلعة وندسور، وبعد ذلك ارسل الملك شارل الاول زوجته وابنته الكبرى إلى خارج انكلترا(فرنسا) في شباط من العام نفسه، وتوجه الملك شارل الاول إلى مدينة يورك في اذار من ذلك العام، ثم توجه الى شمال انكلترا بهدف الاستيلاء على ترسانة عسكرية في هال(Hull)، الا ان السير جون هوثام (John Hotham) الحاكم البرلماني رفض دخوله الى المدينة في نيسان من ذلك العام، وعلى اثر ذلك اضطر الملك شارل الاول الانسحاب وتوجه جنوبا(٦٦).

في الاثناء تلك، ايد الملك شارل الاول الكثير من اصحاب الاراضي والنبلاء الذين وقفوا الى جانب الملك لان مصالحهم مهددة في حالة انهيار الملكية. اما الذين انحازوا الى البرلمان كان اغلبهم من الطبقة الوسطى التجار واصحاب الحرف المختلفة الذين تضرروا كثيرا من اجراءات الملك شارل الاول في جباية الضرائب المختلفة، وكان اغلبهم من البيوريتان وممثليهم في البرلمان(٦٧).

بدأ كلا الجانبين تسليح وتدريب القوات في منتصف عام ١٦٤٢، تمثلت قوات الجانب الاول بقيادة الملك شارل الاول وهم الفرسان مسترسلي الشعر على طريقة القرون الوسطى، بينما قوات البرلمان سميت ذوي الرؤوس المستديرة، اي تسميت قوات الجانبيين كانت حسب تسريحة شعرهم، بعد مفاوضات غير مجدية بين الجانبين، رفع الملك شارل الاول العلم الملكي في نوتنغهام (Nottingham) في الثاني والعشرين من أب ١٦٤٢، وهي بداية **الحرب الأهلية الإنكليزية الأولى**، كانت قوات الملك شارل الاول سيطر على ميدلاندز وويلز والبلاد الغربية وشمال انكلترا وأقام في مدينة أكسفورد، وبلغت قواته ثمانمائة فارس وثلاثمائة مشاة، الا ان الملك شارل الاول تمكن من جمع الفي فارس وستة الالف مشاة في نهاية ايلول من العام نفسه، الا انه كان يعاني مشكلة تسليح القوات اذ لم تتمكن زوجته الملكة هنريتا ماريا من تزويده بالأسلحة من هولندا، وكذلك عانى الملك شارل الاول من نقص الاموال لذلك بيعت ممتلكات جامعتي كامبرج واكسفورد وسانده بعض العوائل الغنية، بينما قوات البرلمان سيطرت على لندن والجنوب الشرقي وشرق انكليا، وكذلك البحرية الإنكليزية كانت تحت سيطرتها، وبلغت خمسة الاف فارس وخمسة وعشرون الف مشاة، على الرغم من ان قوات البرلمان كان وضعها افضل لتوفر المال والسلاح لكن ينقصها الخبرة في الحرب لعدم دخلوها في حرب(٦٨).

التقى جيشا الجانبين في إيدجهل(Edgehill) في الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٦٤٢، بعد ان اختلافا ابن شقيق الملك شارل الاول الأمير روبرت(Rupert) من الراين مع قائد الجيش الملكي اللورد ليندسي(Lindsey) في خطط المعركة، ادى ذلك الى تراجع الملك شارل الاول مع الأمير روبرت، لذا استقال ليندسي، وترك الملك شارل الاول لتولي القيادة العامة بمساعدة اللورد الرابع(Forth)، وتمكن الأمير روبرت الذي قاد الفرسان من تطويق جيش البرلمان بنجاح، وكان يفترض ان يرجع إلى ميدان المعركة، الا انه انشغل في نهب قطار الأمتعة البرلماني، وفي الوقت نفسه أصيب ليندسي بجروح بليغة ادت الى موته لعدم توفر عناية طبية، وادى ذلك الى انتهى المعركة بشكل غير حاسم في نهاية ذلك اليوم(٦٩).

كانت معركة إيدجهل قد تركت اثر سيئ لدى الملك شارل الاول، الذي أعاد تشكيل قواته في مدينة أكسفورد، ورفض اقتراح الأمير روبرت بشن هجوما مفاجئا على لندن، وبعد أسبوع توجه الملك شارل الاول إلى لندن في الثالث من تشرين الثاني ١٦٤٢، واستولى على برينتفورد(Brentford)، وفي

الوقت نفسه اخذ يفاوض الوفود المدنية والبرلمانية، التي لم تصل الى اتفاق بينها، لذلك التقت قوات الملك شارل الاول في تورنهام كرين(Turnham Green) على حدود لندن والتي واجهت قوات البرلمان المتفوقة عددا، بالإضافة الى مقاومة من قوات المدينة، لذا أمر الملك شارل الاول بالتراجع، الا ان تلك القوات تغلب عليه في أكسفورد. وفيما بعد عمل الملك شارل الاول على تعزيز دفاعات مدينة أكسفورد والاستعداد لحملة اخرى بعد ان انهارت مفاوضات السلام بينه وبين البرلمان في نيسان ١٦٤٣[٧٠].

في الاثناء تلك، حاول الملك شارل الاول بعد ان اسر الامير روبرت في تموز ١٦٤٣، زيارة المدينة الساحلية وحاصر غلوسستر(Gloucester) التي كان يفيض فيها نهر سيفرن، وعمل على وضع خطة لتقوية أسوار المدينة بسبب الأمطار الغزيرة، لكن واجه قوات البرلمان، فترك الحصار وانسحب إلى قلعة سوديلي(Sudeley). بعد ان عادت قوات البرلمان إلى لندن، سعى الملك شارل الاول في اعداد وتجهيز قواته، ثم التقاء الجانبين في نيوبري و بركشير(Berkshire) في العشرون من ايلول١٦٤٣، وانتهت المعركة دون نتيجة حاسمة في نهاية اليوم[٧١]. نستدل على ان الملك شارل الاول كان موقفه ضعيف جدا بسبب قلت التمويل الذي ادى الى ضعف قواته، وحاولت قوات البرلمان تضيق الخناق ضده في محاصرته من عدت جهات .

في كانون الثاني ١٦٤٤، استدعى الملك شارل الاول البرلمان في أكسفورد، وحضره اربعون عضوا مؤيدوه ومائه وثمانية عشر عضوا من مجلس العموم، ناقش جميع الامور، واستمرت جلسات البرلمان حتى اذار ١٦٤٥، كان البرلمان في اكسفورد يلقى دعم مؤيدوه الملك شارل الاول وثلث أعضاء مجلس العموم، بالرغم من ذلك كان الملك شارل الاول يجده غير مجدي في حل الامور، اذ يصف ذلك في الرسائل الخاصة لزوجته هنريتا ماريا [٧٢]. يتبن من ذلك الضعف والياس الذي وصل الية الملك شارل الاول ويحاول باي وسيلة اعادة حكمة لإنكلترا .

استقر الملك شارل الاول في جنوب انكلترا عام ١٦٤٤، بينما توجه الامير روبرت الذي قاد ثمانية عشر الاف مقاتل شمالا لتحرير نيوارك ويورك التي كانت تحت تهديد القوات البرلمانية والاسكتلندية التي بلغ عددهم سبعة وعشرون الاف مقاتل، وتمكن الملك شارل الاول من الانتصار في معركة جسر كروبريدي(Cropredy) في نهاية حزيران من العام نفسه، الا ان القسم الاخر من قوات الملكيين في الشمال هزموا في معركة مارستون مور(Marston Moor) بعد عدت أيام، بالرغم من ذلك واصل الملك شارل الاول حملته في الجنوب، اذ حاول تطويق قوات البرلمان في إيرل إسكس(Earl of Essex) في ايلول ١٩٤٤، وعاد إلى الشمال حيث قاعدته في أكسفورد، وقاد معركة نيوبري للمرة الثانية التي انتهت لصالحه. في الاثناء تلك، فشلت محاولات التفاوض على تسوية اثناء فصل الشتاء من كلا الجانبين لأعاد تسليح وتنظيم جيشهما[٧٣].

تمكن الامير روبرت قائد الفرسان الملكي من الانتصار على قوات البرلمان النموذجي الجديد الذي نظمه أوليفر كروميل(Oliver Cromwell)[٧٤] وكان بقيادة السير توماس فيرفاكس مع أوليفر كروميل كقائده الثاني في معركة نيسبي(Naseby) في الرابع عشر من حزيران ١٦٤٥، الا ان قوات الملك شارل الاول في أماكن أخرى من الحرب خسر المعارك ضد قوات البرلمان النموذجي الجديد. فيما بعد حاول الملك شارل الاول في اعادة تنظيم قواته، الا ان الانتصارات العسكري كانت تميل لصالح البرلمان وتبع ذلك العديد من الهزائم التي لحقت بقوات الملك شارل الاول، ثم حاصروا أكسفورد وعلى اثر ذلك هرب منها متخفيا كخدم في نيسان ١٦٤٦، والقى القبض عليه من جانب الجيش الاسكتلندي الذي حاصر نيوارك، ثم نقل شمالا إلى نيوكاسل (Newcastle)[٧٥].

بدأت المفاوضات بعد انتهاء الحرب التي استمرت تسعة أشهر، واتفق الاسكتلنديون مع البرلمان الإنجليزي في ان يدفع الاخير مائة ألف جنيه استرليني، وان يزيد ذلك المبلغ في المستقبل مقابل انسحب الاسكتلنديون من نيوكاسل، وسلم الملك شارل الاول إلى المفاوضين البرلمانيين في كانون الثاني ١٦٤٧[٧٦] .

وضع البرلمان الانكليزي الملك شارل الاول قيد الإقامة الجبرية في منزل هولدنبي، الا ان الاخير واجه تهديدا من جانب قوات البرلمان النموذجي الجديد، في الوقت نفسه، حاول البرلمان حل الجيش والمشيخية وقوات البرلمان النموذجي الجديد، وكان الملك شارل الاول حريصا على استغلال الانقسامات التي تحدث في البرلمان، ونقل إلى نيوماركت، ثم نقل إلى أواتلاندس بمساعدة بعض مؤيده، وفي تشرين الثاني ١٦٤٧ قرر الهروب إلى فرنسا او جنوب إنكلترا أو بيرويك–أوبون–تويد بالقرب من الحدود الاسكتلندية، وتمكن من الهرب في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٦٤٧، واتصل بالعقيد روبرت هاموند، الحاكم البرلماني لجزيرة وايت، الا ان الاخير احتجز الملك شارل الاول في قلعة كاريسبروك على تلك الجزيرة، وأبلغ البرلمان بذلك، غير ان الملك شارل الاول واصل محاولة المساومة مع العديد من الأطراف التي تمثلت بقادة الجيش والبرلمان الإنجليزي والاسكتلنديين، وعلى اثر ذلك وقع معاهدة سرية مع الاسكتلنديين في السادس والعشرون من كانون الاول ١٦٤٧، وبموجب ذلك الاتفاق الذي سمي(الانخراط) تعهدت الاسكتلنديين بغزو انكلترا نيابة عن الملك شارل الاول واستعادته العرش بشرط أن تأسس الكنيسة الاسكتلندية في انكلترا لمدة ثلاث سنوات [٧٧] .

في الاثناء تلك، هزمت قوات انكلترا القوات الاسكتلندية في معركة بريستون وانتهت **الحرب الأهلية الثانية** في أب ١٦٤٨، وبعد عودة القوات الانكليزية قرروا انهاء امر البرلمان والملك شارل الأول، وفي السادس من كانون الاول ١٦٤٨، وقف الكولونيل برايد (Pride) يقود كتيبة في باب

البرلمان ومنع النواب المؤيدين للكنيسة الاسكتلندية بالدخول، وطهر البرلمان من كل النواب الذين لا يؤيدوا الجيش والمستقلين، لذلك بلغ عدد النواب في البرلمان ستون نائبا من مجموع خمسمائة واربعة نائب انتخبوا عام ١٦٤٠، وسمي ذلك **(البرلمان المطهر)** وصارت انكلترا تحت حكم الجيش(٧٨). نستدل على ان الملك شارل الاول حاول استعادة حكمه بعدة وسائل وكان اخرها التعاون مع الاسكتلنديين لشن الحرب على القوات الانكليزية، الا ان الاخيرين تمكنوا من القضاة على الاسكتلنديين وانهاء حكمه.

في الوقت نفسه، أحيل الملك شارل الأول إلى محكمة العدل العليا المشكلة خصيصا له، واتهم بالخيانة وجرائم أخرى ضد انكلترا في العشرين من كانون الثاني ١٦٤٩، اما الملك شارل الأول رفض الاعتراف بشرعية المحكمة لأن الملك لا يمكن أن يحاكم من جانب أي ولاية قضائية متفوقة على الأرض، ولذلك رفض الترافع، وأكد أنه وقف لجانب حرية انكلترا، على الرغم من ذلك حكم بالإعدام في السابع والعشرين من كانون الثاني ١٦٤٩، وتم تنفيذ حكم الاعدام في الثلاثين من كانون الثاني ١٦٤٩، عن عمر ثمانية واربعون عاما، ودفن في وندسور في انكلترا في التاسع من شباط ١٦٤٩ (٧٩).

نستخلص من مراحل صراع البرلمان مع الملك شارل الاول استمر طوال مده حكمه وتمكن البرلمان من القضاء على تسلط الملوك على الرغم من سيطرة الجيش في نهاية حكمه الا ان البرلمان تمكن من انهاء الملكية المطلقة وحق الملوك الالهي في الحكم.

الخاتمة:

اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة كما يأتي:

١- طبيعة شخصية الملك شارل الأول الذي كان مريض وضعيف منذ الصغر مما ادى الى ان يعتمد على الاخريين في تسير شؤون حياته. ولما كان الابن الثاني للملك، لذا اعد كفارس وليس حاكما في البداية، غير ان وفاة اخية الاكبر ولي العهد هنري عام ١٦١٢، مما ادى الى ان يكون مكانه في ولاية عهد انكلترا.
٢- ورث الملك شارل الأول بعد وفاة والده الخلافات مع البرلمان وذلك لتمسكه بنظرية الحق الالهي للحكم، وكذلك اتبع نهج والده الذي تمثل أستدعى البرلمان الانكليزي من اجل تزويده بالأموال اللازمة للحرب، ولجئ لحل البرلمان في حالة رفضه ذلك الامر، بينما شؤون انكلترا الاخرى لا يتم مناقشتها في البرلمان، اذ كان يعتمد على نصائح مستشاريه ووزراءه المقربين له.
٣- حاول الملك شارل الاول توطيد علاقات التعاون والصداقة مع بعض الدول ومنها فرنسا الذي تعهد لها على نقيض ما تعهد لبرلمان انكلترا، اذ اتخذ تلك السياسة ليتخلص من الارث الثقيل الذي ورثه بعد وفاة والده الملك جيمس الاول واهمها صراعه مع البرلمان.

٤- علاقة الملك شارل الاول مع البرلمان الانكليزي الاول والثاني والثالث في المدة(١٦٢٥-١٦٢٩) في توتر بسب حاجة الملك الى الاموال لتمويل قواته في الحرب، والبرلمان يحاول وضع المعوقات لوقف الحرب، غير ان ذلك ادى الى زيادة اضطراب الاوضاع في انكلترا واثر على الاهلين فيها، لذا اقر البرلمان **ملتمس الحقوق** عام ١٦٢٨ الذي اوجب على الملك عدة امور في ما يتعلق بالضرائب، الا ان ذلك كان دون جدوى وحل الملك شارل الاول البرلمان وحكم انكلترا حكما فرديا.

٥- حكم الملك شارل الاول انكلترا حكما فرديا لمدة احدى عشر عاما، واتخذ العديد من الاجراءات في تلك المدة بعد ان تخلص من قيود البرلمان بهدف جمع الاموال، لذا فرض العديد من الضرائب اهمها اموال السفن، ومنح الاحتكارات، واعادة حدود الغابات الملكية الى حدودها القديمة، والغى الهبات الى النبلاء، غير ان تلك الاجراءات ادت الى تدهور الاوضاع الاقتصادية في انكلترا وزاد من سخط الاهلين ضد سياسته .

٦- سعى الملك شارل الاول للسيطرة على الكنيسة عن طريق توحيد الدولة والكنيسة بمساعد الاسقف لود، وأنشئ العديد من المحاكم لمحاكمة معارضه، بعد ان سيطر على قضاتها.

٧- حاول الملك شارل الاول السيطرة على اسكتلندا واتخذ الدين ذريعتا لذلك الامر، مما ادى الى حدوث حرب الاساقفة الاولى عام١٦٣٩، وخسارته في تلك الحرب اوجبت علية ضرورة استدعى البرلمان للانعقاد عام١٦٤٠، وسمي البرلمان القصير لان انعقاده استمر اقل من شهر ولم يقدم الدعم له.

٨- اما البرلمان الطويل الذي عقد في عام ١٦٤٠، اذ سمي بتلك التسمية لأنه اطول برلمان، الذي استمر عقده حتى عام ١٦٦٠، اما اهم اعماله، عمد الى تصفية مستشاري ووزراء الملك شارل الاول باتهامهم بعدة تهم منها خيانة انكلترا وبالتالي محكمتهم كسترافورد والاسقف لود، ثم قيد سلطة الملك شارل الاول في حل البرلمان بإقرار قانون الثلاث سنوات واجبر الملك بتمرير ذلك القانون مقابل اعانه مالية، والغى العديد من الضرائب وربط سن قانونها بموافقة البرلمان، كذلك اصدر البرلمان عريضة **الاحتجاج العظيم** عام١٦٤١ التي وضحت فيها مساوئ ادارة الملك شارل الاول واثرها على تدهور الاوضاع في انكلترا ،اذ كان هدف البرلمان التخلص من سيطرة الملك، لذا اتبع اسلوب اضعافه بالتخلص من مستشاريه، وبالتالي يؤدي ذلك الى اضعاف حكمه، وذلك ما حدث.

٩- صراع الملك مع البرلمان قاد الى حدوث الحرب الاهلي الاولى عام ١٦٤٢ والحرب الاهلية الثانية عام ١٦٤٨، وادى ذلك الى زياد تدهور الاوضاع في انكلترا الذي انعكس بشكل سلبي على الاهلين، وادى الى انهاء حكمه .

١٠- بعد انتهت الحرب الأهلية الثانية عام ١٦٤٨، قرر الجيش ان ينهي امر البرلمان والملك شارل الأول، فلم يسمح بدخول النواب المؤيدين للكنيسة الاسكتلندية وبذلك طهر البرلمان من كل النواب الذين لا يؤيدوا الجيش والمستقلين، وسمي **البرلمان المطهر** وصارت انكلترا تحت حكم الجيش.

١١- تطور الإحداث يوضح مراحل تطور البرلمان والاساليب التي اتخذها لمواجه تلك عقبات التي تمثلت في الحكم الفردي والملكية المطلقة وحق الملوك الالهي في الحكم، وأكد عهد الملك شارل الاول على تلك المواجهات التي ادت في النهاية الى أعدمه عام ١٦٤٩ .

الهوامش:

(1)Godfrey Davies, The Early Stuarts, 1603-1660, Oxford University Press, 2003,pp.35-39 .

(2)"King Charles I (1625– 1649)" Britroyals- British Royal Family History, 4005,p.1-2.

(3) Michael Phelps, Charles I (1600-1649) king of Great Britain and Ireland (1625-1649), London , 1999, pp.50-57.

(4) Encyclopedia Britannica, England, 2017,p. 325.

(٥) فريدريك الخامس: ولد في أمبيرغ في البلاتينات العليا في ١٦ أب ١٥٩٦، وهو ابن ووريث فريدريش الرابع والكونتيسة لويزي يوليانا ناساو، خلف فريدريش الخامس والد كأمير ناخب البلاتينات الراينية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عام (١٦١٠-١٦٢٣)، ، كان عضواً بارزاً في الرابطة البروتستانتية، وهي منظمة أسسها والده لحماية البروتستانت في الإمبراطورية، صار ملك بوهيميا (١٦١٩-١٦٢٠) ونظرا لعهده القصير لقب بملك الشتاء تزوج من إليزابيث ستيوارت أبنة جيمس الأول ملك إنجلترا عام ١٦١٣، توفي٢٩ تشرين الثاني ١٦٣٢، البلاتينات مقاطعتين ألمانيتين هما السفلى والعليا بألمانيا الغربية، للمزيد ينظر:

نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، عمان، دار زهران،٢٠١١، ص١١٩;

"Frederick V", Encyclopedia Britannica, op. cit, p.329 .

(٦) فرديناند الكاثوليك: سعى الامبراطور ماتياس الثاني الذي ليس لدية اولاد لضمان انتقال السلطة خلال حياته، بتعيين ولي عهد من عائلته فعين الكاثوليكي المتعصب فرديناند من ستيريا، وانتخاب لعرشي بوهيميا والمجر المملكتيين المفصولتين، الا ان تخوَّف بعض زعماء البروتستانت البوهيميين من فقدان الحقوق الدينية التي منجهم إياها الامبراطور رودولف الثاني، لذا كانوا يفضلون البروتستانتي فريدريك الخامس ناخب البلاتينات، وبعد ان ايدوا الاخير ادى ذلك لحدوث حرب الثلاثيين عام ١٦١٨، ينظر:

Helmolt Hans Ferdinand, The World's History: Western Europe to 1800, W. Heinemann 1903,P.573.

(7)Encyclopedia Britannica, op . cit ,pp.326-327.

(٨) فرنسيس بيكن(١٥٥١-١٦٢٦) ولد في لندن ٢٢ كانون الثاني ١٥٦١، فيلسوفاً إنجليزياً ورجل دولة ومؤلف، بيكون أصبح فارساً في ١٦٠٣، وعين مستشارا للملك عام ١٦٠٤، وعمل كمدعٍ عام لانكلترا، واشتهر أيضاً بدوره المحوري في الثورة العلمية، أشهر أعماله ضمت (The New Atlantis). وصار له اللقب Baron Verulam في ١٦١٨، ثم لقب اخر ڤايكونت سانت ألبان في ١٦٢١، وفاة في لندن ٩ نيسان ١٦٢٦، ، للمزيد ينظر:

Francis Bacon, The Essays and Counsels, Civil and Moral of Francis Bacon: all 3 volumes in a single file, B&R Samizdat Express, 2014.

(9)Michael Phelps, op . cit, pp.58-62 .

(١٠) باكنغهام: ولد في اب ١٥٩٢، سمي دوق باكنغهام، وسمي السير جورج فليرزVilliers عام(١٦١٤-١٦١٦)، والبارونWhaddon عام(١٦١٦-١٦١٧)، والفيكونت فليرزVilliers(١٦١٧-١٦١٨)، والمركيز باكنغهام(١٦١٨-١٦٢٨)، رجل دول عمل الى جانب ملوك انكلترا نهاية عهد جيمس الاول وفي عهد الملك شارل الاول، كان له دور رئيسيا في المباحثات مع اسبانيا وفرنسا اثناء زواج الملك شارل الاول، الا ان فشل سياسته الخارجية ادى الى الصراع بين الملك والبرلمان، وادى لقتله في اب ١٦٢٨ ، للمزيد ينظر:

Robin Bunce and Others ,Stuart Britain The Crisis of Monarchy 1603–1702, AQA A-level History, London, 2015, p.35.

(11) Jacob Abbott, History of King Charles the First of England. Great Britain: Henry Altemus company,1900, p. 230.

(12) Michael Maclagan, Lines of Succession: Heraldry of the Royal Families of Europe (2nd ed.), London: Little, Brown,1999,pp. 23-28.

(13)Encyclopedia Britannica, op . cit, p.28.

(14)Simon Schama, A History of Britain: The British Wars 1603–1776, London, 2001,p.13.

(15) Brian Quintrell, Charles I: 1625–1640, London, 1993,PP. 4-5.

(16)Ibid, pp.6-8.

(17)Jacob Abbott ,op. cit, p.234.

(18) F. Guizot, History of The English Revolution, London, 1958, pp. 5-12.

(19)Samuel Rawson Gardiner, The Constitutional Documents of the Puritan Revolution 1625–1660 (3rd Revised Edition.), Oxford, Oxford University Press,1962, p. 476 .

(٢٠)البيورتان: تطهيرية او الاصوليين، حركة دينية مسيحية انطلقت من رحم البروتستانتية يتسم فكرها بالتزمت والتشدد، تجمع خليطًا من الأفكار الاجتماعية، السياسية، اللاهوتية، والأخلاقية، ظهر هذا المذهب في إنجلترا في عهد الملكة اليزابيث الأولى وازدهر في القرنين السادس والسابع عشر، ونادى بإلغاء اللباس والرتب الكهنوتية، وتستند تعاليمهم إلى الإيمان بالكتاب المقدس مصدراً وحيداً للعقيدة الدينية من دون الأخذ بأقوال القديسين ورجال الكنيسة، ويقضي بأن من واجب الإنسان أن يكون سلوكه في الحياة مطابقاً لما ورد في الكتاب المقدس، وعليه أن يؤمن بعقيدة القضاء والقدر، للمزيد ينظر:

Collins, Quoting an excerpt from John Winthrop's sermon,1999, pp. 63–65.

(21) J. P. Kenyon, Stuart England, London, 1978,pp.43-49

(22) J. P. Kenyon, op . cit, pp.49-51;

عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، القاهرة، ١٩٣٥،ص٢٥٢-ص٢٣٥.

(23) F. Guizot, op . cit, pp.39-45 .

(٢٤)وليم لود: ولد في تشرين الاول١٥٧٣، قس وسياسي إنكليزي، كبير أساقفة كانتبري (١٦٣٣- ١٦٤٥) والمستشار الديني للملك تشارلز الأول، أنشأ كرسيا للعربية في جامعة أكسفورد سنة ١٦٣٦، وسمى إدوارد بوكوك أول أستاذ لها، قاوم أنصار التطهيرية فكان ذلك من أسباب نشوب الحرب الأهلية الإنكليزية، حكم عليه بتهمة الخيانة العظمى وأعدم في كانون الثاني١٦٤٥، ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج ٢ ، القاهرة، دار المعارف بمصر ،ط٣ ، ١٩٦٤، ص ٤٣٢.

(٢٥) جون إليوت(1592-1632) المفكر الانكليزي وزعيم المعارضة، وله كتاب بعنوان (اعتذار لسقراط)، ينظر: طالب محيبس حسن الوائلي، البرلمان الانكليزي الحديث صراع من اجل السلطة ١٤٥٧-١٨٣٣،لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع الخامس، السنة الثالثة،٢٠١١، ص٢٦.

(26) Richard Cust, Charles I: A Political Life, London,2004,p.44.

(27)Samuel Rawson Gardiner, op . cit , p. 476;

طالب محيبس حسن الوائلي، المصدر السابق ،ص٢٧- ص٢٨.

(28)Richard Cust, op . cit , p.62 .

(29) Pauline Gregg, King Charles I, London: Dent,1981, p.145.

(30) Christopher Hibbert, Charles I, London: Weidenfeld & Nicolson,1968,p.187.

(31)Mark A. Kishlansky, John Morrill, "Charles I (1600–1649)",Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, October 2008,pp.34-35

(32) F. Guizot, op . cit, pp.85-91 .

(33) Mark A. Kishlansky, John Morrill, p.36.

(34) F. Guizot, op . cit, p.434.

(35) Samuel Rawson Gardiner, op . cit ,pp. 476-477 .

(36) Charles Carlton , Charles I: The Personal Monarch (Second ed.), London, 1995, pp. 350-354.

(37)L. J. Reeve, Charles I and the Road to Personal Rule. Great Britain: Cambridge University Press,1989, p. 325;

للمزيد من التفاصيل عن عقيدة ارمينيان ينظر: Robin Bunce and Others , op . cit, p.45

(٣٨) الذي سمح بالأنشطة الرياضية في يوم السبت، ينظر: Pauline Gregg, op . cit, p.160

(39) J. P. Kenyon, op . cit, pp.52-56.

(40) Kevin Sharpe, The Personal Rule of Charles I, New Haven & London, Yale University Press,1992,pp. 53-54.

(41) F. Guizot, op . cit, p.445.

(42)Kevin Sharpe, op . cit ,pp.53-54 .

(43)Mark A. Kishlansky, John Morrill, p.37.

(44) F. Guizot, op . cit, p.446.

(45) Kevin Sharpe, op . cit ,p.54.

(46)David Scoot ,Politics and War in the Three Stuart Kingdoms (1637-1649), England, 2003, pp.58-67.

(47)David L. Smith, The Stuart Parliaments 1603–1689, London: Arnold, 1999,pp.5-8;

عبدالوهاب سنان النواري، التطور الدستوري في انجلترا / بريطانيا (١٢١٥-١٩١٤م)، (د.م)، ٢٠١٤،ص٣٢

(٤٨) صباح كعدان، شارل الاول، الموسوعة العربية، المجلد العاشر،(د. م)،٢٠١١، ص٧٢٩.

(49)Toni Ford, The Monarchs: King Charles I (1625-1649) - The King Who Lost His Head, The Anglotopia magazine, June 10, 2015,p.5 .

(50)F. Guizot, op . cit, pp. 434-444.

(٥١) سترافورد: انضم سترافورد إلى الخدمة الملكية في ١٦٢٨ بعد ان اقنعه باكنغهام وعمل الى جانب لود، وكان أكثر نفوذا وزراء الملك شارل الاول، وصار نائب رئيس ايرلندا منذ ١٦٣٢، للمزيد ينظر:

Ibid, pp. 446-450.

(52) David Stevenson, The Scottish Revolution 1637–1644, Newton Abbot: David & Charles,1973,pp. 24-36.

(53)Ibid, pp. 37-45 .

(54)David L. Smith, op . cit ,pp.9 -10.

(55)Simon Schama, op . cit, pp.13-14 .

(56)F. Guizot, op . cit, pp.449-452 ;

ابو الفتوح عطية، بريطانيا العظمى، مجلة الرسالة، ع ٩٣٨، مصر،٢٠١٥ ،ص٣٥.

(57)Ibid, pp.453-459.

(58)David L. Smith, op . cit ,pp.11-13

(59)Alison Weir, Britain's Royal Families: A Complete Genealogy,London,1996,pp. 87-94.

(60)David Stevenson, op . cit ,pp.38-45.

(61)Raymond Gillespie, Seventeenth Century Ireland (Third ed.), Dublin: Gill & McMillon,2006,pp.187-190 .

(62)Nicholas Canny, Making Ireland British, 1580 - 1650 , London,Oxford University Press, 2003, pp.46-49.

(63)Richard Cust, op . cit , p268 .

(64) Caroline M. Hibbard, Charles I and the Popish Plot, Chapel Hill: University of North ،Carolina Press, 1983,pp.56-63.

(65)David L. Smith, op . cit , p.14.

(66) Simon Schama, op. cit, pp.14-15.

(67) Britroyals - British Royal Family History , op. cit, p.2.

(٦٨) صباح كعدان، المصدر السابق، ص٧٢٩.

(69)Simon Schama, op. cit, p.17.

(70)The Columbia Encyclopedia, 6th ed., The Columbia University Press, 2017, p. 402 .

(71)Encyclopedia Britannica, op . cit, p.329 .

(72) F. Guizot, op . cit, p. 453.

(73)Encyclopedia Britannica, op . cit, p.329.

(٧٤) أوليفر كروموبل: وُلد في ٢٥ أبريل ١٥٩٩، قائد عسكري وسياسي إنجليزي، اعتبره نقاده أحد القادة الديكتاتوريين، يُعرف بأنه هزم الملكيين في الحرب الأهلية الإنجليزية عام ١٦٤٨، جعل إنجلترا جمهورية وقاد كومنولث إنجلترا، وتوفي في ٣ سبتمبر ١٦٥٨، للمزيد ينظر: صالح احمد عبوش، انكلترا في عهد أوليفر كروموبل(١٦٤٩-١٦٥٨) يدراسة تاريخية، مصر، دار الناشر العرب،(د.ت) ، ص٧٧-٨٤.

(75) Maurice Ashley, Charles I and Cromwell,1988, pp. 45-48 .

(76)David L. Smith, op . cit , p. 17-19

(77) Maurice Ashley, op. cit , p.50;

حافظ عفيف باشا، الانكليز في بلادهم، القاهرة، ١٩٣٥، ص١٠٧.

(78)Graham Edwards, The Last Days of Charles I, Stroud: Sutton Publishing,1999,pp. 254-257.

(79) Roger Lockyer, The Trial of Charles I, London, Folio Society,1959,p.143.

المصادر:

اولا: الوثائق:

-Bacon, Francis, The Essays and Counsels, Civil and Moral of Francis Bacon: all 3 volumes in a single file, B&R Samizdat Express, 2014.

- "King Charles I (1625– 1649)" Britroyals- British Royal Family History, 4005.

-Gardiner, Samuel Rawson, The Constitutional Documents of the Puritan Revolution 1625–1660 (3rd Revised Edition.), Oxford, Oxford University Press,1962.

Weir, Alison, Britain's Royal Families: A Complete Genealogy, London,1996. –

ثانيا: المذكرات الشخصية:

-Collins, Quoting an excerpt from John Winthrop's sermon,1999.

ثالثا: الكتب:

ا-الكتب الوثائقية:

Guizot, F., History of The English Revolution, London, 1958.-

-Maclagan, Michael, Lines of Succession: Heraldry of the Royal Families of Europe (2nd ed.), London,1999.

ب- الكتب الانكليزية:

-Abbott, Jacob. History of King Charles the First of England. Great Britain: Henry Altemus company,1900 .

-Ashley, Maurice, Charles I and Cromwell,1988.

- Bunce, Robin and Others ,Stuart Britain The Crisis of Monarchy 1603–1702, AQA A-level History, London, 2015.،

-Canny, Nicholas, Making Ireland British, 1580 - 1650 , London, Oxford University Press, 2003.

-Carlton, Charles, Charles I: The Personal Monarch (Second ed.), London, 1995.

- Cust, Richard, Charles I: A Political Life, London,2004.

- Davies, Godfrey, The Early Stuarts, 1603-1660, Oxford University Press, 2003.

-Edwards, Graham, The Last Days of Charles I, Stroud: Sutton Publishing,1999.

- Ferdinand, Helmolt Hans, The World's History: Western Europe to 1800, W. Heinemann, 1903.

-Gillespie, Raymond, Seventeenth Century Ireland (Third ed.), Dublin: Gill & McMillon,2006.

-Gregg, Pauline, King Charles I, London: Dent,1981.

-Hibbard, Caroline M., Charles I and the Popish Plot, Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1983.

-Hibbert, Christopher, Charles I, London: Weidenfeld & Nicolson,1968.

-Kenyon, J. P., Stuart England, London, 1978.

-Lockyer, Roger, The Trial of Charles I, London, Folio Society,1959.

- Phelps, Michael, Charles I (1600-1649) king of Great Britain and Ireland (1625-1649), London , 1999.

Quintrell, Brian, Charles I: 1625–1640, London, 1993.-

-Reeve, L. J.. Charles I and the Road to Personal Rule. Great Britain: Cambridge University Press,1989.

-Schama, Simon, A History of Britain: The British Wars 1603–1776, London, 2001.

-Sharpe, Kevin, The Personal Rule of Charles I, New Haven & London, Yale University Press,1992.

-Smith, David L., The Stuart Parliaments 1603–1689, London Arnold, 1999.

-David Scoot ,Politics and War in the Three Stuart Kingdoms (1637-1649), England, 2003.

-Stevenson, David, The Scottish Revolution 1637–1644, Newton Abbot: David & Charles,1973. .

ج- العربية:

- حافظ عفيف باشا، الانكليز في بلادهم، القاهرة، ١٩٣٥.

- صالح احمد عبوش، انكلترا في عهد أوليفر كروموبل(١٦٤٩-١٦٥٨) بدراسة تاريخية، مصر، دار الناشر العرب،(د.ت).

- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، القاهرة، ١٩٣٥.

- عبدالوهاب سنان النواري، التطور الدستوري في انجلترا / بريطانيا (١٢١٥-١٩١٤م)، (د.م)، ٢٠١٤.

- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج ٢ ، القاهرة، دار المعارف بمصر ،ط٣ ، ١٩٦٤.

رابعا: الدوريات:

ا- الانكليزية:

-Toni Ford, The Monarchs: King Charles I (1625-1649) - The King Who Lost His Head, The Anglotopia magazine, June 10, 2015.

ب-العربية:

-ابو الفتوح عطية، بريطانيا العظمى، مجلة الرسالة، ع ٩٣٨، مصر،٢٠١٥ .

-طالب محيبس حسن الوائلي، البرلمان الانكليزي الحديث صراع من اجل السلطة ١٤٥٧-١٨٣٣،لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع الخامس، السنة الثالثة،٢٠١١.

خامسا: الموسوعات والقواميس:

ا-الانكليزية:

-Encyclopedia Britannica, England, 2017.

--Kishlansky, Mark A., Morrill, John ,"Charles I (1600–1649)", Oxford Dictionary of National Biography, Oxford University Press, October 2008.

The Columbia Encyclopedia, 6th ed., The Columbia University Press, 2017-

ب-العربية:

- صباح كعدان، شارل الاول، الموسوعة العربية، المجلد العاشر،(د. م)،٢٠١١.

-نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، عمان، دار زهران،٢٠١١.

الإله دجان في معتقدات سكان بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة

ا.م. د. صباح جاسم حمادي المشهداني
جامعة بغداد
كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الإله دجان في معتقدات سكان بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة

ا.م. د. صباح جاسم حمادي المشهداني

الملخص:

لا شك أن الدين (المعتقد الديني)، وكل ما يتصل به عبادات يكتسب اهمية قصوى عند كل الشعوب القديمة والحديثة، عليه فإن كل شيء لهُ تأثير على ذلك المعتقد الديني يكون له مقام، وموضع اهتمام لدراسات عديدة ومختلفة، ومنها الدراسات التاريخية.

وفي هذا البحث المتواضع سنحاول إلقاء الضوء على واحد من الإلهة المهمة، وهو الإله (دجان في معتقدات سكان بلاد الرافدين، وسورية القديمة، والذي عُبدَ وقُدس في كلتا الحضارتين القديمتين)، فضلاً عن البحث عن جذور عبادة هذا الإله، وبيان مكانته الدينية والسياسية والاقتصادية، وفي تركيب أسماء الملوك والأشخاص، والمدن في كل من بلاد الرافدين وسورية القديمة، وعليه ستكون مادة البحث المقدم هي الإجابة عن أهمية هذا الإله في كلتا الحضارتين.

Abstract

There is no doubt that religion (religious belief), and all that is related to it, is of utmost importance to all ancient and modern peoples, because everything that has an impact on this religious belief has a place and is the focus of many different studies, including historical studies.

In this humble research, we will attempt to shed light on one of the important deities, the god (Dagan in the beliefs of Mesopotamia and ancient Syria, who worshiped and sanctified both ancient civilizations), as well as the search for the roots of the worship of this god, And in the composition of the names of kings and people, and cities in both Mesopotamia and ancient Syria, and the subject of research will be the answer to the importance of this God in both cultures.

المقدمة:

إن المعتقدات الدينية عند الشعوب القديمة كما هو متعارف عليه هي مستمدة من الطبيعة (البئية الجغرافية)، إذ كان اعتقاد الإنسان منذ فجر التاريخ القديم بأن المكان الذي يعيش فيه كان محاط بمجموعة كبيرة من الظواهر الطبيعية، فضلاً عن العناصر الكونية التي كان لها التأثير المباشر في وجوده واستقراره في حياته ومماته، وأدرك تماماً بأن تلك الظواهر ما هي إلا قوى خفية فائقة بقوتها، والتي تقع خارج عالمهُ الذي يعيشه، وليس بالإمكان التحكم والسيطرة عليها. ونتيجة للرهبة والخوف من هذه العناصر التي يمكن أن تكون لها التأثير المباشر والسلبي عليه، أو التأثير الايجابي في مسيرة حياته، لذا صورت هذه العناصر الكونية أو الظواهر الطبيعية بهيئة إلهة تعبد وتقام لها الطقوس والشعائر الدينية (الأعياد، الأضاحي، قرابين أدعية، صلوات، تراتيل) من أجل كسب ودها وارضائها والاتقاء من كل شرورها، ومن جهة أخرى فإنه لا بد وأن يكون للظواهر الكونية أو الطبيعية الأثر الهام والقوي في حياة هذه المنطقة أو تلك، لذا فإن عبادة هذه الظاهرة التي مثلت بشكل إله على رأس عبادة الالهة الأخرى، ومن أجل ذلك سوف نحاول في هذا البحث المتواضع استعراض سيرة الإله (دجان) في معتقدات سكان بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة.

وقد حاولنا الإحاطة بهذه الدراسة من خلال ثلاثة مباحث، فضلاً عن مقدمة وتمهيد وجاءت المباحث بالشكل الآتي:

المبحث الأول: الإله دجان (السمات العامة)، الاسم، الصفات، الألقاب، الرموز، العائلة، اصل العبادة.

المبحث الثاني: مكانته الدينية عند سكان بلاد الرافدين: المكانة السياسية، المكانة الاقتصادية، المكانة الدينية، مكانته في تركيب اسماء الملوك والاشخاص والمدن.

المبحث الثالث: مكانته الدينية عند سكان سورية القديمة: المكانة السياسية، المكانة الاقتصادية، المكانة الدينية، مكانته في تركيب اسماء الملوك والاشخاص والمدن.

وفي النهاية ختمنا بحثنا هذا بخلاصة عرفنا فيها أهم ما توصلنا اليها من نتائج.

وختاماً اسأل الله ﷻ أن نكون قد وفقنا في انجاز هذا البحث المتواضع.

تشكل المعتقد الديني محوراً مهماً في حياة الشعوب القديمة، بل كان من أهم العوامل المؤثرة في دراسة مسيرة حياتها وتطور حضارتها، فالمعتقدات والأفكار رسمت الخطوط العريضة لسلوك الإنسان وحياته، وعاداته، وتقاليده، أعرافه وقوانينه، وضبطت تصرفاته مع الآخرين في المجتمع، من هنا احتلت دراسة المعتقدات الدينية موقعاً مهما في فهم حضارات الشعوب القديمة تزداد هذه الأهمية في استيعاب الحضارات البشرية القديمة التي قامت في منطقة الشرق الأدنى القديم[1].

والدين بحد ذاته وهو ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان، لذا كان ملازماً له، والتصق بعقله وفكره وممارساته منذ أقدم العصور، وهذا يشير إلى أي مدى تغلغله في نفوس المجتمع القديم وتأثيره على حياتهم الخاصة والعامة [٢].

ومن ممارسات هذا الدين ولدت لدى إنسان الشرق الأدنى القديم معتقدات عبادة ظواهر طبيعية وعناصر كونية شكلت لديه المحور الرئيس في حياته وجعلت لديه هاجس الموت والرهبة فما كان عليه إلا أن يقدسها ويعبدها، ومن هنا جاءت هذه الممارسة وهي (عبادة قوى الطبيعة). والتي هي حالة متأصلة ومتبلورة عند الإنسان القديم منذ عصور موغلة في القدم، فقد لاحظ الدارسين والباحثين في الجانب الديني والميثولوجيا الدينية وجود كثير من المؤشرات لتلك المعتقدات التي انتشرت عند أقدم الأقوام البشرية التي عاشت في ربوع منطقة الشرق الأدنى القديم عامة، وهذا جلي من خلال الآثار المادية (التماثيل والدمى) والكتابية (أي النصوص) التي تم الكشف عنها في عدة مناطق، ومن خلالها التعرف على العلاقة المباشرة بين البشر وتلك القوى الطبيعية والتي تجسدت بهيأة الإلهة المختلفة [٣]، وأن الإنسان في بلاد وادي الرافدين وسورية القديمة، كانت له معتقدات دينية وفكرية مستوحاة من قدراته وملاحظاته وتجاربهِ المكتسبة من خلال تعامله مع الطبيعة، وأن تلك المعتقدات الدينية لم تكن في نشأتها الأولى مجرد عاطفة روحانية فطرية اكتسبها الإنسان وتوارثها مع الأجيال فحسب، وإنما كانت هذه حاجة ملحة شعر بضرورة وجودها لحمايته، ومساعدته في مسيرة حياته اليومية [٤]. وكانت تلك المعتقدات الدينية لها أهمية قصوى في حياة هاذين الشعبين القديميين [٥].

لهذا فإن البيئة الجغرافية كان لها الأثر الهام والكبير من الناحية السلوكية للإنسان في العراق القديم، فقد أثرت هذه البيئة (الطبيعة الجغرافية) بشكل فعال وقوي في عاداته وقيمه ومثلهِ، كعمل الخير والتشجيع على القيام به، فضلاً عن التمسك بالكلمة الصادقة والحفاظ على الأمانة واحترام كل القيم المجتمعية والعمل على احقاق الحق ورفع كلمتهِ، والتمسك بمكارم الأخلاق وفضائل الملوك [٦].

ويرى الباحثين أن معبودات الإنسان الاولى كانت تدور في أساسها على مبدأ تجسيد الظواهر والقوى المؤثرة في خصوبة الأرض وانتاجها، وكذلك الحيوان وانتاجه [٧]، لذا جسدها على هيئة آلهة عامة تمثل الأرض والخصب والقوى المؤثرة في البيئة الجغرافية لذا أخذ المجتمع في قوى الطبيعة الأخرى كوائن علوية جسدها بهيئة الهة، وقد كان هذا هو الحال بالنسبة للمعتقد الديني في العراق القديم، حيث اتخذوا أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها الأثر القوي في مسيرة حياتهم وجسدوها على هيئة آلهة، ونفس الوقت عبدوها لسببين رئيسين الأول تقرباً منها وكسب رضائها، والثاني: اتقاء شرورها هذا بالنسبة لأثر هذه البيئة على عبادة قوى الطبيعة، أما بالنسبة للحياة الدينية في بلاد سورية القديمة وأثر البيئة الجغرافية على عبادة قوى الطبيعة، فإن النصوص الدينية والشواهد الأثرية المادية تشير إلى أن البيئة الجغرافية أثر بارز ومهم في حياتهم الدينية وأن معبوداتهم الأولى كان أيضاً تدور على مبدأ تجسيد الظواهر الطبيعية والقوى

الكونية، لذا صورها على شكل آلهة تمثل الأرض والخصب والقوى المؤثرة في البيئة الجغرافية، وعبدوها لكسب ودها والاتقاء من شرها .

عليه فإن تأثير هذه البيئة الجغرافية على عبادة قوى الطبيعة عند هذين الشعبين القديمين كان قويا وواضحا [٨].

التمهيد:

أثر البيئة الجغرافية على عبادة قوى الطبيعة (العراق، سورية)، لقد أنعم الله على بلاد الرافدين منذ حقب موغلة في زمن بيئة طبيعية جغرافية متمثلة بالسهول الواسعة المنبسطة والخصبة، فضلاً عن المياه الوفيرة والمناخ المعتدل، وبمقابل ذلك تطلب من الإنسان العراقي القديم العمل الدؤوب والجدي القائم على اعمال الفكر والعقل وهو الدور الفعال والمهم الرئيسي الذي بذله الإنسان العراق القديم، وكان له الدور المتميز في اقامة ونشوء الحضارة القديمة [٩]، وبذلك استطاع الإنسان منذ القدم أن يطوع البيئة لصالحه ويستفاد منها خير استفادة، وكان للعوامل الجغرافية أثر كبير في الحضارة، لأن الحضارة بحد ذاتها هي نتاج تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية لترويضها وتجسيدها له واستغلال إمكاناتها [١٠].

وإن هذا التفاعل واسلوب تحدي الطبيعة من قبل الإنسان العراقي القديم هي التي تكسب الحضارة والفكر طابعها الخاص، وهذا انطبق تماماً على الحضارات المعاصرة والحضارات القديمة ومنها حضارة العراق القديم، وأن تأثير البيئة الطبيعية بكل عواملها الجغرافية المختلفة على نمط وسير الحضارة واتجاهاتها كان أكثر وضوحاً، وأعمق أثراً في العصور الغابرة القديمة [١١]، وإذا ما عدنا إلى تاريخ العراق القديم فإنه ثمة عوامل جغرافية كان لها التأثير الواضح على تاريخ الإنسان وتاريخ حضارته، لذا فإن موقع العراق الطبيعي الذي يقع في الجزء الجنوبي من قارة آسيا من نتائج مؤثرة في سير التاريخ والحضارة [١٢].

وبذلك فإن البيئة الطبيعية للعراق القديم أثرت بشكل كبير وواضح من ناحية السلوك للإنسان العراقي القديم، فقد كان لها التأثير القوي والفعال في كل قيمه ومثله الأخلاقية، كعمل الخير والتشجيع عليه للقيام به والحق على تمسكه بالصدق والامانة واحترام القيم البشرية وجعل مبدأ العدالة يتفوق لديه أولاً، بالإضافة عن الالتزام والتمسك بكل قيم الأخلاق [١٣]، وبهذا انتجت البيئة الطبيعية للعراق القديم مسار جديد كان له التأثير الكبير والمهم على عبادة قوى الطبيعة، وقد مرَ بلاد الرافدين عبر عصوره المختلفة بخاصية انفرد فيها هي خاصية تعدد الالهة (مبدا الشرك)، وأن أصل هذه الالهة قد جاء من القوى والظواهر الطبيعية، لاسيما الشمس والقمر والأرض والهواء والمياه، وعبدت هذه الالهة حسب تأثيرها في حياة البشر، إضافة إلى اختلاف هذه الالهة من حيث قدرتها ومنزلتها وتقديسها من قبل المجتمع [١٤].

ومثلما كانت البيئة الجغرافية أساس ومصدر مهم لآلهة سكان العراق القديم، فقد اتخذ سكان سورية القديمة جميع الهتهم من الظواهر والقوى الطبيعية، تأثراً بحضارة بلاد وادي الرافدين [١٥]، لذا كان يوجد في المدن السورية القديمة الهة رئيسية، إضافة إلى عدد من الآلهة التي كان لها علاقة وثيقة بقوى

الطبيعة والكواكب كالشمس والقمر، والبرق، والامطار، والرياح، والمياه وغيرها.. [١٦]، مما يؤكد على أمر هو التأثير الثقافي لبلاد وادي الرافدين في سكان ومعتقدات سورية القديمة، ويتجسد ذلك التأثير من خلال الالهة السومرية العديدة في المعابد السورية القديمة [١٧]، وهذا يعني اندماج (تشكل) بلاد وادي الرافدين وسورية القديمة في وحدة جغرافية واحدة كانت في زمانها مسرحاً لحدث هام.

في رواية الإنسانية والحضارة فالفروق التي فرضتها العوامل الجغرافية أدت بالتالي إلى انبعاث شعوب تميزت بعضها عن بعض تاريخيا وسياسياً، ولكن الوحدة الجغرافية الجوهرية جعلها أجزاء لا يستقل بعضها عن بعض [١٨]، وبهذا يمكن القول أن البيئة الجغرافية في كل من بلاد وادي الرافدين وبلاد سورية القديمة كان لها الأثر العميق والواضح على عبادة قوى الطبيعة.

وبقدر تعلق الأمر بالإله (دجان)، موضوع البحث، لذا يرد السؤال عن أثر تلك البيئة الطبيعية وانتشار عبادة هذا الآله في كل من (العراق، سورية).

المبحث الأول:- الآله دجان (السمات العامة)

أولاً:- الاسم (التسمية) الصيغ التي ورد بها اسم الاله (دجان) في بلاد وادي الرافدين.

كتب الآله دجان (داكان) بالصيغة السومرية بالمقطع KUR، وبالأكدية على نحو Dagan، [١٩].

أحد الآلهة السامية الغربية عبد بشكل واسع في منطقة الشرق الأدنى القديم، وخاصة في بلاد الرافدين [٢٠]، عبر مراحله السومرية والاكدية والبابلية والآشورية، والذي كان إلها للطقس (آله الريح والغيوم) [٢١]، وأن أصل هذا الإله يأتي من بلاد سومر فقد جاء اسمه في الوثائق التي جاءت من عصر سلالة أور الثانية (٢١١٢- ٢٠٠٤ق.م) وذلك في الموقع المسمى (بوزْريش- دجن) القريب من مدينة نفر التاريخية، ويعني حماية دجن [٢٢]، وقد مثل الاله (دجان) في مجمع الالهة السومري، ولكن كاله ثانوي [٢٣]، وظهر الاله (دجان) أيضاً في المدونات الاكدية في منطقة الفرات الأوسط [٢٤]، (ماري وترقا)[٢٥].

والاله (دجان) يعد هو الاله الأكبر للآشوريين وسامي الغرب المقيمين في شمالي بلاد ما بين النهرين [٢٦]، وهو من الآلهة التي لها أصول في شمال بلاد بابل ثم يصل إلى الجنوب، ولكن أهميته في الشمال أكبر فقد دخل الإله (دجان) إلى بلاد آشور في وقت مبكر جداً، وكان هذا الدخول بسبب تأثير الهجرات الآرامية التي وصلت إلى بلاد آشور وجاء أصل الاسم هذه المرة بصيغة (داكان)، (Dagan)[٢٧]، ويتردد اسم هذا الاله كثيراً في تراث بلاد آشور بصيغة (آشم داجان)، وأيضاً يتردد كثيراً في تراث بابل بصيغة اسم (أدن داجان)[٢٨]، عليه فإن التسمية الرافدينية (الغائم والممطر) كانت تحمل في معناها الحقيقي نفسه في النصوص التي جاءت من أوغاريت، فالغيوم والأمطار تعني بمفهومها الحقيقي وجود المحاصيل الزراعية وأهمها الحبوب [٢٩]، وجاء اسم الاله (دجان) بصيغة (داغان) ، (Dagan)، اله بابلي، آشوري [٣٠].

وبدأ مركز هذا الإله بالتراجع في بلاد بابل مع مرور الزمن ليختفي تماماً في العصر البابلي الحديث (٦٢٧- ٥٥٩ ق.م)[٣١]، ووردَ اسم الإله (داجون) أو (دجان) (بلفظ الجيم كافاً فارسية)، في حضارة وادي الرافدين، وأصلهُ من الآلهة المتعلقة بالخصب والطعام [٣٢]، ويذكر الاستاذ عامر سليمان أن هذا الإله من الآلهة الأجنبية التي دخلت إلى مجمع الإلهة، ولاسيما في فترة الاحتلال الأجنبي [٣٣].

يظهر مما تقدم أن صيغة اسم الإله (دجان) جاءت بعدة تسميات في بلاد الرافدين عبر تاريخهم الحضاري الطويل، على الرغم من أن تلك الصيغ تكاد تتشابه من حيث اللفظ والكتابة، وهذا الاختلاف ناجم عن عملية ابدال حرف مكان حرف آخر (عملية الأبدال والقلب) في اللغات السامية القديمة، وذلك بسبب الاختلاف في اللهجة، إذ أن عملية الابدال في الاحرف بين اللهجات ذات اللغة المشتركة أمر وارد جداً، فممكن إبدال الجيم كافاً (ك) فارسية في حضارة وادي الرافدين أو ابدال الجيم غيناً، أو إضافة الألف قبل حرف الجيم، أو ابدال حرف الجيم غيناً عبرية (داغون)، أو إضافة الإلف قبل حرف الجيم وإضافة حرف ألف آخر بعد الجيم، وهذه الصيغة الاكدية[٣٤].

ومهما يكن من أمر فإنه على الرغم من تعدد صيغ اسم هذا الإله (دجان) فإن جميع سكان بلاد الرافدين عبدو هذا الإله وهذا ما تؤكده النصوص الدينية في بلاد الرافدين [٣٥]، وفي الوقت نفسه كان أهل بابل وآشور يكنون له كل الاحترام والتبجيل، وأنه فرض نفسهُ على كل شعوب البحر المتوسط [٣٦].

ثانياً:- الصيغ التي ورد بها اسم الإله (دجان) في بلاد سورية القديمة [٣٧].

إن تفسير معنى اسم هذا الإله (دجان) يعني الحبوب في سوريا القديمة، والذي وردت صيغة اسمه بـ(دجن) أو (داجون)، والذي نعتبره إلهاً مكتسباً طارئاً على شجرة الآلهة الأمورية في هذه المرحلة القديمة، لكنه مع مرور الزمن أصبح جزءاً منها، وأصبح من الآلهة المهمة عندما دخل الأموريين في طور التحضر والمدنية [٣٨]، وتتضح جذور الإله (دجان) واضحة عند الاموريين، ويلفظ اسمهُ (دجن) أو (داجون)، وتعني هذه الكلمة في اللغة العربية بـ(الغائم) و (الممطر) و (الضباب)، وهذا ما أكدته عبادته عند الاكديين، أما في اللغات الاوغاريتية والفينيقية والعبرية، فتعني هذه الكلمة (حبوب) وهو ما ذهب إليه فيلون الجبيلي أيضاً [٣٩]، وورد اسم هذا الإله أيضاً بصيغة (داجان) (Dagan) في معتقدات سورية القديمة [٤٠]، فضلاً عن ذلك فقد ورد اسمه بصيغة (داغون) ومن اسمهِ أتت لفظة دجن العربية [٤١]، وجاء هذا الإله أيضاً باسم (داكان)، وهو أحد الإلهة العربية عند القبائل التي كانت تسكن أطراف مدينة ماري (تل الحريري)[٤٢]، وعرف هذا الإله باسم (داغانو)[٤٣]، عند سكان اوغاريت [٤٤]، وسكان بلاد كنعان[٤٥]، وأيضاً سمي هذا الإله بالتسمية (داجون) عند سكان بلاد كنعان [٤٦]، فضلاً عن ذلك جاء ذكر اسم الإله بالتسمية (داجون) في التوراة أو العهد القديم بأنه إله الفلسطينيين [٤٧]، وجاء ذكر هذا الإله بالتسمية "داغون" عند سكان مدينة غزة الفلسطينية [٤٨]، وربما يكشف اسم (دجن) بعضاً من طبيعته فيما إذا ما كان أصل التسمية صحيحاً، فهناك من يرى أن اشتقاق اسم هذا الإله جاء من كلمة (dag سمك)

أو (دجن Dagan القمح)، وهناك رأي آخر يقول أنه من جذر الكلمة العربية (دجى أو دجن)، والذي يعني الظلام أو الغيوم المحملة بالمطر، وهناك رأي آخر يقول أنه اسم غير سامي، وبما أنه لم يتم العثور على حقيقة ثابتة عن أصل هذا الإله، فمن المفترض التعامل معه كإله اشتق اسمهُ من القمح، والقمح يشترك مع الندى (دسم الأرض)[٤٩].

وعليه يتضح من خلال ما ورد بشأن تعدد صيغ اسم هذا الإله (دجان) فإن جميع سكان بلاد سورية قد عبدوه وهذا ما تؤكده النصوص الدينية في بلاد سورية القديمة، وأنهم وضعوه في لائحة آلهة سورية القديمة جنباً إلى جنب مع كبير آلهة السومريين [٥٠]، انليل[٥١].

وبقدر ما يتعلق الأمر بموضوع تسمية الإله (دجان)، وحسب النصوص الدينية وغير الدينية فإنه لم يكن أحد من تلك الصيغ انحصر استعمالها في زمان ومكان معين، بل أن هناك أكثر من صيغة تستعمل في كل زمان ومكان، مع الأخذ بالحسبان أن بعض من تلك الصيغ قد فضلت على غيرها من كثرة الاستعمال[٥٢].

يظهر من خلال ما تقدم بشأن الاختلاف في تسمية هذا الإله، في بلاد سورية القديمة عبر تاريخها الطويل فإنه يعود إلى (عملية الإبدال والقلب المكاني) في فقه اللغات السامية القديمة وهذا يسري كما وضحنا فيما سبق في بحثنا هذا بشأن اختلاف التسمية في بلاد الرافدين [٥٣].

وعليه فالرغم من تعدد صيغ اسم هذا الإله (دجان) في جميع بلاد سورية القديمة فأنهم عبدوه كإله وقدسوهُ، وهذا ما تؤكده النصوص الدينية في بلاد سورية القديمة [٥٤]، وهذا ناجم عن كون المعبودات في بلاد الرافدين وسوريا القديمة تحمل الصفات نفسها والعمل نفسه، وتختلف في صيغة الأسماء [٥٥].

أ- الصفات والألقاب في بلاد الرافدين:

إن عبادة الإله (دجان) كان أصلها من بلاد الرافدين، ومن بعد ذلك انتقلت عبادته إلى بلاد سورية القديمة [٥٦]، وتزامن مع هذا الانتشار الواسع لهذه العبادة حدوث تبدل واختلاف في بعض الصور والشعائر الدينية الأصلية والمرتبطة بعبادة الإله (دجان)، ومن ذلك تباين في الصفات والألقاب والرموز بطقوس العبادة، مع ثبات الصفة الرئيسة لهذا الإله [٥٧].

إن الصفة الغالبة للإله (دجان) في معتقدات بلاد الرافدين جميعاً هو في كونه إلها للطقس فهو إله الريح والغيوم عبرَ السومرية والاكدية والبابلية والآشورية [٥٨]، ويرجح أن صفاته الطقسية والهوائية هي التي كانت معروفة أكثر في بلاد الرافدين [٥٩]، وحول هاتين الصفتين (الريح والغيوم) أضافوا صفات ثانوية أخرى تتشابه معها من حيث المعنى وإن اختلف في أسلوب الصياغة، فهو إله الغيم المطبق أو (المطر الكثير) البرق والفيضان [٦٠]، وبهذا وصف هذا الإله (بالصفة الطقسية والهوائية) [٦١].

أما الألقاب التي تلقب بها هذا الإله في بلاد الرافدين فهي جاءت تبعاً للطبيعة الشخصية التي يحملها هذا الإله والمتمثلة بعنصر الخير، وقد تم التعرف على هذه الألقاب عن طريق النصوص الدينية

المتعلقة بالطقوس والعبادات والأساطير والأسماء الشخصية التي تحوي في تركيبها أحد صفات الإله (دجان)، وكذلك الكتابات التاريخية والنقوش، فإنه أمكن التعرف على بعض من تلك الألقاب ومنها، (ملك البلاد)، (سيد الإلهة)، (المبشر بالمطر)، (منظم المجاري المائية)، سيد وملك البلاد وغيرها من الألقاب[٦٢].

ب- الصفات والألقاب في سورية القديمة:

ذكرنا فيما مضى أن عبادة الإله (دجان) جاءت من بلاد الرافدين، وانتقلت بعد ذلك الوقت إلى بلاد سورية القديمة [٦٣]، ومع هذا الانتشار الكبير لهذه العبادة صاحب حدوث تبدل واختلاف في بعض الصور والطقوس الدينية الأصلية والمرتبطة بعبادة الإله (دجان)، كذلك حصل تباين في الطبقات والألقاب، مع بقاء صفته الرئيسية في كون الإله (دجان) إلهاً للخصب والطعام [٦٤].

صفة الإله (دجان) في معتقدات سورية القدماء جميعاً إلهاً للخصب والطعام[٦٥]، وكما بينا سلفاً أن المعبودات في بلاد الرافدين وسورية القديمة، فإنها تحمل الصفات نفسها والعمل نفسه، وتختلف في الأسماء [٦٦]، عليه أضافوا صفات ثانوية تتشابه معها من حيث المعنى، وتختلف في أسلوب صياغتها، فالإله (دجان) هو إله القمح والحبوب ومعطي الغذاء والحصاد والسمك والزراعة إله النباتات والغلال [٦٧]، وإذا ما تفحصنا تفسير اسم هذا الإله في بلاد سورية القديمة فإننا نجد أن اسمه يأتي بمعنى (الحبوب)، وهذا ما أكدته نصوص اوغاريت، وبذلك اتخذوه إلها للزراعة والحبوب والطعام والغلال [٦٨].

وإن التسمية الرافدينية فإنها تحمل في معناها الحقيقي نفس المعنى في النصوص الواردة من اوغاريت، فالغيوم والامطار فإنها تعني وجود المحاصيل الزراعية، وأهمها الحبوب [٦٩]، القمح والشعير [٧٠]، وبهذا يتخذ هذا الإله صفة شمسية في إيبلا لاطقسية كما في وادي الرافدين، والذي يواصل رحلته إلى بلاد كنعان ليكتسب صفة الخصوبة من خلال السمك والحبوب [٧١].

ويأتي هذا الإله بالمرتبة الثالثة من جيل إلهة الطقس الأمورية في هذه المرحلة القديمة، لكنه مع مرور الزمن أصبح هذا الإله جزءاً منها وتجانس في صفاته مع صفات الإله مارت، بل وأصبح بديلاً عن الإله مارتو[٧٢]، فضلاً عن ذلك فقد اكتسب الإله (دجان) أو (بعل دجان) الملقب بلقب سيتون (Siton) أيضاً في العصور القريبة الصفات البحرية، وظلت الصفة الأولى لهُ ظاهرة في تاريخ اورانيد[٧٣].

وقد فسر العلماء اسم هذا الإله تفسيرين: الأول يكون المعنى قريباً من معنى لفظه (القمح) أو قربان الملح، والثاني يقربه من معنى لفظ السمك باللغة السامية، وعلى أساس اعتبار البعض إياهُ الهاً عبرياً، وهو اعتبار خطأ لأن الصفة البحرية غير أصيلة [٧٤].

أما الألقاب التي تلقب بها هذا الإله في بلاد سورية القديمة، فهي مستوحاة من الصفة الشخصية التي يحملها الإله (دجان)، والحاملة معها عنصر الخير، واستطعنا الوقوف والتعرف على هذه الألقاب من خلال النصوص الدينية المتعلقة بالطقوس والعبادات والأساطير والأسر والشخصية التي تحوي في طياتها

أحد صفات هذا الإله، وكذلك الكتابات التاريخية والنقوش، لذا أمكن التعرف على بعض تلك الألقاب، (السيد، أو الرب)، ملك البلاد، المبشر بالخير، سيد الإلهة، منظم المجاري المائية، المبشر بالمطر، سيد وملك البلاد، وغيرها من الألقاب، وبذلك نستطيع القول أن صفات وألقاب هذا الإله في معتقدات بلاد الرافدين ومعتقدات بلاد سورية القديمة تحمل في معناها الحقيقي نفس المعنى [٧٥].

ثالثاً: الرموز

أ- الرموز في بلاد الرافدين وسورية القديمة:

الرمز أو التعريف بالرمز أنه شكل يدل أو يعبر عن صفات الشيء الغير موجود في عالمنا المادي، ولا يشترط المطابقة بين الاثنين، أي الرمز وذلك الشيء من ناحية الشكل، وإنما التطابق في الإيحاء إلى الصفات، لذا فإن شعوب العالم القديم ومنها العراق القديم وسورية القديمة كانت تدرك بأن جميع الإلهة ما هي الأقوى خفية ولغيره عنها وليس بالإمكان رؤية هذه الإلهة، فكان عليهم تقريب صفات هذه الإلهة ومنها الإله (دجان) إلى عالمها الدنيوي (المادي) من أجل أن يكون الشيء محسوساً بالإمكان التقرب إليه وعبادته على أفضل وجه، وعليه اتخذوا رموزاً أو صوراً معبرة عن صفات هذا الإله [٧٦]، لذا فإن ما يتعلق بالإله (داجون) فقد وضع له سكان بلاد الرافدين وسكان سوريا القديمة أكثر من رمز يعبر عن اهم صفاته لحالة النماء الخصب والمطر والهواء والرعد وإله الغذاء وكانت قوة الإله تكمن في رموزه، لذلك كانت الرموز الدينية إشارة إلى القوة الدينية [٧٧].

بالإمكان استعراض هذه الرموز على النحو الآتي:-

١- رمز العصا المقوسة النهاية:

تمثل العصا أحد رموز الإله (دجان)، وتأتي هذه الأهمية لما ترمز له العصا من القوة والسلطة والعدالة، والتي يحملها الملك البلاد ففي مدينة هانة (عانة)[٧٨]، عثر على ختم مختوم على رقيم طيني يحمل اسم ملك المدينة (ايشارليم) من عهد الفترة البابلية القديمة يعلن خضوعه للإله (دجان) الذي يحمل في إحدى يديه العصا المقوسة النهاية [٧٩].

٢- رمز المحراث:

يمثل المحراث أحد رموز الإله (دجان)، وتأتي هذه الأهمية لما تتمتع به (المحراث) من صفات قريبة جداً من صفات هذا الإله، ولعل من أهم تلك الصفات (الحبوب، الخصب، الغذاء)، على اعتبار استخدام المحراث في عملية الزراعة، وقد استعمل هذا الرمز في معتقدات سكان مدينة ماري واوغاريت على حد السواء[٨٠].

٣- رمز السمكة:

اشتهر (ذيل السمكة) بشكل عام كرمز أصيل يدل على هذا الإله، حيث صور هذا الإله (دجان)، على أنه نصف إنسان ونصف سمكة لما لهُ علاقة بالحياة البحرية والصيد عند سكان فلسطين [٨١]، يصورهُ لنا كتاب التوراة في النصوص التوراتية على هيئة الإله ذيل سمكة [٨٢].

٤- رمز مفتاح الحياة المصرية (عنخ):

ظهر الإله (دجان) برمز آخر وأن لم يكن شائعاً ومعروفاً وهو (مفتاح الحياة المصرية غنح)، وذلك من خلال تصوير بعض الأختام هذا الإله بصيغة (بدل) منها طبعة الختم الأسواني الذي وجد على كسرة من جرة خزف، المؤنة، والتي تمثل بعل داجون وزوجته (بعلاتو) أو عتاة وراءه وأمامهما الملك الأبلائي (أنديلموغور) أو ابنه وبينهما علامة الحياة المصرية (غنح) وفوقهما قرص الشمس المجنح وفوق رأس بعلاتو نجمة ثمانية وعلى رأسها الطير [٨٣].

٥- العائلة: (عائلة الإله دجان)، أسرته، عائلته، في بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة.

نشأ مجمع الإلهة (البانيثون) في بلاد الرافدين بالتدرج، وهو مجمع لجميع الإلهة، والتي لا تعد ولا تحصى من كثرتها فإن المجمع هذا كان يلتمس منه أن يعقد الصلات بين ما لا يحصى من الإلهة التي قدسها وعبدها، ورتب هذه الإلهة حسب درجة أهميتها في المدن والقرى من خلال وضع جداول بأسماء هذه الإلهة، والذي كان جزء من نشاطهم المعجمي الدؤوب، وكان الترتيب الناجم كما هو معروف لنا من النسخ البابلية يقوم على مسألتين: الأولى: يعتمد على مدى اهمية الظاهرة الكونية التي ترتبط بهذا الإله – أو الإلهة، المتكلم عنه.

والثانية: يعتمد على روابطه – أو روابطها- العائلية والبيئية، وعلى أساس ذلك فهو في طبيعة منسوب إلى الشكل الاجتماعي والشكل البشري، وهناك تفاوت ملحوظ ما بين أهمية وسبق هذه الإلهة مع أفراد أسرتها وبيئتها في صدارة المجمع الإلهي [٨٤]، ويقدر تعلق الأمر بالإله (دجان) ويوضح نسب وأسرة هذا الإله فإن أسرته تتكون من:-

أولاً: أدد [٨٥].

وهو إله الطقس والعواصف، وجاء لفظه باللغة السومرية (أشكور)، (أشكر) (Iskur)، وبالاكدية (أدو أو آدادو) أو (ادد)، عبد وقدس من قبل البابليين والأشوريين في المنطقة المسمى (بلاد بابل) وفي مدينتي أشور وحلب، ويعد هذا الإله عند سكان الأقوام الغربية، والتي أسست مملكة ماري وبابل في بداية الألف الثاني قبل الميلاد، من بين الإلهة التي تحتل المرتبة الأولى في تسلسل الإلهة، وفي معتقداتهم [٨٦]، والذي اعتبر ابناً للإله (ادد) أو (حدد)[٨٧]، بعل [٨٨]، هداد [٨٩]، وهذا ما تؤكده إحدى كسر الألواح الكتابية في شمال بلاد وادي الرافدين تذكره أنه والد إله الطقس والعواصف والمطر (ادد)[٩٠].

وعدَّ الإله (دجان) في الأساطير الكنعانية أباً للإله (بعل هدد) لكن الأب الحقيقي للإله (بعل هدد) هو الإله أيل، وهذا الشيء متأت من دمج شخصيتي داجان وأيل في إله واحد [٩١]، وفي حضارة اوغاريت عدَّ هذا الإله أباً للإله بال ball (حدد) كما أنه يأتي بالمرتبة الثانية منزلة بعد الإله أيل (EL)، أبي الإلهة وكبيرها [٩٢]،

ثانياً: جبيل إله أموري.

وهو ابن الإله (دجان) و (شالا) في المجمع ألأموري القديم، وكان يطلق على هذا الإله أيضاً في اللغة الاكدية الإله (جبرا) أو (جيرو)، وهذا يؤكد أنهُ ابن الإلهة (شالا)، والتي تلقب بـ (أم –جيروا) أي (ريح النار)[٩٣].

ثالثاً: شالاً، شلش، شالاش (Sala)

الإلهة (شالا)[٩٤]، معبودة سومرية اقترن اسمها بالإله (دجان)[٩٥]، والتي كانت كذلك زوجة إله الطقس الاكدي، وهي إلهة النار، والتي كانت تناظر الإلهة (ننليل) زوجة الإله انليل، ربما لأن زوجها إله الحبوب، وأن ننليل إلهة الحبوب أيضاً [٩٦]، وتعد الإلهة (شالا) sala زوجة الإله (دجان)، في حين ذكرت في مآثر أخرى الإلهة (أشخارا) (ishara) كزوجة للإله (دجان) [٩٧]، وتوصف الإلهة (شالا) أم اله النار (جبيل) في النصوص الواردة والمضادة للسحر الأسود، والمعروفة بنصوص (مقلو)[٩٨]، ويبدو أن اسم زوجة الإله (دجان) شالا غير محدد [٩٩].

وعليه فإن الإله (دجان) ينحدر من الإله (أن)، ولكن له طبيعة (انليل) ذات الطبيعة الهوائية لذا فهما الهاً للطقس [١٠٠].

رابعاً: الإله أيل (EL)

يعد الإله أيل (EL)[١٠١]، أخاً للإله (دجان)[١٠٢]، وهذا ما تؤكده شجرة الإلهة الكنعانية [١٠٣].

خامساً: أورانوس:

يذكر فيلون الجبيلي أن الإله (دجان) هو أبن أورانوس من (جي)[١٠٤].

سادساً: الإله أترومر:

يعتقد أن هذا الإله هو إله الطقس الفعلي، والذي يشبه (حدد) في جميع الأوجه، وفي بعض الأحيان ينظر له على أنه ابن الإله (دجان)، والذي ينظر له أيضاً هو الآخر كإله من إلهة الطقس القديمة [١٠٥].

وعليه وفقاً للنصوص الاوغاريتية التي تذكره لمرتين باسم تتل (ttl)، والتي تعني (دجن مدينة توتول)، وهذا ما يؤكد استمرار الثقافة السورية القديمة من خلال استمرار تقاليد دجن الاوغاريتية مع التقاليد [١٠٦]، التي كانت في مدينة ماري [١٠٧]، وأن غياب الإله (دجان) من أي نشاط في أساطير بعل، ربما يعكس التناظر النسبي لوصوله إلى الساحل السوري، وهذا ما دفع بعض الباحثين أن تفترض أن

الإله (بعل) ليس ابن الإله (دجان) لكنه يتشابه معه بالنهاية، وتبقى مسألة نسب الإلهة الاوغاريتية من المسائل المعقدة جداً، والتي تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث والجهد لإثباتها [١٠٨].

٦- أصل العبادة:

إن أصل عبادة الإله (دجان) جاءت من بلاد الرافدين، إذ عبد هناك تحت اسم (دجن)، وبعدها انتقلت عبادته إلى بلاد سورية القديمة، والذي عبد فيها باسم (داجان وداجون)[١٠٩]، وصارت منطقة الفرات الأوسط مركز عبادته الرئيسية[١١٠]، وأن أصل هذا الإله يأتي من بلاد سومر كما ذكرنا سابقاً، والذي ظهر في وثائق عصر سلالة أور الثالثة في الموقع القريب من مدينة نفر [١١١]، ويرى البعض أن أصل هذا الإله هو سامي الأصل، والقبائل السامية هناك هي من أدخلته في عبادتها لكن اسمه يشي بأصله السومري [١١٢]، وقد ثبت تقديس الإله (دجان) في العصر الاكدي وفي العصر الآشوري القديم وفي العصر البابلي القديم تحت ظل حكم سلالة ايسن التي هاجرت من مدينة مارس [١١٣]، وعبدهُ الأموريون في بلاد الرافدين [١١٤]، وسادت عبادة الإله (دجان) واصبح هو ونينسينا الإلهين العظيمين لمدينة ايسن وبابل، ويختفي تماماً مع مرور الزمان كلياً في العصر البابلي الحديث [١١٥]، وللتأكيد على جذور عبادة الإله (دجان) في بلاد الرافدين هناك نص يعود للعصر الأشوري القديم يذكر فيها معبد الإله (دجان)، والممتلكات الخاصة به، ومنها الماشية (١٧ سبع عشرة خروفاً العائدة لمعبد الإله دجان) هي تحت تصرف الملك نفسهُ ولا يمكن لهُ جبلها إلى هنا....)[١١٦]، ومن صفات عبادة الإله (دجان) أنها عبادة شعبية وليست على نطاق رسمي، وأخذت شخصيته تندمج مع الإلهين انليل وأدد ونافس الإله أوتو في سلطاته: -

أمام الإلهين أنو وداكان،

أثار إلهة الأرض مجتمعين،

قضية سلطاتهم الإلهية،

وهذا يعني أن مركز الإله (دجان) يصبح مقترناً بمركز الإله انليل بعد أن تضعهُ الأسطورة يأتي بعد الإله أنو [١١٧]. هذا بالنسبة لبلاد الرافدين أما في بلاد سورية القديمة.

انتقلت من بلاد الرافدين عبادة الإله (دجان) إلى بلاد سورية، إذ عبده الأموريون، وكان يقف على رأس مجمع الإلهة في مدينة ايبلا (تل مرديخ)[١١٨]، والتي كانت أقدم مراكز عبادته، وذلك في الإلف الثالث قبل الميلاد، وماري (تل الحريري).. وترقا (تل العشارة)، وتوتول (تل البيعة- الرقة)، وامتدت عبادته إلى أجزاء واسعة من بلاد سورية وفلسطين حتى تصل إلى أجزاء من بلاد الرافدين، وكان دجن توتول مشهوراً جداً إلى درجة أنهُ كان يجل في مدينة ايبلا بصفته ملك توتول[١١٩].

كما عبده الاموريون في بلاد وادي الرافدين ونقلوه إلى سورية القديمة ماري وترقا [١٢٠]، والذي يعد هذا الإله معبوداً وإلهاً وطنياً لقدماء الأموريين، ومن الجدير بالذكر أن معبد (دجان) في مدينة ماري

ينسب بناءه إلى "إيشتوب ايلوم" بن "أشما جن"[١٢١]، أما في مدينة ترقا (treqa)، فقد قام الملك الآشوري شمشي- ادد الأول ببناء معبداً للإله (دجان) في هذه المدينة، والذي عرف هذا المعبد في المصادر المختصة باسم (E. KISIGA)، (بيت القرابين الجنائزية)، وبحسب المعتقدات الدينية البابلية ارتبط هذا الإله مع العالم السفلي [١٢٢]، فضلاً عن ذلك فقد ورد اسم الإله (دجان) ضمن نصوص أحد معابد ايمار، وهذا ما يؤكد عبادته في هذه المنطقة، وورد أيضاً في الالاخ ضمن الرقيمات التي وجدت في الحصن العسكري والبوابة [١٢٣]، إضافة إلى ذلك كان يوجد للإله (دجان) هيكل في اشدود إحدى المدن الفلسطينية الخمس، والذي وضع فيه الفلسطينيون تابوت العهد عندما غنموه من العبرانيين [١٢٤]، وكان مركز عبادته الرئيس في مدينة (غزة) الفلسطينية، وعدهُ الفلسطينيين إلههم الأعلى [١٢٥]، إذ ورد في العهد القديم على أنه كان أحد مدينة اشدود[١٢٦].

المبحث الثاني: مكانته الدينية عند سكان بلاد الرافدين

احتل الإله (دجان) مكانة مهمة ومتميزة في عبادة سكان بلاد الرافدين القدامى بوجه عام، وجاءت منزلة هذا الإله بسبب الصفات التي حملها في مجتمع كالمجتمع العراقي الذي يعتمد في اقتصاده الرئيس على الإمطار، والتي حملت في طياتها نقيضين هما (الخير والشر)، لذا فإن هذا الإله أخذ دوراً ومكانة في كافة النواحي اليومية المختلفة في المجتمع العراقي القديم، وعليه سنحاول أن نسلط الضوء على تلك المكانة في كافة الجوانب [١٢٧].

١- المكانة السياسية (مكانته في الجانب السياسي):

لعب الإله (دجان) دوراً مهماً في الجانب السياسي، على الرغم من أنه مكانته ودوره الرئيس يتمثل في الجانب الاقتصادي والزراعي أكثر من غيره، وكما ذكرنا سابقاً أن أحد صفات هذا الإله تكمن في الريح والغيوم كإله الطقس هذا يعني أنه يتصف بالقوة والعنفوان، لذا أصبح لزاماً أن يستعان به في الجوانب السياسية، وهذا ما أوضحته النصوص الملكية [١٢٨]، ومن الكتابات الملكية العراقية القديمة التي تذكر الإله (دجان) كأحد الإلهة التي لها علاقة بالشأن السياسي هو عدد من النصوص الكتابية من العصر الاكدي (٢٣٧١- ٢٢٣٠ ق. م)، والتي تذكر وبشكل خاص من الملك عهد الملك (سرجون الاكدي) (sharru- kin)، (٢٣٧١- ٢٣١٦ ق. م)، بأنه قاد حملة عسكرية في السنة الأولى من حكمه على بلاد الشام (مناطق أعالي الفرات) وصل فيها إلى مدينة ماري، يذكر النص الحملة (شروكين الملك تذلل أمام الإله) (دجان) وتضرع إليه فأعطاه (إلى الإله دجان) البلاد المرتفعة، وهي (ماري)[١٢٩]، حيث ورد في النص التالي:

((شروكين ملك كيش... الذي انتصر في أربع وثلاثين حملة
عسكرية... وحطم أسوار كل المدن حتى ساحل البحر...
شروكين الملك ركع خاشعاً أمام الإله دجان في توتول... ففتح أمامه

البلاد العليا... ماري ويرموتي وإبلا... حتى غابة الأرز وجبال الفضة..
والإله إنليل لا يدع أحداً يقف في وجه شروكين..))[١٣٠].

يتضح من خلال النص أعلاه أن الملك سرجون الاكدي قاد حملة عسكرية لإخضاع مناطق أعالي الفرات، فوصل إلى منطقة توتول (هيت حالياً) المركز الديني الرئيسي للإله (دجان)، وصلى الإله، وتضرع له لمنحهِ السيطرة الكاملة على مناطق أعالي الفرات، وتمكن الملك سرجون الاكدي من الوصول إلى مدينة ماري واخضاعها [١٣١].

ويذكر سامي سعيد الأحمد بهذا الخصوص أن: الملك سرجون الاكدي سجد إلى الإله (دجان) عند وصولهِ توتول[١٣٢]، وقاد الملك سرجون الاكدي حملة عسكرية ثانية في السنة الحادية عشر من حكمهِ على مناطق أعالي الفرات وشمال سورية وصل فيها إلى مناطق جبال الأرز (لبنان). إذ يذكر نص الحملة: (فأعطاه "أي دجان" البلاد المرتفعة وهي "ماري" "يرموتي" "وابلا" إلى غابة الأرز وإلى جبال الفضة جبال امانوس).

يوضح النص الوارد أعلاه أن الملك سرجون الاكدي تمكن في حملته العسكرية (الثانية) من إخضاع وضم مناطق أعالي الفرات وصولاً إلى شمال سورية، حيث اخضع كل من إيبلا (تل مرديخ)، ويارموتي (Iarmuti)، ووصوله إلى جبال الأمانوس في بلاد لبنان، وغابة الصنوبر، وسلسلة جبال طوروس أو سفوحها الشرقية، وبذلك حقق الملك سرجون الاكدي أهدافه السياسية التي كان يحلم بها كل ملك من ملوك بلاد الرافدين في تدعيم وتثبيت أركان دولتهِ [١٣٣].

من هذا نفهم ويتوضح لنا عظم ومكانة وأهمية الإله (دجان) عند ملوك وسكان بلاد الرافدين كإله يمثل القوة والعنفوان والدمار. ففي إحدى كتابات الملك نرام- سين (٢٢٥٤- ٢٢١٨ ق. م) ذكر الإله (دجان). حيث عزا له هذا الملك بعض الانتصارات التي حققها على اعداءه، وكما ورد في النص التالي: (... عندما أصدر الإله داكان حكمهُ لمصلحة الملك نرام- سن وسلم بيده ريد ادد...)[١٣٤]. لذا فإن قوة ومكانة الإله (دجان) في الجانب السياسي جعلت من الملوك الاكديين أمثال سرجون الاكدي وترام- سن ذكره مراراً في كتاباتهم، وعدد انتصاراتهم [١٣٥]، وخير ما يؤكد ذلك أن الملك الأشوري شمشي- ادد الأول وصف في كتاباته بأنه محارب الإله (داكان)[١٣٦].

٢- المكانة الاقتصادية عند سكان بلاد الرافدين:

الإله (دجان) احتل مكانة مهمة ومتميزة في الجانب الاقتصادي عند سكان بلاد الرافدين في المقام كون أن الصفة الرئيسية والبارزة لهذا الإله هي إله الطقس والريح والغيوم) من خلال التحكم بالأمطار والرياح، ولأن هذا الإله (دجان) هو المبشر بالمطر والرياح المسوؤلة بالتالي عن مظاهر النماء والخصب، لذا فإن لهذا الإله دوراً عظيماً ومهماً، وله مكانة متميزة في الجانب الاقتصادي بشكل عام[١٣٧].

وتظهر مكانة هذا الإله (دجان) في المخلفات المادية والكتابية التي وجدت في مناطق عديدة من بلاد الرافدين [١٣٨]، ففي حملة الملك سرجون الاكدي في فترة حكمه في السنة الأولى، والحملة الثانية في السنة الحادية عشر من حكمه على مناطق أعالي الفرات والأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية من سورية، فإنه حقق أهدافه الاقتصادية، إذ فرض سيطرته على طول الخط التجاري الذي يربط المدن والمستوطنات الحضارية في المنطقة، وبشكل خاص ميناء ايمار الذي كان يمثل المحطة التجارية الرئيسية لعصب خطوط النقل ما بين المنطقة ومناطق جنوب بلاد الرافدين، والتي كانت تحت سيطرة ونفوذ مملكة ايبلا خلال تلك الحقبة الزمنية [١٣٩]، وهذا كله جاء بمباركة الإله (دجان) من خلال تضرع أو تذلل وسجود الملك سرجون الاكدي للإله (دجان)[١٤٠]، وإذا ما عدنا إلى الأهداف الاقتصادية التي حققها الملوك الاكديين (سرجون الاكدي وحفيده ترام- سن)، والتي كانت بمعونة ومباركة الإله (دجان) في ذلك. حيث أن مدينة أكاد، والتي لا غنى لها عن المواد الأولية (أخشاب الامانوس ولبنان ومعادن جبال طوروس)، والتي تدخل في عملية البناء الحضاري، ولم يكن في مصلحتها كقوى كبرى أن تتحكم بها بلاد سورية القديمة، وبالأخص (مدينة ايبلا) بالطرق المؤدية إلى هناك أو أن تكون وسيطاً للأكاديين في الحصول على تلك المواد لذا كان لزاماً عليهم السيطرة وضم هذه المناطق لما تشكله من أهمية قصوى في استقرار إمبراطوريتهم أولاً وتأمين المواد الأولية ثانياً [١٤١]، ومهما يكن من أمر يبقى الإله (دجان) له مكانة اقتصادية بوصفه إله للحبوب كوصف ثانوي وصف به هذا الإله وكما ذكر سابقاً فإن التسمية الرافدينية تحمل في معناها الحقيقي نفس المعنى في النصوص الواردة من اوغاريت فالغيوم والأمطار فإنها تعني وجود المحاصيل الزراعية، وأهمها الحبوب (الحنطة، والشعير)[١٤٢].

٣- المكانة الدينية الاجتماعية (مكانته في الطقوس والشعائر الدينية والأساطير):

تشكل الطقوس الدينية (أعياد، قرابين، أضاحي، أدعية، تراتيل،)، الخاصة بموضوع الإلهة في القضايا الفكرية البارزة التي تعبر عما يدور عن فكر البشر اتجاه الإله أو ذلك، ومدى مكانته وأهميته عندهم، وبالتالي تعطينا فكرة وافية ذات شأن كبير عن طبيعة المعتقدات الدينية التي كان يمارسها أي شعب من الشعوب القديمة اتجاه الهته [١٤٣].

وفيما يخص الأساطير التي تدور حول الآلهة ومكانتها، فقد كان للآلهة في منطقة الشرق الأدنى القديم بشكل عام وبلاد الرافدين بشكل خاص دور بارز في هذه الأساطير التي عبرت عن معتقدات سكان بلاد الرافدين حول صفات الإله (دجان) ودورهُ في حياتهم لذا سنبين المكانة الدينية للإله (دجان) في هذه الطقوس والشعائر الدينية، وفي الأساطير التي تدور حولهُ بشكل مقتضب [١٤٤]. حيث ارتبط هذا الإله بالأضاحي وهي كثيرة وعلى أنواع مختلفة، فقد اعتقد سكان بلاد الرافدين بوجود علاقة وثيقة بين هذا الإله الذي يقرب إليه الحيوان المضحى والحيوان نفسه. على اعتبار أن الأهمية هي جزءاً من الإله وجزءاً أيضاً من أجسام الناس الذي يأكلون هذه الأطعمة، وأن اعتقاد سكان بلاد الرافدين أن روح الإله أو نفسه هي

روحية الذبيحة أو نفسها. أو بمعنى آخر أن روح الحيوان تتمثل بروح الإله [١٤٥]، وهذا يسري على الإله (دجان) الذي ذكر في تقديم الأضاحي له، والدليل على ذلك العثور على نقشين على منحوتة من الحجر موضوعهما هو الاحتفال بذكرى مناسبتين معروفتين في الشعائر والطقوس الامورية، إذ ورد فيهما عبارة بجرو (parga)، والتي تعني جسم الأضحية، كانت قد وجدت في النصوص التابعة لماري بصيغة (parga um) وتعني بالاكدية اضحية، وجثة الحيوان أو إنسان، في حين تعني في البابلية الحديثة ثياب وحلي، لذا يعد الإله (دجان) هو الأكثر ارتباطاً في موضوع الأضاحي في بلاد الرافدين [١٤٦].

وكرس الملك كونكونوم ملك لارسا نذراً للإله (دجان)، وقدس هذا الإله منذ القدم في بلاد آشور[١٤٧]. فضلاً عن ذلك ارتباطه بالاحتفالات حيث ورد هذا الإله في إحدى رسائل ماري، والتي تذكر عيداً يقيم لهذا الإله [١٤٨]، ويضيف الساميين الفارون إلى جهة الغرب إلهة أخرى إلى مجمع الآلهة البابلية مثل الإله امورو (Amurru)، والإله (دجان) (Dagan) اللذين يبتهل إليهما بأسمائهما الشخصية[١٤٩].

وذكر الإله (دجان) ضمن القاب الإله (بعل هدد)، وخير ما يؤكد ذلك ما جاء في أسطورة (بعل ويم) ما نصه "سلموا إلى بعل وانصارهُ، ابن داجون حتى أرث ذهبه، فاجابه أيل ابوهُ الثور قائلاً، ليكن بعل عبداً لك أيها الأمير يم، ابن داجون ليكن أسيرك"[١٥٠].

٤- مكانته في تركيبة أسماء الملوك والأشخاص والمدن.

دخل اسم الإله (دجان) في تركيبة أسماء الملوك والأشخاص الشخصية والمدن، ويذكر سامي سعيد الأحمد بهذا الخصوص أنه دخل في تركيب أسماء ملكين من سلالتي ايسن ولارسة هما (ايددين دكان واشمي داكان)[١٥١].

ومن الأسماء المقترنة بالإله (دجان)، تعرفنا على بعض أسماء ملوك بلاد وادي الرافدين:

- أدن داجان (١٩٧٤- ١٩٥٤ ق. م)، ملك ايسن.
- أشم داجان (١٩٥٣- ١٩٣٥ ق. م)، ملك إيسن.
- أشم داجان الأول (١٧٨١- ١٧٤١ ق. م)، ملك آشور.

ويتردد كثيراً الإله (دجان) في تراث بلاد آشور بالصيغة (أشم داجان)، وكذلك يتردد كثيراً في تراث بابل اسم (أدن داجان) [١٥٢]، ودخل الإله (دجان) في تركيب اسم مدينة بوزريش دكات (دريهم قرب عفك)[١٥٣]، ورد هذا الإله ضمن المقاطع الاسمية وخاصة في مدة العصر الاكدي، وعصور أور الثالثة، ومن الأمثلة على ذلك الاسم: (Ma- an- ba- Lum- da- gan)[١٥٤]، وترجمتها: هل نستطيع أن نكون بدون الإله داكان (دجان).

المبحث الثالث: مكانته الدينية عند سكان بلاد سورية القديمة

احتل الإله (دجان) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، الحبوب والزراعة والطعام والغلة مكانة هامة ومتقدمة في عبادة سكان سورية القدماء بشكل عام، وجاءت منزلة الإله (دجان) بسبب الصفات التي حملها هذا الإله في مجتمع اعتماد اقتصاده الزراعي بشكل رئيسي على الأمطار، وأن تلك الصفات التي حملها الإله (دجان) جاءت على نقيضين (الخير والشر)، الخير المتمثل بالخصب والنماء وتوفر الحبوب والطعام، والشر المتمثل بالقحط والمجاعة وانعدام توفر المحاصيل الزراعية (الحنطة والشعير)، والذي هو مرتبط بالإمطار، وبما أن التسمية الرافدينية تحمل في معناها الحقيقي المعنى نفسه في نصوص بلاد سورية القديم، فالغيوم والامطار تعني وجود المحاصيل الزراعية وأهمها الحبوب (الحنطة والشعير)، لذا كان لهذا الإله دوراً ومكانة متميزة في حياة سكان المجتمع السوري القديم، وعليه سنحاول في هذا المبحث بيان تلك المكانة وفي كافة الجوانب المختلفة [١٥٥].

١- المكانة السياسية:

كان للإله (دجان) دور بارز ومهم في الجانب السياسي، وأن إحدى صفات الإله (دجان). كما ذكرنا سابقاً هي القوة والدمار لما يشكله بهذهِ الصفات إلى المجاعة وعدم توفير المحاصيل الزراعية، لذا أصبح من الآلهة التي يستعان به في الجوانب السياسية، ومن الكتابات الملكية الامورية التي تذكر اسم هذا الإله (دجان) كأحد الآلهة ذات الشأن السياسي. هي موضوع الأضاحي، والتي كانت جزءاً أساسيا ومهماً عند سكان بلاد سورية القديمة في معتقداتهم وعاداتهم، والتي كانت تقدم بصورة دورية في الأعياد والمناسبات بشكل خاص، قبل الشروع ببدء الحرب، وذلك لسببين مهمين: الأول كسب ود الآلهة، والثاني من أجل شهد الإله وملازمته للمحاربين [١٥٦]. وهذا ما ينطبق على الإله (دجان)، ففي مدينة ايمار كانت الاضاحي والهدايا كبيرة جداً، والتي قدمت في عيد كبير يقام لمرة واحدة كل سبع سنوات من قبل الملك لعدد كبير من الآلهة، وعلى رأسهم إله المدينة (دجان)[١٥٧]، لما يشغله هذا الإله من أهمية كبيرة وبارزة في معتقدات أهل سورية القديمة بشكل عام وفي معتقدات أهل إيمار بشكل خاص. أما الأضاحي والقرابين في مدينة اوغاريت كانت أكثر الإعمال جوهرية ضمن التقاليد والشعائر الاوغاريتية، وعثر على العديد من النصوص التي تتحدث عن القرابين ذات الطبيعة الغير دموية، ومنها النذور والهدايا، فضلاً عن الأضاحي والتقدمات الدينية، والمواد الغذائية، والتي تشكل النسبة الأكبر بين القرابين، ويظهر الإله (دجان) هو الإله أكثر ارتباطاً بهذه الأضاحي، وهذا كله من أجل بث الراحة والرضا في نفس هذا الإله [١٥٨]، وارتبط الإله (دجان) بالأعياد في بلاد سورية القديمة، ففي إحدى رسائل أرشيف ماري تذكر أن لهذا الإله كان هناك عيداً لهُ (... في اليوم الذي يعد يوم الغد هو احتفال الإله داكان)[١٥٩]، فضلاً عن ذلك فقد ارتبطت مكانة هذا الإله بالتمثيل السياسي ففي رسائل ماري، والتي ذكرت أسماء رجال ادعوا كونهم مبعوثي (أنبياء) الإله (دجان)[١٦٠]، وعدَّ الإله (دجان) كإله للحرب، وكراس للآلهة الفلسطينية في مقابل الإله (يهوا) إله العبريين [١٦١].

٢- المكانة الاقتصادية.

إن مكانة الإله (دجان) في الجانب الاقتصادي عند سكان بلاد سورية القديمة تأتي بالمقام الأول كون إن الصفة الرئيسية لهذا الإله هي كونه إله الحبوب والزراعة والطعام، وبالنسبة إلى سكان سورية القديمة فقد إله الخصب والنماء آلهة الأصل في الوجود كونها تتحكم في استمرار وديمومة حياتهم اليومية فقد كان لهذا الإله دوراً كبيراً ومكانة بارزة في الجانب الاقتصادي بشكل عام [١٦٢]، وتظهر لنا هذه مكانة الإله (دجان) في المخلفات المادية والكتابية التي وجدت في مناطق عدة من بلاد سورية، ففي مدينة ماري وايبلا واوغاريت عرف هذا الإله لهُ علاقة بالخصوبة والطعام، وله مكانة اقتصادية مهمة عندهم [١٦٣]، على اعتبار قدراته المرتبطة بعالم الزراعة ونظام الكون [١٦٤]، وتؤكد مكان هذا الإله في الشأن الاقتصادي ارتباطه بالحراثة، وهذا ما أكدته أحد النصوص، ويذكر في نص آخر على أنه آتٍ من القطيع (ماشية تخصيب alpmmrum)[١٦٥]، فضلاً عن أنه كان مساوياً لإله الشعير الحوري كوموروي/ كومربي أبو الآلهة [١٦٦]، وكان الإله (دجان) قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد من خلال استخدام كلمة (دجن) لحد الآن في بعض مناطق سورية، والتي تعني طعام، وتعني كلمة (دجن) في اللغات الاوغاريتية والفينيقية والعبرية الحبوب [١٦٧]، وفي الحقيقة أن أصل هذا الإله زراعي لهُ علاقة بالحبوب والقمح بصورة رئيسية، ولكن بمرور الوقت تحول إلى إله يجري لدى الأقوام الفينيقية والفلسطينية، وذلك بسبب تحول زراع القمح إلى ملاحين الذي جلب معهُ تحول في إله القمح وهو الطعام الرئيسي للفلاح أو المزارع إلى إله يجري له علاقة بالأسماك وهو الطعام الرئيسي لدى الصيادين والبحارة من سكان الشواطئ، عليه فإن مكانة الإله (دجان) واضحة في الشأن الاقتصادي أي من خلال ما عرضناه فيما تقدم [١٦٨].

٣- المكانة الدينية (مكانته في الطقوس والشعائر الدينية والأساطير).

تشكل الطقوس الدينية (اعياد، أضاحي، قرابين، ادعية، صلوات، تراتيل،...)، المتعلقة بالآلهة واحدة من المسائل الفكرية ذات الشأن الكبير، والتي تعبر عن ما يدور في فكر البشر اتجاه هذا الإله أو ذاك ومدى مكانته وأهميتهُ، عليه فهي تعطينا فكرة مهمة وكبيرة عن نمط العبادات والتقاليد الدينية المتبعة من قبل كل الشعوب القديمة اتجاه هذه الآلهة.

ومما يؤسف له فإن ما وجد من مصادر عن الطقوس الدينية السورية بشكل عام، وطقوس الإله (دجان) بشكل خاص لا يعطي صورة واضحة ومرضية عنها، فإن ما وجد من معلومات حول الطقوس الدينية كانت امورية أم أرامية أم كنعانية فهي متذبذبة جداً قياساً إذ ما قورنت بالتاريخ الطويل لهذه الممالك الامورية والفينيقية والآرامية [١٦٩].

لذا سنبين مكانة الإله (دجان) في الشأن الديني من خلال الاحتفالات والأعياد في مدينة ايمار والتي تعد أهم نموذج لدى الشعوب الامورية، فهناك إشارات إلى وجود احتفال يقام للإله (دجان)، والذي يؤكد فيه إن الإله (هدد) في المرتبة الثانية بعد الإله (دجان) ضمن المجمع الإلهي الاموري[١٧٠]، وعثر

في مدينة ايمار على رقيم فخاري يتكون من ٢١٤ سطراً، والذي يشير إلى أن هناك احتفال يقام في مدينة ايمار، والذي يعد الأكبر والاهم من الاحتفالات التي تقام لعدد كبير من الآلهة، والذي تتنوع فيه الطقوس الدينية والتي ترافقها تقدمات وقرابين وأضاحي للآلهة، ويأتي على رأسهم الإله (دجان)، وأن مراسيم هذا الاحتفال تبدأ في اليوم ١٤ و ١٥ من ظهور القمر ليصبح بدراً من الشهر الأخير من السنة، والذي عرف بـ (شهر زرت أي البذار والزراعة)، ويستمر هذا الاحتفال سبع أسابيع، وبذلك تدخل بعض أيامه في بدء السنة الجديدة، وتقام طقوس هذا الاحتفال عند البوابة الرئيسة خارج أسوار المدينة، لضخامة وأهمية هذا الاحتفال، والذي يشارك فيه جميع السكان، وبعد الانتهاء من مراسيم هذا الاحتفال يبدأ جميع الحضور بمسح جميع الأنصاب الحجرية بدماء ودهان الأضاحي وفي مساء نهاية مراسيم الاحتفال هذا تعاد الآلهة إلى أماكنها السابقة [١٧١]، وفي تاريخ اليوم العشرين من الشهر الأول من السنة الجديدة توزع النذور على جميع آلهة المدينة والقرى والمدن المجاورة لها، ويعتقد أن هذا الاحتفال يمثل دورة بطول السنة[١٧٢]، وتمر عربة الإله (دجان) بين أنصاب المدينة، ومن ثم تسير الإلهة خلفها، وعندما تتوقف الآلهة عن السير يكشف عن وجه الإله (دجان)، عندها تقدم النذور له ويحتفل بقدومه، وبعد الأكل والشرب والاكتفاء بشرب الخمرة، يغطى وجه الإله (دجان)، وتمر عربته بين المذبحين المقدسين الموجودان عند البوابة، وبعدها تركب الآلهة نينورتاً منه وتسير عربتهما وهما مغطيا الوجهين عائدين للمدينة، وتتكرر هذه الشعائر نفسها في الشهر الثاني من السنة، وأن ما ذكره النص عن مجموع الأضاحي التي تنذر خلال هذا الاحتفال قد بلغ ٧٠٠ خروفاً، و ٥٠ بقرة، و٢٥ عجلاً لما يشكله هذا الاحتفال من أهمية كبيرة للإله (دجان)[١٧٣].

وفي مدينة ايبلا قدمت للإله (دجان) الأضاحي [١٧٤]، كانوا يضعون تقويماً للآلهة بحسب الشهور، إذ يحددون لكل إله من الآلهة شهر خاص به تقدم فيه الأضاحي، وكان هذا التقويم عادة يبدأ بذكر الشهر الخاص بالآله (دجان) الههم القوي الأكبر وكما ذكرنا سابقاً [١٧٥]، فضلاً عن التقدمات التي قدمت للإله (دجان)، إذ تبين قائمة عدد من التقدمات لآلهة اوغاريت، ومنهم الإله (دجان)، والتي كان عددها ٢٤ حالة [١٧٦]، كما قام الملك زمري- لم يتم تقديم الهدايا للإله (دجان)، وهي عبارة عن عرش عظيم للإله، وتماثيل أسود لمعبده في ترقا، وفقاً لما خلدته أثنتين من تسميات سني حكم ملك ماري [١٧٧]، وقدم اسياد المدن الفلسطينية وخاصة في غزة أضاحي للإله (دجان)[١٧٨]، ولعب دوراً مهماً ورئيساً في احتفالات النصر، والتي تقدم فيها الكثير من الأضاحي والقرابين والنذور[١٧٩]، وتباينت الشعائر والطقوس الدينية للآلهة أحياناً، وتشابهت أحياناً أخرى، فقد كان هناك احتفال للإله (دجان) يحتفل بالإله في عيد العرش المخصص للآلهة دجن وايريش كي جال، والنص التالي يصف الشعائر التي تقام بهذا الاحتفال: ((في اليوم الأول يضعون أربع مناضد بين الآلهة، منضدة الإله دجن، .... الخ))[١٨٠].

وفي مجال الأساطير فقد لعب الإله (دجان) دوراً بارزاً وهاماً في معتقدات سكان سورية القديمة، على اعتباره إله الطعام والحبوب، فقد أخذ الدور الرئيسي في ديانة المزارعين، ومن ذلك دورهُ في

الأساطير التي عبرت عن معتقداتهم حول صفات هذا الإله، ودورهُ في حياتهم، وكان دور الإله (دجان) في الأسطورة الاوغاريتية صغيراً وغامضاً، ولاسيما في قصيدة نيكال (آلهة القمر)، لذا فالأدلة حول هذا الإله قليلة ومبعثرة، ولم يكن لهُ نشاط في الأساطير الرئيسية [١٨١]، وجاء اسم الإله (دجان) في أحد ألقاب الإله (بعل هدد)، وهذا ما تؤكده أسطورة (بعل يم) ما نصها "سلموا إلى ذاك الذي تؤذن، سلموا إلى بعل وإتباعه، ابن داجون حتى أرث ذهبهُ، فأجابه أيل أجابه أبوه الثور قائلاً. ليكن الإله بعل عبداً لك أيها الأمير يم، ابن داجون ليكن اسيرك [١٨٢].

وقد ذكر الإله (دجان) في العهد القديم (التوراة) بأنه إله الفلسطينيين الأكبر الذي زعزع شمشمون بناءه، ولا يخفى على الجميع من التوراة اسم محل يدعى بيت داجون في فلسطين، عليه تردد الإله (دجان) في ثلاثة مواضع منها:

١- تذكر قصة موت شمشمون الجبار في معبد داجون حيث كان شمشمون قد وقع في الأسر بيد الفلسطينيين بعد أن احتالت عليه دليله، وفي أحد المناسبات للفلسطينيين اقتادوا شمشمون إلى هيكل داجون ليسخروا منه، فقبض شمشمون بذراعيه على عمودين من أعمدة المعبد ودفعهما مسبباً انهياره على جميع من كان هناك [١٨٣].

٢- وتذكر القصة أن الفلسطينيين تمكنوا من هزيمة بني إسرائيل واستولوا على تابوت العهد الذي كان يحتوي على حجر الوصايا العشر التي أعطاها الله ﷻ إلى النبي موسى عليه السلام وعلى عادة الشعوب القديمة قام الفلسطينيين بوضع التابوت عند أقدام صنم داجون لإذلال إله اليهود، ولكن في صباح اليوم التالي تفاجأ الناس برؤية صنم إلههم ساقطاً على وجهه أمام تابوت الرب [١٨٤].

٣- وفي قصة أخرى تذكر انتصار الفلسطينيين على العبرانيين في موقعة جليوع، وأخذوا رأس شاؤل ملك اليهود بعد موتهِ وعلقوهُ في معبد الإله داجون الكائن في بيت شان، وقد عثر علماء الآثار على موقع هذا المعبد[١٨٥].

٤- مكانته في تركيبة أسماء الملوك والأشخاص والمدن.

يُعد دخول اسم إله الزراعة والحبوب والطعام في تركيبه أسماء الملوك والأشخاص والمدن، وفي الصيغ المختلفة (داجان، دجان، دجن، داجون، داكان، داكان، داغان، داغانو) دليل واضح وجلي على أهمية هذا الإله عند سكان سورية القديمة، ويرجعه السبب في ذلك إلى التبرك باسم هذا الإله، واستمداد النصرة والقوة والبطولة في شخصيتهُ [١٨٦].

وبقدر ما يتعلق الأمر بموضوع بحثنا هذا، فإن إله الزراعة والحبوب والطعام وجد في تركيبة هذه الأسماء، وبصيغ مختلفة ومتعددة، وعليه سنحاول أن نوضح ذلك بما استطعنا الحصول عليه من تلك الأسماء. فنجد عدد من تلك الأسماء التي عثر عليها في مناطق سورية القديمة المختلفة، ومنها:

- كيبري- داجان: أحد ملوك مملكة ترقا [١٨٧].

- إيدن– داجان (١٩٧٤– ١٩٥٤ ق. م)، ثالث ملك لمملكة إيسن [١٨٨].
- إشيمي– داجان (١٩٥٣– ١٩٣٥ ق. م)، أحد ملوك مملكة إيسن[١٨٩].

ومن الاسماء التي وردت في تراث ماري: يبني– داجان، ابل– داجان، ياوي– داجان، يقم– داجان، يشوب– داجان، يبسي– داجان، داجان– نيري، بسم– داجان، يريب– داجان، توخمي– داجان، زمري– داجان، ينتن– داجان، سمو– داجان، يملك– داجان، داجان– مالك، ختني– داجان، يسمخ– داجان، يريم– داجان، سمخا– داجان [١٩٠].

ودخل الإله (دجان) في أسمائهم المركبة (أسماء أهل سورية القديمة)، ومثال ذلك أنو أشمو، أسم أن، أشم ون، واشمون بلدة في جبل لبنان، مارودك شم، بنو شم، أشم داجان، هدد شم، عشتار شم، سمو عشتار، سمو داجان، ومدينة سم ايل في الشمال الغربي من سوريا، وهي عريقة في التاريخ والحضارة [١٩١]، فضلاً عن ارتباطه، ودخوله في تركيب أسماء المواطنين [١٩٢]، كما ارتبط اسم هذا الإله بأحياء المدن، حيث عثر الآثاريين على حي كامل في مدينة إبلا باسم (دجن)، وعلى أحد الأبواب الأربعة الرئيسية لمدينة إبلا، وهو يحمل اسم الإله (دجان) فكان يلقب (بعل) أو (بي) أي السير [١٩٣]، وعليه فقد تبنت أهمية هذا الإله في تركيبة أسماء الملوك والأشخاص والمدن من خلال ما استعرضناه لما تقدم.

الخلاصة:

بعد أن انهينا موضوع البحث الإله (دجان) في معتقدات سكان بلاد الرافدين، وبلاد سورية القديمة تكون قد توصلنا إلى نتائج عدة، كان أهمها:

- كان من أهمية الإله (دجان) في حياة سكان بلاد الرافدين وسوريا القديمة أن أقيمت لهُ عدة مراكز للعبادة.
- لقد انتقل تأثير عبادة الإله (دجان) إلى الأقوام الأخرى التي سكنت بلاد سورية القديمة، ومنهم الأقوام العبرانية.
- شكل الدين (المعتقد الديني) لدى سكان بلاد الرافدين وسكان سوريا القديمة المحور الرئيسي في حياة كلا الشعبين القديمين، وجعل لديهم هاجس الخوف والرهبة من هذه الآلهة فكان لزاماً عليه أن يعبد هذه الآلهة ويقدسها.
- تأثرت الحضارة السورية القديمة بحضارة بلاد الرافدين في مسألة عبادة الآلهة ومنها عبادة الإله (دجان) الإله القوي الكبير للسوريين.
- يعد الإله (دجان) عند سكان بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة من آلهة المصير والقدر، حيث بيده مصائر البشر جميعاً، ويساعدهم في كل ما يحتاجونه، ويقف معهم عند الشدائد والمحن، وهو الذي يسهر على راحتهم وحمايتهم، ويستمدون منه القوة في السياسة والاقتصاد والمسائل الدينية الأخرى.

- بما أن الإله (دجان) هو إله الريح والطقس في بلاد الرافدين فقد أسهم هذا بشكل مباشر في جعل هذا الإله بما يحمله من صفات له علاقة بالخصب والنماء أن تسود عبادته في بلاد الرافدين على بقية الآلهة الرافدينية.
- عبد الإله (دجان) في بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة، تحت مسميات وصيغ عدة تكاد تتشابه من حيث الكتابة واللفظ، ومنها (داجان، دجان، دجى، داجون، داكان، داكان، داغان، داغانو)، ولم يكن أحد من تلك الصيغ قد أنحصر استعماله في زمان أو مكان معين.
- تشير جميع المكتشفات الآثارية والمادية والكتابية، وتؤكد أن الإله (دجان) هو إله الطقس (الريح والغيوم)، في بلاد الرافدين، وأن الصفة الرئيسية لهُ هي الخصب والنماء، أما في بلاد سورية القديمة فإنه إله الخصب والطعام، وأن الصفة الرئيسية لهُ هي أيضاً الخصب، وهذا تفسيره أن التسمية الرافدينية تحمل في معناها الحقيقي نفس المعنى في النصوص الواردة من اوغاريت، فالغيوم والامطار أنها تعني وجود المحاصيل الزراعية وأهمها الحبوب (القمح والشعير).
- تعد منطقة بلاد الرافدين ومنطقة بلاد سورية القديمة المكان الأول لعبادة الإله (دجان) منذ الألف الثالث قبل الميلاد ومنها انتشرت عبادته إلى مناطق أخرى مختلفة في الشرق الأدنى القديم.
- يعد الأموريين بحسب ما تتوفر من أدلة حالية أول من ادخل عبادة الإله (دجان) إلى بلاد الرافدين ومن ثم إلى بلاد سورية القديمة، بدلالة ما عثر عليه من آثار مادية وكتابية تخص هذا الإله، وبعد ذلك تسريب عبادته إلى الكنعانيين والآراميين ومن الكنعانيين تسربت عبادته إلى الفلسطينيين والعبرانيين.
- إن ما حمله الإله (دجان) من صفات وألقاب كثيرة ومتعددة جعلت من ملوك بلاد الرافدين وبلاد سورية القديمة يقدموا هذا الإله على بقية الآلهة الأخرى، وأدخلوه في نصوصهم الكلية، ومخاطباتهم السياسية كإله شاهد على التزامهم وصدقهم ونواياهم.
- كان لأسرة الإله (دجان) دور بارز وهام في معتقدات سورية القديمة، لاسيما ابنه الإله (هدد) الذي كان له دور مهم وبارز في معتقدات سكان بلاد سورية القديمة.
- انتقل تأثير عبادة الإله (دجان) إلى الأقوام الأخرى التي سكنت بلاد سورية، ومنهم العبرانيون، والذين نقلوا جميع صفات وألقاب الإله (دجان) تقريباً إلى الههم (يهوه).
- كان من اهمية الإله (دجان) في حياة سورية القديمة أن أقيمت له عدة مراكز للعبادة، والتي انتشرت في أنحاء سورية المختلفة.
- كان لأهمية الإله (دجان) في حياة بلاد الرافدين إذ أقيمت له عدة مراكز للعبادة، والتي انتشرت في شمال بلاد الرافدين.

- على الرغم من أن مكانة الإله (دجان) تتمثل بشكل رئيسي في الجانب الاقتصادي (الزراعي)، إلا أنه الأمر لم يقتصر على ذلك فقط، وإنما كان لهُ تأثير ومكانة واضحة في الجوانب الدينية والسياسية أيضاً، وهذا ينطبق على الحضارتين العراقية القديمة والسورية القديمة.
- كان للدين والمعتقد الديني في بلاد الرافدين وبلاد سوريا تأثير كبير وواضح على مكر الإنسان في كلا الحضارتين وتأثيره في اختيار وعبادة وتقديس الآلهة.
- كان للبيئة الجغرافية أثر كبير ومهم على عبادة الآلهة، حيث جعلوا لكل حالة ظاهرة طبيعية أو كونية إلهاً، وفي نفس الوقت عبد هذا الإله ارضاءا إله والاتقاء من شره.
- اتخذ سكان بلاد الرافدين وسورية القديمة الإله الرئيسي، والذي احتل مكانة هامة وبارزة في مجتمعهم.

الهوامش

(١)عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ج٢، ص١٠٩.

(٢)عامر سليمان، جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التاريخ (بغداد، دار الحرية للطباعة)، ١٩٨٣، ص ص٢٠٨- ٢٠٩.

(٣)عبير عباس فاضل المياحي، إله العواصف والأمطار في معتقدات سكان سورية القديمة، دراسة في الميثولوجيا والفكر الديني القديم (٢٥٠٠- ٥٠٠ ق. م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٦، ص١٠.

(٤)المصدر نفسه ص١٠.

(٥)عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، المصدر السابق، ص ص٢٨-٢٩.

(٦)عبد اللطيف عائد عباس صويلح التميمي، أثر حضارة بلاد الرافدين في شعوب سورية القديمة (٢٨٠٠- ٥٣٩ ق. م)، المعتقدات الدينية والأدب أنموذجاً، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٦، ص ص ٢٨-٢٩.

(٧)تقي الدباغ، آلهة فوق الأرض، دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية في الشرق الأدنى واليونانية، مجلة سومر، مج٢٣، ١٩٦٧، ج٢، ص١٠٣ وما بعدها.

(٨)عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج٢، المصدر السابق. ص١٨٣.

(٩)عبد القادرعبدالجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ الوطن العربي القديم، ط١، دار مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤، ص١٩.

(١٠)تقي الدباغ، حضارة العراق، "البيئة الطبيعية والإنسان"، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص١٦.

(١١)عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، (الموصل: دار ابن الأثير للطباعة والنشر، ١٩٩٢)، ج١، ص١٩.

(١٢)طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، بغداد، دار الوراق، ٢٠١٢، ص٣٤ وما بعدها.

(١٣)احمد أمين سليم، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، (العراق- ايران)، (الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢)، ص١٣٧ وما بعدها.

(١٤)طه باقر، المقدمة... ج١، المصدر السابق. ص٣٦٧.

(١٥)تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢، ص١٠٦.

(١٦)جياغ قابلو ومحمود فرعون، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، دمشق، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٥، ص٢٣٣.

(١٧)عبد الحكيم ذنون، تاريخ الشام القديم، دمشق، دار الشام القديمة، ١٩٩٩، ص ص١٧١- ١٧٢.

(١٨)سباتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، (بيروت- لبنان، دار الرقي، ١٩٨٦) ص ص٣٤- ٣٥.

(١٩) Labat, R. Manual derpigraphie akkadienne, (paris, 1994) p. 292.

(٢٠) Black, J. and Green, A. Gods, demens and Symbols of ancient Mwsopotamia, (British Maseum) (London, 1992) p. 56.

(٢١)خزعل الماجدي، المعتقدات الامورية، ط١،(عمان الأردن: دار الشروق للطباعة والنشر، ٢٠٠٢)، ص٥١.

(٢٢)م. هـ. بوب ف، رولينغ، آدزارد، قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة: محمد وحيد خياطة، (دمشق: مطبعة الأهالي، ٢٠٠٠)، ج١، ص٩٤.

(٢٣) Black, J. and Green, A. Gods,.. op. cit, p56 .

(٢٤)خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، ط١، (عمان: دار أزمنة للطباعة والنشر ١٩٩٩)، ص٦١.

(٢٥)مدينة ترقا: (Tirqa) مدينة كنعانية قديمة تقع أطلالها على الفرات الأوسط في الجنوب من منطقة دير الزور، وكانت عاصمة (هانا) الأمورية واسم موقعها الآن (تل عشارة)، وفي هذه المدينة أثار سكن ترقي إلى مطلع الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد. فيها معبد للإله دجان شيده الملك شمشي ادد- الأول (١٨١٤- ١٧٨٢ ق. م)، ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط٢،(بيروت، لبنان:جروس برس، ١٩٩١)، ص٢٧٣.

(٢٦)رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ديانات الشرق الأوسط، ترجمة: مفيد عرنوق، ط٣،(دمشق، دار علاء الدين للطباعة والنشر والترجمة، ٢٠١٢)، ص٤٣١.

(٢٧)احمد عبيس فيروز الرماحي، تبدل مراكز الآلهة في بلاد الرافدين ومصر القديمة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٧، ص٩٦.

(٢٨)جورجي كنعان، مفهوم الإلوهية في الذهن العربي القديم، ط٢،(بيروت- لبنان، بيسان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، ص٢١٦.

(٢٩)خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، المصدر السابق، ص٦٢.

(٣٠)حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ومعجم أهم المعبودات القديمة، (بيروت- لبنان: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤) ، ج١، ص٢٠٥.

(٣١) احمد عيسى فيروز الرماحي، تبدل مراكز الآلهة... المصدر السابق، ص١٠٣.

(٣٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١،(بغدا: مطبعة الحوادث، ١٩٧٣)، ج٢، ص٢٤٥.

(٣٣) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ، المصدر السابق، ص١١٩.

(٣٤) للمزيد عن الإبدال والقلب المكاني في فقه اللغات السامية، ينظر: سباتينو موسكاتي، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٣، ص١١١.

[٣٥] إن أصل عبادة (داجان) جاءت من بلاد وادي الرافدين، إذ عبدَ هناك تحت اسم (دجن)، ينظر: جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة أحلام عبد الفتاح إمام، الكويت، ١٩٩٣، ص٣٢٨.

[٣٦] رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية...، المصدر السابق. ص٤٣١. إن هذا الإله عبد في بلاد الرافدين تحت اسم ((دجن)). ينظر: جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المصدر السابق، ٣٢٨.

[٣٧] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٤، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦)، ج٢، ص٢٤٥.

[٣٨] الحسيني، الحسيني معدي، أساطير العالم الآرامية، الامورية، الفينيقية، ط١، (القاهرة: كنوز للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ص١٥٣.

[٣٩] خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، المصدر السابق. ص٦٢.

[٤٠] عيد مرعي، اللسان الأكدي، موجز في تاريخ اللغة الاكدية وقواعدها،(دمشق: منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، ٢٠١٢)، ص١٣٨؛ حلمي محروس إسماعيل، الشرق الأدنى القديم وحضارته، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، (الإسكندرية:مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧)، ص١٤٥.

[٤١] مفيد عرنوق، صرح ومهد الحضارات السورية، ط١،(دمشق: منشوراتعلاء الدين،)١٩٩٩، ص٣٣؛ سعد صائب، ترجمة: سعد صائب، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ط١، (سورية: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٤)، ص٢٩.

[٤٢] هاري ساكز، عظمة بابل، ط٢ (الموصل، ١٩٧٩)، ص ص٣٨٩- ٣٩٠.

[٤٣] إن تفسير معنى الاسم "داغونو" عند فيلون الجبيلي "بأنها من الكلمة اليونانية (Dacon) بمعنى الحصاد" لكن الكلمة العبرية dag تعني سمك، ويفسر (آ. ش. شفمان) في كتابه ثقافة اوغاريت أن كلمة Dagan تعني جنة وهي مشتقة من اسم الإله – معطي الطعام- ومن هنا عدَّ "داغوانوا" معطي الطعام بل أن الاسم صنعة لهذا الإله، ينظر: حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير.....، المصدر السابق، ص٢٠٥.

[٤٤] آوغاريت (راس شمرا)، مدينة قديمة في سورية، اكتشف موقعها صدفة عام ١٩٢٨ في رأس شمرا على بعد ١٢٠٠م من شاطئ البحر الأبيض المتوسط وأثني عشر كلم شمال اللاذقية، أسس الأموريون مملكة في آوغاريت بحدود العام ١٩٠٠ ق. م، في اوغاريت معبد للإله بعل وأخر للإله (داجان) يعودان إلى العصر البرونزي المتوسط، للمزيد عن هذه المدينة ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية القديمة، المصدر السابق. ١٦٣ وما بعدها.

[٤٥] حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير، المصدر السابق. ٢٠٥.

[٤٦] هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية القديمة، المصدر السابق، ص٨٨٢.

[٤٧] العهد القديم، سفر صموئيل الأول، ٥: ١- ٧؛ لا يعرف على وجه الدقة معنى اسمه الحقيقي ولكن تسميته مرتبط بنحو أو بأخر بكلمة الشعير العبرية والأوغاريتية ينظر: Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

[٤٨] حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير...، المصدر السابق. ٢٠٥.

[٤٩] محمود حمود، الديانات السورية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد ١٦٠٠- ٣٣٣ ق. م، (دمشق: مطابع الهيئة السورية العامة للكتاب، ٢٠١٤)، ص٦٣.

[٥٠] المصدر نفسه ص٦٤.

[٥١] أنليل: إله الهواء والرياح في بلاد سومر، ولد من إتحاد أنو (السماء) مع كي (الأرض)، وفصل بينهما. قرينتهُ نينليل، آلهة الحبوب وأبنهما فانا (القمر)، كان انليل يتمتع بالمرتبة الثانية مباشرة بعد أنو ويضاهيه أحياناً في رتبته، كان مركز عبادته في مدينة نيبور، وضع ضمن لائحة آلهة سورية جنباً إلى جنب مع الإله دجن (إله الغلال). ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية القديمة، ص١٤٣.

[٥٢]هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية القديمة، المصدر السابق، ص١٤٣.

[٥٣]للمزيد عن الإبدال والقلب المكاني في فقه اللغات السامية القديمة، ينظر: سباتينو موسكاتي، المصدر السابق، ص ١١١.

[٥٤]محمود، حمود، الديانة السورية القديمة خلال...، المصدر السابق، ص ٦٤، وما بعدها.

[٥٥] إبراهيم محمد علي الهلالي، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي في العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (٩١١– ٥٣٩ ق. م)، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، غير منشورة، السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ٢٠١٣، ص١٦١.

[٥٦]حفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

[٥٧] اشتركت أديان العالم القديم في تسمية أو وصف إله بعدة صفات وألقاب تتلائم وطبيعة الشخصية. ينظر: أدولف أرمان، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣، ص٥ وما بعدها.

[٥٨]الحسيني الحسيني معري، الأساطير الآرامية الامورية الفينيقية، المصدر السابق، ص ١٥٤.

[٥٩]المصدر نفسه، ص١٥٣.

[٦٠]يرى البعض أن أصله سامي (جزري)، وأن القبائل السامية هناك هي التي أدخلته في عبادتها لكن اسمهُ يشي بأصله السومري.فأسمه مكون من مقطعين (دا– جن)، وعرفنا أن(دا) اسم عام للإله، وخصوصاً لآله الطقس و (جن) تعني الريح في السومرية، وهكذا يكون معنى الاسم (أسمهُ) بالسومرية (إله الريح) للمزيد ينظر: عبد الحميد زايد، تاريخ الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور وحتى عام ٣٢٣ ق. م)، (القاهرة دار النهضة العربية، ١٩٦٦)، ص١٤٧.

[٦١]الحسيني الحسيني معدي، المصدر السابق، ص ١٧٠؛ بالعربية الدجن ظل الغيم في اليوم المطير، والدجن اليأس، الغيم، الأرض، وقيل هو الباسهُ اقطار السماء، والجمع أدجان ودجون ودجان، ينظر: لسان العرب، المجلد الثاني، باب الدال، ص١٣٣١.

[٦٢]خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، المصدر السابق، ص ٦٢، الحسيني الحسيني معدي، الأساطير....، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

[٦٣]جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، المصدر السابق، ص ٣٢٨، وما بعدها.

[٦٤]طه باقر، مقدمة في الحضارات القديمة، ج١، ص٢٤٥؛ تشترك ديانات العالم القديمة عموماً في تسمية أو وصف إله بعدة صفات وألقاب، والتي تتلائم وطبيعة الشخصية، للمزيد ينظر: أدولف أرمان، ديانة مصر القديمة...، المصدر السابق، ص ٥.

[٦٥]حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة...، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

[٦٦] إبراهيم محمد علي الهلالي، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي...، المصدر السابق، ص ١٦١.

[٦٧]فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سورية وبلاد الرافدين، ط١، دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٦، ص٣٨١.

[٦٨]طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٢٤٥.

[٦٩]حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة...، المصدر السابق، ص٢٠٥.

[٧٠]Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

[٧١]الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية....، المصدر السابق، ص ١٧٠؛ من الصفات التي كانت تطلق على الإله دجان باللغة الأبلوية طيلوماتيم (Ti– Luma–tim)، وتعني الطل على الإله دجان أو قوى الأرض، وهذا ما يدعم القول ويؤكد بان اسم دجان يعني الغيم أو المطر، ويؤكد ذلك أن كلمة دجان بالعربية مرادفة لكلمة مطر. ينظر: أحمد عبيس فيروز الرماحي، تبدل مراكز الآلهة...، المصدر السابق، ص ص ٩٦– ٩٧.

[٧٢]مارتو: إله سومري، شفيع البدو الرحل الغربيني، اطلق الساميون عليه اسم أمورو وأصبح من ثم تمثلاً بادد، إله العاصفة. ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية القديمة، المصدر السابق، ص ٧٦٢.

[٧٣]الحسيني الحسيني معري، الأساطير الآرامية....، المصدر السابق، ص٢٣٥.

[٧٤]المصدر نفسه ص٢٣٥.

[٧٥]حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة...، المصدر السابق، ص٢٠٥؛ خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، المصدر السابق، ص ٦٢.

[٧٦]عبير عباس فاضل المياحي، إله العواصف والأمطار...، المصدر السابق، ص ٦٢.

[٧٧]خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط١، (عمان– الأردن، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص٧٥.

[٧٨]عانة (Ana): مدينة في بلاد ما بين النهرين (العراق) موغلة في تاريخها تقع على الضفة الغربية للفرات، على بعد ١٠٠كم من الحدود السورية، كانت هذه المدينة مركزاً للقوافل المتنقلة بين العراق والمدن القائمة على التخوم الغربية للصحراء السورية، ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية القديمة، المصدر السابق، ص ٥٧٧.

[٧٩]الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٥٥.

[٨٠]Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

[٨١]فراس السواح، مغامرة العقل الأولى...، المصدر السابق، ص ٣٨١.

[٨٢]حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير...، المصدر السابق، ص ٢٠٦؛ حسني حداد وسليم مجاعص، أناشيد البعل (قراءة جديدة للأساطير الاوغاريتية)،(بيروت– لبنان، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥)، ص٨٢– ٨٣.

[٨٣]الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية....، المصدر السابق، ص ص ١٧٠– ١٧١.

[٨٤] المصدر نفسه ص ص١٠٠ – ١٠١.

[٨٥] أدد: إله الأعاصير لدى الأشوريين والبابليين كان يتجلى في الصاعقة والعواصف، وفي الغيث المخصب. عبد الآراميون هذا الإله باسم (هدد)، واجمع هذا الإله قرين إله الشمس، والذي كان يصور حاملاً الصاعقة بيد والفأس باليد الأخرى، وراكباً على ظهر الثور، وهو الرمز الحيواني المقدس له، ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية... المصدر السابق، ص ٥٣.

[٨٦]هاري ساكز، عظمة بابل، المصدر السابق، ص ٣٨٩.

[٨٧]حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا...، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

[٨٨]بعل أو البعل ابن داجون، وداجون أبو الآلهة بعل، أدد، هدد، ينظر: أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من (راس شمرا)، (بيروت– لبنان، دار النهار للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠)، ص٤٣.

[٨٩]حسني حداد وسليم مجاعص، أناشيد البعل...، المصدر السابق، ص ٨٢–٨٣؛ رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير...، المصدر السابق، ص ٤٣١.

[٩٠]خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، ط١، عمان، دار أزمنة للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ص٦٢.

[٩١]المصدر نفسه ص٦٢.

[٩٢]Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

[٩٣]الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٥٧.

[٩٤] شالا: آلهة الجبال والثلوج (بيدوا)، بعيدة عن المجمع الآلهي الكنعاني، ويرجح أن أصولها سومرية، وحملت هذا الاسم كاتبة للإلهة (أنانا، عشتار)، وقد عدت زوجة الإله أدد والإله (دجان)، وآم إله النار (جبيل). ينظر: طه باقر، ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر، بغداد، ١٩٤٦، مج٢، ص١٨؛ الحسيني الحسيني معدي، الاساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٥٥.

[٩٥]هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، المصدر السابق، ص ٥٢٥.

[٩٦]خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، المصدر السابق، ص ٦٢.

[٩٧] Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا الاساطير...، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

[٩٨]الحسيني الحسيني معري، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٥٥؛ لقب الإله (دجان) بإله الجبال، وربما لقب الجبل الكبير القادم من الغرب وزوجته هنا يأتي اسمها (آشراتو). ينظر: سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، (بيروت– لبنان، المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١٣)، ص٤٥.

[٩٩]للمزيد عن اسم زوجة الإله (داجان)، ينظر: الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٧٠.

[١٠٠]المصدر نفسه، ص١٦٥.

[١٠١]الإله أيل (EL) إله السماء الخير يقابله إله الجو (بعل) المؤذي أو قرينته في أساطير راس شمرا هي (أشيرا) أو عشيرة وأسمها في النقوش أثيرة، عبد هذا الإله في الجزيرة العربية باسم (الله)، وكانت تنسب إليه ثلاث بنات هن اللات والعزى ومناة. ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية...، المصدر السابق، ص ١٨٢.

[١٠٢]الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٥٤.

[١٠٣]خزعل الماجدي، المعتقدات الأشورية...، المصدر السابق، ص ٥١.

[١٠٤]حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا الأساطير...، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

[١٠٥]الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ٣٨.

[١٠٦]محمود حمود، الديانة السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٦٥.

[١٠٧]ماري: مدينة قديمة على الفرات الأوسط تقع بالغرب من الحدود السورية– العراقية الحالية، تعرف اليوم (تل الحريري)، كشف في المدينة عن معابد للآلهة آشتار المسترجلة ونين هورساج والإله (دجان). ينظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية...، المصدر السابق، ص ص٧٦٣– ٧٦٤.

[١٠٨]محمود حمود، الديانة السورية القديمة...، المصدر السابق، ص٦٦.

[١٠٩]عبير عباس فاضل المياحي، إله العواصف والأمطار...، المصدر السابق، ص ٧٠.

[١١٠]خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، المصدر السابق، ص ٦١.

[١١١]خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية...، المصدر السابق، ص٥٠؛ الإله دجان أخذ نفوذه يتغلغل منذ فترة سلالة أور الثالثة في الجنوب ووسط الفرات، ينظر: سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص٤٤– ٤٥.

[١١٢]المصدر نفسه، ص ٥٠– ٥١؛ عيد مرعي، اللسان الأكدي، موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها، (دمشق: منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، ٢٠١٢)، ص١٣٨.

[١١٣]خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية...، المصدر السابق، ص٥١؛ عبد الإله دجان من قبل الآشوريين، وشيد له معبداً في بلاد آشور، ينظر: عبد الحميد زاير، تاريخ الشرق الأدنى...، المصدر السابق، ص ١٤٧؛ يعد الإله (دجان) الإله الأكبر للآشوريين. ينظر: رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية...، المصدر السابق، ص ٤٣١.

[١١٤]المصدر نفسه، ص ٥١.

[١١٥]المصدر نفسه، ص ٦٦.

[١١٦]Harfer, R. F., Assyrian and Babylonian letters, (Chicago, 1905) no. 615, r. 5. إن ديانة ومعتقدات الساميين كان من أولوياتها هي إقامة بناء المعابد، والتي هي كانت بالأساس أماكن للآلهة على الأرض، فضلاً عن أماكن لأداء الصلاة وإقامة جميع طقوس العبادة، وكافة الشعائر الدينية المختلفة، وكان الحكام والملوك الساميين يتقربون لهذه الآلهة ببناء المعابد لها، وتحظى الآلهة بأكبر عدد من المعابد وأوسعها وأفخمها عمارةً تبعاً لأهميتها ومنزلتها عندهم. ينظر: الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٣٣.

[١١٧]أحمد عيسى فيروز الرماحي، تبدل مراكز الآلهة...، المصدر السابق، ص ١٠٢.

[١١٨]تبعاً لأهمية الإله (دجان) عند سكان مدينة ايبلا خصصوا شهراً باسم هذا الإله تقدم فيه الأضاحي، إذ عثر في مدينة ايبلا على تقويم خاص بهذه الأضاحي التي تقدم للآلهة المهمة، والنص التالي يؤكد ذلك: شهر الشيد (دجن): ايت– بي– لي.

شهر حدد: أيتو– بنيبدا– حدا. للمزيد ينظر: الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص١٢٩.

[١١٩]محمود حمود، الديانة السورية القديمة...، المصدر السابق، ص٦٤.

[١٢٠]هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية...، المصدر السابق، ص ٢٧٣؛ إن عبادة الإله (دجان) نقلها الأموريين إلى الكنعانيين، وازدادت وظائفه هناك ثم حشد في سخرة الإلهة الكنعانية، وفي الكنعانيين تسريب عبادة الإله (دجان) إلى الفلسطينيين في العام (١١٠٠ ق. م) كإله للحرب، وعلى رأس الآلهة الفلسطينية. ينظر: خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية...، المصدر السابق، ص٥١؛ رينيه لابات وآخرون، سلسلة الاساطير...، المصدر السابق، ص ٤٣١.

[١٢١]احمد محمد محمود وريم سهيل صقر، الممارسات الكهنوتية في مملكة ماري في الألف الثاني قبل الميلاد، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٣٨)، العدد (٢)، ٢٠١٦، ص٢٣٢؛ في عهد الملك حمورابي أنشئ معبد (دجان) ومعبد (بعل)، وفي هذا العهد أخذت المدينة اسم (اوغاريت)، وينظر: مفيد عرنوق، صرح ومهد الحضارات السورية...، المصدر السابق، ص ٢٨.

(١٢٢) Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.؛ وهنا كصيغة تاريخية للملك (زمري- لم) يذكر فيها تثبيته للأسود عند بوابة معبد الإله (دجان) (السنة التي ثبت فيها (زمري- لم) الأسود عند بوابة معبد الإله (دجان). ينظر: CAD, B, p. 18: a

(١٢٣) محمود حمود، الديانة السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٦٤.

(١٢٤) أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من (راس شمرا)...، المصدر السابق، ص ٤٣؛ وللمزيد عن مراكز العبادة الإله (دجان) ينظر: عبير عباس فاضل المعموري، إله العواصف والأمطار...، المصدر السابق، ص ١١٠ وما بعدها.

(١٢٥) احمد عبيس فيروز الرماحي، تبدل مراكز الآلهة...، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(١٢٦) (فأخذ الفلسطينيون صندوق العهد ونقلوه من حجر المعونة إلى اشدود. ثم ادخلوه إلى معبد داجون الههم، ووضعوه بجوار داجون)، ينظر: العهد القديم، سفر صموئيل الأول، ٥: ١- ٢.

(١٢٧) احمد محمد محمود وريم سهيل صقر، الممارسات الكهنونية في مملكة ماري...، المصدر السابق، ص ٢٣١.

(١٢٨) الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص١٥٤: إن الإله (دجان) كان محترماً جداً، ولهُ مكانة عظيمة لدى شعوب بابل وآشور، ينظر: رينيه لابات وآخرون، سلسلة الاساطير...، المصدر السابق، ص٤٣١.

(١٢٩) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديم، ط١، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٧٣، ج١، ص٣٦٣.

(١٣٠) عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، ط١، بيان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٢٢٧؛ عبد الكريم العلوجي، الملك سرجون الأكادي، ط١، حلب دار الكتاب العربي، ٢٠١٠، ص٨٧- ٨٨.

(١٣١) إن حملة الملك سرجون الأكدي هذهِ، والتي يعتقد أو يطابق بعض الباحثين عن وصول هذا الملك إلى مدينة توتول (تل البيعة) على نهر الخابور، عليه يجب الوقوف عند هذه المسألة. وعند تتبع سير الحملة العسكرية التي قادها الملك سرجون الاكدي نجدها انطلقت من مدينة (أكد) على طول نهر الفرات للسيطرة على الأقوام القاطنة هناك، فوصل الملك إلى مدينة توتول، والتي تقع إلى جنوب مدينة ماري، والتي تمثل المحطة الأولى التي توقف فيها الملك، وصولاً إلى هيت مركز الإله (دجان)، وهنا تضرع للإله على منحهِ الأرض العليا، ومن ثم منها انطلق إلى مدينة ماري، والتي لا يمكن تجاوزها والذهاب إلى توتول (تل البيعة على الخابور) ثم بعدها يعود إلى مدينة ماري ويحكم السيطرة عليها، وهذا لا يمكن من الناحية العسكرية والمكانية. ينظر: زياد عويد سويدان، التطورات السياسية والاقتصادية في أعالي الفرات ما بين (٢٠٠٠- ٦١٢ ق. م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ٢٠١٢، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص٧٣.

(١٣٢) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم،....، المصدر السابق، ص ص ٤٤-٤٥.

(١٣٣) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، ص٣٦٣؛ أمر الملك الآشوري أشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق. م) بنصب تماثيل الإله (دجان) في أرجاء المدن الآشورية، وهذا متأت من مكانة هذا الإله للملك لما يشغله من دور مهم وبارز على الصعيدين السياسي والعسكري. ينظر:- احمد عبيس فيروز الرماحي ،تبدل مراكز الإلهة،... المصدر السابق، ص ص ٩٦-٩٧.

(١٣٤) gald, cand othes, ur excavations texts vol .1,(London,1928),p.75,iii,1- 32

(١٣٥) Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

(١٣٦) Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

(١٣٧) خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، المصدر السابق، ص ٦٢؛ الحسيني الحسيني معدي، الأساطير...، المصدر السابق، ص ٢٣٥؛ خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية...، المصدر السابق، ص ٥١.

(١٣٨) حظيت بلاد الرافدين بموقع جغرافي متميز وهام خلال مسيرة تاريخها الموغل في القدم، حيث تقع بلاد الرافدين في الجزء الجنوبي من قارة آسيا، وتربط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا بصورة غير مباشرة، وأنه موقع في منطقة متوسطة من العالم القديم، ولا شك أن هذا الموقع المتميز سهل حركة التجارة، والاتصال مع البلدان البعيدة والقريبة منها، وزاد أهمية الموقع اختراق نهري دجلة والفرات للعراق من شماله إلى جنوبه، والذي كان له الدور الهام في إنعاش الزراعة، وبالتالي تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية. ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١...، المصدر السابق، ص ٢٠ وما بعدها.

(١٣٩) زياد عويد سويدان، التطورات السياسية...، المصدر السابق، ص ٧٣، وما بعدها.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٧٣ وما بعدها، إن سرجون الاكدي سجد أمام إله القمح (داجون) فأعطاه الأقاليم العليا، ماري، يرموتي، ايبلا، حتى غابة الرز والجبل الفضي (الأمانوس وطوروس). ينظر: مفيد عرنوق، صرح ومهد الحضارة السورية...، المصدر السابق، ص ٥٨.

(١٤١) عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري...، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(١٤٢) حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا...، المصدر السابق، ص ٢٠٥؛ عدَّ الإله (دجان) في بلاد الرافدين إلهاً للقوت والحبوب، ينظر: حسني حداد وسليم مجاعص، اناشيد البعل...، المصدر السابق، ص ص ٨٢- ٨٣.

(١٤٣) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، ج٢، ... المصدر السابق، ص ١٣٣.

(١٤٤) صموئيل هنري هوك، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، (بغداد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٩٦٨)، ص٣.

(١٤٥) محمد حمود، الديانات السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٢٩١؛ إن أنواع الأضاحي قد شملت علاوة على الحيوانات مواد أخرى مختلفة. مثل الزيوت النباتية وخاصة الزيتون منها، فضلاً

عن الحبوب والفاكهة، والألبسة والأحجار الكريمة والمجوهرات، والأدوات المختلفة، ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٩١.

(١٤٦)المصدر نفسه، ص٣٤٢.

(١٤٧)سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص٤٥.

(١٤٨) Kupper, J. R., Archives, royales de mari, vol. 3. (paris, 1948), 72,r.5.

(١٤٩)جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب...، المصدر السابق، ص ١٦- ١٧.

(١٥٠)عبير عباس فاضل المياحي، إله العواصف والأمطار، ....، المصدر السابق، ص ٦٩- ٧٠.

(١٥١)سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ...، المصدر السابق، ص ٤٥.

(١٥٢)جورجي كنعان، مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم، ط٢،(بيروت- لبنان، بيان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، ص٢١٦.

(١٥٣)حسن محمد محي الدين السعدي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق- ايران، آسيا الصغرى، ج٢، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص١١٨.

(١٥٤) gelb, I, glossary of old Akkadian, (Chicago, 1957), p. 95.

(١٥٥)رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية...، المصدر السابق، ص ٤١٣، خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، المصدر السابق، ص ٦٢؛ ظلت بلاد سورية القديمة، وخصوصاً مملكة ايبلا متمسكة بالآلهة الأمورية، وبشكل خاص ومميز الإله القومي (دجان)، والذي يعكس على مراحل مختلفة ظواهر الشمس والطقس والخصب، ولكن صفة إله الطقس هي الغالبة دوماً. ينظر: خزعل الماجدي، المعتقدات الامورية...، المصدر السابق، ص ٨٥.

(١٥٦)محمود حمود، الديانات السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(١٥٧)المصدر نفسه، ص ٣٤٠؛ كان شرط من شروط جميع التقدمات من الهدايا والنذور أن تكون ظاهرة، والتي تشكلت في الغالب من لحم البقر أو الغنم، وفي أحيان نادرة تشكلت من لحم الطيور أو الحيوانات البرية، ومن التقدمات البارزة كانت من الحبوب والمواد الغذائية الأخرى كالسمسم والعسل والفواكه، فضلاً عن السوائل المختلفة كالنبيذ والبيرة والحليب والماء، والتي تراق أمام تماثيل الآلهة ومنهم الإله (دجان). ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٣٨- ٣٣٩.

(١٥٨)المصدر نفسه، ص ٣٣٨ وما بعدها.

(١٥٩) Kupper, J. R., Archives royales de mari, vol. 3. (paris, 1948), 72, r. 5.

(١٦٠)سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم...، المصدر السابق، ص ٤٥.

(١٦١)خزعل الماجدي، المعتقدات الامورية...، المصدر السابق،٥١؛ كان الإله (دجان) في غزة يلعب دوراً رئيسياً في احتفالات النهر حيث تقدم له الأضاحي والقرابين والنذور. ينظر: خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، المصدر السابق، ص٦٣.

(١٦٢)محمود حمود، الديانات السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ١٥٤.

(١٦٣)Black, J. and Green, A. Goods..... op. cit, p. 56.

(١٦٤)احمد محمد شحود وريم سهيل صقر، الممارسات الكهنوتية في ماري...، المصدر السابق، ص ٢٣٢.

(١٦٥)محمود حمود، الديانات السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٣٤٣.

(١٦٦)المصدر نفسه، ص٦٥.

(١٦٧)عيد مرعي، اللسان الأكدي...، المصدر السابق، ص ١٣٨؛ اتخذ الملوك والحكام الفلسطينيين في الألف الأول قبل الميلاد في موضوع ألهتهم أنها كانت تحمل أسماء سامية مثل إله القمح دجان. ينظر: ماهر الشريف، تاريخ فلسطين القديم في الكتابة العربية. قراءة في الإشكاليات، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٩، ٢٠١٤، ص٨٣.

(١٦٨)عبد الحميد زايد، الشرق الخالد...، المصدر السابق، ص ٢٩١؛ فراس السواح، مغامرة العقل الأولى..، المصدر السابق، ص ٣٨١.

(١٦٩)رينيه لابات، سلسلة الأساطير السورية...، المصدر السابق، ص ٤١٩ وما بعدها.

(١٧٠)محمود حمود، الديانات السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

(١٧١)المصدر نفسه، ص ٣٢٨- ٣٣٠.

(١٧٢)المصدر نفسه، ص ٣٢٨- ٣٣٠.

(١٧٣)المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(١٧٤)حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير...، المصدر السابق، ص٢٠٧.

(١٧٥)الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص٣٥٨.

(١٧٦)محمود حمود، الديانات السورية القديمة...، المصدر السابق، ص ٣٥٨.

(١٧٧)عادة تقديم التماثيل كانت طقساً مهماً من الطقوس الأمورية، فهي تعد أثمن هدية يقدمها العابد للمعبد. ينظر: الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص ١٢٩؛ محمد عبد اللطيف محمد علي، سجلات ماري وما تلقيه من أضواء...، المصدر السابق، ص ٦١.

(١٧٨)ماهر الشريف، تاريخ فلسطين القديم في الكتابة العربية، قراءة في الإشكاليات، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٩، ٢٠١٤، ص٨٣.

(١٧٩)خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، المصدر السابق، ص ٦٢- ٦٣.

(١٨٠)محمود حمود، الديانات السومرية القديمة...، المصدر السابق، ص ٣٢٧.

(١٨١) محمود حمود، الديانات السومرية القديمة...، المصدر السابق، ص ٦٥.

(١٨٢)فراس السواح، مغامرة العقل الأولى...، المصدر السابق، ص ١١٣.

(١٨٣)العهد القديم، سفر القضاة، ١٦: ٢٣- ٣٠؛ رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير...، المصدر السابق، ص ٤٣١.

(١٨٤)العهد القديم، سفر صموئيل الأول، ٥: ١- ٧.

(١٨٥)العهد القديم، سفر أخبار الأيام، ١٠: ١٠.

(١٨٦)الحسيني الحسيني مرعي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص١٣- ١٣١.

(١٨٧)محمد عبد اللطيف محمد علي، سجلات ماري...، المصدر السابق، ص ٦١.

(١٨٨)الحسيني الحسيني معدي، الأساطير الآرامية...، المصدر السابق، ص١٣٠- ١٣١.

(١٨٩)حسن محمد محي الدين السعدي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم...، المصدر السابق، ص ١١٨.

(١٩٠)جورجي كنعان، مفهوم الألوهة في النص العربي القديم...، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(١٩١)المصدر نفسه، ص ٣٠١.

(١٩٢)احمد محمد شحود، الممارسات الكهنوتية في ماري...، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(١٩٣)خزعل الماجدي، المعتقدات الامورية...، المصدر السابق، ص ٧٥.

السقوف في مباني العراق القديم
في ضوء المعطيات الآثارية والنصوص المسمارية

ا.م.د محمد كامل روكان

كلية الآثار - جامعة القادسية

السقوف في مباني العراق القديم في ضوء المعطيات الآثارية والنصوص المسمارية

ا.م.د محمد كامل روكان

المقدمة

بدأت ملامح العمارة في أعالي بلاد الرافدين قبل اكثر من ١٠٠٠٠ سنة، ويمكن ان نحددها في العصر الحجري الوسيط، أي منذ بداية التغير المناخي ومغادرة الإنسان القديم الكهوف والملاجئ الصخرية والتوجه للعيش والاستقرار في مستوطنات صغيرة في زاوي جيمي وكريم شهر وملفعات، التي تعرف بانها مرحلة ما قبل الاستقرار السكاني في القرى، وعبر مرحلة زمنية تجاوزت ثلاثة آلاف سنة وصولا الى قرى الاستقرار والزراعة وتربية الحيوان في جرمو وحسونة، تبلور فكر الانسان المعماري ودفعته حاجته الى تصميم مسكن يحتوي مجموعة من الغرف متكاملة العناصر المعمارية ، اسس وجدران ومداخل ومنافذ وارضيات وسقوف. وكانت مواد التسقيف آنذاك مما توفره البيئة من جذوع الأشجار وأغصانها، وكان الطين هو المادة الوحيدة التي يكسى بها السقف.

تنوعت السقوف – في ضوء الأدلة الآثارية على قلتها – مع تنوع المناخ والبيئة، التي تفرض المواد الإنشائية مثلما يفرض المناخ نوع التسقيف غالبا، كالسقف الجملوني والسقف المقبب والسقف المستوي، وهو الأكثر شيوعا. وللاسف لم تكشف أعمال التنقيب في المواقع الآثارية الا القليل من بقايا السقوف، بسبب هشاشة مواد تسقيفها وسرعة تلفها عند تراكم طبقات الأتربة عليها زمنا طويلا، او بسبب تدميرها وتعرضها للهدم خلال الحروب او إعادة البناء او أزالتها لإغراض البناء، لان السقوف هي العنصر المعماري الأول المعرض للهدم أو التدمير في المبنى.

هذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على سقوف مباني العراق القديم وتنوعها وعملية التسقيف في ضوء نتائج التنقيب.

Abstract

Buildings' roofs belong to the number of the most important architectural elements in the buildings in the Ancient Mesopotamia. Their kind depended on climate and environment, as well as building materials. For example, trunks and branches of trees, straw and clay were used for ceiling. Later, people started to use excellent trees imported from other regions, as well as palm trunks and cane, later – bricks and gypsum. The form of ceiling developed as well – from dome to truss and then to the most popular flat roof.

Only few remnants of roofs are found during the archaeological excavations. It happens because of the fragility of building materials, as well as their destruction under the heavy weight of archaeological layers during the long period of time. The deconstruction also happened during wars, reconstruction of houses etc., since roofs belong to the most vulnerable parts of buildings.

This research represents an attempt to discuss the roofs of buildings in Ancient Iraq, the techniques of ceiling works and its kinds in the frames of information provided by archaeological excavations, as well as by some cuneiform texts which contain such data.

السقوف في ضوء المعطيات الآثارية

تعد بقايا المباني القديمة ، بقايا القصور الملكية، المعابد، الزقورات، البيوت السكنية وغيرها، من أهم المكتشفات الآثارية، وقد ساعدت هذه البقايا المنقبين والباحثين على معرفة جوانب من حضارة وتاريخ بلاد الرافدين .

ولابد للمنقب – عند توثيق نتائج التنقيب في الموقع الآثاري – من وصف بقايا المباني التي تم اكتشافها، كمخطط المبنى ومساحته، الأسس، الجدران وارتفاعاتها وسمكها، مادة البناء والمادة الرابطة، مادة الطلاء من الداخل والخارج إن وجدت، الزوايا والحنايا والأرضيات والسلالم والمداخل والنوافذ وغيرها. لكنه يقف عاجزا – أحيانا – عن وصف السقوف وعملية التسقيف في المبنى، لعدم عثوره على ما يساعده في معرفة ذلك أو التوصل اليه، إلا إذا تلمس بعض الدلائل التي تجعله واثقا من وصف السقف والمادة التي استعملت في التسقيف، كوجود بقايا خشب أو أغصان أشجار أو قطع من حصر القصب أو سعف النخيل، أو بقايا حفر ربما كانت تستعمل لتثبيت دعائم خشبية او بنائية تسند السقف، والحقيقة أن هذه الدلائل التي ذكرناها، قليلة ومحدودة جدا، بسبب هشاشتها وتلفها إذا ما تعرضت لظروف مناخية، او تراكم طبقات التراب عليها زمنا طويلا ، لذا يكون المنقب مضطرا للافتراض والاحتمالية عند وصفه السقوف او مواد تسقيفها.

وفي ضوء ما كشفته بعثات التنقيب في المواقع الآثارية فان سقوف المباني القديمة كانت على أنواع، منها سقوفا معقودة على شكل جملون، او على شكل قباب، او سقوفا مستوية، وهي الشائعة في مباني بلاد الرافدين، او سقوف بيوت القصب، التي لم تكشفها أعمال التنقيب بل كشفتها لنا المشاهد المنفذة على الأختام الاسطوانية.

كشفت بعثة التنقيب البولندية برئاسة ستيفان في نمريك، من مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، عن بقايا بيوت سكنية، من بينهما البيت المرقم ١، والبيت المرقم ٢ ، كانت مخططاتهما دائرية غير منتظمة، وقد عثر فيهما على بقايا أعمدة ساندة (دعامات)، ترتفع فوق مستوى الجدران، يحتمل المنقب أنها كانت تستعمل لإسناد السقف، الذي كان معقودا على شكل قبة[١]. وفي جرمو، من مواقع قرى العصر الحجري الحديث، حدود الألف السابع ق.م، كشفت بعثة التنقيب الأمريكية برئاسة الآثاري بريدوود ست عشرة طبقة استيطانية، تحتوي بقايا بنائية مشيدة وفق مخططات مستطيلة الشكل، مشيدة بالطوف على أسس حجرية، يحتمل المنقب أن سقوف هذه المباني كانت معقودة بطريقة الجملون، واستعملت أغصان الأشجار المكسوة بطبقة من الطين لتسقيفها.[٢]

وأظهرت أعمال التنقيب في حسونة بقايا عدد من بيوت السكن ذات مخططات مستطيلة الشكل أيضا، ومشيدة بالطوف، تتألف من عدة غرف صغيرة، يعتقد ان سقوفها كانت معقودة بطريقة الجملون، لملائمة هذا الشكل من السقوف المناخ غزير الأمطار، واستعملت أغصان الأشجار او حصر القصب المكسو بالطين في التسقيف[٣](شكل ١)، وفي موقع يارم تبه الى الجنوب الغربي من تلعفر، كشفت بعثة روسية برئاسة كرونيوف في أواخر ستينيات القرن الماضي عن بيوت سكنية، مخططات بعضها دائرية، كانت سقوفها معقودة على شكل قباب.[٤]

وفي الطبقة الخامسة من الموقع نفسه، وتحديداً في المبنى رقم (٣٨٧) عثر على بقايا حصر وطين وجص، يحتمل انها من بقايا سقف ساقط على ارضية البيت[٥] ، وفي موقع ام الدباغية غرب مدينة الحضر، كشفت بعثة بريطانية في سبعينيات القرن الماضي عن بيوت سكنية في الموقع، كان بعضها ذات مخططات دائرية، في الطبقة الثانية من الموقع كانت هناك دلائل تشير الى تحطم القرية وسقوط العديد من السقوف في الأرضيات، التي يبدو من خلال بعض بقاياها أنها سقفت بطبقات من حصر القصب فوق دعائم خشبية كانت تحمل السقف، ثم كسيت بطبقة سميكة من الجص. [٦]

وكشف مالوان في تنقيباته في موقع تل الاربجية عن بقايا عشرة مبان يعود معظمها الى عصر حلف، وهي مبان غريبة الشكل مشيدة وفق مخطط دائري على أسس حجرية، غالبا ما يلحق بها فناء مستطيل، عرفت بالمصطلح اللاتيني بـ(ثولوس)، لانها تشبه القبور المايسينية المتأخرة، يعتقد المنقب مالوان ان سقوف هذه المباني الدائرية كانت على شكل قباب او على شكل مخروطي ربما يكون معقودا من أغصان الأشجار او الخشب مستندا على دعامة خشبية في وسط المبنى. وقد بنى مالوان اعتقاده هذا لعثوره على جزء من قبة مبنية من الطوف بارتفاع ٨٥سم على الأرضية، ربما كانت معدة لتكون فيما بعد سقفا لإحدى الغرف[٧]، أما الفناء الملحق بالبناء الدائري فيرى مالوان انه كان معقودا بطريقة الجملون[٨] ، بينما يرى توبلر انه كان فناء مكشوفا.[٩] (شكل٢)

ويحتمل السيد توبلر منقب موقع تبة كورا أن معظم سقوف مباني تبه كورا كانت ذات سقوف معقودة على شكل قباب، وقد استعملت جذوع الأشجار وأغصانها في تسقيفها.[١٠]

ومع تطور العمارة خلال العصور التاريخية اللاحقة في بلاد الرافدين، وحلول عصر الممالك السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، فان أكثر الطرق إتباعا لتسقيف المباني وبالتحديد في جنوب بلاد الرافدين ووسطه هي الطريقة المستوية، التي توفر سطحا منبسطا يمكن الاستفادة منه لإغراض شتى، ثم دفعت الحاجة الى الاستفادة من السطح في بناء طابق علوي ، ويؤكد ليونارد وولي منقب اور ان بعض بيوت اور السكنية كانت مؤلفة من طابقين، بدلالة وجود سلم مبني من الآجر يوصل الى شرفة تؤدي الى غرف الطابق العلوي (صورة ٣)، وهذه الغرف مشيدة على نمط غرف الطابق الاسفل تماما ، وهذا النمط من البناء يشبه تماما البيت البغدادي في عشرينيات القرن الماضي.[١١] (صورة٤)

ومع ان السقف المستوي هو الاكثر شيوعا في العصور التاريخية، الا ان بعض المباني كانت سقوفها معقودة بطريقة الجملون او القباب، حيث كشفت لنا المقبرة الملكية في اور عن عدد من الأقبية، يرجع تاريخها الى ٢٧٥٠ ق.م، كانت سقوفها معقودة بالآجر على شكل جملون او عقود نصف دائرية[١٢](صورة ٥)، وعثر في اور ايضا على عدد من القبور كانت معقودة على شكل الجملون تحت أرضيات البيوت، (صورة ٦) ، كما كان سقف قبر الملك شولكي، الملك الثاني من سلالة اورنمو، معقودا بالآجر على شكل جملون[١٣]، وبطريقة مختلفة عما تعارف عليه بالتسقيف، اذ عمد البنّاء بعقد الآجر بشكل متدرج. (صورة٧)

واتبع الآشوريون أسلوب التسقيف بالآجر والجص لتسقيف بعض القاعات الملكية بطريقة القبو نصف الدائري، اذ يتم تسقيفها باستخدام الجص سريع الجفاف لربط آجر التسقيف.[١٤]

واحتفظت بيوت القصب (الصرايف) بشكل سقوفها المعقودة، منذ ظهور استخدامها في جنوب بلاد الرافدين حتى يومنا هذا في قرى اهوار العراق، ومن المؤسف له ان أي من بعثات التنقيب في المواقع الآثارية لم تعثر على بقايا لهذه البيوت القصبية ، بسبب هشاشة مواد بنائها وسرعة تلفها وتحللها تحت ركام الطبقات الترابية، لولا ان الأختام الاسطوانية قد حفظت لنا أشكالها من خلال المشاهد المنفذة عليها. (شكل٨)

طرائق التسقيف

لقد كان للمناخ أثر كبير في تحديد سقوف مباني بلاد الرافدين، كما للبيئة أثرها فيما توفره من مواد تستعمل للتسقيف، فمناخ المناطق الشمالية كثير الأمطار وتساقط الثلوج دفع السكان في نمريك، يارم تبه، تبه كورا، وفيما بعد جرمو وحسونة وغيرها من القرى الى تسقيف بيوتهم بسقوف مقببة او جملونية، وذلك لمنع تجمع الأمطار، وتسهيل عملية تصريف المياه او الثلوج من على سطح السقف، لذا يُعتقد ان عملية تسقيف السقوف المقببة او الجملونية كانت تتم بتثبيت دعائم خشبية او بنائية في حفر وسط أرضية

المبنى، وتكون ارتفاعاتها (الدعائم الخشبية) اعلى من ارتفاع الجدران لتعطينا سقفا ذا جوانب مائلة الى الأسفل، ثم ترصف جذوع الأشجار وتربط مع أعلى الدعامة الى أعلى جدران البيت، وتسد الثقوب بأغصان الأشجار والقش، ثم يُسيَّح الطين عليها. وهذه السقوف المقببة في البيوت الدائرية او الجملونية في البيوت المستطيلة كانت ملائمة للمناخ الشمالي كثير الأمطار، كما ان العثور على بقايا اخشاب وقطع من حصر القصب والقش والطين والجص في أرضيات بعض المباني في موقع ام الدباغية ويارم تبه يعتبر دليل على أنها بقايا مواد تسقيف.

اما السقوف المعقودة بالآجر على شكل الجملون، كما في قبر شولكي في اور او في مبان اخرى، فقد تم تسقيفها بوضع الآجر بطريقة أفقية على آخر صف من الجدار، مع استعمال مادة رابطة كالجص او القير او حتى الطين احيانا، وتُبرز الآجُرّة عن الآجُرّة التي تحتها، ثم تكرر الطريقة ذاتها حتى الانتهاء الى أعلى نقطة في السقف الجملوني، او تسقف بطريقة وضع قالب خشبي ملائم لشكل العقد الذي يراد بناؤه، ثم يتم التسقيف بالآجر بطريقة أفقية متساوية مع استعمال المواد الرابطة. ولا نرى ان هناك حاجة في جنوب بلاد الرافدين لجعل سقوف المباني جملونية إلا لغاية جمالية و إبداع هندسي مبتكر، ذلك لان مناخ جنوب بلاد الرافدين الجاف والحار صيفا وقليل الأمطار شتاء لا يستوجب مثل هذه السقوف أبدا، بل العكس تماما كانت الحاجة في بيوت الجنوب الى سقوف مستوية تنشأ منها سطوح مستوية يمكن الاستفادة منها.

ولجأ الآشوريون – أحيانا– إلى استعمال الآجر والجص في تسقيف أقبية (عقد نصف دائري) بعض القاعات الملكية دون اللجوء لاستعمال الخشب، ويرتكز هذا القبو من الجانبين على جدارين متقابلين تفاديا للدفع الجانبي له، ولكن استعمال الخشب بالتسقيف عند الآشوريين كان سائدا ايضا، إذ عثر المنقبون على بقايا خشب متفحم في أرضية قاعات القصر الشمالي الغربي للملك آشور– ناصر– ابلي الثاني، الذي يحتمل انه كان جزء من السقف المتساقط، مما يدل على استعمال الخشب في السقوف أو كدعائم لإسناد السقوف، ويحتمل ايضا أن معظم قاعات القصور الآشورية كانت ذات سقوف مستوية مؤلفة من جذوع الأشجار وعليها طبقة من الحصر المكسو بالطين. [١٥]

ولاختلاف مناخ جنوب بلاد الرافدين عن شماله، في قلة الأمطار، وعدم تساقط الثلوج، وما وفرته البيئة الجنوبية من مواد تسقيف كالقصب والبردي وجذوع النخيل وسعفه، صار ممكنا أن تسقف معظم السقوف بطريقة مستوية، سواء كانت سقوف قصور ملكية او معابد او بيوت سكنية، لتكون سطوحها منبسطة للاستفادة منها.

وتشير المصادر الى ان سقوف بابل كانت معقودة بشكل مستوي، واستعملت الجسور والألواح الخشبية في تسقيفها، ويتم رصف حصر القصب و يسيح الطين فوقها، وقد حرصوا على جعل جوانب السقوف مائلة قليلا لتصريف مياه الأمطار من خلال أنابيب فخارية(ميازيب). [١٦]

ان التسقيف بالطريقة المستوية أسهل من التسقيف بالطريقة الجملونية او المقببة، وكانت تتم (أي: التسقيف المستوي) بمد جذوع النخيل او الجسور الخشبية فوق الجدارين العرضيين المتقابلين في الغرفة او القاعة[١٧]، ثم ترصف المسافة بين الجسور بألواح خشبية، تفرش فوقها حصر القصب (البواري)، ثم يسيح عليها الطين، ويفضل ان تكون النهايات الجانبية للطين المفروش على السقف اقل سمكا من الوسط لتسهيل عملية تصريف المياه الى الأسفل. ويبدو أن سكان بلاد الرافدين استعملوا أنواعا متنوعة من الأخشاب في التسقيف، للاسف لم تسعفنا اعمال التنقيب بمعرفتها، لولا ذكرها في النصوص المسمارية، كاخشاب الارز والسرو والعرعر ذي الرائحة الطيبة واخشاب شجر الحور واخشاب السيدار واخشاب اشوخو واخشاب الصنوبر. وقد حرص ملوك بابل وآشور على تسقيف قاعات وغرف قصورهم بهذه الانواع من الاخشاب[١٨]، «... أنا سقفتهم بأعمدة من أشجار الارز والسرو.....» [١٩] ، «... أنا سقفته بأعمدة العرعر، لاجعله ذا رائحة طيبة...» [٢٠] ، «...ستون عمودا من خشب الحور هي كافية لتسقيف...» [٢١]

وظل بيت القصب عبر كل العصور التاريخية في بلاد الرافدين والى يومنا هذا محتفظاً بشكله وسقفه القصبي وطريقة تسقيفه، التي لا اظن انها اختلفت عما كانت عليه، بحسب ما زودتنا به المشاهد الفنية على الأختام الأسطوانية (صورة ٩)، ويتضح ان مواد التسقيف وعملية التسقيف ذاتها لم تتغير ايضا، اذ تتم بتجهيز حزم من القصب تربط جيدا لتشكل هيكل البيت، ثم تغرز هذه الحزم بحفر معدة لها بصفين متقابلين، تملأ بعدها بالتراب وتدك جيدا، ويتم ثني حزم القصب من الأعلى الى الداخل وتربط رؤوسها مع بعضها مكونة أقواسا هيكلية لتشكل السقف الجملوني المقوس لبيت القصب. (صورة ١٠)

السقوف في النصوص المسمارية*

قبل البحث عن السقوف والتسقيف في النصوص المسمارية ، لا بد لنا من معرفة كلمة سقف ، وفعل التسقيف (سَقَّفَ) في السومرية والاكدية وبعض الصيغ الاسمية منه .

يطلق على السقف في اللغة السومرية (UR_3)، ويقابله في الاكدية (ūru)، ومنه السقف العالي (ūrueluti)[٢٢]، كما اطلق على التسقيف في السومرية GIŠ.KEŠ$_2$.DA، ويقابله بالاكدية taṣliltu [٢٣]، ويطلق على من يقوم بعملية التسقيف ṣullulu، اي: سَقَّفَ[٢٤]، ويقابله بالعربية (ظَلَّلَ)، كما ارتبطت بهذا الفعل الكلمة ṣulultu ، التي تعني ايضا سقف. [٢٥]

اما المصطلح السومري GIŠ.BAL ، فيعني: مسقوف ، ويقابله بالاكدية ruggubu[٢٦]، ويطلق على انهيار السقف بالسومرية المصطلح ŠUB[٢٧] ، وبالاكدية miqtu.[٢٨]

عموما ورد الفعل (ṣullulu) بصيغ واشتقاقات مختلفة في النصوص المسمارية [٢٩]، وهو يعكس بطبيعة الحال استعماله الواسع من قبل سكان بلاد الرافدين في حياتهم اليومية.

وقد امدتنا النصوص المسمارية بمعلومات جيدة عن سقوف المباني وتسقيفها، والمواد التي استعملت بالتسقيف ، فضلا عن معلومات أخرى .

وكما هو معلوم ، فالتسقيف المستوي يتم بوضع جسور خشبية على الجدران المتقابلة، تنشر بعدها الواح خشبية وتوضع حصر القصب ثم يسيح فوقها الطين، وجاءت اشارة في نص مسماري الى وضع اعمدة السقف على جدار الطين «...جدار من الطوف وضع عليه اعمدة السقف...» [٣٠]، وكانوا يغطون الأعمدة الخشبية او الجسور الخشبية بألواح خشبية لسد الثقوب، كي لا تتسرب من خلالها مياه الامطار الى الداخل «... يجب عليه تغطية أعمدة السقف بألواح من الخشب ...» [٣١] ، وفي بعض الأحيان يقومون بتقوية السقف، فيضعون حصر القصب فوق بعضها لمنع تسرب مياه الامطار او لتلافي تلفها «...حتى لا ادع الأمطار الغزيرة تؤثر عليها (ضاعفت السقف)...» [٣٢]، ويمكن استعمال سعف النخيل بدل القصب عند عدم توفر القصب خلال المباشرة بالتسقيف «...سقف المنزل ، وإذا لم يكن هناك حزم من القصب، ينبغي أن تجلب سعف النخيل...» [٣٣]، ومن اجل تقوية الدعائم الخشبية التي ترفع السقف كانوا يستعملون انواع من المسامير الخشبية تعرف بـ (التنوب) «.... في كل مكان انا وضعت مسامير من خشب التنوب وقويت دعامات السقف بها لتسقيفها...» [٣٤]، وكان يستعملون الطين لاكساء السقوف من الأعلى «... تم اكساء السقف (والان) هم يقوموا بعملية تقطيع القصب للبيت القديم وتغطيته بالطين...» [٣٥]، كما استعملوا الجص للسقوف ايضا ، ويبدو انهم كانوا يطلون به السقف من الداخل، كما انهم يهيئون مجاري المياه ، التي كانت عبارة عن انابيب فخارية (ميزاب) ليضعوها في اماكانها الخاصة لتصريف مياه السقف «...إنهم يضعون جص السقوف، ويضعون المجاري في مكانها....» [٣٦]، ومن اجل تبريد البيت كانوا يعمدون إلى رش البيت والفناء والسقف، وقد اشار نص مسماري الى الغرف العلوية في البيت، وهذا مصداق لرأي وولي في وجود بيوت ذات طابقين في اور، كما اسلفنا، «... قمت برش الفناء والسقف والجزء العلوي من الغرف والشبابيك ..» [٣٧] ، وقد وردت إشارات في النصوص المسمارية تشير الى ختم بعض السقوف عند الانتهاء من تسقيفها، وربما ارادوا بذلك التعريف بالعامل الذي قام بعملية التسقيف «...لقد انتهيت من ختم (؟) السقف..» [٣٨]، وعادة ما يكون الختم على سطوح السقوف المبنية بعد ان يتم ترطيب طينتها ثم ختمها «... لتبلل سقف الطين من أجل ختمه...» ، وكانت عملية التسقيف تتطلب جهودا جماعية أحيانا، حيث ذكر في احد النصوص عدد عمال التسقيف «...أربعون عاملا قاموا بعمل السقف العام الماضي...» [٣٩].

سقوف المعابد والقصور

ارتبط التسقيف بالمظاهر العمارية الدينية وخاصة المعابد التي كان يخصص لبناء سقوفها الاخشاب الجيدة، ومن الاخشاب التي ذكرت بالنصوص المسمارية، وعلى وجه التحديد في اعمال التسقيف هو أخشاب الارز، و أخشاب السيدار، و أخشاب التنوب، و أخشاب العرعر، فحرص ملوك

بلاد الرافدين على الحصول على هذه الاشجار لتسقيف معابدهم وقصورهم «... اما بالنسبة الى جسور خشب الارز (التي ارسلت الى بابل وسبار وكوثا) لتسقيف المعبد..» ، «.. انتقيت احسن أخشاب الأرز من اجل تسقيف مقر معبد سيادته...» ، «... جلبت أخشاب الأرز الكبيرة من لبنان ، الغابة الجميلة لتسقيفه (أي قصره) ...» ، «...عملت مقر سيادتي نفيسا، وسقفته بأخشاب الأرز العظيمة، التي هي من منتجات الجبال العالية، وأخشاب اشوخو الثخينة وجسور الصنوبر الأشجار البهية، وضعتها على سقفه، وصنعت أبوابا من أخشاب عمان ومن خشب الأرز وخشب الصنوبر ....» [٤٠] ، «...معبد الإله انليل ....انا سقفت ذلك المعبد بخشب السيدار في آشور...»[٤١]، وفي اشارة أخرى لاستعمال خشب السيدار في السقف باعداد كبيرة لتقويته «... انا استخدمت خشب السيدار وخشب التنوب بأعداد لا تحصى (لعمل) الدعائم ولسقف المعبد...»[٤٢]، وتقديسا للاله انليل وتعظيما لمعبده يختارون افضل الاخشاب «...في مدينتي آشور قمت ببناء مسكن لسيدي إنليل، سقفت المعبد بخشب الارز...» [٤٣]، وكان الملوك يذكرون في نصوصهم أسماء المناطق التي يجلبون منها الاخشاب «...جلبت خشب السيدار من لبنان لعمل سقف المعبد ولبوابة ممره...»[٤٤] ، ويتباهون بجعل سقوف معابد إلهتهم ذات روائح طيبة «...جعلته (المعبد) عبيراً حلوًا مثل بستان الأرز بتسقيفه بأخشاب كثيرة...»[٤٥] ، ويسقفون بوابات المعابد بالأخشاب ذات الرائحة الزكية ايضا«... انا دعمت بأعمدة خشب السيدار سقف البوابة الشمالية لمعبد الايزيدا...»[٤٦]

واحتل القصر الملكي مكانة مرموقة في حضارة بلاد الرافدين، فهو يعكس هيبة وعلو شان المملكة من خلال مرافقه العمارية، التي تعكس قوة وعظمة وهيبة الملوك، وقد ورد في النصوص المسمارية معلومات تتعلق بتسقيف قاعات وغرف القصور، التي كانت تسقف بانواع مختلفة من الخشب، ومما يلاحظ ايضا ان الاخشاب والاعمدة المستعملة في تسقيف القصور تكون اكبر من مثيلتها المستعملة في بناء البيوت، والسبب في ذلك يعود الى ان القصر يحوي على مرافق عمارة اكبر حجما من حجم غرف بيوت السكان العاديين ، ولذا فان القصر يحتاج الى الاعمدة الطويلة التي تغطي سقوف قاعاته «...اعمدة طويلة من خشب العرعر سقف بها قصره...»[٤٧]، وكما في سقوف المعابد فهم يختارون لسقوف قصورهم الاخشاب الجيدة ذات الروائح العطرة «... هو سقف (قصره الملكي) بأعمدة من خشب العرعر وجعل رائحته طيبة...»[٤٨]، «...لقد بنيت قصور لإقامتي الملكية ونشرت الاعمدة الخشبية الكبيرة من الأرز سقوفا لها...»[٤٩]، و لتقوية السقف يختارون الاعمدة السميكة «...أنا وضعت هناك (اعمدة) خشب الارز السميكة للسقف وأبواب بواباته...» [٥٠]، وتجلب هذه الانواع من الاخشاب ذات الروائح العطرة اما عن طريق التجارة، اذ يتم جلبها من جبال الامانوس في لبنان، فيتم تقطيعها وجلبها الى بلاد اشور لبناء المعابد والقصور الملكية «...قطعوا اشجار الأرز الكبيرة في «جبال» الأمانوس «وجروها إلى نينوى لتسقيف القصور»...»[٥١] ، او عن طريق الحملات العسكرية «...لقد قمت بتسقيفها بأعمدة من خشب الأرز التي قطعتها خلال مسيرة حملتي...»[٥٢] ، وكان الملوك يعمدون احيانا، عند

الانتصار في معركة، بازالة وتهديم قصر الملك االعدو واخذ اعمدة الخشب من سقف قصره «...لقد ازلت الاعمدة من سقف قصره...»[٥٣].

وتعظيما للمعابد والهتها وللقصور وهيبتها، كانوا يختارون لها الاخشاب الجيدة ، وفي بعض الاحيان يقومون بتغليفها بالذهب والفضة والاحجار الكريمة ، فضلا عن اعمال اخرى لابراز هيبتها وعظمها «...لقد غطيت أعمدة الأرز لسقف غرفة الإله نابو بالذهب...»[٥٤] ، «... انا غلفت بالفضة سقف البوابة الشمالية، وجعلتها تشع مثل ضوء النهار من اجل مجيء وذهاب الأمير نابو حينما يزور بابل...»[٥٥]، «...غلفت أعمدة سقف الأرز بالفضة والأحجار الكريمة...»[٥٦]. او يقومون بطلائها بالوان جميلة، كاللون الذهبي او الفضي «.... وطليت اعمدته الخشبية من خشب السيدار بطلاء فضي...»[٥٧]، وعند اتمام بناء القصور واكتمال تسقيفها فانهم يقدمون وينحرون القرابين للالهة فوق سطح القصر من اجل ان تحفظ حياة الملك «...قرابين من الاغنام للملك عُملت (ذبحت) فوق سطح القصر من قبل صانع العطور...».[٥٨]

صيانة السقوف

اعتاد الناس على صيانة سقوف مساكنهم قديما وحديثا ، للحفاظ عليها من التلف ، ولاستمرارية مقاومتها للظروف الجوية ، ومن الطبيعي ان السقوف المشيدة بالاخشاب وحصر القصب والطين تحتاج الى اعمال صيانة اكثر ومستمرة ، وقد ورد في نصوص مسمارية اشارات الى اعمال صيانة اجريت للسقوف ، وتكون الصيانة احيانا جزئية ، اي الى اماكن معينة من السقف ، لازالة تلف او تغيير جزء معين ، او قد يحتاج السقف كله للازالة اذا تطلب ذلك ، لعدم صلاحيته وتلفه ، لاستبداله باخر، وتجري الصيانة احيانا على الجدران و السقوف معا، «... ازل خمسة عشر سافا من اجر متراس البرج وكذلك السقف... »[٥٩].

وبسبب الظروف الجوية ومناخ بيئة بلاد الرافدين القديمة من حر وجفاف ورطوبة في الصيف وبرودة وامطار في فصل الشتاء، الذي يؤثر بشكل كبير على مواد التسقيف، الامر الذي يتطلب اجراء اعمال صيانة للسقف، كالقيام بسد الثقوب والفتحات قبل موسم الامطار«...كل عام يجب ان تسد (ثقوب) السقف... »[٦٠]، واشار نص اخر الى صيانة السقف وازالة الاعمدة الخشبية التالفة، التي ترفع السقف واستبدالها باخرى مكانها «... لقد قمت بإزالة اعمدة السقف التالفة وقمت بتعيين حزم جديدة في مكانها...»[٦١].

وهناك اشارات تشير الى تثبيت انابيب تصريف مياه الامطار فوق سقوف الغرف العلوية، ثم اكساء السقف بالطين «...(بدلًا من الإيجار) ، سيسقف (سقف) الغرفة العلوية ، ويثبت أنبوب التصريف، ويسيع السقف.. »[٦٢]،

وقد اشار احد النصوص المسمارية – وهو عقد استئجار بيت سكني، وتضمن الاتفاق اجرة البيت والمدة الزمنية – الى عملية صيانة البيت من قبل المستأجروالاتفاق على استقطاع نفقات الصيانة من الايجار، وتشمل هذه الصيانة الجدران والابواب وكذلك السقوف «...سيقوم (المستأجر) بربط السقف وتقوية السوف التي تعاني من الرطوبة ... »[٦٣]، وفي نص اخر «... هو سوف يصلح السقف ويصلح الرطوبة (في الجدار).. »[٦٤]، وفي نص ثالث «...سيقوم (المستأجر) بإعادة بناء سقف المنزل المستأجر.. »[٦٥]، كما ان بعض النصوص القانونية اشارت الى عملية صيانة السقف من قبل المستأجر طالما بقي هو في البيت «...طالما يعيش المستأجر في المنزل هو سوف (يعيد) بناء سقف المنزل..»[٦٦]، ولا تقتصر صيانة السقوف على الغرف والقاعات فقط بل شملت ايضا الاروقة المسقفة كما اشار الى ذلك احد النصوص «...سيقوم (المستأجر) بإزالة الشرفة القديمة وسيقوم (من جديد) بتسقيف الرواق المدمر...»[٦٧]، وقد تكون الصيانة لكل السكن من اساسه الى سقفه «... سوف يصونه بالترتيب من السقف إلى الأساس... »[٦٨] .

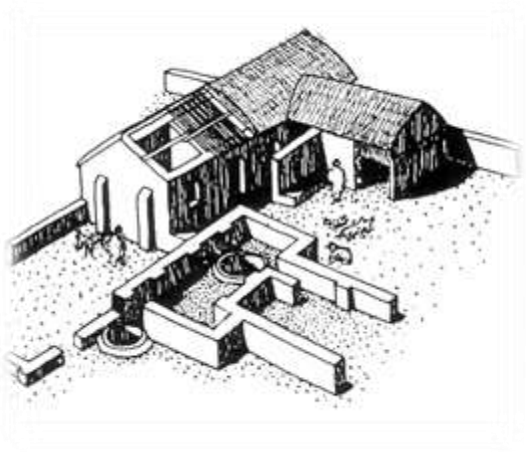
وفي الختام ، فلا بد من القول ان الأدلة الاثارية حول سقوف مباني بلاد الرافدين القديمة كانت قليلة ومحدودة ، وعلى وجه الخصوص السقوف التي استعملت الاخشاب او اغصان الاشجار وحصر القصب في تسقيفها ، لانها قابلة للتلف والاندثار اذا ما تعرضت لظروف مناخية او تراكم عليها التراب زمنا طويلا ، اما السقوف التي استعمل الآجر بتسقيفها – على قلتها – فقد ساعدت المنقبين على معرفة شكل السقف ومادة بنائه لبقائها ، كما في بعض قبور المقبرة الملكية او قبر شولكي او القبور التي عثر عليها وولي تحت ارضيات بعض البيوت السكنية ، او بعض المباني الآشورية .

على العموم ، فان ما تم اكتشافه من سقوف ، كما ذكرنا ، واستنادا الى بعض آراء المنقبين في ضوء بعض الدلائل ، فان السقوف كانت على ثلاث انواع : السقف الجملوني ، والسقف المقبب – سواء كان نصف دائري او مخروطي كما في سقوف مباني الثولوس– ، والسقف المستقيم ، وهو اكثر السقوف استعمالا في المباني في جنوب ووسط بلاد الرافدين .

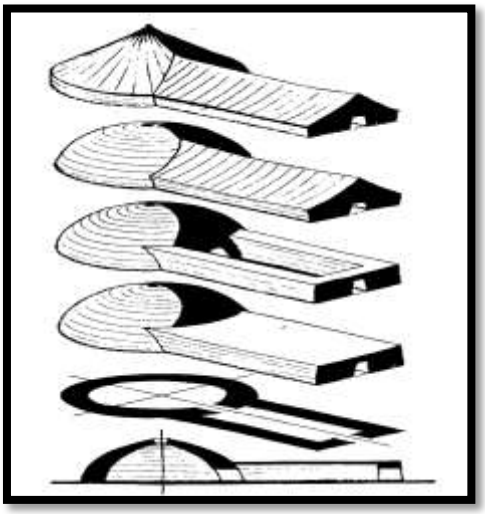
ومن الجدير بالإشارة ان النصوص المسمارية قدمت ادلة كتابية على سقوف المباني وانواع الاخشاب التي كانت تستعمل في تسقيفها ، وحرص الملوك على اختيار افضل انواع الاخشاب لتسقيف قصورهم ومعابد الالهة .

اما سقوف بيوت القصب (الصرايف) ، فمن المؤسف له ان المنقبين لم يعثروا على بقايا لاي بيت قصبي، وان معرفتنا من وجودها في بيئة بلاد الرافدين جاءت من خلال مشاهد الاختام الاسطوانية ، ولا نعتقد ان تسقيف بيوت القصب سابقا يختلف عن تسقيف الصرايف حاليا، بسبب التشابه الكبير في اشكالها ، واستعمال مادة التسقيف ذاتها .

الأشكال والصور:



(شكل ١) رسم تخيلي للبيت السكني في حسونة ذي السقف الجملوني
د. وليد الجادر ، العمارة حتى عصر فجر السلالات ، حضارة العراق، ج٣، بغداد ١٩٨٥،٨١



(شكل ٢) نماذج بيوت الثولوي، و يتضمن جميع الآراء حول شكلها الأصلي
سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين ، ت: د. سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨٠ ، ص٨٥



(صورة ٣) بقايا السلم المبني من الآجر في احد البيوت السكنية في اور

Dr. Mohammed K. Rokan, Plans and Architecture of Residential Houses in Mesopotamia, Logvino 2018, P. 33.



(شكل ٤) صورة تخيلية للبيت ذي الطابقين في اور

وولي، ليونارد، وادي الرافدين مهد الحضارة ، ت: احمد عبد الباقي، بغداد ١٩٤٨ .



(صورة ٥) بعض قبور المقبرة الملكية ، ويتضح فيها انواع السقوف التي كانت معقودة على شكل جملون وعقود أخرى نصف دائرية .

WOOIIEY, L. , UR ECXAVATIONS , V.2 , THE ROYAL CEMETERY, NEW YORK 1934.



(صورة ٦) احد القبور المعقودة على شكل الجملون تحت ارضية احد بيوت اور



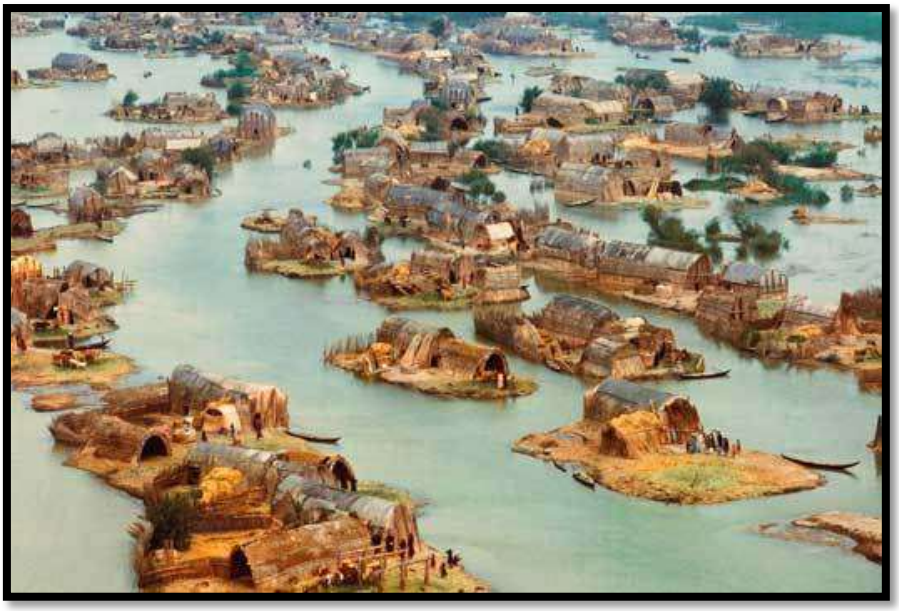
(صورة ٧) سقف مدخل قبر الملك شولكي

سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين ، ت: د. سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨٠ ، ص٨٥



(شكل ٨) طبعة ختم اسطواني من عصر الوركاء لمشهد ابقار وبيت من القصب

فرج بصمه جي ، الاختام الاسطوانية في المتحف العراقي (اوروك وجمدة نصر) منشورات نابو ١٩٩٤، ص٥٢



(صورة ٩) بيوت القصب (الصرايف) في اهوار العراق



(صورة ١٠) بناء الصريفة حاليا في جنوب العراق ، والصورة توضح عملية ثني حزم القصب لتشكيل الهيكل

الهوامش :

1. Kozlowski, S. K. Nemrik, an A ceramic Village in Northern Iraq .Warsaw 2000.P.36.

2. Braidwood, R. .Excavations in Iraq Kurdistan .Chicago 1960.P.42-43

[٣] . سفر، فؤاد ، حفريات تل حسونة. سومر، ع ٢، ج ١ ، بغداد ١٩٤٥ ، ص،٣٤-٣٦.

[٤] . الجادر، وليد، العمارة من عصر فجر السلالات (حضارة العراق)، ج٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ص ٨٢.

5. Merpert, N. Y. The archaeological research in the Sinjar valley,Sumer1971. Vol. 27, № 1.p.13.

6. Kirkbride, D. Umm Dabaghiyah1972 : a Second preliminary Report. Iraq(1973). Vol. 35, № 1.p.3.

7. Mallawan, M. E.. Excavations at Tall Arpachiyah. Iraq L (1935). Vol. 2, № 1.P.27-29.

8. Ibid

9. Tobler, A. J. , Excavation at Tabe Gawra , Uni. Of Pennssylvania Press (1951), Vol. 2, P. 43.

10. Ibid

11. Dr. Rokan, Mohammed k., Plans and Architecture of Residential Houses in Mesopotamia, Logvino 2018, P. 33.

[١٢] . حنون ، نائل ، المدافن والمعابد ، ج١ (المدافن وشعائرها)، دمشق ٢٠٠٦ ، ص ١٤٦ ، ١٤٨.

[١٣]. لويد ، سيتون، آثار بلاد الرافدين ، ت: سامي سعيد الأحمد ، بغداد ١٩٨٠ ، ص١٨١.

14. Mallowan. M. E.L. The excavations at Nimrud (KALHU).IRAQ,1957,vol: 19. P. 15.

15. Mallowan . M. E .L., OP . Cit , p . 15 – 16.

[١٦] . الراوي ، د. فاروق ناصر، دراسة في تسقيف العمائر العراقية القديمة، التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤ ، بغداد ١٩٩٠ ، ص٥٠.

[١٧] . يفترض الا يكون عرض القاعة او الغرفة اكثر من ٤ أمتار، وفي حال كان اعرض من ذلك عندها يجب وضع دعامات وسطية تمتد مع طول القاعة لتحمل الجسور الخشبية المتقابلة، ولكن غالبا نجد قاعات القصور الملكية في جنوب بلاد الرافدين وشماله لا يتجاوز عرضها أربعة أمتار، لتكون ملائمة الى أطوال جذوع النخيل او الأخشاب ، وليكون السقف قويا.

[١٨] . عبو ، عادل نجم.الصيانة واساليب التسقيف في بوابة – أدد الآشورية. سومر (١٩٧٥)،ع ١ ، ص١٦١.

19. Lyon,D.G.,Keilschrifttextesargon's,königs von assyrien(722-705v. chr), Leipzig (1883),24:30.(= Lyon sar)

20. TCL 3 211; CAD,G,P.145:b

21. CAD,Ṣ,P.108:b

* كتب الباحث الترجمة العربي للنص المسماري في متن البحث مع الإشارة الى المصدر الذي ورد فيه النص المسماري ، كما انه استشهد بجزء من النص للإشارة الى موضوع بحثنا ، لذلك وضع الاقتباس بين قوسين ونقاط قبل الجزء المقتبس وبعده .

[22]. Haupt, P., Akkadische und summerischekeilschrifttexte, Leipzig(1992).(=ASKT). P. 130:67 f

[23]. CAD, T,P.284:a ;TCL,3,185

[24]. CAD,Ṣ,P.239:a

[25]. CAD,Ṣ,P.241:b

[26]. CAD,R,P.404:b;Ranke,H, The old Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania, Series A:Cuneiform Texts, Philadelphia (1906).(=BE,6/1),105:1

[27]. CAD,R,P.404:b.

[28]. CAD,M/2,P.103:a.

[29]. CAD,G,P.144:b.

[30]. CAD,Ḫ,P.36:b.

[31]. Smith, s., cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum,London,1923,(= CT, 37), 8 i 47, cf., CAD,R,P.61:a.

[32]. CAD, U/W,P.212:b.

[33]. Clay, A.T , Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection , Oxford(1915).(YOS,1), 44 ii 10f. ;CAD,A/1,P.478:b.

[34]. King, L. W, Cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum,London,1910,(=CT 29), ll,a:13 and 17

[35]. CAD,P,P.423:b.

[36]. CAD,A/2,P.198:b.

[37]. Lutz ,H.F ,Sumerian and Babylonian Texts, Philad – elphia(1919), (=PBS,1/2), 44:5

[38].CAD, Š/2,P.408:b .

[39]. Birot, M .,Tablettes Économiques et Administrative D'époque, 22:5.

[40]. الراوي ، مصدر سابق ، ص ٥١.

[41]. Luckenbill, D. D. Ancient records of Assyrian and babylonia,Chicago,1926. «=ARAB,1), P.16

[42]. VAB 4 256 ii 3,;CAD,A/1,P.487:b

[43]. KAH 1 2 ii 14 ;CAD,E,P.276:a

[44]. VAB 4 230 I 24 ;CAD,B,P.18:b

[45]. VAB 4 256 ii 5 ; CAD,Q,P.275:a

[46]. VAB 4 158 A vi 45 ;CAD,A/1,P.450:b

[47]. CAD,B,P.327:a

[48]. CAD,B,P.327:a; TCL 3 211

[49]. Lie,G.,The inscriptions of Sargon II, king of Assyria. Part I: The Annals,geuthner,1929. «= Lie Sar), 76 :16.

[50]. VAB 4 230 i 22 ; CAD,E,P.276:a

[51]. OIP 2 132:69 . CAD,k,P.273:a

[52]. Borger Esarh. 87:22; CAD,N,P.173:b

[53] . TCL 3, + KAH 2141:218 ; CAD,N/2,P.7:b

[54]. VAB 4 126 iii 43 ; CAD,Ṣ, ,P.242:b

[55]. VAB 4 158 A vi 46 ;CAD,B,P.19:b

[56]. VAB 4 126 iii 30 ; CAD, Š/3,P.94:a

[57]. CAD,D,P.106:a; OIP 2 133:84

[58]. Keilschrifttexteaus Assur JuristischenInhalts ,German,1927. «=KAJ), 192:18; CAD,M/2,P.218:a

[59]. CAD,A/2,P.119:b

[60]. CAD, Š/2,P.206:b

[61]. CAD,k,P.164:a

[62]. CAD,R,P.403:a.

[63]. Chiera, E. Old Babylonian Contracts, Philadelphia (1922).(=PBS,8/2),218:10 ; CAD,s,P.228:a

[64]. CAD,A/1,P.350:b

[65]. Chiera, E. Legal and Administrative Documents from Nippur, Chiefly from the Dynasties of ISIN and LARSA, Philadelphia (1914)(= PBS 8/1),
102. CAD, E, P.199:b

[66]. Landesberger, B., Die Serieanaittišu, Roma (1937).(=Ai),IV iv 10.;CAD,B,84:b.

[67]. CAD, Ṣ,P.239:a

[68]. Legrain,L.,Historical fragments,philadelphia,1922.(=PBS,13), 53: 9 . CAD, u,P.307:b

المصادر العربية:

١. الجادر، د. وليد، العمارة من عصر فجر السلالات (حضارة العراق)، ج٣ ، بغداد ، ١٩٨٥

٢. الراوي ، د. فاروق ناصر، دراسة في تسقيف العمائر العراقية القديمة، التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤، بغداد ١٩٩٠.

٣. حنون ، د. نائل ، المدافن والمعابد ، ج١ (المدافن وشعائرها)، دمشق ٢٠٠٦.

٤. لويد ، سيتون، آثار بلاد الرافدين ، ت: سامي سعيد الأحمد ، بغداد ١٩٨٠.

٥. سفر، فؤاد ، حفريات تل حسونة، سومر، ع٢، ج١، بغداد ١٩٤٥.

٦. عبو ، عادل نجم.الصيانة وأساليب التسقيف في بوابة – أدد الآشورية، سومر، ع١، بغداد ١٩٧٥.

٧. وولي، ليونارد، وادي الرافدين مهد الحضارة ، ت: احمد عبد الباقي، بغداد ١٩٤٨ .

المصادر الأجنبية :

1. Birot, M .,Tablettes Économiques et Administrative D'époque.
2. Braidwood, R. .Excavations in Iraq Kurdistan .Chicago 1960.
3. Chiera, E. Legal and Administrative Documents from Nippur, Chiefly from the Dynasties of ISIN and LARSA, Philadelphia (1914).
4. Chiera, E. Old Babylonian Contracts, Philadelphia (1922).
5. Clay, A.T , Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection , Oxford (1915).
6. Haupt, P., Akkadische und summerischekeilschrifttexte, Leipzig (1992).(= ASKT).
7. Keilschrifttexteaus Assur JuristischenInhalts ,German,1927.
8. King, L. W, Cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum, London,1910.
9. Kirkbride, D. Umm Dabaghiyah1972: a Second preliminary Report. IRAQ (1973), Vol. 35, № 1.
10. Kozlowski, S. K. Nemrik, an A ceramic Village in Northern Iraq .Warsaw 2000.

11. Landesberger, B., Die Serieanaittišu, Roma (1937).
12. Landsberger,B.,DieNeuBabylonischenKönigschriften, Leipzig (1912).(=VAB, Vol.4).
13. Legrain, L., Historical fragments,philadelphia,1922.
14. Lie,G., The inscriptions of Sargon II, king of Assyria. Part I: The Annals,geuthner,1929.
15. Luckenbill, D. D. Ancient records of Assyrian and babylonia, Chicago, 1926.
16. Lutz , H.F ,Sumerian and Babylonian Texts, Philad – elphia (1919).
17. Lyon, D. G., Keilschrifttextesargon's, königs von assyrien (722-705v. chr), Leipzig (1883),24:30.(= Lyon sar)
18. Mallawan, M. E.. Excavations at Tall Arpachiyah. IRAQ (1935), Vol. 2, № 1.
19. Mallowan. M. E.L. The excavations at Nimrud (KALHU). IRAQ (1957),vol 19.
20. Merpert, N. Y. The archaeological research in the Sinjar valley, SUMER (1971). Vol. 27, № 1.
21. Messerschmidt,L., Keilschrifttexteaus Assur historischenInhalts,Part1,Toronto,1911.(=KAH).
22. Ranke, H, The old Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania, Series A: Cuneiform Texts, Philadelphia (1906).
23. Rokan, Mohammed K., Plans and Architecture of Residential Houses in Mesopotamia, Logvino 2018.
24. Smith, s., cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum, London,1923.
25. Tobler, A. J. , Excavation at Tabe Gawra , Uni. Of Pennssylvania Press (1951), Vol. 2, P. 43.

26. The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of The University of Chicago. (CAD).
27. Thurau-Dangin,F, une relation de la huitieme champagne de sargon,paris (1912).(=TCL,3),370.

" علاقة السوتيين مع الملك زمري ليم

(١٧٨٢ – ١٧٦٠ ق.م)"

سوزان سليم سهيل التميمي

أ.م شيماء صلاح احمد

جامعة بغداد -كلية الأداب – قسم الآثار

" علاقة السوتيين مع الملك زمري ليم (١٧٨٢ – ١٧٦٠ ق.م)"

سوزان سليم سهيل التميمي
أ.م شيماء صلاح احمد

المقدمة

أقوام السوتو من الاقوام السامية الغربية ذات طابع بدوي كانت على ترحال دائم تجوب الصحراء السورية ، و قد ظهر البعض من هذه الاقوام على شكل عصابات و قاطعي طرق و مرتزقة في الجيش و قد أمتهنوا تجارة الرقيق (العبيد) ، لذا فأن البعض منهم و ليس جميع العشائر السوتية فقد كانوا من الاقوام البدو الرحل المنبوذة التي شكلت خطر على الاقوام المستقرة سواء في بلاد الرافدين أو في بلاد الشام (سوريا ، فلسطين) أو الاراضي الكنعانية (الاردن) ، أذ أن هذه الاقوام لم تترك لنا شاهد حضاري أو أثر تذكر فيه لكنها تركت بصمة في كل منطقة تدخل أليها و هي التدمير و القتل و السلب و النهب و الاغارة على المدن المستقرة و اضمار النار فيها ، كان سبب ترحالها هو البحث عن الطعام و الماء لا لغرض تسنم السلطة أو أعتلاء عرش الحكم عن طريق أسقاط حاكم المنطقة التي تغزوها لذا فان هدفها من التدمير و القتل هو من دافع الهمجية و البحث عن الطعام و الاموال.

"The relationship of the Sutians with King Zimri- Lim (1782 - 1760 BC)"

Suzan Salim Suhail Al- Tamimi
Asist. Shaimaa Salah Ahmed

Abstract

The Soto people of the western Semitic peoples of nomadic nature were on permanent journeys wandering through the Syrian desert. Some of these people appeared in the form of gangs, road cutters and mercenaries in the army. They practiced the slave trade, so some of them, not all of them The nomadic tribes were nomadic nomadic people who posed a threat to settled populations in Mesopotamia, the Levant (Syria, Palestine) or the Canaanite lands (Jordan), since these people did not leave us with a civilization or

trace, I left a fingerprint in every area I enter, namely destruction, killing and looting And the looting and raiding on the stable cities and the destruction of fire in them, was the reason for travel is to search for food and water, not for the purpose of gaining power or ascend to the throne of power by overthrowing the governor of the area that invades it so its purpose of destruction and murder is the motive of barbarity and search for Food and money.

علاقة السوتيين مع الملك زمري ليم (١٧٨٢ – ١٧٦٠ ق.م):

كان لقبائل السوتو دوراً فاعلاً في تاريخ مدينة ماري فقد أشارت بعض النصوص الكتابية من ارشيف ماري الى النهب و الغارات التي قامت بها هذه القبائل و البعض الاخر منها تبين لنا الهزائم التي عانت منها كثيراً[١] ، و بعد ان اعتلى الملك زمري ليم (١٧٨٢ – ١٧٦٠ ق.م) عرش ماري ، فقد تميز هذا الملك[٢] بشخصية دبلوماسية قوية وسياسية ، قام بتوطيد علاقاته الداخلية خاصة مع البدو بعد ان قام بالتفاوض معهم بشكل دبلوماسي ، فقد عقد علاقات مع القبائل شبه المستقرة التي كانت تسكن حول مدينة ماري بما فيهم السوتيون[٣]، نجح هذا الحاكم على اخضاعهم تحت سيادته ، فكسب بذلك امن البلاد ، و قام بقمع كل حركات التمرد ، كما وضع حد لآعمال النهب والغارات التي اجموا بها مدينة ماري و المناطق التابعة لها[٤]، فمن هذا المنطلق يفسر العالم الفرنسي كوبير Kupper هجرة البدو الرحل ، فأنه لم يصفها مثل سلسلة من المد و الجزر بل وصفها كأستمرارية لتدفق جريان النهر الذين يمكن أحتواءه عن طريق أنشاء سد امامه ، المعنى من ذلك أنه أذا كانت الدولة و قيادتها قوية فانها قادرة على أيقاف ذلك التدفق أما أذا كانت ضعيفة فأن هذه المياه ستفيض و لا يمكن السيطرة عليها[٥]، و من خلال النصوص الكتابية المكتشفة في قصر ماري (سجلات ماري) ، فقد وردتنا عدة تقارير تذكر بها أخبار عن السوتيون ، كانت بمثابة تنبيه للسلطة المركزية في ماري لآخذ الحيطة و الحذر من الهجمات و الاغارات السوتية في المنطقة ، فقد أشارت احدى الرسائل التي ارسلت من باخديليم (baḫdi-Lim) حاكم قصر ماري الى الملك زمريليم و التي تحتوي على انباء قلقة ، و قد أثيرت هذه الرسالة بفضل تنبيه من السوتيون ، لذا عمد الملك زمري– ليم على ان يعد فرقة من الجيش لآغارة جديدة[٦]، و قد أقتبسنا بعض الاسطر من هذه الرسالة :

[A-na be-lî -ia]
[qi - bi - ma]
[um-ma ba-aḫ]-di-Li-im
[warad]-ka-a - ma
aš-šum ṭe$_4$-em (awîl)[S]u-ti-i(meš)
ša am- ša-lim Me-er-ḫu-um iš-pu-ra-am
a-na ṭe$_4$-mi-im ša-a-tu la-ma-di-im
aš-pu-ur-ma ú Me-er-ḫu-um
ki-a-am iš-pu-ra-am um-ma-a-mi
1 (awîl)Su-tu-ú ša pa-na-nu-um
[i]-nu-ma a-na warḫim X(?) awîlu(meš) S[u]-tu-ú
[immerâtim(ḫ]á) i-ša-ḫi-ṭú il-li-kam-ma
še-pi ik-bu-sú i-na-an-na u$_4$-ma
il-li-kam-ma ki-a-am ki-a-am iq-bi-em
um-ma-a-mi 30 (awîl)Su-tu-ú
ša immerâti(ḫá)-šu-nu ú-ša-am-qí-tu
a-na ša-ḫa-ṭì-im uk-t[a]-a[ṣ]-ṣí-ra-am
ú i-na-an-na pa-ḫa-rum-ma i-pa-aḫ-ḫu-ur
an-ni-tam awîlum šu-ú iq-bi-em-ma(7)

"الى سيدي ، قل هذا: هكذا يقول ، باخدي – ليم ، عبدك، حول الأخبار سوتيه ، أن مارخوم أرسلني أمس ، لمعرفة هذه الاخبار ، ثم كتبت الى مارخوم ، على النحو التالي: سوتيون الذين جاءوا قبل فترة طويلة ، في وقت اكتمال القمر أي (في منتصف الشهر الماضي)، كانوا يخططون لمداهمة الأغنام وانا في مسيرتي ، جاء رجل وتحدث معي عن موعدهم : ثلاثون سوتي ، الذين ذُبحت خرافهم ، أعدوا لغارة والآن هم يجتمعون، هذا ما أخبرني به هذا الرجل "(٨)

وقد يتوضح لنا من مضمون الرسالة انه كان هناك جواسيس بين صفوف السوتيون ، يقومون بنقل الاخبار و الاتفاقات التي تبرم بين روؤساء السوتيين ، من اجل الاغارة على اي مكان أو مدينة ، و بذلك فان السلطة المركزية في مدينة ماري ، كانت بالرغم من علاقتها الحسنة معهم ألا انها تأخذ الحيطة و الحذر منهم ، لذلك قام الملك زمري– ليم

بأعداد فرقة من قواته كانت على أستعداد تام لصد اية هجمة من الهجمات السوتية التي سوف تكون في أي لحظة يقومون بها.

وتذكر أحدى سنوات حكم الملك زمريليم لم يتم تحديدها من النص ربما تكون في بداية تسنمه لعرش ماري او بعد ذلك ببضعة سنوات ، انه عقد معاهدة تحالف مع أيبال بيل الثاني[٩] حاكم أشنونا لغرض أرسال فرقة لمساعدة أشمي داكان[١٠] لآنقاذه و أنقاذ مملكته من الهلاك[١١] ، و في هذا التحالف تم ذكر السوتيون على انهم تحالفوا مع جيش زمريليم ، أذ ظهروا كمرتزقة ، كما موضح لنا في الاسطر التالية:

6 li-im ṣa-bu-um ša [
it-ti ṣa-bi-im ša-tu[a-na iš-me-^{d}da-gan]
šu-zu-bi-im i-li-la-ku-nim[
su-ti-a-am i-na su-hi-im
eš-me-ma a-na zi-im ṭe$_4$-m[i-im an-n]i-i-im a-na gal mar-tu
ìr-di-ia ša i-na a-ah i$_7$ [buranun-n]a ha-al-ṣa-am
ša-a-tu ú-ka-al-lu [a-na ṣa-bi-i]m ša-a-tu
da-ki-im ù ^{I}iš-me-^{d}d[a-gan la šu-z]u-bi-im[12]

" قوات من ٦٠٠٠ رجل [...] ، يجب أن تذهب مع هذه القوات لإنقاذ أشمي – داكان ، علمت ان [...] سوتيين [...] في سوخو ، و قد كتبت على ضوء هذا الخبر فقط ، بشكل عام ، عبدي، الذي يحكم هذه المنطقة عند ضفاف الفرات، ارسلته للتغلب على هذه [القوات] و لإنقاذ أشمي – داكان "[١٣].

من هذه الاسطر نستنتج أن السوتيون بقوا حلفاءً مخلصين حتى النهاية للحاكم زمري– ليم لذا أنهم عمدوا على امتثال أوامره و الذهاب الى انقاذ أشمي دكان من أيدي القوات المعادية.

هناك تقرير مرسل الى الملك زمريليم حول اخبار السوتيون ، كان مضمونه هو ان السوتيون يحاولون نهب السكان ، حتى قام الجنود بأيقافهم و أعتقالهم بعدد ٣٠ سوتياً ، كما و عاقبوا البقية بأن يخرجوا عراة دون ملابس ، هذه بعض الاسطر من التقرير :

" .... السوتيون الذين كانوا ينون الاستعداد الى للنهب ، حول ذلك كتبت لك سيدي ، قد عبرت أكادي ، أوقفت النهب و أنهم سيعيدون ، ميساروم و خاديدوم ، و ٣٠ سوتياً ، و سوف يخرج البقية منهم بدون ملابس عرات تماماً .... "[١٤]

[lú su-tu-]u Ša a-na Ša-ha-ṭì-im
[sa-ak-nu] Ša i-na pa-ni-tim a-na be-lí-ia
[aš-pu-ra-am] i-na a-ga-de^{ki} i-bi-ru
[ ] [x x x i]š-hi-ṭú-ma
[šu$^{?}$-n]u$^{?}$-ma iṭ-bu-[ú]
me-sa-ra-am ha-di-da-am
ú 30 lú su-ti-i it-ti-šu-nu
ut-te-er-ru ša-pí-il-ta-šu-nu
ba-lum ṣú-ba-tim e-ri-ši-šu-nu-ma
[i]t-ta-ṣú-ú(15)

نستشف من هذه الاسطر من النص ، أنه بالرغم من أن هناك علاقات الجيدة ما بين السلطة المركزية في ماري والقبائل السوتية ، لابد من ان تكون هناك علاقات متعارضة في كثير من الأحيان ، ولكنها لا تنحصر فقط في المحاولات المستمرة بالغارات من قبل هذه القبائل، لذا أحيانًا يتم قمعها كما و نلاحظ هناك اعمال أنتقامية استخدمت عند قمع هذه الغارات السوتية

وفي حوالي عام ١٧٥٠ ق.م قامت عصابة مكونة من ٦٠ سوتياً ، بمهاجمة الواحات في مدينة تدمر و مدينة ناشالا ، و قد بُذلت السلطة المركزية في ماري جهوداً كبيرة للسيطرة على هذه القبائل الرحل الموجودة على يسار و يمين نهر الفرات و من ضمنهم السوتيون(١٦)، هذا ماتوضحه لنا هذه الاسطر من النص :

1 šu-ši (awîl)Su-tu-um ki-ir-rum
ša-ni-t[um a-n]a Ta-ad-mé-er (ki)
ù Na-ša-la-a (ki)
ša-ḫa-ṭim il-[l]i-ku-ma
re-qú-su-nu-ma i-tu-ru-nim
ú 1 awîlam i-na Su-te-i Ta-ad-[mé-ra-yi(ki)]
i-du-ku
ṭe$_4$-mu-um an-nu-um ša Su-te-em
il-li-kam-ma a-na be-li-ia
aš-pu-[r]a-am(17)

"٦٠ سوتي، قاموا بتشكيل فرقة أخرى ، للاغارة على تدمر ونشالا ، لكنهم عادوا خائبين ، وقد تمكن التدمريين من قتل رجل من السوتيون ، هذه الأخبار التي تتعلق بالسوتيون ، وصلت الى هنا وأنا أرسلتها ، الى سيدي "[١٨]

مضمون النص هو عبارة عن تقرير أرسل من قبل تاريمأشكيم الى سيده يسمح ادد حاكم ماري يتكلم به عن تصرفات البدو السوتو الذين سعوا الى منطقة تدمر وناشالا ، حيث انهم عادوا خائبين لم تنجح خططهم ، كما و قد قام التدمريين من قتل واحداً من السوتيين .

وبالرغم مما أثاروه السوتيون من أضطرابات و تمردات وغارات هجومية ، ألا أن زمريليم أعتبرهم من مواطني مملكة ماري ، هذا ما أكده الخطاب الذي كان بين الملك البابلي حمورابي و باخدي – ليم مسؤول قصر ماري ، عندما أراد أسترجاع جماعة من السوتيون الذين أرسلهم كمرتزقة من ضمن الكتيبة البابلية للمساعدة زمريليم ، و الذي سوف نتكلم عنه لاحقاً فرفض زمري – ليم ارجاعهم لانه يعتبرهم من ضمن سكان ماري او يعتبر ان المنطقة التي كانوا يتواجدون بها كانت من ضمن نطاق حدود المملكة[١٩].

الهوامش

(1) Daniel C. Snell , A Companion To The Ancient Near East, Australia, Blackwell publishing, 2005, p.135.

(٢) زمريليم (١٧٨٢ – ١٧٦٠ ق.م): و هو أحد ملوك مدينة ماري ، أعتلى العرش بعد طرده ليسمح ادد الاشوري ، كان ذو شخصية قوية و سياسي ماهر أضافة الى انه رجل حرب ، و تعتبر سنوات حكمه من أهم المراحل الحضارية التي مرت بها ماري أذ أتسعت نفوذها الى أقصى الحدود الخزرجي ، فراس هيثم ، زمري – ليم ملك ماري (١٧٦٠ – ١٧٨٢ ق.م) دراسة في الجوانب السياسية و الثقافية ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، بغداد ، ٢٠١٦ ، ص٨٥.

(٣) الخزرجي ، المصدر نفسه، ص ٨٦

(٤) محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري و ما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي ١٨٢٠ – ١٧٦٠ ق.م) ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٥٠.

(5) Daniel C. Snell, Op. Cit,p.138.

(6) Jean Robert Kupper , Op. Cit, p. 83-145.

(7) ARM6 ,58.
(8) Jean Robert Kupper,Op. Cit, p. 83-145.
(٩) أيبال بيل الثاني IBÂL-PÎ-EL II (١٧٨٥ – ١٧٧٣ ق.م) و هو احد حكام مملكة أشنونا و الذي قاد حملة في السنة العاشرة من حكمه نحو الغرب و قد تمكن فيها من بسط نفوذه على المدن التابعة لمملكة ماري
جاسم شهد وهد ، الصلات السياسية بين ممالك العراق في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٥ ق.م) ، رسالة ماجستير اداب في التاريخ القديم ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٦ ، ص ١٧٧
(١٠) أشمي – داكان : و هو أبن الملك الاشوري شمشي – أدد الاول الذي عينه كنائب عنه في مدينة أكلاتم الواقعة على شرق دجلة و بعد وفاة والده أعتلى العرش و أصبح ملكاً على بلاد أشور بأعتباره ولي العهد الاشوري
محمد عبد اللطيف محمد علي ،المصدر السابق ، ص٣٥.
(11) Dominique Charoin, Un Traité Entre Zimri-Lim de Mari Et IBÂL-PÎ-EL II D'EŠNUNNA, université de paris I, 1991,p.156.
(12)Dominique Charoin, Op. Cit,p156.
(13)Dominique Charoin,Ibid , 1991,p156.
(14) ARM 26/2 ,482 [A.40211] , p.418.
(15) ARM 26/2 ,482 [A.40211] , p.418.
(16) Michael Sommer, Op. Cit ,p.24.
(17) ARM 5 ,23.
(18) Michael Sommer, Ibid ,p.24
(١٩) محمد عبد اللطيف محمد علي ، المصدر السابق ، ص٦٠.

المصادر والمراجع

١. الخزرجي ، فراس هيثم ، زمري – ليم ملك ماري (١٧٦٠ – ١٧٨٢ ق.م) دراسة في الجوانب السياسية و الثقافية ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، بغداد ، ٢٠١٦.
٢. محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري و ما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي ١٨٢٠ – ١٧٦٠ ق.م) ، الاسكندرية ، ١٩٨٥.
٣. جاسم شهد وهد ، الصلات السياسية بين ممالك العراق في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٥ ق.م) ، رسالة ماجستير اداب في التاريخ القديم ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٦.

4. Daniel C. Snell , A Companion To The Ancient Near East, Australia, Blackwell publishing, 2005.
5. Jean – Robert Kupper, les Nomades de Mésopotamie au Temps des rois de Mari, paris , 1957 .
6. Dominique Charoin, Un Traité Entre Zimri-Lim de Mari Et IBÂL-PÎ-EL II D'EŠNUNNA, université de paris I, 1991.
7. Michael Sommer, " Palmyra A History " , cities of the ancient world, Routledge; 1 edition (November 22, 2017).

العلاقات العراقية مع دولتي الجوار (تركيا وايران) في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف (نيسان ١٩٦٦-تموز ١٩٦٨)

أ.م.انوار ناصر حسن
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات

العلاقات العراقية مع دولتي الجوار (تركيا وايران) في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف (نيسان ١٩٦٦-تموز ١٩٦٨)

أ.م.انوار ناصر حسن

المقدمة

برزت اهمية العلاقات العراقية مع دول الجوار المتمثلة بتركيا وايران بكونها ذات ابعاد متداخلة نتيجة خضوع العراق لحقب تاريخية طويلة تحت السيطرة الفارسية والعثمانية ومالذلك الاحتلال من اثرو تاثير مباشر في تاريخ العراق السياسي.

وعلى اثر ذلك، تحكم العلاقات القائمة بين العراق وتركيا وايران جملة عوامل واسس تاريخية واقتصادية ودينية وثقافية نابعة من مواريث دينية بقيت حتى الى مابعد الاستقلال التام والحرب العالمية الاولى والثانية، اذ لم يعد لتلك الدول بعد تلك الاحداث الدولية الا ان تقيم علاقات حسن الجوار واحترام السيادة وتوجهات الدول الاخرى.

وعلى الرغم من وجود تلك الثوابت، الا ان هناك تشابكاً كبيراً في المشكلات الخاصة مع الدول المجاورة لاسيما المشكلات الحدودية ومشكلة الاقليات وغيرها من المعرقلات الاقليمية التي حالت دون استقرار الوضع بين تلك الدول المجاورة.

لقد تضمنت الدراسة الموسومة (العلاقات العراقية مع دولتي الجوار تركيا وايران في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف ١٩٦٦-١٩٦٨ مقدمة ومباحث ثلاثة وخاتمة.

تناول المبحث الاول واقع العلاقات بعد انقلاب الثامن من تشرين الثاني ١٩٦٣ واثر ذلك في السياسة الخارجية للعراق.

وتطرق المبحث الثاني لطبيعة العلاقات العراقية مع دولتي الجوار في عهد عبد الرحمن عارف عند توليه السلطة.

وتطرق المبحث الثالث الى سياسة عبد الرحمن عارف تجاه تعزيز العلاقات الايرانية التركية وسبل تطورها.

Relations Iraqi with Neigh boring countries (Turkey and Iran) under the reign of President Abdul Rahman Aref (April 1966-July 1968)

A.M. Anwar Naser Hassan

Conclusion

During the regime of Abdul-Rahman Arif, the government worked on reinforcing the role of Iraq by strengthening the ties with the Arab states as well as with neighbring countries represented especially by Turkey and Iran.

The strategic triangular represented by Iraq, Turkey, and Iran is an essential center to the Arab and foreign countries throughout a line starting from Afghanistan. Iraq, Syria, and Lebanon and ending to the Mediterranean Sea and the western European countries. Because of this, Iraqi government during the regime of Abdul-Rahman Arif realized that the guarantee of the national security of Iraq is achieved by containing and understanding the demands of the neighboring countries especially Turkey and Iran had a long history with these two countries and always had concern, distrust, and caution from the interests showed by them.

The policy of good neighboring adopted by Abdul-Rahman Arif with Turkey and Iran was a key element of the political stabilization and support for his ruling regime.

The conflicts occurred between these countries and Iraq proved the loss of the international balance to the country and creation of tension and thus created huge interests to the great western countries which have been planning to create unsettlement and disorder specifically in that region.

Consequently, the relative stabilization with the neighboring countries leads to the benefit of the shared interests to the three countries altogether, the reinforcement of economic development, increasing the level of the exchange, as well as strengthening the political and cultural relationships and the regional integration between the countries of the region

المبحث الاول

اوضاع العلاقات بعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣

لم تحظ حركة الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣ مثل غيرها من التغيرات والحركات والانتفاضات التي قادها الجيش العراقي بالاحاطة الكاملة عن حقائقها، فقد عدها البعض حركة تصحيحية ضرورية لانهاء حالة الفوضى، واخرون ممن كانو جزءاً من سلطة عدوها انقلاباً او ردة تشرين السوداء حسب راي معارضيها البعثيين[١] ، والتي قام بها رئيس الجمهورية العراقية عبد السلام محمد عارف[٢] لاقصاء حكام حزب البعث، اذ نجح بالتعاون مع شخصيات سياسية وضباط اعضاء في تنظيم الضباط الوطنيين او الاحرار لحركة ١٤ تموز ١٩٥٨[٣].

في ذلك الوقت وصلت حالة الحزب الى اقصى درجات التمزق والتناحر بعد ان عمت الفوضى ارجاء البلاد، وبلغ استياء ضباط الجيش الممسكين بالمراكز القيادية في الجهاز العسكري من تصرف القيادة البعثية مداه.

وتبعاً لذلك، قرر عبد السلام عارف بالتعاون مع تلك العناصر العسكرية توجيه ضربته القاضية لحكم البعث وانهاء سيطرتهم على مقدرات البلاد، فقد استغل عبد السلام تلك الظروف البالغة الصعوبة التي مر بها حزب البعث[٤] وبالتنسيق مع عدد من اولئك الضباط كان منهم.

١- عبد الرحمن عارف[٥]، شقيقه، قائد الفرقة الخامسة.
٢- الزعيم الركن عبد الكريم فرحان[٦]، قائد الفرقة الاولى.
٣- العقيد سعيد صليبي[٧]، آمر الانضباط العسكري.
٤- الزعيم الركن الطيار حردان التكريتي[٨]، قائد القوة الجوية.
٥- اللواء الركن طاهر يحيى[٩]، رئيس اركان الجيش.

الى جانب العديد من الضباط الاخرين ذوي الميول القومية وفي فجر يوم الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣ قامت طائرات عسكرية بقصف مقر القيادة العامة للحرس القومي في الاعظمية، ثم تقدمت الدبابات والمصفحات للاستيلاء على جميع المرافق العامة في بغداد، ومقرات الحرس القومي.

وحاول البعثيون مقاومة الانقلاب في بادئ الامر، الا ان الامر كان قد حسم في نهاية النهار، فلم يكن باستطاعة الحرس القومي وهو يحمل الاسلحة الخفيفة مقاومة الدبابات والمصفحات والصواريخ والطائرات.

وسارع افراد الحرس الى القاء سلاحهم والتخلص منه برميه في الحقول والمزارع بعد ان هددهم النظام العارفي الجديد انذاك او اخفائه واجرى الجيش مداهمات لدور افراد الحرس القومي بحثاً عن السلاح[١٠].

وجرى تنفيذ احكام الاعدام التي كانت قد اصدرتها المحاكم العرفية على عهد البعثيين. بعد تسلم عارف زمام الامور في البلاد فقد كان العداء للشيوعية هو الجامع الذي جمع البعثيين والقوميين دون استثناء، واستمرت المحاكم العرفية تطحن بالوطنيين طيلة عهد عارف[١١].

وبعد حركة الثامن عشر من تشرين الثاني واثناء حكم عبد السلام عارف، نظم عدداً من الاتفاقيات مع دول عدة لبناء العراق، فاعاد تفعيل خطط حملة اعمار العراق التي بدا بها الحكم الملكي بما يسمي بمجلس الاعمار بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي والمانيا التي لم تكتمل بسبب وفاقه[١٢].

وبتاريخ العاشر من نيسان ١٩٦٤ تمت المبادرة لحل شامل للقضية الكردية، فاصدر بياناً لوقف جميع العمليات العسكرية والشروع باجراءات لمنح الاكراد حقوقهم الثقافية الا ان التيارات الانفصالية داخل الحركة الكردية حالت دون اكمال التحقيق الحكم الذاتي للاكراد[١٣].

وفضلاً عن ذلك، كان لعارف فلسفة خاصة مبنية على مبادئ ثلاثة.

الاول//مبدأ التسامح السياسي واعطاء الفرص للاخرين ماخلا من ارتكب جرائماً واحيل للقضاء بسببها.

الثاني//ايمانه بالاشتراكية الاسلامية.

اما المبدا الثالث//ايمانه بالوحدة العربية المستندة على الوحدة الوطنية[١٤].

سياسة العراق الخارجية (تتضمن ماجاء في بيان الانقلاب).

اكد البيان على توثيق العلاقة مع الجارتين المسلمتين (تركيا وايران) بسبب روابط الدين والجوار التي تدفع الى ذلك لاسيما واقطار العالم الاسلامي عامة كما تحرص على توطيد علاقتنا بجميع الشعوب الاسيوية والافريقية على هدي ميثاق باندونغ[١٥].

فضلاً عن تمسك الحكومة بسيادة الحياد الايجابي وعدم الانحياز والتعامل مع الدول الصديقة على قدم المساواة على اساس التكافؤ في المنافع المتبادلة، والالتزام بميثاق الامم المتحدة ودعم منظماتها واجهزتها المختلفة وبذل جهودها لمكافحة الاستعمار والعمل على مساعدة الشعوب التي تناضل من اجل استقلالها، وهي تشجب التمييز العنصري وتعده استهانة لكرامة الانسان، ودعم المساعي الخيرة في سبيل نزع السلاح ونبذ الحروب وعدم اللجوء الى العنف في حل الخلافات الدولية وتبذل الجهود في سبيل التعايش السلمي[١٧].

الى جانب ذلك اكد الرئيس عبد السلام عارف من اثناء بيانه الذي اذاعه الى دعوة اخواننا الاكراد والتي استهدفت العفو والصفح لمن عاد منهم الى رشده لتعود الحياة الى طبيعتها ولتتاح الفرصة لاعمار الشمال ومشاركة اخواننا بالمساهمة في بناء الوطن والعمل لخيرة وصيانة استقلاله ووحدته الوطنية، وان يعم الصفاء والاخاء جميع الشعب دون تفرقة وتمييز[١٨].

وطالب الشعب العراقي بالالتفاف حول حكومته الوطنية للنهوض بهذه المهمات وختم البيان بالاية الكريمة "**ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وتأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**"[١٩].

العلاقات مع تركيا

حكم العلاقات القائمة بين العراق وتركيا حملة من العوامل والاسس التاريخية والاقتصادية والدينية والثقافية النابعة من مواريث دينية فضلاً عن العلاقة التاريخية فتركيا قد استعمرت الفرات لوقت طويل. وبعد تفكك الدولة التركية والاستيلاء على ممتلكاتها من الدول الاوربية وتحولها الى دولة منكفئة على داخلها لم يعد من الممكن لها ان تقيم علاقات حسن الجوار واحترام السيادة[٢٠].

وعندما قام انقلاب الثامن عشر من تشرين ١٩٦٣ العراق سارعت تركيا على الاعتراف به، الا انها كان لها موقف سلبي لميثاق (السابع عشر من نيسان ١٩٦٣)، والذي بين العراق وسوريا ومصر، وهو موقف بطبيعة الحال معاد لاي اتحاد عربي يقع على حدود تركيا الجنوبية.

وهذا ازم الموقف مع العراق لاعتقادها بان ذلك يشكل خطراً مباشراً على مصالحها[٢١].

واصلت تركيا مواقفها السلبية تجاه محاولات العرب الوحدوية ومحاولة اجهاضها، اذ دعت تركيا الى اجتماع طارئ للجنة العسكرية في الحلف عقد في استانبول في الثامن والعشرين من نيسان ١٩٦٣ حضرته وفود الحلف وتضمن رئيس هيئة قيادة القوات المشتركة الامريكية ورئيس هيئة الدفاع البريطانية ورؤساء قيادات القوات المشتركة في كل من تركيا وايران وباكستان[٢٢].

ولم يذع بشيء عما دار في اجتماعهم سوى الاعلان عن انهم بحثو ماسموه بـ (استراتيجية الدفاع الاقليمي في حالة وقوع عدوان اجنبي).

وهكذا عندما اكدت الاوساط السياسية في تركيا اخفاق الاقطار العربية الثلاثة (العراق، مصر، سوريا) في تحقيق الوحدة الاتحادية الثلاثية بين حالة الشك وعدم الثقة التي ظهرت عقب اعلان ميثاق نيسان ١٩٦٣.

عندئذأ بدت السلطات التركية ارتياحها لذلك التطور والذي يجعل تركيا قيم علاقات مع العراق القائمة على اساس تكوين علاقات ثنائية مع الاقطار العربية بما يتوافق وظروف كل دولة على حدة[٢٣].

كما شهد عام ١٩٦٥-١٩٦٦ عدداً من الاتصالات واللقاءات بين المسؤولين الاتراك والعرب ومنها العراق الذي قام بارسال العديد من الوفود الى تركيا، ولعل ابرزها تلك الزيادة التي قام بها وزير الدولة للشؤون الخارجية الاسبق (عدنان الباجه جي)[٢٤]، في السابع من نيسان ١٩٦٦ الى تركيا، وهي الزيارة الاولى من نوعها منذ قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وكان الباجه جي فور وصوله الى انقرة قابل رئيس الجمهورية بالوكالة (ابراهيم شوقي)، وسلمه رسالة من الرئيس العراقي عبد السلام عارف اعرب فيها عن امله في تنمية علاقات الصداقة بين العراق وتركيا كما اعرب عن امل الحكومة العراقية بوقوف تركيا موقفها المؤيد الى جانب القضية الفلسطينية[٢٥].

العلاقات مع ايران

تميزت العلاقات العراقية الايرانية بالصراع المستمر عبر العصور، اذ حاولت اقامة علاقات واسعة مع العراق بسبب اهمية موقعه الاستراتيجي الذي يشكل بوابة ايران الشرقية على العالم العربي ومنه الى البحر المتوسط مروراً بسوريا ولبنان، وتعتمد ايران في ذلك على الروابط التاريخية والمذهبية بين البلدين في سبيل تحقيق ذلك. لاسيما بعد تحولها للمذهب الشيعي في عهد الدولة الصفوية[٢٦].

لقد كانت الاجواء المتوترة التي سادت بين العراق وايران اثناء عهد الرئيس عبد السلام عارف والتي عكست من بين امور عدة حالة التحسس التي تنتاب الحكومة العراقية في تطوير العلاقات مع ايران، كونهم كانو يعتقدون ان الايرانيين يحاولون التدخل في شؤون العراق الداخلية من خلال الحالة المذهبية التي تربط الحكومة الايرانية بالاكثرية الشيعية في العراق[٢٧]. وابرز مثال على ذلك، حادثة طرد السفير الايراني (مهدي بيراسته)[٢٨] اذ قدم السفير الايراني اوراق اعتمادهالى عبد السلام بحضور وزير خارجية في القصر

الجمهوري ومن العرف الدبلوماسي ان يلقي السفير كلمة امام رئيس الجمهورية وتطرق فيها الى تاريخ العلاقات بين الدولتين الاسلاميتين الجارتين وجغرافيتهما والوشائج بين شعبيهما والعشائر ذوات الاصول والجذور الواحدة التي فرقتها الحدود المشتركة التي رسمها الاستعمار[٢٩]، حتى بلغ عبارة:

"ان جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي[٣٠]، يرفع اليك اسمى ايات السلام-يافخامة الرئيس-ويتأمل منك الحرص على شيعة العراق".

اقحاح، وهم مواطنونا واهلنا واعزؤنا وفي قلوبنا، وليسو بحاجة لكائن من كان ليصبح وصياً عليهم وهذا الذي تفوهت به تدخلاً في شؤننا الداخلية لانقبله من احد لذلك ارفض اوراق اعتمادك[٣١].

وعلى اثر ذلك أقام "سيد مهدي بيراسته في بغداد لاسبوعين متتالين بصفته الشخصية وليست الرسمية، ومن ثم عاد الى طهران الا ان وساطة من وزارتي الخارجية التركية والباكستانية وسفيرهما في بغداد مهدت لتهدئة الموقف بعد سبعة اشهر كي يقبل سيد مهدي بيراسته ذاته سفيراً في بغداد شريطة ان يتصرف بكل ادب بصفة سفيراً معاداً واخر عام ١٩٦٤ ليقدم اوراق اعتماده ثانية للرئيس عبد السلام عارف الذي بدوره طلب منه اعتذاراً عن تصرفه السابق. كما ان شاهنشاه ايران قد وبخه حيال ذلك التصرف لافتاً نظره ان لكل مقام مقال وعلى صاحب منصب السفير ان يكون دبلوماسياً قبل اي شيء[٣٢].

وفضلاً عن ذلك طلب الرئيس عبد السلام عارف من السفير مهدي بيراسته، ان تحد ايران من هجرة الايرانيين المتسللين عبر مناطق العمارة من ديزفول والشلامجة، اذ كان يعتقد ان الحكومة الايرانية غضت الطرف عن ذلك، وبعد ايام كانت رحلته الاخيرة اذ خصصها لمعالجة مشكلة العوائل الايرانية المتسللة للعراق، وكان نظام الشاه في ايران يسعى دائمًا الى تطوير العلاقات بين البلدين لخدمة مصالحه[٣٣]

المبحث الثاني

تولي عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية وتطور العلاقات مع البلدين

على اثر وفاة عبد السلام عارف في حادث الطائرة المروحية السوفيتية الصنع طراز ميل موسكو في ظروف غامضة والتي كان يستقلها هو وبعض وزرائه ومرافقيه بين القرنة والبصرة مساء يوم الثالث عشر من نيسان ١٩٦٦، اثناء زيارة تفقدية لالوية الجنوب للوقوف على خطط الاعمار وكذلك حل مشكلة المتسللين الايرانيين.

اجتمع مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني لانتخاب خلف له، في السادس عشر من نيسان ١٩٦٦ انتخب عبد الرحمن عارف رئيس الاركان بالوكالة رئيساً للجمهورية من قبل مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني مجتمعين اذ قدم عبد الرحمن بزاز استقالته الى الرئيس الجديد (عبد الرحمن عارف) فكلفه الاخير بتأليف الوزارة ثانية في الثامن عشر من نيسان ١٩٦٦[٣٤].

واسهمت عوامل عدة في صعود عبد الرحمن عارف الى المنصب الاول في العراق فقد كان ضابطاً، وكان شقيقاً للرئيس الراحل واعلنت القاهرة وقوفها الى جانبه، وكان العسكريون الاعضاء في مجلس الدفاع الوطني ممن عينهم شقيقه عبد السلام عارف، وربما كان الاهم من هذا هو ان الاماكن الحساسة للسلطة العسكرية، ولاسيما لحامية بغداد، كانت في ايدي اقاربه القبليين وعلى راسهم الزعيم (سعيد صليبي)، وأكثر من ذلك، فانه كان الاقل طموحاً والاقل خطراً من بين المرشحين[٣٥].

وبعد اجراء انتخاب رئيس الجمهورية، اصدرت الحكومة بياناً رسمياً الى الشعب في الثامن عشر من نيسان ١٩٦٦ جاء فيه انتخب بالاجماع يوم امس الموافق السابع عشر من نيسان ١٩٦٦٦ اللواء عبد الرحمن عارف، في جلسة مشتركة عقدت حسب احكام المادة الخامسة والخمسين من الدستور المؤقت رئيساً للجمهورية اثناء مدة الانتقال الى حين انتخاب رئيس الجمهورية بحسب ماينص عليه الدستور الدائم على ان لايتجاوز سنة واحدة من تاريخ اليوم[٣٦].

كان نظام عبد الرحمن عارف، بكل مظاهره الاساسية، استمراراً لنظام شقيقه (عبدالسلام عارف) وبقي محوره هو الحرس الجمهوري، وخطه الموجه هو الحفاظ على التوازن القائم بين القوى العسكرية الاخرى واستمرار الجميليون عشيرة عبد الرحمن عارف في تشكيل العمود الفقري للحرس الجمهوري. وبذلك يكون ثالث رئيس للجمهورية في العراق، وكانت مرحلة حكمه من اهدأ المراحل في تاريخ العراق[٣٧].

السياسة الخارجية لعبد الرحمن عارف وتطور العلاقات مع البلدين (تركيا وايران)

اتبع الرئيس (عبد الرحمن عارف) سياسة خارجية واضحة المعالم والرؤية ومتوازنة ونابعة من المصلحة الوطنية العليا للشعب العراقي، وكان شديد الحرص على امن واستقرار العراق، ويسعى دائماً بأن تكون العلاقات مع دول الجوار مبنية على المصالح الوطنية، من دون المساس او التفريط بالسيادة العراقية، سواء كانت برية او بحرية او جوية. فتبنى سياسة سليمة رصينة مع دول الجوار كافة وزار تركيا وايران والاردن والسعودية وسوريا والكويت. واستطاع ان يعزز بزيارته الخارجية العلاقات الدولية مع العراق على اساس حسن الجوار والمصالح العليا المشتركة[٣٨].

كما كانت حدود العراق في عهد عبد الرحمن عارف هادئة ومصانة، بما في ذلك الحدود مع ايران وتركيا والحدود الجنوبية مع الكويت لاتشوبها شائبة ولاتعكر صفوها الانتهاكات والتجاوزات المتكررة[٣٩].

وفضلاً عن ذلك، ركز في علاقاته السياسية على ارتباط العراق بالدول العربية المستندة الى مصلحة الامة العربية، ومستمدة من ميثاق جامعة الدول العربية، وعلى استعداد العراق على مد يد المساعدة لكل قطر عربي يسعى للتحرر والتقدم.

كما تطرق الى سياسة العراق مع الجارتين (ايران وتركيا) واعلى استنادها الى حسن الجوار والمنافع المتبادلة والتعاون في الشؤون الثقافية والاقتصادية، اما الدول الصديقة فأكد ان السياسة العامة للبلد تستند على اساس تبادل المصالح العامة[٤٠].

الاحداث السياسية الداخلية في العراق في عهد عبد الرحمن عارف

ان من ابرز الاحداث السياسية في عهد عبد الرحمن عارف هي:

١- محاولة عارف عبد الرزاق الانقلابية الثانية.

واجه الحكم محاولة انقلابية قام بها عارف عبد الرزاق[٤١]، اذ كانت البلاد تنتظر ترجمة بيان التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٦ الخاص بحل القضية الكردية، الذي اعلنه عبد الرحمن البزاز، رئيس الحكومة في عهد عبد الرحمن عارف بخصوص حل المشكلة الكردية الا انها فوجئت في اليوم التالي الثلاثين من حزيران ١٩٦٦ بمحاولة انقلابية قام بها عميد الجو عارف عبد الرزاق وعدد من اعوانه وكانت انباء قد ذكرت ان بعض ضباط الجيش العراقي استاءوا من مشروع حكومة البزاز لتسوية المشكلة الكردية ووقف الحرب الدائرة في شمال العراق، المشروع الذي بموجبه اعترفت حكومة العراق بالقومية الكردية في الدستور المؤقت ويطي للاكراد نصيباً في الحكومة وفقاً لعددهم واعتراف الحكومة باللغة الكردية الى اللغة العربية كلغة رسمية[٤٢].

ففي الساعة الثالثة واربعين دقيقة بعد ظهر ذلك اليوم استولى الانقلابيون على دار الاذاعة ونددوا بنظام الحكم وطلبو من الرئيس عبد الرحمن عارف الاستسلام حقناً للدماء وانقاذ لحياته كما فرض الانقلابيون الحكم العرفي ونظام منع التجول على البلاد واغلقوا جميع الحدود والمطارات واكد البيان ان من يخالف ذالك الامر سيتعرض لاطلاق النار عليه وأعلن مجلس الثورة في بيان اخر انه يمارس جميع صلاحيات الرئيس عارف وقال في بيان ثالث ان يسعى الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة ولاسيما مع الجمهورية العربية المتحدة[٤٣].

وسريعاً تم القضاء على المحاولة الانقلابية وتم اعتقال عارف عبد الرزاق في مطار الموصل عندما القى اثنان من قادة الفرقة الرابعة القبض عليه وعلى من معه. دون اراقة دماء والاثنان هما العميد خليل جاسم وكيل قائد الفرقة الرابعة والعقيد كريم شندانة رئيس اركان الفرقة كما تم القاء القبض على العميد الركن يونس مخصر باشي قائد الفرقة الرابعة المرابطة في الموصل لايوائه العميد عارف عبد الرزاق[٤٤].

وفي اليوم الاول من تموز عادت الحياة الى طبيعتها، ويبدو ان من اسباب فشل الحركة الى وصول معلومات عنها الى عبد الرحمن عارف ووضعه خطة مضادة لها[٤٥].

افاد عبد الرحمن عارف من ظروف قمعه لحركة عارف عبد الرزاق الانقلابية في تثبيت مركزه، وبدا الضباط المؤيدين له يثبتون اقدامهم في السلطة، بعد ان شعرو برغبة عبد الرحمن البزاز[٤٦] في اجراء

انتخابات تمهيداً لاجتماع ممثلي الشعب، ولم يكاد يمضي شهران على تاليف الوزارة الجديدة حتى ظهر انعدام التعاون بينه وبين رئيس الجمهورية، فاضطر عبد الرحمن البزاز الى تقديم استقالته في السادس من اب ١٩٦٦.

٢- وزارة ناجي طالب: كلف رئيس الجمهورية (عبد الرحمن عارف)، ناجي طالب[٤٧]، وهو من قادة ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بتاليف الوزارة في اليوم نفسه بعد استقالة البزاز، واستمر في الحكم حتى العاشر من آيار ١٩٦٧، ولقد واجهت الوزارة مشكلة دستورية، وهي ان الدستور المؤقت نص على مهلة ثلاث سنوات يضع خلالها المجلس الوطني دستوراً دائماً، ولم يصدر الدستور فقد بات تعديل الدستور امراً ضرورياً وتخويل الوزارة صلاحية اصدار القوانين لحين اجراء الانتخابات، وقد تقرر الحل الثاني في الثالث من ايار ١٩٦٧، كما كان للضغوط التي تعرض لها ناجي طالب بعض الضباط المتنافسين، اثر كبير في استقالته، فألف عبد الرحمن عارف الوزارة في العاشر من ايار ١٩٦٧، وعين له نواب اربعة منهم طاهر يحيى، وقد واجهت تلك الوزارة ظروف هزيمة حزيران ١٩٦٧.

وبعد الحرب دارك عبد الرحمن عارف، صعوبة الجمع بين منصبي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، فتخلى في التاسع عشر من تموز ١٩٦٧ عن سلطاته كرئيس للوزراء الى طاهر يحيى[٤٨].

وكانت الوزارة تتميز عن سابقاتها في ميزة واحدة، وهي ان تتألف من عناصر اكثر توافقاً نسبياً فيما بينها، وتجمع بين السياسين والناصريين والقوميين المستقلين.

٣- اختطاف الطائرة المقاتلة ميغ (٢١) من قبل الجاسوس منيرروفا اذ تمكن في عام ١٩٦٦ من الهروب بالطائرة واعطائها الى اسرائيل، في عملية جاسوسية اشتهرت بالمهممة (٠٠٧)، وعد هبوط الطائرة، عقد مؤتمر صحفي سمح لمنيرروفا بالتحدث لمدة وجيزة عن دوافعه لخيانة بلده وسلاحه مدعياً بانه كان يعاني من التفرقة الدينية وانه يشعر بان العراق ليس بلده لذلك طلب اللجوء والهجرة الى الولايات المتحدة.

وبعد مدة وجيزة لحقت عائلته به في اسرائيل ولم يسمح له بمغادرة الاراضي الاسرائيلية والتوجه الى امريكا بل منح الجنسية الاسرائيلية[٤٩].

٤- تفاقم الوضع السياسي في البلد نحو الاسوء وزيادة التذمر الشعبي لاسيما بعد نكسة القوات الشعبية في حزيران عام ١٩٦٧ في فلسطين امام القوات الاسرائيلية، اذ برزت الانظمة العربية والنظام العراقي من ضمنها ضعيفة جداً امام التحديات الخارجية، اذ ان الفوضى في الجهاز العسكري العراقي بسبب حالة عدم الاستقرار السياسي والصراع الداخلي بين الضباط من جهة والجيش والازمات الداخلية (القضية الكردية على وجه التحديد) من جهة اخرى، كل تلك الظروف مجتمعة قللت من فاعلية الجهاز

العسكري برمته مما انعكس على الوضع السياسي وزيادة التذمر الشعبي وظهور الحكومة العراقية ضعيفة لاتتمتع بالتأييد الشعبي(٥٠).

٥- بروز الصراع السياسي الكبير بين ضباط الجيش العراقي في قمة الهرم السياسي (لاسيما بين الضباط الذين يميلون الى جهة النظام) والضباط الناصرين مما زاد من حالة عد الاستقرار في الدولة لاسيما بعد توالي محاولة الانقلاب العسكرية من اللواء (عارف عبد الرزاق) على وجه التحديد فكانت الاولى في عهد عبد السلام عارف والثانية في عهد عبد الرحمن عارف، ومع استثناءت قليلة في عهد عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء ومحاولته السيطرة على الصراع عن طريق حل مجلس قيادة الثورة وتحويل اغلب صلاحياته الى مجلس الوزراء ومحاولته حل القضية الكردية المزمنة وتوجهه الليبرالي السياسي، الا ان صراعه مع العسكر حسم ضده واضطر الى الاستقالة وعاد الوضع الى ماكان عليه سابقاً(٥١).

وعلى اثر تلك الاحداث اتبع عبد الرحمن عارف سياسة متوازنة من كل الاطراف الخارجية وكذلك الداخلية، اعتمدت في الاساس على حماية امن العراق وسلامته ووضع مصلحته في المقام الاول ولذا فان مرحلة توليه الرئاسة كانت مرحلة هادئة لم تحمل الكثير من المشكلات ومع قصر المدة التي استمر فيها الا انه حقق الكثير من الانجازات(٥٢).

المبحث الثالث

مساعي الرئيس عبد الرحمن محمد عارف في تطوير العلاقات

١- زيارته الى ايران واهميتها في تعزيز العلاقات.

قام الرئيس عبد الرحمن عارف والسيدة عقيلته في الرابع عشر من اذار ١٩٦٧ بزيارة رسمية الى ايران يرفقه وفد عراقي كبير ضم عدداً من الوزراء والمسؤولين العسكريين(٥٣).

وقبل مغادرته وجه خطاباً الى الشعب العراقي اعلن فيه ان زيارته تلك قد جاءت بناءً على دعوة من الشاه محمد رضا بهلوي، والتي هدفت الى تحسين العلاقات وفض النزاعات بينهم وعند وصوله مطار طهران القى كلمة جاء فيها.

(لقد جمعنا القران في عروة وثقى لاانفصام لها)

"انما المؤمنون اخوة"، زيادة على ماكان بين العراق وايران من الروابط الوثيقة.

وان استقرار الوضع في العراق هو قوة وسند لايران والعكس صحيح وكلانا ينشد السلم العالمي ويؤمن بمبادى الامم المتحدة وان التقارب بيننا هو في مصلحة شعبينا(٥٤).

كما جرت المباحثات حول موضوعات ستة اساسية وهي:-

١- حوادث الحدود.

٢- التنقيب عن المصادر النفطية الحدودية واستغلالها.

٣- وضع الرعايا الايرانيين في العراق ومستقبل المدارس الايرانية فيه.

٤- تعيين الجرف القاري الايراني العراقي في الخليج العربي.

٥- التسهيلات للزوار الايرانيين المتوجهين الى زيارة العتبات المقدسة في العراق.

٦- معاملة الرعايا المقيمين في كلا البلدين وكذلك حول تجارة الترانزيت[٥٥].

وفي الثامن عشر من اذار ١٩٦٧، القى الرئيس عارف خطاباً في البرلمان الايراني اشاد فيه بالعلاقات العراقية الايرانية واهمية تطورها بقوله " ان الرابطة الروحية التي تربط الشعب الايراني بالعرب قوية وبينة في اجلال الشعب الايراني واحترامه للصفوة المختارة والائمة الاطهار من ال بيت النبوة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء ومشهد، انها رابطة لامثيل لها بين الامم وانها وسيلة مقدسة لتاخي الشعبين وتحابهما بل هي رابطة متينة بين الامة العربية والشعب الايراني المسلم، واننا نقدرها ونعتز بها وتحابيهما"[٥٦].

وقد اشادت الصحف العراقية والايرانية بالزيارة وعلقت عليها اماالاً لتعزيز وتطوير العلاقات بين البلدين نحو الامام[٥٧]، كما قام بزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد وعدد من المواقع التاريخية في اصفهان، وزار عدد من المؤسسات العسكرية والصناعية والصحية والثقافية، واعرب عن اعجابه بما انجزه الشعب الايراني في تلك الميادين بقيادة جلالة الشاه[٥٨].

وفي التاسع عشر من اذار عام ١٩٦٧ صدر بيان مشترك بعد انتهاء الزيارة والمباحثات بين البلدين التي جرت في جو من التفاهم المشترك والود الصادق واستعرضا الوضع الدولي بصورة عامة والوضع في منطقتهما والعلاقات بين البلدين بصورة خاصة، واعربا عن ايمانهم العميق بان توثيق العلاقات بينهم سيخدم السلم والامن في المنطقة ويخدم البلدين، واعلنا تاييدهما لقضية فلسطين وكفاح شعبها ليس بوصفها قضية عربية فحسب وانما قضية تهم الدول الاسلامية كافة واكد على اهمية قيام العلاقات بينهما على اساس المنفعة المتبادلة ومبادئ القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة واحترام واستقلال سيادة ووحدة اراضي كل منهما واتفقا على وجوب استئناف المباحثات حول تعيين حدود الجرف القاري.

وكذلك التعاون لاستغلال حقول النفط في نفط خانه ونفط شاه وكيفية استغلال مياه الانهار المشتركة على اساس مبادئ القانون الدولي والتزام رئيس الدولتين بقررات وزيري خارجيتهما الصادرة في كانون الاول عام ١٩٦٦[٥٩].

لقد اكتسبت زيارة الرئيس عارف الى طهران اهمية كبيرة في الاوساط السياسية بوصفها اول زيارة قام بها رئيس جمهورية عراقي منذ قيام النظام الجمهوري وانها المرة الاولى التي يرسل خلالها شاه ايران بعثة شرف لمرافقة اي رئيس دولة من الملوك والرؤساء الذين زاروا ايران[٦٠].

ووضعت الاوساط الرسمية تلك المبادرة دليلاً على رغبة ايران في الاحتفاء بالرئيس عارف احتفاءً كبيراً لامثيل له[٦١]. وتقديراً لتلك الزيارة الودية، قامت ايران باصدار طابع بريدي بتلك المناسبة حمل صورة الرئيس عارف، وذلك مالم يحدث من قبل، مما عكس الرغبة الصادقة في ذلك الوقت في ان تكون العلاقات هادئة ومتوازنة كما ركز على ان تكون العلاقات بين البلدين مبنية على قواعد حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكلا الدولتين[٦٢].

وفيما يخص الاوساط السياسية العربية، فقد تباينت الاراء بينهم فالدول التي لها روابط صداقة مع ايران ومنها الاردن والسعودية عدت تلك الزيارة في مصلحة العراق والدول العربية على اساس انها كانت حلقة وصل بين الدول العربية وايران، اما مصر التي قطعت علاقاتها بايران منذ اعترافها باسرائيل في عام ١٩٦٠ ترى في التقارب العراقي الايراني ضعفاً في الموقف تجاه الضغوط العربية والدولية وعوداً الى الرجعية العربية وتراجع الدور العراقي منذ عام ١٩٦٥ حول جملة من القضايا من بينها موقفه تجاه النظم السياسية في تركيا وايران والسعودية ودعوة تلك الدول الى اقامة منظمة الحلف الاسلامي فضلاً عن تخلي العراق عن رغبته في الانضمام الى الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة[٦٣].

ومهما يكن من امر كانت زيارة الرئيس عارف قد فتحت المجال امام تطوير العلاقات مع ايران اذ افرزت معطيات عدة منها توقيع الطرفان اتفاقية تجارية في الثلاثين نيسان ١٩٦٧ اثناء الزيارة التي قام بها وزير الاقتصاد العراقي كاظم عبد الحميد الى طهران جاء فيه "ان حكومة الجمهورية العراقية والحكومة الشاهنشاهية الايرانية تحدوهما الرغبة في تطوير وتوسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين على اساس المساواة والمنافع المتبادلة[٦٤].

فضلاً عن اتفاق الجانبين على انشاء طريق تجاري يربط جنوب العراق بايران، وتوصلا في الثامن من آيار ١٩٦٧ الى اتفاق حول التعاون العسكري بين الطرفين عقد اثناء زيارة الوفد العسكري الايراني الى العراق[٦٥] ولقائه بالرئيس عارف ووزير الدفاع شاكر محمود شكري[٦٦].

ومع اشتداد الازمة العربية الاسرائيلية لاسيما بعد سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء وغزة وغلق مضيق تيران بوجه الملاحة الاسرائيلية بعث الرئيس عارف في السابع والعشرين من آيار ١٩٦٧ رسالة الى شاه ايران يشرح له الموقف من تطور الازمة ويطالبه بالوقوف الى جانب العرب ضد اسرائيل[٦٧] واجتمع في السادس من حزيران ١٩٦٧ شاه ايران برئيس الوزراء الايراني (امير عباس هويدا) وعقب الاجتماع اعلنت الحكومة الايرانية موقفها تجاه الحرب اذ طالبت باجتماع مجلس الامن فوراً ووقف اطلاق النار وانسحاب الجيش الاسرائيلي الى حدود ماقبل ٥ حزيران. وحل النزاع عن طريق هيئة الامم المتحدة، وتأييد حقوق العرب، واعلن شاه ايران في اليوم التالي رفضه لاحتلال اراضي الغير عراقية[٦٨].

واكد قائلاً "ان عهد الاحتلال بالقوة قد انقضى منذ زمن طويل". واستنكرت الصحف الايرانية العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية واعربت عن تأييدها للحقوق العربية والاسلامية في فلسطين، اذ اتسمت مقالاتها بشجب العدوان(٦٩).

وقد دابت الحكومة الايرانية على المطالبة في الامم المتحدة بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة، ونادت بتنفيذ القرارات التي اتخذتها المنظمة الدولية واخذت تطالب بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وقد ساعد موقف ايران على تحسين صورتها لدى العرب بعد ان كان الفتور يعم علاقاتها مع سائر الدول العربية(٧٠).

٢- زيارته الى تركيا واهميتها في تعزيز العلاقات

شهدت العلاقات التركية العراقية تطوراً كبيراً منذ تأليف وزارة عبد الرحمن البزاز الاولى، اذ زار عدنان الباجه جي، وزير الدولة للشؤون الخارجية تركيا في شباط ١٩٦٦، بالمقابل قام احسان صبري جاغليانكل، وزير خارجية تركيا بزيارة بغداد، اثناء المدة بين (٢٣-٢٦ اذار ١٩٦٦)، محرراً بياناً مشترك اعلن فيه عن اتفاق وجهة نظر البلدين الى حد بعيد، لاسيما في القضايا التي تهمها بصورة مشتركة.

واكد البيان مبدا عدم التدخل في الشؤون الداخلية، واعرب وزير الخارجية التركية عن تأييده لجهود الحكومة العراقية في الحفاظ على وحدة العراق الوطنية والدفاع عن سلامته الاقليمية. ونظر الوزيران في قضية استخدام المياه المشتركة واتفقا على ضرورة عقد اجتماع في اسرع وقت لخبراء قانونيين وفنيين. ووجهت الدعوة الى البزاز من سليمان ديميريل، رئيس رئيس وزراء تركيا لزيارة تركيا(٧١).

وفي السياق ذاته رحبت الصحافة العراقية بتطور العلاقات بين البلدين، فاشارت صحيفة البلد الى قوة العلاقات وعمق الروابط التي تشد البلدين الى بعضهما. وواضحت صحيفة الفجر الجديد ان ماتوصل اليه من الاتفاق خلق جو من الطمانينة ليس في البلدين المتجاورين فحسب بل وفي منطقة الشرق الاوسط باكملها(٧٢).

واثمرت سياسة البزاز تجاه تركيا في الحصول على مكاسب جيدة للعراق اذ قامت تركيا بمجموعة خطوات احادية الجانب واعلن عن رغبة في حل المسألة الكردية بالطرق السلمية لذلك بدات المفاوضات بين الحكومة المركزية والاكراد وتوصلو الى اتفاق عرف بـ بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ او مشروع البزاز وعلى اثر البيان، حبت الحكومة التركية بحل المسألة الكردية للحفاظ على وحدة العراق الوطنية، وفي الوقت نفسه اشاد البزاز بموقف الحكومة التركية تجاه الحكومة العراقية في موقفها ضد الحركة الكردية المسلحة وعد الموقف مبادرة ستحسب على العلاقات بين الجارين المسلمين في الجوانب التجارية والاقتصادية مستقبلاً(٧٣).

وفي الاطار ذاته قام البزاز في الثالث من تموز ١٩٦٦ بزيارة تركيا على راس وفد رسمي، وقد رحب سليمان ديميريل بالبزاز في المطار واشار الى اهمية التقارب المعنوي القائم بين تركيا والعراق، ورد البزاز بكلمة مماثلة.

وعقد الوفدان اجتماعهما الاول واستعرض رئيس الوفد العراقي سياسة حكومته الخارجية موضحاً الرغبة في اقامة احسن علاقات الود وحسن الجوار بينهما وبين الدولتين الجارتين تركيا وايران دون الالتزام باي حلف من الاختلاف مهما كان اسمه ونوعه.

وقد اجاب رئيس الوفد التركي مؤكداً اهمية الروابط التاريخية والدينية التي تشهد البلدين الى بعضهما(٧٤).

واثناء الزيارة، تم التوقيع على اتفاق للتعاون في مجالات السياحة بين العراق وتركيا، وتضمن سعي البلدين لاتخاذ الاجراءات كافة لتحسين ظروف السياحة وزيادة التبادل السياحي، وتأليف لجنة مختلطة لتطبيق الاتفاق، وقد قام البزاز بزيارة لازمير واسطنبول، وقدم دعوة الى سليمان ديميريل رئيس وزراء تركيا لزيارة العراق.

كما قام الاستاذ بزيارة بعض الاماكن التأريخية والمؤسسات الصناعية اثناء مكوثه في انقرة وعند زيارته لقونيا وتمت تلك الزيارات بدافع من الرغبة في اجراء اتصالات ودية على نطاق اوسع مع المسؤولين في تلك المؤسسات ومع المواطنين الاتراك، وقد انتهز رئيس وزراء العراق الفرصة ليجدد الدعوة التي سبق وان وجهها لزميله رئيس وزراء تركيا لزيارة العراق، وكرر)السير ديميريل شكره لتلك الدعوة فصرح عن عزمه الى زيارة العراق في اقرب وقت ممكن(٧٥).

وقد رحبت الصحف العراقية والتركية بالزيارة والنتائج التي تمخضت عنها، فكتبت صحيفة الجمهورية مقالاً بعنوان لقاء العواطف والمشاعر لايدع مجال للخلاف والاختلاف قالت فيه: "استأثر البيان العراقي التركي المشترك بدراسة واهتمام الاوساط الوطنية في البلدين، وتركزت عليه تعليقات اضافية وكثيرة من جانب المسؤولين والاجهزة المعنية بالشؤون العامة وكان له الصدى الواسع في المحافل الخارجية، وعده الكثيرون قاعدة انطلاق للعلاقات ليس بين العراق وتركيا فحسب، وانما بين العرب وتركيا ايضاً. بعد ان اصبح التعاون بين دول الشرق الاوسط في المجالات الحيوية، ضرورة لامفر منها" (٧٦).

واشارت صحيفة العرب الى البيان المشترك ذاكرةً "مهما احتوى اطاره على صور واضحة معبرة عن علاقات الاخوة والصداقة والجوار والدين والمصالح المشتركة بين العراق وتركيا البلدين الجارين الصيقين، فان هذه العلاقات في طبيعتها واصالتها وصمودها عبر التاريخ اعمق من كل بيان واوسع من كل اطار، واروع من كل صورة(٧٧).

في حين ذكرت صحيفة (عدالت) الناطقة بلسان حزب العدالة الحاكم في تركيا "ان الزيارة خطوة مباركة نحو الامام في تطور العلاقات بين البلدين[٧٨]. كما اوضحت صحيفة (ميليت) التركية الواسعة الانتشار في مقال ختامي "ان تركيا بحاجة ماسة الى تأييد الجمهورية العراقية فيما يتعلق في قضية قبرص وان العراق يحتاج الى مؤازرة تركيا لحقوق عرب فلسطين" [٧٩].

وبعد استقالة وزارة البزاز وتشكيل وزارة ناجي طالب في التاسع من آب ١٩٦٦، اعلن في منهاجها الوزاري في الحادي والعشرين من آب ١٩٦٦ الذي اشار فيه ان وزارته تتمسك في علاقاتها مع تركيا بسياسة حسن الجوار والرغبة الصادقة في التعاون وتبادل المنافع في المجالات كافة ام استمرت وزارة ناجي طالب على نهج وزارة البزاز وحرصت على توثيق العلاقة مع تركيا[٨٠].

وفي شباط ١٩٦٧، سجلت العلاقات العراقية التركية تطوراً ملحوظاً، اذ قام الرئيس عارف بزيارة رسمية الى تركيا للمدة[٨١] (٢٠-٢٦شباط ١٩٦٧) بدعوة من الرئيس التركي (جودت صوناي) وعدت اول زيارة قام بها رئيس جمهورية عراقي الى تركيا التي اظهرت الصداقة والاخوة المتزايدة بين البلدين والتقى الرئيس عارف بالمسؤولين الاتراك وجرت خلالها مباحثات في جو من الصداقة والتفاهم وفي ختام المباحثات صدر بيان مشترك اكد فيه وجود امكانيات واسعة لتنمية العلاقات العراقية التركية والتعاون بينهم[٨٢].

كما اعلنا عن رغبتهما المشتركة وايمانهما بادامة وتقوية الاخوة والصداقة التي تستمد قوتها من الوشائج التاريخية والثقافية القائمة بين بلديهما والتي تزدهر بصورة تبعث على الارتياح، وقد اتفق الرئيسان في الراي بأن الاساس المتين الذي قامت عليه العلاقات هو ايمانهما المشترك بان توافر اسباب التفاهم والتعاون في المنطقة هو في صالحهما واخلاصهما لقضية السلم ومبادى الامم المتحدة وشعورها بضرورة قيام تعاون وثيق يكون في صالح البلدين يحكم جيرتهما[٨٣].

وشكلت الزيارة التي قام بها الرئيس عارف الى تركيا مرحلة كبيرة من تقارب العلاقات العراقية التركية كونها تمكن في تقارب وجهات النظر في القضايا ذات الاهتمام المشترك.

وبصدد موقف تركيا من قضية فلسطين ذكر الرئيس التركي جودت صوناي قائلاً: "ان تركيا اعلنت دائماً بانها تساند الدول العربية في القضايا المشروعة مثل قضية اللاجئين الفلسطينين العرب، وتركيا تحتفظ بتفهمهما وعطفها تجاه حالة اللاجئين الفلسطينين العرب المؤلمة وتؤمن وفق قرارات الامم المتحدة بان قضية فلسطين لن تحل باية صورة من الصور الا بعد اعادة حقوق اللاجئيين[٨٤].

اما عن مشكلة قبرص، فكرر عارف موقف الحكومة العراقية وهو ان بالامكان ايجاد حل قائم على اساس صيانة واستقلال قبرص واحترام حقوق الجانبين المشروعة التي ضمنتها الاتفاقيات الدولية، وعبر الرئيس التركي صوناي عن امتنان حكومته من موقف الحكومة العراقية من المشكلة تلك[٨٥].

وكذلك تبادل رئيسا الدولتين الراي حول امكانيات التعاون العملي بين تركيا والعراق واعارا موضوع تنمية العلاقات التجارية بين البلدين اهتماماً خاصاً، اذ قررا بذل المزيد من الجهود في ذلك الاتجاه، ووجدا ان من المفيد وتحقيقاً لتلك الغاية بتشكيل لجنة مشتركة تباشر اعمالها باسرع وقت ممكن.

وتأسيساً على ذلك، تقرر تأليف لجنة مشتركة من الفنيين الاتراك والعراقيين لدراسة موضوع تجارة الترانزيت بين البلدين، وتم الاتفاق على ارسال هيئة فنية تركية الى العراق اثناء مدة لاتتجاوز شهر واحد لدراسة موضوع استيراد تركيا الغاز الطبيعي من العراق واتفقا على تنمية وسائل المواصلات بينهما مما يزيد امكانيات الاتصال بين الشعبين العراقي والتركي، وكذلك اتفقا على وجوب البدء بالمباحثات المتعلقة بشأن المياه المشتركة باقرب وقت(٨٦).

واثناء تواجد الرئيس عارف في تركيا قام بزيارة عدد من المؤسسات الصناعية والتعليمية والصحية والثقافية والمعالم التاريخية، واعرب عن تقديره لما اطلع عليه عن كثب من الانجازات في تلك الميادين(٨٧).

وفي الواقع ان تلك الزيارة قد جاءات بنتائج كثيرة النفع ليس للبلدين الجارين الصديقين فحسب بل للعرب والاتراك ايضاً وتناولت مصالح الشعبين كذلك تناولت مصالح الامتين الوطنية والقومية التي تعد مشتركة ومتقابلة وليس ادل على ذلك من تاكيد رئيس الحكومة التركية على تعاونه مع العراق والامة العربية على مافيه ضمان لحقوق العرب الفلسطينيين وتأبيده للقضايا العربية في جميع المجالات الدولية(٨٨).

وقد برهنت زيارة عارف للجارة تركيا بما لايدع مجالاً للشك بان التزاير بين الدول المتجاورة والصديقة من شأنه تحقيق نتائج عظيمة ولاسيما اذ كانت تلك الدول تجمع بينهما روابط وثيقة دينية وتاريخية وثقافية ومصلحية كالعراق وتركيا.

واستمرت العلاقات التقليدية بين تركيا والعراق ماخلا سعي تركيا الى تأمين احتياجاتها من الغاز والنفط العراقي فقد وصل الى بغداد في الاول من نيسان ١٩٦٧ وفد فني تركي لاجراء المباحثات حول تصدير الغاز الطبيعي من العراق الى تركيا وذلك تنفيذاً للبيان المشترك الذي صدر عقب زيارة الرئيس عارف الى تركيا وبناءً على الرغبة التي ابداها الجانب التركي لاستيراد الغاز الطبيعي، وقد تم نتيجة المباحثات التوصل الى اتفاق بين الوفدين العراقي والتركي على توقيع بروتوكول في السابع من نيسان ١٩٦٧، اتفق الطرفان بموجبه على مبدا قيام العراق بتجهيز الغاز الطبيعي بواسطة مد خط انبوب الى تركيا والمباشرة بالدراسات الفنية والاقتصادية المتعلقة بوضع المشروع في حيز التنفيذ(٨٩).

وبموجب ذلك الاتفاق اضحت حاجة تركيا من الغاز الطبيعي بمعدل ٣٠٠ مليون قدم مكعب يومياً منذ السنة الاولى لتنفيذ المشروع ثم ارتفعت الى ٦٠٠ مليون قدم مكعب يومياً في السنة العاشرة لاغراض كالصناعات البتروكيمياوية والمعامل التي تستعمل الغاز كوقود، فضلاً عن تجهيز معظم المدن العراقية

الواقعة على طريق خط الانبوب الى تركيا وقد تعهد الجانب التركي بدراسة موضوع قيامه بتمويل جزء من المشروع في الاراضي العراقية على اساس قرض يسدد من عوائد الغاز المصدر الى تركيا باقساط سنوية لمدة لاتقل عن ١٢ سنة[٩٠].

وفي سياق اخر، بعث الرئيس عارف في السابع والعشرين من آيار ١٩٦٧ رسالة الى الرئيس التركي جودت صوناي يطالبه بتأييد تركيا للموقف العربيي في الصراع ضد (اسرائيل) وبالتالي عدت تركيا على محك التجربة الفعلية لاختيار مدى صحة سياستها الجديدة انذاك تجاه القضايا العربية ولاسيما القضية الفلسطينية. لذا قامت تركيا باستدعاء سفرائها في الدول العربية لبحث الوضع الخطير، وعقب ذلك صدور بيان مشترك جاء فيه "ان الحكومة التركية تراقب عن كثب التطورات الحديثة في منطقة الشرق الاوسط وستبذل المساعي الحميدة لتخفيف هذا التوتر في المنطقة، وسوف لاتتوانى عن اداء واجبها تجاه هذه الازمة الخطيرة".

وحثت تركيا الاطراف المتنازعة تجنب كل حالة تؤدي الى اخلال السلام[٩١]. وعند بدء الحرب بعدوان (اسرائيل) في الخامس من حزيران ١٩٦٧ على الدول العربية، بدا الموقف التركي يظهر انحيازاً لصالح العرب على الرغم من ان تركيا لم تظهر مجابهتها (لاسرائيل) علناً[٩٢].

وبالرغم من كل ذلك، استمر العراق في بذل جهوده للتقرب من تركيا ففي تشرين الاول ١٩٦٧، زار رئيس وزراء تركيا سليمان ديميرايل العراق اثناء المدة بين (٢٠-٤٢ تشرين الاول ١٩٦٧) بدعوة من السيد الفريق (طاهر يحيى) رئيس وزراء العراق، وقد رافق السيد سليمان ديميرايل وفد على مستوى عال ضم السيد احسان صبري جاغليا لكل وزير الخارجية والسيد رافت وزير الطاقة والموارد الطبيعية والسيد شرف قايالر عضو مجلس الشيوخ والسيد احسان توبال اوغلو عضو مجلس الشيوخ والسيد مصطفى كولجي وكيل عضو مجلس الشيوخ واخرين[٩٣].

استقبل السيد ديميرايل من قبل السيد الفريق عبد الرحمن محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية، زار رئيس الوزراء التركي اثناء مكوثه مدن كربلاء والموصل وكركوك والبصرة واعرب عن تقديره للتقدم الذي حقق في الميادين المختلفة[٩٤].

وفي جو من التفاهم والصداقة والاخوة المتبادلة الذي اتسمت به تلك الزيارة اجرى رئيسا وزراء الدولتين مباحثات مستفيضة حول مختلف جوانب الموقف الذي يسود لان منطقة الشرق الاوسط ودرسا بالتفصيل القضايا ذات الاهمية الثنائية من اجل زيادة تقوية العلاقات المتطورة تطوراً مستمراً بين البلدين[٩٥].

وفضلاً عن ذلك، اعاد رئيس وزراء العرق (طاهر يحيى)، شرح بلاده ازاء فلسطين ومحنة شعبها واعرب عن تقدير وامتنان حكومة وشعب العراق للمساندة القيمة التي قدمتها تركيا للبلدان العربية طوال

الازمة في الشرق الاوسط وللمساعدة المقدمة لضحايا الصراع المسلحة من العرب. وكرر رئيس الوزراء التركي المشاعر الوثيقة الودية لتركيا نحو الشعوب العربية وتاييدها لقضاياها المشروعة[٩٦].

كما كرر قلق حكومته الشديد الذي سبق الاعراب عنه في الجمعية العامة للامم المتحدة ازاء اجراءت (اسرائيل) الانفرادية في القدس واعمالها في الاراضي المحتلة وتعنتها في موضوع اللاجئين. وقد اكد السيد سليمان ديميرايل معارضة تركيا لاستخدام القوة والاحتلال العسكري كوسيلة للحصول على منافع سياسية ومكاسب اقليمية في العلاقات الدولية.

ودعا رئيس وزراء تركيا ضمن ذلك الاطار الى سحب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة كافة منذ الخامس من حزيران ١٩٦٧ والى تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن القدس واللاجئين العرب تنفيذاً دقيقاً[٩٧].

ودرس رئيس وزراء الدولتين المشكلة القبرصية وقد اعرب رئيس الوزراء التركي عن عميق تقدير تركيا لموقف العراق بذلك الخصوص وشرح بصورة مفصلة التطورات الحالية واسباب انعدام التقدم في تسوية المشكلة.

وتاكيداً من جانب رئيس الوزراءللقوة الملزمة للمعاهدات الدولية فقد شدد الرئيسان ثانية على الحاجة الى حل عاجل ومتفق عليه لتلك المشكلة من شأنه الحفاظ كلياً على الحقوق والمصالح المشروعة للجاليتين في الجزيرة من اجل ان تعيشا في سلام وامن كامل[٩٨].

وفي مجال العلاقات الثنائية اعرب كلا الجانبين عن رغبتهما القوية في مزيد من التطور لتلك العلاقات واكدا اعتمادهما المخلص با الوشائج التاريخية والحضارية والقائمة بين بلديهما تشكل اساساً متيناً في هذا المجال[٩٩].

وتلبية للدعوة التي وجهها الرئيس عبد الرحمن عارف وصل الى بغداد الرئيس التركي جودت صوناي في السابع والعشرين من نيسان ١٩٦٨ في زيارة استغرقت خمسة ايام، واثناء مادبة العشاء التكريمية قال الرئيس عارف: "ان العراق يعتمد على التفهم الذي ابدته تركيا تجاه القضية الفلسطينية وعلى مشاركتها له في المراحل التي تؤدي الى حل سياسي للازمة. وانني انوه بالحكمة السياسية التركية في معالجة القضية القبرصية التي ستؤدي الى حل يضمن للقبارصة الاتراك جميع حقوقهم". ورد صوناي قائلاً: "ان تركيا تساند بقوة القضية العربية، ولاسيما قضية فلسطين، وان الروابط العديدة التي تشد العراق الى تركيا ستزداد مناعة في خدمة السلام والهدوء في المنطقة"[١٠٠].

واكد صوناي على ان تركيا لن تسمح للمعتدي ان يستفيد من عدوانه، وقال:" اننا نطالب باعادة السلام والهدوء الى هذه المنطقة من العالم والى صيانة جميع حقوق الشعب العربي في فلسطين"[١٠١].

وجرت عدة جولات من المحادثات بين الجانبين، وعند انتهاء الزيارة صدر البيان المشترك في الاول من ايار دعا فيه الرئيسان الى وجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧. واكد البيان ان الرئيس التركي شرح للريسئ العراقي جوانب القضية القبرصية بينما شرحج الرئيس العراقي للرئيس صوناي تطورات الوطن العربي.

واعرب الرئيس التركي عن تقدير حكومته لموقف الحكومة العراقية تجاه قبرص القائم على اساس صيانة استقلال قبرص واحترام الحقوق المشروعة التي ضمنتها الاتفاقية الدولية للجاليتين التركية واليونانية[١٠٢].

واضاف البيان بقول:" ان الرئيس التركي اكد في محادثاته مشاعر الصداقة والتعاطف التي تكنها تركيا للبلدان العربية ومعارضة تركيا لاستخدام القوة سبيلا للحصول على مزايا سياسية ومكاسب اقليمية واستخدام هذه المكاسب لفرض حلول من جانب واحد واكد الرئيس صوناي ان بلاده ترى ضرورة الحفاظ على الحقوق المشروعة للبلدان العربية وايجاد حل يستند على العدل في المنطقة[١٠٣].

٣-القضية الكردية وانعكاساتها.

تعد القضية الكردية من القضايا البارزة التي عرفتها تاريخ العراق السياسي الحديث والمعاصر وعندما تولى عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية العراقية وعبد الرحمن البزاز رئاسة الوزارة وقد اعطى ذلك الامر املاً في نفوس الاكراد في التوصل الى حل مقبول، فقام الاكراد من جانبهم بالخطوة الاولى واعلنو من اذاعة صوت كردستان الحرة عن استعدادهم للتفاهم مع الحكومة وانهاء الحرب[١٠٤].

وقد شهدت المدة الممتدة بين عامي (١٩٦٦-١٩٦٨) انفراجاً نسبياً في الحياة السياسية، اذ تجاوب الرئيس الجديد مع بعض مطاليب القوى السياسية، كما اصدر البيان رقم (٢٩) لعام ١٩٦٦ والخاص بمنح الاكراد حقوقهم القومية. وقد تضمن المواد الاتية:

١- اعتراف الحكومة العراقية اعترافاُ قاطعاً بالقومية الكردية في الدستور المؤقت المعدل وهي مستعدة لتأكيد الاعتراف وتوضيحه في الدستور الدائم بحيث تصبح القومية الكردية والحقوق القومية للاكراد في الوطن العراقي الواحد الذي يضم قوميتين رئيسيتين العربية والكردية وسيتساوى العرب والاكراد في الحقوق والواجبات.

٢- ان الحكومة مستعدة لاعطاء تلك الحقيقة السلمية ووجودها الحقيقي قانون المحافظات الذي سيعلن على اساسا اللامركزية وسيكون لكل محافظة وقضاء وناحية شخصية مشاركة يعترف بها ولكل وحدة ادارية مجلسها المنتخب يتمتع بصلاحيات واسعة في مجال التعليم والصحة وغيرها من الشؤون المحلية ويحول القانون نفسه صلاحية احداث تعديلات ضمن اطار الوحدات الادارية كما يخول صلاحيات انشاء وحدات ادارية جديدة اذ اقتضت المصلحة العامة ذلك[١٠٥].

٣- اعتراف الحكومة باللغة الكردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المناطق التي تسكنها اكثرية كردية يكون التعليم باللغتين على وفق مايحدده القانون والمجالس المحلية.

٤- اجراءانتخابات برلمانية ضمن المهلة التي حددها الدستور المؤقت والبيان الوزاري شاملاً الاكراد في المجلس الوطني المقبل بالنسبة الى عدد السكان وعلى وفق المنهج المنصوص عليه قانون الانتخابات.

٥- مشاركة الاكراد اخوانهم العرب في جميع المناصب العامة على وفق نسبة عددهم بما في ذلك الوزارات والدوائر العامة والمناصب القضائية والدبلوماسية والعسكرية مع اخذ مبدأ الكفاءة بعين الاعتبار.

٦- تخصيص المنح الدراسية والبعثات الى الخارج للتخصص في ضوء الكفاءات الشخصية وحاجة البلاد وتهتم جامعة بغداد اهتماماً خاصاُ بتدريس اللغة الكردية وادابها وتقاليدها العقائدية والتاريخية كما ان الجامعة ستفتح فروعاً لها في الشمال متى ماتوفر المال اللازم لذلك[١٠٦].

٧- اشراك الاكراد كموظفين حكومين في المحافظات والاقضية والنواحي ولاتعطى مثل تلك الوظائف لغيرهم الا اذا كان في ذلك مصلحة المنطقة.

٨- تقضي الحياة البرلمانية بانشاء منظمات سياسية وسيكون للصحافة الحق في الاعراب عن رغبات الشعب وسيشارك الاكراد في تلك الحقوق ضمن حدود القانون.

٩- أ- عندما تتوقف اعمال العنف سيصدر عفو عام عن جميع الذين اشتركوا في هذه الاعمال في الشمال وكذلك جميع الذين صدرت بحقهم احكام لاشتراكهم في اعمال العنف او لعلاقتهم بها كما يشمل العفو جميع الذين قيدت حريتهم[١٠٧].

ب- عودة جميع المسؤولين الموظفين الاكراد الى مناصبهم السابقة واجراء التعيينات بصورة عادلة.

١٠- عودة الفارين الى وحداتهم شريطة ان يتم ذلك خلال شهرين وسيعامل اولئك العائدين بعطف كما سيمنحون عفواً خاصاً ويطبق ذلك فوراً اصدار ذلك البيان على وفق الشروط الاتية.

أ- وجوب عودة جميع من كانو في الجيش ومعهم اسلحتهم.

ب- وجوب عودة من كان في الشرطة الى قوة الشرطة ومعهم اسلحتهم.

ج- يعد جميع المدنيين ممن حملوا السلاح في مرحلة العنف منظمة ملحقة بالدولة وستساعدهم الحكومة على استئناف حياتهم العادية والى ان يتم ذلك فستظل الحكومة مسؤولة عنهم وعلى جميع اولئك الذين يستأنفون حياتهم العادية ان يسلموا جميع اعتدتهم واسلحتهم الى الحكومة وفق الخطة التي تعد لهذه الغاية.

دعوة قوة الفرسان الى مراكزها عند احلال السلام اما اسلحتهم فتشرد منهم وفقاً للخطة الموضوعة لهذه الغاية[١٠٨].

١١- تخصيص جميع الاموال المنفقة على مكافحة اعمال العنف لاعمار الشمال وسوف تنشأ هيئة خاصة لاعمار المنطقة الكردية ويخصص المال اللازم لتلك الهيئة ويعيين وزير خاص لرعاية مناطق الاصطياف وزراعة التبغ كما ان الحكومة لاسباب وطنية وانسانية ستكفل الايتام من الارامل وجميع الذين اصيبوا بعاهات نتيجة العنف[١٠٩].

١٢- اعادة اسكان الافراد والجماعات الذين نزحوا عن مناطقهم بغية ايجاد وضع عادي واذا رات الحكومة ان المصلحة العامة تتطلب منها في المستقبل استملاك اي متاع فان ذلك يجب ان يقترن بتعويض عادل وسريع[١١٠].

بعد اعلان الحكومة البيان ارسل الملا مصطفى البارزاني[١١١]، برقية الى رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف والى رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز اعرب فيها عن تأييده البيان التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٦ وقال عنه "انه تعبير صادق عن رغبته في رعاية ابناء الشعب عموماً من عرب واكراد لتحقيق ماتصبوا اليه البلاد من سلم ورخاء وازدهار، ووحدة وطنية ودعا باخلاص الى مؤازرة البيان لتحقيق الاهداف التي وردت فيه" [١١٢].

وقد وصف عدنان الباجه جي وزير الخارجية البيان بانه تعبير عن ارادة الشعب العراقي بعربه واكراده وحظي البيان بتأييد جميع ابناء الشعب العراقي وأكد ان ذلك يعبر عن منهاج وليس اتفاق ثنائي بين الحكومة والاكراد واعلن ان الحكومة باشرت بالتنفيذ فعلاً[١١٣].

ولكن قبل ان تسنح الفرصة لحكومة عبد الرحمن البزاز تنفيذ ذلك البرنامج المتوازن حتى يرى ثمار بيانه الذي اطلق عليه بيان (التاسع والعشرين من حزيران). استقالت لتخلفها حكومة ناجي طالب الضابط الذي عرف ان اراءاه تعارض بيان التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٦[١١٤].

عندما جاء ناجي طالبالى الحكم حاول التعامل مع تلك المشكلة بروح ايجابية والاستفادة من بيان التاسع والعشرين من حزيران في معالجتها ، وقد اكد ناجي طالب في ذلك: "عندما تسلمت رئاسة الوزارة بدات ادرس قضية الاكراد فاخذت بيان ٢٩ حزيران وبدات في دراسة فوجدته يصلح لان يكون بداية للتعامل مع القضية ولذلك وافقت عليه وبدات تسعى في تطبيقه ولكن الاكراد بداو يتباطئون في تطبيقه وكان الواسطة يومها بيني وبين الاكراد السيد مصلح النقشبندي وزير العدل في وزارتي وقد ارسل لي الملا مصطفى البرازي رسالة شخصية شرح فيها الظروف التي جعلته يحمل السلاح بوجه الحكومة". ثم قال: "ان المشكلة الكردية ليست مشكلة عراقية فقط وانما هي مشكلة اقليمية والملا مصطفى البرازاني يتحدث باسم القومية الكردية وهو لايمثل جميع الاكراد لان كثيرين من زعماء الاكراد يعارضونه".

وعليه، فان ناجي طالب لم يكن مستعداً للاعتراف ببيان حزيران كحل للقضية ولم يقبل به الا بعد تردد فقرر ان يستفيد منه في معالجة المشكلة[١١٥].

وعلى الرغم من توجهات عبد الرحمن عارف في ذلك الخصوص في كتاب التكليف وتعزيزات الحزب البارزاني من الرضوخ لارادة الضباط فان ناجي طالب لم يبدا اية اشارة الى التنفيذ الفعلي للبيان بل ان حكومته فيما عدا اصدار الوعود بعفو عام واعمار الشمال. ولم تصدر اي بيان يوضح سياستها نحو المشكلة الكردية واتجه ناجي طالب في الوقت نفسه الى الضباط طالباً منهم الرأي والمشورة حول المشكلة في الشمال ولابد من القول ان معظم ضباط الجيش كانوا يعدون الصعوبات الداخلية والمالية في العراق سببها الاساسي[١١٦].

وفي ظل تلك المرحلة من النزاع مع الاكراد كان الرئيس عبد الرحمن عارف يحمل افكاراً مختلفة عن الحلول الممكنة للمشكلة الكردية وكان حريصاً في الوقت نفسه على كسب تأييد الملا مصطفى له لانه كان يخشى ان يكون التوتر في كردستان فرصة لبعض الضباط المغامرين حجة للتأمر عليه فقرر زيارة كردستان وعقد لقاء مع البارزاني بصورة مباشرة وجهاً لوجه.

وفي السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٦٦، توجه الى الشمال برفقة وزير الدفاع اللواء شاكر محمود شكري ومعه وزير الدولة لشؤون اعمار الشمال احمد كمال قادر ومعاون رئيس اركان الجيش. وقد تفقد القطعات العسكرية الموجودة في محافظة اربيل والقى كلمات عدة اكد فيها دور الجيش في الحفاظ على وحدة الوطن وصيانة استقلاله والتقى هناك مع الملا مصطفى ومع قادة الحركة الكردية واسفر اللقاء عن مصالحة وطنية مع الاكراد واتفاق تام معهم واخذ الاكراد يسلمون اسلحتهم الثقيلة.

وفي ذلك الصدد اكد رئيس الجمهورية تمسكه بيان حزيران. اذ صرح بعد عودته الى بغداد قائلا "ان الهدف من هذه الزيارة الى شمال العراق كان الغرض منها تفقد القوات المسلحة العراقية والتعرف على مشاكل هذا الجزء من الوطن ووضع حد للاكاذيب والاشاعات التي تنشرها الجرائد المعادية في الخارج. ثم قال: "ولما وصلت راوندوز استقبلت الملا مصطفى البرزاني الذي بادر الى تسليم الاسلحة الموجودة لديه وهو مستمر في تسليم ماتبقى منها وفي الوقت نفسه اصبح الطريق مفتوحا وعاد كل شيء الى طبيعته. ثم قال: "ان هذه الزيارة الى الشمال كانت فرصة مهمة اكد فيها اخواننا الاكراد ثقتهم بحكومتهم وايمانهم بتحقيق السلام والاستقرار واقتناعهم بان القتال لن يؤدي الا الى الدمار والخراب"[١١٧].

واعرب الملا مصطفى البرزاني خلال مقابلة اجراها الوفد الصحفي المرافق لرئيس الجمهورية، اثر مقابلته لرئيس الجمهورية عن ثقته بالرئيس عبد الرحمن عارف ووصفه بانه رجل مؤمن صادق مسلم يحب شعبه ووطنه يحب الخير للجميع وبمثابة الاب لكل المواطنين.

واعلن البرزاني عن امله في تحقيق الاستقرار والامن للعراق مؤكداً ان الاكراد سيعملون من اجل استباب الامن والسلام وترسيخ دعائم الوحدة الوطنية[١١٨].

ومن جانب اخر، عندما الف طاهر يحيى وزارته الرائعة قرر معالجة المشكلة الكردية وسريان حكومته في تطبيق بيان التاسع والعشرين من حزيران خطوات الى الامام فبدات المشاورات بين الحكومة والاكراد حول تنفيذ ماورد في بيان واعمار المناطق المتضررة ومشاركة الاكراد في الوزارة واصطدمت المشاورات بمطالب كردية جديدة مطالبة بالاستقلال الذاتي[١١٩].

ومن الجدير بالذكر كان موقف الجمهورية العربية المتحدة[١٢٠] من القضية الكردية معارضاً تماماً لاي انفصال بكل الوسائل ومؤيداً للمفاوضات سبيلاً الى حل سلمي ومطالبة بتحقيق الالحاح على الحكومة العراقية وتقدير مشاغلها لاسيما وان محادثات الوحدة كلفتها وقتاً طويلاً. كذلك فان المشكلة معقدة تحتاج الدرس العميق كما ان الطرف الكردي سيواجه عداء الحرب جميعاً اذ فكر في استئناف القتال كوسيلة للضغط على الحكومة العراقية.

وبعد الانتهاء من اجتماعات القيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة صدر البيان المشترك بين الحكومتين في التاسع عشر من شباط ١٩٦٦ وجاء فيه بصدد قضية الاكراد ماياتي: "تؤكد القيادة السياسية الموحدة وحدة التراب العراقي وتقف في وجه اي محاولة خارجية او داخلية لفصل او اقتطاع اي جزء منه وهي في سبيل ذلك تساند العراق لانهاء التمرد القائم في جزء منه[١٢١].

وعلى الرغم من ذلك لم تحل القضية الكردية بشكل نهائي طيلة مرحلة حكم عبد الرحمن عارف[١٢٢].

الخاتمة

سعت الحكومة العراقية في عهد عبد الرحمن عارف الى تحسين صورة العراق وتوطيد علاقاته مع الدول العربية بشكل عام ودول الجوار المتمثلة بتركيا وايران بشكل خاص.

ويمثل المثلث الاستراتيجي المتمثل بالعراق وتركيا وايران مركزاً مهماً ومحورياً تجاه الدول العربية والاجنبية على حد سواء عبر خط يمر بكل من افغانستان والعراق وسوريا ولبنان وصولاً الى البحر المتوسط ودول اوربا الغربية.

وفي ضوء ذلك ادركت الحكومة العراقية في عهد عبد الرحمن عارف ان ضمان امن البلد الوطني والقومي يقتضي تبني سياسة احتواء واستيعاب مطالب الدول المجاورة له لاسيما تركيا وايران لاسيما وان العراق وعبر تاريخه الطويل مع كلا الدولتين بقي يتوجس الخيفة وعدم الثقة والحذر من المصالح والاطماع المحيطة به من قبلهما.

ان سياسة حسن الجوار التي اتخذها عبد الرحمن عارف مع تركيا وايران كانت بمثابة مفتاح الاستقرار السياسي ودعم نظامه الحاكم انذاك اذ اثبتت الصراعات التي قامت بين تلك الدول والعراق الى

فقدان التوازن الدولي للبلد وخلق حالة التوتر والعداء التي تعطي بطبيعة الحال مكاسب كبرى للدول الغربية التي تخطط لاثارة القلاقل والاضطرابات في تلك المنطقة تحديداً.

وعليه فان الاستقرار النسبي مع تلك الدول المجاورة يؤدي الى خدمة المصالح المشتركة للدول الثلاث معاً، ويعزز من تحقيق التنمية الاقتصادية وزيادة حجم التبادل التجاري فضلاً عن تطوير العلاقات السياسية والثقافية وتحقيق التكامل الاقليمي بين دول المنطقة.

المصادر

١- جلال النعيمي، حكام العراق، بغداد، ١٩٩٣، ص١٢٣.

٢- عبد السلام عارف: ولد عبد السلام عارف في ٢٦ اذار ١٩٢١ في بغداد من عائلة تعمل في تجارة الاقمشة، منحدرة من منطقة خان ضاري، احدى ضواحي الفلوجة وكان جده شيخ عشيرة الجميلة وخاله الشيخ ضاري المحمود الزوبعي احد قادة ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى. نشأ في بغداد واكمل دراسته الابتدائية والثانوية عام ١٩٣٤. التحق بالكلية العسكرية التي تخرج فيها عام ١٩٤١ برتبة ملازم ثان. من ثوارؤ ثورة مايس ١٩٤١ ضد الحكومة الخاضعة للاحتلال البريطاني ابان الحرب العالمية الثانية بقيادة رشيد عالي الكيلاني والعقداء الاربعة. اختير عام ١٩٤٦ مدرباً في الكلية العسكرية. من المعروفين بروح القيادة والمهنية العالية. توفي عام ١٩٦٦.
لمزيد من التفاصيل ينظر، احمد فوزي، عبد السلام محمد عارف، مطابع الدار العربية بغداد، ١٩٨٩، ص١٣.

٣- المصدر نفسه ص١٤.

٤- صحيفة الزمان، بغداد، ٢٢/كانون الثاني/٢٠١٧.

٥- عبد الرحمن عارف:- عبد الرحمن محمد عارف الجميلي (١٩١٦-٢٤ آب ٢٠٠٧) الرئيس الثالث لجمهورية العراق، ولقد شغل منصب الرئيس للمدة من ١٦ نيسان ١٩٦٦- الى ١٧ تموز ١٩٦٨. كان احد الضباط الذين شاركو في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تنسب الى الكلية العسكرية سنة ١٩٣٦ وتخرج منها برتبة ملازم ثان، وتدرج في المناصب العسكرية حتى بلغ رتبة لواء ١٩٦٤ وشغل عدة مناصب عسكرية هامة وفي عام ١٩٦٢ احيل الى التقاعد، واعيد الى الخدمة ثانية في ٨ شباط ١٩٦٣ ثم اسندت اليه رئاسة اركان الجيش العراقي، وبعد مقتل شقيقه عبد السلام عارف في حادث مروحية غامض، اجمع القياديون في الوزارة على اختياره رئيساً للجمهورية امام المرشح المنافس عبد الرحمن البزاز ليكون ثالث رئيس بجمهورية العراق.

لمزيد من التفاصيل ينظر:- جريدة الجمهورية، العدد ٤٦٩، ١٩ نيسان ١٩٦٦.

٦- عبد الكريم فرحان:- ولد عام ١٩٢٢، احد الضباط الاربعة التي تشكلت منهم اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار، قام بادوار عسكرية ومدنية هامة، درس القانون بكلية الحقوق بجامعة بغداد وكانت اخر مسؤولية عسكرية تولاها هي قيادة الفرقة الاولى في الجيش العراقي، ومع تطورات احداث مابعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تولى وزارة الثقافة والارشاد القومي عام ١٩٦٣ ثم تقلد منصب الامين العام للاتحاد الاشتراكي في العراق ١٩٦٤ وعين عضواً في القيادة السياسية المشتركة لمصر والعراق، كان من ابرز الشخصيات الوحدودية والعروبية، وحمل حقيبة الزراعة و الاصلاح الزراعي عام ١٩٦٧ واستقال عام ١٩٦٨، واعتزل العمل السياسي ومارس مهنة المحاماة لعدد من السنوات وتوفي عام ٢٠١٥.

لمزيد من التفاصيل ينظر:- عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة وتجربة السلطة في العراق (١٩٥٨-١٩٦٨) ط٢، دار البراق، لندن، ١٩٩٦، ص١٣٨.

٧- سعيد الصليبي:- ولد في مدينة الرمادي عام ١٩٢٢، تخرج من الكلية العسكرية الملكية العراقية في اربعينيات القرن الماضي، شغل العديد من المناصب منها مدير الحركات عام ١٩٦٣، وقائد موقع بغداد وامر الانضباط العسكري (١٩٦٣-١٩٦٨) ومن الابطال المشاركين في حرب فلسطين عام (١٩٤٨-١٩٤٩) وحروب ١٩٦٧-١٩٦٨-١٩٦٩.للمزيد من التفاصيل ينظر:- حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين،ج٢،ط١ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٦٦، ص٥٤.

٨- حردان التكريتي: حردان عبد الغفار العزاوي التكريتي، ولد في مدينة تكريت عام ١٩٢٥ من عشيرة العزة، قائد سلاح الجو العراقي ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة في العراق، وكان من الشخصيات المهمة في ثورة ١٧/ تموز ١٩٦٨ . تقلد عدد من المناصب كان اخرها وزير الدفاع ونائب رئيس الجمهورية. توفي عام ١٩٧١.

لمزيد من التفاصيل ينظر:- سيف الدين الدوري، الفريق حردان التكريتي صحيفة الخيانة والغدر، بغداد، ٢٠٠٤، ص١٨.

٩- طاهر يحيى: طاهر يحيى محمد عكيلي، ولد عام ١٩١٣ في مدينة تكريت وهو من عشيرة الدهامشة، اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في بغداد فعين معلماً، قضى طاهر يحيى حياته العسكرية تحت امرة الزعيم عبد الكريم قاسم، وعند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عينه الزعيم مديراً عاماً للشرطة، وبعد المحاولة الانقلابية الفاشلة لعبد الوهاب الشواف في اذار ١٩٥٩ احيل الى التقاعد وبعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ اصبح عضواص في مجلس قيادتها. توفي عام ١٩٨٦.

لمزيد من التفاصيل ينظر: صحيفة التأخي/ بغداد/٧٨١٤/٦/٦/٢٠١٦.

١٠- احمد فوزي، المصدر السابق، ص٢٢.

١١-ليث عبد الحسن الزبيدي/١٤ تموز١٩٥٨ في العراق، ط٢/ مكتبة اليقظة العربية، بغداد،١٩٨١، ص١٢٧-١٢٨.

١٢-المصدر نفسه، ص١٣٠.

١٣-علي ناصر علوان الوائلي، عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام ١٩٦٦، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية قسم الدراسات التاريخية/٢٠٠٥/ص١٧.

١٤-المصدر نفسه، ص٢١.

١٥-جريدة المنار، العدد ٥٥٧١، ١٩ نيسان ١٩٦٦.

١٦-ميثاق باندونغ: عقد في مدينة باندونغ الاندونسية عام ١٩٥٥وشارك فيه الرئيس جمال عبد الناصر فضلاً عن رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو وجوزيف تيتو رئيس يوغسلافيا والرئيس السوداني اسماعيل الازهري جبهة التحرير الوطني كملاحظ، تبنى مؤتمر مجموعة من القرارات لعام القضايا العربية وضد الاستعمار وكان لمؤتمر باندونغ عشرة مبادئ منها احترام حقوق الانسان الاساسية واهداف ومبادئ ميثاق الامم المتحدة واحترام سيادة جميع الدول وسلامة اراضيها واقرار مبدأ المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام حق كل دولة في الدفاع عن نفسها والامتناع عن القيام باي عدوان وتعزيز المصالح المشتركة وغيرها.

لمزيد من التفاصيل ينظر: مالك بن نبي فكرة الافريقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان. ٢٠١٢، ص٢٨٦.

١٧-صحيفة المنار، العدد ٢١٠٠، ٢٧ نيسان ١٩٦٤.

١٨-صحيفة المنار، العدد ٢٦٣١، ٢٩ تموز ١٩٦٤.

١٩-القران الكريم، سورة ال عمران، اية ١٠٤.

٢٠-احمد فوزي، المصدر السابق، ص١٣٧.

٢١-المصدر نفسه، ص١٣٧.

٢٢-جلال النعيمي، المصدر السابق، ص٣٢٥.

٢٣-المصدر نفسه، ص٣٢٥.

٢٤-عدنان الباجه جي: ولد في بغداد عام ١٩٢٣، يرجع اصل اسرته لمدينة الموصل ولقبيلة شمر العربية، وهو ابن السياسي البارز في عهد الملكيةمزاحم الباجه جي الذي كان رئيس الوزراء

العراقي خلال الحرب في فلسطين عام ١٩٤٧، وعين سفيراً للعراق في الامم المتحدة ابان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم ثم وزيراً للخارجية في عهد عبد السلام عارف، وكان خارج العراق عندما اطاح البعثيون بحكم عبد الرحمن عارف في انقلاب تموز ١٩٦٨ وارتاى عدم العودة والعمل مع المعارضة العراقية اذ كان عضواً بارزاً فيها.

لمزيد من التفاصيل ينظر: حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين/ ج٢/دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/١٩٦٦/١٢٧.

٢٥-صحيفة المنار، العدد ٢٦٥٤، ٣/اذار/ ١٩٦٤.

٢٦- مجلة الخيري/ العدد بلا، تشرين الثاني/١٩٦٥/ص٥.

٢٧-المصدر نفسه، ص٥.

٢٨-مهدي بيراشة: شغل مناصب عديدة من بينها محافظ مقاطعة فارس ووزير داخلية ايران، كما عين سفيراً في بغداد وكان سليط اللسان وفي الحادي عشر من تموز ١٩٦٤ تجاوز مهدي بيراسته الاعراف الدبلوماسية مع الرئيس عبد الرحمن عارف.

لمزيد من التفاصيل ينظر:تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨ ج٩/بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص٢٩٣.

٢٩-صحيفة المنار، العدد ٢٧٣٠، ٢٢ آب ١٩٦٤.

٣٠-محمد رضا بهلوي: ولد في مدينة طهران الايرانية عام ١٩١٩ وهو الابن الاكبر لرضا بهلوي الذي حكم ايران وقد نودي به وريثاً للعرش ١٩٢٦ ، اخر شاه يحكم ايران قبل قيام الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩ واستمر حكمه من ١٩٤١ الى ١٩٧٩ وكان يلقب بـ شاهنشاه اي ملك الملوك عمل الشاه على تغيرات سياسية من اهمها الغاء الاحزاب السياسية مع الابقاء على الحزب الحاكم واعادة الحياة مهمة الشرطة السرية (سافاك)، وكانت حقبة الستينات و السبعينات فترة انتعاش الاقتصاد الايراني . توفي عام ١٩٨٠.

لمزيد من التفاصيل ينظر: حسن الدجيلي، العلاقات العراقية الايرانية خلال خمس قرون، دار الهدى، بيروت، ١٩٩١، ص٤٧.

٣١-جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨، ج٩/بيت الحكمة/ بغداد/٢٠٠٥/ص٢٩٣.

٣٢-صحيفة الجمهورية، بغداد،٢٠،كانون الاول/١٩٦٦، العدد ٢٦٣١، ٢٩ تموز ١٩٦٤.

٣٣-المصدر نفسه.

٣٤-صحيفة الحياة (البيروتية)، العدد ٢٧٥، ٥ نيسان ١٩٦٥.

٣٥- صحيفة الجمهورية، بغداد، العدد ٢/١٠٠ تموز ١٩٦٦.

٣٦- المصدر نفسه.

٣٧- صحيفة الاخبار، (بغداد) العدد

٣٨- صحيفة صوت العراق/ بغداد/٧ تشرين الاول/٢٠١٥.

٣٩- المصدر نفسه.

٤٠- كاظم فنجان/ الحمامي/ قراءة في سجل الراحل عبد الرحمن عارف على الرابط الالكتروني hHP://www.dr.ibrahim-al-allaf.comldete. Ph.? 1,162.

٤١- عارف عبد الرزاق: ولد عارف عبد الرزاق في عام ١٩٢٤ في مدينة كبيسة في لواء الرمادي (محافظة الانبار)، ويرجع نسبه الى قبيلة البوحيدر. تخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٤٣ وفي كلية الطيران البريطانية عام ١٩٤٥، ثم درس في كلية الاركان العراقية بين ١٩٥١-١٩٥٢ وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عين قائداً للقوة الجوية في قاعدة الحبانية ثم احيل الى التقاعد. وعندما تسلم الرئيس عبد السلام عارف الحكم بعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ عين وزيراً للزراعة في وزارة طاهر يحيى الاولى.

لمزيد من التفاصيل ينظر: علياء محمد حسين الزبيدي، اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد/٢٠٠٦ ص١٦٣.

٤٢- جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨،ج٨، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٦٤.

٤٣- المصدر نفسه ص٦٤.

٤٤- مجلة العرفان، المجلد ١٥، العدد ٤٣، صيدا، ١٩٦٧، ص١٠.

٤٥- المصدر نفسه ص١٠.

٤٦- عبد الرحمن البزاز: ولد البزاز في بغداد في جانب الكرخ في محلة (التكارتة)في العشرين من شباط عام ١٩١٣. ينتسب الى عشيرة المعاضيد، دخل مدرسة دار السلام الابتدائية في الكرخ عام ١٩٢٣ وتخرج منها ١٩٢٨ ، دخل المدرسة الثانوية المركزية عام ١٩٢٨ وتخرج فيها ١٩٣٢، بعدها التحق بكلية الفاو والعمارة ونقرة السلمان مدة ثلاث سنوات ونصف ثم اقصي عن الخدمة. وبعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ تسنم منصب سفير العراق في الجمهورية العربية المتحدة في القااهرة، وفي ايلول ١٩٦٥ تسنم منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير النفط بالوكالة في وزارة عارف عبد الرزاق ثم رئيساً للوزراء في عهد عبد الرحمن عارف، توفي عام ١٩٧٣.

لمزيد من التفاصيل ينظر: حميد المطبعي ، اعلام العراق في القرن العشرين، ج٢،ط١، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٦٦، ص١٤٨.

٤٧-ناجي طالب: ولد ناجي طالب بن محمد علي العنزي عام ١٩١٧ بمدينة الناصرية في جنوب العراق من اسرة عربية، من طبقة الاثرياء في المجتمع العراقي انذاك والده الحاج طالب من ملاكي الاراضي ورئيس بلدية الناصرية، اكمل ناجي دراسته وتخرج فيها عام ١٩٣٨ ومنح رتبة ملازم ثان ضمن صنف المدفعية وفي عام ١٩٥٦ انتمى الى تشكيل الضباط الاحرار واختير عضو للجنة العليا التي اسهمت في اسقاط النظام الملكي، توفي عام ٢٠١٢.

لمزيد من التفاصيل: خليل ابراهيم حسين، العراق في الوثائق البريطانية، بغداد،١٩٨٩، ص٣٤.

٤٨- وسام حسين علي العيثاوي، عبد الرحمن ودوره السياسي في العراق للمدة ١٩٦٦-١٩٦٨، ص٣٤.

٤٩- المصدر نفسه، ص١٦.

٥٠- جريدة الجمهورية (بغداد)، العدد ١٠/١٠١٢ آب ١٩٦٦.

٥١- صحيفة النصر (بغداد)، العدد ٧/١٠٢٤ ايلول ١٩٦٦.

٥٢- صحيفة العرب، (بغداد) العدد ٦٩٧، ١١ آب ١٩٦٦.

٥٣- جعفر عباس حميدي/ ج٩/المصدر السابق/ص٢٩٦.

٥٤- المصدر نفسه/ ص٢٩٦.

٥٥- صحيفة الجمهورية/ (بغداد) العدد ٨/١٠١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦.

٥٦- صحيفة الجمهورية (بغداد) ١٩/اذار/١٩٦٧.

٥٧- المصدر نفسه.

٥٨- جعفر عباس حميدي/ج/المصدر السابق/ص٢٩٨.

٥٩- صحيفة العرب/ بغداد العدد ٧٩٥/ ٢٠ آذار ١٩٦٧.

٦٠- صحيفة العرب/ بغداد العدد ٧٨٨/ ١٢ آذار ١٩٦٧.

٦١- المصدر نفسه.

٦٢- جعفر عباس حميدي /المصدر السابق/ص٣٠٠.

٦٣- المصدر نفسه/ ص ٣٠٠.

٦٤- صحيفة الوقائع العراقية/ (بغداد)/ ا تموز ١٩٦٧.

٦٥- المصدر نفسه.

٦٦- شاكر محمود شكري: ولد في بغداد عام ١٩١٢، ودخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٤، شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٦.....ثم تخرج في كلية الاركان عام ١٩٤٢، وبرز اسمه ضمن الضباط الاحرار الذين قامو بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وكان من الشخصيات المهنية والوطنية المعروفة في ذاكرة التاريخ العراقي، توفي عام ٢٠١٢.

لمزيد من التفاصيل: ينظر حميد المطبعي، اعلام العراق في القرن العشرين/ ج١/ ص١٦٤.

٦٧- صحيفة المنار، (بغداد)/ العدد ٣٧٤٣/٦/ ٢٨ آيار ١٩٦٧.

٦٨- محمد عبد الرحمن العبيدي، ايران وقضايا المشرق العربي ١٩٤١-١٩٧٩، اطروحة دكتوراه غير منشورة/ كلية التربية/ جامعة الموصل/٢٠٠٥/ص٥٤-٥٥.

٦٩- المصدر نفسه، ص٥٥.

٧٠- صحيفة التأخي/ (بغداد)، العدد ٢٩٦/٢٥ حزيران ١٩٦٨.

٧١- صحيفة الجمهورية (بغداد)، ٢٧ آيار ١٩٦٦.

٧٢- صحيفة البلد، (بغداد)، ٢٧ آيار ١٩٦٦.

٧٣- صحيفة الغجر الجديد، (بغداد)، ٢٧ آيار ١٩٦٦.

٧٤- صحيفة الجمهورية/ بغداد/ ٨ تموز ١٩٦٦.

٧٥- صحيفة العرب/ بغداد/١٠ تموز ١٩٦٦.

٧٦- جعفر عباس حميدي/ المصدر السابق/ج٩/ص١١٩.

٧٧- المصدر نفسه، ص١١٩.

٧٨- كاظم فنجان، المصدر السابق.

٧٩- المصدر نفسه.

٨٠- صحيفة العرب/ بغداد ٩ تموز ١٩٦٦.

٨١- جودت صوناي: ولد جودت في مدينة طرابزون عام ١٨٩٩. هو عسكري انتقل من الحياة العسكرية الى منصب رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٦. كان مدير للكلية العسكرية عام ١٩٤١. وترقى الى رتبة لواء عام ١٩٥٨. واصبح رئيساً للاركان العامة بعد انقلاب جمال جورسيل عام ١٩٦٠ استقال عام ١٩٦٦ ليبصبح عضو في مجلس الشيوخ توفي عام ١٩٨٢.

لمزيد من التفاصيل ينظر. احمد نوري النعيمي، ظاهرة التعدد الحزبي في تركيا، بغداد/١٩٩٠، ص١٩٥.

٨٢- صحيفة الثورة، (بغداد)، العدد ٣٧، ١٧ كانون الثاني ١٩٦٨.

٨٣- صحيفة الثورة، (بغداد)، العدد ٣٧، ١٧ كانون الثاني ١٩٦٨.

٨٤- صحيفة التاخي، (بغداد)، العدد ٢٦٤، ١٨ نيسان ١٩٦٨.

٨٥- صحيفة الثورة، (بغداد)، العدد ١١٨، ٢٧ نيسان ١٩٦٨.

٨٦- صحيفة التاخي، (بغداد)، العدد ٢٦٥، ١٩ نيسان ١٩٦٨.

٨٧- صحيفة العرب، (بغداد)، العدد ٧٧٣، ٢٣ شباط ١٩٦٧.

٨٨- صحيفة العرب، (بغداد)، العدد ٧٧٩، ١١ آذار ١٩٦٧.

٨٩- صحيفة العرب، (بغداد)، العدد ٨٠٣، ٢ نيسان ١٩٦٧.

٩٠- صحيفة العرب، (بغداد)، العدد ٨٠٨، ٨ نيسان ١٩٦٧.

٩١- احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، دار الحرية للطباعة/ بغداد/١٩٧٥، ص ٣٠٦.

٩٢- المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

٩٣- سحر صادق جابر، السياسة الخارجية التركية تجاه الوطن العربي ١٩٥٨-١٩٧٣، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد/٢٠٠٩/ص١٣٣.

٩٤- المصدر نفسه، ص١٣٣.

٩٥- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية/ج١ ط٧/بغداد/١٩٨٨/ص٣١.

٩٦- المصدر نفسه، ص ٣١.

٩٧- المصدر نفسه، ص٣٣.

٩٨- صحيفة الثورة، (بغداد)، العدد ٧٧٣، ٢٣ شباط ١٩٦٧.

٩٩- صحيفة الثورة، (بغداد)، العدد ٦٢، ١٦ شباط ١٩٦٨.

١٠٠- صحيفة التاخي، (بغداد)، العدد ٢٦٤، ١٨ نيسان ١٩٦٨.

١٠١- صحيفة الثورة، (بغداد)، العدد ١١٨، ٢٧ نيسان ١٩٦٨.

١٠٢- صحيفة التاخي، (بغداد)، العدد ٢٦٥، ١٩ نيسان ١٩٦٨.

١٠٣- جعفر عباس حميدي، المصدر السابق/ ج١/ص٢٤٥.

١٠٤- ماجد عبد الرضا، المسألة القومية الكردية في العراق (١٩٥٨-١٩٧٥) بغداد، ١٩٧٠، ص١٤٢-١٤٣.

١٠٥- المصدر نفسه، ص١٤٣.

١٠٦- وسام حسين العيثاوي، المصدر السابق، ص٢٠.

١٠٧- علياء حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص٤١١.

١٠٨- المصدر نفسه، ص٤١٢.

١٠٩- جريدة البلد (بغداد)، العدد ٦٣٧، ٣٠ حزيران ١٩٦٦.

١١٠- جريدة العرب (بغداد)، العدد ٦١٤، ٣ تموز ١٩٦٦.

١١١- مصطفى البرزاني: (١٩٠٣-١٩٧٩)، زعيم كردي من العراق، يرجع نسبه الى امراء العمادية العباسين، ولد في منطقة برزان في شمال العراق، في عام ١٩٣١ يشارك اخاه الاكبر احمد البارزاني في قيادة الحركة الثورية للمطالبة بالحقوق القومية للاكراد لكن هذه الحركة تم اخمادها من قبل الحكومة الملكية العراقية في عام ١٩٣٥. وتم نفي البارزاني مع اخيه الى السليمانية.

لمزيد من التفاصيل ينظر: شكيب عقراوي، سنوات المحنة في كردستان، ٢٠٠٧، ص٢٣٥.

١١٢- علياء حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص٤١٢.

١١٣- المصدر نفسه، ص٤١٢.

١١٤- وسام العيثاوي، المصدر السابق، ص٢٠.

١١٥- علياء الزبيدي، المصدر السابق، ص٤٢٠.

١١٦- المصدر نفسه، ص٤١٣.

١١٧- المصدر نفسه، ص٤١٦.

١١٨- جريدة الجمهورية، بغداد، العدد ١٠٥٣، ١٩ تشرين الاول ١٩٦٦.

١١٩- علياء حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص٤٢٠.

١٢٠- الجمهورية العربية المتحدة: هو الاسم الرسمي للوحدة بين مصر وسوريا والتي كانت بداية التوحيد الدول العربية التي كانت احدى احلام الرئيس جمال عبد الناصر، اعلنت الوحدة في الثاني والعشرين من شباط ١٩٥٨ بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر اختير عبد الناصر رئيساً والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة.

لمزيد من التفاصيل ينظر: صبحي/ منذر/ياغي، الوحدة السورية المصرية، ٢٠١٢، حسن ٤٩.

١٢١- صلاح الخرسان، التيارات السياسية في كردستان العراق، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٤٦.

١٢٢- وسام العيثاوي/ المصدر السابق/ص٢٠.

مراكز الحركة الفكرية
والعلمية في العراق في العصر البويهي

م.م. إيمان عبد الجبار محمود التميمي

مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهي

م.م. إيمان عبد الجبار محمود التميمي

الملخص

شغلت مراكز الحركة الفكرية في العراق في عصر التسلط البويهي حيزاً ملموساً على أرض الواقع، فقد سعى ارباب الدولة واكابرها وعلمائها لابراز ادوار هذه المراكز وتطويرها من خلال جهودهم التي ما انفكت تستمر في التطور ليخدم أرض الواقع التي نشأت عليه، وكانت الكتاتيب أولى هذه الأماكن، وعلى الرغم من أن بداياتها الأولى كانت بسيطة، حيث كانت تختص بتعليم الصغار المراحل الأولى للقراءة والكتابة، الا أنها تطورت وتوسعت لتنتقل إلى زوايا المسجد لتحتل حيزاً أكبر وتنتشر في الاماكن الأخرى كالمساجد والجوامع التي كان يتزاحم فيها الطلبة، فضلاً عن حلقات العلم التي كان يديرها العلماء في هذه المساجد والجوامع، كما كانت منازل العلماء التي ويحضرها الطلبة وتعقد فيها المناظرات أحدى هذه المراكز التي شجعت على نشر العلم والمعرفة آنذاك، فضلاً عن الأماكن الأخرى التي كان يؤمها العلماء والأدباء على مختلف مراحل دراساتهم وأبحاثهم كالاسواق وحوانيت الوراقين والمكتبات العامة والخاصة، والتي كانت من الملتقيات الكبرى والتي تمثل منتديات ثقافية لهؤلاء حيث تتم حينها تبادل الثقافات المختلفة بين هؤلاء والتي كانت تعج بنفائس الكتب التي تنقل اليها من كل حدب وصوب والتي يكون بعضها بخطوط مؤلفيها أو بخط النساخين في حوانيت الوراقين أو على ايدي طلبة الشيوخ، الذين يقومون بتأليفها، وهذه الكتب لاقت رواجاً كبيراً من قبل مقتنيها خاصة في اسواق بيع وشراء هذه الكتب، فضلاً عن وجود المكتبات الضخمة التي كان ينشئها الخاصة والعامة وتكون متاحة للجميع للتزود بالعلم والمعرفة، وتشجيع السلاطين والأمراء والوزراء البويهيين على الحركة العلمية في هذا العصر.

The centers of intellectual and scientific movement in Iraq in the Buayyhi era

Preparation: Assistant. Lecturer. Iman Abdul-Jabbar Mahmoud Al-Tamimi

Abstract:

The centers of intellectual movement in Iraq in the era of the domination of Buayyhi occupied a concrete space on the ground, The heads of state and their scholars and scientists sought to highlight the roles of these centers and develop them through their efforts, which did not continue to evolve to serve the ground on which it arises, It was simple, as it was concerned with the education of young people; the early stages of reading and writing, But it developed and expanded to move to the corners of the mosque to occupy more space and spread in other places such as mosques and mosques, which was crowded with students, As well as the seminars of science, which was administered by scientists in these mosques and mosques, As were the homes of scientists attended by students and hold debates, is one of these centers that encouraged the dissemination of science and knowledge as well, As well as other places that were guided by scientists and writers on the various stages of their studies and research, such as markets and shops Alorakin public and private libraries, Which was one of the major forums that represent cultural forums for these, Where the exchange of different cultures between those who were full of the benefits of books that are transferred to it from every corner, some of which are in the handwriting of the authors themselves or the line of women in the shops of the Warkin or by the students of the elders who are writing it, And these books have been very popular by their owners, especially in the markets of buying and selling these books, As well as the existence of large libraries that were created by private and public and are available to all to provide science and knowledge, And to encourage the sultans, princes and ministers of the Buayyhi to the scientific movement in this era.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد النبي صلى الله عليه وسلم وآلة اجمعين، وبعد ..

شهدت بغداد في عصر التسلط البويهي نهضة علمية شاملة في كل ميادين الحياة، حيث ارتكزت سياسة البويهيين على بناء حضارة اسلامية قائمة على تشجيع العلم والثقافة وينشرهما كدعامة اساسية للدولة، حيث أولى بني بويه اهتماماً كبيراً بهما فأسسوا المكتبات الضخمة واستقطبوا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والمفكرين من الفلاسفة والفلكيين والأطباء وغيرهم، مما جعل بغداد غاية لكل ما يتمناه المثقفون في كل الانحاء.

كان من أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر هو وجود مراكز لهذه الحركة يؤمها القاصي والداني من مختلف الاجناس والطبقات من الطلبة والمثقفين والعلماء، فضلاً عن اهتمام السلاطين والأمراء البويهيين بهذه الطبقة وتقريبها من البلاط البويهي واغداق الهدايا والعطايا على المتميزين منهم، وكان من نتاج هذا الاهتمام نشوء المكتبات الضخمة واحتوائها على نفائس الكتب بعضها بخطوط مؤلفيها، وتشجيع المؤلفين على التأليف، كما انشرت عادة اهداء الكتب إلى الأمراء والوزراء من قبل مؤلفيها، أو تكليف المؤلفين من قبل الأمراء والوزراء بتأليف هذه المؤلفات، إما طمعاً في المال من قبل المؤلفين وكذلك لنيل الخطوة لديهم، أو لنيل الشهرة، كما زخرت الاسواق بالكتب النفسية التي كانت تجلب إلى اسواق بغداد من كل حدب وصوب، ولاقت رواجاً كبيراً من قبل مقتنيها من الفئات المثقفة وطالبي العالم.

اهتم بني بويه بنشر العلم وتقريب الأطباء والفلاسفة والمفكرين والفلكيين فكان انشاءهم للبيمارستانات كجانب من اهتمامهم بنبوغ الطب وتشجيع الطلبة على الاهتمام بهذا العلم، وانشاء العمائر الطبية التي كانت تخدم بالدرجة الأولى منشئيها وحاشيتهم ومن ثم المرضى من العامة، وكذلك لنيل الشهرة، ولعلنا لا نبالغ لوقلنا ان ثمرة ازدهار هذه الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر، والذي تغلغلت فيه الثقافة والمعرفة في جميع اوساط وفئات المجتمع العباسي، وبروز صفوة من العلماء والادباء والمفكرين قادت هذه الحركة بما يدعم حضارتنا الانسانية العريقة، وما احدثه هؤلاء من علوم وكتبوه من مؤلفات وما نظموه من اشعار خلدت تاريخهم عبر العصور.

أولاً : الكتاتيب :

الكتاتيب هي جمع كُتّاب ومفردها المكتَب ، وهي موضع تعلم الكتابة والمكتب موضع التعليم، والمكتب : المعلم، والكتّاب : الصبيان.[١]

تعد الكتاتيب من أقدم واول المراكز التعليمية عند المسلمين، وقد عرفه العصر قبل الإسلام منذ العصر الجاهلي، وأنه كان يهدف إلى تعليم الصبية القراءة والكتابة[٢].

لما جاء الإسلام داعياً إلى طلب العلم في أول آية نزلت على رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم : ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))[٣].

كان الغرض الاساسي من الكتُاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم ،وما يتصل به من علوم اللغة والادب،[٤] الا ان الناشئ عادة يبدأ بالتعلم في هذه الكتاتيب، مبادئ القراءة والكتابة وبعض السور القرآنية، وشيئاً من الحساب وبعض الاشعار والأمثال،[٥] الا ان بعض معلمي هذه الكتاتيب يعلمون الناشئة أيضاً بعض السنن والفرائض والنحو والعروض غيرها،[٦] كما كانوا يؤثرون تعليم البنات وتحفيظهن القرآن الكريم وخاصة سورة النور. [٧]

كان هؤلاء الطلبة الناشئين يكتبون على ألواح من خشب الابنوس أوالخشب العادي، وكلما فرغو من درس محوه، وأثبتوا مكانه درساً أخراً،[٨] وكان على معلميهم ان يرفقوا بهم وان يقدموا لهم النصح والمشورة، غير ان الرفق بهم ليس معناه الميوعة والاستسلام، فالتربية الحق هي التي تبني الشخصية ،وتنشط الذهن، وتمكنه من الابداع بدون حرية مطلقة، لأن الحرية المفرطة تؤدي الى الفوضى، فلابد من الترهيب ان لم ينفع الترغيب ،[٩] لذا كان المعلمين يؤدبونهم بالجلد والضرب والحبس أحياناً،[١٠] وهذ العقاب يكون اذا تثاقل التلميذ عن الاقبال الى المعلم ،او تباطأ في حفظه، او اكثر من الخطأ، وغيرها من الاخطاء ،فعليه ان ينبهه اكثر من مرة قبل توجيه العقاب له ،فان تغافل يؤنَب بالعقاب كالضرب الذي يجب ان لايزيد عن ثلاث ضربات . [١١]

كان الاباء يتشددون في اختيار أولئك المعلمين لأبنائهم،[١٢]الذين كانوا يتقاضون اجوراً زهيدة، لا تتجاوز أحياناً بعض رغفان الخبز التي كانت تختلف احجامها وانواعها باختلاف احوال اباء طلابهم المعيشية من غنى وفقر،[١٣] بيد أنه يجب عليهم ان لا يفرقوا في التعليم بين غني وفقير،على حد قول ابن سحنون :((يجب العدل في التعليم، ولا يفضل بعضهم على بعض ولوتفاضلوا في الجُعل...)) [١٤]،وان كان بعضهم يكرم بالهدايا. [١٥]

بجانب معلمي اولاد العامة في هذه الكتاتيب معلمون لأبناء الخاصة، كان منهم اللغوي والاخباري والفقيه والمحدث والمقرئ، وكان هؤلاء أحسن حالاً من معلمي العامة،[١٦] الا أن البعض من هؤلاء المعلمين لم يكونوا يتقاضون أي اجور، وكان تدريسهم لهؤلاء الطلبة احتساباً لله تعالى وطلباً للأجر،[١٧] في حين إذا كان المعلم قاصراً ولم يستفد منه الطلبة او المتعلمون مما اشترط عليه الاباء أو الأولياء فأنه لا يعطى من الأجرة المتفق عليها معه،[١٨] أما من يعلم ابناء الخلفاء والوزراء في البيت العباسي والقادة فقدعرفوا (بالمؤدبين)، [١٩] وكانت تصرف لهم رواتب كبيرة، جعلهم يعيشون في خفض من العيش وسعة

من الرزق، ومنهم المفضل الضبي[٢٠]، معلم الخليفة المهدي العباسي،[٢١] والكسائي[٢٢]، معلم الخليفة الرشيد وابنيه الأمين والمأمون.[٢٣]

فلا غرو أن كانت تلك الكتاتيب محل العناية من الكبراء والاعيان والاغنياء، فهي المرحلة التمهيدية الأولى التي تهيء الصبيان لمرحلة الدراسة في المسجد،[٢٤]والتي لم يكن لها سن معين في الدخول اليها ،بل كان الامر متروكاَ الى اباء هؤلاء التلاميذ، بيد انهم غالباَ مايرسلون في سن (٥-٧)سنوات .[٢٥]

كان الكُتّاب على مدى العصر عبارة عن بناء بسيط في الغالب على هيئة البيت مربع أو مستطيل، لم يكن يُعتنى بتأثيثه عناية كبيرة، ويكون مفروشاً بحصير عادية يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلم الذي يجلس على كرسي مرتفع أو ربما دكة عريضة أو سرير ليس عليها سوى فراش بسيط،[٢٦]وكان بعضها يبنى على الاغلب بجانب المسجد، وبعضها الاخر مفصولاَ عنها، وربما كانت في بيوت المؤدبين حرصاَعلى النظافة وابعاد التلاميذ الصغار عن المساجد كون الصبيان لايتحرزون من النجاسات .[٢٧]

ومما تقدم دليل على ان للكُتّاب دور عملي مهم ، حيث كانت شاملة التربية والتعليم في الوقت ذاته، وإن الدولة تبنت قيام الكتاتيب عبر العصور وأدامت الانفاق عليها، فانتشرت في المحلات والارباع في المدن لتقدم خدماتها لأبناء المسلمين عامة دون تمييز، وقد قدمت كتب الحسبة[٢٨]، صورة واضحة عما ينبغي ان يقدم للناشئة من مبادئ العلوم في هذه الكتاتيب، والتي كانت تحت رقابة المحتسب وعرفاءه، الذي يتولى مسؤولية الاشراف على ما يقدم إلى هؤلاء الصبيان والفتيات في هذه الكتاتيب،[٢٩] كما يظهر ذلك جلياً من اهتمام الخلفاء بالمعلمين والمؤدبين، ومدى تأثير الحسبة في أعمال الرقابة على مؤدبي الصبيان، بيد أن البعض ينكر مهمة هذه الكتاتيب وينعتها بأنها طريقة أدت إلى جمود التعليم وعدم تطوره،[٣٠] بحجة أن العاملين في هذه الكتاتيب اقتصروا في غايتهم على تحفيظ القرآن للنشء وتلقينهم اصول الدين والبعد عن المسائل الدنيوية مما ادى الى الجمود وعدم قدرة المتعلمين على الخوض في العلوم العقلية التي تدور أحياناً حول الأمور الدينية.[٣١]

ولعلنا بذلك نظلم معلمي هذه الكتاتيب الذين تخّرج على أيديهم اغلب علماء المسلمين الذين نالوا شهرة كبيرة وخاضوا في العلوم العقلية والذين كانوا قد درسوا بدءاً في هذه الكتاتيب.

ثانياً : المساجد والجوامع :

تعد المساجد من اكبر معاهدة الدراسة، ولم تكن للعبادة وحدها، ولكن كانت تؤدى فيها اعمال مختلفة، فهي مكان للعبادة تقام فيها الصلوات الخمسة، وتخطب فيها الخطب، ومحكمة للتقاضي،[٣٢]واذا اقيمت فيها صلاة الجمعة اطلق عليه اسم مسجد جامع .[٣٣]

كانت تلك المساجد معاهد للثقافة ولدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه واللغة وغيرها من العلوم، فقد قامت هذه المساجد بعمل حيوي وكبير في الحياة الثقافية،[٣٤] وكانت ساحات تلك المساجد هي ساحات العلم الكبرى، فهي لم تكن بيوتاً للعبادة فحسب، بل من اكبر الاماكن لتعليم الشباب،[٣٥] فاذا ماأتم الطفل دراسته في الكُتَاب ينتقل الى المرحلة الثانية من الدراسة ،وهي الحلقة في المسجد ،[٣٦]حيث يتحلقون فيه حول الاساتذة يكتبون ما يقولونه هؤلاء الشيوخ أو ما يملونه على طلبتهم، حيث كان الاستاذ يستند إلى اسطوانة في المسجد ثم يأخذ في القاء محاضراته أو املائها،[٣٧] في حين كان بعض العلماء يعرف بأحد المساجد باسمه،[٣٨] كمسجد عبدالله بن المبارك[٣٩]، الذي يأتيه القاصي والداني ليقرأ عليه.[٤٠]

برزت في هذه المساجد ظاهرة نشوء طائفة من العلماء والادباء الذين تنوعت معارفهم تنوعاً واسعاً، ولم يكتفوا بالانضمام إلى حلقة واحدة بل مضوا يختلفون إلى جميع الحلقات آخذين بطرف من كل لون من الوان المعرفة،[٤١] لعل ذلك ما يدعنا إلى تسميتهم بالموسوعيين، الا أنه كان يطلق عليهم اسم المسجديين، حيث كانت لهم حلقات خاصة بهم في المساجد يسوقون بها فنونا من الجدال والحوار في أي شيء يعرض لهم،[٤٢] وفي ظل هذه الظروف كانت المساجد مكاناً رائعاً لعقد المناظرات[٤٣] التي يحضرها خلق كثير من علية القوم واكابرهم ، والتي لم تكن مقتصرة على علوم الدين بل كانت في علم الكلام وعلوم اللغة وغيرها،[٤٤]وكان يشد ازر تلك المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والامراء ،الذين يشتركون في الرأي، وكان العلماء يستعدون لهذه المناظرات، ويتسلحون لها رغبة في الشهرة وذيوع الصيت،[٤٥] ولعل ذلك السبب ما دعى خلفاء بني العباس إلى الحرص على مراقبة تلك المساجد، للوقوف على الافكار المعارضة لهم ومكافحتها، وهو أيضاً ما دفعهم لتعزيز سلطتهم واشرافهم على المساجد، فيذكر التنوخي: انهم منعوا التدريس بها الا بعد موافقة الخليفة،[٤٦] فلا غرو من قولنا أن هذه المساجد كانت وسيلة لتبليغ الافراد اوامر الدولة وتعليماتها وانظمتها، واظهار شرعية الولاة والموظفين وتبعيتهم وطاعتهم للخلافة العباسية، فهي فضلاً عن معاهد الدراسة وتلقي العلم هي مراكز للعبادة، والمكان الذي يؤمه الخليفة لاقامة الصلاة، ويلقي فيه خطبته الأولى، التي يبين فيها سياسة حكمه.

اتخذ العلماء من المساجد مقراً لهم ،[٤٧] وشكلت علوم الشريعة الاسلامية اساس مواد الدراسة في تلك المساجد، خاصة علوم القرآن كالتفسير، والقراءات ،وعلوم الحديث ،والفقه والكلام، بالاضافة الى العلوم الاخرى المختلفة كاللغة والادب وبعض علوم الطب والفلسفة والمنطق،[٤٨] في حين اختصت بعض هذه الحلقات بموضوع واحد،[٤٩] كما ضمت هذه المساجد حلقات التدريس ضمت حلقات الفتوى للمذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي،[٥٠] وقد تعاقب على هذه الحلقات كبار علماء كل مذهب من هذه المذاهب، وتنوعت اساليب التدريس في هذه الحلقات واشكال النقاش فيها ،اما بالشرح والمناقشة او بالاملاء، والتي كانت تفيد الطالب في التعلم وتعوده على التفكير والاستنتاج،[٥١] وكانت تعقد حلقات للحديث النبوي الشريف، ومجالس الوعظ،[٥٢] وكان الفقهاء فيها يملون على تلاميذهم من علوم القرآن

والحديث والفقه واللغة، وقد عرف عن ابي حامد الاسفراييني[٥٣] أنه كان يحاضر بعلوم الفقه الشافعي في مسجد عبد الله بن المبارك ببغداد، وكان يحضر مجلسه ما بين (٣٠٠-٧٠٠) فقيه وطالب علم.[٥٤]

شهدت بغداد في تلك الفترة نشاطاً صوفياً كبيراً، تحالف فيه كبار رجال التصوف مع الخلافة العباسية، وسمح لهم بعقد الحلقات العلمية والمناظرات في المساجد ليدافعوا عن السنة امام التشيع الذي كان منتشراً في عصر التسلط البويهي[٥٥]، ونحن لسنا بصدد الخوض في موضوع التصوف المتشعب والواسع ومؤسساته التي تعد من ضمن المراكز العلمية والفكرية في ذلك العصر، كوننا افرزنا بحثا خاصاً للتصوف تحدثنا به عن ذلك.

على أن لا يفوتنا أن نذكر ان التعلم في تلك المساجد كان حر حرية مطلقة فليس هناك موعد محدد لحضور الطلبة او لانصرافهم، وليس الطالب مقيداً بالاستماع إلى استاذ معين أو دراسة علم معين، كما ان الشيخ نفسه ليس مقيداً بمنهج ثابت،[٥٦] ولم يكن يشترط للحضور في هذه حلقات الدرس هذه أي شرط سوى الرغبة في الاسماع، والتي كانت مباحة للجميع، مماهيأ لهذه الظاهرة كثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن،[٥٧]وكان لكل فرع من المعرفة حلقته الخاصة به وكان الكثيرون يتحلقون حول حلقات اللغويين والنحاة، ويقال أنه بلغت حلقات أحدهم مائة شخص،[٥٨]كما كانت هناك حلقات اخرى علمية غير تخصصية يحضرها من شاء من الناس. [٥٩]

بمرور الزمن ازداد عدد المساجد والجوامع زيادة كبيرة وتطورت وظيفته، ولعلنا لا نبالغ لو قلنا انه نتيجة لتلك الحرية المطلقة في التعليم في المساجد وازدياد اعدادها كانت هناك حلقات خاصة للشعراء ينشدون فيها اشعارهم،[٦٠] بيد ان كل مسجد احتفظ بدوره كمركز علمي،وكان الجامع المعروف بجامع المنصور[٦١] ،الذي شيده الخليفة وعرف باسمه بجانب قصره في المدينة المدورة، اصبح من اشهر مراكز التعليم والحركة الفكرية في العصر العباسي،[٦٢]والذي كان قبلة انظار الاساتذة والمدرسين،[٦٣]والذي احتوى مكتبة كبيرة تحوي الالاف الكتب المتنوعة في كل العلوم والفنون والتي كانت في متناول يد الجميع،[٦٤] وتنوعت فيه حلقات النحو والشعر المختلفة،[٦٥]حتى إن احدى قباب جامع المنصور كان يطلق عليها قبة الشعراء، يجتمعون تحتها يتداولون الشعر. [٦٦]

خلاصة القول ان وجود تلك الحرية في التعلم التي اتاحتها المساجد والجوامع للمتعلمين من حيث عدم اقتصاره على اداء الصلاة والعبادة، وقراءة القرآن الكريم وحفظه، وتطور دورها في عقد الحلقات الدراسية العلمية والفكرية والمناظرات العقائدية، فليس من شك ان هذا الصنيع هو احد اسباب ازدهار الحركة العلمية في العصر البويهي .

ثالثاً :منازل العلماء

لجأ بعض العلماء عند الضرورة الى التعليم في منازلهم، مع ان المسلمين اعتبروها لاتصلح للتعليم لافتقارها لابسط مستلزمات الراحة والسكون ،الا انها كانت منذ وقت مبكر مكانا لالتقاء المسلمين ،وحتى قبل وجود المسجد،[٦٧]فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يلتقي بالمسلمين في بيته بمكة.

اتخذ بعض علماء المسلمين من بيوتهم مكانا للتعليم، ومنها منزل الشيخ الرئيس ابن سينا[٦٨]،الذي كان يجلس فيه للتدريس في الليل،[٦٩]ومن المنازل المشهورة في العصر البويهي والتي كان العلماء يتزاحمون فيها هي دار المرزباني[٧٠]،والتي يذكر ان عضد الدولة البويهي كان يقف ببابه الى ان ينزل ويسلم عليه[٧١] لعلنا بذلك يمكننا القول ان بيوت العلماء كانت احدى مراكز الحركة الفكرية في العصر البويهي .

رابعاً :خزائن الكتب والمكتبات العامة والخاصة :

الخزانة كلمة معروفة، وهي اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء،[٧٢] وفي قوله تعالى : **((قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ))**[٧٣]،فقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على المكان الذي تخزن فيه الكتب،[٧٤] فقد كان للكتب دور كبير في الحياة العلمية، وقد اعتنى بها المسلمون عناية كبيرة، وكان لها أثر واضح في نشر الثقافة والتعلم وتشجيع الطلاب على استمرار الدراسة والبحث العلمي،[٧٥] فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية، واصبحت فيما بعد هذه المكتبات من أهم مراكز الثقافة الإسلامية،[٧٦]وتشير المصادر التاريخية إلى أن خزانة بيت الحكمة التي أنشاها الخليفة العباسي الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)، [٧٧] هي أولى الخزائن التي عرفت ببغداد والتي كان يعمل فيها علماء مختلفوا الثقافات والألسن كاليونانية والفارسية والسريانية وغيرها.[٧٨]

ان من المفيد ان نذكر ان بيت الحكمة كان مؤثث بأفخر الاثاث من حيث الرفوف والسجاد والستائر،[٧٩] وهو يتكون من طابقين يضم الطابق السفلي منه قاعات خاصة بخزائن الكتب ،واقسام الترجمة، والنسخ، والتأليف، والتجليد، والمطالعة، والدراسة بكل مجالات المعرفة والعلوم ،في حين خصص الطابق العلوي لاقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين وغيرهم. [٨٠]

اما طرق الحصول على الكتب الى بيت الحكمة فكانت متنوعة،فهي اما عن طريق الكتب التي يجلبها المسلمين من البلاد المفتوحة،او عن طريق الشراء،او الهدايا ،ولكن المصدر الرئيسي لها عن طريق التأليف اوالترجمة اوالنسخ داخل حدود الدولة الاسلامية بشكل عام وداخل المكتبة بشكل خاص،[٨١] ولهذا كان فيها مالايعد ويحصى من الكتب ، ويبدو جلياً أن ذلك أدى إلى تنوع موضوعات الكتب التي احتوتها، وقد بقيت خزانة بيت الحكمة حتى مجيء المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) إلى بغداد وخربت على

ايديهم وأحرقوا كتبها يقول القلقشندي : ((لم تزل على ذلك إلى أن هاجم التتر بغداد وقتل ... أخر الخلفاء ... فذهبت خزانة الكتب بما فيها وذهبت معالمها...)) [٨٢].

كان انتشار الكتب والمكتبات العامة والخاصة في هذا العصر ما يدعو للاعجاب، حيث كان لكل جامع من الجوامع مكتبة كبيرة، إذ كان من عادة العلماء ان يوقفوا كتبهم إلى الجوامع، وكان لكل امير مكتبة عظيمة يفتخر بها ويسعى إلى تنميتها، كما كان للوزراء مكتبات ضخمة حوت الالاف الكتب والمجلدات، وقد كانت كتب أحدهم تحمل على اربعمائة جمل أو أكثر، وتقع فهارسها في عشرة مجلدات هذا غير اهتمام العلماء بالكتب الذي فاق كل وصف،[٨٣] حيث كانوا يتخذون في بيوتهم مكتبات تجمع مؤلفاتهم أو غيرها من المؤلفات[٨٤].

يشير التنوخي إلى ان ابن المنجم[٨٥] كانت له ضيعة نفيسة، وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها "خزانة الحكمة فكان يقصدها الناس من كل بلد يقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم مبذولة لهم في ذلك والصيانة مشتملة، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى"[٨٦].

ومن المكتبات العجيبة التي عرفت في ذلك العصر هي مكتبة شيراز[٨٧]التي أقامها عضد الدولة البويهي في قصره، والتي كان المقدسي يتردد عليها للإطلاع على الكتب والمخطوطات الموجودة فيها، وليس يبالغ المقدسي بوصفها حين قال أن عضد الدولة : ((خرق فيها الانهار ونصب عليها القباب واحاطها بالبساتين والاشجار وحضر فيها الفياض وجمع فيها من المرافق والعدد، وكان فيها ثلاثمائة وستون حجرة وداراً، ولكل حجرة وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبقى كتاب في وقته من أنواع العلوم كلها الا حصله فيها، وكان يلصق على ابواب الخزائن اسماء الكتب التي فيها ومقسمة حسب موضوعاتها.[٨٨]

ويذكر التنوخي اسماء للكثير من الكتب المتنوعة بعلومها والتي انتشرت في ذلك العصر، لعل اشهرها كتاب الأغاني لابي الفرج[٨٩]الاصبهاني الذي نال حظوة كبيرة مع مؤلفه عند عضد الدولة، ويذكر التنوخي أن الاصبهاني اجازهُ له أيضاً.[٩٠]

أما مكتبة بهاء الدولة التي بشيراز أيضاً فقد كانت مكتبة كبيرة كان خازنها ابن البواب صاحب الخط الجيد المشهور، ولكبر حجمها استغرق ابن ابواب فترة طويلة للبحث فيها عن جزء مفقود للقرآن بخط الوزير،[٩١] ابن مقلة[٩٢]كذلك الكاتب الوزير ابن العميد[٩٣]،الذي قال عنه ابن خلكان : " ان الكتابة ابتدأت بعبد الحميد وانتهت بابن العميد "[٩٤] ،كانت له مكتبة رائعة اشرف عليها المؤرخ المشهور مسكويه، فيها من الكتب مايزيد على حمل مائة وقر.[٩٥]

ان من الجدير بالذكر انه لم يكن احد من علماء بغداد يخلو بيته من مكتبة أو خزانة لكتب، ولربما تكون في اكثر من موضع في العلم، وليس في نفس العلم، ويذكر الخطيب البغدادي: ان المؤرخ ابا بكر الصولي[٩٦] (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) كان يمتلك بيتاً كبيراً مملوء بالكتب، وكانت كلها من سماعه وقد

رتبها صفوفاً بحسب لون جلودها ((كل صف من الكتب لون، صف أحمر، وآخر أخضر، واخر أصفر، وغير ذلك)) [٩٧].

كما تمتع الوزراء والأمراء والوجهاء باقتناء مكتبات ضخمة في بيوتهم حوت الالاف الكتب والمجلدات فالوزير الصاحب[٩٨] بن عباد (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) كان عنده من الكتب ما احتاج إلى نقلها حمل اربعمائة جمل.[٩٩]

ومن المكتبات العامة التي اشتهرت في هذا العصر هي دار العلم التي أنشاها الوزير سابور بن اردشير سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) في محلة الكرخ، والتي تعتبر من اهم دور العلم، والتي حوت من كل علم وفن،[١٠٠]ويصفها ياقوت بانه: ((لم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة)) [١٠١]، وقد زارها الشاعر ابو العلاء المعري[١٠٢] عندما قصد بغداد وتعرف على محتوياتها والعلماء والادباء الذين كانوا يرتادوها، وظل المعري يتردد عليها حتى صارت بينه وبين العاملين فيها صحبة وصداقة ، وكان المشرف عليها انذاك الشريف المرتضى[١٠٣]، لعل من المفيد ان نذكر ان دار العلم بقيت عامرة حتى شبت فيها نار احرقت الكتب سنة (٤٥١م/١٠٤١م) . [١٠٤]

خامساً : حوانيت الوراقين :

كان أهم اسباب بلوغ الحركة العلمية ذروتها من النهضة الواسعة هو استخدام الورق، الذي أخذ يعم منذ مفتتح هذا العصر،[١٠٥] ولما نشطت حركة الترجمة والتأليف، وتقدمت صناعة الورق، تبع ذلك ظهور الكثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب،[١٠٦] فالوراق :هو ذلك الرجل الذي يمتهن حرفة الوراقة.[١٠٧]

تمتعت هذه المهنة بازدهار كبير في هذا العصر نتيجة لهذه الحركة ولكثرة ما نقل ونسخ من الكتب والمؤلفات إلى جانب جودة النسخ والتصحيح والعناية بها، [١٠٨] فيذكر ابن خلدون : ((وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين...)) [١٠٩].

يبدو أن الحاجة دعت إلى ظهور عدد غير قليل من حوانيت الوراقين، وهذه الحوانيت هي الاماكن الخاصة ببيع الكتب ،وقد فتحت اصلاً لأغراض تجارية ،الا انها تحولت الى مسرح للثقافة والحوار العلمي، فلم يكن بائعوا الكتب هؤلاء مجرد تجار ينشدون الربح ،وانما كانوا على

و يذكر اليعقوبي أنه بلغ عدد هذه الحوانيت في بغداد في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري أكثر من مئة حانوت،[١١٠] بل ان اسواقاً كاملة في بغداد تخصصت بهذه المهنة، وتحولت هذه الدكاكين إلى مراكز للثقافة في حين شكل الوراقون جزء من الهيكل التنظيمي لمراكز الحركة الفكرية في بغداد في هذا العصر،[١١١] فلاعجب أن يتخذها العلماء والأدباء اماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم والادب .

ومهنة الوراقة من المهن المهمة التي يصفها السبكي[١١٢] :بأنها من أجود الصنائع، لما فيها من الاعانة على كتابة المصاحف والوثائق التي كتبت بين الناس[١١٣]، فلا غرو حين يصفها ابن خلدون بانها

من امهات الصنائع الشريفة ويشببها بالطب بقوله : ((واما الشريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة و ... والطب)) [١١٤].

وكنتيجة للنهضة العلمية والفكرية في هذا العصر، مضى الكثير من العلماء يتخذون لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم، ويذيعونها بين الناس، وأخذ كثير من الأفراد يعنون باقتناء المكتبات ويوظفون فيها الوراقين للنسخ،[١١٥] مما حدى ببعض الوراقين أن ينشأ لهم دكاكين كبيرة ملئوها بالكتب يتجرون فيها، وكان بعض المثقفين من الشباب وغيرهم يغدون إلى هذه الدكاكين لا ليشتري الكتب فحسب، بل ليقرأ ما لذ وطاب من صنوف الآداب لقاء أجر بسيط يتقاضاه من صاحبها ،[١١٦] يبدو ذلك يشبه مبدأ استعارة الكتب من المكتبات الخاصة الان، ولا يفوتنا أن نذكر ان البعض من هؤلاء الوراقين أو النساخين بلغ من عنايتهم بعملهم أن موه بعض كتاباته بالذهب.[١١٧]

لاجرم في قولنا أن ذلك يعلل ما ذكره ياقوت عن الجاحظ من أنه كان ملازماً لدكاكين الوراقين يبيت فيها ويكتريها.[١١٨]

كانت تجري في تلك الحوانيت المناظرات الادبية بين العلماء والادباء ،الذين كانوا يتناقشون في العديد من الامور العلمية والادبية ولاهمية تلك اللقاءات يذكر ابن طباطبا :وصية المهلب[١١٩] بن ابي صفرة لبنيه " يابني اذا وقفتم في الاسواق ،فلا تقفوا الاعلى من يبيع سلاح او يبيع كتب " . [١٢٠]

أن من الملفت للنظر ولأهمية حوانيت الوراقة وفوائدها العلمية والثقافية أن الخليفة المنصور عند بناءه اسواق بغداد جعل فيها سوقان للوراقة احدهما في الجانب الغربي، وهو الكرخ والذي ذكره اليعقوبي عندما تحدث عن بغداد بقوله : ((اسواق كثيرة وأكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون، اصحاب الكتب فأن به أكثر من مئة حانوت للوراقين،[١٢١] ويصف ابن الجوزي هذه الحوانيت بانها : ((سوق كبيرة هي مجالس العلماء والشعراء ....))، [١٢٢] و دعيت هذه السوق بسوق الوراقين نسبة اليهم.[١٢٣]

ويبدو واضحاً أن هذه الاسواق التي بينت خارج اسوار بغداد احتوت الكثير من الحوانيت الا ان اليعقوبي يذكر انهما سوقان للوراقة الاول الواقع في الجانب الغربي،[١٢٤]في حين يذكر عنه ابن النديم أنه اقدم هذه الاسواق،[١٢٥] و يشير التوحيدي إلى السوق الثاني للوراقين الذي يقع في الجانب الشرقي من الرصافة، والذي ذكر أنه التقى به ((بحمزة الوراق))، [١٢٦] الذي يبدو أنه أحد كبار الوراقين المشهورين،على ان لايفوتنا ان نذكر ان اشهر من عمل في هذا المجال هوابن النديم(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)صاحب كتاب الفهرست،وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)صاحب المعجمين.

ولعلنا بذلك نستخلص اهتمام الدولة العباسية بأصحاب هذه المهنة وبناء اسواق فيها الحوانيت الكثيرة منها حوانيت للوراقين، لما لهذه المهنة واصحابها من تأثير كبير في الحياة الثقافية واعتبارها مراكز لتطور الحركة العلمية في العراق البويهي.

سادساً :الأسواق :

يذكر ابن منظور : ان السوق هو موضع البياعات، أي الذي تتم فيه عمليات البيع والشراء، وجمعه اسواق، ويقال : تسوق القوم إذا باعوا واشتروا،[١٢٧] ولأهمية الاسواق فقد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ))[١٢٨].

ارتبط السوق بحياة الناس منذ القدم في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية، ويمكن أن نعرف الوعي الثقافي لشعب ما في هذا العصر إذا ما نظرنا إلى حالة السوق من الناحية العمرانية،[١٢٩] فلا غرو أن نرى أن الخليفة المنصور العباسي قد راعى عند بناءه مدينة بغداد، وكعاصمة للخلافة العباسية أن تكون اسواقها تتناسب مع طريقة بناء المدينة، الذي يعد آية من آيات الفن الإسلامي، والتي سجلها اجدادنا العراقيون القدماء بأيديهم،[١٣٠] وكلنا يعرف كيف طلب الخليفة المنصور من الذين رسموا له خارطة المدينة أن يخططوها بالحجر، ليعرف الرسم قبل البناء، وكيف اختار موقعها واسباب اختياره وانشاؤها مدورة، وهذا ما فصله الخطيب البغدادي عندما تحدث عن بناء المنصور لمدينته المدورة.[١٣١]

ان من المهم ان نذكر أن طريقة بناء الأسواق كانت أول الأمر داخل اسوار بغداد، الا أن الخليفة المنصور أخرجها خارج الاسوار بناء على انتقاد احد الموفدين الروم له في مكان وضعها.[١٣٢]

ان من المفيد أن نذكر انه على الرغم من كثرة الاسواق التي اختصت ببضائع معينة، فأن نشاط سوق الوراقين فاق الاسواق الأخرى في بغداد، لما كان يرتاده من صفوة القوم من المجتمع البغدادي والمثقفين، ومن العلماء والأدباء والشعراء من كل الارجاء، ويمكن للمرء أن يشاهد يومياً في هذه الأسواق هؤلاء الصفوة الذين يقفون عند أحد دكاكين الوراقين، أو احدى الحلقات التي ينادى فيها على بيع الكتب،[١٣٣]فقد جرت العادة ان تباع كتب العالم بعد موته خاصة اذاكان اولاده او ورثته لايعرفون قيمة هذه الكتب ،او لايحبون الكتب او العلم فيستغلون جهل البائع بقيمة الكتاب فيشتريه بابخس الاثمان،على ان مايحدد اسعار تلك الكتب هو جودة خطها ونسبتها الى مؤلفها،وشهرة المؤلف. [١٣٤]

يذكر ياقوت ان من اشهر رواد هذه الاسواق هو علي بن يحيى المنجم صاحب الخزانة العظيمة التي بناها في ضيعته وسماها خزانة الحكمة،[١٣٥] والتي تطرقنا اليها مسبقاً.

ومن الرواد المشهورين في هذه الاسواق التي تحتوي على حوانيت الوراقين هو ابو الفرج الاصبهاني، والذي قيل عنه أنه كان شبه مقيم في هذا السوق، وله نوادر وحكايا فيه،[١٣٦]ولا نريد الخوض في الاسماء الكثيرة التي أوردها ابن النديم في فهرسه عن مرتادي هذا السوق،[١٣٧] بيد أننا نعرج على من جالسهم التوحيدي في اسواق الوراقة هذه كونه شاهد عصر ، منهم الخوارزمي الكاتب، والنحوي أبو سعيد السيرافي، وابو محمد العروضي السمرقندي، وعلي بن عيسى الرماني، والطبيب نظيف الرومي[١٣٨]،

وغيرهم،[١٣٩] وكلهم من مشاهير علماء ذلك العصر، على أن لا يفوتنا أن نذكر قول التوحيدي أنه وزملاءه من هؤلاء اللغويين والكتاب والنحويين والاطباء، كانوا يتناقشون في مختلف المواضيع التي كانت تشمل اغلب الفنون الأدبية والعلمية، والتي لم تنحصر في الفلسفة وعلوم المنطق وحدها، بل كان لكل فرد صناعته الخاصة به.[١٤٠]

ولما كانت هذه المواضيع العلمية والثقافية تطرح في هذه الاسواق المختصة بالوراقة ووجود تجمعات هؤلاء فيها لا غرو ان نقول إن ثقافة ذلك العصر كانت منهلاً من تلك الاسواق، وإن هذه الاسواق كانت أحد المراكز الثقافية الهامة التي انتشرت في هذا العصر والتي شجعت العلم والكتابة والتأليف لحضور هذه الفئات من الناس وغيرهم من الاجناس الأخرى من كل حدب وصوب لتبادل العلم والثقافات في بغدادنا الحبيبة حاضرة الخلافة العباسية.

سابعاَ: البيمارستانات :

البيمارستانات كلمة فارسية مكونة من شقين الأول (بيمار) وتعني المريض، والثاني (ستان) وتعني الموضع أو المكان والكلمة مجتمعة تعني مكان المريض، أو دار المريض ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان،[١٤١] وعلى الرغم من أصل هذه الكلمة الفارسي الا أن المسلمين اقتبسوا فكرة البيمارستان عن السريان الذين تفوقوا في مهنة الطب في العصر العباسي الأول.[١٤٢]

كانت البيمارستانات أحدى المنشآت العلمية والعمائر كالمساجد والجوامع التي شيدها الخلفاء والسلاطين والامراء، وأهل الخير على العموم صدقة وخدمة للإنسانية، وتخليداً لذكراهم على الأخص، ولم تكن هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في الوقت نفسه معاهد علمية ومعاهد لتعلم الطب يتخرج منها المتطببون والجراحون (الجرائحيون) والكحالين كما يتخرجون من مدارس الطب اليوم،[١٤٣] فقد حرص العباسيون على نشر العلوم الطبية، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من كل حدب وصوب.[١٤٤]

أنشأت في العصر البويهي العديد من البيمارستانات،[١٤٥]وكان الطلبة يتلقون العلوم الطبية على يد اساتذتهم في هذه البيمارستانات، والتي تهيأ لهم فيها ايوانات خاصة معدة، ومجهزة بالالات، والكتب احسن تجهيز، فيقعدون بين يدي معلميهم بعد أن يتفقدوا الرضى، وينتهون من علاجهم، وأن بعضاً من مشايخ الطب وكبار رؤوسهم كان يجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه.[١٤٦]

يذكر ابن أبي اصيبعة إن الفيلسوف ابي الفرج بن الطيب كان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي،[١٤٧]الذي أنشاه عضد الدولة بن بويه وعرف باسمه سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م) [١٤٨]، والذي يعد من اشهر بيمارستانات العهد البويهي، وعلى الرغم من اهتمام بني بويه بالبيمارستانات وبتجهيزها ،الا انها لم تصل إلى شهرة البيمارستان العضدي،[١٤٩]الذي يقع في الجانب الغربي ببغداد، وان عضد الدولة صرف عليه مالا كثيراً لاعداده، وجهزه بالالات ما يقصر الشرح عن وصفه، ورتب فيه من الاطباء والخدم، ونقل اليه من الأدوية والاشربة والعقاقير شيء كثير،[١٥٠] وكان يعالج فيه المرضى،[١٥١] وان ابراهيم بن بكس الطبيب كان يدرس صناعة الطب في هذا البيمارستان، وكان له منه ما يقوم بكفايته،[١٥٢] فضلاً عن الاطباء الأخرين الذين عرفوا بشهرتهم ومهارتهم الطبية في ذلك العصر، ومنهم الطبيب جبرائيل[١٥٣] بن بختشيوع، ونظيف الرومي وغيرهم.[١٥٤]

لعل من المفيد أن نذكر إلى جانب اهتمام البويهيين في انشاء هذه البيمارستانات، هواهتمامهم باختيار العلماء ومن يشرف ويقوم على امر هذه البيمارستانات فيذكر التوحيدي:

ما قاله له ابن سعدان[١٥٥] الوزير البويهي في احدى لقاءاتهم :((سألت عنك مرات شيخنا ... نذكر أنك مُراعٍ لأمر البيمارستان من جهة، وانا أربا بك عن ذلك، ولعلي اعرضك لشيء انبه من هذى واجدى ...))[١٥٦].

لعل تلك المحادثة تبين اهتمام اكابر دولة بني بويه بالاشخاص الذين يريدونهم ان يتولوا مسؤولية ادارة مرفق مهم من انشاءاتهم ،كما يبدو جلياً تكرار اهتمام التوحيدي بالحضور إلى البيمارستان، بيد أن الوزير يرى أنه قد يرشحه لمكان اجدى وانفع.

ولاعجب من قولنا أنه كان على المتعلمين الحصول على اجازات لممارسة مهنة الطب، وكان أول من نظم ذلك، وقيدها بنظام خاص لمصلحة الناس هو الخليفة العباسي المقتدر بالله ،ففرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول على اجازة تخوله هذا الحق بين الناس، وسبب ذلك أن الطبيب سنان[١٥٧] بن ثابت، أخبر الخليفة عن حصول خطأ طبي من احد الأطباء، الذي اخطأ في تطبيب رجل من العامة أدت إلى موته، فأمر بمنع سائر المتطببين من التصرف، الا بعد ان يتحنه الطبيب سنان بن ثابت، ويكتب له رقعة بذلك.[١٥٨]

من الواضح الدور الفعال الذي قامت به البيمارستانات ،كأحد مراكز الحركة العلمية ، فضلاً عن تطبيب المرضى، كونها احدى المراكز المهمة لتعلم صناعة الطب وتخريج الاطباء في ذلك العصر.

المصادر و الهوامش

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الخزرجي الانصاري (ت٧١١هـ/١٣١٣م)، لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مج٥، ص٣٨١٧؛ أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م، ج٢، ص٥٠.

(٢) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٤، ص٤٢٤؛ ينظر: محاسنة، محمد حسين ،أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ،العين ،٢٠٠١م، ص١٣٢.

(٣) سورة العلق، الآيات : (١-٥).

(٤)القابسي ،ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري(ت٤٠٣هـ /١٠١٢م)،الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ،تح وتعريب عن الفرنسية: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع،تونس،١٩٨٦م،ص ٣١٢.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٨٠.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٢١٩.

(٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٨١.

(٨) ابن سحنون، ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، آداب المعلمين، تح : محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ١٩٧٢م، ص٥٢-٥٣.

(٩)القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص٤٣-٤٤.

(١٠) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٥٢-٥٣.

(١١)القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص١٢٨.

(١٢) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٤٧.

(١٣)القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص١٢٩.

(١٤) أداب المعلمين، ص٤٩.

(١٥)القابسي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، ص ١٣١.

(١٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٤٠٣.

(١٧) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٥٠.

(١٨) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٥٠.

(١٩) الجاحظ، البيان والتبيين،ج١،ص١٤٠-١٤١.

(٢٠) المفضل هو أبو عبد الرحمن بن محمد احد الادباء والنحاة كان من اكابر علماء الكوفة عالماً بالأخبار والشعر والعربية. للمزيد ينظر: ابن الانباري، نزهة الالباء، ص٣٧.

(٢١) ابن النديم، الفهرست، ص٧٥.

(٢٢) الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله أحد أئمة القراءة والنحو واللغة واحد اشهر القراء السبعة اصحاب القراءات المشهورة وهو من اهل الكوفة استوطنه بغداد توفي سنة (١٨٩هـ/٩٠١م)، للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص٧٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١١، ص٤٠٣.

(٢٣) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١٠٠.

(٢٤) الجاحظ،البيان والتبيين،ج١،ص١٤٠-١٤١؛الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الاسلام، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٨٣-٨٦.

(٢٥)الاهواني، التربية في الاسلام، ص٦٠.

(٢٦)ابن سحنون، أداب المعلمين، ص٥٥.

(٢٧)الشيزري ،ابو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله (ت٧٧٤هـ/١٣٧٥م)،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،دار الثقافة،بيروت،١٩٦٩م،ص١٠٤

(٢٨) هي وظيفة جليلة رفيعة الشأن، تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعمل على الأخذ على يد الخارج عن طريق الاصلاح في معيشته وصناعته. ينظر: القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤٢٢م)، صبح الأعشى في صناعة الا نشا، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٤م، القاهرة، ١٩٢٣م، ج٤، ص٣٧.

(٢٩) شلبي، احمد، التربية الإسلامية، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٣م، ص٢٦٠.

(٣٠) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٥٠.

(٣١) الأهواني، التربية في الإسلام، ص٨٣-٨٤.

(٣٢) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٥٢.

(٣٣) معروف ،بشارعواد،التربية والتعليم ،حضارة العراق،بغداد،١٩٨٤م،ج٨،ص٣٥؛الدرديري،فاتن آدم الزين،الحياة الثقافية في العصر العباسي ،بحث منشور في جامعةالخرطوم،كليةالاداب،قسم التاريخ،٢٠١٣م،ص٢٥.

(٣٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٢١-٤٢٢.

(٣٥) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأولى، ج٣، ص١٠٠.

(٣٦)المقدسي ،احسن التقاسيم،ص١٧٩،محاسنة،اضواء ،ص١٣٥.

(٣٧) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأولى، ج٣، ص١٠٠؛شلبي،التربية والتعليم،ص١١٢.

(٣٨)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١١٣.

(٣٩) هو أحدى مساجد بغداد المهمة الكائن في محلة الربيع في منطقة الكرخ يعود إلى عبد الله بن المبارك أحد أئمة المسلمين الذي عاش في القرن الثاني الهجري وكان يلقى في هذا الجامع الدروس التي تتضمن فقرات عديدة. للمزيد عنه ينظر : الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج٥، ص١٣٢؛ اليافعي ،ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي (ت٧٦٨هـ /١٣٦٩م)،مرآة الجنان وعبرة اليقظان في مايعتبر من حوادث الزمان ،تح:خليل المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٧م،ج١،ص٢٩٤.

(٤٠) التنوخي، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تح : عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٨، ص١٨٦.

(٤١) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج٣، ص١٠٢.

(٤٢) الجاحظ، عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البخلاء، تح : طه الحاجري، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٩.

(٤٣) المناظرات : هي المقابلات ويقال دور فلان يقابل دور آل فلان أي بإزائها ومقابلة لها، والمناظرة: ان تناظر أخاك في أمر ما إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه. ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص٤٤٦٥-٤٤٦٦.

(٤٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص١٨٦.

(٤٥)محمود،حسن احمد واحمدابراهيم الشريف،العالم الاسلامي في العصر العباسي الاول، دار الفكر ،القاهرة،١٩٩٥م،ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص١١١.

(٤٧) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤٢١-٤٢٤.

(٤٨) محاسنة،اضواء،ص١٣٦.

(٤٩) شلبي،التربية والتعليم،ص٤٥؛محاسنة،اضواء،ص١٣٦.

(٥٠) ياقوت، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٦م)، ارشاد الاريب في معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١، ص٣٩٥.

(٥١)محاسنة،اضواء،ص١٣٦.

(٥٢) ياقوت، بمعجم الأدباء ، ج١، ص٣٩٥.

(٥٣) الاسفراييني هو أحد فقهاء الشافعية المشهورين ممن كان يحضر للتدريس في مسجد عبد الله بن المبارك عاش في بغداد ومات بها سنة (٤٠٦هـ/١٠١٦م). للمزيد عنه ينظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥٨؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٢١١.

(٥٤) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تح : محمد محمود الطناحي، دار احياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي ،١٩٦٤م، ج٣، ص٢٥.

(٥٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٩٩.

(٥٦) الاهواني، التربية في الاسلام، ص١٦-١٧.

(٥٧) ياقوت، معجم الادباء، ج٩، ص٢٣٨.

(٥٨) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ/١٢٢٤م)، انباه الرواة على انباء النحاة، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ج٣، ص١٣٠.

(٥٩) شلبي،التربية والتعليم،ص١١٢.

(٦٠) ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج٣، ص١٠١.

(٦١) جامع المنصور : هو من اكبر جوامع بغداد، واشهر مركز للتعلم في الدول الإسلامية في العصر العباسي. للمزيد ينظر : متز، أدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تح: عبد الهادي أبو ريدة، ط٣،بيروت ،١٩٦٤م ، ج١، ص٣١٤.

(٦٢) متز، ج١، ص٣١٩.

(٦٣) الكاشف، سيدة اسماعيل ،مصرفي عهدالاخشيديين، مطبعة جامعة فؤادالاول،القاهرة، ١٩٥٠م،ص٣٠٦.

(٦٤) متز، ج١، ص٣١٩.

(٦٥) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١، ص١٠٨؛ ابن الانباري، نزهة الالباء، ص٤٢-٤٣.

(٦٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٧، ص٣٠.

(٦٧) محاسنة،اضواء،ص١٤٤.

(٦٨) هو ابو الحسن علي بن الحسين بن عبدالله عالم وطبيب وفيلسوف اتصف بالذكاء الخارق والعبقرية ساهم في نهضة العلوم في بلاده بشكل كبير وألف اكثر من ٢٤٠ مؤلف، سماه الغرب امير الاطباء وابو الطب وارسطو الاسلام اصله من بخارى ولد بها وتوفي في همدان سنة(٤٢٧هـ/١٠٣٧م).للمزيد ينظر:ابن خلكان،وفيات الاعيان،ج٢،ص١٥٨؛ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء في طبقات الاطباء،ص٤٣٧-٤٥٨.

(٦٩) محاسنة،اضواء،ص١٤٤.

(٧٠)هو محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله صاحب اخبار يستقبل الاشياخ ليتدارسوا في بيته روى عن البغوي وابن دريد توفي سنة(٣٨٤هـ/٩٩٤م).للمزيد ينظر:ابن الاثير،الكامل،ج٧،ص٤٦٩؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١١،ص٣٣٥.

(٧١) محاسنة،اضواء،ص١٤٤.

(٧٢) ابن منظور، لسان العرب، مج٢، ص١١٥٤.

(٧٣) سورة الانعام، الآية : ٥٠ .

(٧٤) أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص٦٤ .

(٧٥) متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٤٦.

(٧٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣٠.

(٧٧) الخطيب البغدادي،تاريخ مدينة السلام،ج١٤،ص٨؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٠،ص٢٢٤.

(٧٨) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٣؛ القفطي، أخبار العلماء، ص١٦٨-١٦٩.

(٧٩) عليان ،ربحي مصطفى،المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية ،دارصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩م،ص١٣٥.

(٨٠) الدرديري، الحياة الثقافية في العصر العباسي الاول، ص ٣٠.

(٨١) عليان ،ربحي مصطفى،المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية ،دارصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩م،ص١٣٥.

[٨٢] صبح الأعشى، ج١، ص٤٦٦.

[٨٣] متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٤٦.

[٨٤] التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص٢٨٩.

[٨٥] هو أبو الحسن علي بن يحيى كان أبوه يحيى أول من خدم الخلفاء من آل المنجم نادم أبو الحسن هذا الخليفة المأمون ومن بعده إلى ايام المعتمد العباسي وكان شاعراً وراوياً وعلامة توفي سنة (٢٧٥هـ/١٨٨٥م)، للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص١٦٠؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج٥، ص٨٨ .

[٨٦] نشوار المحاضرة، ج٤، ص٦٦.

[٨٧]تقع هذه المدينة في بلاد فارس وهي من اعظم المدن فيها تحمل اليها البضائع من كل الجهات ،وبها مدفن جماعة من التابعين. للمزيد عنها ينظر: ياقوت ،معجم البلدان،ج٣،ص٣٨٠ .

[٨٨] المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٢م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٤٤٩.

[٨٩] هو علي بن الحسين بن محمد من الشعراء المخضرمين ويعتبر كتاب الاغاني من اشهر مؤلفاته واكثرها رواجاً قال انه جمعه في خمسين سنة، ولم يكتبه الامرة واحدة هي المرة التي اهداه فيها الى سيف الدولة الحمداني توفي سنة(٣٥٦هـ /٩٦٦م).للمزيد ينظر: الذهبي العبر،ج٢،ص٩٨؛ابن الوردي، زين الدين عمرو بن مظفر(ت٧٤٩هـ /١٣٤٩م)،تاريخ ابن الوردي، مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٦م،ج١،ص٢٨٤.

[٩٠] الفرج بعد الشدة، ج٣، ص٨٢.

[٩١] ياقوت، معجم الأدباء، ج٥، ص٤٤٥-٤٤٦.

[٩٢] هو ابو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله من مشاهير الُكتّاب وخطه من اقوى الخطوط كان يتولى اعمال فارس وخراجها الى ان تولى الوزارة ، استوزر لثلاثة خلفاء اولهم المقتدرومن بعده القاهر ثم الراضي وتعرض للتعذيب والمصادرة من قبلهم وقطع الاخير يده وحبسه ثم راضاه بالمال واعاده للوزارة الى ان توفي سنة(٣٢٠هـ/٩٣٠م).للمزيد ينظر: ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٥،ص١٢٣ ؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج٣ ،ص٢٩؛ ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ،**الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية** ،منشورات الشريف الرضي،قم ،١٤١٤م،ص٢٧٠.

[٩٣] هو ابو الفضل محمدبن العميد وزير ركن الدولة البويهي والذي كانت له العديد من المؤلفات ،وله ديوان في الرسائل اشهرها كتاب البلاغات في المذهب.للمزيدعنه ينظر:ابن النديم، الفهرست، ص١٤٩؛ ياقوت، معجم الادباء، ج٣، ص١٠٣-١٠٩.

[٩٤] وفيات الاعيان،ج٥،ص١٠٣-١٠٩.

[٩٥] مسكويه،تجارب الامم،ج٣،

[٩٦] هو محمد بن يحيى البغدادي الأديب الاخباري صاحب التصانيف أخذ الدب عن المبرد وثعلب عاصر العديد من الخلفاء وكان نديمهم وعرف بالصولي إلى جده الأعلى أصول نديم الخلفاء وعرف أيضاً بالشطرنجي الكاتب. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٢، ص٥٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٣٩.

[٩٧] تاريخ مدينة السلام، ج٣، ص٤٣١ .

[٩٨] هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد وعرف بالصاحب لانهُ كان يصاحب سلاطين بني بويه فخر الدولة ومؤيد الدولة، واحد وزرائهم الفضلاء، كان محباً للعلم والعلماء لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك مثلما كان يجتمع ببابه من

العلماء والشعراء والفضلاء وكان يكرمهم ويغدق عليهم من العطايا والهدايا والخلع مالاتوصف له العديد من المؤلفات.للمزيد ينظر:ابن النديم ،الفهرست ،ص١٥٠؛الثعالبي ،ابي منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٨هـ/م)،يتيمة الدهرفي محاسن اهل العصر،تح:مفيد قميحة،دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م،ج٣،ص٢٢٥-٢٢٩.

(٩٩)ياقوت، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٣١.

(١٠٠)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٤٧٨.

(١٠١) معجم البلدان، ج١، ص٥٣٤.

(١٠٢) هو احمد بن عبدالله بن سليمان القضاعي التنوخي شاعر وفيلسوف واديب ولغوي عاش في العصر العباسي لقب برهين المحبسين لانه كان اعمى واعتزل الناس في بيته بعد عودته من بغداد كانت ولادته في معرة النعمان ووفاته بها سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م).للمزيد ينظر:الذهبي،العبر،ج٢،ص٢٩٣؛اليافعي،مرآة الجنان،ج٢،ص٦٦.

(١٠٣) هو ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم ويرجع نسبه الى الامام علي بن ابي طالب عبرالامام موسى الكاظم عليهما السلام تولى نقابة اشراف الطالبيين في العصر البويهي بعد اخيه الشريف الرضي ،وكان لع العديد من المؤلفات في علم الكلام وعلوم كثيرة اخرى توفي سنة(٤٣٦هـ/١٠٤٤م).للمزيد ينظر:ابن الجوزي،المنتظم،ج١٥،ص٢٩٢-٣٠٠؛ابن الاثير،الكامل،ج٩،ص٥٢٦.

(١٠٤)عليان ،المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية،ص١٣٩.

(١٠٥) ابن النديم، الفهرست، ص٨١؛ ضيف، تاريخ الأدبي العربي، ج٣، ص١٠٣.

(١٠٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣٠.

(١٠٧) ابن منظور، لسان العرب، مج٢، ص٤١٨٥.

(١٠٨) خير الله، سعيد، موسوعة الوراقة، ص٢٥٥.

(١٠٩) المقدمة، ص٤٢٨.

(١١٠) البلدان، ص٢٤٥.

(١١١) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٣٠.

(١١٢) هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي مؤرخ عربي، وقاضي قضاة دمشق في وقته، وأحد فقهاء الشافعة فيها، انتقل اليها مع والده وعاش ومات فيها سنة (٧٧١هـ/١٣٧٠م)، للمزيد عنه ينظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٨٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢٨.

(١١٣) معيد النعم ومبيد النقم، تح : محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربين القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٣١.

(١١٤) المقدمة، ص٤١٠.

(١١٥) ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص١٠٣.

(١١٦) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥٥.

(١١٧) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥٦.

(١١٨) معجم الأدباء، ج٤، ص١٠٩ ترجمة الجاحظ .

(١١٩) هوابو سعيد المهلب بن ابي صفرة الازدي احد ولاة الامويين على خراسان قام بفتوحات كثيرة في بلاد ماوراء النهر وافتتح جرجان وطبرستان وفرض سيطرة بني امية على تلك الاقسام اصله من دبا ووفاته في مروسنة(٨٢هـ/٧٠٢م) للمزيد ينظر :ابن الاثير،الكامل،ج٤،ص٢٠٧؛الذهبي،العبر،ج١،ص٧٠.

(١٢٠) الفخري،ص٦.

(١٢١) البلدان، ص٢٤٥.

(١٢٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٧١هـ/١١٧٣م)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام،١٩٦٩م ، ص٢٦.

(١٢٣) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد في الفرات الرابع الهجري، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م، ص١٥٨.

(١٢٤) البلدان، ص٢٤٥.

(١٢٥) الفهرست، ص١٦٩.

(١٢٦) ابي حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، الامتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٧م، ص١٦٧.

(١٢٧) لسان العرب، مج٣، ص٢١٥٤.

(١٢٨) سورة الفرقان، الآية : ٢٠ .

(١٢٩) خير الله سعيد، موسوعة الوراقة، ص٣٦٨.

(١٣٠) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م، ص١٠٣.

(١٣١) تاريخ مدينة السلام، ج١، ص٧٧.

(١٣٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج١، ص٧٨.

(١٣٣) فهد، بدري محمد، العامة ببغداد، ص٧٨.

(١٣٤) عليان ، المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية،ص١٦٩.

(١٣٥) معجم الأدباء، ج١٥، ص١٤٤.

(١٣٦) ياقوت، معجم الأدباء، ج١٣، ص٩٤.

(١٣٧) ينظر : الفهرست، ص ١٧٠ .

(١٣٨) نظيف الرومي: كان طبيباً خبيراً باللغات وكان ينقل عن اليونانية إلى العربية ويعد من الفضلاء في صناعة الطب استخدمه عضد الدولة في بيمارستانه. للمزيد ينظر : ابن القفطي، أخبار العلماء باخبار الحكماء، ص٢٥١.

(١٣٩) الامتاع والمؤانسة، ج١، ص١٠٣.

(١٤٠) الامتاع والمؤانسة، ج١، ص٥٠-٥١.

(١٤١) دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤١؛ شير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المصرية، ط٢، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص٣٣.

(١٤٢) حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤٢٦.

(١٤٣) عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص٣-٤.

(١٤٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤٢٦.

(١٤٥) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٩٢.

(١٤٦) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص٣٨.

(١٤٧) عيون الابناء في طبقات الأطباء، ج١، ص٢٣٩.

(١٤٨) الذهبي، العبر، ج٢، ص١٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٤٠٩.

(١٤٩) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٩٢.

(١٥٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٤٠٩.

(١٥١) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج١، ص٢٥٣.

(١٥٢) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص١٨٧.

(١٥٣) جبرائيل بن بختشيوع كان طبيباً عالماً متقناً لصناعة الطب كان من اطباء المقتدر، ولامه في البيمارستان المقتدري، ثم بعد وفاة المقتدر انتقل إلى البيمارستان المعتضدي توفي في سنة (٣٩٦هـ/٩٩٧م)، للمزيد ينظر :ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء،ص ١٨٧.

(١٥٤) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص١٩٤.

(١٥٥) هوابو عبدالله الحسين بن احمد وزير الأمير البويهي صمصام الدولة كانت له مجالس يجتمع فيها الكثيرمن العلماء والادباء وكتب مايدور في تلك المجالس ابوحيان التوحيدي والتي سميت الليالي توفي سنة(٣٧٤هـ/٩٨٤م).للمزيد عنه ينظر: ابن الجوزي،المنتظم،ج١٤،ص٣٠٦؛الامتاع والمؤانسة،ج١،ص ١٣٠.

(١٥٦) الامتاع والمؤانسة، ج١، ص١٩.

(١٥٧) ابو سعيد سنان بن ثابت بن قره الحراني، كان طبيباً مقدماً كأبيه عند الخليفة المقتدر العباسي وعظمت منزلته عنده وصار رئيساً على الأطباء في عصره توفي سنة (٣٣١هـ/٩٤١ م)، للمزيد ينظر : القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٤٨؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٥،ص١٥٢.

(١٥٨) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ج١، ص٢٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

١- **المصادر :**

❖ القرآن الكريم.

❖ ابن الاثير، ابوالحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

١- الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨٧م.

❖ ابن ابي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

٢- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح : د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٨٨٤م.

❖ التنوخي، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٤٤م)

٣- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تح : عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

❖ ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن علي (ت٨٧٤هـ/م)

٤- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

❖ التوحيدي، ابي حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)

٥- **الامتاع والمؤانسة**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٧م.

❖ الثعالبي ،ابي منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٨هـ/م)

٦- **يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر**،تح:مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م

❖ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٩٥م)

٧- **البخلاء**، تح : طه الحاجري، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٨- **الحيوان**، تح:عبدالسلام هارون ،ط٢،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،١٩٦٥م.

❖ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١١٩٨م)

٩- **مناقب بغداد**، مطبعة دار السلام ،بغداد،١٩٦٩م.

١٠- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ،مراجعة :نعيم زرزور، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

❖ ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٥٩م)

١١- **المقدمة**، دار الفكر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٧م.

❖ ابن خلكان، ابي العباس احمد بن علي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٢- **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

❖ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

١٣- **تاريخ مدينة السلام**، تح : بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٤- **العبر في خبر من غبر**، تح : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

❖ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م).

١٥- **طبقات الشافعية**، تح : محمد محمود الطناحي، دار احياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي ،١٩٦٤م.

١٦- **معيد النعم ومبيد النقم**، تح : محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربين القاهرة، د.ت.

❖ ابن سحنون، ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م).

١٧- **آداب المعلمين**، تح : محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ١٩٧٤م.

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن (ت٩١١هـ/ ١٥١٢م).

١٨- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧م.

❖ الشيزري ،ابو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله (ت٧٧٤هـ/١٣٧٥م)،

١٩- **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**،دار الثقافة،بيروت،١٩٦٩م.

❖ ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)

٢٠- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ،(منشورات الشريف الرضي،قم ،١٤١٤م).

❖ القابسي ،ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري(ت٤٠٣هـ /١٠١٢م)،

٢١- **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين** ،تح وتعريب عن الفرنسية: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع،تونس،١٩٨٦م.

❖ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٧م).

٢٢- **اخبار العلماء باختبار الحكماء**، تح : إبراهيم شمس الدين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٣- **انباه الرواة على انباء ابناء النحاة**، تح :محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

❖ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤٢٢م).

٢٤- **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

❖ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م).

٢٥- **البداية والنهاية**، تح : عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

❖ المقدسي البشاري، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ/ ٩٤٢م).

٢٦- **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

❖ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الخزرجي الانصاري (ت٧١١هـ/١٣١٣م).

٢٧- **لسان العرب**، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون ، مطبعة دار المعارف، القاهرة، د.ت.

❖ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م).

٢٨- **الفهرست**، تح : رضا تجدد، طهران ،١٩٧١م.

❖ ابن الوردي، زين الدين عمرو بن مظفر(ت٧٤٩هـ /١٣٤٩م)،

٢٩- **تاريخ ابن الوردي**، مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٦م.

❖ اليافعي ،ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي (ت٧٦٨هـ /١٣٦٩م)

٣٠- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في مايعتبر من حوادث الزمان** ،تح:خليل المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٧م.

❖ ياقوت الحموي، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٣١- **ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب**،المعروف بمعجم الأدباء، تح : احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٢- **معجم البلدان** ،دار صادر،بيروت،١٩٧٧م.

❖ اليعقوبي، أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ/٨٩٥م).

٣٣- **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢-المراجع العربية والمعربة :

❖ الأهواني، أحمد فؤاد،

٣٤- **التربية في الإسلام**، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

❖ أمين، احمد،

٣٥- **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، ط٥، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ معروف ،بشار عواد

٣٦- **التربية والتعليم ،حضارة العراق**،بغداد،١٩٨٤م.

❖ حسن، حسن إبراهيم،

٣٧- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي**، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ دهمان، محمد أحمد،

٣٨- **معجم الألفاظ التاريخية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.

❖ سعيد، خير الله.

٣٩- **موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١١م.

❖ شير، أدي.

٤٠- **الألفاظ الفارسية المعربة**، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين،القاهرة،١٩٠٨م.

❖ شلبي، احمد

٤١- **التربية والتعليم في الفكر الإسلامي**،ط٤،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٦٩م.

❖ ضيف، شوقي

٤٢- **تاريخ الأدب العربي ، عدة اجزاء ،دار المعارف،القاهرة،١٩٦٦م.**

❖ عثمان، محمد عبد الستار

٤٣- **المدينة الإسلامية**، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.

❖ عليان ،ربحي مصطفى

٤٤- **المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية** ،دارصفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩م.

❖ عيسى، أحمد

٤٥- **تاريخ البيمارستانات في الاسلام**، دار الرائد العربين بيروت، ١٩٨١م.

❖ فهد، بدري محمد

٤٦- **العامة ببغداد في القرن الرابع الهجري**، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧م.

❖ متز، أدم

٤٧- **الحضارة الإسلامية في القرن الهجري**، تعريب : محمد عبد الهادي ابو ريده، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

❖ **محاسنة، محمد حسين**

٤٨- أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ،العين ،٢٠٠١م،ص١٣٢.

❖ محمود،حسن احمد واحمدابراهيم الشريف

٤٩- **العالم الاسلامي في العصر العباسي الاول**، دار الفكر ،القاهرة،١٩٩٥م.

٣-البحوث الجامعية

❖ الدرديري، فاتن آدم الزين،

٥٠- **الحياة الثقافية في العصر العباسي** ،بحث منشور في جامعةالخرطوم،كليةالاداب، قسم التاريخ،٢٠١٣م.

الذهب واستعمالاته في الاندلس

(٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)

(دراسة تاريخية)

م.د.سعد قاسم علي السويعدي

وزارة التربية

مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة

الذهب واستعمالاته في الاندلس (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)
(دراسة تاريخية)

م.د سعد قاسم علي السويعدي

الملخص :

يعد الذهب من أبرز المعادن الفلزية التي لاقت رواجاً واسعاً منذ القدم لدى مختلف طبقات المجتمع قبل وبعد سكه لاستعماله في أدوات الزينة والحلي دون غيره من المعادن ، إذ لم يقتصر أستعماله على الزينة والحلي بل تعدى أستعماله الى سك النقود والاسلحة وفي تطريز الملابس الحريرية الغالية الثمن وفي الهدايا التي كانت تتبادل بين أمراء وخلفاء وقادة البلاد الاسلامية من جهة وبين الامراء والولاة وخاصتهم من الوزراء والقادة وحتى عامة الشعب من جهة اخرى ، فضلاً عن استعماله في الاواني الفخارية والزجاج وفي تجليد الكتب وتزيين المساجد والقصور لاظهار هيبة الدولة ومدى تقدمها في النواحي العمرانية وفي التماثيل وما الى ذلك .

Gold and its uses in Andalusia (92-897AH / 711-1492AD)
) Historical study(

Setting up the researcher
Dr. Saad Qassim Ali Al - Suwaidi
Ministry of Education / Directorate of Education Baghdad Rusafa/ 3
Iraq / Baghdad

Abstract:

Gold is one of the most prominent metal minerals that have been popular since ancient times in various layers of society before and after the use of the tools of adornment or other metals, not only the use of ornaments and jewelry, but also used to mint coins and weapons and the embroidery of expensive silk clothes and The gifts that were exchanged between the princes, caliphs and leaders of the Islamic countries on the one hand and between princes and governors and their respective ministers and leaders and even the general public on the other hand, as well as its use in pottery and glass and in the

binding of books and decorating mosques and palaces to show the prestige of the state and the extent of progress

المقدمة :

كان لتوافر الثروة المعدنية في الاندلس بالغ الأثر في تطور النشاطات الاقتصادية وفي مختلف ميادين الحياة مما أدى الى تطور الصناعة وازدهار الحياة المعيشية والرفاهية لدى عامة السكان ، ومن ابرز تلك المعادن الذهب الذي كان ومايزال من المعادن الثمينة التي تحظى قبولاً واسعاً لدى مختلف شرائح المجتمع الاندلسي الفقيرة والغنية ، إذ استعمل في مجالات مختلفة سواءً في ترصيع مقابض السيوف أو في تطريز الملابس المذهبة ، فضلاً عن استعماله الواسع في صناعة الحلي والمجوهرات والزينة لدى نساء الخلفاء والامراء وكذلك نساء الطبقة الميسورة .

إما أهمية الموضوع فأنها تكمن في دراسة معدن الذهب الذي تعد من المواضيع المهمة لدى مختلف الشعوب والامم في الماضي وفي وقتنا الحاضر ، فاستعمالاته لم تقتصر على الحلي والزينة بل تعدى ذلك الى أغلب الصناعات ولاسيما في تزيين المساجد والقصور ودور الخلافة ، مما يدل على رغبة الامراء والخلفاء في الاندلس في اظهار الهيبة والفخامة والابداع في حكمهم ، أما اسباب اختيار الموضوع فإن موضوع الذهب من المواضيع التي لم تتم دراستها من قبل أغلب الباحثين والدراسين والمختصين في التاريخ الاندلسي لأن الكثير منهم لا يعلمون من استعمالاته المتعددة سوى أستعماله في الحلي والاساور والقلائد ، بسبب اهتمامهم بالناحية السياسية من جانب وعدم امتلاكهم معلومات كافية عن الذهب واستعمالاته واين يتواجد ومن أين يأتي من جانب اخر ، أما أهم الصعوبات التي واجهة البحث فهي عدم وجود دراسة كاملة تتعلق بالموضوع من جهة ، وقلة المعلومات التي وجدت بين أسطر المصادر والمراجع التاريخية ، مما أخذ من الباحث وقتاً طويلاً بغية أكمال هذا البحث من جهة أخرى ، وسنفصل أهم استعمالاته في هذا البحث.

أهمية الذهب ومسمياته :

الذهب أشرف نعم الله تعالى على عباده إذ بها قوام أمور الدنيا ونظام احوال الخلق فان حاجات الناس كثيرة وكلها لم تنقضٍ بالنقود فان النقدين يباع بهما كل شيء ويشترى

بهما كل شيء لرواجهما بخلاف سائر الأموال فإنها لا ترغب فيها كل أحد رغبته في النقود فانهما كالقاضيين يقضيان حاجة كل من لقيهما[١].

وقيل ان عزة الذهب ليس لقلة وجوده فان وجود الذهب أكثر من النحاس والحديد وكيف لا وانه دائماً يستخرج من المعادن ولا يتطرق اليه التوى (الهلاك) والتلف بخلاف النحاس والحديد فانهما يتلفان بطول المكث[٢].

وذكر الانطاكي[٣] انه رئيس المعادن المطبوعة كلها تطلبه في تكوينها فتقصر بها الآفات والعوارض وهو لا يطلب غير رتبة أجودة الكائن بقبرص[٤] ثم جبال الحبشة واطرف الهند واوسطه المصري واردواه الانطاكي واختلافه بحسب غلبة الزئبق، هو أصبر المنطرقات على سائر الآفات ويبقى الى آخر الدهر من غير تطرق وقيل: الندى يفسد لونه، وان نخالة القمح تحفظه. والذهب أفضل المعادن وخيرها وادومها نفعاً واحفظها قيمة ولا تتغير قيمته لا في برادته ولا في بالشته كيف ما صيغ او سبك[٥]. وللذهب تسميات عديدة منها (التبر[٦]– الزخرف[٧] – العسجد[٨] – الابريز[٩])

المناطق الغنية بالذهب في الاندلس :

يوجد الذهب داخل الصخور النارية او البركانية مقترناً بعروق من الكوارتز ولا يظهر للعين المجردة وذلك لتواجده عادة بكميات قليلة ويوجد ايضاً متركزاً في الرواسب في صورة شذرات أو حبيبات في رمال أو حصوات الانهار[١٠].وفي الاندلس اشتهرت مدينة اشبيلية[١١] باستيراد الذهب من افريقيا[١٢]. بينما اشتهرت مدينة مالقة[١٣] بتصدير الذهب[١٤]. ويستخرج من نهر غرناطة[١٥] الذهب الخالص ويعرف بالذهب المدني[١٦].ومدينة البيرة[١٧].

وعندما دخل طارق بن زياد مدينة قرطبة[١٨] اصاب فيها من الدر والياقوت والذهب والفضة ما لم يجمع مثله قط[١٩].وعلى ضفة نهر مدينة (اشبونة) [٢٠] حصن المعدن وسمي بذلك لانه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن اهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به الى انقضاء الشتاء[٢١].ويستخرج من نهر شيقر في لاردة[٢٢] شذرات الذهب الخالص[٢٣]. ومن نهر شنيل الذي يمر بطريق مدينة غرناطة وهو احد روافد نهر الوادي الكبير ويستخرج منه الذهب الاحمر الذي يعد من أجود

انواع الذهب واكثرها طيباً[٢٤].وأعظم منجم للذهب في الاندلس يوجد في كنيسة شنت ياقوب[٢٥].

استعمالاته :

استعمل الذهب منذ آلاف السنين في العملات والزينة وصناعة المجوهرات لانه جذاب وسهل التشكيل والتصنيع وذو مظهر جميل عند ارتدائه[٢٦]. ومن اهم استعمالاته.

الهدايا :

استعمل الذهب في العديد من الأمور ومنها الهدايا التي كانت يتم تبادلها بين علية القوم من امراء وخلفاء وكبار قادة الجيش ومختلف طبقات المجتمع فيما بينهم من جانب وبين الأمراء والخلفاء في الاندلس مع ملوك وحكام الدول المجاورة من جانب اخر، ومن ذلك هدية قسطنطين[٢٧] السابع الى الناصر لدين الله (٣٠٠-٣١٦هـ/٩١٢-٩٢٩م) عبارة عن كتابين نفيسين احدهما كتاب ديسقوريدس في علم النبات والثاني كتاب هروسيس في السيرة وأخبار الملوك الاقدمين مع كتاب الامبراطور المصبوغ بلون سماوي والمكتوب بالذهب[٢٨].واهدى الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) يوم تولى الحكم الى حاجبه جعفر المصحفي[٢٩] هدية كان فيها عشرة جواشن[٣٠] نقية مذهبة وخمسة وعشرون قرناً مذهبة من قرون الجاموس[٣١].

وذكر ابن خلدون[٣٢] هدية ابن شهيد[٣٣] الى الناصر وكان من وزرائه ٥٠٠ الف مثقال من الذهب و٣٠ وشقة[٣٤] . من الحرير المرقوم بالذهب المختلف الالوان والصنائع كلباس الخلفاء و٤٨ من الملاحف لكسوة الخيل من الحرير والذهب.

الورق وتجليد الكتب:

لقد اوحى الصناع العرب الى صناع الغرب طريقة جديدة في زخرفة جلود الكتب ففي العصور الوسطى كان المجلدون الاوربيون غالباً ما يزخرفون جلود الكتب بطبع رسوم عليها مستعينين في ذلك بمكابس معدنية الى ان بدأ الصناع العرب يزينون الرسوم المطبوعة[٣٥]. لعل العرب هم الذين اسسوا اول المصانع الاوربية للورق في اسبانيا وصقلية[٣٦] ومنها انتقلت هذه الصناعة الى ايطاليا فليست الطباعة الحديثة مدينة للعرب بالورق فحسب اذ نرى

مسحة اندلسية غالبة كانت تبدو على الكتب المجلدة في مصانع التجليد الايطالية ابان القرن الخامس عشر الميلادي حينما كانت مدينة البندقية آخذة في اساليب الفن العربي[٣٧].

ومن الجدير بالذكر ان الاندلسيين نجحوا ايام المرابطين(٤٨٤-٥٣٩هـ /١٠٩٢-١١٤٥م) في صناعة الورق الملون ومن ثم تقدمت هذه الصناعة وتطورت خلال العصر الموحدي (٥٤٠-٦٣٢هـ/١١٤٥-١٢٣٢م) حتى انها بلغت الغاية في الجودة والاتقان فقد روى المقري[٣٨] ان احد المغاربة كتب الى الملك الكامل ابن العادل الايوبي (٥٦٥-٦٥٩هـ/ ١١٦٩ – ١٢٦١م) رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبراً اسود. ويبدو من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الاسبانية ان الورق الاندلسي كان يصنع من القطن والكتان والقنب[٣٩] وكذلك من الياف نبات الشهدانج[٤٠].

ادت العناية بالكتب الى تطوير صناعة التسفير – التجليد. وقد وصلنا كتاب عنها من احد المشتغلين بها عند الموحدين وهو "التيسير في صناعة التسفير" لبكر بن ابراهيم الاشبيلي[٤١]. إذ اشتهرت بلنسية[٤٢] بالكتابة بالذهب والراجح انهم استعملوا مداداً لا تؤثر فيه الحرارة[٤٣].إذ بدأ تزويق القرآن الكريم ابتداءاً من القرن التاسع عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادي / القرن الثامن والثالث عشر الهجري واصبحت الكتابة الخطية عنصراً هاماً في التصاميم الزخرفية لاغلفة المصاحف وصفحاتها الكريمة واخذت تتطور وتنمو فيما بعد على الرغم من اعتراض بعض الفقهاء اذ استخدم الفنانون المسلمون فن تذهيب الحروف للآيات القرآنية [٤٤].

واعظم اثرين في فن التجليد الموحدي هما مصحف ابن تومرت[٤٥] ومصحف الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) تولى الخلافة سنة (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م) اللذان كانا يحملان في مقدمة الركب الموحدي بين يدي الخليفة وقد جمع الموحدون من الصناع والمهندسين والصواغ والنقاشين والزواقين والمرصعين والنجارين والمجلدين فصنعوا لمصحف عثمان (رضى الله عنه) اغشية سندسية وذهبية وفضية وحلوه بالجوهر النفيس والياقوت الاحمر والاصفر والاخضر والزمرد الأخضر[٤٦]. أما في الاندلس فقد استغل مسلموها الجلود في تسفير (تجليد) الكتب والمصاحف إذ كان من شأن التجليد ان يحفظ

الكتاب ويصونه من التلف لمدة طويلة ويضفي عليه جمالاً وسهولة في الاستعمال والنقل ولعل ابلغ ما يصور الرقي الذي وصلت اليه هذه الصناعة (صناعة التسفير) في المغرب والاندلس هو ما عمله الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي[٤٧] في تحلية المصحف العثماني وكان قد وصله هدية من اهل قرطبة فاحتفل لقبوله بمراكش احتفالاً عظيماً وصنع له أغشية محلاة بالسندس الاخضر والذهب والفضة ومرصعة بالياقوت الاحمر والاصفر والاخضر وانواع الحجارة الكريمة[٤٨].

وذكر ابن عذارى[٤٩] "لما فتح طارق بن زياد (ت ١٠٢هـ/٧٢٠م) مدينة طليطلة[٥٠] وجد بها بيت الملوك ففتحه فوجد فيه زبور داود (ع) في ورقات الذهب مكتوباً بماء ياقوت محلول من عجيب العمل الذي لم يكد يرى مثله. ووجد فيه ٢٢مصحفاً محلاة كلها بالذهب منها التوراة وصحف اخرى[٥١].

المساجد :

لقد بلغت صناعة الصياغة اوج عظمتها وازدهارها في عصر الخلافة الاموية (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١م) اذ استعمل الاندلسيون الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور وفي صناعة الاثاث والانية والتحف والتماثيل الجميلة فقد كان المسجد الجامع في قرطبة قباب مقصورته مذهبة وبابها الرئيس مصنوعاً من ذهب مضروب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء[٥٢] بينما كانت في البيت الواقع شمال المحراب عدد طسوت ذهب وفضة وكان في المسجد الجامع ثريا عظيمة يبلغ قطرها ٥٠ شبراً وتحتوي على ١٠٠٠ كأس و ٨٤ كلها موشاة بالذهب[٥٣].

وفي مسجد قرطبة الجامع من الفسيفساء المذهب والملون ما بعث به صاحب القسطنطينية العظمى الى عبد الرحمن الناصر وعلى وجه المحراب قسيٍ قائمة على عمد طول كل قوس انيف من قامة وكل هذه القسي موجهة صنعة القوط وقد اعجزت المسلمين والروم بغريب اعمالها ودقيق صنعها وعلى اعلى الكل كتابان منحوتان بين بحرين من الفسيفساء المذهب في ارض الزجاج اللازوردي وعلى اوجه المحراب انواع كثيرة من التزيين والنقوش وفي جهتي المحراب اربعة اعمدة لا تقوم بمال وعلى رأس المحراب فصه رخام قطعة واحدة مشبوكة منصعة بأبدع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الالوان[٥٤].وعلى

أعلى القبة التي على البيت ثلاث تفاحات ذهباً واثنان فضة، وقباب مقصورة الجامع مذهبة وكذلك جدار المحراب وما يليه قد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء وارتفاع الصومعة ٧٣ ذراعاً الى اعلى القبة المفتتحة التي يستدير بها المؤذنون وفي رأس هذه القبة تفاح ذهب وفضة[٥٥]. وارتفاعها الى مكان الأذان ٥٤ ذراعاً[٥٦]. وفي سنة (٣٤٠هـ/٩٤٢م) أمر الناصر بناء الصومعة وفي اعلاها ثلاث رمانات تغشى السوسانة رمانة صغيرة من الذهب[٥٧].

وقد كانت مقصورة مسجد قرطبة مزينة بنقوش جصية بديعة جداً وعليها كتابات قرآنية واحاديث نبوية وقد وشيت من داخلها بالادهنة الذهبية[٥٨].وذكر ابن غالب[٥٩] ان باب المقصورة في مسجد قرطبة الجامع كان من الذهب المضروب. وجدار المحراب وما يليه قد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء[٦٠] وقبته من ذهب[٦١].وذكر ابن الدلائي[٦٢] في بيت المال في مسجد قرطبة اربع سواري من الذهب. وقد زين سقف مسجد قرطبة الجامع الخشبي بالأرجوان والذهب وفيه ٦ آلاف طبق من الفضة مسمرة بالذهب ومرصعة باللؤلؤ[٦٣]. وقد تعرضت الابواب الذهبية في مقصورة مسجد قرطبة في سنة (٤٥٠هـ/١٠٦٩م) الى النهب اثر الفتنة[٦٤] التي ذهبت بالخلافة الاموية وتعرضت قرطبة لانتقام البربر[٦٥].

كما تعرض الجامع من جديد لاعمال النهب ابان الفتنة الثانية[٦٦] التي حدثت في سنة (٥٤٠هـ/١١٤٩م) عندما نهبت اوصال المنبر وثريات الجامع الفضية كما جردت الصومعة من تفافيحها الذهبية والفضية[٦٧].تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلاً من الزيت[٦٨]. وكانت تتوج بيت المؤذنين في مسجد قرطبة قبة مخرمة وصفها المؤرخون وبرأس القبة ثلاث تفاحات واحدة من ذهب واثنان من فضة تفصل بينها اوراق سوسنية ويصف ابن عذارى[٦٩] هذه التفاحات بقوله "وفي اعلى ذروة المنار ثلاث رمانات تغشى النواظر بشعاعها وتخطف الابصار بالتماعها الاولى مفروغة من الذهب والوسطى من الفضة والثالثة من الذهب ايضاً وفوقها سوسانة من الذهب المحض مسدسة وفوق السوسانة رمانة صغيرة من الذهب ثم طرف الزج وفيه تاريخ مكتوب بالذهب. وقد استعمل الذهب في تزيين محراب جامع الحمراء في الاندلس إذ ذكر العمري[٧٠]، ان بحائط محرابه احجار ياقوت مرصوفة في جملة ما نمق به من الذهب والفضة.

وقد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء، ويغطي الوجهين المرئيين من منكبي عقد المحراب كتابة كوفية في ثلاثة سطور مذهبة على ارضية حمراء تقرأ على المنكب الايمن النص التالي "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق امر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم امير المؤمنين" ونقرأ على المنكب الايسر النص الآتي "اصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه بنصب هذين المنكبين فيما اسسه على تقوى الله ورضوان فتم ذلك في شهر ذي الحجة سنة اربع وخمسين وثلاثة مائة[٧١]. وذكر ان مسجد مدينة غرناطة الذي بناه محمد الثاني انه كان بحائط محرابه احجار ياقوت مرصعة في جملة ما نمق به من الذهب والفضة[٧٢].وقد قام الموحدون بتذهيب المنابر مثل الذي صنع في منبر جامع عبد المؤمن في مراكش ومنبر يوسف بن عبد المؤمن[٧٣] في اشبيلية[٧٤].وذكر ابن صاحب الصلاة[٧٥] ان صومعة مسجد اشبيلية كان به تفافيح غريبة الصنعة عظيمة الرفعة كبيرة الجرم مذهبة الرسم، وكان مقدار الذهب الذي طليت به هذه التفافيح الثلاث الكبار والرابعة الصغرى سبعة الاف مثقالاً كباراً يعقوبية. وكانت اغشيتها تغشي الابصار من تألقها بالذهب الخالص الابريز[٧٦].

القصور والدور :

استعمل الذهب في تزيين القصور والدور في الاندلس بشكل واسع إذ استخدم في قصر الخلافة بقرطبة إذ كانت أبوابه الثمانية منعقدة على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب واصناف الجوهر قامت على اعمدة من الرخام الملون والبلور الصافي[٧٧]. كما زينت القاعة الرئيسة للقصر المبارك في قرطبة بالزخارف المذهبة[٧٨]، ومن مباني مدينة الزهراء[٧٩] المشهورة القبة التي جعل الناصر قراميدها من الذهب والفضة[٨٠] والتي يسميها ابن خاقان (الصغرى) كما سميت بالقبة الخصوصية[٨١].ثم بنى فيها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الرخام الغليظ الصافي في لونه المتلونة اجناسه والموشى بالذهب وكانت قراميد هذا القصر من الذهب والفضة[٨٢].وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية ابواب قد انعقدت حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب واصناف الجوهر[٨٣].وقد كانت القصور التي بناها بنو ذي النون في طليطلة (٤٠٠- ٤٧٨هـ/ ١٠٠٩- ١٠٨٥م) مضرب

المثل في روعتها وجمالها فمجلس احد القصور وهو قصر المأمون بن ذي النون(٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٨٨م) قد فرش بالديباج التستري المرقوم بالذهب كما فرش مجلس الوضوء بوطاء الوشي المرقوم بالذهب[٨٤].وقد زين المجلس المسمى (المكرم) بصور الحيوانات والطيور والاشجار وكانت كل صورة منها منفردة عن حاجتها متميزة من شكلها وفي هذا المجلس بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الابريز وارض هذه البحار مدحوة من اوراق الذهب الابريز مصورة بأمثال تلك التصاوير من الحيوان والاشجار بأتقن تصوير وابدع تقدير[٨٥]. ولهذه الدار بحيرتان: قد نصبت على اركانهما صور اسود مصوغة من الذهب الابريز أحكم صياغة تتخيل لمتأملها كالحة الوجوه فاغرة الشدوق ينساب من افوهها نحو البحيرتين الماء هوناً كرشيش القطر او سحالة اللجين[٨٦].

ومن مظاهر الترف في عهد الطوائف ما ذكر عن قصور دولة بني زيري ملوك غرناطة (٤٠٣- ٤٨٤هـ/ ١٠١٢ - ١٠٩١م) حيث كانت تزخر بفاخر الاثاث وادوات الزينة من الحلي والمجوهرات ومقادير كبيرة من المصوغات الذهبية والفضية ومثال ذلك انه لما تنازل الامير عبد الله بن بلقين[٨٧] عن امواله ليوسف بن تاشفين (٤١٠-٥٠٠هـ/١٠١٩-١١٠٦م) حاول ان يستبقي لنفسه ما ينتفع به فاحتفظ بسقط ذهب فيه عشرة عقود من انفس الجوهر وذهباً مبلغه ١٦ ألف دينار مرابطية وخواتم[٨٨]. وحاولت امه ان تسكت على نحو ١٥ عقداً ومقادير من الذهب الا ان المرابطين حالوا دون ذلك كله ومن جملة ما وجد لديه سبحة فيها ٤٠٠ جوهرة قدرت كل جوهرة بـ ١٠٠ دينار ومن انواع الجواهر واليواقيت والزمرد ما لا تحصى قيمته ومن فاخر الثياب وآنية الذهب والفضة ما لا يعرف له قيمة[٨٩].

كما ذكر ان قصر المقتدر بالله أحمد بن هود (٤٣٨- ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦- ١٠٨١م) أمير سرقسطة وهو القصر المسمى بـ(قصر السرور) وكان اروع ما فيه بهوه العظيم الذي زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة والذي كان يسمى لذلك بمجلس الذهب[٩٠]. ومن شعر المقتدر بن هود قوله في مبانيه :

قصر السرور ومجلس الذهب بكما بلغت نهاية الارب
لـو لـم يحز ملكي خلافكما كانت لدي كفاية الطلب[٩١]

واحتوت الصومعة الصغيرة في قصر الحمراء في غرناطة على عمود من الحديد يحمل التفافيح المطلية بالذهب[٩٢]. كما احتوى قصر الحمراء في غرناطة على قاعة تعرف بالقاعة الذهبية وقد سميت بذلك لوجود الزخارف المذهبة وعلى الارجح ان هذه القاعة كانت مخصصة للحاجب[٩٣].وفي قاعة السفراء في قصر غرناطة بهو عظيم وفي القاعة والقبة ايات من آيات الله في جلالها وفخامتها وبديع صنعتها وجميل نقوشها الذهبية التي تتحللها الادهنة الحمراء والزرقاء والخضراء[٩٤]. وقد بنى الخلفاء الامويون قصر الزهراء خارج قرطبة وكانت آية من آيات الزمان ومن عجيب ما كان فيها بحيرات من المرمر يتفجر ماؤها من افواه طيور من الذهب وكان يحيط بالبحيرات تماثيل اسود من الذهب ينزل الماء من افواهها الى بساتينها التي كانت في نظامها تدهش الابصار وتبهر الانظار[٩٥].وكانت حيطان قصر الحمراء في غرناطة مزخرفة بالذهب البديع وكانت على الجبل المجاور للحمراء وسهولة الواسعة الارجاء عشرات الالوف من القصور الفخام التي لا تقل جمالاً وابداعاً في الذوق عن الحمراء الا انها اقل تلألؤا بالذهب والفضة والجواهر[٩٦]. وكانت دور الزهراء (١٢٥) داراً وابوابها كلها كبارها وصغارها ملبسات بالحديد والنحاس المموه بالذهب[٩٧].

العملة:

أدت النقود دوراً مهماً في التعبير عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في المغرب والاندلس باعتبارها الجهاز الاعلامي في الدولة الاسلامية فعن طريقه تبث الاخبار المهمة والاحداث العظيمة التي تشهدها البلاد ، وكانت تسك النقود تخليداً للعديد من المناسبات المهمة مثل اعتلاء الحكام العرش والمبايعة بولاية العهد والمصاهرة والمناسبات السيئة والاضطرابات[٩٨].

وترجع اهمية العملة الى انها وسيلة من الوسائل الهامة في التبادل التجاري من عمليات البيع والشراء فقد استخدمها التجار في عملياتهم التجارية كما ترجع أهمية العملة ايضاً الى انها توضح مدى التقدم والازدهار الاقتصادي والحضاري للدولة فالعملة تعطينا صورة من صور التعامل الاقتصادي ومدى رواج التجارة او تدهورها كما كانت تدل ايضاً على مدى قوة الدولة او ضعفها وما تتمتع به تلك الدولة من استقرار او اضطراب سياسي[٩٩]،كان المسلمون في بداية الفتح الاسلامي للاندلس يتعاملون بما يحمل اليهم من

دراهم اهل المشرق فضلاً عن استعمال النقود المضروبة في اسبانيا قبل الفتح[١٠٠]،وفي الاندلس سك موسى بن نصير (ت ٩٧هـ/٧١٦م) عملة ذهبية في دار السكة القوطية بطليطلة لصرف رواتب الجند سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م وكانت العملة الذهبية تحمل نقوشاً كتابية لاتينية وعربية[١٠١]

ووجد في عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) بعض العملات الذهبية والفضية سكت داخل الاندلس مثال ذلك عملة نقش عليها في الوجه (بسم الله الرحمن الرحيم) وعلى الوجه الآخر للعملة نقش (لا إله الا الله وحده ضرب هذا الدينار سنة اثنتين ومائة) [١٠٢].وفي عهد الخلافة الاموية في الاندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١م) امر عبد الرحمن الناصر بانشاء دار للسكة داخل مدينة قرطبة لضرب الدنانير والدراهم من خالص الذهب والفضة وكانت هذه الدار تصدر في كل سنة ٢٠٠ ألف دينار وكان هذا مرتبطاً بالرخاء والازدهار الاقتصادي الذي بلغته الاندلس في تلك الفترة[١٠٣]. ومن هذه العملات عملة سكت بمدينة الزهراء سنة ٣٤٣هـ/٩٦٠م . نقش على الوجه الأول منها (لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد) وفي الهامش (بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة الزهراء سنة ثلاث واربعين وثلثمائة) وعلى الوجه الآخر (الامام الناصر لدين الله عبد الرحمن امير المؤمنين) وفي الهامش (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [١٠٤] وتوالى سك العملات الذهبية في الاندلس في مدينة الزهراء بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر ولاسيما في عصر الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد(٣٥٤-٤٠٣هـ/٩٦٥-١٠١٣م) [١٠٥] .

اما المرابطون فلم يسكوا نقوداً في الاندلس الا بعد سنة (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) وكانوا يسكون نقودهم قبل ذلك في افريقية وكانت العملة الرئيسة للدولة المرابطية في الدينار الذهبي الذي كان عماد الاقتصاد في الدولة فقد ضرب يوسف بن تاشفين، دنانير ذهبية مستديرة الشكل وكتب في احد وجهيها العبارة التالية " لا الله الا الله محمد رسول الله " وتحت ذلك " امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكتب في الدائرة الآية الكريمة "ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين". وكتب على الوجه الآخر ما يفيد الاعتراف

بسلطة الخلافة العباسية الروحية ونصه "الأمير عبد الله العباسي" وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه[١٠٦].

اما العملة التي سكها سلاطين بنو نصر في مملكة غرناطة فقد كانت من الفضة الخالصة والذهب الابريز[١٠٧]، وكتب على الدينار الذهبي الذي ضرب في عهد الامير محمد بن يوسف بن نصر[١٠٨] على وجهه الاول قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"[١٠٩] ويستدير به شعار بني الاحمر "لا غالب الا الله" وعلى الوجه الثاني "الأمير عبد الله الغني بالله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر ايده الله واعانه" وفي الدائرة ضرب بمدينة غرناطة حرسها الله[١١٠].

ومن اهم النقود التي ضربها الخلفاء في الاندلس هي :

١- الدينار العبادي

ويسمى ايضاً بالمثقال الذهبي العبادي وهو الذي ضرب بمدينة اشبيلية في عهدة دولة بني عباد حيث قام المعتضد بن عباد بسك عملة خلال فترة حكمه (٤٣٣- ٤٦١هـ/ ١٠٤٢ ١٠٦٩م) ونقش عليها "الامام هشام امير المؤمنين المؤيد بالله)[١١١].

٢- الدينار المرابطي

اتبع المرابطون سياسة مختلفة وضربوا العملة الذهبية والفضية في جميع مدن دولتهم مثل اشبيلية وبلنسية والجزيرة الخضراء[١١٢] ودانيه[١١٣] وغرناطة وقرطبة ومالقة من البلاد الاندلسية واغمات[١١٤] وتلمسان[١١٥] وسجلماسة[١١٦] وفاس[١١٧] ومراكش[١١٨] وسبته[١١٩] وسلا[١٢٠] من البلاد المغربية وجرى الموحدون على هذا النهج المرابطي بيد ان الدينار كان لا يضرب الا في فاس حيث كان فيها دارا سكه ثم ضمهما الناصر في دار واحدة[١٢١]. وكان الدينار المرابطي يسمى بالمثقال المرابطي وهو تقريباً من الذهب الخالص ويذكر ان الدينار المرابطي كان يفوق الدينار العبادي والشرقي [١٢٢].

٣-الدينار الشرقي او المشرقي

وهو الذي ضرب في شرق الاندلس ابان عصر دويلات الطوائف (٥هـ/١١م) وكان الدينار الذهبي الشرقي مشوباً بالنحاس وعلى هذا الاساس كان الدينار العبادي يفوق الدينار الشرقي وزناً وعياراً[١٢٣]

٤-العملة الموحدية

لقد كان الدينار الموحدي الذهبي كبيراً في النقود الذهبية في الاسلام حيث يتجزأ الى نصف دينار وربع دينار واحياناً الى ثمن الدينار واختلف في وزنه فقد كان يزن (٤,٤٦ غم) ثم انخفض الى (٣,٣٥ غم) ثم تضاعف في عهد المنصور فكان يزن (٤,٧٢غم) واستمر هذا الوزن الكبير في قيمة الدينار الذهبي طيلة حكم الموحدين[١٢٤].وقد كان اساس العملة الموحدية الدينار الذهبي والدرهم الفضي وربما استعمل المثقال الذي له نفس وزن الدينار[١٢٥].

الصناعات الأندلسية :

تعكس الصناعات والحرف في اي مجتمع درجة تطوره ونموه وقد صنفها ابن خلدون[١٢٦] الى صنفين "الضرورية والكمالية". وتنشأ الاولى مع التكوين الاول للمجتمع كحرفة الخياطة والحدادة والنجارة اما الثانية فتكثر مع ازدياد ترفه وايغاله بمظاهر البذخ كحرفة الزجاج والصائغ والدهان والصفار وغيرهم[١٢٧].

وقد برعت بلاد الاندلس في صناعات عدة كما ذكر المقري[١٢٨] ذلك بقوله "والى مصنوعات الاندلس ينتهى التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير". وانتقلت صناعة تكفيت النحاس والصلب وغيره بالذهب والفضة وزخرفتها بالنقوش والتوريقات النباتية من دمشق الى الاندلس واشتهرت بها العديد من المدن الاندلسية[١٢٩].

والى جانب الموضوعات الزخرفية المحفورة او المرسومة بشكل بارز كان الصناع الاندلسيون يزاولون طرقاً اخرى لتزيين المعادن، فقد برعوا في تكفيت (تطعيم) البرونز والنحاس بالذهب والفضة وهذه الطريقة ماتزال متبعة حتى اليوم في طليطلة على الرغم من ان الاوربيون اخذوا تلك الحرفة فبلغوا بها غاية الاتقان[١٣٠].

الصناعات المنزلية :

ذكر القيرواني[١٣١] ان طارق بن زياد وجد في مدينة طليطلة مائدة سليمان بن داود (ع) وكانت من ذهب مكللة بالدر والياقوت وضروب الجوهر. وقد قومت تلك المائدة بمائتي الف دينار[١٣٢].فضلاً عن عدد من الاواني الذهبية المختلفة[١٣٣]. ويصنع بمدينة مرسية[١٣٤] من الأسرة المرصعة والحصر الفاتنة الصنعة والآت الصفر والحديد من السكاكين والامقاص

المذهبة وغير ذلك من آلات العروس ما يبهر العقل [١٣٥].وكانت الاواني المذهبة تصنع بالمرية[١٣٦].

الصناعات الحديدية (الاسلحة – والسروج) :

انشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر داراً لصناعة الات السلاح للحرب في مدينة الزهراء[١٣٧] وكانت معامل الاسلحة تنتج انواعاً مختلفة من العدد والآلات الحربية كالرماح والاقواس والنبال والدروع والبيضات والحراب والتراس المذهبة والمفضضة[١٣٨]. وهي من الأسلحة الدفاعية التي يتوقى بها وتصنع عادةً من الحديد ويقال لصانعها التراس كذلك السيوف المموهة بالذهب والفضة واغمدة السيوف ومقابضها[١٣٩]، وكان من اسلحة الجيش الاندلسي الجواشن المختصرة والبيضات المذهبة والسروج العربية [١٤٠].واشتهرت مدينة طليطلة بصناعة الاسلحة ولاسيما السيوف التي نالت شهرة عالية كالسيوف الدمشقية[١٤١].إذ وجد فيها الف سيف مجوهر ملكي عند فتحها[١٤٢]. وجاء بوصية الدون بدرو "واوصي ايضاً لابني بسيفي القشتالي الذي صنع باشبيلية ورصع مقبضه بالذهب ونفيس الجوهر"[١٤٣]

وهناك عدة سيوف المزركشة مثل سيف ابي عبد الله (محمد الثاني عشر ٨٩٢-٨٩٧هـ/١٤٨٧-١٤٩٢م) اخر ملوك الاندلس في غرناطة الذي وافق على تسليم غرناطة لفرناندو وايزابيلا) [١٤٤] المحفوظ في المتحف الحربي بمدريد وهو رائعة من روائع الصياغة يتميز برشاقة متناهية مقبضة مصنوع من العاج ومطلي بالفضة المذهبة وفيه زخرفة تقوم على الصياغة المزركشة [١٤٥]. وكان قادة المنصور بن ابي عامر[١٤٦] يلبسون الجواشي المذهبة والمناطق[١٤٧] المذهبة[١٤٨].

وكانت اسرجة الخيول التي تصنع من الصوف هي الارقى من نوعها في العالم الاسلامي اذ كانت تتراوح اثمانها ما بين الخمسين والستين ديناراً ويبدو انها كانت تصنع من خيوط الصوف وتزين بالذهب[١٤٩]. وكانت صناعة السروج المذهبة من الصناعات المزدهرة في مدينة طليطلة قبل الفتح اذ عثر المسلمون على سرج من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد على فرس لذريق[١٥٠] ووجدوا حلة من ذهب مكللة بالدر والياقوت[١٥١].

الصناعات النسيجية:

ان الصناعات النسيجية كغيرها من الصناعات الاخرى يتوقف انتشارها على توفر العناصر الأساسية لها كالمواد الأولية والايدي العاملة والاسواق التي تمثل الاستهلاك لذلك المنتوج(١٥٢). إذ كان للامراء والخلفاء في قصورهم معامل خاصة تعرف بـ"دور الطراز" تختص في تطريز اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير او الديباج او الابريسم، وكانت الكتابة تنسخ على حافة القماش وتحوي اسم الخليفة او الامير ولقبه وبعض عبارات الدعاء وكانت الكتابة تحاك من خيوط الذهب او من خيوط ذات الوان زاهية تخالف في العادة لون الثوب(١٥٣).

وكان الامير عبد الرحمن الاوسط(١٥٤) اول من انشأ دار الطراز بالاندلس(١٥٥)، وتجدر الاشارة الى اهتمام خلفاء بني امية بصناعة الطراز اذ انهم كانوا يصدرون الاوامر الى الولاة في شهر ايار من كل سنة لجمع غلة الحرير وارسالها الى معامل الطراز الموزعة في مناطق الاندلس المختلفة وكان صاحب الطراز في عهد بني امية مسؤولاً عن معامل الطراز حيث كانت تنسج ثياب الخلفاء والامراء واعيان الدولة من الديباج والحرير المختم المرقوم بالذهب المختلف الالوان(١٥٦).

وفي اوائل عهد الموحدين سقطت وظيفة صاحب الطراز من وظائف الدولة بسبب تورع الموحدين عن ارتداء الملابس الغالية الثمن المصنوعة من الحرير الموشى بالذهب اذ صدر الخليفة المنصور الموحدي امراً في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) يقضي بقطع اللباس الغالي من الحرير والاجتزاء منه بالرسم الصغير ومنع النساء من الطراز الحفيل وامر بالاكتفاء بالساذج والقليل منه وامر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى باثمان لم تعرف ولم تستقصى(١٥٧). واحتلت صناعة الطراز مكانة خاصة في عهد دولة بني الاحمر واهتمت نساء غرناطة بهذا الفن اهتماماً بالغاً فتفردت غرناطة بصناعة المنسوجات الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبية والفضية وامتازت بنقش الصور الملونة عليها (١٥٨). إذ استورد المرينيون (٦٦٨-٧٥٩هـ/١٢٦٩-١٣٥٨م) عدداً من المواد المهمة من الاندلس مثل الثياب الحريرية الموشاة بالذهب من مالقة والمرية(١٥٩).

وذكر ان المنصور بن ابي عامر كان يرتدي الملابس المنسوجة بالذهب وقد نقش اسمه عليها شأن الخلفاء[١٦٠]. وذكر بول[١٦١] ان رداء ابن الحجاج(٢٣٨-٢٩٨هـ/٨٥١-٩١١م) حاكم اشبيلية كان من الحرير المنسوج بخيوط الذهب والفضة كتب عليه اسمه والقابه بالذهب الخالص.

وفي مدينة المرية يوجد الحرير والديباج والعتابي والمعاجر المذهبة الستور والمكللة بالشرج [١٦٢]. وبرع الصناع في مدينة المرية من حاكة ونساجون في حياكة الثياب الحريرية الموشاة بالذهب[١٦٣]. ويقال كان بالمرية نحو ٨٠٠ نول كانت معدة لنسيج طراز الحرير ومن هذه المنسوجات الحلل الموشية النفيسة والديباج الفاخر والمعاجر المذهبة[١٦٤]. اضافة الى اقمشة السقلاطون الحريرية المطرزة بالذهب التي اشتهرت في الاصل ببلاد اليونان ثم انتشرت صناعتها في المدن الاسلامية شرقاً وغرباً. اما الحلل فنسيج حريري اختصت المرية بصناعته حيث كان يعمل بها الحلل الرفيعة القدر الكثيرة الاثمان وكان هذا النسيج يحلى بخيوط ذهبية لذلك اطلق عليه اسم الحلل الموشية والديباج من المنسوجات الحريرية السميكة وكان يصنع من خيوط الحرير ، وقد تدخل في نسجه خيوط الذهب[١٦٥].فكانت الاندلس تصدر الوشي المذهب الى المشرق[١٦٦]. وذكر المقري[١٦٧] ان ولادة بنت المستكفي بالله[١٦٨] كتبت بالذهب على طرازها الأيمن:

أنا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيه فيها

وكتبت على الطراز الأيسر:

وامكن عاشقي من لثم خدي وامنح قبلتي من يشتهيها.

ويعمل بمدينة مالقة ومرسية ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة[١٦٩].التي كانت تصدر الى بلاد المشرق والمغرب وتباع بأغلى الاثمان وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الالاف[١٧٠] وكانت مدينتي وادي اش[١٧١] ودلاية[١٧٢] تنتجان نوعاً من الحرير كانت تفضله اميرات غرناطة والنساء الميسورات الذي قال فيه ابن بسام[١٧٣] " قد الهب بالذهب نحورها وحواشيها وقرنت بالعسجد اسافلها واعاليها وكحلت بأسلاك خطوطها ورسومها ووصلت بالياقوت الاحمر دوائرها ورفوفها" . وكانت النساء في الاندلس يلبسن الثياب ذات الالوان الجذابة المصنوعة من نسيج مزخرف بالنقوش البديعة وقد طرزت

حواشيها بالذهب الوهاج المتلألى ايام انسها وفرحها ، أما ايام الا حزان فقد كانت تكتفي باللون الأبيض خاصة اذا حزنت على الموتى ويبدو انها عادة متبعة في الاندلس وبذلك خالفن المشرقيات في لبسهن السواد ايام احزانهن ويقول الحصري الكفيف المتوفى (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) :

لئن كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

الم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على الشباب[١٧٤]

اما نساء أهل الذمة فقد انتعلن الاخفاف المذهبة ولبسن الحلي واستعملن الخضاب والتعطر ومن البسة نساء اليهود في الاعياد فهي الكسوة وهي من حرير احمر بضفائر خيوط مذهبة[١٧٥]

الصناعات الخشبية (الطبول) :

كانت صناعة الطبول مع المرابطين ثم الموحدين اصبحت تستعمل في اغراض عسكرية ارهاباً للعدو قبل بدء المعركة كما اتخذها الموحدون اعلاناً عن بشرى تزف او تنظيماً لسير الجيوس وقد بلغ عددها في العصر الموحدي مائة طبل وتميزت مع الكثرة بالفخامة[١٧٦].وقد برع الموحدون في صناعة الطبول فكان لديهم "طبل كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً منشأ من خشب اخضر اللون مذهب فاذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم انه طبل الرحيل فيرحل الناس وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه"[١٧٧]. فبرع الموحدون في تطعيم المصنوعات الخشبية بالمعادن وتذهيبها وتذهيب النسيج والكتب [١٧٨].

الصناعات الفخارية والخزفية :

الفخار:

هو كل ما عمل من طين وشوى بالنار[١٧٩]. وتركزت هذه الصناعة في جنوب البلاد الاندلسية وشرقها ويبدو ان المرية كانت رائدتها في العصر المرابطي بيد انه بعد خراب المرية اصبح اكثر التصنيع في مدينتي مالقة ومرسية وانتشرت بعض هذه الصناعة في العصر الموحدي في البلاد الشرقية والغربية مثل تونس[١٨٠]، لقد كانت البلاد الشرقية تجلب من الاندلس المصنوعات الجلدية والفخارية والزجاجية والاواني الخشبية وادوات الموسيقى

والمصنوعات المعدنية ولاسيما المذهبة منها والوشي المذهب[١٨١]. وبمدينة مالقة يصنع الفخار المذهب العجيب الذي لا يوجد مثله في بلد ومنها يجلب الى أقاصي البلاد [١٨٢].ويصنع بمدينة قلعة ايوب [١٨٣] الفخار المذهب ويتجهز به الى كل الجهات[١٨٤].ووجد المسلمون عندما فتحوا الاندلس الكثير من التحف المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بأنواع الاحجار ومن ذلك ما وجدوه في مدينة طليطلة [١٨٥].

وتدل البقايا الخزفية من اثار الزهراء والبيرة وقرطبة على وجود ثلاثة انواع من الخزف في عصر الخلافة(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١م) وهي الخزف الشعبي والخزف المزجج والخزف المذهب المسمى بالخزف ذي البريق المعدني الذي ازدهرت صناعته في المشرق الاسلامي خلال القرن (٣هـ/ ٩م) ثم انتقلت الى الاندلس في القرن (٤هـ/١٠م) حيث اكتشفت قطع من هذا النوع في مدينة الزهراء، وفي مدينة طليطلة سجل من ذلك العصر يتضمن اشاره الى ان القطاع المذهبة كانت من الصناعات المحلية فيها[١٨٦]. وعرف المرابطون صناعة الادوات الخزفية المزججة والمذهبة[١٨٧]، وانتقلت صناعة الخزف الى مدينة بلنسية الاسبانية في اواخر القرن (٨هـ/ ١٤م) وكانت مدينة منسيس الواقعة بالقرب من بلنسية هي مركز انتاج الخزف المذهب المسمى بـ(الخزف ذي البريق المعدني) الذي صدر من بلنسية الى البلاد الاوربية في ذلك القرن والقرون التالية فكان من آثار الحضارة الاندلسية انها علمت اوروبا فن استخدام الخزف وتجميل المباني فيه وبذلك انتقلت صناعة الخزف الى ايطاليا وانجلترا وغيرها من البلدان الاوربية[١٨٨].وقد عثروا سنة (١٩١٠م) في اطلال الزهراء على آجر مكسو بطبقة من الذهب[١٨٩].وبرع الموحدون في تطعيم وتذهيب الاواني الفخارية[١٩٠]

واشتهرت اسبانيا بالمصنوعات الذهبية والزجاجية والخزفية فاستمرت مراكز صناعة الاواني المذهبة او ذات الشهرة المعدنية تعمل في ملقا ومنيزيا بالقرب من فالنسيا حتى الى ما بعد اعادة الفتح[١٩١].

وعندما اراد عبد الرحمن الناصر بناء مدينة الزهراء جلب لها سواري الرخام من بلاد الافرنج وسائر بلاد الاندلس اما الحوض المنقوش المذهب فجلبه اليه احمد اليوناني من عند صاحب القسطنطينية والحوض الاخضر الصغير جلبه اليه احمد بن كرم الفيلسوف من

الشام وفيه نقوش وتماثيل على صور الانسان فأمر به الناصر فنصب في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثني عشر تمثالاً من ذهب مرصعة بالجواهر النفيسة تمج الماء من افواهها فيه [١٩٢].

صناعة البسط والسجاد :

ازدهرت صناعة البسط والسجاد في الاندلس بفضل المسلمين الذين أدخلوا اليها هذه الصناعة من المشرق الاسلامي بعد الفتح اذ لم يكن لاسبانيا قبل الفتح الاسلامي سابق معرفة بالسجاد صناعة او استعمالاً[١٩٣]. وكان السجاد الثمين يفرش ويعلق في قصور الخلفاء والامراء لاظهار روعتها وجمالها [١٩٤].وان طارق بن زياد عندما فتح الاندلس اصاب غنائم كثيرة من الذهب والفضة وكذلك غنم طنفسة[١٩٥] فكانت الطنفسة لتوجد منسوجه بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضرب وسطها فيأخذ احدهما نصفها والآخر نصفها الآخر لنفسه[١٩٦].

صناعة الحلي والصياغة :

وجد المسلمون في مدينة طليطلة عند فتحها ١٧٠ تاجاً من الذهب الاحمر مرصعة بالدر واصناف الحجارة الثمينة [١٩٧].كما انشأ الناصر في الزهراء دار لصناعة الحلي للزينة رغبة منه في زيادة الانتاج لتغطية الطلب المتزايد على المصوغات الذهبية ولاسيما بعد توسع اعمال البناء والعمران [١٩٨].كما عثر على قطع من الحلى الذهبية وصناعات اخرى من العاج والمعادن والذهب والفضة تملأ متحف قرطبة وبعض المتاحف الأخرى[١٩٩].وذكر الحميري[٢٠٠] ان المسلمين عندما فتحوا الاندلس جعلوا العجم يتختمون بخواتم الذهب في اصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضة ويميزون عبيدهم بخواتم النحاس. وهذا الكلام يفتقد الى الدقة لعدة اسباب منها :

١-ان المسلمين عندما فتحوا الاندلس جاءوا محررين وليس محتلين .

٢-ان مبادئ وتعاليم الاسلام السمحاء لا تقبل في فرض مثل هذه القيود على أي مكون من مكونات المجتمع الاندلسي بغض النظر عن الدين او القومية او العرق .

٣-ان المسلمين جاءوا الى الاندلس لتخليص سكانها من الظلم والعبودية ونظام الرق والغاء الفوارق الطبقية في المجتمع ونشر تعاليم الاسلام التي تدعو الى الوحدة والتعاون ونبذ العنصرية والكراهية في المجتمع .

وكان الصاغة الاندلسيون في عصر الخلافة يصنعون من الذهب انواعاً متعددة من الاسلحة وادوات القتال وكانت هذه الادوات تزدان بصور الحيوانات والطيور وتزخرف بالنقوش والكتابات ولذا كانت تعد من الهدايا الثمينة التي يقدمها الخلفاء لكبار رجالات الدولة فقد اهدى الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن ابي العافية[٢٠١] سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) من غرائب السلاح اربعة بنود بند اول فيه صورة عقاب مختلف الألوان رأسه فضة مذهب النقش وبند مطلق كبير ابيض مكتوب بتذهيب في جوانبه الثلاثة كتاب عريض وفيها سيفان وهلالان مذهبان مزوقان واربعة قرون للضرب ولكل واحدة منها اربعة حلق فضة للعلائق حلية احدها فضة مذهبة ملونة بلون ابيض واخرى فضة مذهبة منقشة مشجرة وستة من الطبول المذهبة الكاملة الآلة[٢٠٢]. ومما يدل على براعة الصاغة الاندلسيين ومهارتهم في تشكيل وصياغة المصنوعات الذهبية ما ذكره المقري[٢٠٣] ان المنصور بن ابي عامر لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم فأمر المنصور ان يغرس في بركة عظيمة ذات اميال (نيلوفر) [٢٠٤] على ما تسع ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة قناطير من فضة فسبكت قطعاً صغاراً على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وارسل الى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق ذهب وخمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال شارتهم ولم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادروا لأخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والذهب والفضة في اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوماً بين يده فتعجب النصراني من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعاً الى مرسله . وقال له: لا تعادِ هؤلاء القوم فاني رأيت الارض تخدمهم بكنوزها[٢٠٥]. واهتم ملوك الطوائف

في القرن (٥هـ/ ١١م) بمظاهر الابهة والترف فتنافسوا في اتخاذ الكماليات من فاخر الثياب والملبوسات المزخرفة والعطور والحلي والآنية والاباريق والمجامر المصنوعة من الذهب والفضة فضلاً عن بناء القصور والحدائق والبرك وتزيين مجالسها وابهائها بالتماثيل والتحف الذهبية والفضة[٢٠٦].واقتصرت اعمال الصاغة على صناعة الحلي لزينة النساء وكانوا يمارسون اساليب متنوعة من الغش والتدليس تمثلت بخلط المصوغات الذهبية بمعادن الفضة والنحاس والصفر[٢٠٧].وقد اعطى يوسف بن تاشفين بعد دخوله الى مدينة غرناطة سنة (٤٨٠هـ/١٠٩٠م) قادته الكنوز العجيبة التي لم يروا مثلها في حياتهم من الماس والدر والياقوت والجواهر الثمينة والحلي الذهبية والفضية[٢٠٨]. اما في عهد بني الاحمر ملوك غرناطة فقد كان الصاغة يصنعون من الذهب الخالص القلائد والدمالج[٢٠٩] والشنوف[٢١٠] والخلاخل وغير ذلك من اصناف الحلي التي كانت تتزين بها نساء الطبقة الموسرة[٢١١] . وكانت نساء الاغنياء في الاندلس تضع اقراطاً كبيرة من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة ، أما المرأة المتوسطة الحال فتتخذها من الفضة أو حتى من حديد أو نحاس[٢١٢] ولبست الخلاخل التي صنعت من الذهب والفضة وطعمت باللؤلؤ والمرجان والياقوت الأحمر والدر والزبرجد والزمرد الاخضر[٢١٣] . اما خواتم اصابع اليد فتصنع من ذهب والفضة والحديد، وتفننوا في صياغتها وفي نقش الرسوم عليها [٢١٤].

صناعة النجارة واعمال الخشب :

حظيت صناعة النجارة واعمال الخشب بمكانة مهمة في المجتمع الاندلسي وقد ساعد على ذلك وفرة الاخشاب في مناطق الاندلس المختلفة ووجود الايدي العاملة الماهرة وازدهار الحركة العمرانية ولاسيما عمارة المساجد والقصور[٢١٥] اذ صنع منبر مسجد مدينة الزهراء من اكارم خشب الابنوس والصندل[٢١٦] وهو مركب من ٣٦ ألف قطعة منفصلة سمرت بمسامير الذهب والفضة ورصعت بنفيس الاحجار الكريمة[٢١٧].

أما مقصورة الجامع فكان لها ثلاث أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش وكان بابها الرئيس من الذهب المضروب وعضادتاه من عود الابنوس وحظيت صناعة المنابر والمقصورات الخشبية بشهرة كبيرة في عهد الموحدين فيذكر ان الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي نقل الى جامع الكتبية بمراكش منبراً عظيماً صنع بالاندلس في غاية الاتقان قطعاته

عود احمر واصفر وصفائحه من الذهب والفضة[٢١٨]. كما عمل الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن منبراً للمسجد الجامع الذي اقامه في مدينة اشبيلية كان منقوشاً مرقشاً محكماً بأنواع الصنعة والحكمة ورصع بالصندل وكان مجزعاً بالعاج والابنوس يتلألأ كالجمر وعليه صفائح من الذهب والفضة وهناك اشكال من الذهب الابريز يتألق نوراً واضيفت اليه مقصورة من احسن الخشب[٢١٩].

صناعة الزجاج :

كانت صناعة الزجاج معروفة في اسبانيا منذ العصور القديمة وعلى الرغم من ذلك لم يكن استعمال الاواني الزجاجية شائعاً في الاندلس في القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري/ الثامن والتاسع الميلادي اذ من المعروف ان زرياب[٢٢٠] الذي دخل الاندلس اوائل القرن(٣هـ/ ٩م) كان اول من نصح الاندلسيين باستعمال آنية الزجاج الرفيع بدلاً من آنية الذهب والفضة الامر الذي ادى الى نمو وتطور هذه الصناعة في الاندلس ابان العهد الاسلامي[٢٢١].وكان يصنع الزجاج العجيب والخزف المزجج والمذهب العالي الجودة المتقن الصنعة في مدينة المرية ومالقة[٢٢٢].

صناعة التماثيل :

انتشرت صناعة التماثيل ونحتها في انحاء العالم الاسلامي حتى وصلت الى اوروبا في العصور الوسطى عن طريق الاندلس[٢٢٣] وذكر ابن الدلائي[٢٢٤]انه كان في كنيسة المركز في لورقة[٢٢٥] جرادة من ذهب طلسما للجراد ولم يعلموا بالجراد في بلدهم طول تلك الجرادة هناك حتى سرقت فظهرت الجراد من ذلك العام ولم تفقد الجراد بعد ذلك الى الان. وقيل ان عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) عندما أمر ببناء مدينة الزهراء امر ببناء بركة عظيمة عليها اسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملك في غابر الدهر، مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان وما يفيض من الماء يصب في نهر الوادي الكبير[٢٢٦].وزودت احواض قصر الخلافة بتماثيل من الرخام أو الفضة على أشكال مختلفة يجري ماؤها من أنابيب بعضها كأفواه الحيوانات وأكثرها من الرخام وبعضها من الفضة وبعضها الآخر من الذهب يتلألأ عن بعد في اشعة

الشمس[٢٢٧].وكانت حديقة قصر قرطبة تروى بأنابيب من الرصاص تصب الماء منها تماثيل مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه[٢٢٨].

لكن التماثيل الذهبية الاخرى التي وضعت فوق الحوض صنعت داخل العاصمة قرطبة وهي مرصعة بالدر الغالي النفيس وهي عبارة عن اثني عشر تمثالاً من الذهب الاحمر مفرقة على جوانب الحوض[٢٢٩].

ومن اعجب الاثار في جزيرة قادس[٢٣٠] بالاندلس الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة بناه اركليش وهو هرقلس اصله من الروم الاغريقيين وكان من قادة الروم وكبرائهم على زمن موسى (ع)، وهو ضم في وسط الجزيرة مربع ذرع اسفله من كل جانب اربعون ذراعاً قد تقدمت رجله اليمنى وتأخرت اليسرى كالماشي وارتفاع الصنم من الارض الى رأس الصورة ١٤٠ ذراعاً وقد خرج من بين رجليه عمود نحاس او ذهب صاعداً حتى علا فوق رأسه نحو ذراعين في رأي العين[٢٣١].وقيل ان الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم اتخذ تمثالاً زنته ٣٠٠ رطل من الذهب الخالص وحفة من الياقوت والزبرجد.وكان في قصر المعتمد بن عباد (٤٦١-٤٨٤هـ/١٠٦٩-١٠٩١م) في اشبيلية تماثيل عنبر من جمالها جمل مرصع بالذهب واللالئ[٢٣٢].وذكر ابن الخطيب[٢٣٣]ويوجد في بركة قصر الحمراء تماثيل من السمك الذهبي الكثير العدد اذا واجهته اشعة الشمس[٢٣٤].

الخاتمة :

بعد الانتهاء من هذا البحث نستنتج عدة أمور منها :

١-أن معدن الذهب يوجد في معظم المدن الاندلسية مثل قرطبة وغرناطة والمرية وغيرها ، سواءً في الانهار او الرمال .

٢-لم يقتصر استعمال الذهب على صناعة الحلي والزينة بل تعدى ذلك الى استعماله في تزيين الملابس وتجليد الكتب وترصيع مقابض السيوف والتماثيل وغير ذلك .

٣-أستعمل الذهب في تزيين القصور والمساجد والمدارس في الأندلس .

٤-ان وفرة الذهب في الاندلس ادى الى ظهور العديد من الصناعات المهمة منها صناعة الزجاج والفخار المذهب .

٥-ادى الذهب دوراً بارزاً في الجوانب السياسية ولاسيما في الهدايا التي كان يتبادلها الخلفاء والامراء في الاندلس فيما بينهم من جانب ومع ملوك الدول الاخرى من جانب اخر .

هوامش البحث:

*القرآن الكريم

(١) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م) عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص١٧٥.

(٢) العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢٢، ص١٠١- ١٠٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات ، ص١٧٥.

(٣) داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م) تذكرة اولي الالباب الجامع للعجب العجاب، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت د.ت، ج١، ص١٧٨- ١٧٩.

(٤) قبرص : هي جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوماً بها مدن كثيرة وقرى عامرة ة ومزارع وأنهار وبها معدن الزاج القبرصي الذي ليس في البلاد مثله شيء ، وبها من المواشي ما يكفي بلاد الافرنج . ابن الوردي، سراج الدين ابو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: انور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨،ص١٦٩.

(٥) شيخ الربوة، شمس الدين، ابو عبد الله محمد أبي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في بطرسبورغ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، ١٨٦٥م، ص٤٩.

(٦) التبر : ما كان من الذهب والفضة غير مصوغ فاذا ضرب دنانير فهو عين . الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٥م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ج٤ ، ص١٣٦٩.

(٧) الزخرف : الذهب . الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص٥٠٨.

(٨) العسجد : الذهب . الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص٥٠٨.

(٩) الابريز : الحلي الصافي من الذهب ، ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الانصاري الافريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج٥ ، ص٣١١.

(١٠) عقيل محسن، موسوعة الاحجار الكريمة المصورة، دار المحجة البيضاء، ط١، بيروت، ٢٠٠٧، ص٣٨٧.

(١١) اشبيلية : مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص ايضاً وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره بها وبها كان بنو عباد ولمقامهم بها خربت قرطبة . الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط٢، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٥م ، ج١ ، ص١٩٥.

(١٢) عباس، رضا هادي، الخزاعي، كريم عاتي، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس، الجامعة المستنصرية، بغداد، ط٢، ٢٠١٠، ص١٧٤.

(١٣) مالقة : مدينة بالآندلس عامرة من اعمال ريه سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمريه ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٣.

(١٤) مسعد، سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الاموية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية، مصر، ٢٠٠٠م، ص١٣٤.

(١٥)غرناطة : هي اقدم مدن كورة البيرة من اعمال الأندلس واعظمها واحسنها وأحصنها ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس . الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٩٥ .

(١٦) الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: احسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠ ، ص٤٥.

(١٧) ابن غالب ، ابو عبد الله محمد بن ايوب (ت٧٦٧هـ/ ١٣٦٣م) ، فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق: لطفي عبد البديع ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦، ص١٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٦.

(١٨) قرطبة : مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها كانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني امية ومعدن الفضلاء بينها وبين البحر خمسة ايام . للمزيد ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٢٤.

(١٩) الرقيق القيرواني، ابراهيم بن القاسم (ت بعد ٤٢٣هـ/ ١٠٢٦م) تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، ط٢، الدار العربية للكتاب- تونس، ٢٠٠٥، ص٩٨.

(٢٠) اشبونه : بالاندلس من كورة باجه وهي مدينة على طريق العساكر وهي قديمة على البحر واسمها قودية وسوراها رائق البنيان بديع الشأن . للمزيد ينظر: الحميري ، الروض المعطار ، ص٦١.

(٢١) الأدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٩هـ .، ج٢، ص٥٤٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١.

(٢٢)لاردة : مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل اعمالها باعمال طركونة منحرفة عن قرطبة الى ناحية الجوف . للمزيد ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧.

(٢٣) الزهري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، الجغرافية ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص٨٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

(٢٤) الزهري ، الجغرافية ، ص٩٥ ؛ ، الزغول، جهاد غالب، الحرف والصناعات في الاندلس من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، مركز الافق، الاردن، ط١، ٢٠٠١،ص٧٥ .

(٢٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، مج٢ ، ص٧٢٨.

(٢٦) عقيل، موسوعة الاحجار، ص٣٨٨.

(٢٧) قسطنطين : يلقب بالارجواني وذلك لأنه ولد في الغرفة الارجوانية عام (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، وهي الغرفة المخصصة للأمبراطور في القصر الأمبراطوري ، تولى الحكم عام (٣٣١هـ/٩٤٤م) ، وهو في الثلاثين من عمره وقد ظل قسطنطين في الحكم حتى توفي في نوفمبر سنة (٣٤٦هـ/٩٥٩م) . للمزيد يراجع عنه : الخلف ، سالم بن عبد الله ، نظم حكم الامويين ورسومهم في الأندلس ، نشر عمادة البحث العلمي في الجامعة الأسلامية ، المدينة المنورة ، ط١ ، (د.ت) ، ج١ ، ص١٨١ ، هامش ٣ .

(٢٨) حمود، سوزي، الاندلس في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٩٠.

(٢٩) جعفر المصحفي : ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر وزير أديب اندلسي من كبار الكتاب وله شعر كثير ، أصله من بلنسيه استوزره المستنصر الاموي الى أن توفي ، وولي جزيرة ميورقة في ايام الناصر ، قتله المنصور بن ابي عامر سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م ، الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ ،ج٢ ، ص١٢٥.

(٣٠) الجوشن : الدرع . الجوهري ، الصحاح ، ج٥ ، ص٢٠٩٢.

(٣١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ج٤، ص١٨٥؛ المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٥م) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ج١، ص٣٨٢.

(٣٢) ابن خلدون ، العبر ، مج ٤ ، ص١٧٧.

(٣٣) ابن شهيد : ابو عامر احمد بن ابي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الاشجعي الاندلسي القرطبي ، كانت ولاده سنة (٣٨٢هـ/٩٩٤م) كان من أعلم اهل الاندلس متفنناً بارعاً في فنونه ، له التصانيف الغريبة البديعة منها كتاب " كشف الدك وايضاح الشك " ومنها التوابع والزوابع ، وحانوت عطار ، توفي سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٣م) . ينظر : ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر البرمكي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ج١ ، ص١١٦-١١٨.

(٣٤) وشقة : قطعة من القماش . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٣٤٤.

(٣٥) عيد، يوسف، الفنون الاندلسية واثرها في اوروبا القروسطية، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص١٢٦-١٢٧.

([٣٦]) صقلية : مدينة من جزائر بحر المغرب مقابل افريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية واخرى مسيرة سبعة أيام . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤١٦.

([٣٧]) عيد، الفنون الاندلسية، ص١٢٦.

([٣٨]) نفح الطيب ، ج٤، ص٣٢٦-٣٢٧.

([٣٩]) القنب : نبات يؤخذ لحاءه ثم يفتل حبالاً وله لب يسمى الشهدانج . الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر ، (د.ت) ، ، ج٤ ، ص٨١.

([٤٠]) الشهدانج : هو بذر القنب. الزبيدي ، تاج العروس ، ج٦ ، ص٦٨؛ الزغول، الحرف والصناعات ، ص١٦٢ .

([٤١]) بكر بن ابراهيم : بن المجاهد ابو عمرو اللخمي الاشبيلي ، باحث أندلسي ظاهري المذهب له اشتغال بالأدب والشعر من اهل اشبيلية كان يحترف تسفير الكتب وزار مدينة فاس ، توفي في اشبيلية سنة (٦٢٨هـ/١٢٣١م). الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص٦١ .

([٤٢]) بلنسيه : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب . الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٩٠.

([٤٣]) موسى، عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٢٢٨.

([٤٤]) جودي، محمد حسين، الفن العربي الاسلامي، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٧، ص١٧٢.

([٤٥]) ابن تومرت ، ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري الملقب بالمهدي ، ولد عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ، ويقال له مهدي الموحدين ، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب ، توفي سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) . للمزيد يراجع عنه : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٤٥-٤٧ .

([٤٦]) المراكشي ، محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص١٨٦؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٦١١-٦١٢.

([٤٧]) عبد المؤمن بن علي : ابو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مردان بن نصر بن عامر بن موسى الزناتي ، كان والده فخاراً ، قد طلب العلم في صغره ولزم المساجد لدراسة القرآن تمت بيعته سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) وهي البيعة الخاصة ، وبويع بيعته العامة سنة (٥٢٦هـ/١١٣٢م) بعد وفاة المهدي بسنتين بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة توفي سنة (٨٥٨هـ/١١٦٣م) عن ٦٣ سنة وحمل الى تينمل ودفن بها الى جنب الامام المهدي ، فكانت ايام ملكه ٣٣ سنة وخمسة أشهر و١٣ يوم . ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م، ص١٨٣-١٨٦ ، ٢٠٢.

([٤٨]) ابن صاحب الصلاة، ابو مروان عبد الملك (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) المن بالامامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط٣، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ١٩٨٧، ص ٣٥٠-٣٥١.

([٤٩]) ابو عبد الله احمد بن محمد المراكشي (ت٧١٢هـ/ ١٣٢٠م) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣؛ ج٢، ص٤٥.

([٥٠]) طليطلة : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة في الاندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الاندلس ، وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب اصحاب الكهف. الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٩-٤٠.

([٥١]) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الاندلس للنشر ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص٩٧.

([٥٢]) ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص٢٩.

([٥٣]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، مج٢ ، ص٥٧٧؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥٧.

([٥٤]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، مج٢ ، ص٥٧٧؛ الحميري، الروض المعطار ، ٤٥٧.

([٥٥]) البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، المسالك والممالك، نشر دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢، ج٢، ص٩٠١ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٨.

([٥٦]) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠١.

([٥٧]) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٨.

([٥٨]) البتنوني، محمد لبيب، رحلة الاندلس، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٤٨- ٤٩.

([٥٩]) فرحة الانفس، ص٢٨.

([٦٠]) ابن غالب، فرحة الانفس، ص٢٩.

([٦١]) ابن غالب، فرحة الانفس، ص٢٩.

([٦٢]) أحمد بن عمر بن انس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٩٥، ص١٢٤.

([٦٣]) عويس، عبد الحليم، التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤، ص١٥.

([٦٤]) الفتنة : حدثت بين البربر والاندلسيون وبخاصة أهل قرطبة حول منصب الخلافة فضلاً عن المجازر التي ارتكبها العامة في حقهم من قتل وسبي وهتك للأعراض فقام البربر بهدم الدور والمباني وانتهاك حرمة بيوت الله ولاسيما في مدينة الزاهرة التي ازيلت من الخارطة ، والزهراء التي طمست أغلب معالمها الحضارية .

بوباية ، عبد القادر ، البربر في الاندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١ ، ص٣٠٧ ، ٣٢٣-٣٢٤.

([٦٥]) ابن غالب، فرحة الانفس، ص٣٠.

([٦٦]) الفتنة الثانية : هي الفتنة التي حدثت في قرطبة التي تزعمها القاضي أبو جعفر حمدين بن علي وهو عربي دخل جده الى الاندلس مع بلج بن بشر تمكن من دخول قرطبة مع النصارى في ١٠ ذي الحجة سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، وعاث النصارى في المدينة فساداً واستباحوا المسجد الجامع ومزقوا المصاحف ونزعوا النواقيس التي كانت رؤوساً للثريات . نصر الله ، سعدون ، تاريخ العرب السياسي في الاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٣١٠-٣١١.

([٦٧]) ابن غالب، فرحة الانفس، ص٣٠.

([٦٨]) الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٧.

([٦٩])البيان المغرب ، ج٢، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) تاريخ اسبانيا الاسلامية او كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ، ج٢، ص٣٨.

([٧٠]) مسالك الابصار، مج٣، ج٤، ص١١٩؛ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج٥، ص٢٠٩.

([٧١]) العميد، طاهر مظفر ، آثار المغرب والاندلس ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٩م، ص٢٧٨.

([٧٢]) البتنوني، رحلة الاندلس، ص٩٧.

([٧٣]) يوسف بن عبد المؤمن : أبو يعقوب بن علي القيسي الكومي من ملوك دولة الموحدين بمراكش وهو الثالث فيهم مولده في تينمل وبويع له وهو في اشبيلية بعد وفاة أبيه سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م) ، بويع البيعة العامة في مراكش سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م) وحسنة سيرته ، كان حازماً شجاعاً ، تنسب اليه الدنانير اليوسفية في المغرب ، توفي قرب الجزيرة الخضراء فحمل الى تنميل ودفن بها الى جانب قبر ابيه سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) . للمزيد يراجع عنه : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٧ ، ص١٣٠-١٣٢.

([٧٤]) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٨٧- ٣٨٨.

([٧٥]) المن بالامامة، ص٣٩٢- ٣٩٣.

([٧٦]) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٣٩٤.

([٧٧]) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧.

([٧٨]) عيد، الفنون الاندلسية، ص٤٤.

(٧٩) مدينة الزهراء : مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس ، اختطها عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٥هـ/٩٣٥م) ، وعملها متنزهاً له وانفق في عمارتها من الاموال ما تجاوز فيه حد الاسراف . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٦١.

(٨٠) العميد، آثار المغرب، ص٢٩٤.

(٨١) العميد، آثار المغرب، ص٢٩٤.

(٨٢) البتنوني، رحلة الاندلس، ص١٢٦.

(٨٣) البتنوني، رحلة الاندلس، ص١٢٧.

(٨٤) ابن بسام، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٩، مج٧، ص١٣٠- ١٣١.

(٨٥) ابن بسام، الذخيرة، مج٧، ص١٣٣.

(٨٦) ابن بسام، الذخيرة، مج٧، ص١٣٣- ١٣٤.

(٨٧) عبد الله بن بلقين : بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ، امير غرناطة لقبه المظفر بالله ولي بعد جده باديس سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) كان ذا حظ وافراً من البلاغة والمعرفة شاعراً جيد الشعر حسن الخلق توفي سنة (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) . ابن الخطيب ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الآصل الغرناطي الاندلسي (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ج٣ ، ص٢٨٩-٢٩١.

(٨٨) عباس، احسان، تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط٥، ١٩٧٨، ص٤١.

(٨٩) عباس، تاريخ الادب، ص٤١- ٤٢.

(٩٠) الزغول، الحرف والصناعات، ص١٤٦.

(٩١) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٤١-٤٤٢.

(٩٢) عيد، الفنون الاندلسية، ص٤٠.

(٩٣) العميد، آثار المغرب، ص٣٠٨.

(٩٤) البتنوني، رحلة الاندلس، ص٧٨.

(٩٥) البتنوني، رحلة الاندلس، ص١٢٤.

(٩٦) عويس، التكاثر المادي، ص٢٧- ٢٨.

(٩٧) مجهول، (القرن ٨هـ/١٢م) ، تاريخ الاندلس، دراسة وتحقيق : عبد القادر بوباية ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩، القسم التاريخي ، ص٢٠٥.

(٩٨) رمضان، عاطف منصور، النقود الاسلامية واهميتها في دراسات التاريخ والاثار والحضارة الاسلامية، نشر مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٢٩.

([٩٩]) مسعد، العلاقات، ص١٦٢.

([١٠٠]) ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٩٦-١٩٨.

([١٠١]) حمود، الاندلس في العصر الذهبي، ص٤٨.

([١٠٢]) مسعد، العلاقات، ص١٦٤.

([١٠٣]) ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٩٦-١٩٨.

([١٠٤]) سورة التوبة ، آية ٣٣ .

([١٠٥]) مسعد،العلاقات، ص١٦٥.

([١٠٦]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص٢٢٦.

([١٠٧]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص٢٢٨.

([١٠٨]) ابو عبد الله بن الأحمر الارجوني ، بويع سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) بأرجونة وهي بليدة بالقرب من قرطبة وكان سعيداً مؤيداً حازماً بطلاً ذا دين وعفاف هزم ابن هود ثلاث مرات ولم تكسر له راية قط وجاء اذفونش فحاصر جيان واخذها بالصلح وعقدت بينهما الهدنة عام (٦٤٢هـ /١٢٤٤م) ، توفي سنة (٦٧٢ هـ /١٢٧٤م) ، وتملك بعده أبنه محمد . الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، تاريخ الآسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح : بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ج١٥ ، ص٢٥٣؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٠م) الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج٥ ، ص١٦٦-١٦٧ .

([١٠٩]) سورة آل عمران ، آية ٢٠٠.

([١١٠]) ابن الخطيب، الاحاطة ، ج١ ، ص٣٩.

([١١١]) ابو مصطفى، السيد كمال، دراسات اندلسية في التاريخ والحضارة ، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٧، ص٣١.

([١١٢]) الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالاندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبته واعمالها متصلة باعمال شذونه ومدينتها من اشرف المدن واطيبها ارضاً . الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٣٦.

([١١٣]) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً مرساها عجيب يسمى السمان ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب واللوز. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٣٤.

([١١٤]) اغمات : ناحية من بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير . الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٥.

([١١٥]) تلمسان : مدينة بالمغرب وهي مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر احدهما قديمة والاخرى حديثة ، الحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب وأسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأسم القديمة اقادير يسكنها الرعية . الحموي، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٤.

([١١٦]) سجلماسة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشر ايام ، اكثر اقوات سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة .الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٩٢.

(١١٧) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنهم قبل ان تختط مراكش ، وبفاس يصبغ الأرجوان والأكسية القرمزية . الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٣٠.

([١١٨]) مراكش : أعظم مدينة بالمغرب واجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن وكان اول من اختطها يوسف بن تاشفين ، ومراكش معناه بالبربرية أسرع المشي ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٩٤.

([١١٩]) سبته : هي بلدة مشهورة من قواعد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الاندلس . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨٢.

([١٢٠]) سلا : مدينة باقصى المغرب وهي مدينة متوسطة الصغر فيها نهر كبير تجري فيه السفن منها الى مراكش عشرة مراحل . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٣١.

([١٢١]) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣.

([١٢٢]) ابو مصطفى، دراسات اندلسية، ص٣٣.

([١٢٣]) ابو مصطفى ، دراسات اندلسية ، ص٣٢.

([١٢٤]) الخزاعي ، كريم عاتي، اسواق بلاد المغرب من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٥٥.

([١٢٥]) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة ، ص٥٤.

([١٢٦]) العبر ، مج١ ، ص٥٥١.

([١٢٧]) الهاشمي، مزاحم علاوي، الاوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ص٩٥.

([١٢٨]) نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٠١.

([١٢٩]) عباس، محاضرات في تاريخ المغرب، ص١٧٤.

([١٣٠]) عيد، الفنون الاندلسية، ص١٢١.

([١٣١]) تاريخ افريقية، ص١٠١؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٨ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣- ٣٩٤.

([١٣٢]) القيرواني، تاريخ افريقية، ص١١١.

([١٣٣]) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢؛ ابن الوردي، خريدة العجائب ، ص٧٤- ٧٥.الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣.

([١٣٤]) مرسيه : مدينة بالاندلس من اعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وهي ذات اشجار وحدائق محدقة بها . الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٠٧.

([١٣٥]) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١.

([١٣٦]) بول، قصة العرب، ص١٠٠.

([١٣٧]) ابن خلدون ، العبر ، مج٤ ، ص١٨٥ .

([١٣٨])ابن بسام ، الذخيرة ، ج٧ ، ص٨٥.

([١٣٩]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص٢١٠.

([١٤٠]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص٢١٧.

([١٤١]) عباس ، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس، ص١٧٤.

([١٤٢]) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣.

([١٤٣]) بول، قصة العرب، ص١٠٠.

([١٤٤]) عباس ، رضا هادي ، الخزاعي ، كريم عاتي ، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ، بغداد ، ٢٠١٠م ، ص٢٠٨.

([١٤٥]) كولان، س ج، الاندلس، ترجمة: ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص١٨٣.

([١٤٦])المنصور بن ابي عامر : محمد بن عبد الله بن ابي عامر بن عبد الملك المعافري ، صحب الخليفة الحكم وولي له الأعمال من القضاء والامامة ثم اختصه بخدمة أم والده هشام فزاد بخاصته لولي العهد عزة ومكانة في الدولة ، توفي ليلة الاثنين ٢٧ رمضان سنة(٣٩٢هـ/٩٩٤م) فدفن في مدينة سالم التي بناها . ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج٢ ، ص٥٧-٦١.

([١٤٧]) المناطق : وهي النطاق كما يقال مئزر وازار وملحف ولحاف . ينظر ابن منظور ، لسان العرب ج١ ص ٣٥٥

([١٤٨]) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٧٠.

([١٤٩]) الزغول، الحرف والصناعات، ص١١٢.

([١٥٠]) لذريق : ملك الفرنج صاحب الاندلس يسمى عند العرب ردريك أو رذريق كان ملكاً شجاعاً وافر المقدرة والعزم ولكنه كان طاغية يثير بقسوته وصرامته حوله كثيراً من البغض والسخط وكانت اسبانيا قد مزقت احزاباً يتطلع كل منها الى انتزاع السلطان والملك ، قتل لذريق وادي لكه سنة (٩٢هـ/٧١١م) وقيل مات غريقاً . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢٤ ، ص٣٠٢؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧م ، ج١ ، ص٤١-٤٢ ، ٤٥.

([١٥١]) مجهول ، من القرن (٦هـ/ ١٠م)، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، طبع مدينة مجريط، ١٨٦٧م، ص٩.

([١٥٢]) الهاشمي، الاوضاع الاقتصادية، ص١٠٨.

([١٥٣]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص٢٣٦.

([١٥٤]) عبد الرحمن الاوسط : هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموي ابو المطرف صاحب الاندلس ، كان عادلاً في الرعية بخلاف ابيه جواداً فاضلاً له نظر في العلوم العقلية وهو اول من ضرب الدراهم في الاندلس وامر بالزيادة في جامع قرطبة ، توفي سنة (٢٣٧هـ/٨٥٠م) وهو ابن ٦٢ سنة ومدة حكمه ٣١ سنة وخمسة اشهر . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٨ ، ص٨٤.

([١٥٥]) ابن الخطيب، اعمال الاعلام ، ج٢، ص٢١.

([١٥٦]) ابن خلدون ، العبر مج٤ ، ص١٧٧.

([١٥٧]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص ٢٣٩-٢٤٠

([١٥٨]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص٢٤٠.

([١٥٩]) الهاشمي، الاوضاع الاقتصادية، ص١٧٦.

([١٦٠]) بول، ستانلي لين، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٠٦.

([١٦١]) قصة العرب، ص٧٤.

([١٦٢]) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٦٩- ٧٠.

([١٦٣]) الزغول، الحرف والصناعات، ص١٠٤.

([١٦٤]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ، ص٥٦٢.

([١٦٥]) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص١٤-١٥.

([١٦٦]) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٣٢٦.

([١٦٧]) نفح الطيب، ج٤، ص٢٠٥؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، نزهة الجلساء في اشعار النساء ، اعتناء به عبد اللطيف عاشور ، نشر مكتبة القرآن ، د.ت ، ص٨٧.

([١٦٨]) ولادة بنت المستكفي بالله : بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله ، اديبة شاعرة جزلة القول مطبوعة الشعر كانت تخالط الشعراء وتساجل الآدباء وتفوق البراء عمرت طويلاً ولم تتزوج قط كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، توفيت بعد الخمسمائة . الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ج١ ، ص٥٤٧.؛ العاملي ، زينب بنت علي بن عبيد الله بن حسن ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، نشر المطبعة الأميرية ، مصر ، ط١ ، ١٣١٢هـ، ص٥٤٧.

([١٦٩]) ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى الغرناطي الاندلسي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: اسماعيل العربي، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص١٤٠.

([١٧٠])المقري، نفح الطيب، ج١- ج٤، ١٧٨- ٢٠٦؛مسعد، العلاقات بين المغرب ، ص٢٠٦.

(١٧١) وادي أش : مدينة الاشات بالاندلس من كورة البيرة وتعرف بوادي أش والغالب على شجرها الشاهبلوط . الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٨.

(١٧٢) دلاية : بلد قريب من المرية من سواحل بحر الاندلس . الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٦٠.

(١٧٣) الذخيرة ، ج٥ ، ص٤٣٤.

(١٧٤) المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص١٠٩.

(١٧٥) حميدي ، مليكة ، الاسهامات الحضارية للمرأة الاندلسية من الفتح الاسلامي الى سقوط غرناطة ، (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، الجزائر ، ٢٠١٤ ،ص٢٦٣.

(١٧٦) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٦.

(١٧٧) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٦- ٢٣٧.

(١٧٨) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥١.

(١٧٩) الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ/ ٩٢٣م) جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ج١، ص٥٩٥.

(١٨٠) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣.

(١٨١) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٣٢٣.

(١٨٢) العمري، مسالك الابصار، مج٣، ج٤، ص١٢٤ (هامش٢)؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢١٢؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٩م) تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ٢٠١١م، ص٦٧٩.

(١٨٣) قلعة ايوب : مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس بالثغر من أعمال سرقسطة بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع ولها عدة حصون . الحموي ، معجم البلدان ،ج٤ ، ص٣٩٠.

(١٨٤) الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٩.

(١٨٥) الزغول، الحرف والصناعات، ص٩٥ .

(١٨٦) مورنيو، مانويل جوميت ،الفن الاسلامي في اسبانيا ، مراجعة جمال محمد محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م، ص٣٨٢-٣٨٣.

(١٨٧) الزغول، الحرف والصناعات ، ص١٦٩.

(١٨٨) مورنيو ، الفن الإسلامي ص،٣٨٥.

(١٨٩) البتنوني، رحلة الاندلس، ص١٢٥.

(١٩٠) موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥١.

(١٩١) بروفنسال، أ. ليفي، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٩٨.

([١٩٢]) مجهول، تاريخ الاندلس، القسم التاريخي ، ص٢٠٥؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص٣٢؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج٢ ، ص٣٨.

([١٩٣]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص١١٥.

([١٩٤]) الزغول ، الحرف والصناعات ، ص١١٨.

([١٩٥]) الطنفسة : بساط صغير يجعله الراكب تحته . الفيروز ابادي ، ابو طاهر مجدي الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٧م) ، القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨ ، ٢٠٠٥ ، ص٧٥٣.

([١٩٦]) ابن عبد الحكم وعبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤، ص٧٧- ٧٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٨.

([١٩٧]) الادريسي ، نزهة المشتاق ، مج٢ ، ص٢٥١-٥٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨٩.

([١٩٨]) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٤٧.

([١٩٩]) العميد، آثار المغرب، ص٢٩٥.

([٢٠٠]) الحميري، الروض المعطار ،ص ٥١١.

([٢٠١]) موسى بن ابي العافية : بن ابي باسل بن ابي الضحاك بن مجدول المكناسي ، مؤسس الامارة المكناسية بمراكش وتسمى امارة آل ابي العافية كانت له بلدة مكناسة قتل ببعض صحاري بلاد ملوية سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م) . ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٨٣-٨٦.

([٢٠٢]) الزغول، الحرف والصناعات ، ص١٤١- ١٤٢؛ سالم ، عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٧م ، ج٢، ص١٣٨.

([٢٠٣]) نفح الطيب، ج٣، ص٨٥.

([٢٠٤]) نيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ، الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٤٨٦..

([٢٠٥]) المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص٨٥.

([٢٠٦]) عباس، تاريخ الادب الاندلسي ، ص٤٢- ٤٣.

([٢٠٧]) الزغول، الحرف والصناعات، ص١٤٧.

([٢٠٨]) بول، قصة العرب، ص١١٩.

([٢٠٩]) الدمالج : هي المعاضد (سوار يحيط بالعضد) ينظر : الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، أساس البلاغة ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٤٢٤.

([٢١٠]) الشنوف : هي القرط وقد يخصص بما يعلق في اعلى الآذن والقرط في اسفلها . ينظر : الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، (ت١٧٠هـ/٧٨٣م) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي ، نشر دار مكتبة الهلال ، القاهرة ، (د.ت) ،ج٦ ، ص٢٦٧.

([٢١١]) الزغول، الحرف والصناعات، ص١٤٨.

([٢١٢]) حميدي ، الاسهامات الحضارية ، ص٢٦٨.

([٢١٣])حميدي ، الاسهامات الحضارية ، ص٢٦٩.

([٢١٤])حميدي ، الاسهامات الحضارية ، ص٢٦٩.

([٢١٥]) الزغول ، الحرف والصناعات ، ص١٢٧.

([٢١٦])ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص٢٩.

([٢١٧]) المقري ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٥٥٢.

([٢١٨]) ابن السماك، ابو القاسم محمد بن ابي العلاء المالقي الغرناطي (القرن ٨ هـ/ ١٢م) الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ٢٠١٠، ص٢١٩.

([٢١٩]) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة ، ص٣٨٧- ٣٨٨.

([٢٢٠]) زرياب : ابو الحسن علي بن نافع مولى المهدي العباسي ، ولد في الجزيرة سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، ودخل الاندلس سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م ، كان شاعراً عالماً ببعض الفنون عارفاً بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء ، وهو الذي جعل العود في خمسة اوتار وكانت اربعة ، أخذ الغناء ببغداد عن اسحاق الموصلي وغيرهم وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد سافر الى الاندلس وجعل عبد الرحمن بن الحكم له كل شهر ٢٠٠ دينار . توفي سنة (٢٤٣هـ/٨٥٧م) . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ، ص٢٨.

([٢٢١]) المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٢٨.

([٢٢٢]) عباس، محاضرات، ص١٩٨.

([٢٢٣]) جودي ، الفن العربي الاسلامي ، ص١٥١.

([٢٢٤]) ترصيع الاخبار، ص٢؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م) آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٥٤٧.

([٢٢٥]) لورقه : هي مدينة بالاندلس من اعمال تدمير وبها حصن محكم وارضها لا يرويها الا ما ركد عليها من الماء . الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٥.

([٢٢٦]) المقري، نفح الطيب ، مج١، ص٥٦٤- ٥٦٥؛ ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، تحقيق : مصطفى السقا وأخرون ، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ج٢ ، ص٢٦٦.

([٢٢٧]) حمود، الاندلس، ص٨٤.

([٢٢٨]) بول، قصة العرب، ص٩٣.

([٢٢٩]) حمود، الاندلس، ص٨٤.

(٢٣٠) قادس : جزيرة في غربي الاندلس تقارب أعمال شذونة طولها ١٢ ميلاً . الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٩٠.

(٢٣١) الحميري، الروض المعطار ، ص٤٤٨.

(٢٣٢) ابن بسام، الذخيرة، مج٧، ص٣٠١؛ الازدي، ابو الحسن جمال الدين علي بن ظافر بن حسين الخزرجي، (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٥م) بدائع البدائة، طبع مصر، ١٨٦١م، ص٢١٢.

(٢٣٣) اعمال الاعمال، ج٢، ص٢٤.

(٢٣٤) بول ، قصة العرب، ص١٣٦.

المصادر والمراجع

١- ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م.

٢- ابن الخطيب ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الآصل الغرناطي الاندلسي (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ.

٣- ـــــ ، تاريخ اسبانيا الاسلامية او كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٤- ابن الدلائي ، أحمد بن عمر بن انس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٩٥.

٥- ابن السماك، ابو القاسم محمد بن ابي العلاء المالقي الغرناطي (القرن ٨ هـ/ ١٢م) الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ٢٠١٠.

٦- ابن الوردي، سراج الدين ابو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: انور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨.

٧- ابن بسام، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٩.

٨- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٩م) تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ٢٠١١م .

٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

١٠- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر البرمكي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤م.

١١- ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى الغرناطي الاندلسي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: اسماعيل العربي، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.

١٢- ابن صاحب الصلاة، ابو مروان عبد الملك (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) المن بالامامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط٣، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ١٩٨٧.

١٣- ابن عبد الحكم وعبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) فتوح افريقيا والاندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤.

١٤- ابن عذارى ، ابو عبد الله احمد بن محمد المراكشي (ت٧١٢هـ/ ١٣٢٠م) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

١٥- ابن غالب ، ابو عبد الله محمد بن ايوب (ت٧٦٧هـ/ ١٣٦٣م) ، فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق: لطفي عبد البديع ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦.

١٦- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الانصاري الافريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

١٧- الأدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٩هـ .

١٨- الازدي، ابو الحسن جمال الدين علي بن ظافر بن حسين الخزرجي، (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٥م) بدائع البدائة، طبع مصر، ١٨٦١م .

١٩- الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ/ ٩٢٣م) جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٢٠- الانطاكي ، داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م) تذكرة اولي الالباب الجامع للعجب العجاب، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت د.ت .

٢١- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، المسالك والممالك، نشر دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢.

٢٢- الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٥م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٢٣- الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط٢، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٥م .

٢٤- الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: احسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠ .
٢٥- الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، تاريخ الآسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح : بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ٢٠٠٣ .
٢٦- الرقيق القيرواني، ابراهيم بن القاسم (ت بعد ٤٢٣هـ/ ١٠٢٦م) تاريخ افريقيا والمغرب، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، ط٢، الدار العربية للكتاب- تونس، ٢٠٠٥.
٢٧- الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر ، (د.ت) .
٢٨- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢.
٢٩- الزهري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، الجغرافية ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د.ت) .
٣٠- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، نزهة الجلساء في اشعار النساء ، اعتناء به عبد اللطيف عاشور ، نشر مكتبة القرآن ، د.ت .
٣١- شيخ الربوة، شمس الدين، ابو عبد الله محمد أبي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في بطرسبورغ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، ١٨٦٥م.
٣٢- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٠م) الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
٣٣- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
٣٤- العاملي ، زينب بنت علي بن عبيد الله بن حسن ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، نشر المطبعة الأميرية ، مصر ، ط١ ، ١٣١٢هـ .
٣٥- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠١٠ .
٣٦- الفيروز ابادي ، ابو طاهر مجدي الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٧م) ، القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨ ، ٢٠٠٥ .
٣٧- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م) آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٣٨- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م) عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٣٩- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

٤٠- مجهول ، من القرن (٦هـ/ ١٠م)، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، طبع مدينة مجريط، ١٨٦٧م.

٤١- مجهول، (القرن ٨هـ/١٢م) ، تاريخ الاندلس، دراسة وتحقيق : عبد القادر بوباية ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩.

٤٢- المراكشي ، محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، ط١ ، المكتبة العصرية ،بيروت ، ٢٠٠٦ .

٤٣- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الاندلس للنشر ، بيروت ، ١٩٩٦م .

٤٤- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٥م) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٤٥- ـــــ ، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، تحقيق : مصطفى السقا وأخرون ، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

المراجع العربية :

٤٦- ابو مصطفى، السيد كمال، دراسات اندلسية في التاريخ والحضارة ، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٧.

٤٧- البتنوني، محمد لبيب، رحلة الاندلس، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.

٤٨- جودي، محمد حسين، الفن العربي الاسلامي، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٧.

٤٩- حمود، سوزي، الاندلس في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.

٥٠- الخزاعي ، كريم عاتي، اسواق بلاد المغرب من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، بغداد، ٢٠٠٩.

٥١- رمضان، عاطف منصور، النقود الاسلامية واهميتها في دراسات التاريخ والاثار والحضارة الاسلامية، نشر مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

٥٢- الزغول، جهاد غالب، الحرف والصناعات في الاندلس من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، مركز الافق، الاردن، ط١، ٢٠٠١.

٥٣- سالم ، عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٧م .
٥٤- عباس، احسان، تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط٥، ١٩٧٨.
٥٥- عباس، رضا هادي، الخزاعي، كريم عاتي، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس، الجامعة المستنصرية، بغداد، ط٢، ٢٠١٠.
٥٦- عقيل محسن، موسوعة الاحجار الكريمة المصورة، دار المحجة البيضاء، ط١، بيروت، ٢٠٠٧.
٥٧- عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧م .
٥٨- عويس، عبد الحليم، التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤.
٥٩- عيد، يوسف، الفنون الاندلسية واثرها في اوروبا القروسطية، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٦٠- العميد ، طاهر مظفر ، أثار المغرب والاندلس ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٩م .
٦١- مسعد، سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الاموية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية، مصر، ٢٠٠٠م.
٦٢- موسى، عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
٦٣- الهاشمي، مزاحم علاوي، الاوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.

المراجع المعربة :

٦٤- بروفنسال، أ. ليفي، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٦٥- بول، ستانلي لين، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢.
٦٦- كولان، س ج، الاندلس، ترجمة: ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
٦٧- مورنيو، مانويل جوميت ،الفن الاسلامي في اسبانيا ، مراجعة جمال محمد محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م.

الرسائل والاطاريح :

٦٨- حميدي ، مليكة ، الاسهامات الحضارية للمرأة الاندلسية من الفتح الاسلامي الى سقوط غرناطة ، (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، الجزائر ، ٢٠١٤ .

زهرة البابونج

في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية

أ.م. عباس ابراهيم صابر

م. رشا عبد الوهاب محمود

جامعة سامراء/ كلية الآثار

زهرة البابونج في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية

أ.م. عباس ابراهيم صابر

م. رشا عبد الوهاب محمود

الخلاصة

تعد حضارة بلاد الرافدين من الحضارات المميزة في العالم القديم، فقد خلفت لنا ارثاً ثرياً من العلوم والمعارف عكست من خلاله اسهامات ذلك الانسان من حيث تطور الحياة بمختلف جوانبها، والذي كان سبباً في ارتقائها بين الشعوب والحضارات القديمة، وهذه الحضارة ماهي الا ثمرة جهود متواصلة وتراكم معرفي وتجارب عاشها سكان بلاد الرافدين خلال عصورهم الحضارية المختلفة، فمنذ بداية الحياة جذبت عناية الانسان أمور عديدة ملأت عليه كل حياته وحاول من خلالها تحقيق ذاته في هذه البلاد، ليجني من خلالها حصيلة تلك المدارك المعرفية، ومن هذه المعارف استخدام النباتات والاعشاب كعلاج للأمراض، ومن هذه النباتات زهرة البابونج موضوع بحثنا الذي يعد من المواضيع المهمة، والتي شغلت فكر الانسان قديماً وساعدته على البقاء والتعلم منها اموراً كثيرة يجهلها، فأحياناً اتخذها دواءً للوقاية او مضاداً للأمراض التي كانت تصيبه بين الحين والآخر أو كمادة تجميلية، ومما لاشك فيه ان بداية استخدام هذا النبات اعتمد على مبدأ التجربة الذي لا يخلو من الخطأ، وبتكرار التجارب وصل الى نتائج جيدة تمكن من خلالها معرفة مزايا عديدة لها، وتأثيرها في شفاء الأمراض، وتلك كانت حصيلة المدارك المعرفية لهذا النبات، اذ تؤكد النصوص المسمارية ذات العلاقة بالنباتات والاعشاب الطبية ان سكان بلاد الرافدين كانوا على علم ودراية بها ومدى تأثيرها في الشفاء من المرض سواء استخدم ذلك النبات او العشب منفرداً او مركباً، وبكميات قليلة او كثيرة فضلاً عن طرق التعامل معها، واحياناً اخرى استخدم صورتها في الفخاريات والمنحوتات الجدارية والمسلات الملكية، ونقشها على أدوات الزينة ومنها الحلي، وحاولنا باختصار ان نورد بعض الصور لزهرة البابونج التي استعملت في الفنون القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر الاشوري والبابلي الحديث، وركزنا على العصر الاشوري الحديث لأنها سميت بالوردة الاشورية لكثرة استعمالها في فنون هذا العصر.

المقدمة

تعد حضارة بلاد الرافدين من الحضارات المميزة في العالم القديم، فقد خلفت لنا ارثاً ثرياً من العلوم والمعارف عكست من خلاله اسهامات ذلك الانسان من حيث تطور الحياة بمختلف جوانبها، والذي كان سبباً في ارتقائها بين الشعوب والحضارات القديمة، وهذه الحضارة ماهي الا ثمرة جهود متواصلة وتراكم معرفي وتجارب عاشها سكان بلاد الرافدين خلال عصورهم الحضارية المختلفة، فمنذ بداية الحياة جذبت عناية الانسان أمور عديدة ملأت عليه كل حياته وحاول من خلالها تحقيق ذاته في هذه البلاد، ليجني من خلالها حصيلة تلك المدارك المعرفية، ومن هذه المعارف استخدام النباتات والاعشاب كعلاج للأمراض، ومن هذه النباتات زهرة البابونج موضوع بحثنا الذي يعد من المواضيع المهمة، والتي شغلت فكر الانسان قديماً وساعدته على البقاء والتعلم منها اموراً كثيرة يجهلها، فأحياناً اتخذها دواءً للوقاية او مضاداً للأمراض التي كانت تصيبه بين الحين والآخر أو كمادة تجميلية، ومما لاشك فيه ان بداية استخدام هذا النبات اعتمد على مبدأ التجربة الذي لا يخلو من الخطأ، وبتكرار التجارب وصل الى نتائج جيدة تمكن من خلالها معرفة مزايا عديدة لها، وتأثيرها في شفاء الأمراض، وتلك كانت حصيلة المدارك المعرفية لهذا النبات، اذ تؤكد النصوص المسمارية ذات العلاقة بالنباتات والاعشاب الطبية ان سكان بلاد الرافدين كانوا على علم ودراية بها ومدى تأثيرها في الشفاء من المرض سواء استخدم ذلك النبات او العشب منفرداً او مركباً، وبكميات قليلة او كثيرة فضلاً عن طرق التعامل معها، واحياناً اخرى استخدم صورتها في الفخاريات والمنحوتات الجدارية والمسلات الملكية، ونقشها على أدوات الزينة ومنها الحلي، وصار البحث على هيئة مبحثين فضلاً عن المقدمة والاستنتاجات، اذ تناولنا في المبحث الأول التسمية في اللغة، والبابونج في اللغتين السومرية والأكدية والاستعمالات الطبية للبابونج الخارجية منها والداخلية، في حين تطرقنا في المبحث الثاني للجوانب الفنية لزهرة البابونج وحاولنا باختصار ان نورد بعض الصور لزهرة البابونج التي استعملت في الفنون القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر الاشوري والبابلي الحديث، وركزنا على العصر الاشوري الحديث لأنها سميت بالوردة الاشورية لكثرة استعمالها في فنون هذا العصر، فلطلاب العلم نضع هذا البحث بين أيديهم راجين ان يساعدهم في البحث عن استعمالات البابونج في المجالات الطبية والفنية.

مبحث الأول

زهرة البابونج في ضوء النصوص المسمارية

البابونج في اللغة:

الأُقْحُوانُ: البابونج[١] أو القرّاص[٢]، على وزن أُفْعُلانٍ[٣]، وهو من نبات الرّبيع، مُفَرَّض الورق، صغيرٌ، دَقيقُ العِيدان، طيِّب الرّيحِ والنّسيمِ، له نَوْرٌ أبيضُ منظومٌ حول بُرْعومتِه، كأنّه ثغر جارية، الواحدة:

أقْحُوانة[٤]. وللنبات عدة اسماء في اللغة العربية منها: (بيبون، والشيح بابونج، وعين القط، وعين الثور، والبهار النبيل)[٥].

البابونج في اللغتين السومرية والأكدية:

ورد اسم البابونج في اللغة السومرية[٦] بصيغة {(ú/giš)LAG-GÁN/A-ŠÀ(-GA)}[٧] تقابلها المفردة (kirban/ kurban[٨] eqli)[٩] في اللغة الاكدية، التي تعنى: (هبة الحقل أو قربان الحقل)، وجاء اسم زهرة البابونج في النصوص المسمارية على عدة أشكال، حيث وجد ريجنالد ثومبسون في مكتبة اشور بانيبال على (٢٥٠) دواءً نباتياً ما زال بعضها معروفاً حتى الوقت الحاضر ومنها موضوع البحث[١٠]، ولبيان أهم الأسماء التي جاءت عليها نورد نصاً معجمياً خاصاً بالنبات على شكل جدول يوضح الأسماء في اللغتين السومرية والأكدية وترجمتهما للغة العربية[١١]:

نبات الحقل	نبات [هبة الحقل]	ú[LAG A.ŠÀ]	ú sa-mi A.ŠÀ
نبات نيبيم الحقل	نبات هبة الحقل	úLAG A.ŠÀ	úni-bi-im A.ŠÀ
نبات زهرة الحقل	نبات هبة الحقل	úkir-ba-an A.ŠÀ	úGURUN A.ŠÀ[12]
نبات العقرب	نبات هبة الحقل	úkir-ba-an A.ŠÀ	úzu-qi-qi-pa-a-nu[١٣]

نبات وزهرة البابونج:

زهرة معروفة كثير النفع[١٤]، ويعد من اشهر النباتات البطنية[١٥]، نبات رقيق جميل الشكل ينمو في الحقول والبراري[١٦]، ويكون على ثلاثة أنواع، الفرق بين كل نوع في لون الازهار التي يحملها، فمنه الأصفر والأبيض والأحمر[١٧]، وأجود أنواعه الأبيض ذو الأزهار الصفراء، ذات الرائحة المميزة الزكية، ويعد من النباتات التي يستعمل قديماً ولا زال في معالجة الكثير من الامراض[١٨]، ويصنف من ضمن النباتات الحولية ذو سيقان كثيرة ورفيعة، أوراقه بيضاء اللون مجزأة الى أجزاء كثيرة، أما الزهريات فهي قرصية الشكل صفراء اللون، ويصل ارتفاع النبات ما بين (١٥–٥٠ سم)، وينتمي الى فصيلة العائلة المركبة (Compositae) ويسمى علمياً بـ (chamomilla matricaria)[١٩]، ويجعله البعض ضمن مجموعة النباتات الملونة بسبب الصبغة الصفراء التي تنتج من النبات[٢٠].

لقد عرف سكان بلاد الرافدين منافع زهرة البابونج منذ القدم، وصنفوها ضمن النباتات الطبية في الرقم الطينية، وكان هذا التصنيف مرتب حسب مفعول النبتة لجسم الانسان، مع ان هذا التصنيف لا يجمع

النباتات الفصلية الواحدة معاً، الا أنه يحقق وصف الخاصية العلاجية للعديد من تلك النباتات، اذ لم يعتمد طبيب تلك العهود الأسلوب المتبع حالياً في تصنيف النباتات الطبية؛ لان اهتمامه الرئيس كان في الدواء وليس في النبتة ذاتها، لذلك صنفها في مجاميع ليس فيها من خصائص مشتركة الا المفعول الطبي لكل منها[٢١]، اذ أُستُعمل هذا النبات لعلاج العديد من الأمراض، وفيما يأتي ذكر هذه الأمراض وطريقة تحضيرها للعلاج:

الاستعمالات الطبية لزهرة البابونج:

أولاً: الاستعمال الخارجي:

١- **لألم الرأس:** استعمل النبات لعلاج ألم الرأس، اذ وصف النبات مع الوصفة العلاجية وكانت طريقة الاستعمال اكثر من مرحلة للعلاج، منها ان يسحق النبات مع طحين الحمص والعدس ويخلط بماء الخردل ويوضع على الرأس، ويضمد به، وبعدها يغسل الرأس بنبات الخروع ونبات القلى ذي القرون، ولبيان طريقة العمل قديماً في بلاد الرافدين، نذكر ترجمة النص اللاتيني[٢٢]:

((XXX تسحق (و) يدهن (بها) رأسه (ويأخذ) طحين الحمص (و) طحين العدس (و) نبات البابونج (هذه المواد) تسحق (و) تعجن في ماء الخردل (ثم توضع على الرأس و) يضمد (بها) (وبعدها) يغسل رأسه بالماء الحار (و) نبات الخروع (ونبات) القلى ذي القرون))[٢٣].

وهناك طريقة اخرى للتداوي بهذا النبات، اذ يسحن مع الجلبان والحلبة ويعصب بماء الورد، وهي كالآتي:

((يسحن النبات مع الجلبان والحلبة ويعصب بماء الورد))[٢٤].

٢- **لصبغ الشعر:** استعمل النبات لصبغ الشعر الذي اكتسحه الشيب وهو في عمر الشباب، إذ يخلط النبات مع حجر الشب وزيت شجر الارز، ومن المرجح ان الشب استعمل لتثبيت اللون على الشعر، وهذا النوع من الوصفات قليل الورود ضمن النصوص الطبية، ومثال ذلك ما جاء في أحد النصوص المسمارية[٢٥]، اذ نقرأ:

((وكذلك (يستعمل) حجر الشب (و) نبات البابونج يسحق ويخلط في زيت شجر الارز اذا رجل في صغره رأسه مملوء شيب))[٢٦].

وهناك ذكر آخر لهذه الوصفة لاستعمالها لصبغ الشعر، كما جاء في النص الآتي:

((يسحن البابونج مع الشب ويدهن بهما في زيت الآرز))[٢٧].

٣-**لحكة القدم:** واستعمل النبات لعلاج بعض الآلام التي تصيب الاطراف (القدم)، بعد أن يسحق مع عدد من النباتات ثم توضع على مكان الألم[٢٨]، كما جاء ذلك في أحد النصوص اذ نقرأ:

((البابونج (و) ورق شجر GE_6.PAR (و) ورق (نبات) الشمرة (هذه النباتات) تسحق (سوياً) وتوضع على مكان (الألم)))[٢٩].

يوجد طريقة اخرى لاستعمالها لنفس العلاج وهي كالآتي:

((يسحن البابونج مع براعم MI.TAK وبراعم الأنسون وينشر (على مكان الألم)))[٣٠].

٤-**لآلام الكتف:** ذكر البابونج في وصفة أخرى تستعمل لعلاج بعض الآلام التي تصيب الجسم منها آلام الكتف، اذ يجفف ويسحق ويخلط مع السمن الحيواني ثم يوضع على مكان الالم[٣١]، كما هو مبين في النص الآتي:

((اذا (عانى) رجل من ألم في كتفه (يستعمل لأجل شفائه) نبات البابونج الجاف يسحق (ويخلط) في XXXX UDU.NIM))[٣٢].

نذكر طريقة اخرى كانت تستعمل قديماً وهي كما يلي:

((يجفف النبات ويسحن ويمزج بالزيت ويمرخ به))[٣٣].

٥-**لكثرة نزول السوائل من الرحم (الطمث):** كان استعماله في علاج كثرة نزول السوائل من الرحم المعروف بـ(الطمث) سهل جداً، ولا يحتاج لخلطه مع مواد أخرى، حيث يوضع على قطعة من القماش وتوضع القماش على الرحم[٣٤].

٦- -**للبواسير:** كما استعمل البابونج لعلاج المرض المعروف في اللغة السومرية بـ (DUR.GIG) الذي يعني حرفياً: (مرض الشرج) ومن المرجح ان المراد به هو مرض (البواسير)، اذ يخلط البابونج مع نبات السعد الأخضر والسمن الحيواني ويستعمل علاجاً موضعياً[٣٥]، نحو:

((نبات البابونج كذلك نبات السعد الأخضر يخلط مع السمن الحيواني (ثم) يوضع في شرجه))[٣٦].

هناك وصفة طبية اخرى استعمل النبات نفسه لعلاج مرض البواسير أيضاً، مع العديد من النباتات، اذ تخلط مع الجعة ويستعمل المزيج علاجاً موضعياً[٣٧]، ولتوضيح ذلك نورد النص الآتي:

((صمغ الصنوبر (و) صمغ (شجر) العرعر [××]، (و) نبات القلى ذو القرون (و) نبات البابونج (و) نبات [××]، (و) نبات الزعفران، هذه ٨ نباتات تسحق وتخلط في الجعة [××××]، [ثم توضع في] شرجه))[٣٨].

كما وصف البابونج الأخضر لعلاج أحد الامراض التي تصيب الشرج والذي ورد بصيغة (DUR ha-am-ti) الذي يعني حرفياً: خمط (حرارة) الشرج، ومن المرجح ان المرض نوع من الالتهابات التي تصاحبها حرارة، إذ يخلط النبات مع السمن الحيواني ثم يوضع في الشرج[٣٩]. فضلاً عن الوصفة الاخرى التي تستعمل لنفس المرض أيضاً، اذ يسحن البابونج مع عروق اللفاح ويخلط مع الشحم ويعمل منه تحاميل ويوضع في الشرج بعد نوم المريض، وهناك وصفة بسيطة للمرض نفسه، اذ يمزج البابونج بالزيت وينشر على الموضع[٤٠].

٧- **للمس:** كما استعمل البابونج لعلاج مرض يد الشبح (المس) بعد خلطه مع نبات اللفاح، وهذا النبات على نوعين ذكري وانثوي، اذ استعمل العلاج مع النوعين، الا اننا لم نتمكن من معرفة طريقة الاستعمال بسبب الكسر الذي أصاب النص المسماري[٤١]، نذكر الخلطة وفق ما جاء في النص بعد ترجمته:

((إذا نام رجل على السرير (نوما) طيباً (لكنه) بطيئ [××]، (يستعمل) لأجل شفائه جذر نبات اللفاح (و) نبات البابونج (هذه النباتات) تسحق وتخلط مع السمن الحيواني [××]))[٤٢].

٨- **للتعاويذ:** واستعمل البابونج في وصفة مع العديد من النباتات وحجر الشب وعجينة المعدن الأحمر كتعويذة لطرد السحر[٤٣]، كما جاء في النص الآتي:

((نبات الاذريون (و) نبات لسان الكلب (و) نبات الخردل الأخضر (و) بذر (نبات) الشكران (و) نبات sugitu (و) شجر السوس (ونبات) القلى ذو القرون (و) نبات عصا (و) صمغ (شجر) العرعر (و) حجر الشب (و) عجينة المعدن الأحمر ؟ (و) بذر نبات الجرجير (و) نبات asu (و) النبات الأبيض (و) نبات الحياة (الخشخاش) (و) صمغ الصنوبر (و) القصب الحلو (و) التفاح (و) القصب (و) نبات

MAR.DU.DU (و) نبات النبق (و) نبات البابونج (و) الشقائق الفضية (و) الشقائق الذهبية (و) نبات الخرنوب الزائف (و) نبات الزعفران (و) نبات الشمار (و) نبات الترمس (و) نبات السماق (هذه) ٥١ نباتاً لطرد السحر))[٤٤].

ثانياً: الاستعمال الداخلي:

١- **لمرض السيلان**[٤٥]: لقد وصف البابونج مع عدد من النباتات وبعض المواد المعدنية (ككحجر الشب وحجر المرجان الأبيض) والحيوانية (كقشر بيض النعام) لعلاج مرض السيلان، اذ يخلط البابونج مع تلك المواد وتضاف الى الجعة أو النبيذ وتشرب[٤٦]، كما هو مبين في النص الآتي:

(((يستعمل) لأجل شفائه نبات الترمس (و) نبات الاذريون (و) نبات اكي نيس [××] (و) حجر الشب (و) حجر المرجان الأبيض (و) حجر [××] (و) حجر اوشانم، (و) جص النهر [××] (و) مسيس- ابابا (و) نبات عصا الراعي [××] (و) نبات الخردل (و) نبات السذاب [××] (و) نبات البابونج (و) قشر بيض النعام [××] (و) الحمص (ونبات) الكرسنة (و) شجر [××][هذه] نباتات (تستعمل لعلاج مرض) السيلان [××][تسحق وتخلط] في النبيذ او الجعة وتشرب [××]))[٤٧].

٢- **للسعال:** واستعمل البابونج لعلاج مرض السعال، اذ يسحن مع الزيت النباتي ويخلط مع البيرة ويستعمل كشراب للمريض[٤٨]، كما مبين في النص الآتي:

((نبات البابونج يسحق في الزيت النباتي والجعة ويشرب النبات لعلاج السعال))[٤٩].

٣- **لليرقان (أبو صفار):** واستعمل نبات البابونج لعلاج مرض اليرقان المعروف بـ(أبو صفار)، اذ يسحن ويخلط مع البيرة ويستعمل كشراب[٥٠]، وفي وصفة اخرى يسحن ويخلط مع صمغ شجر العرعر ويوضع في حليب الغنم الحلو ثم يستعمل كشراب[٥١]، نذكر النص الآتي لتوضيح الوصفة الثاني:

((اذا (اصيب) الرجل بمرض اليرقان (يستعمل لأجل شفائه) نبات البابونج (و) صمغ (شجر) العرعر يسحق سوياً (و) يخلط في حليب النعجة (و) يشرب))[٥٢].

٤- **لانتفاخ البطن (الغازات):** واستعمل النبات لعلاج انتفاخ البطن المعروف بـ (الغازات)[٥٣].

٥-**للشغي:** عندما تزيد السن على سائر الاسنان أو تخالف منبتها منبت غيرها، عندها تستعمل خلاصة نبتة البابونج السائلة كشراب لعلاجها، وكذلك تستعمل لتخفيف آلام التسنين عند الأطفال(٥٤).

٦-**لحرقة الفؤاد:** من فوائد البابونج يستعمل كعلاج لحرقة الفؤاد ويكون استعماله كشراب(٥٥).

ومن الجدير بالذكر ان زهرة البابونج كانت تستعمل في طب العرب قبل الاسلام، ومن الاستعمالات المهمة التي استعملت بها هي لعلاج أمراض اليرقان والصداع والحصى في الكلية او عسر البول والمغص، فضلاً عن ذلك فقد استفاد العرب من مسحوق البابونج في معالجة الامراض الجلدية مثل الجرب(٥٦)، واستعملت أيضاً في الطب الشعبي لحالات كثيرة منها: الازهار خافضة للحرارة مفيدة لحالات البرد والروماتزم والتهاب العظام، وطاردة للرياح، ضد الدزنتري، و(منظمة لحركة الأمعاء) المغص والقرحة المعدية والمعوية، ومقوية للأعصاب، ومعرقة للجسم، ومضادة للالتهابات الجلدية والدمامل وتقرحات الأظافر (مطهرة)، مقوية للشعر، وتستعمل لمعالجة الصداع والام الاعصاب والتهابات الجيوب الأنفية، ولعلاج أمراض العيون، ولآلام الاذن والتهاباتها، لتقرحات الفم واللسان، لعلاج التهابات الغدة النكفية واللوزتين تستعمل كمحلول للغرغرة، ولعلاج النزلة الشعبية، مفيدة لآلام والتهابات الصفراء والمثانة والمبيض والرحم والمهبل ولآلام الحيض والنفاس(٥٧).

المبحث الثاني

زهرة البابونج في المشاهد الفنية

زهرة البابونج في فنون العصر الحجري الحديث – المعدني:

لقد ظهرت في العصر الحجري الحديث – المعدني ثقافات متتالية يرجع تاريخها الى اوائل الالف السادس قبل الميلاد تقريباً(٥٨)، وجدت في هذه المواقع الاثرية اثاراً متنوعة في الرسم والتلوين منها الاواني المصنوعة من الفخار، اذ نجد بعضها ملونة او محززة او مدلوكة، كل ذلك يدل على ان الانسان قد تطور بشكل بارز في هذه الفترة لاسيما في صناعة الاواني الفخارية، وظهرت براعته في الرسم والنقش والتلوين عليها، و يعد صانع الفخار في هذا العصر اول من مارس الرسم مع التلوين في بلاد الرافدين، وبدأ فيه بتلوين ادواته واوانيه ومنتجاته الاخرى المصنوعة من الطين المفخور، ويزينها بمشاهد النباتات

والحيوانات والاشكال الهندسية والآدمية[٥٩]، وتشمل هذه المشاهد بصورة عامة على تكوينات هندسية متمثلة في دوائر متداخلة بعضها كاملة وبعضها ناقصة واشكال هندسية اخرى مؤلفة من تقاطع الخطوط والمثلثات والمربعات والمستطيلات وتشكيلات نباتية كالورود المتنوعة التي نجد منها الوردة المكورة الحلزونية والوردة ذات الثمانية أوراق فضلاً عن الازهار مثل زهرة البابونج وزهرة القرنفل[٦٠].

زهرة البابونج على فخار حلف:

فقد ظهرت على سطوح فخاريات حلف مجموعة من المشاهد النباتية ومن أبرزها زهرة البابونج، وأنَّ هذه الزهرة عُدّت من الرموز المقدسة في عقائد بلاد الرافدين القديمة منذ فجر التاريخ وحتى العصر البابلي الحديث[٦١]، فقد كانت هذه الزهرة رمزاً للطهارة والصفاء والنقاء[٦٢]، وقد تَمَّ العثور على إناء فخاري في تل الاربجية ذو أبعاد متباينة، كما أنَّ القطعة الأساسية لهذا الإناء كانت مدمرة كلياً ويطغى اللون البرتقالي المُحمَر على بقية أجزاء سطح الإناء، ويلاحظ في وسط هذا الاناء وجود ثلاث عشرة ورقة لزهرة البابونج لونت بالأحمر، والجزء الخارجي منها لُوِّن بالأسود، أما تصميم حافات الإناء فزُخرِفت بثلاث صفوف من الحلقات الدائرية الملونة بالأسود على أرضية حمراء تحيط بمشهد الزهرة، ويلاحظ أن طينة الإناء ملساء عُجِنَت بعناية كبيرة وقد صُقِلَت جيداً، لذا ظهر عليها المشهد بشكل دقيق[٦٣]. ينظر (الشكل رقم ١).

زهرة البابونج على فخار العبيد (العبيد القديم):

ومن أشكال فخاريات هذا الدور الطاسات المدوَّرة والأكواب المقعَّرة، ولقد تم تزيينها بمشاهد تضم المواضيع الهندسية المتمثلة بأشكال المثلثات والمعينات وأشكال شبيهة بلوحة الشطرنج ونماذج بشكل دوائر[٦٤]، والمشاهد النباتية تشمل مشهد زهرة البابونج وهي تظهر ممثلة على فخاريات العبيد الثالث بشكل زهرة ذات وريقات بيضاء رفيعة تنبثق من جوانب الدائرة المركزية في الوسط، كما تظهر هذه الزهرة في بعض الأحيان بشكل تجريدي[٦٥]. ينظر (الشكل رقم ٢).

زهرة البابونج في فنون العصر الآشوري الحديث:

اروع نماذج النحت وصلتنا من العصر الآشوري، وكَثُر ظهور المشاهد النباتية على منحوتات هذا العصر، وعدت المشاهد النباتية مواضيع رئيسة في المنحوتة، وقد نفذت بتقنية عالية عبرت عن ذوق فني رفيع وعبرت من خلاله على مدى التطور الذي وصلت اليه الحضارة الاشورية، وان ابرز المشاهد النباتية

التي ظهرت منفذة على منحوتات هذا العصر، هو مشهد الشجرة المقدسة، والمشهد المميز الاخر الذي كثر ظهوره في هذا العصر هو مشهد شجرة النخيل[٦٦]، كما تميز هذا العصر بظهور مشاهد نباتية تمثل اشكال متنوعة من الازهار كزهرة الشمس وزهرة البابونج وزهرة الزنبق وزهرة اللوتس[٦٧]، وتم الكشف عن أشرطة برونزية عديدة تظهر عليها مشاهد زهرة البابونج، وجِدت هذه الأشرطة على بوابات مدينة بلوات (مدينة قرب النمرود)، وقد بلغ طول كل شريط عدّة ياردات، وقُسّمَت تلك البوابات إلى حقول بخطوط من نقوش بارزة خُتمت بزهرات البابونج[٦٨]. ينظر (الشكل رقم ٣).

زهرة البابونج على الملابس والحلي من خلال المنحوتات الآشورية:

عند دراسة الأزياء لا بُدَّ من اعتماد الباحث على الألواح المنحوتة نحتاً بارزاً التي كانت تُزيّن جدران وقاعات وغرف القصور، فضلاً عن الرسوم الجدارية المُنفّذة على المباني المختلفة، لاسيما المعابد في بلاد الرافدين، كما تُعَد مصادر الكتابات المسمارية والأختام الاسطوانية من المصادر المهمة في دراسة الأزياء وزينتها في بلاد الرافدين، ومعرفة الألوان الموجودة عليها[٦٩]، لقد كانت الملابس في العصور المبكرة بسيطة وقليلة الزينة، أما في العصر الآشوري فإنَّ المنحوتات والرسوم الجدارية زوَّدتنا بمعلومات هائلة عن الأزياء وطبيعة الزينة المُنفّذة عليها فقد كانت ملابسهم جميلة وتحتوي على أشكال متنوعة من المشاهد النباتية والحيوانية، إذ بولغ في تضخيم بعض أجزاء الزهور ومنها زهرة البابونج، وذلك لكثرة استخدام الآشوريين لشكل هذه الزهرة في أعمالهم الفنية[٧٠].

تبرز المسلة العائدة للملك شمشي – أدد الخامس (٨٢٣ – ٨١١ ق. م) مشهد شخص الملك وهو يتزين بتاج ملكي شبيه بتاج الملك اشورناصربال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق. م)، إلا أنه يختلف عنه من ناحية الزخرفة، فهنا العُصابَة مزينة بزهرة البابونج من الأمام، فضلاً عن تزيين العُصابَة نفسها بخطوط تقسمها بشكل مستطيلات، ويفصل كل منهما زهرات بابونج صغيرة، ويتدلى شريط من العُصَابة يبدو رفيعاً في نهايته وله شراشيب ومزين بزهرة البابونج ايضاً[٧١]. ينظر (الشكل رقم ٤).

وكشف عن مسلة من الرخام تعود للملك الآشوري أدد – نيراري الثالث (٨١٠ – ٧٨٢ ق. م)، وهي مسلة كبيرة الحجم نُقِشت عليها صورة الملك وهو واقف وبيده صولجان وقرب رأسه رموز الآلهة، وظهرت الحلية الموضوعة على رسغه الايمن بشكل زهرة البابونج تحمل ثقوباً لكي تربط مع بعضها البعض، وتشبيكها ربما بقطعة جلد لتثبيتها في المعصم[٧٢]. ينظر (الشكل رقم ٥).

وفي لوح يعود للملك سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) يظهر فيه الملك وهو يرتدي زِياً مكوناً من ثوب ذي شراشيب من الأسفل، وقد نُفّذت عليه مشاهد تتألف من مربعات تضم بداخلها زهرة البابونج، و يرتدي الملك فوق هذا الثوب شالاً يغطي الكتف فضلاً عن الشرارشيب ذات الحاشية المنقوش عليها زهرة البابونج أيضاً، أما غطاء الرأس أو التاج فهو اللباس الخاص بالملوك ويلاحظ أنه مكون من ثلاثة حقول تضم بداخلها مشهد زهرة البابونج وينتهي الغطاء من الخلف بشريطين[٧٣]، ينظر (الشكل رقم ٦)، والى عهد الملك نفسه يعود مشهد نحت بارز يمثل قائدين اشوريين يرتدي كل منهما بدلة طويلة مزينة بأشرطة مُزخرفة من الاسفل[٧٤]، وفوقها شال طويل على شكل جذائل من الصوف، كما يلاحظ على الشال شريطٌ من الأعلى مزخرف نفذت عليه الزخرفة بشكل ثلاثة صفوف تمثل زهرة البابونج، ويفصل كل زهرة عن الأخرى خطان رفيعان أفقيان[٧٥]. ينظر (الشكل رقم ٧).

وفي لوح آخر يظهر الملك أشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م) ممتطي صهوة جواده وهو يرتدي لباس الصيد المُكوَّن من ثوب طويل ذو شرارشيب، تم تزيينها بمشاهد مكونة من دوائر تضم بداخلها بعض الأزهار، كما كان الملك يرتدي حزاماً عريضاً مثبتاً بحزام فوقه أصغر حجماً، أما الصدر فمُزيّن بمشاهد مكونة من حقول تضم بداخلها دوائر تحتوي على زهرات، ويرتدي الملك كذلك في زنديه أساور مزينة بزهرة البابونج، وعلى رأسه توجد عُصابة عريضة من الأمام تضيق عند الخلف زينت من الأمام بوردة كبيرة تحيطها عدد من الوريدات الصغيرة وتنتهي هذه العُصابة بشريطين مزينين من الأسفل بحقول تحتوي على مشاهد زهرة البابونج، وتنتهي هذه الأشرطة من الأسفل بشراشيب[٧٦]، ينظر (الشكل رقم ٨)، كما عُثر في معبد بتل قوينجق (نينوى) من عهد آشور بانيبال على اجزاء من نحت بارز من الاجر نُقش عليه الملك وهو يُجهِز على أسد، ويضع الملك على رسغه الايسر الذي يمسك به السهم سواراً من النوع العريض، وهو بشكل حلقتين ملتحمتين، وعلى ما يبدو أن نهايتيهما برؤوس حيوانية (رأسي حيوان من كل جانب) وتتوسطهما زهرة البابونج محاطة بقرص دائري[٧٧]. ينظر (الشكل رقم ٩).

زهرة البابونج في فنون العصر البابلي الحديث:

وفي العصر البابلي الحديث زُيّنتْ جداريات السراميك البابلية بأنواع مختلفة من المشاهد الحيوانية والنباتية، وهي تعد بحق من أروع إبداعات الفنان البابلي التي اكتشفت في هذا العصر، وهذه الجداريات البابلية التي زينت واجهة بوابة عشتار، وكذلك واجهات الجدران المحيطة بشارع الموكب من الجانبين المتضمنة صفوف أفقية من أشكال الحيوانات التي تشمل على اشكال الأسود، وفي أسفل هذه الحيوانات

يظهر شريط مزين بالأزهار الجميلة المتمثلة بزهرة البابونج[٧٨]، فقد لُوِّنت الأرضيات باللون الأزرق بينما لُوِّنَت أجسام الحيوانات بألوان متعددة أما الأزهار فقد لونت باللون الأبيض[٧٩]. ينظر (الشكل رقم ١٠).

الاستنتاجات

بعد كتابة هذا البحث المتواضع، توصلنا لجملة استنتاجات هي كالآتي:

١- كان سكان بلاد الرافدين على علم ودراية بأنواع النباتات والاعشاب الطبية، وتوصل الى معرفة خصائص كل نبات، ومدى فاعليته في علاج المرض منفرداً كان أو مركباً الى درجة أنهم فرقوا بين استخدامات النوع الواحد في حالته، وهو نبات خضراء مرة ونبات مجفف مرة اخرى.

٢- لم يقتصر استخدام البابونج وبعض النباتات والأعشاب الطبية على علاج الأمراض فقط، بل تعدّاده ليشمل النواحي الجمالية، كصبغ الشعر وعلاج الصلع.

٣- إن غالبية النصوص الطبية والنصوص المعجمية الخاصة بالنباتات جاءتنا من مكتبة الملك آشور بانيبال في مدينة نينوى، وتأريخ تدوينها يعود الى عصور أقدم، وقد جُمعت ورُتبت بشكل دقيق، وزهرة البابونج احدى تلك النباتات التي صنفوها ضمن النباتات الطبية في الرقم الطينية، وكان هذا التصنيف مرتب حسب مفعول النبتة لجسم الانسان، مع ان هذا التصنيف لا يجمع النباتات الفصلية الواحدة معاً، الا أنه يحقق وصف الخاصية العلاجية للعديد من تلك النباتات، اذ لم يعتمد طبيب تلك العهود الأسلوب المتبع حالياً في تصنيف النباتات الطبية؛ لان اهتمامه الرئيس كان في الدواء وليس في النبتة ذاتها، لذلك صنفها في مجاميع ليس فيها من خصائص مشتركة الا المفعول الطبي لكل منها فتذكر الوصفة الواحدة اكثر من طريقة للعلاج ولأكثر من نبات او عشب، وهذه النصوص اقرب ما تكون الى كتاب في الصيدلة، او بمثابة مصدر للمختص بهذا العلم واللجوء اليه عند الحاجة.

٤- وفي مجال المشاهد الفنية، نجد ان أول ما لفت انتباه الإنسان هي الطبيعة التي كانت من حوله، وتأمّل فيها واستلهم منها مشاهده ثم قام بنقش عناصر المشاهد النباتية كأشكال الورود وسنابل القمح والشعير وهذه العناصر تعد من أولى العناصر التي كثر وجودها على الأعمال الفنية.

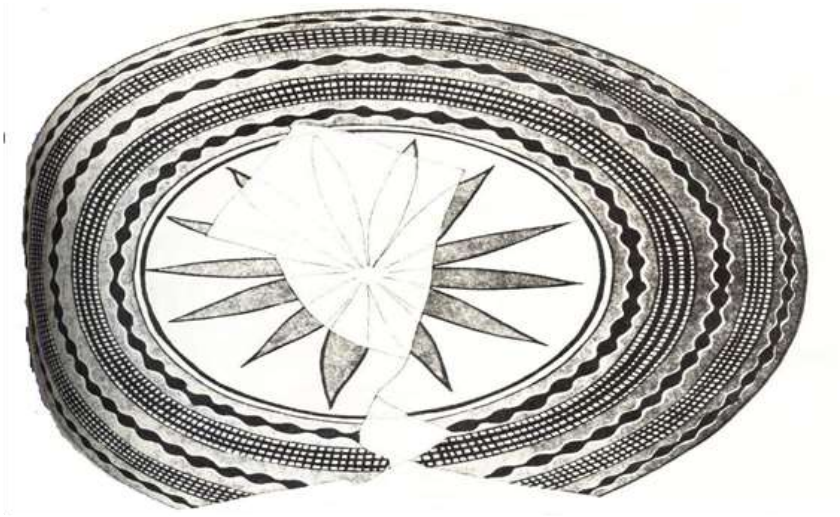
٥- لقد اعتمد الفنان الرافديني في تنفيذ وحدات المشاهد النباتية على مبادئ وقواعد فنية ثابتة ترسخت وتطورت عبر العصور المتعاقبة.

٦- وقام فنان بلاد الرافدين بتنفيذ الكثير من المشاهد النباتية منذ عصور ما قبل التاريخ في أعماله الفنية، إذ لوحظ تنفيذ تلك المشاهد النباتية أولاً على الفخاريات المكتشفة في القرى الزراعية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، وتم تزينها وتزويقها بألوان متعددة.

٧- أن المشاهد النباتية ظهرت في البداية على الفخاريات ثم استمر تنفيذها على باقي الأعمال الفنية كالأختام والمنحوتات والرسوم الجدارية والمسلات الملكية والملابس والحلي إلا أن ذروة ما وصلت إليه تنفيذ هذه المشاهد على الأعمال الفنية كان في العصر الآشوري الحديث، اذ تمكن الفنان وبمهارة فائقة أن يجعل من مشاهد الأشجار والنباتات الأخرى على المنحوتات والرسوم الجدارية التي صورت مشاهد الحروب كمكمل لجمالية هذه المنحوتات.

٨- نُفذت انواع من أشكال الحلي بهيأة حيوانية ونباتية على المشاهد الفنية ومن الأشكال الحيوانية ما كان يزيّن الاسأور والزنادات، إذ ظهرت نهايتي البعض منها برأسي أسد أو جدي، ومنها ما تتوسطه زهرة البابونج.

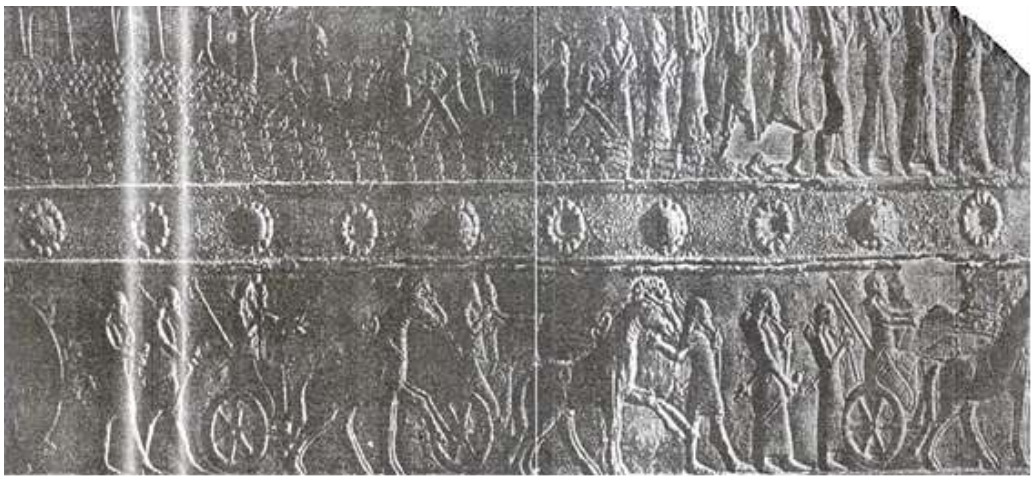
الملاحق:



(شكل رقم ١) ، اناء فخاري من عصر حلف، مأخوذ من:
Mallowan, M.E.L. and J., Cruiksh and Rose : Excavation A Tall Arpachyia, Iraq, Vol. 2, Part 1, London, 1933, p. 108.



(الأشكال رقم ٢) ، اناء فخاري من عصر العبيد، مأخوذ من:
كسار، أكرم محمد عبد، فخار عصر العبيد فى العراق القديم ، ص ٢٣.



(شكل رقم ٣) ، منحوتة من العصر الآشوري، مأخوذ من:
Frankfort, H. M.A. Pi. D, The Art and Architecture of the Ancient orient, London, 1970, P. 202.



شكل (رقم ٤) مسلة الملك شمشي ادد الخامس، مأخوذ من :

Michael, Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East, Oxford, 1990, p. 174.



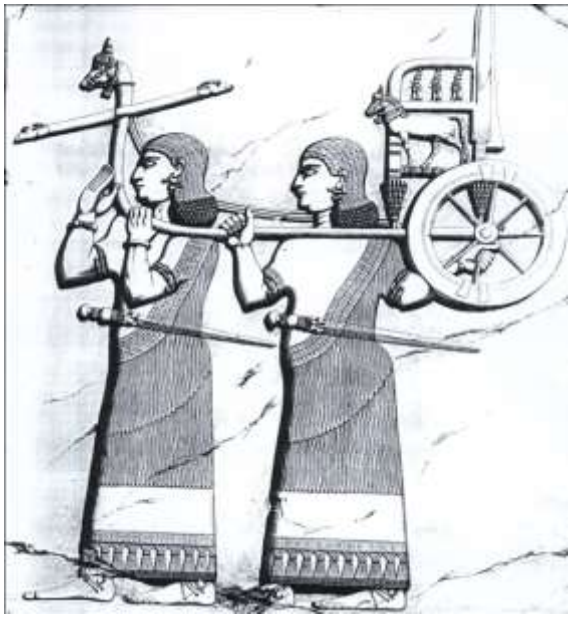
(شكل رقم ٥) مسلة من الرخام للملك ادد نيراري الثالث، مأخوذ من:

عكاشة، ثروت ، تأريخ الفن العراقي القديم، بيروت، د. ت، ص٥١٥.



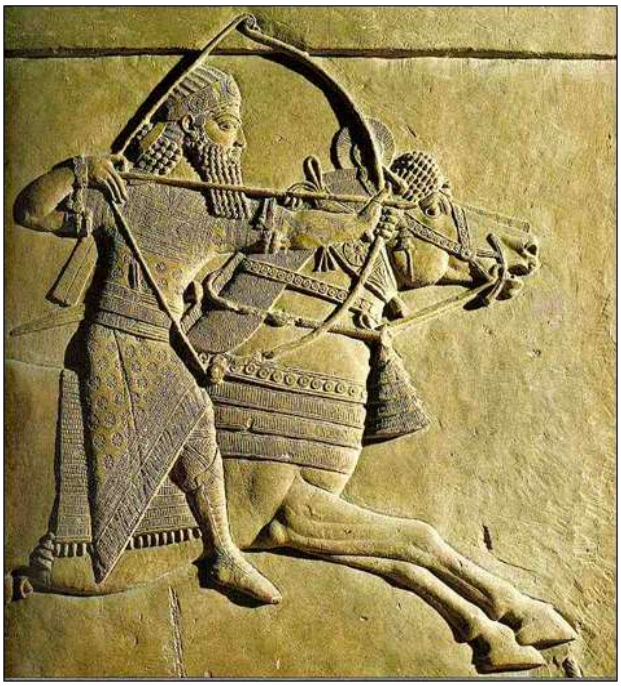
(الشكل رقم ٦) زي من العصر الآشوري للملك سرجون الثاني، مأخوذ من:

الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر (النساجون والنسيج)، بغداد، ١٩٧٢، ص٤٠



(شكل رقم ٧) قائدين اشوريين من عهد الملك سرجون الثاني، مأخوذ من:

Botta P. E., Maounment De Nineveh, Vol. 1, Paris, 1972, p. 17.



(شكل رقم ٨) لوح للملك آشور بانيبال، مأخوذ من:

Michael, Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East, p. 155.



(شكل رقم ٩) نحت بارز من الآجر للملك آشور بانيبال، مأخوذ من:

Hall, H. R., Babylonian and Assyrian Sculpture in British Museum, Paris, 1928, p.57.



(الشكل رقم ١٠) جدارية من العصر البابلي الحديث، مأخوذ من:

مورتكات، انطوان، الفن في العراق القديم، ص ٤٤٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن سيده، أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي، ج٣، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج١، بيروت، د.ت.
- آل ياسين، محمد حسن، معجم النبات والزراعة، ج١، بغداد، ١٩٨٦.
- البدري، عبد اللطيف، الأدوية النباتية في العراق القديم، مجلة المجمع العلمي، ج٤، مج ٤٨، بغداد، ٢٠٠١.
- البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة وفي التراث والحال الحاضر، بغداد، ٢٠٠٩.
- البدري، عبد اللطيف، الطب في العراق القديم، بغداد، ٢٠٠٠.
- بيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية– البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، لبنان، ٢٠١١.
- الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر (النساجون والنسيج)، بغداد، ١٩٧٢.

- جودي، محمد حسين، تاريخ الفن العراقي القديم، ج١، ١٩٧٤.
- الحيالي، ياسمين ياسين صالح، "المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٦.
- الدباغ، تقي، الفخار في عصور ما قبل التاريخ، حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥.
- الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ في العراقِ القديمِ في ضوءِ المصادرِ المسماريَّةِ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٦.
- الربيعي، هديل غالب عباس، الطب عند العرب قبل الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، ٢٠٠٣.
- رويحة، امين، امراض الجهاز البولي، بيروت، ١٩٧٢.
- عكاشة، ثروت ، تأريخ الفن العراقي القديم، بيروت، د. ت.
- عيسى، احمد، معجم اسماء النبات، بيروت، ١٩٨١.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ج٣ بيروت، ٢٠٠٢.
- القباني، صبري، الغذاء لا الدواء، ط١٨ ، بيروت، ١٩٨٥.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط٣، د.م ، ١٩٧٨.
- كسار، أكرم محمد عبد، فخار عصر العبيد في العراق القديم، مجلة سومر، مج ٤٤، ع ١-٢، بغداد، ١٩٨٥ -١٩٨٦.
- لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: الأب البير أبونا ووليد الجادر وخالد سالم اسماعيل، مراجعة الدكتور عامر سليمان، بغداد، ٢٠٠٤.
- لويد، سيتون، اثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الاحمد، بغداد، ١٩٨٠.
- محمود، مهند جميل، ومجيد، سامي هاشم، النباتات والاعشاب العراقية بين الطب الشعبي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨.
- مظلوم، طارق، الأزياء الآشورية، بغداد، ١٩٧١.
- مورتكات، انطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة، عيسى سلمان، وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥.
- النجاري، غسان مردان حجي، العناصر الزخرفية في الفن الاشوري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة موصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٥.

- الهلالي، ليال خليل اسماعيل، "الحلي على مشاهد النحت الآشوري"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٨.
- هيكل، محمد السيد، وعمر، عبد الله عبد الرزاق، النباتات الطبية والعطرية كيمياؤها – انتاجها – فوائدها، الاسكندرية، ١٩٧٧.
- يوحنا، مجيد كوركيس، "النحت البارز في عصر سرجون الآشوري (٧٢١ – ٧٠٥) قبل الميلاد"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٩.
- يوسف، احمد احمد، ومصطفى، محمد عزت، خلاصة تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة، د.م، د.ت.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

- Black, J., George, A., Postgate, N., A Concise Dictionary of Akkadian, (CDA), 2th, ED, Wiesbaden, 2000.
- Botta P. E., Maounment De Nineveh, Vol. 1, Paris, 1972.
- Frankfort, H. M.A. Pi. D, The Art and Architecture of the Ancient orient, London, 1970.
- Hall, H. R., Babylonian and Assyrian Sculpture in British Museum, Paris, 1928.
- Halloran, J., A., Sumerian Lexicon A Dictionary Guide to the Ancient Sumerian language, los Angeles, 2006.
- Kocher, F., Die Babylonisch - Assyrische Medizine in Texten und Untersuchungen, Berlin, 1963.
- Mallowan, M.E.L. and J., Cruiksh and Rose : Excavation A Tall Arpachyia, Iraq, Vol. 2, Part 1, London, 1933.
- Michael, Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East, Oxford, 1990.
- Oppenheim, A. L., And Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, (CAD), Chicago, 1956 F.F.
- Thompson, R. C., A Dictionary of Assyrian Botany , London, 1949.
- Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The originals in The British Museum, Oxford, 1923.

الهوامش:

(١) جاء في معجم (تاج العروس) أن مصطلح البابونج دخيلة من الفارسية ولكن وجود هذه الكلمة في العديد من لغات الشرق القديم وبنفس اللفظ والمعنى يثبت أنها كلمة أصيلة في هذه المنطقة وخاصة ان هذه النبتة تنبت في بلادنا منذ القدم، للمزيد عن أسماء هذه النبتة في لغات الشرق القديم ينظر: بيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية– البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، لبنان، ٢٠١١، ص٤٢.

(٢) هناك مصطلح في اللغة الأكدية يقابل اسم (القرّاص) في اللغة العربية وهي (girişu) قريبة منه لفظاً ومعنىً ، ينظر: البدري، عبد اللطيف، الطب في العراق القديم، بغداد، ٢٠٠٠، ص٧١.

(٣) ابن سيده، أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي، ج٣، بيروت، ٢٠٠٠، ص٤٥٧.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ج٣ بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٦٣.

(٥) عيسى، احمد، معجم اسماء النبات، بيروت، ١٩٨١، ص١٨.

(٦) يذكر أحد الباحثين ان المصطلح (ŠIT.GAN) هي زهرة البابونج في اللغة السومرية؛ للمزيد ينظر: بيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية– البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

(٧) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: الأب البير أبونا ووليد الجادر وخالد سالم اسماعيل، مراجعة الدكتور عامر سليمان، بغداد، ٢٠٠٤، ص١٤٣.

(٨) هذا الاسم مشتق من المصدر (kurbānu)، وهو مطابق للاسم العربي (قُربان) بالمعنى، ومقاربٌ للفظه ويتطابق معه لو أبدلنا الكاف (k) الأكدية بـ (قاف) عربية، يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج١، بيروت، د.ت، ص٦٦٣.

(9) Oppenheim, A. L., And Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, (CAD), Chicago, 1956 F.F., K, p.403: b.

(١٠) البدري، عبد اللطيف، الأدوية النباتية في العراق القديم، مجلة المجمع العلمي، ج٤، مج ٤٨، بغداد، ٢٠٠١، ص١٤٥.

(11) Thompson, R. C., A Dictionary of Assyrian Botany , London, 1949, p. 117.

(12) Halloran, J., A., Sumerian Lexicon A Dictionary Guide to the Ancient Sumerian language, los Angeles, 2006, p. 94.

(13) Black, J., George, A., Postgate, N., A Concise Dictionary of Akkadian, (CDA), 2th, ED, Wiesbaden, 2000, p. 450: a.

(١٤) آل ياسين، محمد حسن، معجم النبات والزراعة، ج١، بغداد، ١٩٨٦، ص١٥.

(١٥) البطنية : يقصد بها ألم البطن، أي: أنه يتناول البابونج عندما يشعر بألم في بطنه، ينظر: القباني، صبري، الغذاء لا الدواء، ط١٨ ، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٠١.

(١٦) القباني، صبري، الغذاء لا الدواء، ص٤٠١.

(١٧) بيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية– البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

(١٨) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط٣، د.م ، ١٩٧٨، ص٣٠٩.

(١٩) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة وفي التراث والحال الحاضر، بغداد، ٢٠٠٩، ص٣٢؛ محمود، مهند جميل، ومجيد، سامي هاشم، النباتات والاعشاب العراقية بين الطب الشعبي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨، ص٦٧.

(٢٠) هيكل، محمد السيد وعمر، عبد الله عبد الرزاق، النباتات الطبية والعطرية كيمياؤها – انتاجها – فوائدها، الاسكندرية، ١٩٧٧، ص١٩.

(٢١) البدري، عبد اللطيف، الأدوية النباتية في العراق القديم، ص١٤٥؛ ١٤٧.

(٢٢) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ في العراقِ القديمِ في ضوءِ المصادرِ المسماريَّةِ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٦، ص١٤٠-١٤١، وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

(23) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The originals in The British Museum, Oxford, 1923, 3, 5, Obv : 9 - 10 .

(٢٤) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

(٢٥) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤٥، وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

(26) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The originals in The British Museum, 5, 1:4-5.

(٢٧) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

(٢٨) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤٥.

(29) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The origina...., 74, 1, Col, III : 12.

(٣٠) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

(٣١) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤٥.

(32) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The origina...., 48:4, Rev:5-6.

(٣٣) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

(٣٤) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢؛ وكذلك ينظر: الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤٣، وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

(٣٥) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤١، وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

(36) Kocher, F., Die Babylonisch - Assyrische Medizine in Texten und Untersuchungen, Berlin, 1963, 1, 1, Kol: III: 8.

(٣٧) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤٢.

(38) Kocher, F., Die Babylonisch - Assyrische Medizine in Texten....., 1, 88: 26- 30.

(٣٩) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٤٢.

(٤٠) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

(٤١) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشابِ الطبيَّةِ ...، ص١٠٠.

([42]) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The origina...., 47, 1, Obv: 1-2.

([٤٣]) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشاب الطبيَّةِ ...، ص١٤٥.

([44]) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The origina...., 87, 5, Rev:1-11.

([٤٥]) السيلان: ورد اسم مرض السيلان في اللغة الاكدية بصيغة (muşu) وهو مرض تناسلي حاد، اذ يسبب المرض التهاب الاغشية المخاطية للجزء الامامي للإحليل، فيشعر المصاب بحرقات وألم عند التبول كما تظهر فيه افراز قيحي (سيلان) لونه أصفر ممزوج بالأخضر، والافراز يستمر بشكل نقط تطفح في الاحليل الى الخارج باستمرار، ينظر: رويحة، امين، امراض الجهاز البولي، بيروت، ١٩٧٢، ص٩٣؛ وعن الاسم الأكدي ينظر:

Black, J., George, A., Postgate, N., A Concise Dictionary of Akkadian, p. 220:b.

([٤٦]) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشاب الطبيَّةِ ...، ص١٤٤.

([47]) Thompson, R. C., Assyrian Medical Texts from The origina...., 58, 4:6 - 14.

([٤٨]) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢؛ وكذلك ينظر: الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشاب الطبيَّةِ ...، ص١٤١، وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

([49]) Kocher, F., Die Babylonisch - Assyrische Medizine in Texten....., 1. I. Kol: II: 27.

([٥٠]) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢؛ وكذلك ينظر: الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشاب الطبيَّةِ ...، ص١٤١، وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

([٥١]) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشاب الطبيَّةِ ...، ص١٤٧.

([52]) Kocher, F., Die Babylonisch - Assyrische Medizine in Texten....., 2, 159, II, Kol: 11.

([٥٣]) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسةٌ لأَهمِ النباتات والأَعشاب الطبيَّةِ ...، ص١٤٣؛ وبيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية- البابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، ص٤٢.

([٥٤]) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

([٥٥]) البدري، عبد اللطيف، الأعشاب والنباتات الطبية واستعمالاتها في العهود العرقية القديمة .....، ص٣٢.

([٥٦]) الربيعي، هديل غالب عباس، الطب عند العرب قبل الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، ٢٠٠٣، ص٢٥.

([٥٧]) محمود، مهند جميل، ومجيد، سامي هاشم، النباتات والاعشاب العراقية بين الطب الشعبي والبحث العلمي، ص٦٧-٦٨.

([١]) الدباغ، تقي، الفخار في عصور ما قبل التاريخ، حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٢.

(٢) جودي، محمد حسين، تاريخ الفن العراقي القديم، ج١، ١٩٧٤، ص ٦٣-٦٤.

([٣]) يوسف، احمد احمد، ومصطفى، محمد عزت، خلاصة تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة، د.م، د.ت، ص ٢٧-٢٨.

([٦١]) لويد، سيتون، اثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الاحمد، بغداد، ١٩٨٠، ص٦٤.

(٦٢) يوحنا، مجيد كوركيس، "النحت البارز في عصر سرجون الآشوري (٧٢١ – ٧٠٥) قبل الميلاد"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٩، ص٢١٢.

(٦٣) الحيالي، ياسمين ياسين صالح، "المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٦، ص٢٢.

(٦٤) كسار، أكرم محمد عبد، فخار عصر العبيد في العراق القديم، مجلة سومر، مج ٤٤، ع ١-٢، بغداد، ١٩٨٥ – ١٩٨٦، ص٢٣.

(٦٥) الحيالي، ياسمين ياسين صالح، "المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم"، ص٢٦.

(٦٦) مورتكات، انطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة، عيسى سلمان، وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٧٤.

(٦٧) النجاري، غسان مردان حجي، العناصر الزخرفية في الفن الاشوري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة موصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٥، ص ١٥.

(٦٨) الحيالي، ياسمين ياسين صالح، "المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم"، ص٦٤-٦٥.

(٦٩) مظلوم، طارق، الأزياء الآشورية، بغداد، ١٩٧١، ص٥.

(٧٠) يوسف، احمد احمد، ومصطفى، محمد عزت، خلاصة تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة، ص٢٩.

(٧١) الهلالي، ليال خليل اسماعيل، "الحلي على مشاهد النحت الآشوري"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٨، ص٢٠-٢١.

(٧٢) الهلالي، ليال خليل اسماعيل، "الحلي على مشاهد النحت الآشوري"، ص٥٠.

(٧٣) مظلوم، طارق، الأزياء الآشورية، ص٤٠.

(٧٤) مظلوم، طارق، الأزياء الآشورية، ص٥٨.

(٧٥) النجاري، غسان مردان حجي، العناصر الزخرفية في الفن الاشوري الحديث، ص٥٣.

(٧٦) الحيالي، ياسمين ياسين صالح، "المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم"، ص٧٨.

(٧٧) الهلالي، ليال خليل اسماعيل، "الحلي على مشاهد النحت الآشوري"، ص٥١.

(٧٨) مورتكات، انطوان، الفن في العراق القديم، ص٤٤٣.

(٧٩) الحيالي، ياسمين ياسين صالح، "المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم"، ص٦٩.

بكلربكية الحبش ١٥٥٥-١٥٦٠
دراسة ادارية واقتصادية

ا.م. د. نسيبة عبد العزيز عبدالله
جامعة الموصل كلية الآداب/ قسم التاريخ

Mohandhk84@gmail.com

بكلربكية الحبش ١٥٥٥-١٥٦٠
دراسة ادارية واقتصادية

ا.م. د. نسيبة عبد العزيز عبدالله

ملخص

تعد بكلربكية الحبش من البكلربكيات المهمة التي تأسست في عهد السلطان سليمان القانوني و تعاملت معها الدولة العثمانية بخصوصية لكونها تشكل قاعدة متقدمة للعثمانيين في البحر الاحمر انطلاقا نحو المحيط الهندي مكمن الخطر البرتغالي ، وفي الفترة موضوع البحث لم يكن يطلق عليها ايالة او ولاية وانما (بكلربكية) واميرامرائها هو ازدمير باشا ، فالدولة العثمانية لم تستخدم مصطلح ايالة الدال على وحدة ادارية الا في بداية عهد السلطان مراد الثالث ١٥٧٤-١٥٩٥م لذا فالاستخدام الادق هو مصطلح بكلربكية ، والتي تتناول البحث دراسة اوضاعها الادارية والاقتصادية ،وبما انها مستحدثة فلا بد من التركيز على نشأتها ودور ازدمير باشا فيه ثم الخارطة الادارية لها واهم الوظائف ، ثم ما احدثته من اثار ايجابية على الاقتصاد العثماني بعودة مسالك التجارة الى الطرق القديمة بعد ان تحولت عنها على اثر اكتشاف راس الرجاء الصالح ، فمع ان الوجود العثماني في البحر الاحمر قبل عام ١٥٥٥جعل العثمانيين شركاء في التجارة الى جانب البرتغاليين ؛ الا انه بعد هذا العام تحول ذلك التوازن لصالح العثمانيين وتدهورت تجارة البرتغال لاسيما تجارة التوابل واصبحت البكلربكية الجديدة وموانئها احد مراكز التجارة المهمة في البحر الاحمر ، وقد تناول البحث دراسة الانشطة الاقتصادية للبكلربكية وهو ما اعطى انطباعا عن اهميتها الاقتصادية .

ومن المهم التذكير ان تسميتها هذه لا تعني انها كانت تشمل اراضي الحبشة الحالية ، وانما سميت كذلك لان المناطق التي سيطر عليها العثمانيون هي مخارج للحبشة ؛لذا فان استحداثها كان له اثره السلبي على الاقتصاد الحبشي ، فضلا عن انها كانت مركزا لمراقبة تحركات كل من الاحباش والبرتغاليين على السواء .

Abstract

Bakler Bakei Habash Considered are of the Most Impotant Bakler Bakeis That Established During The Regin of Sultan Suleiman Al Qanuni, The Ottoman Empire Delt With it Irpar Ticulur Because it Considered as an Advanced hase for Ottomans in the Red Sea Towards The Indian Ocean Where The Portuguese Threat.

In The Period of Two Research It war not Called State of Ayala But (Bakler Bakei) and The the Prince of Principale Was Azdomir Pasha, The Ottoman ues The Term Ayala Beginning of The Regin of Sultan Muaad III (1574-1595) So

The Here We Eill Stude the Aministrtion and Economic Stuation and Foucs an its Origins and the Role of Asdemir Pasha and Then TheMaks A good Effects an The Ottomanis Economy of The Return the Oled Cammerical Rutes to Work (at ter it) Changed Because of Discovery of The Cape of Good Hope .

تمهيد: اوضاع البحر الاحمر قبل استحداث بكلربكية الحبش:

سعى البرتغاليون منذ مطلع كشوفهم الجغرافية الى الوصول الى الحبشة لإقامة تحالف معها ، ولاسيما انهم قد سمعوا عن هذه المملكة النصرانية التي هي الاخرى تسعى لضرب المسلمين سواء في الحبشة او في مصر ممثلين بالدولة المملوكية ، لذلك كان من الضروري اقامة صلات معها ، من اجل انجاح المشروع البرتغالي المتمثل بغزو العالم الاسلامي الذي عرف تاريخيا باسم (الكشوف الجغرافية).

ولأجل ذلك ارسل الملك البرتغالي يوحنا الثاني (١٤٨١-١٤٩٥م) بعثة الى الحبشة برئاسة (بيرو دي كوفيلهام) فوصلها عام ١٤٩٠ م وعقد تحالفا مع ملك الحبشة اسكندر بن ادماس (١٤٧٨-١٤٩٢م)(ايفانوف١٩٨٨: ١٥١،الطناشي١٩٩٦: ٨٨)،الذي كان يقود حربا ضد المسلمين في الحبشة . ومنذ ذلك الحين سعى كلا الطرفين لتعزيز علاقاتهما التي بلغت ذروتها في عهد الملك الحبشي لينا دنجل (١٥٠٨-١٥٤٠) ، ولتحقيق هذا التحالف كان على البرتغاليون اقامة قواعدهم في شرق افريقيا والساحل الغربي للبحر الاحمر للاقتراب من الحبشة من جهة والسيطرة على التجارة بين الشرق والغرب من جهة اخرى ، فهاجموا بأساطيلهم منذ عام ١٥٠٦م سواحل البحر الاحمر بقيادة البحار البرتغالي ترستاو داكونها سواحل افريقيا الشرقية في محاولة لتدمير القوى البحرية المحلية في المنطقة حتى لا تشكل خطرا على المراكز والمحطات التجارية المزمع اقامتها ، وهو ما يقتضي تدمير كافة الموانئ التي من الممكن ان يسلكها أسطول المماليك اذا فكر في التصدي لهم في البحر الاحمر ، فاحتلوا في العام نفسه جزيرة سومطرة اكبر جزر خليج عدن وبحر العرب وسيطروا على جزيرة هرمز لأغلاق البحر الاحمر بوجه التجارة الاسلامية المرسلة الى جدة والسويس من الهند(Serjeant,1963:15، شاكر،١٣٦٣هـ:٢٧)، وارتكبوا خلال هجماتهم هذه الفظائع ضد السفن الاسلامية ومسلمي تلك المناطق ، والاخطر من ذلك انه في العام ذاته اوقف الحج بصوة مؤقته فاهتز العالم الاسلامي لهذا الحدث(الكيلاني،٢٠٠٧: ٧٦).

وعلى اثر ذلك عمد المماليك الى تعزيز تواجدهم في البحر الحمر، فسيطروا عام ١٥٠٦ م على جزيرة سواكن واصبح الساحل الغربي للبحر الاحمر حتى جنوب سواكن تحت سيطرتهم المباشرة وبسطوا سلطتهم الاسمية على مناطق السودان واراضية الواقعة بين نهر النيل والبحر الاحمر(ايفانوف،١٩٨٨: ١٥٣) ، وعلى الرغم من ذلك فان المماليك في هذه المدة ليست لديهم القدرة على مجابهة الاساطيل الضخمة للبرتغاليين ، الا ان السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) كان يتابع ماحل العالم الاسلامي سواء لمسلمي الاندلس والهجمات الاسبانية والبرتغالية على الشواطئ

الاسلامية في المغرب العربي في غرب البحر المتوسط(الحاج علاوي،٢٠١٧: ٤٠٣) ، او هجمات البرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج العربي ، لذلك ارسل مساعدات الى المماليك تمكنهم من الوقوف بوجه هذا الخطر منذ عام ١٤٩٨م فقد بعث في هذا العام ٤٠٠,٠٠٠دوقه الى السلطان الغوري (١٥٠١-١٥١٦) وعلى اثر الحملة البرتغالية السالفة الذكر عام ١٥٠٦ م ارسل اليه مبعوثا للوقوف على احتياجاته للتصدي للخطر البرتغالي وارسل اليه اخر بعد سبعة اشهر لهذا الغرض ، كما ارسل عام ١٥٠٧ م البحار العثماني الشهير كمال ريس ، مع مساعدات عسكرية وخبراء في المعارك البحرية وصناعة السفن فضلا عن معدات عسكرية منها (٥٠) مدفعا، وجرى تحت اشراف هذا البحار اعداد الاسطول المملوكي في ترسانة السويس، وبالفعل اعد الاسطول مكون من (٣١) سفينة تحمل (١٥٠٠) جندي بقيادة الامير حسين الكردي ، وقد ابحر هذا الاسطول الى المحيط الهندي بعد ان حصن مدينة جدة وهناك وقعت معركة شول عام ١٥٠٨ م بين الاسطول البرتغالي والاسطول المملوكي (سميت كذلك نسبة الى ميناء شول الواقع الى الجنوب من سلطنة كجرات وهو تابع للملكة الدكن الاسلامية) فحقق الأسطول المملوكي انتصارا على الاسطول البرتغالي بقيادة لورنزو دا الميدا وهو ابن نائب ملك البرتغال في الهند وانتهت المعركة بمقتله ، وعلى الرغم من هذه الانتصارات الا ان الاسطول المملوكي مني بهزيمة كبيرة في العام التالي ١٥٠٩م وقتل من جيش الامير حسين الكردي ١٦٠٠جندي وهي موقعة ديو الشهيرة (ابن اياس، ١٩٦٠: ٤، ٣٦٥) .

على اثر ذلك ازدادت الهجمات البرتغالية على سواحل افريقيا الشرقية والبحر الاحمر ، كما تعدت التحالفات الحبشية البرتغالية مرحلة التخطيط الى التنفيذ في هذه المدة ، فكان الاسطول البرتغالي يزرع الموت على شواطئ السودان والصومال وقام بالهجوم على سواكن وكرر الامر عام ١٥١٦ م ولاسيما ان الاحباش استدعوهم للمساعدة في القضاء على ثورة الامام محفوظ [1] الذي قتل في العام نفسه على يد الاحباش، ساعد في ذلك انشغال المماليك والعثمانيين في الحرب الدائرة بينهما في بلاد الشام ، وقد اثارت ، كما اعتدوا على زيلع ٤٢ , Witeway,1969:71). سواكن اعجاب البرتغاليين لثرائها واتساعها عام ١٥١٧(ضرار،١٩٨١:

بعد ان سيطر العثمانيون على مصر في عهد السلطان سليم الاول عام ١٥١٧م اصبح البرتغاليين على وجل من هذا الامر فأرسلوا الى ملك اسبانيا وفرنسا يطالبونهم بالتعاون معهم للسيطرة على البحر الاحمر قبل ان يتدخل العثمانيون فيه ، فاقترحوا ان يتولى الاسبان السيطرة على زيلع و تستولي فرنسا على سواكن ويتولون هم السيطرة على مصوع ولاسيما ان العثمانيون كما يقولون :"اذا ظهروا في البحر الاحمر فسوف يمحون اعلام الصليب وسفنه فيه" (ضرار، ١٩٨١: ٤٤؛ الاسطل،١٩٩١: ٢٨٩).

كان وصول العثمانيون الى المنطقة نقطة تحول في تاريخها ، فقد عزز تواجدهم هناك قوة الدفاع عن المنطقة ضد الانشطة البرتغالية وقد ورثوا عن المماليك دورهم في حماية الاماكن المقدسة وطرق الحج كما اعادوا الدور الاسلامي في تجارة البحر الاحمر وكان بمثابة دعم فعلي لمسلمي تلك المناطق ، فعلى اثر وصولهم الى مصر طلب مسلمي امارة عدل [2] ، من الدولة العثمانية بعد نقتل الامير محفوظ مساعدتهم ضد الاحباش وحلفائهم البرتغاليين وكان التحالف الحبشي البرتغالي قائم والحرب مستعرة في القرن الافريقي بين المسلمين وهذا التحالف فارتاع العثمانيون من ذلك ، وبادروا في الاستيلاء على سواكن وزيلع واقاموا العلاقات مع مسلمي مصوع التي كانت في تلك الفترة تحت الحكم البرتغالي(غيث ،(د.ت) :١٥٧؛ العراقي،١٩٨٩: ١٤٤)، وبقيت القوات العثمانية هناك ووضعت تحت تصرف باشا جدة ، واعلن سلمان ريس قائد الاسطول المملوكي المتواجد في جدة ولائه للدولة العثمانية حال دخولها الى مصر وارسل استنجادا من اهالي المنطقة الى السلطان سليم الاول الذي استجاب لهم وارسل قواتا اضافية لتعزيز القوات التي كان قد ارسلها عام ١٥١٧م فوصلت الى المنطقة عام ١٥١٩ كما اشارت ، وثائق الى ذلك الوثائق العثمانية (BOA.KK.R.D.no.211بحرية(د.ت) الوثيقة رقم(٧))

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) ازداد الاهتمام بالبحر الاحمر مع وجود التحالف الحبشي البرتغالي ، فبدا بتطوير الاسطول واعاد تنظيمه وامر ببناء السفن في دار صناعة السفن في بولاق ، ورتب قانونا لإدارة السواحل المصرية (الرمال، ١٩٨٥: ٢٠٧)، وخلال هذه المدة كان الامام احمد بن ابراهيم امير امارة عدل في صراع مع الحبشة تساندها البرتغال ، وقد كان للعثمانيين دور كبير في مساندته وافشال هذا التحالف حتى ان المؤرخين عدو هذه الفترة العصر الذهبي للمسلمين الاحباش Serjeant,1963:98-منذ ان اعلن الامام ابراهيم ثورته عام ١٥٢٧م).

110;Trmingham,1952 :76-77;Henze,2001:88)

وازداد الخطر على البحر الاحمر عندما تعاون حاكم عدن مرجان الطاهري مع البرتغاليين وقدم لهم المساعدات ، لكنه عاد ووافق على الدخول في طاعة العثمانيين ، الا انه لم يطبق ذلك واقعا بل وقع عام ١٥٣٠ م اتفاقية تعاون مع البرتغاليين مما اثار استياء العثمانيين الذين شعروا بخطورة هذا الامر على البحر الأحمر والديار المقدسة ، فارسل السلطان سليمان القانوني قائده سنان باشا[١٨] في السنة نفسها لتعزيز السيطرة على البحر الاحمر فتمكن من هزيمة البرتغاليين وتعقبهم الى خارج باب المندب وقام بتثبيت الوجود العثماني في سواكن ومصوع وجدة وزبيد والحديدة والمخا وزيلع ووضع في كل مدينة حاكما عثمانيا مع حامية عسكرية وجعل الجميع تحت سلطة والي الحجاز في حين ترك امور الادارة المحلية وكانت الدولة العثمانية قد اولت البحر الاحمر اهمية (Serjeant,1963:33لسكان تلك المناطق كبيرة لذلك كانت ضرار،٢٠١١)، ترسانة السويس تحظى بالأولوية حتى ان السلطان سليمان القانوني فضل بناء السفن على المشروع المهم الذي كان ينوي القيام به وهو فتح قناة السويس بسبب الخطر

البرتغالي وقد خصص لبناء هذا الاسطول من الميزانية العامة للدولة في عام ١٥٣١م ما مقداره ١,٩٦٦,٧٣٢اقجة.

وفي عام ١٥٣٨م قرر السلطان سليمان القانوني ارسال حملة عسكرية الى المحط الهندي لقطع الطريق على البرتغاليين والحيلولة دون اتصالهم بالأحباش ، فضلا عن دعوات الاستنجاد التي ارسلها المسلمين في الهند فكانت حملة سليمان باشا الخادم ، وكانت وجهتها الاولى الى اليمن التي يعدها العثمانيون قاعدة متقدمة لأنهاء السيطرة البرتغالية في المحيط الهندي فتم فتحها ثم تحول الى المحيط الهندي وحقق بعض الانتصارات هناك الا انه لم يلق التعاون من الامارات الاسلامية هناك لذا اضطر للعودة ، وعلى الرغم من ذلك فقد قرر الديوان الهمايوني ان حملته ناجحة ومفيدة (نوري Allahverdi,2013:35-37) . باشا،١٣٢٧هـ،١: ٩٩؛هامه ر،١٣٣٠هـ :٢٠٥-٢٠٦،

ازعجت هذه الحملة البرتغاليين الذين شعروا بالخطر على وجودهم ومراكزهم التجارية فقرروا مهاجمة السويس وحرق الاسطول العثماني وفي الوقت نفسه تقديم الدعم للأحباش ضد مسلمي امارة عدل وحلفائهم العثمانيين فأرسلوا حملة الى البحر الاحمر احرقت سواكن وحاولت احراق جدة الا ان الاسطول العثماني دحرها في معركة مصوع البحرية عام ١٥٤٠م ثم حاولوا في السنة التالية الهجوم على السويس لكنهم تراجعوا بعد ان اصابهم الرعب مما شاهدوه من القوة العثمانية هناك وكانت هذه الحملة احد الاسباب التي جعلت العثمانيين يفكرون في تأسيس بكلربكية الحبش(رضوان(د.ت):٩٢).

وبعد القضاء على حركة الامام احمد بن ابراهيم عام١٥٤٣م بالتعاون بين الاحباش والبرتغاليين ازداد الخطر البرتغالي فكان على الدولة العثمانية ان تقوم بعمل جاد وتكرر المحاولة التي قام بها سليمان باشا الخادم، فأرسلت هذه المرة البحار المعروف بيري ريس عام ١٥٤٨م، الا ان هذه المحاولة فشلت واعقبه انهما فشلا كذلك(الحاج علاوي،٢٠٠٩:٧٦: (Allahaverdi,2012:39)مراد ريس وسيدي علي ريس ٧٧)، وبسب الخطر البرتغالي المتمركز في المحيط الهندي وفشل العثمانيين في حملاتهم الى المنطقة قرروا قطع الطريق امامهم بأغلاق البحر الاحمر لكي يمنعوا اتصالهم بالأحباش فارسلوا حملات عديدة خضوع سواكن وماحولها ومنذ عام١٥٥٤اصبحت سواكن سنجقا (Henze,2001:88)ادت الى عثمانيا يتبع اداريا لمصر(الكباشي،٢٠١٢: ٢٠١)واعقبها سعي الدولة العثمانية لاستحداث بكلربكية الحبش عام١٥٥٥كماسنوضح لاحقا.

اولا :تاسيس بكلربكية الحبش١٥٥٥-١٥٦٠م

وجدت الدولة العثمانية انه من الضروري احكام السيطرة على مدخل البحر الاحمر لإحباط اية محاولة للتوسع البرتغالي وهذا الامر يقتضي وجود دائم لها فيه فكانت فكرة تأسيس البكلربكية.

كان سلمان ريس قائد الاسطول العثماني اثناء الحملة التي ارسلتها الدولة العثمانية عام ١٥٢٥م للسيطرة على اليمن قد دمر القواعد التي اقامها البرتغاليون على السواحل الحبشية وادخلها تحت السيادة العثمانية ، وقد قدم تقريرا عن تلك الحملة قبل ان يقتل بين فيه حجم القوة التي تم اعدادها في ميناء جدة لموجهة البرتغاليين ، كما قدم توصيات منها احكام السيطرة على اليمن التي سماها (مفتاح الهند) واكد على ضرورة التواجد العثماني في سواكن وزيلع بشكل جاد ونبه الى ان البرتغاليين يسعون لسيطرة عليهما وهو ما يعني التحكم بالبحر الاحمر ؛بيات،٢٠١٠: ١٢٢-١٢٦)، (Hess,1970:1908، الا الامر الذي جعل الدولة العثمانية تتخذ موقفا من هذا الامر هو فشل سيدي علي ريس عام ١٥٥٤ في استرجاع اسطول السويس ، فقد اضطرته الاخطار التي واجهها الى ان يجد نفسه في المحيط الهندي ، وبعد معاناة طويلة تمكن من العودة برا الى استانبول ، ففي الوقت الذي كان فيه سيدي علي ريس يسعى من اجل استرجاع اسطوله كانت الدولة العثمانية تدرس بعض الخطط للسيطرة على البحر الاحمر وكان السلطان سليمان القانوني يولي اهتماما خاصا باستتباب الامن في هذه المنطقة لأحياء طريق التجارة القادمة من الهند(بجوي،٢٠١٥: ٤٠٦-٤١٠؛سرهنك، ١٣١٢١:٥٩٩،امجان،٢٠١٤: ٣٩٥).

وعلى الرغم من وجود نيابات عثمانية على سواحل البحر الاحمر الا انها تقتصر في انشطتها على جباية واردات الكمارك وكان النفوذ العثماني في الغالب لا يتعدى حدود نيابة سواكن ، التي ، كانت ضعيفة وتعاني من اضطراب احوالها ، Oztuna,2011) (بابكور ،١٩٨٦: ٢٢٢،

لذلك قدم ازدمير باشا الذي ارتبط اسمه بولاية الحبش مشروعا الى السلطان سليمان القانوني يقضي بتواجد عثماني دائم على الساحل الغربي للبحر الاحمر للتصدي للتحالف البرتغال

الحبشي ، فمن هو ازدمير باشا ؟

أ- ازدمير باشا مؤسس بكلر بكية الحبش

وهو في الاصل من المماليك الشركس في مصر من اتباع شخص يدعى كيكاوس شوكت وهو غير معروف ولم يذكر في المصادر التاريخية الا اسمه بينما يذكر اوليا جلبي انه من اقرباء السلطان الغوري وبعد دخول العثمانيين الى مصر عام ١٥١٧ التحق بالخدمة في الجيش العثماني (متطوعا) وهو لايزال شابا يافعا(بجوي،٢٠١٥، ١: ٦٤؛ اوليا جلبي ٢٠٠٦: ٤٤٧)، ويذكر انه تزوج من امراه من مصر يصل نسبها الى العباسيين الذين كانوا يقيمون في كنف المماليك بعد الغزو المغولي لبغداد ،وقد انجبت منه (عثمان باشا) الذي خلفه على حكم الحبشة، واخته التي تدعى (هما)او (هوما) ويصفه بجوي بالشجاعة ، ويذكر انه كان لا يبدل ملابسه الا مره واحده كل ستة اشهر ويلبس الجوخ المبطن بالفرو صيفا وشتاء وفي المواسم الشديدة الحرارة مع انه كان قد ادخر اموالا من عمله في اليمن والحبشة وارسلها الى عائلته في مصر (بجوي،٢٠٠٦ ،١ :٦٤ -٦٥)، وهي اشارة تدل على تواضعه وعدم اهتمامه بالمظاهر بل وتدل على ايلائه لأمور الفتح ومناجزة العدو اكثر من الالتفات الى هندامه ،

ولا يعلم بالتحديد مهامه في الفترة (١٥١٧-١٥٣٥) ، غير ما أشارت اليه المصادر على انه عمل مع القوات العثمانية وتنقل في المراتب حتى اصبح (شاد النطرون) أي مفتشا لمنطقة وادي النطرون في مصر ثم (كاشفا)- وهي وظيفة ادارية تولاها بعض المماليك في عهد سليم الاول- في نواحي مصر ، ويذكر عنه النهروالي: " انه كان من الفرسان المذكورين ، والابطال المشهورين وكان ذا راي صائب وتدبير في الحروب ثاقبا وشجاعة واقدام وصبر على نوائب الليالي والايام وصدق لهجه مع العربان ، قدمه صدق لهجته مع الاقران مع حسن عهده وكمال نصحه في خدمة السلطان"(النهروالي،(د.ت) :٩٨).

اما اول بروز له فكان اثناء اشتراكه في حملة سليمان باثا الخدم عام ١٥٣٨ المارة الذكر وقد لفت اليه الانظار بشجاعته واقدامه وتفانيه وكان يجيد ركوب الخيل وفنون القتال واعجب سليمان باشا الخادم ، فعندما ما كان يتهيأ للذهاب في تلك الحملة ، ركب حصانه للصعود الى السفينة وهو امر اثار البحارة والعساكر وسخروا منه ووصفوه بانه شركسي مجنون ، الا ان سليمان باشا الخادم سره هذا التصرف واعجب به وقال " **فليستقر حصان الشركسي الى جانب حصاني** " ، كان ازدمير باشا اذا وصل البر يجعل حصانه يسبح الى البر، ويخرج على العدو بجسارة (Orhanlu,1965:41) ولا يعرف بالضبط ماهي المهمة التي اوكلت اليه في هذه الحملة الا ،ان بعض المصادر تشير انه لعب دورا اساسيا في العمليات العسكرية التي خاضها الاسطول العثماني لإخضاع الاماكن التي تقوم عل تخوم مصر الجنوبية وبالقرب من سواحل البحر الاحمر والسودان وأرتيريا والصومال واستطاع السيطرة على قلاع مهمة هناك ، وحصل على ثناء وتقدير سليمان باشا الخادم ورقي بعد ذلك الى رتبة اغا تقديرا لخدماته(نور،٢٠١٣: ٣)

، كما ولاه سليمان باشا الخادم على ميناء جيزان اليمني بعد ان استولى عليه عند عودته من اليمن وترقى في المناصب في عهد مصطفى باشا النشار اول ولاة اليمن (١٥٤١-١٥٤٥م) (Oztuna,1982:6) حتى اصبح احد الامراء المرموقين في اليمن بفضل قوة شخصيته وسيرته ،الطيبة بين الاهالي وجنده واعتبر من الشخصيات المهمة التي ظهرت في اليمن في تلك الفترة وتعده المصادر الفاتح الاول لليمن(سالم،١٨٧:١٩٧٧).

وقد زادت احداث اليمن من شهرته ،لاسيما بعد التمردات التي حدثت بقيادة الامام شرف الدين ، الذي كان مسيطرا على مساحات واسعة من اليمن الا ان اويس باشا ١٥٤٥-١٥٤٧، نجح بالسيطرة على تعز ووطد النفوذ العثماني عام ١٥٤٧ في المنطقة الممتدة بين سمارة وزبيد ، لكن وجوده لم يستمر طويلا ، فقد غدر به جنوده وقتلوه ، وعلى راس هؤلاء الغادرين الامير حسن البهلوان وهو من المماليك الذين كانوا في اليمن ثم دخلوا في خدمة العثمانيين بعد حملة سليمان باشا الخادم على السواحل اليمنية وقد امتدت حركة التمرد الى زبيد وغيرها من المناطق التهامية حتى كادت ان تصبح حركة عامة لإعادة النفوذ المملوكي ، الا انه تمكن من القضاء على هذا التمرد بعد ان استمر اربعين يوما ، وقد قام ازدمير

بعمل كبير في اليمن ولاسيما ان الفترة التي تلت مقتل اويس باشا من اصعب الفترات التي مرت على العثمانيين عند بداية حكمهم لليمن ، الا انه بذل جهدا كبيرا وتمكن من دخول صنعاء عام ١٥٤٧م وصدر امرا في العام نفسه بتعيينه سنجق بيك عليها ، وحال دخوله المدينة اوقف اعمال السلب والنهب التي قام بها بعض جنوده وبنى جامعا في باب شعوب بصنعاء وبنى مدرسة واسعة وثكنات عسكرية، وكان لهذا الامر اهميته الكبيرة في تثبيت النفوذ العثماني في اليمن لأهمية صنعاء التي تعد قلب المنطقة الشمالية والتي نجح في الاستيلاء على اغلب جهاتها، وفي هذا الوقت كان العثمانيون يعملون باتجاه اخر فقد وصل امير امراء اليمن الجديد اليمن فرهاد باشا ١٥٤٨-١٥٤٨ الذي عمل عل استعادة عدن بمساعدة الاسطول العثماني الذي كان يقوده البحار العثماني بيري ريس وتمكن من قتل زعيم المتمردين في عدن على بن سليمان الطوالقي (زعيم قبائل الطوالق بوادي ابين القريب من عدن والذي كان قد استولى على عدن اثناء انشغال ازدمير في حروبه في المنطقة الشمالية ، ومما زاد من خطورة هذه التمردات ان التمردين اتصلوا بالبرتغاليين وطلبوا منهم النجدة وقد رحبوا بذلك ، الا ان التحرك العثماني السريع –ولاسيما بعد ارسال ازدمير باشا رسالة الى السلطان سليمان القانوني حال مقتل اويس باشا يعلمه بالأمر ويطلب منه ارسال امير امراء جديد لليمن – فوت الفرصة على البرتغاليين (سالم ،١٩٧٧: ١٩٠-١٩٥؛ Casale,2010:93;BOA.KK.RD,no.209:185)

وكان لازدمير باشا دورا مهما في انقاذ الوجود العثماني في اليمن.

رأى السلطان سليمان القانوني ان يكافئ ازدمير باشا على ما قام به من جهود في اليمن فامر بعزل فرهاد باشا (على الرغم من رضاه عنه) وتولية ازدمير مكانه عام ١٥٤٩م ، وقد احسن السيرة اثناء ولايته على اليمن فيذكر النهروالي: "كان يعامل اعدائه واصدقائه بالصدق في مقاله وعهده بالوفاء بقوله ووعده" (النهروالي،(د.ت) :١٠٠-١١٠)، وقد نجح ازدمير باشا بفضل سياسته هذه في ضبط اليمن واستقرار الاوضاع فيها ، وقد اسر ذلك السلطان سليمان القانوني ولاسيما انه كان يولي اهتماما كبيرا بهذه المنطقة والذي ادى فيما بعد الى احياء الطريق التجاري القديم القادم من الهند لذا قرر مكافئته بمئة(١٠٠) الف قطعة فضية ، كما انعم على عائلته ايضا في ٥كانون الثاني١٥٥٠(امجان،٢٠١٤: ٣٩٥) وبقي امير امراء اليمن حتى عزله عنها عام ١٥٥٤كما تشير الى ذلك الوثائق العثمانية (Orhanlu,1965:41;BOA.M.D.no1:197)

، وتشير بعض المصادر انه هو من طلب الاعفاء من ولاية اليمن بعد ان علم ان مصطفى النشار يسعى في طلبها بل طلب من السلطان الاذن بالمثول بين يديه فوافق على ذلك (النهروالي(د.ت):١١٩-١٢٠).

غادر ازدمير باشا اليمن بحرا الى سواكن ومنها الى مصر حيث توجد عائلته ، ثم غادرها متوجها الى استانبول وقد تزامن وصوله الى هناك مع عزل الصدر الاعظم رستم باشا(١٥٤٤-١٥٥٣) الذي

تولى بعده الصدارة العظمى قره احمد مصطفى (١٥٥٤-١٥٥٥) وكان هذا اكثر تحمسا لدعم اسطول المحيط الهندي وحظي ازدمير باشا بفرصة غير عادية عندما قابل السلطان سليمان القانوني وقدم شرحا لخطته التي تقوم على الاستفادة من المكاسب التي حققها في اليمن ، وكان السلطان يريد الحصول على معلومات عن تلك المناطق –ولاسيما انها تتعرض لخطر البرتغاليين الذين تعاونوا مع الاحباش – لذلك كان يصحبه معه في جولاته ويصغي اليه باهتمام كبير ، فقد احبه لأنه كان لطيفا وذكيا ومتعلما تعليما عاليا عامله بكل احترام ومودة ، واثناء تلك المباحثات كان ازدمير باشا يتحدث من منطلق معرفة كبيرة وخبرة واسعة في المنطقة ، فقد قدم معلومات جغرافية واجتماعية وعسكرية عن مصر واليمن وبلاد الحبش وماجاورها من المناطق ، واعطى معلومات موسعة حول البحر الاحمر ولم يغفل ان يذكر الاديان التي يدين بها اهل تلك المناطق وكان يجيب عن كل تساؤلات السلطان بدقة ووضوح

(Orhanlu,1965:42, Casale,2010:108;Oztuna,2011:2)

اكد ازدمير باشا للسلطان على ضرورة توسيع التواجد العثماني على سواحل البحر الاحمر ، فقد ادرك اثناء ولايته على اليمن اهمية التوجه بالفتوحات الى الحبشة بالنسبة للصراع الدائر مع البرتغاليين جنوب البحر الاحمر ، كما نبه الى ضعف نيابة سواكن واضطراب احوالها وهو ما شاهده اثناء عودته من اليمن بعد عزله عنها ، وبين للسلطان صعوبة ادارة هذه المناطق من مصر ، وقد اقتنع السلطان بوجهة نظر ازدمير باشا التي كان يدعمها الصدر الاعظم قره احمد باشا ، فقد كان هذا القائد متحمسا لقهر الاحباش وحلفائهم البرتغاليين ونشر الاسلام في تلك . (Casale,2010:108, بابكور،١٩٨٦:٢٢٣؛ بن محمد شعيب،٢٠٠٥:١٢٣(المناطق

ومن المهم الاشارة الى ان السلطان سليمان القانوني اصدر امرا بأنشاء سنجق سواكن وربطه مع مصر منذ عام ١٥٥٤ وتم تكليف عبد الباقي بيك لتولي ادارة هذا السنجق ويكون مرجعه امير امراء مصر وعبد الباقي بيك اول امير عينته الدولة العثمانية على سواكن بنفس الدرجة التي كان يحملها امير جدة)،الكباشي ،١٤٣٢: ٢٠٢(BOA.kk.R.D.no.211.s.78 وكان مرتبه يعادل المرتب الذي يتقاضاه امير جده الا ان هذا الامر لم يستمر طويلا فقد اقنع ازدمير باشا السلطان بضرورة ان يكون هذا السنجق مركزا لبكلربكية مستقلة عن مصر لحراجة الموقف في تلك المناطق التي يصعب ادارتها من مصر ؛لذا كلفه السلطان بتنفيذ تلك المهمة وارسل الى امير امراء اليمن مصطفى باشا (١٥٥٤)(للمرة الثانية) يعلمه بالأمر ويأمره بان تكون دهلك التابعة لليمن ضمن البكلربكية الجديدة وكان ذلك في تموز عام ١٥٥٥ وقد خصص له راتب قدره ٠٠٠ ،٤٠٠ ،١ مليون وأربعمائة الف أقجة يضاف اليها واردات جزيرة دهلك البالغة (تسعة اكياس ذهبية يوميا) وهي من ايرادات الكمارك(وثائق بحرية عثمانية(د.ت)الوثيقتان رقم (٤٠)و(٤١)؛ الكباشي،١٤٣٣: ٢٠٣؛ نور،٢٠١٣:٤).

وهكذا قرر السلطان سليمان القانوني تعيينه قائدا للحملة التي ستتوجه الى هذه المناطق لإخضاعها وقبل ان ينتهي العام كان في طريقه الى مصر عائدا من استانبول لأعداد العدة لتحقيق هذا الهدف ، وقد امر السلطان بأعداد هذا الجيش من مصر

(Cacale,2010:108;E.I235;BOA.KK.R.D.No.213:212) ،

لحماية البحر الاحمر والحيلولة دون تحول التجارة الشرقية الى البرتغاليين وتقديم الدعم لمسلمي الحبشة الذين اصبح الخطر يداهمهم في عقر دارهم.

ب- فتوحات ازدمير باشا في الحبشة (١٥٥٥-١٥٦٠)

بعد وصول ازدمير باشا الى مصر من استانبول شرع بأعداد الجيش الذي سيقوم بمهمة استحداث البكلربكية الجديدة ، ولم تكن تلك المهمة باليسيرة فإعداد هذا الجيش يتطلب جهدا كبير، ولاسيما فيما يتعلق بجمع المتطوعين ، اذ لم تكن هناك رغبة في التطوع للقتال في هذه المناطق البعيدة والمجهولة بالنسبة لهم ، ومع هذا فقد انضم الى الجيش عدد كبير من المماليك والصقالبة البوشناق وبعض مقاطعات الدولة العثمانية الاسيوية ، وقد بلغت هذه القوات (١٠٠٠) جندي من حملة البنادق (٣٠٠٠) متطوع ، وقد اختلفت المصادر في تحديد اعداد المشاركين في الحملة وربما خلط بعضهم بين اعداد الحملة الاولى التي انطلقت في عام ١٥٥٥ وبين الحملة الثانية التي اعقبتها ولاسيما ان عملية الوصول الى المنطقة تمت على مرحلتين ، وقد اشارت الوثائق التي بين ايدينا الى جانب من تلك الاعداد فيما يخص الحملة الاولى وهي ١٥٠جنديا من حملة البنادق و ٥٠٠عنصر متطوع وهذه فقط من مصر ،بالإضافة الى عدد من الجنود الذين شاركوا في الحملة من ولايات اخرى من بين المشاركين في هذه الحملة مدير لواء عجلون [٣] حسن بيك ، فضلا عن عدد كبير من الصناع والحرفيين والعمال ، وكذلك نقلت بعض الوحدات العسكرية من اليمن منها حملة البنادق مع قائدها محمد اغا لتكون تحت امرة ازدمير باشا ،وعدد كبير من جنود المدفعية (BOA.kk.R.D.no.213 , النهروالي(د.ت):١٢٠).

في اواسط عام ١٥٥٥ م توجه عن طريق النيل الى المنطقة وارسل الفرسان عن طريق البر الا ان بعد المنطقة وسوء المناخ وعدم تعود الجنود على مثل هكذا مناخ كان سببا في فشل الحملة التي لم تستطع الوصول الى ابعد من موقع يسمى شلال في ولاية الصعيد، وكذلك الخلافات التي حصلت بين الجنود والتي ادت الى ان يتخذ قرار بإيقاف الحملة(Orhanlu,1965:45،بيات،٢٠٠٧: ٤٥٣) ،وهو امر طبيعي اذ لايمكن الاعتماد على هؤلاء في تنفيذ تلك المهمة الصعبة، وهناك من المؤرخين من يعد هذه الحملة (استطلاعية) قبل تنفيذ حملته الاساسية ومما يوكد ذلك قلة اعداد الجند المشاركين في الحملة الاولى فلا يعقل ان يخوض حربا مهمة مع عدوين لا يستهان بهما هم الاحباش والبرتغاليين بهذا العدد المحدود من الجند ،فالحملة الثانية هي الاساس التي عول عليها في استحداث البكلربكية الجديدة.

بدا ازدمير باشا بأعداد العدة لإعادة الكرة من جديد ، فجهز جيشا قوامه (٣٠) الف جندي و(١٠٠٠) من حملة البنادق جلبوا من استانبول و (٦٠٠٠) متطوع من اتراك مصر وكثير من ابناء جنود الدولة المملوكية السابقة ، واستطاع الوصول بهم الى مناطق لم يصلها احد قبله، انطلقت الحملة من مصر في خريف ١٥٥٥م ، وتم اختيار هذا الوقت بسبب الحرارة الشديدة في هذه المناطق ،ونقلت القوات بحرا الى سواكن التي ستكون مركز البكلربكية الجديدة وكان هدفه الاول الاستيلاء على المدينة الساحلية مصوع وميناؤها والتي كان يتواجد فيه مجموعة من التجار العثمانيين والميناء من اهم الموانئ التي تؤمن اتصال الحبشة بالبحار التي حولها وكان مهما للتواصل مع البرتغاليين(Orhanlu,1965:45،غيث(د.ت) :١٦٠، سبي،١٩٧٤: ١٣٣-١٣٤)، وبعد ان استقروا في مصوع عام ١٥٥٧جعلو اميرها البلوي نائبا ثانيا للسلطان العثماني _ولذلك سميت اسرة البلوي(النواب) وكان مركزهم في حرقيقو التي تبعد عن مصوع ثمان كيلو مترات الى الجنوب- واعطي صلاحيات ليتصرف في شؤنها الداخلية ويشرف على كماركها وينظم امور عشائرها مع بقاء حامية عسكرية عثمانية في قلعتها لحمايتها من الاخطار الخارجية ، كما سيطر على حرقيقو المقابلة للميناء(Miran,2007:38,41 ، العطا،٢٠٠٧: ٦٠).

استمرت تلك العمليات طول سنوات ١٥٥٦م حتى عام ١٥٥٧م وتغير الوضع لصالح المسلمين في تلك المنطق بعد ان ثبت العثمانيون سلطتهم على كل سواحل البحر الاحمر الافريقية واغلقوا مضيق باب المندب من الجانبين في وجه السفن البرتغالية لذلك يرد ذكر اخر هجوم برتغالي عام ١٥٥٦، كذلك استأنف مسلمي امارة عدل هجومهم على الاحباش فقد اقام ازدمير باشا اتصالا مع نور الدين بن مجاهد ابن اخت الامام احمد بن ابراهيم وخليفته الذي تزعم المقاومة ضد الاحباش بعد مقتل الامام احمد عام ١٥٤٣، وقدم له مساعدات عسكرية حتى تمكن عام ١٥٥٩م من سحق جيش الملك كلاوديوس (١٥٤٠-١٥٥٩) وقتل كلاوديوس نفسه ، وعلى اثر ذلك عقدت معاهدة سلام بين امارة عدل والاحباش واستمرت بموجبها امارة عدل تحكم الجزء الشرقي من الحبشة الجبلية بينما ملك الحبشة يحكم الجزء الغربي من المناطق الجبلية الطناشي (٢٤٤-٢٤٤:١٩٩٦ ;Henze,2001:89 ، بن محمدشعيب،٢٠٠٥: ١٢٤).

بعد ان وطد ازدمير سلطته على الساحل وقطع الاتصال بين الاحباش والبحر الاحمر اتجه بعملياته العسكرية نحو الداخل ، ولاسيما اثناء انشغال الملك الحبشي كلاوديوس في حربه مع الامام نور الدين بن مجاهد عام ١٥٥٧م فكانت وجهته امارة دوبارو التي كانت مقرا لبحر نجاش أي ملك البحر واسمه اسحق او يشاق ، وكان يتبع ملك الحبشة وهو الذي كان سابقا يسهل وصول النجدات البرتغالية الى الاحباش ، الا انه كان طموحا وهدفه توسيع مملكته وضم اقليم التغراي[٤] اليها ولأجل هذه الغاية تحالف مع زعماء هذا الاقليم ومع نائب حرقيقو لكي يوصله الى العثمانيين ليحصل منهم على اسلحة نارية وقد تحقق له ذلك وفي المقابل سمح لهم ببناء قلعة ومسجد في عاصمة دوبارو؛ فاصبح بذلك تحت حمايتهم

وقد انضم الى هذا التحالف ملكة مزجة البلوية التي كانت تحكم حوض القاش ويصل نفوذها الى اقليم (وليقايت) في التغراي وكانت تسمى جعيوه [٥] ، ومن الطبيعي ان يستغل العثمانيين تلك الطموحات بل والخلافات المذهبية الموجودة في الحبشة لتحقيق اهدافهم.

زحفت القوات العثمانية وحلفائها الى اقليم التغراي عام ١٥٥٧وسيطرت على منطقة (دبرا دامو) المقدسة لدى الاحباش ،وقد ادت العمليات العسكرية في هذه المنطقة الى تدمير الدير الذي اسسه ملك الحبشة لينا دنجل_ الذي اشتهر عنه اهتمامه بالكنائس وزخرفتها وتجديد القديم منها فقد استغرق بناء احد الكنائس خمس وعشرون سنة انفق عليها اموالا طائلة وزينها بصفائح الذهب واللؤلؤ والمرجان _(الجيزاني،١٩٥٨: ١٨٩، الطناشي ،١٩٩٦: ١٨٧)،كما دمر مرقد لينا دنجل نفسه في الاقليم ، وحققت القوات العثمانية بقيادة ازدمير باشا انتصارات باهرة فدخلت مدينة دوبارو وماحولها تحت الحكم العثماني وسقطت شبه جزيرة يوري بيده ، وقد اتخذ ازدمير باشا من مدينة دوبارو واقليم التغراي قاعدة لتحركاته العسكرية في الداخل الحبشي وذلك عام ١٥٥٩(Budge,1928:347-348 ، بيات، ٢٠٠٧: ٤٥٣). وبعد تلك الانتصارات كتب بحر نجاش الى ملك الحبشة متباهيا بعلاقاته مع العثمانيين بقوله: "لم يكن تحالفي مع الباشا العثماني بواسطة سفراء ولكنه تحالف تم بالجلوس مع الباشا على مائدة واحدة وعلى قدم المساواة(Budge, 1928:348-349 ،، سبي،١٩٧٤: ١٣٤).

كان ازدمير يفكر بعد وصوله الى المنطقة بأطلاق العنان لفتوحاته وتعزيزها فاطلق عملية عسكرية استهدف فيها المناطق التي تقيم فيها قبائل البجة[٦] في الجهة الشمالية الشرقية التي تتميز بوعورتها وطقسها الحار، الا انه لم يتمكن من تحقيق هدفه، فمع توسع الفتوحات كان بحاجة الى المزيد من القوات ، لذلك طلب من استانبول ان تمده بالقوات اللازمة لإتمام عملية التوسع في الداخل اراضي الحبشة ،الا ان طلبه لم يلق اذانا صاغية(Orhanlu,1965:52 ، بيات،٢٠٠٧: ٤٥٤).

بعد هذه الانتصارات التي حققها ازدمير سرعان ما واجه عدوا اخطر من الاحباش وهو قساوة المناخ في المناطق الجنوبية الشرقية التي كانت شديدة الحرارة ،وكان قد تقدم به العمر، واصيب جنده بالمرض وخسر الكثير من قواته حتى راح ضحية المرض الذي اصابه بسبب ضربة الشمس وفقد القدرة على ركوب الخيل فتوفي عام ١٥٦٠ م(كاتب جلبي،١١٤٥هـ: ٥٥، Casale,2010: 108;E.I:235)، وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ وفاته فمنها ما ذكر انه توفي عام ١٥٥٩ ومنها من جعل تاريخ وفاته ١٥٦٢(،ايفانوف،١٩٨٨: ١٧٤، اوزتونا،١٩٨٨: ٣٣٢)، وهذا الاخير بعيد جدا، وادق الروايات التي تقول انه توفي عام ١٥٦٠ استنادا الى النهروالي الذي تابعته مصادر كثير بل ان تاريخ تعيين ابنه عثمان باشا خلفا له عام ١٥٦١م ينفي الرواية التي تقول ان وفاته عام ١٥٦٢.

بينما يذكر سبي انه قتل في معركة وقعت في هضبة التغراي بينه وبين الملك الحبشي صرصا دنجل عام ١٥٧٨م كما قتل معه بحر نجاش اسحق والملكة جعيوه وعددا كبيرا من جنودهم ، كما يذكر انه

عندما وضع راس ازدمير امام صرصا دنجل مع بحر نجاش اسحق قال متشفيا " هكذا اردت ياسحق ان تكون مع الباشا في بساط واحدة وعلى قدم المساواة في الحياة والممات " (في اشارة الى مقولة اسحق المارة الذكر)_ الا ان هناك لبس في الامر فالذي قتل في هذا التاريخ هو احمد باشا امير امراء الحبشة للمدة(١٥٧٧-١٥٧٨) في معركة مع الحلف البرتغالي الحبشي_، وواصل صرصا دنجل زحفه الى دوبارو فدمر القلعة التي بناها ازدمير والمسجد واباح المدينة للنهب مما دفع السكان الى اللجوء الى السواحل الارتيرية حيث استضافهم نائب حرقيقو(سبي،١٩٧٤: ١٣٤-١٣٥، بيات،٢٠٠٧: ٤٥٥).

الا ان المصادر التي بين ايدينا لم تذكر هذه الحادثة بل اشارت الى موت ازدمير بمرض اصابه ضربة شمس بسبب تأثيرات المناخ التي لم يحتملها لا هو ولا جنوده ، بل يذكر النهروالي ان الاحباش لم يتمكنوا من السيطرة على دوبارو الا بعد موت ازدمير باشا وخربو كل ما بناه فيها(النهروالي،(د.ت) :١٢٠)، فالقوات العثمانية رغم الرعب الذي اصابها بسبب موته الا انها بقيت في مصوع وحرقيقو ومناطق اخرى على الساحل ، وهي التي تشملها حدود دولة ارتريا الحالية

كان من نتيجة جهود ازدمير باشا ان انتشر الاسلام في مناطق كثيرة من الحبشة ونتيجة لجهوده تحول نصف سكان الحبشة الى الاسلام ولا يزالون الى اليوم ، وقد اعتنق الكثير من النصارى والوثنيين الاسلام ، كما اصبحت الدولة العثمانية للمرة الاولى قادرة على حماية البحر الاحمر بشكل كامل بالسيطرة على جانبي مضيق باب المندب(Oztuna,2011:3;Orhanlu,1965:52) ، كما الحقت اكثرية المناطق الاسلامية في شمال افريقيا ببكلربكية الحبش ، وعلى اثر ذلك اتسعت عمليات تعريب البلاد واسلمتها ، فقد ادى انضواء المنطقة تحت السلطة العثمانية الى تقوية علاقاتها مع مصر والساحل الغربي لشبة جزيرة العرب ، وازدادت مكانة العرب واهمية اللغة العربية ، واظهرت الكتابات التي عثر عليها في جزيرة ابريم الواقعة في اضيق نقطة من مضيق باب المندب والتي تعود الى القرن السادس عشر المستوى الرفيع للثقافة العربية ، وانتشرت اعمال بناء الاضرحة والزوايا والمساجد واعيد بناء عدد كبير من القلاع والمناطق السكنية ونشطت الحياة في المدن(ايفانوف،١٩٨٨: ١٧٣).

وقبل ان نختم الحديث عن الجهود العسكرية لازدمير باشا لابد من الاشارة الى ان هناك جهود موازية كانت تبذل من الاسطول التابع له في البحر الاحمر ومداخله يقودها بحار فذ بذل جهودا كبيرة فاقت ما بذل اسلافه واستحدث اساليب جديدة للقتال في البحر الاحمر والمحيط الهندي تختلف عن الاساليب التي اتبعها سابقيه ومنهم سليمان باشا الخادم وبيري ريس ومراد ريس وسيدي علي ريس الذين اتبعوا الاساليب القتالية التقليدية التي كانت سائدة في البحر المتوسط والتي اثبتت فشلها في البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وبتغيير اساليبه في القتال اضحت السيادة في هذه البحار للدولة العثمانية التي سرعان ما انتزعت من جديد التفوق التجاري من ايدي البرتغاليين ذلك هو البحار (سيفر ريس) الذي كان يعمل تحت امره ازدمير باشا ، الا انه للأسف الشديد لا تشير المصادر الى معلومات وافية عن اصوله وعائلته، وقد

ذكرته المصادر البرتغالية بصفته قرصان، وتذكره وإشارة ضعيفة الى انه ابن البحار سنان الذي كان يعمل تحت امرة الاخوين بربروسا في شمال افريقيا في حين لا يذكر في الوثائق العثمانية بشكل واضح ، وقد كان الفضل الكبير في الانتصارات التي تحققت على البرتغاليين في هذه الفترة ، الى اساليبه القتالية التي لم تعتمد على السيطرة على الارضي ، وانما على السفن التي سيطر عليها ، اذ لم تكن حملاته تستهدف المعاقل البرتغالية يقدر ما استهدفت سفنهم ؛ لذلك كانت حركة الملاحة في هذه المنطقة معرضة الى الهجمات العثمانية حتى اصبحت النفقات العسكرية البرتغالية بفضل جهوده مكلفة للغاية (Casale, 2010: 112).

وقد امنت هذه الجهود ظهر ازدمير باشا في عملياته العسكرية على السواحل الغربية للبحر الاحمر ، وفي الداخل الحبشي ، وقللت من قدرة البرتغاليين على اعتراض سفن الشحن الاسلامية ، كما ان العمليات البرتغالية لتعقب سفن سيفر بك كانت غير ناجحة ، وكانت السنوات التالية للعام ١٥٥٤م فترة صعود عثماني غير مسبوق في المحيط الهندي ، وما ان حل عام ١٥٦٠ م حتى اصبحت المخا القاعدة المتقدمة للعثمانيين بدلا من قناة السويس تشهد انشاء عددا من السفن الحربية الجديدة(Casale, 2010:110 – 112)، وهكذا كان لجهود ازدمير باشا في تأسيس بكلربكية الحبش اهمية في تامين البحر الاحمر وايجاد قواعد متقدمة للعثمانيين في بحر العرب والخليج العربي كما ان طريق الهند اصبح جحيما على البرتغاليين الذين فقدوا تفوقهم التجاري، وقد ازدادت هذه المخاطر في الفترة التي تلت عهد التأسيس.

ثانيا: ادارة البكلربكية:

١- الخارطة الادارية:

لم تمتد البكلربكية لتشمل بلاد الحبشة ، الا ان التسمية جاءت من كون المناطق الساحلية التي تمت السيطرة عليها هي مخارج للحبشة ، الا انه من المؤكد ان كل الاراضي الممتدة على الساحل الغربي للبحر الاحمر من جنوب مصر حتى خليج عدن ضمن البكلربكية المستحدثة وعاصمتها سواكن الى جانب سناجق اخرى هي ابريم وحرقيقو ومصوع وزيلع والنوبة السفلى(ايفانوف،١٩٨٨: ١٧١)، فمن المعلوم ان الدولة العثمانية كانت قد انشات لواء سواكن عام ١٥٥٤م وربطته اداريا بمصر الا انه بعد عام ١٥٥٥م اصبحت اداريا تخضع لبكلربكية الحبش ، كما ان بعض الجزر التي كانت تدار من اليمن اصبحت تابعة لها ومنها جزيرة دهلك (BOA.kk.RD.no.212:78 ، وثائق بحرية عثمانية(د.ت) الوثيقتان(٤٠)و(٤١))، فضلا عن الوية اخرى لم تشر اليها الوثائق العثمانية وبهذا اصبحت هذه المناطق تخضع لإدارة مستقلة وانتهت سلطة مصر واليمن عليها، ومع ذلك لا توجد لدينا تفاصيل عن سناجقها في هذه الفترة المبكرة في تأسيسها ، وعلى الرغم من ان سواكن هي عاصمة الايالة الجديدة ، الا ان ازدمير باشا لم يستقر فيها فقد كان منشغلا بالفتوحات داخل الحبشة حت توفي في اقليم دوبارو

اما الأمارتان الاسلاميتان عدل والفونج [٧] الواقعة في الجزء الشمالي من السودان الشرقي ، فلم ترتبطان بها بل احتفظتا بخصوصيتيهما وحكمهما الذاتي على ان ولائهما كان للدولة العثماني(Trimingham,1952:115 ،ايفانوف١٩٨٨: ١٧١).

بعد ضم هذه المناطق اصبحت سواكن مركزا لها، وبذلك انتقلت من كونها مركز لواء الى مركز بكلربكية ، واطلق عليه على اثر ذلك لواء الباشا ، لأنه اصبح مقر لإقامة امير الامراء (البكلربك)، وقد بنى فيها قصرا كبيرا يصفه اوليا جلبي بانه عظيم وشامخ وبنى جامعا له مأذنة(اوليا جلبي،٢٠٠٦: ٤٤٨)، ولا توجد لدينا صورة واضحة عن التقسيمات الادارية لها في هذه الفترة المبكرة على الرغم من وجود اوامر ادارية بتعيين امراء الوية فيها الا انه لم تذكر اسماء الالوية في معظمها ، وقد اسندت الدولة في معظم الاحيان امرة الالوية الى زعماء العشائر الكبيرة(الكباشي،١٤٣٣هـ:٢٠٤، بيات،٢٠٠٧: ٤٥٩-٤٦٠).

ولهذا لا توجد لدينا خارطة ادارية واضحة عنها في عهد ازدمير باشا بل وفي العهود الذي تلته الا انه من المؤكد الساحل الغربي للبحر الاحمر من جنوب مصر حتى عدن كان ضمن الخارطة الادارية لها كما كانت هناك امتدادات داخلية الى اقليم دوبارو الذي خضع لسلطة ازدمير باشا عام ١٥٥٩كما اسلفنا .وبشكل عام فان الدولة العثمانية تركت ادارة الشؤون الداخلية للمناطق المفتوحة بيد الزعماء المحليين ولم تجر تغيرات كبيرة في هذه الشأن ،مراعية بذلك عادات وتقاليد السكان في المناطق المفتوحة.

ب- الجهاز الاداري :

١- البكلربك (امير الامراء): يقف على راس الجهاز الاداري ويحمل عادة لقب باشا وهو واامير الامراء في هذه الفترة ازدمير باشا هو الفاتح والمؤسس واول بكلربك عليها وقد تحدثنا عنه في وقت سابق ، ولم تشر المصادر الى وجود نائب له وحتى في الفترات اللاحقة عندما يتم عزل امير امراء وتعيين اخر يقوم بمهامه بعض الاداريين في الايالة ومنهم اغا الانكشارية(BOA.MD.no.28:339) .

٢- القاضي: وهو المسؤول عن تطبيق العدالة في البكلربكية وتعتمد احكامه على الشريعة الاسلامية لان غالبية سكان تلك المناطق مسلمين ، وكانوا قبل الوجود العثماني يخضعون لسلطة قضائية عشائرية يساندهم بعض العلماء المحليين او الذين درسوا في المناطق المحيطة بهم كمصر والحجاز ، الا انه في ظل الدولة العثمانية كان لابد من وجود جهة رسمية مختصة بالشؤون القضائية؛ فمن المعروف ان العثمانيين يولون اهمية كبيرة للقضاء الذي به تحفظ حقوق الرعايا، وفي هذه البكلربكية ثم تعيين عبد الوهاب افندي في ٣٠ تشرين الثاني ١٥٥٥م قاضيا براتب شهري مقداره ١٠٠ أقجة بموجب امرا صادرا بهذا الخصوص من مركز الدولة(BOA.kk.R.D,no.214:24) ، كانت مهمته الفصل في الخلافات وتحقيق العدالة قدر

الامكان ويصدر القاضي احكامه وفق المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة ، ويكون مقرة في سواكن وبقي كذلك حتى بعد انتقال مركز البكلربكية في الفترات اللاحقة الى مصوع وجدة كما تشير الى ذلك الوثائق العثمانية المتعلقة بالقضاء في الفترات اللاحقة (BOA.MD.no.7:550).

وعلى ما يبدو ان عبد الوهاب افندي كان قاضيا للواء سواكن عندما كان يتبع مصر، وبعد انشاء بكلربكية الحبش ارسل ازدمير باشا الى مركز الدولة يطلب الموافقة على تعيينه قاضيا للعموم البكلربكية ، وهو ما يفهم من الوثيقة التي بين ايدينا وهي عبارة عن رسالة بهذا الخصوص ارسلها ازدمير باشا يعرض فيها الميزات التي يتحلى بها القاضي من مقدرة على ضبط الشؤون القانونية فضلا عن انه صاحب علم وفضل ، ولمكانته وعلمه وعدله كان محط احترام وقبول الجميع ، ومع هذا فانه في وضع مادي صعب ليس له القدرة على مجابهة اعباء الحياة ؛ لذلك سعى للحصول على زيادة لراتبة ، وقد تمت الموافقة على هذا الامر استنادا الى تلك التزكية التي حصل عليها فاصبح راتبة (١٢٠) أقجة بعد ان اضيف له ايراد قضاء سواكن البالغ (٢٠)أقجة ، وقد ارسل السلطان امرا الى امير امراء مصر بهذا الخصوص،(وثائق بحرية عثمانية،(د.ت) الوثيقة رقم(٤٣))،ذلك ان كل رواتب موظفي البكلربكية في هذه الفترة بما فيها راتب امير الامراء بدفع من خزينة مصر.

٣- ادارة الامور المالية : كانت في بداية الامر بيد المدير المالي المسؤول عن الصرف على الجند والموظفين، ومع استقرار امور البكلربكية تحول اسمه الى (امين الصندوق) وهو المسؤول عن وارداتها وكل ما يتعلق بها من امور مالية وقد تولى هذا المنصب شخص يدعى احمد بيك في ١٧ تشرين الثاني عام ١٥٥٥ بموجب امر صادر من مركز الدولة(BOA.kk.no.214:13 ، بابكور،١٩٨٦: ٢٢٤) ، ولا توجد لدينا معلومات عن الاجر الذي كان يتقاضاه امين الصندوق فلم تشر الوثائق التي حصلنا عليها الى هذا الامر.

ولم تلجا الدولة الى تطبيق النظام الاقطاعي في ادارتها لبكلربكية الحبش ، بل استخدمت نظام الساليانه [٨] ، وهو اسلوب استخدم في المناطق البعيدة عن مركز الدولة والتي تحكمها صبغة عشائرية ، فضلا عن ان هذه المناطق كانت التجارة ابرز انشطتها الاقتصادية وكونها موانئ تمر بها اغلب طرق التجارة ، وكانت الدولة تدفع من خزينتها المصاريف الادارية الى جانب موارد الكمارك التي تشكل موردا هاما من مواردها، وفي الغالب كانت بعض واردات مصر تخصص للأنفاق عليها ، ولاسيما الواردات الكمركية ، فعلى الرغم من ان بكلربكية الحبش لها ادارتها المستقلة الا ان كل ما يتعلق بالجوانب الملية والدعم العسكري من قوات وتجهيزات كانت تحصل عليها من مصر وبدرجة اقل من اليمن، ففيما يتعلق بالجند منذ الاعداد للحملة التي

خرجت من مصر تستهدف اقامة تلك البكلربكية تشير اغلب الوثائق عن هذه الفترة والتي تخص الجيش الى اوامر صادرة الى امير امراء مصر بأرسال الاموال الى هناك لأغراض متعددة منها دفع راتب البكلربك وموظفيه وجنده ، وقد بقي الارتباط المالي للبكلربكية بمصر حتى عام ١٥٨٠، (وثائق بحرية عثمانية (د.ت) ،الوثيقة رقم (٣٠))، وكانت الدولة تضطر لإعطاء موظفيها هناك بعض الامتيازات لترغيبهم بالعمل في هذه المنطقة البعيدة ، فكانت رواتبهم اعلى من رواتب اقرانهم في اماكن اخرى ومنها مصر التي تدفع الاموال(BOA.MD.no.14:633) ، ولهذا كان تأخر الرواتب وعدم توفرها في الوقت المناسب يثير بعض المشاكل .

ثالثا: بكلربكية الحبش محطة تجارية عبر البحر الاحمر

ان التواجد العثماني في البحر الاحمر كان له اثره الايجابي على عودة الطرق التجارية القديمة عبره منذ حملة سليمان باشا الخادم الى المحيط الهندي عام ١٥٣٨وبعد فشل الحملة البرتغالية على السويس عام ١٥٤١ بدأت التجارة تشهد نشاطا ملحوظا حتى انها نافست التجارة المارة عبر الطرق المستكشفة حديثا والتي تصل الى لشبونة ، فبحسب الاحصاءات الجمركية لمرسيليا الفرنسية شهد العام ١٥٤٣ م بداية المنافسة بين تجارة التوابل المارة عبر هذين الطريقين ولاسيما تجارة الفلفل التي تصل الى البحر المتوسط عبر القوافل التجارية القادمة من الخليج العربي والبحر الاحمر وقد انعكس هذا الامر على رفاهية المدن المطلة على البحر المتوسط في بلاد الشام ومصر ، مما انعكس سلبا على عائدات التجارة البرتغالية وتفشت التجارة السوداء بين الحكام البرتغاليين(Ozbaran,1987:1 ،رضوان،(د.ت) :١٧))، وشهدت الخطوط البحرية عبر البحر الاحمر وعبر نهر النيل الى القاهرة والطرق المؤدية الى حلب عبر ايران والبصرة منافسة فيما بينها ، حتى ان سفير البرتغال في روما (لورنزو بيريس تافورا) قد حذر من هذا الامر بعد ان حصل على معلومات امده بها اليهوديان اسحق بكودو في حلب وماثيو بكودو في القاهرة تفيد بان اربعين الف قنطار [٩] هي المتوسط السنوي من البهارات التي تصل الى الاسكندرية ويقول بانه يجب ان لا نعجب من ان القليل منها يصل لشبونة لان اغلبها يصل الى العثمانيين ، وقد تفشت الفوضى بين البرتغاليين في المحيط الهندي ، وكان حاكم الهند نفسه يرسل تجارته عبر البحر الاحمر(رضوان (د.ت) :١٨، Casale,2010:115).

وكانت بكلربكية الحبش محطة مهمة لمرور التجارة عبر موانئها في مصوع وسواكن وزيلع وحرقيقو فاختيار هذا الموقع ليكون مقرا للبكلربكية الجديدة لم يكن عشوائيا فهي منطقة هامة تساعد على تحرير التجارة بعد ان احتكرها البرتغاليون ،ونجح العثمانيون خلال هذه المدة بتطوير شبكة واسعة من العلاقات التجارية تمتد من سواحل جزيرة سيلان الى سيام الى ساحل ملبار في الهند فازدهرت بذلك تجارة الفلفل والسلع الفاخرة عبر البحر الاحمر والخليج العربي وتجاوز حجم

التجارة وارداتها الارقام التي تحققت في عهد الاحتكار المملوكي للتجارة في القرن الخامس عشر الميلادي وكذلك ما حققته التجارة البرتغالية المنافسة، وتفسير هذا الانتعاش يتمثل بالجهود التي بذلها ازدمير باشا عند انشاء بكلربكية الحبش ، فضلا عن جهود سيفر بك في تامين الطرق التجارية (Casale,20110:11) ، وبفضل تلك الجهود اصبح الخليج العربي هادئا لفترة طويلة امتدت من عام ١٥٥٩-١٥٧٤م(رضوان،(د.ت) :١٢) ، وقد انعكس هذا الهدوء على حركة التجارة العثمانية وحجمها بل ان تجارة الهند لم تعد حكرا على البرتغاليين الذين تقاسموها مع التجارة الاسلامية.

وتشير ارشيفات جمارك مدينة مرسيليا الى التوابل القادمة من البحر الاحمر والخليج العربي بدأت تنافس البهارات القادمة الى لشبونة ، حتى ان حركة التجارة في البحر الاحمر المتوسط بدأت بالانتعاش مع القوافل غير المحدودة القادمة من الخليج العربي والبحر الاحمر ، وتطورت مع مرور الوقت موانئ بعض المدن كحلب وطرابلس الشام والقاهرة والاسكندرية بصفتها بوابة طريق بهارات الشرق المفتوحة على اوربا ، وفي المقابل ازدادت واردات الدولة العثمانية من عائدات الكمارك مع مرور الزمن ، فعلى سبيل المثال ارتفعت عائدات الكمارك في اليمن من (٢,٥) مليون قطعة ذهبية مع بدية استحداث البكلربكية الى (٤,٥) مليون قطعة ذهبية عام ١٥٦٠ ، وكانت سلطنة اتشيه في جزيرة سومطرة على وجه الخصوص ترسل الكثير من التوابل سنويا الى موانئ البكلربكية ، وعلى الرغم من محاولات البرتغاليين بين عامي ١٥٥٤-١٥٥٩م اعتراض طريق القوافل العثمانية في البحر الاحمر؛ الا ان محاولاتهم باءت بالفشل ، وبدأت قوافل توابل الشرق الاقصى والخزف الصيني تتوافد على مياه البحر الاحمر ، وكانت الدولة تكسب اموالا طائلة من البضائع المبيعة الى التجار الاوربيين في الموانئ المصرية والشامية حتى ان حمولة التوابل القادمة عبر البحر الاحمر تتراوح بين (٢٠-٤٠) قنطار بين عامي ١٥٥٤-١٥٦٠ (امجان ،٢٠١٤: ٣٩٩)، فعلى سبيل المثال منذ استحداث لواء سواكن عام ١٥٥٤م وحال مباشرة ازدمير باشا بعملياته العسكرية لاستحداث البكلربكية في العام التالي اشترى تجار البندقية لوحدهم ستة الاف قنطار من التوابل من ميناء الاسكندرية ، وقد ادى هذا الامر الى حدوث ازمة اكثر من مرة في سوق التوابل في لشبونة عاصمة البرتغال ، وحتى تاريخ وفاة ازدمير باشا مؤسس البكلربكية عام١٥٦٠ اصبح حجم تجارة التوابل المارة بموانئ البكلربكية على البحر الاحمر يفوق حجم التجارة المارة عبر طريق راس الرجاء الصالح (Braudel,1949: 427) ، وقد استعادت طريق التوابل القديمة كامل نشاطها في الفترة ١٥٥٥-١٥٧٠ ، فكانت ترد كميات من التوابل تزيد بكثير عما كانت عليه في السابق ، مما جعل البرتغاليون في قلق

كبير خشية ان لا يتمكنوا من الحصول على ما يكفيهم من التوابل ، فقد كانت التوابل تشحن الى اوربا مباشرة غبر موانئ سواكن ومصوع وزيلع وبكميات كبيرة جدا(Braudel,1949: 430) .

وقد كان لحركة الانتعاش التي حققتها الدولة العثمانية في مجال التجارة المارة عبر البحر الاحمر دورا رئيسا في تكبيد البرتغاليين خسائر فادحة على الصعيدين السياسي والتجاري وفقد البرتغاليين كل امل لهم بالسيطرة على البحر الاحمر وحتى سيطرتهم في المحيط الهندي لم تكن مطلقة(امجان، ٢٠١٤: ٤٠٠)، وبهذا وجهت الانشطة التجارية للدولة العثمانية في البحر الاحمر والخليج العربي ضربة قاصمة لتجارة البرتغال واسهمت في احياء طريق التوابل القديم ، وقد ساعد على ذلك ترسيخ الدولة العثمانية دعائم سيطرتها على بكلربكية الحبش ، فالعثمانيون يعتبرون تلك السيطرة صمام امان لاستمرار ذلك النجاح .

كذلك كان للسيطرة على المنطقة اثرة عل تجارة مملكة الحبشة ذاتها التي اصبحت تحت رحمة العثمانيين فهذه الموانئ الساحلية هي منافذ للتجارة الحبشية وقد كان حاكم حرقيقو العثماني يفرض رسوما على مرور القوافل التجارية من والى الحبشة(عودة،١٩٨٩: ٢٩).

رابعا : الانشطة الاقتصادية للبكلربكية:

كانت اغلب المدن التي تتكون منها البكلربكية ساحلية لذا فأنها عبارة عن موانئ تمر عبرها التجارة من الهند حتى تصل الى موانئ البحر المتوسط ، وتشكل واردات هذه التجارة ولاسيما الواردات الكمركية احد اهم الموارد التي تعتمد عليها في اقتصادها ، كما مارس تجار الداخل دورا كبيرا في نقل بعض المواد الضرورية الى الدواخل الحبشية فعلى سبيل المثال كان تجار سواكن يحملون العطور والروائح الهندية والصابون والمنسوجات وبعض انواع التوابل والعدد الحديدية الى الداخل ويعودون بالرقيق والصمغ وانياب الفيل (العاج) ، وكان حجم التبادل التجاري كبير فالقافلة الواحدة تتراوح بين (٢٠٠٠-٣٠٠٠) جمل(صالح (د.ت) :٢) ، فضلا عن عائدات الدولة من الرسوم المفروضة على تلك التجارة ، ومما ساعد على الانفراد بالنشاط التجاري بين السواحل والدواخل الحبشية ازدراء نصارى الحبشة للأعمال التجارية فهم لا يرون انفسهم الا محاربين ورعاة وزارعا.

كما كانت تمارس التجارة مع عدد من البلاد العربية ومنها الحجاز ومصر واليمن ، فكانت تصدر الى تلك المناطق الذهب والرقيق والتبغ وريش النعام والذرة والجلود المدبوغة والقرب التي تباع في الحجاز لاستعمالها لسقي الحجاج وكانت اثمان القرب التي تباع في الحجاز غالية حتى انها تعادل ثمن شاة في بكلربكية الحبش وتدر هذه التجارة ولاسيما تجارة الجلود ارباحا كبيرة لها، كذلك كان السمن المصدر الى مكة وجدة من المواد الاساسية التي لا تستغني عنها هاتين المدينتين ويأتي عن طريق سواكن ومصوع ، وتجارة الحصران كانت رائجة بين موانئ البكلربكية

وجدة ومكة واليمن فهي ضرورية لفرش ارضيات المساجد ولاسيما في مكة فقد كانت تلك الحصر تجدد سنويا ، كذلك تجارة الخيول التي كانت اسواقها الرئيسية في ميناء الحديدة وتباع هناك ب(٤-٦) اضعاف ثمنها في البكلربكية(Holt,1961:12-14) .

ونظرا لان اغلب مدن البكلربكية ساحلية فأنها تمارس صيد السمك واستخراج اللؤلؤ وقد اشارت بعض الوثائق العثمانية الى هذا النشاط الاقتصادي الذي يشكل احد مواردها المهمة(وثائق بحرية عثمانية (د.ت) الوثيقة(٤٩)) ، وكانت سواكن ومصوع ودهلك تشتهر بثروتها الكبيرة من اللؤلؤ وتروس السلاحف وقرون الخرتيت والعاج وريش النعام ، وهي الثروات المهمة هي التي جعلتها مطمعا للبرتغاليين الذين غزوها عام ١٥١٣م قبل مجيئ العثمانيين الى المنطقة واستمروا في احتلالها ما يقرب ٤٠ عاما(عودة ،١٩٨٩: ٢٠)، وتجارة الملح من التجارات الرائجة بين سواكن والمناطق الداخلية الحبشية التي يسكنها البدو وفي كل عام يصل من برج طوزله _الذي اقامه ازدمير باشا على الساحل_ في كل عام حمل مائة الف جمل ، فعندما ينحسر ماء البحر يظهر الملح الابيض فيقوم السكان بجمعه وتصفيته ونقله على الجمال الى الداخل، كما كان الذهب احد الموارد المهمة التي تدر دخلا عليها(اوليا جلبي ،٢٠٠٦: ٤٤٨، صالح (د.ت) :٢) .

اما في الداخل فقد كان اغلب السكان يعيشون حياة البداوة واشهر القبائل التي تسكن المنطقة هي قبائل الجالا التي تمارس رعي الاغنام والابل وهي من القبائل الغنية التي تمتلك مساحات كبيرة من الاراضي(صالح (د.ت) :٤) فضلا عن تجارة المنسوجات والاقمشة التي تأتي الى المنطقة عن طريق مصر كما تأتي عن طريق الهند ، كذلك تجارة البن مع اليمن ، كما ان قوافل الحجاج التي تمر في هذه المناطق هي الاخرى تشكل احد الموارد الرئيسية(اوليا جلبي ، ٢٠٠٦: ٤٤٨-٤٥٨)، فقد كانت تلك المدن الساحلية طريقا لقوافل الحج القادمة من افريقيا الى مكة والمدينة .

وعلى الرغم من وجود هذه الموارد الا ان الدولة ممثلة بازدمير باشا لم تتدخل بها بشكل مباشر لأنها تركت الامور الداخلية بيد السكان والتفتت الى العمليات العسكرية؛ لذا لم تكن هذه العمليات تتم تحت اشراف الدولة عدا ما يتم تحصيله من الواردات الكمركية .

خاتمة

يعد تأسيس بكلربكية الحبش نقطة تحول في تاريخ المنطقة على الصعيد السياسي والاقتصادي ، فقد ادى التواجد العثماني الدائم ودورهم في تلك المنطقة وسيطرتهم المطلقة على البحر الاحمر ومداخلة ، الى استقرارها وعجز البرتغاليين عن ان يكون لهم أي نفوذ فيه ،وهو ما انعكس على امن المنطقة وحماية الديار المقدسة والحجاج السالكين طريق البحر الاحمر، كما ادى الى تعزيز قوة المسلمين في سواحل البحر الاحمر الغربية على مجابهة الاحباش بعد ان

اخذت الدولة العثمانية تتوغل في اراضي الحبشة ذاتها، وانتعاش تجارة البحر الاحمر والمتوسط وعودة الطرق التجارية القديمة الى سابق عهدها بل ان انشاء هذه البكلربكية كان سببا في تدهور تجارة البرتغاليين فاضطروا الى ارسال مبعوثهم الى السلطان سليمان القانوني للتفاوض من اجل عقد صلح واقامة علاقات تجارية لإنقاذ تجارتهم ، كما ان الطرق التي سلكتها التجارة البرتغالية اصبحت غير امنه بسبب الانشطة البحرية العثمانية .

وكل هذا كان لازدمير باشا دور فيه من خلال الجهود التي بذلها هناك ،فقد اجمع معظم المؤرخون على انه كان يمتلك نفوذا اسطوريا في المنطقة ، واستطاع ان يوظف الخلافات والمشاكل الداخلية للحبشة وطموحات بعض الامراء في تعزيز سلطته كما فعل مع بحر نجاش .

وكان موت ازدمير باشا خسارة كبيرة اضرت بالتواجد العثماني في المنطقة ،ولاسيما في اقليم التغراي ومدينة دوبارو تحديدا اذ استطاع الاحباش توحيد جهودهم مستغلين حالة الهلع التي اصابت الجيش العثماني بعد موته. وقد تم من خلال البحث تصحيح بعض الاخطاء التاريخية المتعلقة بطريقة موته وحتى تاريخها الذي اختلف فيه المؤرخون

وعلى الرغم من هذا التراجع الا ان المكاسب السياسية والاقتصادية التي حققها بقيت قائمة على المدى الطويل ، فقد ظل العثمانيون يحتفظون بالدور الاول في التجارة بين الشرق والغرب.

وعكس البحث الامكانات الاقتصادية للبكلربكية وما تملكه من موارد جعلتها تدريجيا تستقل ماديا عن مصر بعد فترة التأسيس.

ثبت المصادر

الوثائق العثمانية غير المنشورة

Basbakanlik Osmanli Arsivi Kamil Kepeci, Runs Deftere ,no .209

Basbakanlik Osmanli Arsivi ,Kamil Kepeci ,Ruus Deftere,no.210

Basbakanlik Osmanli Arsivi, Kamil Kepeci, Ruus Deftere ,no .211

Basbakanlik Osmanli Arsivi, Kamil Kepeci, RuusDeftere no.212

Basbakanlik Osmanli Arsivi , Kmil Kepeci, Ruus Deftere, no.213

Basbakanlik Osmanli Arsivi , Kamil Kepeci , Ruus Deftere ,no.214

استخدمنا لها في المتن الرمز (BOA.KK. RD)

Basbakanlik Osmanli Arsivi Muhime Deften,no.1

Basbakanlik Osmanli Arsivi ,Muhmme Deftere,no.7

Basbakanlik Osmanli Arsivi, Muhmme Deftere,no.14

Basbakanlik Osmanli Arsivi , Muhmme Deftere ,no . 28

استخدمنا لها في المتن الرمز (BOA.MD)

وثائق منشورة

فاضل مهدي بيات ، البلاد العربية في الوثائق العثمانية مجلد ١، (استانبول، ٢٠١٠م –

– وثائق بحرية عثمانية عن قبودان السويس والدور العثماني في مجابهة البرتغاليين ،اعداد: محمد محمود خليل، (القاهرة، د.ت(

المصادر العربية

– احمد صدقي شقيرات ، تاريخ الادارة العثمانية شرق الاردن ١٨٦٤-١٩١٨،(عمان ،١٩٩٢

– غيثاء احمد نافع ، العلاقات العثمانية المملوكية ١٤٦٤-١٥١٧،(بيروت ،٢٠٠٥ –

– يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠-١٨٢١، ط٤، (الخرطوم، ٢٠٠٣)

– ابراهيم بجوي ، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ترجمة :ناصر عبد الرحمن حسين،ج١، (القاهرة،٢٠١٥

– الحاج علاوي ،نسيبة عبد العزيز، البحار العثماني محيي الدين بيري ريس حياته وجهاده البحري ١٤٦٥-١٥٥٤، مجلة التربية والعلم ،العدد٤ المجلد١٦،جامعة الموصل٢٠٠٩ .

– انعم محمد عثمان الكباشي ، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني ، مجلة الدارة ، العدد ٤ ، لسنة ٣٨، السعودية / شوال / ١٤٣٣هـ.

– اوليا جلبي، الرحلة الى مصر والسودان والحبشة ، تعريب : حسين مجيب المصري واخرون،مجلد٢ ،(القاهرة، ٢٠٠٦

– حسين مجدي صالح ، الاتصالات التجارية والبشرية والدينية على ساحل البحر الاحمر ، سواكن ودورها في رحلة الحج الى الحجاز حتى العصر الحديث ،(القاهرة ،د.ت)

– خديجة احمد الطناشي ، العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية والمسيحية في الحبشة خلال النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادي ،(طرابلس ،١٩٩٦).

– رياض محمود الاسطل ، الصراع الاسلامي البرتغالي واثره في حركة التجارة الدولية ١٥٠٠-١٧٣٠ ، اطروحة دكتوراه كلية الآداب ، جامعة السند ، باكستان ،١٩٩١

– سيد احمد العراقي ، الاسلام والصليبيون في ساحل افريقيا ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٣ ، السنة السابعة ، البحرين ،١٩٨٨).

– سيد محمد السيد ، مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر، دراسة وثائقية في النظم الادارية والقضائية والمالية والعسكرية ، (القاهرة ،١٩٩٧ (– طارق محمد نور ، اضاءه على جانب

من تاريخ السودان في ضوء الوثائق العثمانية (سواكن ١٨٤٠- ١٨٦٤) بحوث المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي ، الدراسات الانسانية والتربوية ، المجلد الثاني ، جامعة الخرطوم ، شباط ،٢٠١٣

- شمس الدين الكيلاني ، الاسلام واوربا المسيحية من القرن الحادي عشر الى نهاية القرن السادس عشر الحرب والسياسة والتجارة والثقافة ،(دمشق،٢٠٠٧).

- شهاب الدين احمد بن عبد القادر الجيزاني ، فتوح الحبشة ، تحقيق رينيه باسيه ،(باريس ،١٩٨٥).

- شيخه بنت صالح بن محمد شعيب ، ميناء الشحر في القرن العاشر الهجري السادس الميلادي دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٥. .

- صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة : عبد الجبار ناجي ، (بغداد،١٩٨٩).

- عبد العزيز عثمان ، البرتغاليون في شرق افريقيا وطردهم منها ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ السنة السابعة ، البحرين ،١٩٨٩).

- عبد الله خضر احمد ، اثر الهجرة في تكوين الامارات الاسلامية بأفريقيا ،مجلة قراءات افريقية ، العدد١٩، يناير/مارس، الرياض، ٢٠١٤).

- عبدالوهاب القيسي ، موقف الدولة العثمانية من الغزو البرتغالي للمياه العربية ، مجلة الخليج العربي ، العدد ١ ،مجلد ١٢ ، البصرة١٩٨٠

- عمر سالم بابكور ، حزام الامن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة ام القرى ، مكة، ١٩٨٦

- عوض عبد الهادي العطا ، العثمانيون في البحر الاحمر ، مجلة دراسات افريقية ، العدد ٣٧، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، ٢٠٠٧

- غالي عودة ، ارتريا بلاد المسلمين وصراع النفوذ ،(عمان ،١٩٨٩).

- غسان محمد الرمال ، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (السعودية ،١٩٨٥

- فريدون امجان ، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين ، حقائق في ضوء المصادر ، ترجمة: جمال فاروق واحمد كمال ، القاهرة ، ٢٠١٤

- نبيل عبد الحي رضوان ، جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي من خلال الوثائق العثمانية ١٥٣٨-١٥٥٩م،(مكة ،د.ت

- نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي ،النشاط البحري لكمال ريس١٤٥١-١٥١١،مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ،جامعة الموصل ،العدد١، المجلد١٤،كانون الاول٢٠١٧).
- نورة عبد الرزاق العلي ، السلطان سليمان القانوني حياته ،حروبه ، ادارته ، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة دمشق ،٢٠١١.
- نيقولاي ايفانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة :يوسف عطا الله (بيروت،١٩٨٨).
- هشام بن محمد علي بن حسن عجيمي ، معجم مفردات ومصطلحات وتعبيرات المكاييل والمقاييس والموازين في الدولة العثمانية ،(مكة ،١٤٣٠هـ
- عثمان صالح سبي ، تاريخ ارتريا (ارتريا،١٩٧٤
- محمود شاكر ، الكشوف الجغرافية ...دوافعها حقيقتها ،(بيروت،١٣٦٣هـ
- محمد صالح ضرار ، تاريخ سواكن والبحر الاحمر ، (الخرطوم ،١٩٨١ -
احمد بن علي المقريزي ، الالمام من بارض الحبشة من ملوك الاسلام ،(مصر،١٨٩٥). -
سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الاول لليمن١٥٣٨-١٦٣٥، (القاهر،١٩٧٧-
فاضل مهدي بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ،(بيروت ،٢٠٠٧ -
فتحي غيث ، الاسلام والحبشة عبر التاريخ (القاهرة ،د.ت)-
قطب الدين محمد بن احمد النهروالي ،البرق اليماني في الفتح العثماني ،(الرياض، د.ت-
محمد بن احمد اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ،ج٤،تحقيق : محمد مصطفى ،(القاهرة ،١٩٦٠).
محمد عنان البخيت ونوفان رجا الحمود ، دفتر مفصل لواء عجلون (طابو دفتري رقم ٩٧) ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ،١٩٨٩).
هـ) - اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج١، (مصر ١٣١٢

المصادر العثمانية

كاتب جلبي ، جهاننما ، (استانبول ، ١١٤٥هـ) -
صطفى نوري باشا ، ننائج الوقوعات ، ط٢ ،ج١ (استانبول ١٣٢٧
هاممه ر، دولت عثمانية تاريخي ، ترجمة: محمد عطا، بشنجي جلد،(استانبول،١٣٣٠هـ

المصادرالاجنبية

-P.M Holt A Modern History of Sudan ,(London,1961-
- R.B. Serjeant, The Portuguec of The South Arabian Coast (Oxford,1963
- Roland Olver (edt), The Cambridge History Of Africa 1050-1600 , Vol.3(Cambradge,1977))

-R.S. Whiteway , The Rise of Portuguese Power in India 1497-1550,(New York,1969)
-Ahmet Kavas, Ottoman Empire Reletion With Southern Africa , Aufdxl, V.III ,Sayi.II, (Istanbul, 2007)
-Trimingham, Islam in Ethiopia ,(oxford,1952)
-Baul B. Henze , A history of Ethiopia (Malaysia,2001
-Reyhan Sahin Aiiahverdi, Kizil Denizde Osmanli Hakimiyeti:Ozdemiroglu Osman Pasanin Habesistan Beylerbeyligi (1561-1567) Studies of The Ottomain, Cill-3 Sayi-5, Ogstous ,2013
-Andrew C. Hess, The Evdution of The Ottoman Seaborut Enperiean Historcal Review Vol. LXXV, N,7,December, 1970
-Cengiz Orhanlu, Osmanliarin Habesistan Siyaseti 1554-1565, Tarih Dergisi ,ciit.15 ,Sayi.20, Istanbul ,1965
-Gincarlo Casale ,The Ottoman Age of Expivation (Nowyork,2010)
-Janathan Miran, Power Without Pashas : The Antomy of Naib Autonomy in Ottoman Eritrea 17 th -19th c.) ,Eritrean Studies Review, Volum .5, no.1 ,2007.
-E.A Wallis Budge ,A History of Ethiopia Nubaand Abyssinia ,Vol II,(London,1928))
Andrew A. Paul , A History of The Tribes of Sudan (Cambridge, 1945 -
-Soaad Shaaban, Bedsha . Hadandowa : Finewissenschoftiche For Schungsreise in des Gebiet der Bedscha,

بحث في مجلة دراسات افريقية ،العدد ١، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ,

-Salh Ozbaran ,Osmanli Umparatorlugu ve Hindistan yolu ,Tarih Dergisi , Say. 31,Mart 1978.
-Fernand Braudel , La Mediterrnee et le Monde Mediterraneen au Temps de PhillippII, (Paris, 1949).
The Encyclopedia of Islam ,vol .VIII,(leiden,1993). (استخدمت بالرمز E.I)
Yilmaz Oztuna , Ozdmir Pasa, Tercuman.20\12\ 1982.

شبكات المعلومات الدولية

سليمان صالح ضرار ، تاريخ البجه ،منشور على موقع

WWW.alfahi.net

بتاريخ ٥ ايار ٢٠١١

Yilmaz Oztuna , Habsstan Fatihi Ozdemir Pasa

منشورة بتاريخ ٢٠١١/٩/٢٤ على الموقع :

Yilmaz .Oztuna @ tg .com.tr

سليمان صالح ضرار ، تاريخ البجة ،على الموقع بتاريخ ٥/ ايار ٢٠١١,

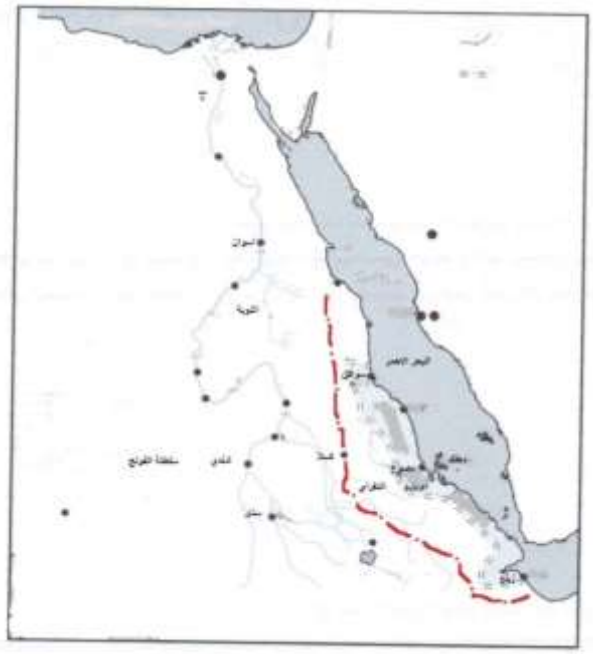
WWW.alfahl,net

المصادر العربية المترجمة

- Abas alazawy ,tareekh alnkood alariqeh lma baad alasor alabaseah ,(Baghdad:1957)
- Abd alah khader ahmead , athar alhgrah fe tkween al amarat alaslameah b afreqeia ,magalat keraat afrekeia ,aladad19 enaer\mars ,alread :2014.
- Abd alazeez athman , albrtghaleun fe shark afreqea wtarduhom mnha , magalat alwtheqah , al adad14 al sanah alsabeaah, albahraen:1989.
- Abd alwhab alqeesy ,muqef aldolah alathmaneah mn alqazu albrtaghaly llmeah alarbiah,mgalat alkhaleg alarabe ,aladad1,mgald12,(albasrah:1980).
- Abrahem bagawy , altareekh alseasy w alaskare lldulah alathmaneah , targamt :naser abd alrhman hsen ,g1,)alkaherah:2015).
- Ahmead bn ali almqreze , alalmam mn b ared alhabshah mn mlok alaslam ,(maser:1895).
- Ahmead sdky shukaerat , tareekh aladarah alathmaneah shark alaurden 164-1918,(aman:1992).
- Amar salem babkor , hzam alamn alathmany hul al haramaen al sharaefaen fe alkaren alasher alhjri ,rsalat majster , kuleat alshareat w aldrasat alaslameah, jameat am al kura ,mkah :1986.
- Anum muhmead alkabashe , tasees luah suken fe al ahed alathmane , magalat al darah , al adad alraba, alsakah38 shual h\2012m,alread .
- Asmaeel srhank , hkaeq alakhbar an dwel albhar ,g1,(maser:1312h).
- Athman Saleh sbey ,tareekh arteria ,(arteria:1974) .
- Awad abd alhady alata , alathmanun fe albahar alahmar , mjglat drasat afreqeah ,aladad37,alkaherah ,mahad albuhuth w aldrasat al afreqeah 2007.
- Fadel mahdy beat , aldawlah alathmaneah fe al mjal alaraby ,(bairut:2007).
- Fathe gheath ,alaslam wlhabashah abr altareekh ,(alkaherah: d.t).
- Fredun amgan slaeman alqanune sultan albraeen w albhraen ,hkaek fe duh almsader, targamat: gamal faruuq w ahmead kmal , (alkaherah:2014).
- Hammh r ,dulet athmakeah tarehke , targamat:mhmead ataa , bashnge jld (astanbul:1330h).
- Hseen majdi saleh , al atsalat altejareah w albashareah w aldeneah ala sahel albahar al ahmar, suaken w duruha fe rhlat ahjaz hta al aser al hdeeth ,(alkaherah: d.j).
- Hsham bn mohamead bn ali bn hasan ajeemy , mujam mfrdat w mstalahat w taberat al mkaeel w allkaees fe al daulah alathmaneah ,(mkah:1430h).
- Kaithaa ahmead nafee , alalakat alathmaneah almamlokeah 1464-1517,(bairut:2005).
- Kale audah , artrea blad al muslemeen w seraah al nufud ,(aman :1989).

- Kaleel ali murad , tareekh al iraq aladare walaqtsady fe al ahed alathmany 1638-1750, rsalat majstear ,kuleat aladab ,jameat Baghdad 1976.
- Kateb galabe , jhanamah ,(astanbul: 1145h).
- Khadeega Ahmead Al tanashey , Alalakat baen Alkua Al aslamia walmasehia fe alhabshah khakal alnasef alawel mn alkark alsades asher almelady ,(tarabls:1996).
- Kuteb aldeen muhmead bn alnhrawly , albark al emany fe alfateh alathmane ,(already:d.t).
- Mahmood shakeer, alkshoof algocrafeh …duafaha hakeektha ,(bairut:1363h).
- Mhamead adnan albkheet w nufan rja alhmood ,dafter mfsal lwaa ajlun (tabu daftare rqam97) ,mnshurat al jameahah alaurdneah , aman :1989.
- Muhmead bn ahmead aeas , bdaae alzhor fe wkae aldhur ,g4,thkeek:muhmed mstafaa ,(alkahera:1960).
- Muhmead saleh derar ,tareekh suaken walbaher alhmer ,(alkhartoom:1981).
- Mustafah nuree pasha ,ntaag alwquat ,t2,g1,(asjanbul:1327h).
- Nabeel abd alhe rdwan ,jhood al athmaneen fe alhad mn althded albrtaghaly llnshat altjare fealkhaleg alaraby mn khlal alwthahek alathmaneah 1538-1559m,(mkah:d.t).
- Nagem aldeenabd alsatar sadek lelane , albahrea alathmaneah fe ahed alsultan sulaiman alkanuney 1520-1566 drasah tareekheih , kuleat altarbeah :2009.
- Ndkoli Evanov, Al- fatah Al- athmany LLaktar Alarbia 1516-1574, Targamat: yseef ata Allah (bairut :1988).
- Norah add alrazak alali , alsultan sulaiman heatah ,hrubah , adaratah , rsalat majster kuleat al adab w alalum al ansaneah , jameat dmshek :2011).
- Nusaeibh abd alazeez , albhar alathmany mhee alden pari rais heatah wjhadah albahre 1465-1554,majalat altarbeah walelem ,aladad4,almjalad16, gameat al mosul 2009.
- Nusibah abd alazeez alhag alawy ,alnashat albahrey lkamal rais 1451-1511, magalat abhath kuleiat altarbih alasasieh ,gameat almosul ,aladad1,kanon alawel 2017.
- Olea glabe , alrhlah ala mser w al sudan w al habashah , tareeb :hseen mjeeb almsre w akhrun ,mjlad 2,(alkaherah:2006).
- Qasan muhmead al ramal , srah almslmeen mah albrtaghaleen fe albahear alahmar khlal alkaren alasher almeladey,(alsuadeah:1985).
- Read mhmood alastel , alsraaalaslamey albrtghale watharh fe altgarah aldawleah 1500-1730,atruhat dkturah koleat aladaab ,gameat alsend , bakstan ,1991.
- Saead mstafa salem , alftah alathmany alaual lleman 1538-1635, (alkaherah:1977).

- Saed ahmead alaraqi , alaslam walsalebeun fe sahel afreqia , magalat alwtheqah , aladad 13,alsakah alsabah , albahreen: 1988.
- Saed mohmead alsdad , msear fe al aser al athmane fe al karen alsades ashar , drasah w thaakeah fe al nudum al adareah w al askareah ,(alkaherah :1997).
- Saleh ozbran , al atrak alathmanun w alburtaghaleun fe al khalej al arabe 1534-1581, ,tarjamat,abd aljbar naji ,(Baghdad: 1979).
- Shab aldeen ahmead bn abd alkader aljezane , ftuh al habashah , tahkkeek :reneeh baseh ,(Paris: 1985).
- Shames Aldeen Alcaelaney ,alaslam waurba almasehia mn alkaren alhady asheer ela nheat alkaren alkaren alsades asher alharb w alseasah w altegarh w althakafah ,(dmashek:2007).
- Sheakhah bnt saleh bn mohamead shuaab , menaah alshahar fe alkaren alasher alhjre alsades almelade drasah tarekheah hdareah , rsalat majster , kuleat alshareaha w aldrasat al aslameah , jameat am alkura , mkah al mukrmah :2005).
- Sulaiman salah darar ,tareekh albajah ,mnshur ala muqeh WWW.alfahi.net.
- Tarek mohamead noor , adaha ala janeb mn tareekh alsudan fe duoh aluthaaek al athmaneah (suakn1840-1864) bhuth almutamar alsanauy lldrasat alalea w albhth al almy , aldrasat al ansaneah w altarbaweah, almjald althane ,jameaat alkhartoom , shubat 2013.
- Yusef fadel hasan , mukademh fe tareekh al mmalak al aslameah fe alsudan al shrki 1450-1821,'4,(alkhrtum:2003).



بكلربكية الحبش ١٥٥٥-١٥٦٠ م

الهوامش:

(١)**الامام محفوظ:** ظهر على الساحة السياسية في امارة عدل عام ١٨٤٠وحقق نجاحات كبيرة ضد الاحباش بعد ان انضم اليه الكثير من الانصار، وكان هدفه توحيد بعض امارات الطراز الاسلامي ،واستمرت حركته حتى مقتله عام ١٥١٦م، للتفاصيل

Roland Olver (edt), The Cambridge History Of Africa 1050-1600 , Vol.3(Cambradge,1977), p.166-167

(٢)**امارة عدل:** ظهرت هذه الامارة على انقاض امارة اوفات الاسلامية التي انتهت عام ١٤٢٠م ولجا ابناء اخر امرائها ويدعى سعد الدين الى ملك اليمن الناصر احمد يعد مقتل ابيهم ، وقد ساعدهم في اقامة دولتهم ،فاستقروا جنوب شرق هرر وجعلوا عاصمتهم دكر ، ومن هناك عاودوا صراعهم مع الاحباش ، ومع قدوم العثمانيين الى المنطقة اصبحت صلتهم قوية بهم وحصلوا على دعمهم ، للتفاصيل ينظر: احمد بن علي المقريزي ، الالمام من بارض الحبشة من ملوك الاسلام ،(مصر،١٨٩٥)،ص ٤٤؛ عبد الله خضر احمد ، اثر الهجرة في تكوين الامارات الاسلامية بأفريقيا ،مجلة قراءات افريقية ، العدد١٩،يناير/مارس، الرياض،٢٠١٤،ص٩

(٣)) **لواء عجلون** : شكل عام ١٥١٧ ليحل محل نيابة الكرك وعجلون في العهد المملوكي وهو من اكبر مدن شرق الاردن آنذاك وهو يرتبط اداريا بالعاصمة استانبول وبقي كذلك حتى عام ١٥٩١ فاصبح يتبع للشام ، وله قانون خاص به باسم قانون نامه لواء عجلون للتفاصيل . ينظر : محمد عنان البخيت ونوفان رجا الحمود ، دفتر مفصل لواء عجلون (طابو دفتري رقم ٩٧) ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٩، ص ص ٥١-٥٢؛ احمد صدقي شقيرات ، تاريخ الادارة العثمانية شرق الاردن ١٨٦٤-١٩١٨،(عمان ،١٩٩٢) ، ص٢٨.

(٤)) **اقليم التغراي** : يقع شمال الهضبة الحبشية وتوجد على حدوده مدينة اكسوم التاريخية والعاصمة القديمة للملكة وهي ذات اعمدة حجرية يصل طول العمود الى ثمانون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ، للتفاصيل ينظر : شهاب الدين احمد بن عبد القادر الجيزاني ، فتوح الحبشة ، تحقيق رينيه باسيه ،(باريس ،١٩٨٥) ، ٣١٩.

(٥)**والملكة جعيوه** :هي ملكة اقليم مزجة التابع لإقليم ولقايت في الحبشة الشمالية ، وتوصف بانها ذات جمال وثراء ومحاربة لا تقهر ، وقد ذكرت في المؤلفات الحبشية والبرتغالية والعربية تولت العرش بعد اخيها مكثر وصيه على ابنه الصغير ، وتحالفت مع الامام احمد غران ثم مع ازدمير باشا وحاربت معهم ملك الحبشة ، ينظر سبي ، المصدر السابق،ص٩١-٩٢، ١٣٤.

(٦)) قبائل البجه او البجاه: وهي من قبائل بدويه تسكن مناطق السودان الواقعة بين النيل والبحر الا حمر اعتنقوا الاسلام في القرن الرابع عشر الميلادي للتفاصيل عنهم ينظر :

Andrew A. Paul , A History of The Tribes of Sudan (Cambridge, 1945), p p .64-65; Soaad Shaaban, Bedsha . Hadandowa : Finewissenschoftiche For Schungsreise in des Gebiet der Bedscha، بحث في مجلة دراسات افريقية

العدد ١، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٩٧٢، ص٤٢ ومابعدها ؛ سليمان صالح ضرار ، تاريخ البجة ، بتاريخ ٥/ ايار ٢٠١١، على الموقع:

WWW.alfahl,net

(٧)الفونج : اصل الفونج لايزال يكتنفه الغموض ، والنسابه السودانيين يرجعون اصولهم الى بني اميه في حين هناك من يرجع اصلهم الى بعض القبائل الاثيوبية ، وهم سكان النوبة الجنوبية والتحقت بهم بعض القبائل العربية، وقد اشارت لهم الوثائق العثمانية باسم عرب الفونج واول سلاطينهم عمارة دونكاس (١٥٠٤-١٥٣٤) ، ينظر : وثائق بحرية عثمانية عن قبودان السويس، الوثيقة رقم (٣٩)؛ يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠-١٨٢١، ط٤، (الخرطوم، ٢٠٠٣)، ص٥٣ومابعدها.

(٨)الساليانه: المقصود به النظام المتبع في المناطق التي تجمع قسم من عائداتها الى خزينة الدولة مباشرة ولم توزع اراضيها على شكل اقطاع ،وعادة يطبق في الاماكن البعيدة عن مركز الدولة ، وتكون رواتب الامراء والجند العاملين في المناطق المتبع فيها هذا النظام من الضرائب السنوية التي تجمع من الولايات ، للتفاصيل ينظر : صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة ؛ عبد الجبار ناجي ، (بغداد، ١٩٧٩) ، ص٣٤-٣٥.

(٩) قنطار: اسم لميزان توزن به الاثقال وهو على نوعين :ميزان قنطار ذو قبان وميزان قنطار ذو ذراع يحمله شخصان وتوزن به الاثقال بينهما، والقنطار الواحد يساوي(٤١ ،٥٦)كيلو غرام ينظر: هشام بن محمد علي بن حسن عجيمي ، معجم مفردات ومصطلحات وتعبيرات المكاييل والمقاييس والموازين في الدولة العثمانية ،(مكة ،١٤٣٠هـ)،ص٣٣

دراسة وتقييم حالة التراث الاسلامي لمدينة الموصل بعد حربها ضد الارهاب بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافيا(GIS)

م.م رؤى زهير زيدان الكروي
كلية العلوم/وحدة الاستشعار عن بعد

م.د ندى جواد محمد علي
كلية التربية للبنات/جامعة بغداد

دراسة وتقييم حالة التراث الاسلامي لمدينة الموصل بعد حربها ضد الارهاب بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافيا(GIS)

م.م رؤى زهير زيدان الكروي
م.د ندى جواد محمد علي

المستخلص

دفعتنا الاوضاع السياسية الاخيرة التي تعرضت لها المدينة في حربها ضد الارهاب، الى الالتفات للوضع الحالي لمدينة الموصل وتحديدا المدينة القديمة على الضفة اليمنى من نهر دجلة للتذكير باهم احداث تاريخها وجمال تراثها الحضاري قبل تعرضه للتدمير على يد الارهاب، وفي هذا البحث استعرضنا مراحل نشأت ثم ولادة ونمو وتطور المدينة القديمة والتي يطلق عليها بالمراحل المورفولوجيه للتذكير بماضي المدينة واهميته من ثم تطرقنا الى اهم الشواهد التراثية الاسلامية التي تعرضت للتهديم والتخريب على يد الارهاب ونفذنا عدد من الخرائط الغرضية لموقع المدينة القديمة في الجانب الايمن من الموصل وعينا مساحة الدمار الذي اصاب المدينة القديمة ومساحتها بالنسبة للجانب الايمن من الموصل وموقع سورها القديم وابوابه معتمدين على نظم المعلومات الجغرافية وبرنامج ال arc map تحديدا لتنفيذ هذا النوع من الخرائط .

كلمات مفتاحية: تراث اسلامي– مدينة الموصل القديمة– نظم معلومات جغرافية

Studies for evaluation the state of islamic heritage in Mosul city after the struggle against terorism by using (GIS)

Sammary

Mosul city is well known through islamic history of the Arab world in General and as apart of Iraq great Civilisations in special. Lately Mosul city faced a vicious attack by terorist which was confronted by great risistant. This confrontation has left a larg nomber of personal losses and enormos damagging to the Islamic heritage specially in the old city at the right bank. In this study, alight willbe spoted to evaluate the ammout of damagging inflicted the islamic heritage in the old part of the city due to the confrontation. An other part of the study is to draw mapping to the old part of the city, and the surface area of each secter and showing the outer line of the city by using the GIS program and the Arc map program spesificly.

مقدمة

تنفرد كل مدينة عن سواها بمميزات وخصائص ترسم طبيعة المكان ومقدار تفاعله مع الإنسان بشكل مباشر، فنجد ان لكل مدينة أينما كانت بيئة محلية خاصة بها، تتأتى مما تملكه هذه المدينة من

عناصر طبيعية وبشرية ومقدار التفاعل بينهما، الأمر الذي جعلها تمتاز بأجواء مورفولوجية معينة تميزها عن نظيراتها من المدن. إن تلك الخصائص وما تفرضه مسيرة الإنسان العراقي عبر العصورالتاريخية البعيدة على شخصية المدينة العراقية الحديثة دفعت الدارسين وذوي التخصص العلمي الى الاهتمام بها[١].تعد مدينة الموصل من ابرز الحواضر العربية ذات الأرث التراثي ، والذي هو جزء من تاريخ العراق الحضاري والذي هو جزء من التاريخ العربي الاسلامي فطرازطرق العمارة العربية أنعكس على اساليب نشوء العمارة في العراق فأزدهر وتطور هذا الفن الذي يمثل صفحة مشرقة من صفحات العمارة العربية .

واذا مانظرنا الى مدينه الموصل وتحديدا المنطقة القديمة منها في الجانب الايمن من نهر دجلة في الوقت الحاضر سيؤلمنا ما الت اليه المدينة ومقدار الخسارة الفنية التراثية التي تعرضت لها المدينة بسبب الاوضاع السياسية الاخيرة التي واجهتها في حربها ضد الارهاب والتي دفعت ثمنها باهضا من ارواح ثمينة سلبت وتاريخ اصيل شوه و سنستعرض في هذا البحث مراحل نشأت ثم ولادة ونمو وتطور المدينة القديمة والتي يطلق عليها بالمراحل المورفولوجيه للتذكير بماضي المدينة واهميته من ثم سنتطرق لذكر اهم الشواهد التراثية الاسلامية التي تعرضت للتهديم والتخريب على يد الارهاب وسنوضح بالخرائط الغرضية موقع المدينة القديمة في الجانب الايمن(الجانب الغربي من نهر دجلة) من الموصل ومساحة الدمار الذي اصاب المدينة ومساحتها بالنسبة للجانب الايمن معتمدين على نظم المعلومات الجغرافية وبرنامج ال arc map تحديدا. املين ان نكون قد سلطنا الضوء على مقدار الخسارة التراثية الحضارية التي عانت منها المدينة بعد خروجها من حربها ضد الارهاب لتكون كبداية شرارة تدفع المهتمين بتراث هذا البلد الى العمل على انقاذ ما يمكن انقاذه في هذه المدينة لكي لاتخسر الاجيال القادمة فرصة التعرف على الموروث الحضاري لمدينة الموصل العريقة وتلك هي ضرورة تاريخية وطنية للحفاظ على المورث الحضاري ولتذكير الاجيال القادمة بسمات الموصل المسكونه بالتاريخ وعبق الماضي الجميل .

التسمية والعوامل التي ساعدت على نشوء مدينة الموصل

تبدو المدن الإسلامية إجمالاً ، للوهلة الأولى ، متماثلة الملامح في أبرز خصائصها العمرانية والمتمحورة حول السمات الروحية الخاصة بالإسلام كدين وعقيدة من جهة ، وكنظام أجتماعي حياتي من جهة أخرى ،[٢]ان اول ذكر لمدينة الموصل جاء في عام ٦٣٦م عندما تم فتحها سنة ٢٠ للهجرة وأخذت القبائل العربية تؤمها ،وكانت قبيلة الخزرج اول القبائل التي استوطنتها والتي اقامت اول مسجد لها الأ ان هذا التاريخ لايعني انه لاوجود لها اساساً فالمصادر تشير الى احتماليه ان مدينة ((مسبلا)) والتي ذكرها زينفون في رحلته الشهيرة عام (٤٠١ق .م) ترجع الى الكلمة الاشوريه الاصل مشبالو ومعناها الارض السفلى أو الواطئة [٣]، وقبل الفتح العربي الاسلامي كانت قاعدة لإقليم ديار ربيعة والذي يشكل مع ديار

مضر الى الغرب ، وديار بكر الى الشمال الغربي منطقة جغرافية متميزة (وتلك اغلبها تسميات مستمدة من القبائل العربية التي سكنت تلك المدينة قبل الاسلام) ،[٤] ومدينة الموصل تمتد على حافة الضفه الغربية لدجلة وتقابلها في الجانب الشرقي من نهر دجلة(الايسر) اطلال مدينة نينوى الاثرية ، ذلك الموقع الآشوري المعروف الذي امتد اليه العمران [٥]، فضلاً عن منابع النهرين وأرمينا شمالاً ووادي الثرثار جنوباً[٦].

ان اول من مصر واختط المدينة تخطيط واضح المعالم كمدينة حضرية واسكنها عرباَ هو هرثمة بن عرفجة في زمن الخليفة الثالث من عام ٢٢ هـ فبنى الجامع والحصن (القلعة) والتي سميت بالمربعه والحصن العبوري والقلعه[٧] ، من هنا كانت النواة الاولى لنشوء المدينة .ولعل من اهم العوامل التي ساعدت على استمرار نمو مدينة الموصل وازدهارها هي العوامل الطبيعية التي فرضها بيئة المدينة الحديثة على الإنسان بقوة وهناك مجموعة من العوامل الاخرى التي سنذكرها الان والتي اثرت بشكل على نمو المدينة واستمرارها ومنها:

١- العامل السياسي : لعبت العوامل السياسية دوراً ايجابياً في تاكيد اهمية المدينة ودورها والحاقها بالامصار،فالموقع الاستراتيجي القريب من دول الجوار من بلاد الشام والاناضول جعل منها محطة استراحه للقوافل التي تمر للعبور الى الشرق من الهند وايران والصين .

٢- العامل العسكري : ان اهمية العامل السياسي انعكس هنا وكان لابد من اعطاء اهمية كبيرة لهذا العامل عند بنائها وتمصيرها واهميته تأتي من بناء السور والقلاع للدفاع عن المدينة ضد أي هجوم او اعتداء.وهذا ماحدث في خلافه عمر ابن الخطاب حيث اصبحت الموصل احدى المراكز الحربية ، إذ جعل فيها الاجناد التي جندها للفتوحات في البلاد والتي منها سارت الجيوش لفتح الجزيرة وأرمينيه وأذربيجان [٨]

٣- العامل الاقتصادي : ويأتي تاثيرهذا العامل على اهميتها كونها تقع على ملتقى الطرق ولدورها في التجارة والمواصلات ، وقد اهتم الامراء والولاة في عصرها بنصب الجسور وتخطيط الطرقات وعمل الخدمات التي تساعد المدينة على التنمية الاقتصادية وزيادة مدخولاتها.

٤- العامل الطبيعي : يعزو الجغرافي الدكتور عبد الرزاق عباس حسين أسباب ظهور طلائع المدن في العراق الى طبيعة تنوع العوامل الجغرافية التي تتمثل بالموقع الجغرافي و انبساط الارض ووفرة المياه وغيرها من العوامل التي تساعدعلى استقطاب الهجرات البشرية المتنوعة وهذه العوامل بمجملها وفرة في طبيعة مدينة الموصل ما ساعد على تشكيل ارثها الحضاري بشكل عام،[٩] كما كان للظروف المناخية التي تتسم بالاعتدال في العديد من جوانب المنطقة التاثير الذي جعل من التوزيع المكاني للمستقرات الحضرية في المنطقة يميل نحو الأودية المفتوحة والهضاب قليلة الارتفاع، وبذلك فان ملامح المدينة الخارجية يتجه

نحو التمركز والانكماش دون التشتت والتبعثر في توزيعها الجغرافي نظرا لصعوبة الاتصال فيما بينها، كمايعكس البعد البيئي أثرة على مورفولوجية المدينة وتركيبها الداخلي من حيت نوع الأبنية ومواد البناء والطرازات العمرانية والتي تؤثر بشكل مباشر على نوع النشاط الحضري، وبحكم موقع هذه المدن فان اغلب أنشطتها تنصب على الجوانب التجارية وتبادل السلع والبضائع وعن طريقها يرتبط العراق بدول الجوار .

يخترق نهر دجلة مدينة الموصل من الشمال إلى الجنوب ويقسم حيزها الحضري إلى جزئين غير متناظرين ، ويفضل العرب في بناء مدنهم منطقة صحية ونقية غير موبؤة وذات منظر مريح للنفس ،فضلا عن اماكن ذات وفرة بالماء العذب ولانها ملتقى عدة طرق مما زاد اهميتها التجاريه وهذا ماجعل منها مدينة عامرة زاهرة ومما يدل على ذلك ماسميت به من اسماء مثل ((ام الربيعين والخضراء))

العامل الحضاري : وجاءت العوامل الحضارية والروحية الخاصة بالعالم الإسلامي والتي سطع نورها من بيت الله الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة إلى جانب هذه العوامل المشتركة وتأثيرها في الواقع ، لتطبع المدينة الإسلامية بسماتها المميزة. ثم لعبت في إطارها عوامل أخرى لاسيما الأثنية والثقافية الموروثة ونمط المعيشة وأستعمال مواد البناء المحلية أدواراً متفاوتة في خلق معالم متباينة إلى هذا الحد أو ذلك داخل المدينة الإسلامية التي تظل في طابعها العام سمة عمرانية واحدة ، إلا أن ذلك لا يلغي وجود عوامل وقيم أثرت في شكل المدينة الإسلامية كالتحسس والتذوق الجمالي للفن والعمارة .[١٠]

خطط مدينة الموصل القديمة

من خطط العرب المسلمين المعروفه لبناء اي مدينة هو وجود دار الامارة وبجابنه الجامع ومن ثم تخطيط المنازل والاسواق والحصن وهذا ماتقدمه المدينة من خدمات وماتحتاجه لحمايتها ،هذا ماحصل لمدينة الموصل عندما خطت حيث شيد المسلمون دار الامارة على السفح الغربي من تل قليعات والذي انشأه عتبه بن فرقد السلمي مابين عامي ١٧-٢٠ هجريه ،وقد مر بعدة توسعات كان اولها عام ٢٢ هـ والتوسع الثاني سنة ١٢٧ هـ الذي وسع دار الامارة واتخذ بينها وبين الجامع باباً يؤدي الى ممر طويل يصل بين الدار والجامع مفروش بالبلاط كما بنى الى جانبه المسجد الجامع أوالجامع الاموي ،الذي يعد من اقدم الجوامع واشهر المباني التاريخية في المدينة ،وقد سمي بالجامع الاموي نسبة الى مروان بن محمد الاموي والذي سيمر الحديث عنه ،وبعدها بدأت القبائل العربية تؤمها مثل بني الازد وطي وكندة وعبد القيس فأخذت المدينة بالتوسع .ويمكن تقسيم خطط المدينة كما يلي :-

١. الاسوار

من ابرز مقومات المدينة العمرانية اعتماد نظام الاسوار تحسباً لمتطلبات الأمان وموقعها الحربي هذا جعل الولاة والخلفاء يعنون بالاصلاح والعمارة ومن بينهم سعيد بن عبد الملك بن مروان بن محمد

حيث وجه عنايته بتنظيم الموصل وباحاطتها بسور فضلاً عن بناء الابراج القريبة من بعضها البعض ، وقد تهدم هذا السور بزمن هارون الرشيد وبقيت الموصل بدون تحصين حتى جاء شرف الدولة العقيلي والذي احاط الموصل بسور قليل الارتفاع ولم يعمل له فصيلا ولم يحيطه بخندق ،[١١] وقد توسع السور بعد سعيد ليحيط بالمدينة من كل جهاتها وقد بلغ طوله حوالي ١٠ كليو متروارتفاعه ١٠ أمتاروبتخن يبلغ ٣ امتار[١٢] وغلظ البنيان والانتظام هذا اعطى المدينة حصانة وجعلها على اهبة الاستعداد لمواجهة حوادث الفتن ورصف طرقها بالحجارة وبنى سوق سميً سوق سعيد كما بنى مسجداً في هذا السوق عرف باسم مأذنة عبيدة[١٣] ،وقد اعيد بناء السور اكثر من مرة .ومع تزايد السكان وامتداد العمران الى خارج السور ،انشئ سور حصين عام ٥٣٧هـ وشمل الاماكن التي توسعت فيها المدينة ليصل بذلك الى الجسر ، وبقى السور بحاله جيده حتى دخول المغول المدينة وهدموا اسوارها وابراجها مع ماهدموه من المدينة .

٢. الدور السكنية

يلاحظ في المدينة العربية ان خصائص الوحدات السكنية تعبر عن الواقع الاجتماعي للسكان،فقد اتصفت مساكن الأغنياء بسعة مساحاتها وتعدد غرفها وخدماتها ووقوعها على امتداد الطرق الرئيسة عموماً بينما اتصفت الوحدات السكنية للفقراء بصغر مساحاتها ومحدودية خدماتها ومرافقها ،وتقطعها شبكة من الطرق والآزقة الضيقة والملتوية وتقع عادة خلف نطاق الوحدات السكنية الجيدة[١٤] وداخل السور احتوى على البيوت المستندة بعضها على بعض ، تلك البيوت اعطت فضلا عن الوظيفه السكنية وظيفه دفاعية إذ كان للمقاتلة فيها حرز ووقاية فهي إذن من المرافق الحربية [١٥] فزادت المدينة من قدرتها الدفاعية ،وقد انقسمت تلك الدور على صنفين

أ- بيوت السكان العاديين من سكان الطبقه المتوسطة والفقيرة.

ب-ب- القصور الفخمة كما ذات الابواب والشبابيك الحديديه الكبيرة لاصحاب الدخول المرتفعة والتي تمركزت عند طرف المدينة المطل على دجلة والتي تتميز بارتفاعها واشرافها على نهر دجلة والغابات الخضراء عند الحافة الشرقيه التي جذبت اليها انظار البلدانين والرحاله من العرب والغرب ،

والبيت الموصلي كغيره من البيوت العراقية الاسلامية فالجص والحجارة الصفه الغالبة وقد حل جزئياً البناء الحجري (الجبس)في الموصل بدل الآجرفي بعض المواقع [١٦] والمادتين الاكثر استخداماً والذي ميز الموصل عن غيرها من مدن العراق الوسطى والجنوبية هو الرخام بألوانه الجذابة البنية والزرقاء والذي يستخرج من مقالع المرتفعات المحيطة بالموصل واصبح التفنن في زخرفته من السمات الاساسية للعمارة الموصلية كما تفنن البناء الموصلي في تنفيذ سقوف الغرف والدواوين بأن تكون مقوسة ذات افاريز بديعة بزخارف وخطوط والوان جمليه [١٧]،كما لعبت الكتابة منذ الايام الأولى دوراً مهماً جدا في فن زخرفة السطوح الإسلامية، ويعد وجود السراديب وهو التقليد المعماري الذي انتشر في بيوت الموصل اسوة ببيوت

العراق في الوسط والجنوب ، الأانه مايميزها هو ذي العقود المرمرية، ان مواد البناء الاخرى كانت اقل اهمية في العمارة الموصلية ولا تلاحظ الأ قليلا مثل الآجر والقار والخشب .

٣. الجسور والقناطر.

اول جسر جاء ذكره في كتب تاريخ الموصل هو الجسر الذي يربط المدينة بالجانب الشرقي من النهر وبناه مروان بن محمد*والذي سميً على اسمه ،حين خط المدينة وألحقها بالامصار وجعل لها ديونا يراسه ،ونصب عليها الجسر[١٨] ،ويذكر ان للجسر باب يغلق عند الحاجه كما كان يقطع عند حدوث الحروب والفتن [١٩] ، وهذا الجسر لايتصل بالمدينة حيث كان يفصل بينهما فراغ واسع اصبح فيما موقع للاسواق .

٤. الاسواق

من الاسواق التي ذكرت في الجانب الشرقي من جسر مروان بن محمد ويقصده اهل الشرق فيطرحون ويبيعون فيه منتوجاتهم هوسوق الاربعاء يقع شمال جسر مروان بن محمد وهو من الاسواق التي تقع بين المدينة والجسر وبمرور الوقت ومع تزايد الحاجه توسعت الاسواق لتصل الجسر من جهة والى الشوارع التي تصل الى مدينة الموصل من جهة اخرى وبنيت باب لتكون من جهة الجسر ومن الطرف الاخر السوق للحفاظ على الاسواق من العبث والتسلل [٢٠]واحتوت المدينة على كثير من الاسواق والتي بنيت في فترات متعدده ونذكر منها سوق الهرج ،الملاحين ،الفخارين،العطارين ،للصناعات اليدوية والحرفية فضلا عن سوق الصوافه .

٥. الابواب (انظر الشكل رقم)

عندما يتواجد السور لابد من وجود الابواب للتحكم في حركة دخول وخروج القوافل التجارية فضلاً عن زيادة الامن والأمان للمدينة فأحتوت مدينة الموصل على عدد من الابواب خلال مراحلها التاريخية وكما يلي

- باب الجسر
- من اقدم الابواب وكما ذكرنا تكون الجسر من جهة وفضاء المؤدي الى المدينة من جهة اخرى ،وتقع في نقطة التقاء السور الجنوبي بشاطئ دجلة الغربي قد تهدم أثناء الحرب العالمية الاولى [٢١]
- باب المشرعه
- تقع في محل باب الشط المكاوي على نهر دجلة ،وقد ذكره ابن الاثير في كتابه الكامل ((وبنى رباطاً للصوفية بالموصل على باب المشرعة))[٢٢].
- باب العمادية

ذكره ابو الفدا عام ٥٧٠هـ، وابن الاثير ٥٨١ هـ وهي الباب التي تؤدي من الميدان الى ظاهر المدينة حيث المقام المعروف (ببنجه علي)) ،الأنه لم يدرك اثر للباب بعد ذلك ولعله اغلق وسد اثناء ترميم السور ،وفي العهد العثماني اعادوا فتحه وسموه باب الحريه [٢٣]

- باب سنجار

جاء ذكره عام ١٢٩هـ [٢٤] ،وهي من اكبر الابواب التي كانت موجوده، وتقع في الجهة الغربية من تل الكناسة لتؤدي من الميدان والى ظاهر المدينة وقد سميت ايضا بباب الميدان كانت عليها رسوم ونقوش وقد جددت اكثر من مرة وفي فترات متباينة واحتوت في داخلها على اسطبلات الجيش وغرف النوم وغرف العتاد ومكان الخيول والمرافق الخدمية [٢٥]، ولم يبقى اثر لذلك الباب على اثر تهديمه في الحرب العالمية الاولى .

- باب القصابين

ومن الاسم توحي بانها باب تؤدي الى سوق القصابين والذي يقع جنوب الموصل على نهر دجلة[٢٦]،حيث كان يشترى ويباع فيها الحيوانات المخصصة للذبح من الأغنام والابقار والطيور بانواعها .

- باب البيض

جاءت التسمية من السوق الذي يقام صباح كل يوم لبيع البيض وغيرها من المنتوجات الزراعية .

- باب الجديد

واحتوت مدينة الموصل الكثير من الابواب فضلا عن التي ذكرت مثل بابا الصغ وباب السر وهي من الابواب السريه ولم يكن يسمح لاحد ان يدخل منها لانها تؤدي الى الثكنات العسكريه والى القلعة حيث مكان الجيش .

واحتوات مدينة الموصل على ابواب اخرى لاتقل اهمية مثل باب الشط والباب الصغير وباب الشط المكاوي ،باب العراق ،باب الجصاصين،باب كنده ،الباب الغربي ،باب الجديد ،باب الطوب ،باب السراي ،باب لكش .

٦. الجوامع

اهم مايميز المدينة العربية الاسلامية إذ تظهر المدينة كبنية متلاحمة الأجزاء مكونة من مجموعات عمرانية متراصة هي الاخرى وذات واجهات مستمرة غير منقطعة وارتفاعات متقاربة تكاد تكون بمستوى واحد عدا تفرد المساجد التي تتميز بارتفاعها النسبي وارتفاع مأذنها المميز[٢٧] هو دار الامارة و الجوامع ذات النقوش والزخارف الاسلامية ومن العناصر والمفردات التي تميزت بها العمارة الإسلامية أيضاً هي الزخرفة الكتابية. فقد تفنن بها الفنان المسلم ، وأتخذها أداة

لإضفاء سمات جمالية ، حيث أصبحت هذه الزخرفة تتضمن الخطوط بكافة أنواعها ، سواء على سطوح الجدران أو القباب أو في الأقواس والمآذن والشرفات.[٢٨] ومن اهم الجوامع

- جامع القلعة

تواجد هذا الجامع داخل القلعة التي بناها العثمانيون والتي عرفت بقلعة بايج (القلعه الداخلية)وبها مرافق للجيش فكان حتماُ بناء جامع لصلاة تلك القوات والمنارة مبنية من الآجر وعليها زخارف آجرية ناتئة ،ولم يبقى آثر لهذا الجامع فقد تهدم على يد بلدية الموصل وأنشأت فوقها ابنية لموظفي البلدية .

- جامع بكر افندي

لايوجد تاريخ معين لتأسيس هذا الجامع ربما يكون قد بني في صدر الاسلام لأن الحي الذي يقع فيه الجامع من اقدم الاحياء التي سكنها اهل الموصل قبل الاسلام ولاشك ان العرب عندما فتحوا الموصل ،واختطوا احياءها سكنوا في هذا الحي القريب من المسجد الجامع ودار الامارة [٢٩]،وقد وسع الجامع وجددة ابنيته عام ٥٨٠هـ وبنى في فناءه مدرسة واقسام داخلية للطلاب وماء سبيل للسقي في باب الجامع وقد جدد البناء خلال فترات متباينة وجدد المصلى فأقيم دعائم من الحجر والجص دعم بها الاساطين التي تستند عليها قبة المصلى كما جددة القبة واقيم منبرا جديدا ومحراب ا وكانت باب المصلى من الرخام ،اما الاروقه فهي مبنية على شكل انصاف دوائر .

- جامع حمو القدو

لايوجد تاريخ معين لهذا الجامع الأ انه بني فوق سرادب واحتوى على قبر الشيخ علاء الدين ،وللجامع باب واحد يؤدي الى سوق الميدان كما وجدت ماء سبيل قرب الباب كتب فوقها ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم))**:**افضل الصدقة سقي الماء ،والمصلى ذات بناء جميل مزروق مبني على طراز المساجد الموصلية ويحيط بالابواب التي فيه جامات محفورة في المرمر ،والقبة التي فوق الجامع تتألف من قبتين جميلتن يفصل بينهما فراغ الاولى – الداخلية– وهي مزخرفه ،والثانية التي فوقها معقودة بالآجر ومزروقه وفوق القبه منارة صغيرة يصعد اليها من ممر بين القبتين ،وهذا الطراز غريب في بناء القباب لم نرى له مثيل .

- جامع الكوازين (الجامع الاموي أو المصفى))

يعد هذا الجامع اول جامع بني في الموصل سنة ١٧ هـ بعد الفتح بجانب دار الامارة وتحيط به الاسواق والتي يستفاد منها الجيش ،وقد وسع هذا الجامع نظرا لزيادة عدد السكان كما ذكرنا سالفاً ،وشهد هذا الجامع عدة توسعات في زمن الخليفه الثالث والذي بنيت منارته بطراز وزخرفة تشبه الى حد كبير منارة الجامع النوري ومن ثم الخلافه العباسية والاموية وهذه التوسعات جاءت على حساب الاسواق المحيطة لتتهدم وتضاف الى الجامع [٣٠]، وللجامع باب من كل جهة أي من جهاته الاربعة .

يعد هذا الجامع من الجوامع الكبيرة والتي يشاد بها وكان يعقد فيها حلقات العلم والحديث وتخرج منه المحدثون واللغوين والفقهاء [٣١] وجاءت تسميته من اعادة بناءه على يد الحاج محمد مصفى الذهب فاتخذ اسم المصفى نسبة الى هذا الحاج وجامع الكوازين لوقوعه بمحلة الكوازين ،واحتوى على محراب آية في الفن والابداع وعمل متقن حيث احتوى على كتابات كوفية مشجرة ونقوش وزخارف تناظرة بعضها غائرة وبعضها بارزة تدل على دقه وماهرة الصنع . امر باعاده ترميمه وتوسيعه في بدايه القرن الثاني للهجرة ومن الجدير بالذكر انه لم يبقى من آثار ذاك الجامع سوى منارته والتي تسمى المنارة المقطومه وبأسم منارة جامع الكوازين كما سميً لوقوعه بمحلة الكوازين.

- الجامع الكبير أوالنوري والمنارة الحدباء

وتم انشأه عام ٥٦٨هـ ويقوم بوسط المدينة وابرز معالمه هي منارته الشامخه الحدباء والتي يبلغ ارتفاعاها ١٥٠ مترومشيدة من الآجر والجص وتقوم على قاعدة مربعة ارتفاعها نحو ٥,٨٠ متر مشيدة من الجص والحجارة يعلوها اسطوانة المنارة وتميل المنارة قليلا نحو الشرق فعرفت باسم الحدباء والمنارة مزينة بزخارف آجرية جميلة ويوجد في مصلى الجامع اساطين الجامع الاصلية المنحوته من الحجر [٣٢] .

وهنالك جوامع اخرى لاتقل اهميه عن التي ذكرت مثل جامع عبد الله بك وجامع مدرسة يونس النحوي(جامع شيخ الشط لوقوعها على نهر دجلة) وهي من البنايات الاتابكية والذي بنيت عام ٥٦٣هـ وكان مدرسة دينية حقتت شهرة واسعه وبقيت اثارها من الغرفة المثمنه الشكل وفوقها قبة تستند الى مقرنصات وعلى مايبدو كانت مزينة ومزخرفه بزخارف جبسية من الداخل وزخارف وكتابات عربية من الخارج ،كما معروف عند دخول المغول قاموا بتهديم اغلب المراكز الحضريه والدينيه التي كانت قائمة في حينها فتعرض الجامع الاموي الى التهديم وهذه الحاله تتكرر عند دخول أي غازي همجي فتتعرض المنطقه بكاملها لمخاطر اتت على بعض معطياتها بالأزالة الكاملة ،وعلى بعضها الآخر بالهدم والتخريب وهذا مافعلوه بالمدن العراقية جميعاً،وهناك جوامع آخرى ذكرها الباحثين مثل مسجد قضيب البان والذي يقع على بعد ٥٠٠ متر من باب سنجار خارج سور الموصل وجامع النبى يونس وجرجيس والذي جاء ذكره في كتابات ابن بطوطه وابن جبير [٣٣] .

اما بالنسبة الى الكنائس فقد احتوت مدينة الموصل كنائس عدة واديرة مثل كنيسة شمعون الصفا وكنيستا الطاهرة للكلدان وكنيسة مار((احودمه))مار بثيون والبيعة العتيقة وكنيسة مار اشعيا

ومن الاديرة المشهورة نذكر منها الدير الاعلى قرب باشطابية ودير سعيد وهو نفسه دير مار ايليا ودير ميخائيل ودير مارمتي ومار كوركيس [٣٤].

- المدارس

كثرت المدراس الدينية العلمية في اغلب المدن الاسلامية وخصوصا عندما انتشرت تعاليم الدين الاسلامي وظهرت عدة مدارس لتعليم اصول الدين واللغة ومن اشهر المدارس على سبيل المثال واقدمها المدرسة اليونسية لعلوم النحو والتي بنيت عام ٥٦٣هـ وما تزال قائمة باسم مدرسة ابن يونس، ومدرسة جامع باب الطوب ، والمدرسة الجليلة ،العمرية ،الخزامية ،دار القرآن الجرجيسية ،الأمينية ،،الحاج زكريا وغيرها الكثير الكثير من مدارس العلم والدين[٣٥]

تدمير التراث الحضاري لمدينة الموصل القديمة

تعرضت مدينة الموصل في محافظة نينوى في عام ٢٠١٤ الى هجمة ارهابية شرسة استباحت ودمرت اهم معالم المدينة وتراثها الحضاري والديني، فقد قام التنظيم الارهابي بتدمير كل شيء له قيمة حضارية وتاريخية ولم يبقي معلما حضاريا الا وازاله في محاولة لطمس الهوية الموصلية العراقية فبعد سقوط المدينة بيد التنظيم الارهابي، الذي صادف اليوم العاشر من شهر حزيران لعام ، ٢٠١٤، توالت اعمال التخريب للمعالم الحضارية التي سنقوم بتوضيحها في الجدول التالي مع توضيح الحقبة التاريخية التي ينتمي اليها المعلم الحضاري وتاريخ تنفيذ عملية التدمير[٣٦]:

المعلم	الحقبة التاريخية	الموقع	تاريخ التدمير
هدم ضريح عز الدين ابن الاثير الشيباني الموصلي(قبر البنت)	الفترة العثمانية المتاخرة	الموصل الجانب الايمن /باب سنجار/ راس الجادة	20/6/2014
تفجير رباط الشيخ فتحي	العصر العباسي الاول	موصل القديمة محلة الشيخ فتحي	16/6/2014
تفجير مسجد الشيخ ابو العلا	الفترة العثمانية	الموصل الجانب الايمن /باب الطوب	25/6/2014
تفجير المدرسة الحمدانية او مشهد الامام يحيى ابن القاسم	الفترة الحمدانية– الاتابكية –الاليخانية –العثمانية	الجانب الايمن منطقة الشفاء	23/7/2014
تفجير المدرسة النظامية او مقام الامام محمد ابن الحنفية علي الاصغر	الفترة السلجوقية– الاتابكية	الجانب الايمن /محلة الجامع الكبير	24/7/2014

تفجير جامع النبي شيت (عليه السلام)	الفترة العثمانية المتاخرة	الجانب الايمن/ محلة النبي شيت	24/7/2014
تفجير جامع النبي جرجيس	الفترة الاتابكية – الاليخانية–العثمانية	الجانب الايمن/ باب سنجار	27/7/2014
تفجير رباط المتصوف قضيب البان	الفترة السلجوقية– الاتابكية–	الجانب الايمن/ بابا سنجار	14/8/2014
تفجير المدرسة النورية	هجري)–607 589)	الجانب الايمنم ملة الشفاء	2/1/2015
تفجير مسجد الصاغرجي	عثماني متاخر	الجانب الايمن/باب جديد	2/9/2014
تفجير مسجد عيسى دده	الفترة الاليخانية– عثمانيب	مدينة الموصل محلة الشهوان	2/9/2014
تفجير مسجد المتصوف محمد الرضواني	عثماني متاخر	الجانب الايمن/باب جديد	30/12/2014
تفجير مسجد حمو القدو وقبرالشيخ محمد بن عبد القادر الكيلاني	عثماني متاخر	مدينة الموصل/ باب الطوب	10/12/2014
مشهد الست نفيسة عليها السلام	الفترة الاتابكية	الجانب الايمن/محلة الجامع الكبير	10/3/2015
تفجير جامع العمرية	العصر العباسي الاول	الجانب الايمن/محلة باب الجديد	17/12/2014
تفجير مركز شرطة السراي/ مدرسة الصنائع	الفترة العثمانية المتاخرة	الجانب الايمن /باب الطوب	21/62014
تفجير مسجد شيخ الشط	الفترة الاتابكية	الجانب الايمن /محلة الشهوان	2/9/2014

تفجير مقام الامام ابراهيم	الفترة الاتابكية– الاليخانية	الجانب الايمن سوق الشعارين	11l3l2015
تفجير مسجد الشيخ السلطان	الفترة الجلائرية– العثمانية	الجانب الايمن /محلة الخاتونية/الفاروق	30/12/2014
تفجير مسجد نبي الله الخضر	الفترة الاتابكية	الجانب الايمن /ربض الموصل	26/2/2015
هدم مسجد العباس	الفترة الاتابكية–عثماني	الجانب الايمن/ شارع النجفي	15/2/2015
تفجير الجامع النوري ومئذنة الحدباء	من العهد الزنكي	الجانب الايمن / المدينة اتلقديمة	21/6/2017
تفجير قلعة باشطابيا وقصر الملك فيصل	من العهد الاتابكي	الجانب الايمن/المدينة القديمة	8/4/2015

نقلا عن الموصلي ذنون بن متى

ينظر الشكل رقم(١)

تطبيق نظم المعلومات الجغرافية على موقع مدينة الموصل القديمة

إن كل ما هومتوفر لدينا من خرائط لمدينة الموصل وتحديدا المنطقة القديمة في الضفة الغربية من نهر دجلة (الجانب الايمن) هي مجموعة من الخرائط الورقية اليدوية الصنع والمعدة بالطرق التقليدية المستخدمة في توثيق المواقع الاثرية والتي توصف بمحدودية قدرتها في عملية المعالجة والتحليل واستغراقها الكثير من الوقت والجهد وعدم قدرتها على تقديم الكثير من البدائل والخيارات التخطيطية عل عكس الخرائط المنفذة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، فلهذا النظام القدرة على اختصار الكثير من الجهود الضائعة في تنفيذ مثل هذه المشاريع لمرونته في العمل والتعامل مع البيانات وتوفير الوقت والمال مع الدقة في التنفيذ . إن عملية توثيق اي موقع اثري لابد من توفر المساحة المطلوبة والرؤية الواضحة للموقع المنتخب وهي ما تتوفر في المساحة التصويرية الجوية والفضائية التي تساعد في اعداد خرائط طوبوغرافية تفصيلية دقيقة[٣٧]، وفي هذا البحث تم الاعتماد على برنامج (arc map9.2)arc gis وعلى مرئية qoicbird لعام ٢٠٠٨ لانشاء خارطة توضيحية لموقع مدينة الموصل القديمة في الجانب الايمن

من مدينة الموصل بجانب نهر دجلة ينظر الشكل رقم(٢) ولقياس مساحة الموقع لبيان مقدار المساحة التي تعرضت للتخريب في حرب المدينة ضد الارهاب تبين ان مساحة مدينة الموصل القديمة٢٤٧٨٣٩٠ متر مربع من مساحة الجانب الايمن القريب من مركز المدينة والاكثر تجمع سكاني وتوسع حضري والذي يبلغ٤٧٧٧٤٠٠٠متر مربع ضمن المحيط الذي حددناه على المرئية الفضائية لمدينة الموصل وبلاعتماد على إمكانيات برنامج arc map9.2 الذي اعاننا على تذليل صعوبات دراسة المنطقة وقياس مساحتها بالشكل الدقيق وباستخدام مجموعة من الأوامر البسيطة في البرنامج ينظر الشكل رقم(٣)، وتمكنا من تحديد موقع السور الذي يحدد موقع مدينة الموصل القديمة ومواقع ابواب السور القديمة وتسمياتها التي مازالت محافظة عليها ينظر الشكل رقم (٤)، ولقد نال الجانب الايمن من مركز مدينة الموصل النصيب الاكبر من الدمار لتمركز العناصر الارهابية الاخيرة فيه قبل تحرير المدينة، وقد سعينا لاجل الحصول على مرئية تظهر صورة واضحة لشكل الدمار الذي حل بلمدينة ولكن لصعوبات توفر مثل هذه المرئيات لاغراض الدراسة ولتكلفتها المادية عجزنا عن تحقيق هذا الهدف ولهذا استعنا بصور فوتوغرافية تظهر مقدار دمار المدينة واتبعناها مع الخارطة المنفذة للموقع لتكوين صورة اوضح لحالة الموقع الذي هو بامس الحاجة الى السعي لتقديم مايمكن تقديمه من الجهات المسؤلة لاعادة واحياء مايمكن احيائه على الرغم من أن اغلب الخسائر لم يعد من الممكن تعويضها لكن المدينة جريحة وتحتاج كل العناية الممكنة والاهتمام للملمت جراحها .

الخاتمة

في ختام هذا البحث نشير الى ضرورة الاعتماد على هذا النوع من البرامج الحديثة لانتاج خرائط غرضية متنوعة عند توثيق المواقع الاثرية وعرض المشاكل والحلول الخاصة باي موقع اثري مدروس، وفي هذا البحث تمكنه من انتاج خارطة جغرافية توضيحية اثرية لموقع مدينة الموصل القديمة التي تحتاج في هذه الفترة الى جذب اهتمام العلماء والمختصين للالتفات الى حالة المدينة المؤلمة بعد خروجها من حربها ضد الارهاب، ونرجو ان نكون قد سلطنا الضوء على هذه المدينة بالشكل الكافي وان تكون هذه الخرائط عونا لكل باحث عند دراسته لمدينة الموصل خصوصا وان مثل هذا النوع من الخرائط يمتاز بالدقة في النتائج رغم السرعة في الانتاج.

Conclution

At the end of this studies we would like to pointout the nesecity to use such modern programs to produce highly acurate archeological mapping for documentations. Such acurate documentations, may atract archeolog scientists all over the world to pay attention to the archeological problems in Mosul.

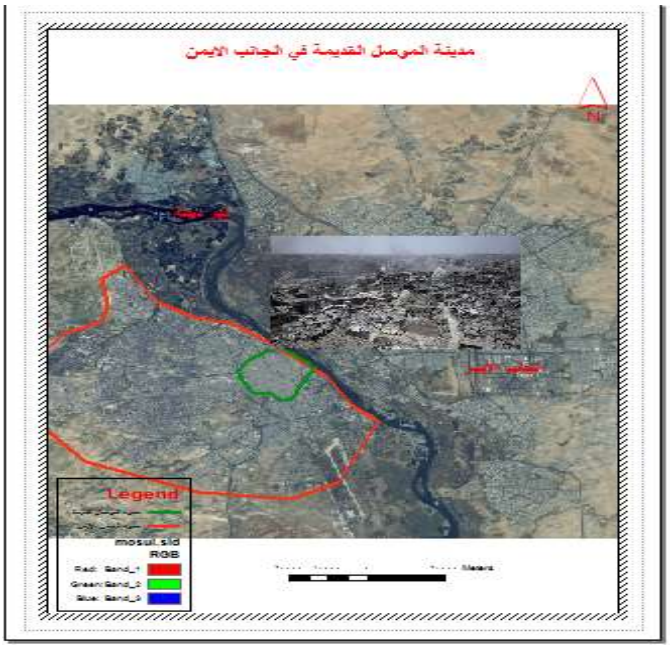
.

الاشكال



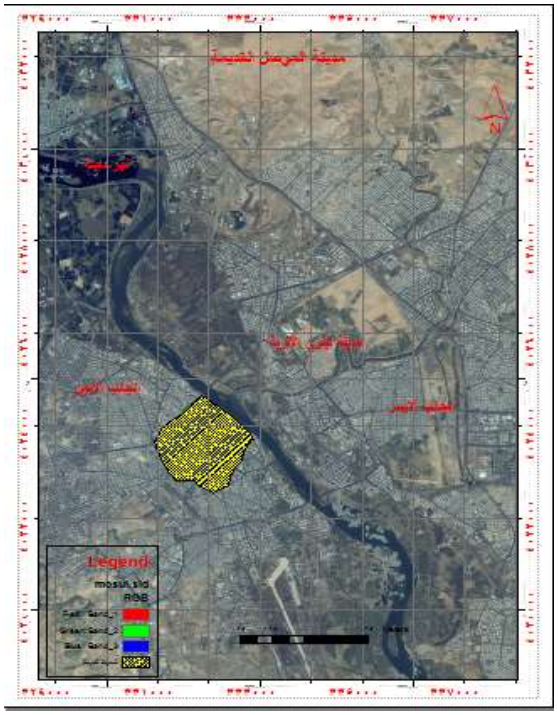
الشكل رقم(١)

صور تدمير بعض المواقع التراثية على يد الارهاب(تصميم الباحث نقلا عن شبكة الانترنت)



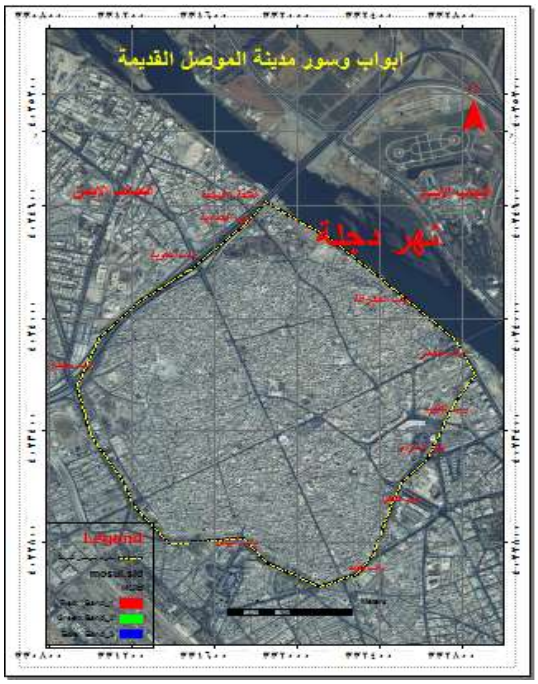
الشكل رقم(٢)

عمل الباحث باستخدام برنامج arc map



الشكل رقم(٣)

عمل الباحث باستخدام برنامجarcmap



الشكل رقم (٤)

عمل الباحث باستخدام برنامج arcmap

الهوامش:

١. رياض ألجميلي، شخصية المدينة العراقية، مركز آل الحكيم الوثائقي.،٢٠١٠،ص١.
٢. الانصاري، رؤوف محمد على ،دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري،دار الصفوة للطباعة والنشر،ط١،الكويت،١٩٩٨،ص ٤٥.
٣. طه باقر،فؤاد سفر، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، المرحلة الاولى بغداد –عنه– القائم ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الارشاد،سلسلة الثقافة الشعبية(٤٥)١٩٦٢،ص١٧
٤. عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ، جامعه الموصل، مركز دراسات الموصل،،دار ابن الاثيرللطباعه،٢٠٠٩،ص٢٣.
٥. طه باقر ،فؤاد سفر ،المصدر السابق ،ص١٦.
٦. نفس المصدر ،ص ٢٣.
٧. نفس المصدر ،ص ٢٧.
٨. اليعقوبي ،النجف ،الجزء الثاني ،سنة ١٣٥٨ هـ، ص٢٣١.
٩. عبد الرزاق عباس حسين، نشاء مدن العراق وتطورها، معهد البحوث والدراسات العربية١٩٧٣ ،ص٢٧.
١٠. آل طعمة،سلمان هادي،تراث كربلاء،مطبعة الآداب،النجف،١٩٦٤،ص٢٥.
١١. سعيد الديوه جي ،بحث في تراث الموصل ،١٩٨٢،ص١٢.
١٢. عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ،مركز دراسات الموصل ،،ابن الاثير للطباعة والنشر ،٢٠٠٩،ص ١٥٣.
١٣. سعيد الديوه جي ،بحث في نراث الموصل ((دراسة في المصادر التاريخية لتراث الموصل وخطط مدينة الموصل))،وزارة الثقافه والاعلام ،المؤسسة العامةلالآثار والمتاحف والتراث ،جامعه الموصل ،١٩٨٢،ص١٠.
١٤. صلاح حميد الجنابي،جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب،جامعة الموصل،١٩٨٧،ص٧١.
١٥. ابن جبير ،ابو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي ،رساله اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك وتعرف (برحلة ابن جبير) ،دار
مكتبة الهلال،بيروت ،١٩٨١،ص ١٨٨.
١٦. اوسكار رويتر،ترجمة محمود كبيبو،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،إطروحة دكتوراه مقدمة الى الاكاديميه الملكية السكسونية في درسدن– المانيا دار الوراق – لندن ٢٠٠٦،ص١١٧.

١٧. اوسكار رويتر،ترجمة محمود كبيبو،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،إطروحة دكتوراه مقدمة الى الاكاديميه الملكية السكسونية في درسدن– المانيا دار الوراق – لندن ٢٠٠٦،ص١١١.

١٨. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ط ١٣ دار الفكر – بيروت،مجلد ٨،ص ١٩٦.

*يذكر التاريخ ان مروان بن محمد تولى حكم الموصل مرتين الاولى من ١٢٦هـ–الى ١٢٧هـ=(٧٤٣م–٧٤٤م)،وتولى الحكم الثاني من ١٩٢الى ١٠٤هـ=(٧٧٠م–٧٧٢م).

١٩. وكان يقطع عن طريق حل وثائق الجسر من جهة الساحل الشرقي أظر :الأزدي،يزيد بن محمد ابو زكريا الازدي ،تاريخ الموصل ،مصر ،حوادث السنة المذكورة

٢٠. انظر :مجلة سومر ،المجلد الثالث ،سنة ١٩٤٧،ص١١٨–١٢٣.

٢١. سعد الديوه جي ،بحث في تراث الموصل ،المؤسسة العامة للآثار والمتاحف والتراث ،١٩٨٢،ص٢٢.

٢٢. عز الدين ابن الاثير ،الكامل في التاريخ المجلد ١١ ،١٢٥٠هـ، ص٥٦.

٢٣. سعد الديو هـ جي ،بحث في تراث الموصل ،ص ٢٥.

٢٤. يزيد بن محمد بن ابي زكريا الازدي ،تاريخ الموصل ،المجلد ٢،ص ٩٢.

٢٥. احمد لابن خلكان ،وفيات الاعيان ،المجلد١ ،مصر ١٣٢٠هـ،ص ٤٤٤.

٢٦. الازدي ،تاريخ الموصل ،المجلد الثاني ،ص ٣٠٧–٣٠٨.

٢٧. ماجد مطر عبد الكريم الخطيب،العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري لمدينة النجف الاشرف ،دار دجلة،٢٠١٠،ص٤٦.

٢٨. رؤوف محمد علي الأنصاري ،عمارة كربلاء،دراسة عمرانية وتخطيطية، ،٢٠٠٦م،الطبعة الأولى،ص٢٠–٢١.

٢٩. عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ،مركز دراسات الموصل ،جامعة الموصل ،٢٠٠٩،ص١٤٤.

٣٠. طه باقر ،فؤاد سفر،المرشد الى مواطن الآثار والحضارة،بغداد ،١٩٦٦،ص١٩.

٣١. عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ،٢٠٠٩،ص ١٤٨.

٣٢. عيسى سلمان وآخرون ،العمارات العربية الاسلامية في العراق ،مج ١،،بغداد ١٩٨٢،ص (١٦١–١٧٢) .

٣٣. طه باقر،فؤاد سفر ،المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ،بغداد ١٩٦٦،ص٢١.إنظر :ابن جبير رحلة ابن جبير ،القاهرة ١٩٥٥،ص ٢١٠،ابن بطوطه تحفة الانظار ١٩٥٨،المجلد الاول ،ص ١٤٨.

٣٤. شريف يوسف ،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ،بغداد ١٩٨٢،ص ٢٤٨.

٣٥. عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل،جامعة الموصل،مركز دراسات الموصل،٢٠٠٩،ص١٣٠-١٣٢.

٣٦. الموصلي، ذنون بن متى، الموصل بين احتلالين ، ط١، ٢٠١٦ص١٧٣-١٧٩.

٣٧. الشمري ، احمد صالح، نظم المعلومات الجغرافية من البداية، ط١، ٢٠٠٧، ص٤٥.

المصادر:

١- يزيد بن محمد بن إياس، أبو زكريا الأزدي (توفي ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م) هو مؤرخ من أهل الموصل. له «طبقات محدثي الموصل»، وهو مخطوط في دار الكتب (٢٤٧٥ تاريخ) باسم «تاريخ الموصل»

٢- الكامل في التاريخ ،عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير ،دار الكتاب العربي ،سنة النشر: ١٤١٧هـ /١٩٩٧م ، عدد الأجزاء: عشرة أجزاء.

٣- طه باقر،فؤاد سفر ،المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ،بغداد،اصدرته مديرية الفنون والثقافه الشعبية بوزارة الارشاد ، ١٩٦٦.

٤- ماجد مطر عبد الكريم الخطيب،العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري لمدينة النجف الاشرف ،دار دجلة،٢٠١٠.

٥- صلاح حميد الجنابي، جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب، جامعة الموصل،١٩٨٧.

٦- رياض ألجميلي، شخصية المدينة العراقية، مركز آل الحكيم الوثائقي.،٢٠١٠.

٧- شريف يوسف ،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ،بغداد ١٩٨٢.

٨- عيسى سلمان وآخرون ،العمارات العربية الاسلامية في العراق ،مج ١،،بغداد ١٩٨٢.

٩- صلاح حميد الجنابي،جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب،جامعة الموصل،١٩٨٧،ص٧١.

١٠- إبن جبير ،ابو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي ،رساله اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك وتعرف (برحلة ابن جبير) ،دار مكتبة الهلال ،بيروت ،١٩٨١.

١١- مجلة سومر ،المجلد الثالث ،سنة ١٩٤٧.

١٢- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،الطبعة الثالثة عشر ،دار الفكر ،بيروت مجلد الثامن ،٢٠٠٠.

١٣- اوسكار رويتر،ترجمة محمود كبيبو،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،إطروحة دكتوراه مقدمة الى الاكاديميه الملكية السكسونية في درسدن- المانيا دار الوراق – لندن ٢٠٠٦،

١٤- عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ،مركز دراسات الموصل ،،ابن الاثير للطباعة والنشر ،٢٠٠٩.

١٥- سعد الديوه جي ،بحث في تراث الموصل ،المؤسسة العامة للآثار والمتاحف والتراث ،١٩٨٢.

١٦- صلاح حميد الجنابي، جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب، جامعة الموصل،١٩٨٧.

١٧- رياض ألجميلي، شخصية المدينة العراقية، مركز آل الحكيم الوثائقي.،٢٠١٠.

١٨- شريف يوسف ،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ،بغداد ١٩٨٢.

١٩- عيسى سلمان وآخرون ،العمارات العربية الاسلامية في العراق ،مج ١،،بغداد ١٩٨٢.

٢٠- صلاح حميد الجنابي،جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب،جامعة الموصل،١٩٨٧،ص٧١.

٢١- إبن جبير ،ابو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي ،رساله اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك وتعرف (برحلة ابن جبير) ،دار مكتبة الهلال ،بيروت ،١٩٨١.

٢٢- مجلة سومر ،المجلد الثالث ،سنة ١٩٤٧.

٢٣- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،الطبعة الثالثة عشر ،دار الفكر ،بيروت مجلد الثامن ،٢٠٠٠.

٢٤- اوسكار رويتر،ترجمة محمود كبيبو،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،إطروحة دكتوراه مقدمة الى الاكاديميه الملكية السكسونية في درسدن- المانيا دار الوراق – لندن ٢٠٠٦،

٢٥- عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ،مركز دراسات الموصل ،،ابن الاثير للطباعة والنشر ،٢٠٠٩.

٢٦- سعد الديوه جي ،بحث في تراث الموصل ،المؤسسة العامة للآثار والمتاحف والتراث ،١٩٨٢.

٢٧- الموصلي، ذنون بن متى، الموصل بين احتلالين ، ط١، ٢٠١٦.

٢٨- صلاح حميد الجنابي، جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب، جامعة الموصل،١٩٨٧.

٢٩- رياض ألجميلي، شخصية المدينة العراقية، مركز آل الحكيم الوثائقي.،٢٠١٠.

٣٠- شريف يوسف ،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ،بغداد ١٩٨٢.

٣١- عيسى سلمان وآخرون ،العمارات العربية الاسلامية في العراق ،مج ١،،بغداد ١٩٨٢.

٣٢- صلاح حميد الجنابي،جغرافية الحضر،مطابع دار الكتب،جامعة الموصل،١٩٨٧،ص٧١.

٣٣- إبن جبير ،ابو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي ،رساله اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك وتعرف (برحلة ابن جبير) ،دار مكتبة الهلال ،بيروت ،١٩٨١.

٣٤- مجلة سومر ،المجلد الثالث ،سنة ١٩٤٧.

٣٥- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،الطبعة الثالثة عشر ،دار الفكر ،بيروت مجلد الثامن ،٢٠٠٠.

٣٦- اوسكار رويتر،ترجمة محمود كبيبو،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،إطروحة دكتوراه مقدمة الى الاكاديميه الملكية السكسونية في درسدن- المانيا دار الوراق – لندن ٢٠٠٦،

٣٧- عماد الدين خليل ،خطوات في تراث الموصل ،مركز دراسات الموصل ،،ابن الاثير للطباعة والنشر ،٢٠٠٩.

٣٨- سعد الديوه جي ،بحث في تراث الموصل ،المؤسسة العامة للآثار والمتاحف والتراث ،١٩٨٢.

٣٩- الموصلي، ذنون بن متى، الموصل بين احتلالين ، ط١، ٢٠١٦.

٤٠- الشمري ، احمد صالح، نظم المعلومات الجغرافية من البداية، ط١، ٢٠٠٧.

مملكة مستقلة من الالف الثاني قبل الميلاد
حكمت رأس الخليج العربي

د.هند محمد التركي

أستاذ مشارك تاريخ قديم

كلية الآداب قسم التاريخ

جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن/

المملكة العربية السعودية

مملكة مستقلة من الالف الثاني قبل الميلاد حكمت رأس الخليج العربي

د.هند محمد التركي

الملخص:

الاسم الرسمي لسلالة او مملكة القطر البحري للفترة من ١٧٤٠ – ١٥٠٠ قبل الميلاد، على امتداد الساحل الغربي لرأس الخليج العربي وفي الجزر القريبة منه نشأت مستوطنات أصبحت في الربع الثاني من الألف الثاني ق.م مملكة شملت منطقة الكويت وجزيرة فيلكا وجزيرة تاروت في المملكة العربية السعودية.

إن ما يمكن قوله عن فترة حكم مملكة القطر البحري إنها فترة حكم قلت فيها المصادر التاريخية لكن من المرجح وجود المملكة التي أشارت النصوص المسمارية إليها والى ملوكها حيث أطلق على هذه المملكة اسم (شش كو) وذكر أن ملوكهم إحدى عشر ملكًا أولهم (إيلوما إيلوم) وآخرهم (أيا – جميل) وسوف يقدم البحث دراسة عن السلالة ووجودها في راس الخليج العربي.

Abstract:

The name of the political composition of the country's dynasty or kingdom of the sea (1740-1500 BC), along the west coast of the Arabian Gulf and the nearby islands of settlements arose in the second quarter of the second millennium BC. The Kingdom of included Kuwait area especially Failaka island and Tharut Island in the Kingdom of Saudi Arabia.

What is to be said about the period of kingdom the country of the sea, it is a period of a few historical sources, but it is likely the existence of the Kingdom, which referred cuneiform to the kingdom and the kings, where he called the Kingdom of the name (Shash Ku) and stated that their eleven kings, the first is called (Iloma Illum) and The most recent of them (Ay-Jameel), will present a study on the dynasty and its presence at the top of the Arabian Gulf.

المقدمة:

من المرجح ان سلالة أو مملكة قد نشأت على امتداد الساحل الغربي لرأس الخليج العربي، أمكن الإشارة اليها بمسمى القطر البحري حيث قدمت المصادر الأثرية بما فيها الكتابات المسمارية ادلة على ظهور مدن ومستوطنات في أرض دولة الكويت الحالية والمناطق المجاورة لها منذ العصور القديمة، إلا أن هذه المستوطنات لم ترتقي إلى قيام مملكة مستقلة إلا في حدود الربع الثاني من الألف الثاني ق.م. وذلك ربما بسبب قوة وهيمنة الكيانات السياسية المتعاقبة على حكم بلاد الرافدين والتي لم تكن تسمح بظهور كيان سياسي مستقل في المنطقة، وقد أغفلت أغلب المصادر التاريخية ذكر هذه المملكة بشيء من التفصيل لذا فإن إشكالية البحث هي محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

- هل هناك كيان سياسي مستقل في منطقة جنوب السهل الرسوبي ورأس الخليج العربي في حدود الألف الثاني ق. م؟
- هل توجد مستوطنات تحولت إلى مدن، ومع مرور الوقت تحولت إلى مملكة مستقلة؟ وإذا حدث ذلك بالفعل فما هي مقومات قيام هذه المملكة المستقلة. وما هي معالمها الحضارية التي ذكرتها نصوص الكتابات المسمارية؟

أولا- الاسم والتكوين السياسي للمملكة (١٧٤٠ – ١٥٠٠) ق.م:

إن ما يمكن قوله عن فترة حكم مملكة القطر البحري إنها فترة حكم قلت فيها المصادر التاريخية، فليس هناك ما يؤكد أن ملوك القطر البحري هم أول من حكموا منطقة رأس الخليج العربي، ولكن من المرجّح وجود هكذا مملكة حكمت المنطقة التي تمثل اليوم مناطق جنوب السهل الرسوبي فضلا عن دولة الكويت حالياً كمركز مملكة، فقد ذكرت النصوص المسمارية فترة حكم ملوك المملكة بحوالي ٣٦٨ عاماً، وذكرت في نص آخر أسماء ملوكهم وقد أطلق على هذا الشاهد التاريخي اسم (شيش كو) (ŠIŠ – KU)[١].وذلك في منطقة غير محددة لكنها تقع الى الجنوب من حدود مملكة بابل الجنوبية والتي كانت على رأس سواحل الخليج العربي[٢].

١-أصل التسمية:

سميت مملكة او سلالة القطر البحري من قبل المختصين وذلك لأنها كانت مطلة على سواحل الخليج العربي، وأطلق عليها آخرون سلالة أو مملكة بابل الثانية لنشأتها في جنوب حدود بلاد بابل[٣]. الا ان الأدلة التاريخية تشير إلى ان تسمية أرض البحر أو القطر البحري وردت ضمن التسلسل التاريخي لحضارات بلاد الرافدين حيث عرفت باسم (سلالة البحر الأولى) [٤]، والتي يصعب تحديد امتدادها على وجه الدقة لكنها شملت في الغالب منطقة رأس الخليج العربي وأجزاء من أهوار جنوب العراق، حيث وورد المصطلح "كاردونياش" (karduniash) الذي يمكن ترجمته الى بلد الاله دونياش والذي هو مصطلح استعمل خلال العصر الكاشي (١٥٩٥- ١١٦٢ ق.م) ليدل على هذه المملكة والتي يشمل مناطق من أراضي الخليج العربي وجنوب بلاد الرافدين، بيد ان الاسم مرتبط بالإله الكاشي رغم ان البلاد تعني أرض البحر نفسها (منطقة رأس الخليج العربي)، وعلى الأرجح فان المعنى الأخير هو الادق بدليل أن الملك الكاشي (أولابورارياش) (١٤٥٠ق.م) أطلق على نفسه ملك أرض البحر[٥] حيث يرد ما نصه: «أولابورارياش ابن بورنا، ورياش الذي (هو) ملك بلاد البحر»[٦].

ومع تطابق اللفظة كاردونياش مع أرض البحر فان الباحثة ترجّح أن اللفظة هي نفسها أرض بلاد البحر بلغة كاشية[٧].

ومنذ العصر الأكدي فقد ورد في كتابات الملك سرجون الأكدي (٢٣٧١- ٢٣١٦ ق.م) انه جلب غنائم عن طريق منطقة أرض البحر[٨]، كما عرف السومريون في العصر الحديث نهاية الالف الثالث قبل الميلاد تسمية ساحل البحر حيث عثر على مخروط فخاري من فترة حكم الأمير كوديا(٢١٤٤-٢١٢٤ق.م) أمير مدينة لجش، يذكر ساحل البحر حيث يرد (GU-AB-BA) بمعنى ساحل البحر في السطر التاسع من الكتابة على المخروط[٩].ومن المفيد ان نذكر ان نصوص مسمارية من فترة حكم الملك الاشوري آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) ذكرت اللفظة كاردونياش وهي تتطابق مع أرض البحر أي انها تحمل الاسم نفسه (أرض البحر)[١٠].

وقد توالت الكتابات عن المنطقة كمملكة مدينة حيث ورد في نصوص الملوك الآشوريين: سرجون، سنحاريب، آشور بانيبال، بتسمية أخرى بلفظ (بيت ياكين – ياقين) وقد شمل نفوذها الأقسام الجنوبية من بلاد الرافدين وحتى عاصمة مملكة دلمون في مملكة البحرين الحالية على الخليج العربي[١١]، ومن المرجح أن تكون عاصمة مملكة القطر البحري والتي عرفت باسم "بيت ياكين" احدى اهم المواقع الاثرية في اقصى جنوب بلاد الرافدين ومنها مستوطنة (تل أبو الصلابيخ)، حيث كشف في هذا التل على فخاريات تعبر عن تسلسل زمني يبدأ من الدولة الأكدية، وينتهي بالعصور الإسلامية المبكرة فهناك كتابة مسمارية قصيرة على جرة (Ša bit Ia–kin) وترجمتها الذي يرجع أو يعود إلى بيت ياكين[١٢]، أي منطقة أرض البحر.

٢-*نشأة المملكة وملوكها:*

تشير المصادر التاريخية الى ان أحد الثوار ويدعى (إيلوما إيلوم) تمكن من القيام بحركة انفصالية عن حكم سلالة بابل الأولى وأسس ما يعرف باسم (سلالة القطر البحري)، ولكي يضفي شرعية على حكمه ادعى أنه من أحفاد ملك سلالة أيسن المشهورة والمدعو (دامق إيليشو) وعرفت السلالة والمملكة بسلالة بابل الثانية[١٣].

وبقيت سلالة بابل الثانية (سلالة القطر البحري) تتبادل الانتصار والهزيمة مع بابل خلال محاولات الملك البابلي سمسو – ايلونا إعادة المملكة لسلطانه ولكن دون جدوى حيث استمرت المملكة بالاستقلال وتعاقب على حكمها أحد عشر ملكاً[١٤]، أولهم (إيلوما إيلوم) وآخرهم (أيا – جميل) [١٥].

وشملت المملكة حدوداً وموقعاً جغرافياً على النحو التالي:

أ- الساحل الأفقي لرأس الخليج العربي:

يمتد هذا الساحل بشكل أفقي ما بين دولة الكويت حالياً[١٦] حتى مدينة بوشهر على حدود الخليج مع إيران وهي عبارة عن منطقة دلتائية منبسطة تكثر فيها المستنقعات وتغطي بعض أجزائها الحشائش الخشنة التي كونتها مياه دجلة والفرات والكارون وهي المياه التي تجري حالياً في شط العرب عبر أراضي الدلتا[١٧].

ب_ المنطقة الساحلية بين رأس الخليج والكويت:

وهو ساحل عظيم الانخفاض وإلى جانبه تمتد السهول الساحلية التي تكثر فيها الأهوار الضحلة ويقع جزء منه يبلغ طوله حوالي ٧٠ كم في المنطقة المتاخمة بين المملكة العربية السعودية والكويت[١٨] والمنطقة المهمة في هذا الساحل هي السهل الرسوبي، وهو يمتد على شكل مستطيل باتجاه شمالي غربي وجنوبي شرقي ويعد هذا السهل أهم أجزاء المنطقة من الناحية الاقتصادية والسكنية وهو امتداد طبيعي لحوض الخليج الشمالي[١٩] كما ان تكوينه من الرواسب التي جلبتها الأنهار جعل منه منطقة مهمة[٢٠].

لقد تكون هذ السهل في أوائل الزمن الجيولوجي الأخير ويسميه الباحثون المختصون بعصور ما قبل التاريخ بالعالم (عصر البليوسين) (Pliocene) وهو العصر الرابع والأخير من الزمن الثالث حيث استمر مدة طويلة نتيجة حدوث حركات أرضية هبطت بعدها الأقسام الجنوبية من العراق مكونة منخفض السهل الرسوبي[٢١].

وأكدت الدراسات والأبحاث إنه في حدود الألف الرابع ق.م حدث تغير مفاجئ في المناخ جعل المنطقة صالحة للاستيطان مع تناقص مستوى مياه الخليج إلى مستواه الحالي، ومع التناقص وتبدل المناخ نحو الاعتدال أصبحت المنطقة مشجعة لاستيطان السومريين حيث ظهرت أرض خصبة في السهل الجنوبي ولم يعد الفيضان يشكل ذلك الخطر الذي كان يشكله سابقًا[٢٢].

لذلك من المرجح أن بعض الموانئ السومرية الرئيسة كانت واقعة على سواحل هور ومرتبطة بواسطة سلسلة من الأنهار حتى تلتقي بالخليج العربي[٢٣]، وتطرقت إحدى القصائد السومرية لوصف حالة الالتقاء بالخليج العربي حيث يرد ما نصه: «كانت الأراضي جميعها بحراً وعندها خلقت (أريدو)»[٢٤]، ومدينة أريدو تعد من أقدم مدن جنوب بلاد الرافدين، والتي لا تبعد كثيراُ عن حدود مملكة القطر البحري المشار إليها.

ج- الجزر:

من المرجح ان هناك بعض الجزر التي كانت تتبع للمملكة وقد اعتبرت جزرًا وفرت الملجأ والغذاء والماء للسفن التي تمر بها، كما أصبحت قواعد تجارية آمنة للشحن الخارجي ومراكز تجارية للمناطق الواقعة خلف الساحل ومن بين أهم هذه الجزر:

ج.١- جزيرة فيلكا:

تقع جزيرة فيلكا على الساحل الغربي للخليج العربي على بعد ١٩ كم من ميناء رأس الأرض بالكويت[٢٥] ويبلغ طول الجزيرة ما بين ١٢- ١٣ كم وعرضها ٦ كم وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي ٤٧ كم^{٢} تقريباً، ويغلب على شكلها شكل المثلث غير متساوي الأضلاع وسطحها أشبه بالوتر رأسه في الجنوب الشرقي وقاعدته في الجنوب الغربي[٢٦].

تركزت مراكز الحضارة في الجزيرة في الجزء الجنوبي الغربي حيث تعاقبت عليها حقب سكانية منذ بداية عام ٢٠٠٠ ق. م وحتى عام ١٢٠٠ ق. م[٢٧] وتكاد تتفق جميع البعثات التي توافدت إلى الجزيرة على أنها كانت من أهم المراكز الاستيطانية وقد بدأت عمليات التنقيب الأثري في دولة الكويت في ١١ فبراير عام ١٩٥٨م عندما قام بيتر جلوب (P.GLOP.) وجيفري بيبي (G. Bibby) بزيارة جزيرة فيلكا[٢٨] ثم توالت البعثات في القدوم إلى جزيرة والتنقيب عن آثارها ولا زالت إلى اليوم عمليات البحث عن الآثار في جزيرة فيلكا مستمرة.

كانت جزيرة فيلكا هي المحطة الأولى التي تتوقف فيها السفن القادمة من بلاد الرافدين للتزود بالمياه والمؤن قبل أن تبحر في رحلتها الطويلة إلى دلمون (البحرين) ثم مجان المعروفة الآن بعمان وميلوخا في بلاد السند[٢٩].

لقد أدى ارتفاع منسوب المياه في حوض الخليج العربي في الألف الثالث ق. م إلى غمر أجزاء واسعة من جزيرة فيلكا، فكانت مياه البحر أعلى مما هي عليه في الوقت الحالي بحوالي ١,٥ م ولعل ذلك السبب ربما يفسر عدم ذكر الجزيرة أو الإشارة إليها خلال تلك الفترة[٣٠] حيث هجر السكان الجزيرة، ولكن مع نهاية الألف الثالث ق. م أشارت الأدلة إلى وجود استيطان فيها حيث أكدت الأعمال الميدانية والتنقيب عن انتشار حضارة دلمون في الجزيرة حتى نهاية الألف الثاني ق. م فكشفت أعمال التنقيب عن وجود بقايا منزل يعود إلى الألف الثالث ق. م في الجهة الجنوبية من المعبد البرجي والذي يرجع تاريخه الى حوالي عام ٢١٥٠ ق. م[٣١].

وتعود أقدم الطبقات الاستيطانية في الجزيرة في قصر الحاكم إلى بداية الألف الثاني ق. م وهو تحديد معاصر لنهاية فترة إيسن – لارسا في بلاد الرافدين[٣٢].

ولعل وجود الاستيطان في تلك الفترة دليلاً على وجود مملكة القطر البحري فالملك (إيلوما إيلوم) عندما أراد ان يضفي على نفسه صفة شرعية في الحكم ادعى أنه من أحفاد ملك إيسن (دامق إيليشو) علما وان الاستيطان في التل الاثري يعود إلى نهاية حكم فترة إيسن وكذلك الاستيطان في موقع المدينة الدلمونية المعروف بـ موقع 3 f (تل سعد) يعود إلى نهاية الألف الثاني ق.م، ويعد المعبد البرجي في التل موقع 6 f (قصر الحاكم) من أهم المواقع العائدة لتلك الفترة التاريخية فهو الأول من نوعه في منطقة الخليج العربي. وبني المعبد على نمط الأبراج العالية حيث كشف فيه عن مادة أثرية غنية مثل الجرار وأدوات الزينة والأختام الدائرية مما يدل على إن المنطقة المحيطة به استوطنت منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد [٣٣].

ومن بين اهم المعثورات عدد من الاختام منها ختم أسطواني اكتشف في منطقة الخضر[٣٤] ينتمي في طرازه الى اختام بلاد الرافدين بكتابه مسمارية وتم الكشف عنه في تنقيبات المواسم ٢٠٠٤م- ٢٠٠٩م من قبل البعثة الآثارية الكويتية – السلوفاكية والموقع مؤرخ بالعصر البرونزي ويمتد من الشمال إلى الجنوب من نهاية رأس الساحل الغربي للجون[٣٥].

كما عثر في موقع الخضر على ٧٠ ختماً على مدى أربعة مواسم من التنقيب كانت عبارة عن أختام للدمغ[٣٦] وتنوعت أشكال الأختام وإن كانت تتوحد في إطارها العام[٣٧].

وكمثال مهم على الاختام نشير الى الختم الأسطواني المكتشف في موقع الخضر ، والذي يعد من أهم الأدلة على الاستيطان في الجزيرة وربما من أهم الدلائل على وجود مملكة القطر البحري فوجود الختم وعليه الكتابة المسمارية مع شكله العام يؤكد ذلك[٣٨]، اذ يحتوي الختم على مشهد لأشكال آدمية تشغل ثلثي سطح الختم والثلث الأخير نقوشاً بعلامات مسمارية، ويمثل الشكل التصويري شخص كبير في مواجهة الجانب الأيسر جالس على مقعد مربع بلا ظهر يرتدي ثوباً طويلاً مما يمكن أن يكون غطاء للرأس ذي قرن، ويرفع يده اليمنى باتجاه هلال ونجمة سداسية ويواجهه أو يواجهها شخصان واقفان يرتديان ملابس طويلة ويمسك كل منهما يد الآخر، الشخص الأول يرتدي غطاء للرأس ويرفع يده اليسرى ناحية الهلال والنجمة السداسية، أما الثاني حاسر الرأس وتوجد سعفة نخيل في

وضع رأسي أمام كل منهما كما يوجد شكل صغير مثلث أمام وجه الشخص الثاني قد تكون يده المرفوعة[٣٩].

أما الكتابة المسماريه فهي عبارة عن ثلاثة أسطر باللغة البابلية القديمة وردت قراءتها في كتاب دليل أختام فيلكا على النحو التالي: «أبجينا بحار من سفينة ضخمة وابن أور أبا»[٤٠].

ولكن بقراءة النقش المسماري قراءة حديثة[٤١] نجد اللفظ التالي: «أبگينا بحار السفينة العظيمة (الكبيرة جدا) ابن أور أبا» ففي السطر الأول اسم علم وهو صاحب الختم ويدعى أبگينا وكتب بثلاث علامات مسمارية باللغة البابلية هي (ab – gi – na).أما السطر الثاني صفة صاحب الختم وفيه أربع علامات كتبت بالخط المسماري واللغة السومرية وبصيغة العلامات من اليسار الى اليمين(LU_2. MA_2. GAL .GAL) فالأولى بمعنى رجل ومع العلامة الثانية والتي تعني سفينة يصبح المعنى رجل السفينة أي بمعنى البحّار او السّفان، اما العلامتين الأخيرتين بمعنى كبير أو عظيم وهي إشارة الى السفينة. اما السطر الثالث من النص المسماري فيرد فيه اسم والد صاحب الختم حيث نجد اللفظ "دومو" (DUMU) والذي يترجم الى ابن ثم اسم الاب والذي يدعى "أور أبا" (UR. AB. Ba) [٤٢]. ويدل الختم على أن صاحبه من سكان المدينة ويعمل سفان أو بحار وقائدا للسفينة، ومن خلال الاسم يتضح أنه اسم بابلي وله صلة وثيقة بالبابليين فقد كتب اسمه وصفته بعلامات مختلطة بين اللغة البابلية والسومرية لكنه من أصول سومرية ويسكن في مملكة القطر البحري لأن اسم أبيه سومري ولفظه باللغة السومرية "أور.أب.با"، وإذا ما ترجم الاسم حرفياً باللغة السومرية والتي من المعروف ان كل مقطع صوتي فيها يدل على معنى لغوي، فيكون المقطع الأول معناه الوفي، أما المقطعين الأخيرين (AB– BA) فهما من أصل اسم الخليج أو البحر باللغة السومرية.[٤٣] وبذلك يكون ارتباط عائلة صاحب الختم بالبحر لأن اسمه الكامل يكون الوفي للبحر وهو يطابق بلا شك نفس الاسم لسلالة القطر البحري.

إن وجود استيطان بشري في المنطقة المذكورة بدليل الشواهد والمكتشفات الاثرية الحديثة في جزيرة فيلكا وموقع الخضر بالتحديد يرجّح وجود سلطة حاكمة تسيّر التجارة والمعاملات التجارية والحركة الاقتصادية لمملكة القطر البحري.

ج.٢ جزيرة تاروت:

تقع جزيرة تاروت على الضفة الغربية من الخليج العربي وهي ثاني أكبر جزيرة في الخليج بعد البحرين تبلغ مساحتها حوالي ٧٠ كم^{٢} وتقع شرق القطيف داخل خور واسع من البحر اسمها (تيروس) القريب من اسمها الحالي تاروت أطلق عليها اليونانيون اسم (تاور) وكانت تعرف باسم (عشتاروت) نسبة إلى معبد للآلهة (عشتاروت) الفينيقية وجد في الجزيرة ومع مرور الزمن حرف الاسم وحذف منه الحرفين الأولين ليصبح اسم الجزيرة (تاروت) اشتهرت الجزيرة بآثارها القديمة التي من أهمها القلعة القديمة التي نقلت إلى جامعة الرياض(٤٤).

قامت البعثة الدنماركية بالمسح الأثري والتنقيب في المنطقة وكشفت عن أربع طبقات سكنية في أبنيتها مع اكتشاف بئر ماء عميقة من المياه العذبة حيث ساعد وجود البئر على استقرار الإنسان في هذه المنطقة.

كما دلت الحفائر التي تمت في الطبقات السفلى في المنطقة أن الفخار المكتشف ينتمي إلى حضارة العبيد من الألف الرابع ق. م(٤٥).

وكانت جزيرة تاروت من أهم مناطق الاستقرار البشري حيث دلت الاكتشافات الأثرية على ذلك فكان لها دور كبير في تجارة الخليج العربي واعتمدت بلاد الرافدين في تجارتها على تاروت ومن خلالها الى شرق شبه الجزيرة العربية، ومن المرجّح ان جزيرة تاروت من المواقع التي كانت تابعة الى مملكة القطر البحري فقد كشفت التنقيبات أنها من أماكن الاستيطان المبكر منذ الالف الثاني قبل الميلاد، وإحدى القواعد التجارية المهمة والآمنة للشحن الخارجي.

الخاتمة والاستنتاج:

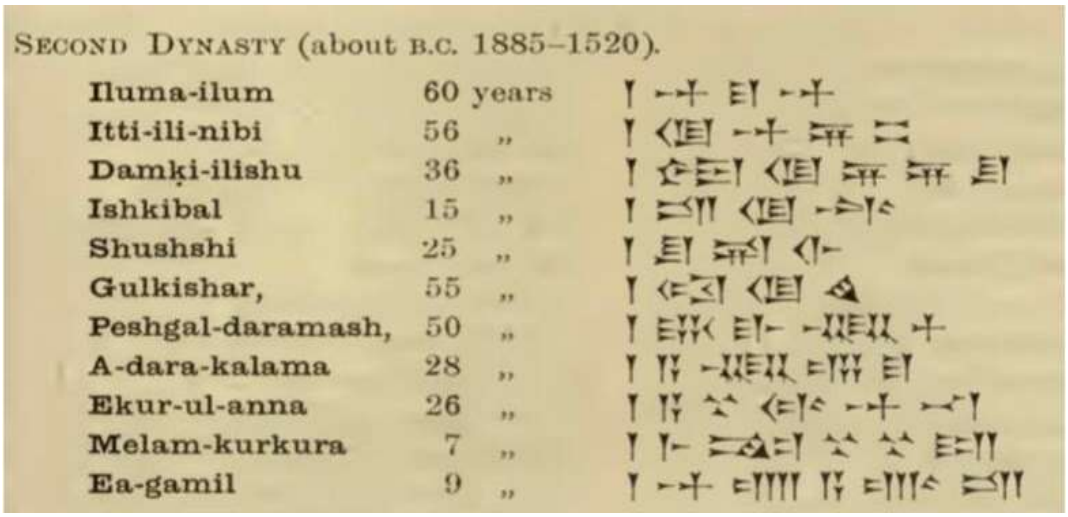
على الرغم من عدم العثور على ادلة كتابية ومادية متعددة من المنطقة التي من المرجّح ان تمثل مملكة القطر البحري والتي تبين مدى امتداد ارض البحر والمناطق التي شملتها، إلا أن وجود نص ذكر أسماء الملوك الذين حكموا هذه المملكة (المنطقة)، ونص آخر يذكر سني حكمهم وامتداد حكمهم إلى ٣٦٨ عاماً، يعتبر من الأدلة على وجود المملكة.

ولغرض حسم قضية تحديد المدن والمواقع الاثرية الباقية من مملكة القطر البحري ينبغي تضافر دراسات الباحثين، سواء المختصين بالنصوص والنقوش القديمة مع نتائج التنقيبات

والبعثات الأثرية ومن ثم استخلاص النتائج عن المملكة وامتدادها خصوصا المناطق المحاذية لرأس الخليج وجنوب اهوار بلاد الرافدين حيث إن هناك نصوصاً أشارت إلى بعض المدن القديمة الموجودة في رأس الخليج العربي. فقد ذكرت حملة الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ ق.م) عام ٦٦٩ ق.م مثالا لذلك مدينة (باب ساليمتي) (Bab-Salemeti) على راس الخليج وذكر الملك أنه عسكر في مدينة باب ساليمتي وإنها تبعد نحو ساعتين بابليتين (أي ما يعادل١٢ ميلاً) عن البحر أي الخليج العربي وإنه قدم في فيها بعض الهدايا الذهبية إلى آله البحر وفي مقدمتهم الإله (أيا) (إله الماء)[٤٦].

ولو أننا تمكنا اليوم أن نعرف أين تقع (باب ساليمتي) لحددنا نقطة ثابتة لخط الساحل الذي يبعد ١٢ مثلاً تقريباً إلى الجنوب من رأس الخليج العربي وعرفنا معلومات اكيدة عن مملكة القطر البحري.

الملاحق:



SECOND DYNASTY (about B.C. 1885–1520).

Iluma-ilum	60 years	
Itti-ili-nibi	56 „	
Damḳi-ilishu	36 „	
Ishkibal	15 „	
Shushshi	25 „	
Gulkishar,	55 „	
Peshgal-daramash,	50 „	
A-dara-kalama	28 „	
Ekur-ul-anna	26 „	
Melam-kurkura	7 „	
Ea-gamil	9 „	

(الشكل رقم ١) أسماء ملوك سلالة القطر البحري وعدد سنوات حكم كل ملك مع كتابة اسم كل ملك بالخط المسماري نقلا عن :

Guide A, Babylonian and Assyrian Antiquities, 3edition, British museum, 1922, p.247



الشكل رقم ٢ – امثله لأنواع الأختام من موقع الخضر، نقلا عن: دليل أختام فيلكا – موقع الخضر ص٢٣



الشكل رقم ٣– ورقم ٤ – الختم الأسطواني وطبعة الختم للسّفان، والمكتشف في الخندق رقم٥، نقلا عن: دليل أختام فيلكا – موقع الخضر ص ٤٠

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

-الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٨٥م.

-باقر، طه، مقدمة في جغرافية العراق التاريخية، مجلة الأقلام، مجلة فكرية عامة تصدرها وزارة الأعلام، العدد ١١، ١٩٧٠م.

-البدر، سليمان سعدون، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق. م الكويت ١٩٧٤م.

-البعثة الآثارية الدنماركية في الكويت ١٩٥٨م- ١٩٦٣م نظرة على أرشيف متحف موسفورد ترجمة محمد البندر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ٢٠٠٩م.

-بيبي، جيفري، البحث عن دلمون ترجمة أحمد عبيدلي، نيقوسيا ١٩٨٥م ص ٢٦٥.

-التركي ، قصي منصور، الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الالف الثالث ق.م (التاريخ السياسي والحضاري)دار صفحات للنشر، دمشق سوريا ٢٠٠٨م.

. -التركي، قصي عبد الكريم، عروبة الخليج حقائق جغرافية ولغوية، دار صفحات للنشر، دمشق/ سوريا ٢٠١١م.

-تركي بك، فاطمة هاشم، علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب في عصر الدولة الآشورية الحديثة ٨٥٤- ٦١٣ ق.م رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الملك سعود، كلية الآداب – قسم التاريخ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

-الحجاوي، غادة رضا، جذور الكويت الحضارية مجلة العربي العدد ٤٩٢ نوفمبر ١٩٩٩م.

-الخلف محمد جاسم، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، القاهرة ١٩٦٥م.

دانيال، بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري، مراجعة أحمد التدمري وأحمد السقاف، ج ١، ٢، أبو ظبي المجمع الثقافي الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

الدباغ، تقي، الطبيعة والأنسان، حضارة العراق الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م.

-ذيب، مصطفى، جزيرة فيلكا، مؤسسة الكويت للبحث العلمي ١٩٨٨م.
-رشيد ، فوزي، من الآثار المتبادلة مع اليابان مجلة سومر مجلد ٢٦ الجزء ١- ٢، ١٩٧٠م.
-صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٩٧م.
-الصفدي، هشام، دراسة مقارنة لأختام الخليج العربي الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، الرياض ١٩٨٤م.
-عبد الله، محمد صبحي، العلاقات المصرية في العصور القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
-عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م.
-فرزات، محمد حرب، مرعي، عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٤م.
-قابيل، علاء الدين محمد، لمحات من تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق – سوريا – فلسطين – إيران، دار الزهراء للنشر، الرياض، ط١ ٢٠٠٦م.
-كفافي، زيدان عبد الكافي، تاريخ شبه الجزيرة العربية وآثارها قبل الإسلام، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، الرياض، ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م.
-متولي، محمد، حوض الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة الجزء الأول ١٩٧٥م.
-المطيري، حامد مطلق، الآثار الإسلامية على الساحل الشمالي الغربي لزيرة فيلكا دراسة أثرية تحليلية مقارنة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٧م.
-الهاشمي، رضا جواد، الحدود الطبيعية لرأس الخليج العربي، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مجلد ١٣، ١٩٨٢م.

-هيلين ديفيد، كوني وجوهان أزيتيا، دليل أختام فيلكا موقع الخضر، تحرير شهاب عبد الحميد شهاب ترجمة د. طارق عبد الله فخر الدين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٦م.

المراجع الأجنبية:

-AL-Ahmed, S, S. Southern Mesopotamia in the time of Assurbanipal The Hag Mouton, 1963.

-Guide A, Babylonian and Assyrian Antiquities, 3edition, British museum, 1922.

Raymond Philip. P. The Sea Land of Ancient Arabia, Yale Oriental Series Researches, Vol 19, 1932.

Raymond, The Sea Land, P. 123.

Vonsoden. W, The Ancient Orient, An Introduction to the Study of the Ancient Near East Translated by Donald. G, Michigan 1994.

الهوامش:

(١) انظر: الملاحق شكل (١) أسماء ملوك المملكة.

(٢) صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥٥٥.

(٣) كانت دولة بابل الأولى قد سقطت على يد الحثيين بقيادة ملكهم مورسيس الأول، ولكن لم يستمروا طويلاً من البقاء فيها نظراً لقوة مملكة البحر التي نشأت على تخوم الخليج العربي والتي أقامت دولة بابل الثانية. انظر:

قابيل، علاء الدين محمد، لمحات من تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق – سوريا – فلسطين – إيران، دار الزهراء للنشر، الرياض، ط١ ٢٠٠٦م ، ص ١٣٧.

(4) Vonsoden W, The Ancient Orient, An Introduction to the Study of the Ancient Near East Translated by Donald. G, Michigan 1994, p. 53.

(٥) التركي، قصي منصور، عروبة الخليج حقائق جغرافية ولغوية، دار صفحات للنشر، دمشق/ سوريا ٢٠١١م، ص ١٩. كذلك: الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٨٥م ص ١٠- ص ١٢.

(6) Raymond Philip. P. The Sea Land of Ancient Arabia, Yale Orientel Series Researches, Vol 19, 1932 p. p. 122- 141.

(٧) وردت اللفظة كاردونياش باللغة الكاشية على النحو التالي (كار، أوكور) بمعنى (جدار، سور، بلاد) (ودوني) تعني (بحر) أما (أياش) فتعني (أرض)، فتصبح الكلمة (بلاد أرض البحر). انظر: Raymond, The Sea Land, P. 123.

(٨) تركي بك، فاطمة هاشم، علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب في عصر الدولة الآشورية الحديثة ٨٥٤- ٦١٣ ق.م رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الملك سعود، كلية الآداب – قسم التاريخ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ٢٥، ص ٢٦، ص ٧٤.

(٩) رشيد، فوزي، من الآثار المتبادلة مع اليابان مجلة سومر مجلد ٢٦ الجزء ١- ٢، ١٩٧٠م، ص ١١٠، ١١٢. كذلك: التركي، عروبة الخليج، ص ٢٢.

(١٠) AL-Ahmed, S, S. Southern Mesoptamia in the time of Assurbanipal The Hag Mouton, 1963 P. 52.

(١١) الأحمد، تاريخ الخليج العربي، ص ٢٤٨. كذلك: الهاشمي، رضا جواد، الحدود الطبيعية لرأس الخليج العربي، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مجلد ١٣، ١٩٨٢م، ص ٢٤٠.

(١٢) الهاشمي، الحدود الطبيعية لرأس الخليج، ص ٢٤٠.تركي بك، علاقات بلاد الرافدين، ص ١٨٤. التركي، عروبة الخليج، ص ٢٣.

(١٣) فرزات، محمد حرب، مرعي، عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٤م، الطبعة الثانية، ص ١٤٦.

عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م، ص ٣٦٨.

(١٤) عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص ٣٦٩.

(١٥) انظر: الملاحق جدول تسلسل الملوك، شكل (١).

(١٦) تقع دولة الكويت كما هو معروف في الزاوية الشمالية الغربية للخليج العربي، وقد سهّل وقوعها على الخليج ان تفاعلت مع الحضارات التي نشأت فيها ومع المناطق المجاورة لها وسميت الكويت تصغيراً

لكلمة كوت، والتي تعني الحصن أو القلعة. انظر: كفافي، زيدان عبد الله، تاريخ شبه الجزيرة العربية وآثارها قبل الإسلام، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، الرياض، ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م، ص ٣٩٣.

([١٧]) الهاشمي، الحدود الطبيعية لرأس الخليج العربي، ص ٢١٧، ص ٢١٨.

([١٨]) متولي، محمد، حوض الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة الجزء الأول ١٩٧٥م، ص ٤٧.

التركي، قصي منصور، الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الالف الثالث ق.م (التاريخ السياسي والحضاري)دار صفحات للنشر دمشق سوريا ٢٠٠٨م ص ٨٠

([١٩]) عبد الله، محمد صبحي، العلاقات المصرية في العصور القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ٢٠.

الخلف محمد جاسم، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٢٢، ص٢٣.

([٢٠]) إن تكوين السهل من الرواسب التي جلبتها الأنهار جعل منه منطقة سكنية ومهمة، ففي الشرق يوجد نهر (الكارون) ومن الغرب (الكرخة) ووادي الباطن وينبعان من جبال زاكروس ولكل منهما دلتا مستقلة ويجلبان معهما رواسب كثيرة إما وادي الباطن فيأتي من مرتفعات الجزيرة العربية ويصب في الخليج العربي ومن الشمال رواسب نهر دجلة والفرات حيث تكونت بحيرة داخلية ثم امتلأت البحيرة بالرواسب ولم يبقَ منها إلا الأهوار. انظر: البدر، سليمان سعدون، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق. م الكويت ١٩٧٤م، ص ٣٦.

([٢١]) الدباغ، تقي، الطبيعة والأنسان، حضارة العراق الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ص ٣٦.

التركي، الصلات الحضارية، ص٧٩

([٢٢]) الصفدي، هشام، دراسة مقارنة لأختام الخليج العربي الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، الرياض ١٩٨٤م، ص ٨٧، ص ٨٨.

([٢٣]) الهاشمي، الحدود الطبيعية لرأس الخليج، ص ٢٢٧.

([٢٤]) باقر، طه، مقدمة في جغرافية العراق التاريخية، مجلة الأقلام، مجلة فكرية عامة تصدرها وزارة الأعلام، العدد ١١، ١٩٧٠م، ص ٦.

([٢٥]) المطيري، حامد مطلق، الآثار الإسلامية على الساحل الشمالي الغربي لزيرة فيلكا دراسة أثرية تحليلية مقارنة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٧م، ص ٢٧.

([٢٦]) ذيب، مصطفى، جزيرة فيلكا، مؤسسة الكويت للبحث العلمي ١٩٨٨م، ص ٣٥. المطيري، الآثار الإسلامية، ص ٢٨. الدويش سلطان مطلق محمد صطام ، المواقع الحضارية على الساحل الغربي للخليج العربي حتى القرن الثالث قبل الميلاد (دراسة اثرية مقارنه) الكويت-٢٠١٥م ص٦٩

([٢٧]) الحجاوي، غادة رضا، جذور الكويت الحضارية مجلة العربي العدد ٤٩٢ نوفمبر ١٩٩٩م ص ٢١.

([٢٨]) بيبي: جيفري: البحث عن دلمون ترجمة أحمد عبيدلي، نيقوسيا ١٩٨٥م ص ٢٦٥، للمزيد من المعلومات حول البعثة. انظر: البعثة الآثارية الدنماركية في الكويت ١٩٥٨م- ١٩٦٣م نظرة على أرشيف متحف موسفورد ترجمة محمد البندر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ٢٠٠٩م.

([٢٩]) المطيري، الآثار الإسلامية، ص ٣٦. الدويش المواقع الحضارية ،ص٧٠

([٣٠]) دانيال، بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري، مراجعة أحمد التدمري وأحمد السقاف، ج ١، ٢، أبو ظبي المجمع الثقافي الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص ٤١٢، ص ٤١٣.

([٣١]) المطيري، الآثار الإسلامية، ص ٣٦.

([٣٢]) المطيري، الآثار الإسلامية، ص ٣٦. الدويش المواقع الحضارية ص ٧١ ،٧٩ ،٢١٣

([٣٣]) يعود بناء المعبد إلى النصف الأول من القرن الثاني ق. م وبني على شكل الزقورات بارتفاع يقدر بحوالي ١٨ أو ٢٠ م انظر: المطيري، الآثار الإسلامية، ص ٣٧.

([٣٤]) جاءت تسمية موقع الخضر من مقام الخضر وهو ضريح كان يزوره كثير من المسلمين حتى هدم في فترة السبعينات القرن العشرين، استخدم الموقع كمرفأ للسفن والمراكب فكان نقطة التقاء مع الحضارات الأخرى التي تفد إلى الجزيرة. انظر: هيلين ديفيد، كوني وجوهان أزيتيا، دليل أختام فيلكا موقع الخضر، تحرير شهاب عبد الحميد شهاب ترجمة د. طارق عبد الله فخر الدين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٦م، ص ١٤.

([٣٥]) ديفيد، أزيتيا، دليل أختام فيلكا، ص ١٥.

([٣٦]) أختام الدمغ قدم دليل أختام فيلكا تحليلاً لمجموعة من أختام موقع الخضر فقد تم وصف خصائص كل عنصر من عناصر أختام الدمغ بشكل منفرد وتم إيجاز الوصف في صيغة عملية باستخدام الحروف D, D- D, K, f, C, N ليدل كل حرف على جزئية معينة في الختم، وتم التعبير عن التوصيف بـ قرص، حدبه، طوق وتكون متماثلة في معظم الأختام ولكن يختلف السماكة والسطح والتناسب. انظر: ديفيد، أزيتيا، دليل أختام فيلكا، ص ٢٢.

([٣٧]) انظر: الملاحق شكل ٢.

([٣٨]) انظر شكل ٣.

([٣٩]) ديفيد، أزيتيا، دليل أختام فيلكا، ص ٤١.

([٤٠]) انظر: الملاحق، شكل ٤.

([٤١]) انظر: النقش شكل ٥.

([٤٢]) أشكر أ. د. قصي التركي أستاذ الحضارات القديمة والكتابات المسمارية في بلاد الرافدين والخليج العربي للمساعدة في إعادة قراءة نص الختم وترجمته الحرفية للنص، وذلك في رسالة بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠١٩م.

([٤٣]) التُركي، عروبة الخليج، ص ٤٥

([٤٤]) البدر، سليمان سعدون، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق. م الكويت، ١٩٧٤م ص ١٠٤، ص ١٣١. الدويش المواقع الحضارية ص٦١ ،١٠٦

([٤٥]) بيي جيفري، ترجمة أحمد عبيدلي البحث عن دلمون،ص ٣٧٦.الدويش المواقع الحضارية ص ١٩٦

([٤٦]) باقر، مقدمة في جغرافية العراق التاريخية، ص ٧.

تركي بك، علاقات بلاد الرافدين، ص ٨٨.

المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي ١٥٧٨ – ١٦٠٣

د. عبد الجليل مزعل بنيان

د. حيدر شاكر عبيد

الجامعة المستنصرية – كلية التربية – قسم التاريخ

المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي
١٥٧٨ – ١٦٠٣

د. عبد الجليل مزعل بنيان

د. حيدر شاكر عبيد

المقدمة :

تعد المرحلة التاريخية التي تسلم فيها المنصور السعدي الحكم في بلاد المغرب الاقصى (١٥٧٨ – ١٥٠٣) من الحقب التاريخية المهمة ، إذ تمكن هذا السلطان من بناء دولة وحكومة مركزية قوية تمثلت في بالمؤسسات العسكرية والادارة الداخلية ، إذ استطاع من القضاء على معارضيه . وما ان تم له ذلك حتى اخذ يرنو الى توسيع مملكته ، وهذا ما حصل له بعد زحفه نحو السودان وضمها تحت حكمه فقد استطاع ومن خلال الذهب المتواجد في هذه البلاد من تعزيز ثروات البلاد وتسخيرها للانفتاح نحو الدول الاوربية فضلاً عن سيطرته على الطرق التجارية التي اصبحت مركزاً لتبادل السلع والمنتوجات .

كان من مظاهر الازدهار والتطور لبلاد المغرب الاقصى في عهد المنصور السعدي ، بناء علاقات سياسية واقتصادية مع الدول الاوربية ممثلة ببريطانيا وفرنسا وأسبانيا وحتى الدولة العثمانية ، والتي اعطت ثمارها بأن اصبح المغرب الاقصى من الدول المهمة التي يحسب لها الحساب بالاتفاقيات الدولية .

الا ان الازدهار والتطور لم يستمر ، فقد تدهورت اوضاع البلاد بعد وفاة المنصور السعدي عم ١٦٠٣ ، بعدها اصبحت البلاد عرضه للتنافس الداخلي من أجل الحكم وبروز الحركات المعارضة التي كان هدفها الانفصال وتمزيق البلاد .

أولاً : أوضاع المغرب الاقصى بين عامي ١٥٧٦ – ١٥٧٨ م .

كان لهذه الحقبة التاريخية أثرها الواضح في رسم ملامح السياسة الداخلية والخارجية لبلاد المغرب الاقصى تمثلت بوصول السلطات السعدي (عبد الملك بن محمد الشيخ)[١] إلى الحكم في البلاد ، وقد سار الأخير في إدارة شؤون البلاد وفق المنهج العثماني بعد ان تأثر به تأثير واضحاً ، إذ عمد حال تسنمه الحكم الى تشكيل الجيش الذي كانت قاعدته الرئيسية

العناصر العثمانية وبعض المرتزقة المتواجدين على ارض البلاد ، كما اشرف بنفسه على متابعة وتطوير الترسانة العسكرية المتمثلة بالمدفعية والاسلحة العسكرية الخفيفة .[٢] .

كذلك استمر السلطان عبد الملك في منهجه السياسي الخارجي والذي هو منهجاً تقليدياً للدولة السعدية في بناء حالة من التفاهم مع الاسبان[٣].

ويظهر ان السبب في ذلك لدرء الخطر العثماني وإعلان حالة عدم الولاء لهم فضلاً عن ضمان الدعم الاسباني له ضد ابن أخيه (محمد المتوكل)[٤] الذي لجأ إليهم .

وتعود علاقات السلطان عبد الملك مع الاسبان الى ايام تواجده في المنفى لدى الدولة العثمانية ، ففي عام ١٥٧٢ راودته فكرة التوجه الى اسبانيا اذ كان وهو في المنفى يطلع الملك الاسباني على كل التطورات التي تحدث داخل البلاد العثماني وبعدما تولى الحكم في البلاد تعهد من خلال المعاهدة التي عقدها مع اسبانيا بعدم استخدام اي من العثمانيين في ادارته ، فضلاً عن عدم مهاجمته لاسبانيا حتى ولو طلب منه ذلك من قبل العثمانيين وان يبلغ السلطان الاسباني بنوايا السلطان العثماني تجاه اسبانيا ، كما تعهد الطرفان بعدم تقديم المساعدة للعثمانيين وان يتبادل الطرفان المساعدة ضد العثمانيين [٥] .

وبالرغم من هذا التعاون مع الاسبان ، الا ان السلطان عبد الملك اتبع سياسة حذرة مع العثمانيين تميزت ملامحها عن طريق دفع مبالغ كبيرة اليهم وتقديم بعض المدافع كهدية للسلطان العثماني ، فضلاً عن تعهده بعدم التدخل بشؤون الجزائر كذلك اصدر اوامر بالدعاء للسلطان العثماني على منابر المساجد في المغرب الاقصى[٦].

يبدو ان اقدام السلطان على هذه السياسة مع العثمانيين ، ماهي الا محاولة منه لتجنب خطرهم وبخاصة انهم كانوا متواجدين بالمغرب الاوسط (الجزائر) ، فضلاً عن قوتهم الناشئة التي لا يستهان بها في ذلك التاريخ .

الا ان هذه الامور لم تستمر طويلاً فقد جاءت معركة وادي المخازن والتصادم مع البرتغاليين بتطوراً ملحوظاً في سياسة البلاد الداخلية والخارجية [٧] .

١. معركة وادي المخازن :

لم تبدأ السياسة البرتغالية اهتماماً كبيراً بشؤون المغرب الاقصى في عهد الملك البرتغالي جان الثالث (JAN III) والذي حكم البلاد في للمدة من (١٥٢١ – ١٥٥٧) ويبدو ان السبب في ذلك توجه البرتغال صوب البرازيل .

إلا ان هذه السياسة تغيرت بعد ان تسلم الحكم في البرتغال الملك سبستيان (sabstein)(١٥٥٧–١٥٧٨)[٨] ابدا الاخير اهتماماً كبيراً بالتوجه نحو المغرب الاقصى ، ويعود هذا الاهتمام الى الوسط الذي عاش فيه الملك سبستيان وهو وسط ديني معتصب حاول ان يثبت بأنه بطل كاثوليكي في صراعه ضد البروستانت والدين الاسلامي [٩].

ففي عام ١٥٧٣ تمكن سبستيان من الحصول الى تجديد من البابا مدته خمسة اعوام للمنشور البابوي المسمى (الحروب الصليبية المقدسة)[١٠] .

وما ان تم لسبستيان هذا الام حتى جهز في عام ١٥٧٤ حملة عسكرية منظمة ضد المغرب الاقصى ، اذ نزلت قواته في مدينة (طنجة) [١١] المغربية ، الا ان حملته هذه لم تؤتي أكلها ، وذلك بسبب ما لاقاه من مقاومة مغربية كبيرة .

وبعد فشل هذه الحملة ، اجتمع سبستيان مع فيليب الثاني (felebe II)[١٢] في مدينة غوادلوب ، وقد تمكن من الحصول على وعداً من الاخير تضمن أمداده بخمسة عشر الف جندي أسباني وخمسون سفينة مجهزة بالاعتدة والمؤن [١٣].

لقد ساد في الاوساط البرتغالية تياران الاول كان متحمساً لمشروع الملك فيليب الثاني ، والثاني كان معارضاً لهذا المشروع والذي يمثله عم الملك الكاردينال هنري ، الذي لم تكن لديه الثقة الكاملة بوعود المتوكل السعدي ، الذي لجأ للتعاون مع سبستيان من أجل اسقاط حكم عبد الملك السعدي . إذ أكد الكاردينال ان ما حصل بين المتوكل وعبد الملك ، ماهو الا خلاف ظاهري هدفه ايقاع سبستيان في فخ وبالتالي الاجهاز على الحملة البرتغالية.[١٤]

اقدم عبد الملك السعدي الذي كان على اطلاع كامل بالتحركات البرتغالية والاتفاقات مع المتوكل السعدي الى استخدام الطرق الدبلوماسية مع سبستيان اذ عرض على الاخير توسيع السيطرة البرتغالية حول المراكز البرتغالية التي احتلوها في المغرب الاقصى الا ان هذه السياسة لم تجدي نفعاً اذ تحركت الحملة حتى وصلت (أصيلا)[١٥].

وثمة أمر هنا ان الحملة البرتغالية التي قادها سبستيان اسهم فيها العديد من الاسبان والايطاليون والالمان ، اذ قدر عدد الالمان بحوالي الثلاثة الالف مقاتل . وقد حصلت هذه الحملة على مباركة البابا فضلاً عن تقديمه المساعدات المادية والعسكرية لها التي تضمنت الاسلحة الحديثة آنذاك [١٦].

نجد ان هذه الحملة فيها الكثير من المؤشرات التي تؤكد الصراع الصليبي ضد الاسلام من خلال مباركة البابا ومساهمته الفعالة في دعم هذه الحملة .

وبالرغم من هذه الاستعدادات والتفوق بالاسلحة الا انها لم تحقق اهدافها ذلك بسبب الاخطاء التي ارتكبها سبستيان والتي كمنت في عدم تجاوبه مع النصائح التي قدمها المتوكل السعدي له والتي كانت تقضي بضرورة احتلال مدينة (تطوان)[١٧] و(العرائش)[١٨] لغرض كسب رجالات هذه المدينتين الى جانب البرتغاليين ، كذلك ان بطء تقدم الجيش البرتغالي وعدم تمكن عربات جيشه بالسير في المناطق الوعرة كلها ادت دورها في هذه الاخفاقات للحملة البرتغالية[١٩].

وبعد ان فقد البرتغاليون قوة تسليحهم اضطروا الى الانسحاب نتيجة لضغط القوات المغربية وعند وصولهم الى احد انهار المغرب كانت المياه قد ارتفعت به مما ادى الى غرق العديد منهم بما فيهم المتوكل فضلاً عن مقتل القائد البرتغالي سبستيان ولهذا عرفت هذه المعركة تاريخياً بمعركة (الملوك الثلاثة)[٢٠].

كان لهذه المعركة نتائجها الواضحة في تاريخ المغرب الاقصى ، فبالنسبة الى المغرب الاقصى فأنها تركت رصيداً مادياً ومعنوياً للبلاد ، ظهرت نتائجه واضحة في عهد المنصور السعدي كما انها حطمت القوة البرتغالية وجعلت منها فريسة سهلة امام اسبانيا والتي نجحت في ضمها اليها عام ١٥٨٠ كذلك عززت هذه المعركة من مكانة المغرب الاقصى بين مصاف الدول الاوربية ، اذ صار ينظر اليها كدولة كبرى يحسب لها الحساب في التعاملات الدبلوماسية .

ثانياً : وصول أحمد المنصور السعدي[٢١] للحكم في المغرب الاقصى ١٥٧٨ .

تسلم المنصور السعدي الحكم بعد انتهاء معركة المخازن التي كان لصدى انتصار المغاربة فيها اثره الواضح في دعم مكانة هذا السلطان وعمله من أجل توظيف هذا الاثر في تثبيت حكمه داخل البلاد[٢٢].

واجه السلطان المنصور السعدي بعض الاضطرابات الداخلية التي صدرت من عدد من القبائل المغربية ، الا انه تمكن من السيطرة عليها ، فقد شهدت البلاد في عهده الهدوء والاستقرار ، وقد وضف الخبرة التي اكتسبها من خلال تنقله بين الجزائر واسطنبول في انتهاج اسلوبا ادارياً متميزاً في تنظيم شؤون البلاد الداخلية ، فقد وصفه المؤرخ القشتالي في مؤلفه (مناهل الصفافي مآثر موالينا الشرفا) قائلاً كان متطلعاً لأخبار النواحي بحاثاً عنها غير متراخ في قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولايبطئ بالواجب ويقول كل شيء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال على رسائلهم وكان له عيون في جميع انحاء المغرب ، فله من رجاله المضطلعين على كل مقربة رصداء وعلى كل ثنية نقباء وفي كل خلوة وجلوة عيون حفظه ، موكلي بنقل ما يحدث من قصة او خبر او ما يدور على الالسنة من كلام او هذر[٢٣].

نستدل مما تقدم مدى اهتمام المنصور السعدي بمتابعة شؤون بلاده وقد جاء هذا الاهتمام نتيجة الخبرة الادارية التي اكتسبها من تجواله في اسطنبول والجزائر مضطلعاً بذلك على النظم الادارية التي كانت منتشرة في تلك البلاد [٢٤].

ومما ينقل عن المنصور السعدي تأكيده المستمر على سرية مخاطباته مع ولاته في مختلف انجاء دولته وهو ما يعرف في يومنا هذا (بالشفرة) ، فقد استخدم اشكالاً متعددة من انواع الخط الذي تكتب به بغية الحفاظ على سريتها وعدم الاطلاع عليها او من قبل الادارات التابعة له ، والذين كانوا يعرفون ارق رموز هذه المخاطبات .

وكان المنصور السعدي مهتماً كثيراً بتنظيم الامور الادارية في دولته متأثراً بذلك بالاساليب العثمانية التي عاصرها إبان تلك الحقبة التاريخية ، فضلاً عن تأكيده على اتباع التقاليد المغربية في ذلك التنظيم .

ويبدوا ان من الاسباب الرئيسة التي جعلت من المنصور السعدي ان يتأثر بالنظم العثمانية هو الحقبة التاريخية التي قضاها منفياً في مركز الحكومة العثمانية آنذاك ، مما هيأ له الأجواء المناسبة للاطلاع على هذه النظم ومن ثم التأثر بها وتطبيقها بعدما اعتلى الحكم في المغرب الاقصى .

ومما يؤكده لنا القشتالي بهذا الصدد قائلاً " كانت سيرة الخلفاء من اول الدولة الى ايام المتوكل (يقصد السلطان المتوكل السعدي) سيرة مطلقة لم تحفظها قوانين ولا قيدتها ضوابط بل كانت الامور مسترسلة جارية على مقتضيات الحال بما كانت الدولة عربية ساذجة غير مرتاضة للقوانين التي تملك زمامها وتمسك عن الاسترسال عنانها الى ان صار الملك والخلافة للمولى عبد الملك امير المؤمنين المعتصم رحمه الله فجنح بالدولة الى السيرة العجمية (يقصد اتباع بعض الاساليب للدولة الاوربية) وحمل الناس عليها حملاً عنيفاً منشق عليهم ذلك لتنافر الطباع . فتغير الاحوال لتغير العادة واضطرت الاقوال لإبداء الامور الغير المعتادة ثم جاء الله من مولانا المنصور ايده الله بالطبيب الماهر الحكيم المدير الباهر فأحال الصبغة والف الطباع ولم الشعث وجبر الصدع .. وجعل العرب والعجم رحم الخدمة الواصلة وقربى الصداقة الجامعة فاختص رؤساء العرب واكابر بالمنشورة والتدبير وقيادة عساكر الخيل ... " (٢٥).

يتبين لنا مدى قوة الإدارة والتنظيم التي شهدها المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي وذلك من خلال ما كان يمتلكه من حنكه القرار والاصرار للقضاء على الفوضى والاضطراب في دولته .

ثالثاً : سياسة المنصور السعدي الداخلية :

تميز (المخزن)(٢٦) السعدي في عهد السلطان المنصور بكثرة العثمانيين والعلوج الذين شغلوا العديد من المناصب الادارية في المؤسسات المدنية والجيش ، وهذا بدوره ادى الى ازدياد التأثير العثماني في هذه المؤسسات ، أما بقية الوظائف ، الاخرى ، فقد بقيت مغربية تحمل طابعها التقليدي الذي ساد في هذه البلاد والذي تمثل بمنصب (الوزير والحاجب والكتاب وقاضي القضاة ، كما أختص أكابر العرب تقديم المشورة وقيادة الجيش في اثناء الحروب)(٢٧).

١. الاهتمام بالجيش :

كان من اهتمامات المنصور السعدي الاخرى والتي اراد عن طريقها بناء دولته وحماية حدودها وتثبت مركزها بين مصاف الدول الاخرى هي المؤسسة العسكرية ، فقد تكونت هذه المؤسسة من قسمين رئيسين هما (الجيش النظامي) والذي كانت نواته الرئيسة هم الافراد العثمانيون والعلوج والاندلسيون ، وقد اعتمد على الاسلحة الحديثة المصنوعة في المغرب الاقصى وكذلك التي تم استيرادها من الدول الاوربية ، وقد برز مجموعة من القادة في الجيش المغربي ، الذين تركوا أثراً واضحاً في هذه المؤسسة ، كان في مقدمتهم (منصور باي) والذي رقاه المنصور السعدي من قيادة الانشكارية الى قيادة (السباهية) [٢٨] ، فضلاً عن ابو الثناء محمود باشا صاحب خزائن الدار وقائد جيش الموالي (العلوج) وهو الذي اكمل فتح السودان ، كما كان للقائد جؤذر باشا قائد جيش الاندلس وهي احدى تقسيمات المؤسسة العسكرية ، دوراً بارزاً في فتح بلاد السودان[٢٩].

لقد قدر احد امعاصرين الانكليز ، اعداد هذا الجيش في اواخر عهد المنصور السعدي بحوالي ٤٠ الف جندي ، فضلاً عن القبائل المغربية التي كان السلطان السعدي يجندها في اوقات الحروب ، وقد استخدم هذا الجيش في حماية الحكومات المركزية والقضاء على الفوضى والاضطراب التي كانت تتعرض لها المغرب الاقصى في ذلك الوقت ، كما انيطت مهمة جباية الضرائب الى افراد المؤسسة العسكرية [٣٠].

نستدل مما سبق ان بناء هذا الجيش كان الهدف منه تثبيت حكم السلطان واستخدامه كقوة ضاربة ضد معارض الحكم وجمع الاموال من ابناء الشعب عن طريق الضرائب التي كانت كثيراً ما ترهق كاهل الضعفاء .

شهد الاسطول البحري تطوراً ملحوظاً في عهد المنصور السعدي ، اذ اهتم ببناء السفن وتوفير المراسي له ، فضلاً عن اعتماده على الخبرة العثمانية في تشييد هذا الاسطوال وادامته ، اذ اوكل مهمة قيادته الى واحد من ابرز رجالات البحر ، وهو الريس ابراهيم الشط كما جعل من العرائش مركزاً لقيادة هذا الاسطول[٣١].

حرص السلطان السعدي كثيراً على عدم زج هذا الجيش في مخاطر الحروب الخارجية وبخاصة مع العثمانيين والاسبان ، فضلاً عن عدم رغبته بارساله الى مناطق الجبال للقضاء

على الاضطرابات التي تسيرها القبائل القاطنة في هذه المناطق ، ولهذا شيد له العديد من القلاع في مناطق تازا ومدينة فاس والعرائش لغرض مواجهة الاعتداء الخارجية [٣٢].

٢. الحركة العمرانية :

اراد المنصور السعدي ان يفضي على عهده طابعاً من الابهة والتميز من خلال اهتمامه بالجانب العمراني ، لذا شرع حال تسلمه مهام الحكم في البلاد ببناء (قصر البديع)[٣٣] الذي كلف الدولة اموالاً طائلة في حينها ويعزو القشتالي السبب في بناء هذا القصر الى قول المنصور " ما بعثني على ذلك الا اني اذا نظرت الى اثار سلفنا الكرام اجد اثار الموحدين ما زالت تنازعها فضل وضخامة واحتفال اربي عليها واثار بني مدين تجاذبها رداء التأنق وربما شقت في تنميق الحلة وبديع الطراز فأبيت لأهل بيت النبوة ان يكون الفضل والشفوف لاثار من دونهم من الدول على اثارهم فلم ارض الا بما يعضي على اثار الدولتين" [٣٤].

وكان يتابع الاعمال بنفسه ويجتمع مع اصحاب المهن وأهل البناء وانشأ لهم سوقاً عظيمة يقصدها التجار ببضائعهم وجلب المنصور الرخام من ايطاليا وكانت تيجان الاعمدة المرمرية تبدو على شكل قطع يحمل بعضها الطابع الكلاسيكي (الاغريقي) ، وكان بعضها على الطراز الاندلسي المغربي والتي صنعت خصيصاً بناء على طلب المنصور السعدي.

ومما ينقل عنه انه على ذو اهتمام كبير بابهة العرش وفخامته ، اذ كان يستقبل السفراء والوفود باحتفالات فخمة وفي انيته التي شيدها [٣٥]. ويبدو السبب في ذلك من اجل اعطاء الانطباع لعظمة ملكه وهيبته لدى دول وحكومات هؤلاء السفراء لغرض تثبيت مكانة المغرب الاقصى بين مصاف الدول انذاك .

رابعاً : السياسة الخارجية للسلطان المنصور السعدي :

١. فتح السودان :

توطدت العلاقة بين سلاطين النيجر الاعلى والمغرب منذ انتشار الاسلام في هذه البلاد ، وقد عززت هذه العلاقات في اواخر القرن الخامس عشر بعد قيام مملكة (ال سكيا) [٣٦] والتي اصبحت لها علاقات تجارية واسعة مع بلاد المغرب الاقصى وبخاصة ان السودان اشتهر بوفرة الذهب ، الذي كان الافارقة يبادلونه بالملح مع المغرب ، ونتيجة لطموحات

المنصور لاسعدي ورغبته الشديدة ببناء دولة قوية وحاجته الماسة للاموال قرر السيطرة على بلاد السودان .

بدأت حملات المنصور تجاه هذا البلد منذ عام ١٥٨١ ، اذ اخذ يبسط سيطرته على واحات الجنوب مستقلاً بذلك الطلب الذي وصله من سلطان بورنو لمساعدته في القضاء على الوثنيين ، وهكذا استجاب المنصور السعدي وارسل قواته الى ساحل السودان واخضع حكام هذه المناطق ، ومن هذه المناطق اخذ المنصور يرسل للاطلاع على احوال مملكة اسكيا ، حيث تعرف من خلال على تدهور احوال هذه المملكة وخاصة في عهد اسحق اسكيا ، لهذا وجه المنصور السعدي طلباً الى مملكة اسكيا يتضمن دفع مثقال من الذهب على كل جمل من الملح ينقل الى السودان لغرض الاستعانة بهذه الاموال القتال الدول الاوربية الطامعة باراضي المسلمين (٣٧).

وبعد وصول طلب المنصور السعدي الى اسحق سكيا ، رفض الأخير الاستجابة للسلطان السعدي، مؤكداً ان سلطته مثل سلطة المنصور فكلاهما اميراً على ناحية ، وانه لا يحب اي سلطة عليه ، نتيجة لذلك قرر السلطان المغربي اخضاع البلاد بالقوة وعرض على مستشارية ، مبيناً لهم الفوائد التي يمكن تحقيقها من السيطرة على بلاد السودان (٣٨).

وتجدر الاشارة هنا ان المنصور السعدي فوجئ برفض قاطع من قبل مستشاريه ، ويبدو ان السبب في ذلك بعد المسافة الى هذه البلاد وصعوبة الوصول إليها ، اذ الصحراء الشاسعة التي لا ماء فيها مؤكدين " وما ذلك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مدارتها، وحسبنا ان نقتفي اثر تلك الدول فان المتأخر لا يكون اعقل من الاول "(٣٩).

أما المنصور السعدي فقد تمسك برأيه قائلاً " أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدوتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعف وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ويخوضون في احشائها مشاة وركباناً وجماعة ووحداناً ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها وانا اقوى اهبة منهم وللجيش همة ليست للقوافل واما قولكم من كل من قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح ابصارهم لذلك فأعلموا ان المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الفرنج ومن بذلك من ساحا الاورام والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك وازدادوا في حرب ابن غانية والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان.. ونحن اليوم قد

انسد عنا باب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها جملة وانقطعت عنا حروب تلمسان باستيلاء الاتراك عليها ، ثم ان اهل تلك الدول لو ارادوا ما اردنا لعصب عليهم لان جيوشهم كانت فرساناً رامحة ورماة ناشبة ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق.. وأهل السودان ليس عندهم الا الرماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة فمقاتلهم سلهة" (٤٠).

وهكذا تمكن السلطان المنصور السعدي من اقناع مستشاريه بتهيئة حملة عسكرية لاخضاع السودان تحت سيطرته ، اذ اسند قيادة الجيش الى القائد (جؤذر)(٤١)، وبعد اجتياز هذه الحملة الصحراء بنجاح تمكن الاخير من دخول السودان في عام ١٥٩١ ، كان من نتائج هذه الحملة حصول السلطان السعدي على كميات كبيرة من الذهب ، ويذكر المؤرخ اليفرني بهذا الصدد " ما يعي الحاسبين ويحير الناظرين حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب الا النضار الصافي والدينار الوافي وكان ببابه كل يوم اربع عشر مئة مطرقة لضرب الدينار الوافي دون ماهو معد لغير ذلك من صوغ الاقراط والحلي وشبه ذلك ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب في ايامه "(٤٢).

من خلال ما تقدم نجد ان فتح السودان من قبل السلطان السعدي كانت له نتائجه المهمة على بلاد المغرب الاقصى (٤٣)، من حيث زيادة الثروات وبخاصة كميات الذهب التي نقلت اليه ، فضلاً عن استخدام العديد من ابناء السودان في زيادة اعداد الجيش الذي اسسه السلطان السعدي فيما بعد .

٢. سياسة المنصور تجاه الدولة العثمانية :

لم يخضع المغرب الاقصى للسيطرة العثمانية ولعل السبب في ذلك توقف العثمانيين عن التوسع في المغرب العربي لظروف دولتهم الداخلية التي تميزت بالاضطراب ، كما ان تدهور احوال نيابة الجزائر التي كانت تحت سيطرتهم سبباً آخر في هذا التوقف (٤٤).

وبالرغم من توقف التوسع العثماني تجاه المغرب الاقصى ، الا ان العثمانيين كانت لديهم الرغبة الكبيرة بالتدخل في شؤون الدولة السعدية والعمل على اضعاف المنصور السعدي ، ففي عام ١٥٧٩ ارسل السلطان العثماني وفداً الى المنصور السعدي طالبه بضرورة تعيين (اسماعيل بن عبد الملك)(٤٥) حاكماً على مدينة فاس (٤٦)، ويبدو من الطلب العثماني هذا

انهم ارادوا ايجاد شخصية موالية لهم في بلاد المغرب الاقصى وبالتالي اضعاف الحكومة المركزية التي يمثلها السلطان المنصور السهدي .

لم يستجب المنصور لهذا الطلب العثماني بعد ان رفض استقبال السفير العثماني ، استغلت اسبانيا هذا التوتر في العلاقات . لذا طلبت من السلطان العثماني الموافقة على ارسال حملة عسكرية ضد المغرب الاقصى ، وعندما علم المنصور السعدي بذلك سارع الى افشال هذا المخطط ، إذ ارسل هدية الى السلطان العثماني حملها اليه وفداً رسمياً ، وبهذا تطبعت العلاقات بين الجانبين [٤٧].

وبالرغم من حالة الهدوء هذه الا ان الأمر لم يستمر طويلاً ، والسبب في ذلك ان السلطان العثماني " كان دائماً ينظر الى المنصور السعدي نظره تعالي باعتباره (خليفة المسلمين) وما السلطان المغربي ، لا حاكماً او أميراً تابعاً له فضلاً عن تأكيدات السلطان المغربي على الاستقلال عن الدولة العثمانية وكذلك مطالبة العثمانيين للمنصور السعدي بتعيين اسماعيل بن عبد الملك حاكماً على مدينة فاس ، هذه الامور حالت دون توصل الطرفين الى حالة توافق مستمر في العلاقات[٤٨].

كان للبريطانيين دوراً مهما في تطبيع العلاقات بين الجانبين العثماني والمغربي وتأكيدهم المستمر على ضرورة التواصل وكان لهذه السياسة اثرها الواضح بين الجانبين ، ففي عام ١٥٨٠ تلقى المنصور السعدي رسالتين من السلطان العثماني (مراد الثالث)[٤٩] تضمنت مطالبة المنصور السعدي بالتحالف ضد الاسبان ، على ان يجهز الأخير ثلاثمائة سفيه حربية لهذا الهدف، كما عرض على المنصور السعدي الزواج من ابنته ، ويبدو ان السلطان العثماني اراد من المصاهرة ان يجعل بلاد المغرب الاقصى لقمة سائغة بيد الدولة العثمانية ، وان يستثمر هذه البلاد لتحقيق مأربة الخاصة[٥٠].

ثمة أمر هنا ان البريطانيون كانوا يدعمون هذا التوجه العثماني تجاه المغرب الاقصى ، وذلك لاجل اضعاف العلاقات المغربية الاسبانية وهذه السياسة هي جزء من التنافس الدولي بين الدول الاوربية لغرض تحقيق الاهداف وايجاد الحلفاء الذين يحققون مصالحهم في هذه المناطق .

وفي السنوات الأخيرة من حكم السلطان المنصور السعدي تحسنت العلاقات مع الدولة العثمانية او يبدو السبب في ذلك انشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا ، فضلاً عن تدهور اوضاعها الداخلية في الجزائر ، وهذا ما دفع سلاطينها الى اتباع سياسة المهادنة مع المنصور السعدي في المغرب الاقصى(٥١).

٣. العلاقات المغربية – الاسبانية :

توثقت العلاقة المغربية – الاسبانية ، اذ سعى كلاً من الطرفين على استمرار التحالف بينهما ، وقد قويت هذه العلاقات مع بداية حكم المنصور السعدي ، الا ان الفتور ساد هذه العلاقات بعد ان توقفت علاقات المنصور السعدي مع الدولة العثمانية كما ان ضم اسبانيا الى البرتغال عام ١٥٨٠ ساهم في توتر هذه العلاقات ، اذ ان الاسبان سيطروا على جميع امتيازات البرتغال في المغرب الاقصى ، فضلاً عن رغبة اسبانيا السيطرة على ميناء العرائش المغربي.(٥٢)

ولابد من اشارة هنا ان قضية ميناء العرائش تعد من القضايا الشائكة اذ لم يقتصر الاهتمام بها على اسبانيا فقط بل كان لبريطانيا اهدافها الخاصة التي تروم تحقيقها بعد وضع يدها على هذا الميناء والتي تمكنت في تهديد الاساطيل الاسبانية وتحجيم تجارتها في المغرب الاقصى وفي مقابل ذلك كانت لاسبانيا اهدافها من السيطرة على ميناء العرائش فقد كانت هي الاخرى تريد ضرب مصالح بريطانيا في الغرب الاقصى فضلاً عن توفر ملجأ ومرسى لنفسها في المنطقة فقد كانت تصرح وباستمرار " ان العرائش تساوي وحدها بالنسبة لها كل افريقيا"(٥٣).

وهكذا في عام ١٥٨١ احرزت اسبانيا تقدماً كبيراً في حصولها على العرائش، اذ وضع المفاوضون الاسبان والمغاربة اتفاقية تضمنت تسليم العرائش لاسبانيا الا ان المنصور السعدي لم يصادق على هذه الاتفاقية ولجأ الى المماطلة مع اسبانيا(٥٤).

ويبدو ان رفض المنصور السعدي للمصادقة على هذه الاتفاقية جاء بدعم من لدن بريطانيا التي كانت تعيش في حالة تنافس مع اسبانيا وفي عام ١٥٨٢ قرر الملك الاسباني (فيليب الثاني) حسم موضوع العرائش مع المغرب الاقصى ، إذ طلب من مبعوثه المكوث في مدينة اصيلا لحين موافقة المنصور على المصادقة على الاتفاقية (٥٥).

قرر المنصور السعدي في هذه الحقبة التاريخية الميل في سياسته الى التعامل مع بريطانيا فضلاً عن عدم انهاء جسور التفاهم مع اسبانيا ، اذ انه اراد الاستفادة من حالة الخلاف الاسباني – البرطاني وبالتالي الحفاظ على مصالح المغرب الاقصى . لقد اظهر المنصور حنكة سياسية كبيرة ، اذ لوح للبريطانيين برغبته بمساعدة الدوق (انطونيو) من اجل استعادة عرشه في البرتغال وقد اكتفى بتهديد مدينة (سبته)[٥٦] وفي اثناء ذلك تمكن من إغاء السيطرة الاسبانية على ميناء اصيلا المغربي ، كثمن لحياد المغرب وعدم تهديد اسبانيا سبب بضمها للبرتغال . وفي عام ١٥٩٥ حصل تحول بكير في هذا الموقف ، اذ ادت الثورة التي دعمها الاسبان ومشروع فيليب الثاني حول احتلال جزيرة ارجوين والشاطئ الصحراوي المواجه لها لتحويل ذهب السودان إليها ، هذا التحول ادى الى تعكر جو العلاقات الاسبانية المغربية وبالتالي ميل المنصور السعدي نحو بريطانيا ، وقد اكدت الرئايل التي وجهها المنصور السعدي الى علماء مصر شدة العداء الذي كان يضمره للاسبان ، فقد جاء في احدها " اعلمكم ان عدو الدين طاغية قشتالة فيليب الثاني الذي هو اليوم العدو الكبير للاسلام وعميد ملل التثليث وعبدة الاصنام . لما أنيس تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب منا التهاباً وبحر الاحتفال تضطرب امواجه الزاخرة بكل عدد وعدة واضطراباً وهممنا قد همت لتجديد الاسطول والاستكثار من المراكب المتكلفة للجهاد انشاء الله بقضاء كل دين محطول . وعلم ان الحديث اليه يساق ، والى ارضه بالخسف والتدمير بحول الله يحفو كل لواء خفاق ، رام خذله الله مكافأتنا على ذلك بما امل ان يفت به في عضدنا الاقوى وعزمنا الذي بعناية الله يزداد ويقوى فرمى بمخذول عن ابناء اخينا عبد الله" [٥٧].

ومن خلال هذه الرسالة يتبين لنا مدى التوتر والعداء الذي حصل بين الدولتين في هذه الحقبة التاريخية لبلاد المغرب الاقصى والتي تدخلت فيها سياسات خارجية تمثلت بالدعم البريطاني والعثماني لغرض ضرب المصالح الاسبانية في هذه البلاد فضلاً عن رغبة المنصور السعدي باستغلال هذه الاوضاع للحفاظ على وحدة البلاد وإنهاء الامتيازات الاجنبية فيها.

وفي عام ١٥٩٦ ، حصلت حالة من التقارب البريطاني الفرنسي مع المغرب الاقصى للقيام بمشاريع مشتركة ضد اسبانيا بغية اضعافها ، الا ان التطورات الدولية وانشغال حكومات هذه البلدان ببعض الظروف الداخلية لبلدانها حال دون تحقيق ذلك.(٥٨)

٤. العلاقات المغربية – البريطانية :

تزامن تسلم المنصور السعدي الحكم في المغرب الاقصى مع الحقبة التاريخية التي تزأست فيها الملكة اليزابيت Alezabeth (٥٩) الحكم في بريطانيا ، ويمثل هذا العهد بداية النشاط التجاري لبريطانيا ورعيتها بالسيطرة الاستعمارية على العالم الخارجي. (٦٠) .

كان الطابع التجاري هو البداية الاولى للعلاقات المغربية – البريطانية ، بعد ان قام التاجر البريطاني توماس وندهام (Tomas Wendham) بين الاعوام ١٥٥١ – ١٥٥٣ برحلتين تجاريتين ، إذ اتصل بالسعديين الذين كانوا على وشك القضاء على منافسيهم في هذه البلاد ، وقد مهد توماس لهذه العلاقات بجلبه الاسلحة الحديثة التي انبهر بها السعديين.(٦١)

وفي عام ١٥٧٧ ارسلت الملكة اليزابيث خطاباً الى الحاكم المغربي حمله اليه هوجان (Hojan) وهو أحد الشخصيات المقربة من البلاط الانكليزي آنذاك ، وقد تضمن هذا الخطاب مطالبة الملكة الحاكم المغربي بإزالة كل القيود التي تحد من تصدير السكر الى المغرب العربي مع التأكيد على عدم رغبة بريطانيا بتزويد المغرب الاقصى بالاسلحة ، وذلك بسبب التزاماتها بعدم تقديم السلام إلا للدول الاوربية الا انها اكدت على استعدادها بتزويد المغرب الاقصى بجميع السلع الاخرى(٦٢) .

وقد وصف هوجان شيء عن رحلته بعد لقائه بالملك السعدي عبد الملك قائلاً " أخذني من يدي وعبر بي قاعة طويلة الى مكان به نافورة جميلة حيث جلس على مقعد خاص به وطلب مني الجلوس على مقعد آخر بجواره واستدعى عدداً من الموسيقيين ... واني اراه انساناً يعيش في مخافة الله وعلى دراية بالكتاب المقدس سواء العهد القديم او الجديد ويحمل اشد مشاعر المودة لامتنا بأكثر مما يحمل لغيرها من الامم بسبب ديننا الذي يحرم عبادة الاوثان ويدعوه المغاربة بالملك المسيحي" (٦٣).

يتبين لنا من قراءة النص اعلاه ان العلاقات المغربية الانكليزية في هذه الحقبة قد شهدت تطوراً ملحوظاً ورغبة كبيرة في توثيق عرى التعاون بين البلدين . وبعدما تسلم المنصور السعدي الحكم في البلاد استمرت هذه العلاقات على ما كانت عليه في السابق ففي عام ١٥٧٩ ارسل المنصور السعدي جواباً خطياً الى الملكة اليزابيث رداً على الرسالة التي وصلت اليه من عندها اكد فيها بأن " تجارها سوف يلقون المعاملة الحسنة كما وعدها بالاستجابة الى مطالبها الخاصة بدفع اليهود الذين يديرون مزارع قصب السكر الديون المترتبة عليهم الى التجار الانكليز "[٦٤].

ويبدو السبب في غربة المنصور بتقوية اواصر علاقته مع انكلترا ، هو الحصول على الاخشاب المتوفرة في اوربا لاستخدامها في بناء اسطوله البحري .

ن ثمرة تحسن هذه العلاقات اقدام الملكة اليزابيث في عام ١٨٥٨ على تأسيس شركة (بلاد البربر) والتي احتكرت التجارة في بلاد المغرب لاكثر من اثناعشر عاماً ، كما كان لهذه الشركة هدفاً آخر هو السيطرة على نشاط من اسموهم (بالمتطفلين) الذين قاموا بالتجارة بالسلاح والذخيرة والاقمشة وبالتالي نافسوا السوق واضروا بالتجارة الانكليزية[٦٥].

وقد انعكس تحسن العلاقات بين الدولتين في المرسوم الذي اصدره السلطان المنصور السعدي في عام ١٥٨٨ والذي قدم فيه الحماية الخاصة للتجار الانكليز[٦٦] لقد كان للعداء الذي حملة الطرفان المغربي – الانكليزي الى اسبانيا سبباً آخر في تحسن تلك العلاقات ، اذ ان كلاهما تخوفا من السياسة التي انتهجاها الملك الاسباني فيليب الثاني والتي كمنت في تفضيله المذهب الكاثوليكي . وهذا ما يخالف المذهب البروتستانتي الذي اعتنقته الملكة اليزابيث[٦٧].

وهكذا اثمرت العلاقات بين الطرفين بشكل ودي وانسجام تام حتى وفاة الملكة اليزابيث في عام ١٦٠٣ والذي لحقها في العام نفسه السلطان المنصور السعدي .

٥. العلاقات المغربية – الفرنسية :

يعود تاريخ هذه العلاقات الى بدايات القرن السادس عشر الميلادي ، فقد اصبح لفرنسا العديد من الالتزامات التجارية مع بلاد المغرب الاقصى ، ففي عام ١٥٣٣ تطورت هذه

العلاقات تطوراً واضحاً وما ان حل عام ١٥٧٧ حتى استطاعت فرنسا من أنشاء ثلاث قنصليات لها في المغرب الاقصى(٦٨).

ولابد من الاشارة هنا ، ان طبيعة العلاقات المغربية – الفرنسية ، كانت محددة قياساً الى الدول الاوربية الاخرى . ويبدو السبب في ذلك انشغال هذه الدولة بالحروب الدينية والداخلية منها اثراً سلباً على انفتاح الفرنسيين بعلاقاتهم مع بلاد المغرب الاقصى .

وبالرغم من ذلك إلا ان فرنسا كانت على اطلاع كامل بأوضاع المغرب الاقصى ، إذ عمدت الى ارسال القناصل والذين يأتي في مقدمتهم غليوم بيرار (CHolewmperar) الذي كان مقرباً من قبل السلطان عبد الملك السعدي واخيه المنصور ، وقد تعرف هذا القنصل عليهما في استنبول وتوثقت علاقته بهما ، اذ كان يعمل طبيباً وقد اعتنى بالسلطان عبد الملك حينما تعرض للمرض في استنبول ، وبعدما تولى المنصور السعدي الحكم في البلاد، ارسل بيرار مبعوثاً لحكومة فرنسا لتقديم التهنئة إليه مؤكداً على رغبة حكومته باستمرار العلاقات مع بلاد المغرب الاقصى (٦٩) .

كان من المطالب التي قدمها بيرار الى السلطان المنصور السعدي رغبة حكومة فرنسا بالحصول على التسهلات الكافية للسفن الفرنسية في الموانئ المغربية وكذلك تحرير الاسرى الفرنسيين ، فضلاً عن ذلك فقد كان هنالك تبادلاً تجاريا مهماً بين البلدين تمثل بمواد النحاس والبارود وكذلك القروض المالية (٧٠).

اهتمت فرنسا كثيراً بالاطلاع على مجمل المفاوضات التي حصلت بين المغرب الاقصى واسبانيا وبريطانيا ، إلا ان تمزق وضعها الداخلي حال دون استمرارها بمتابعة الشؤون الخارجية لبلاد المغرب الاقصى . من خلال ما تقدم ان واقع العلاقات المغربية – الفرنسية ، قد اتسم بطابعاً تجاري ويبدو السبب في ذلك تدهور الاوضاع الداخلية لفرنسا وعدم قدرتها على الانفتاح الخارجي في تلك الحقبة من تاريخها .

خامساً : وفاة المنصور السعدي :

وصلت بلاد المغرب الاقصى في عهد المنصور السعدي اوج قوتها وازدهارها اذ امتد حكم هذه البلاد الى السودان ، كما جنت البلاد ثروات طائلة بعد سيطرتها على مناجم الذهب واحتكارها للتجارة الصحراوية وبخاصة على الطرق الرئيسة (مراكش – حسية البيضاء

– تمبكتو) وكانت هذه التجارة تنتهي في موانئ الاطلس المغربية والعرائش واسفي واغادير ، فقد كان التجار الانكليز والهولنديون والفرنسيون ينقلون منها الذهب والنحاس والجلود والسكر [٧١].

وما ان حل عام ١٦٠٣ حتى تدهورت اوضاع البلاد وقلت وارادته بسبب وفاة السلطان المنصور السعدي ولم يقتصر تأثير وفاته على الجانب الاقتصادي فسحب ، بل تعدى ذلك الى تدهور الاوضاع السياسية والداخلية للبلاد بسبب التنافس الذي حصل بين ابنائه من اجل الحكم، فضلاً عن بروز الحركات الانفصالية التي عملت على تمزيق وحدته وسلب خيراته [٧٢].

الخاتمة :

١. تمثلت الحقبة التاريخية التي سبقت تولي السلطان المنصور السعدي بالتدهور والاضطراب فضلاً عن انتهاج من سبقه في الحكم اسلوباً تقليدياً في حل المشاكل الداخلية والتفاهم الخارجي مع الدول الاوربية .
٢. كان لمعركة وادي المخازن اثرها الكبير على اوضاع المغرب الاقصى اذ انها اظهرت البلاد بمظهر المنتصر الذي تمكن من صد المشاريع الاستعمارية .
٣. تربع على عرش الحكم في المغرب الاقصى المنصور السعدي والذي حاول الاستفادة من التجارب السابقة لاسلافه من اجل تقوية حكم البلاد .
٤. تمكن المنصور السعدي وبفضل حنكته الادارية والسياسية من بناء دولة قوية كانت له فيها مركزية كبيرة .
٥. استطاع من بناء علاقات خارجية مع الدول الاوربية اراد من خلالها اظهار المغرب الاقصى بمظهر الدول الكبرى .
٦. كان لفتح السودان وسيطرته عليه اثاره الايجابية فقد اعطى للبلاد دعماً مادياً للخزينة المالية وبخاصة تجارة الذهب .
٧. اصحبت المغرب الاقصى في عهده دولة تجارية مهمة بعد سيطرة البلاد على طرق التجارة .

٨. تدهور اوضاع البلاد بعد وفاته عام ١٦٠٣ نتيجة لتنافس الامراء من البيت الحاكم وبروز الحركات الانفصالية .

الهوامش:

(١) عبد الملك بن محمد الشيخ : هو أحد سلاطين الدولة السعدية تولى الحكم بين عامي (١٥٧٦ – ١٥٧٨) استقر مدة من الزمن في البلاط العثماني تعلم خلالها اللغة التركية والاسبانية والايطالية ، فضلاً عن تأثره بخط الادارة العثمانية وفلسفتها في ادارة شؤون الشعوب الخاضعة لها . للمزيد ينظر : شارل اندريه جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الاقصى) من الفتح الاسلامي الى سنة ١٨٣٠ ، ج٢ ، ترجمة محمد مزالي – البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦٩-٢٧٠ .

(٢) محمد خير فارس ، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر منشورات جامعة دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٤) محمد المتوكل : هو محمد بن السلطان عبد الله الغالب تولى الحكم بين عامي (١٥٧٤ – ١٥٧٦) شهد عصره خلافاً حاداً مع عمه عبد الملك الذي التجأ الى الجزائر وقد صادف وجوده هناك انتصار العثمانيين على الاسبان لهذا استنجد بهم على طرد ابن اخيه عن الحكم وقد تحقق له ذلك فقد تمكن العثمانيين من ازالة المتوكل عن الحكم للمزيد ينظر : ممد بن عبد السلام بن عبود ، تاريخ المغرب ، ج٢ ، دار الطباعة المغربية ،تطوان ، ١٩٥٧، ص ١٩ .

(٥) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٦) ابراهيم شحاتة حسن ، اطوار العلاقات المغربية – العثمانية ١٥١٠ – ١٩٤٧ ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

(7) Charles andre- julien lemaroc facequximperia lismes 1415-1956 paris, 1978 , p3-7.

(٨)محمد بن عبد السلام بن عبود ، المصدر السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .

(٩) شارل اندري جوليان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .

(١٠) الحروب الصليبية المقدسة : تعود فكرة الحروب الصليبية المقدسة ذات الطابع الديني لكرسي البابوية التي اضفت على الصراع مع المسلمين طابعاً صليبياً متعصباً وخلال هذا الصراع الطويل برز العديد من البابوات الذين كان لهم الدور الكبير في تاجيج المشاعر العدائية ضد المسلمين تمثلت باصدار المناشر البابوية التي اعطت للملوك الصلاحيات بقيادة الحملات العسكرية ودعمها ماديا للمزيد ينظر : http://Rowad-islamstory.com

(١١) مدينة طنجة : من الموانئ المغربية المهمة في بلاد المغرب الاقصى خضعت بادئ الامر تحت السيطرة البرتغالية ومن ثم تنازلوا عنها لبريطانيا عام ١٦٦٢ وقد قدمت كمهر من قبل كاترين روير اكاتس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثاني ملك انكلترا للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن زيدون اتحاف اعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ،ج٧ ، مطبعة فضالة المحمدية ، فاس، ١٩٣١ ، ص ٧٣- ٧٥ ؛ عبد الرحيم الورديفي اسرا العدوان المغربي على الجزائر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، المغرب ، د.ت ، ص ٦٧ .

(١٢) فيليب الثاني : احد ملوك اسبانيا البرزين حكم البلاد للفترة التاريخية١٥٥٦ – ١٥٩٨ ،عمل على تعزيز المكانة السياسية والعسكرية لاسبانيا ايد الكاثوليكية بقوة مما ادى الى نشوب الثورات والى تورط الاسبان في حروب مع الدولة

العثمانية بلغت محاكم التفتيش في عهده ذروتها كما نقل الحكم من مدينة طليطلة الى مدريد عام ١٥٦١ للمزيد ينظر : http://wikipedia.org.com

(13) Coissac dechavre biere historie dumoroc paris , 1931 , p310 .

(14) Bid, p311.

(١٥) مدينة اصيلا : من الثغور المغربية المهمة والتي تقع بين مدينة طنجة والعرائش خضعت للسيطرة الاسبانية في عام ١٥٨١ للمزيد ينظر : محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ،ج١ ، الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٢٠٧ .

(16) Ch. A– julien lemoroc face Auximperialisme , paris , 1978, p3–6

(١٧) تطوان : من المدن المغربية المهمة تقع في اقصى شمال المغرب وعلى بعد ١٠ كيلومتر عن ساحل البحر المتوسط ، كما تبعد عن مدينة طنجة بحوالي ٦٠ كم ولهذه المدينة بعد تاريخي يعود الى العصر الروماني وهي موضوع قديم لمدينة تمود الرومانية وقد جددها السلطان ابا ثابت عامر بن عبد الله بن يعقوب المديني (١٣٠٦–١٣٠٨) لجعلها مركزاً حربياً خضعت هذه المدينة لسيطرة الاسبان عام ١٤٠٠ وقد عمرها السلطان اسماعيل بن الشريف وكثرت فيها المساجد والاماكن الاثرية للمزيد ينظر : حسان عوض ، جغرافية المدن المغربية (على ضوء تطورها الديموغرافي الحالي) مطبوعات المركز الجامعي العلمي ، الرباط ، د.ت ، ص ٢١٧ .

(١٨) العرائش : مدينة مغربية خضعت للسيطرة الاسبانية عام ١٦١٠ اثر تنازل السلطان المأمون السعدي عنها مقابل الحصول على مساعدتهم للقضاء على منافسيه في الحكم ينظر : محمد المكي الناصري (من صفات العرش العلوي) ، مجلة دعوة الحق المغربية ، العدد الثالث ، شباط ، ١٩٧٠ ، ص ١٤– ١٥ .

(١٩) محمد خير فارس ، المصدر لاسابق ، ص ٦٤ .

(٢٠) شوقي الجمل ، المغرب العربي الكبير من الفتح العربي الى الوقت الحاضر (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب الاقصى مركش) المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٧ .

(٢١) المنصور السعدي : احمد بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله ، ولد في مدينة فاس عام ١٥٤٩ وبويع له بالحكم عام ١٥٧٨ بعد وفاة السلطان عبد الملك ، يعد عهده الذي استمر قرابة ستة وعشرون عاماً من ازهى عهود الدولة السعدية من حيث تطور الجوانب العلمي والعمرانية ، كما طور السلطان اساليب الزراعة والنصاعة في البلاد ، اذ اهتم بزراعة قصب السكر وتحديث اساليب تصنيعه كذلك اهتم بالتجارة وبخاصة بعد فتحه للسودان توسعت علاقات المغرب في عهده وبخاصة مع الدول الاوربية ، توفي عام ١٦٠٣ . للمزي ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٨٠ – وما بعدها .

(٢٢) ابو العباس ، أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج١ ، تحقيق جعفر الناصري ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٤ ، محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، د.ت، ص ١٩٨ .

(٢٣) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٢٥) نقلاً عن : محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٢٦) المخزن : ويقصد به الحكومة المغربية ، وهو استخدام شاع في بلاد المغرب العربي ابان تلك الحقبة التاريخية .

(٢٧) ابراهيم حركات ، المغرب العربي عبر التاريخ ، ج٢ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، د.ت ، ص ٥٠–٥٣ .

(٢٨) السباهية : وهو لقب يختص به قائد هذه المجاميع الحربية ويعد تشريفاً له . للمزيد ينظر : ح. و. و. ع ، ملف المغرب العربي (الجيش المغربي هل هو قوة وطنية او اداة في يد النظام، رقم الملف ١١ / ٧ ، ص ١–٦ .

(٢٩) ثريا براد ، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، المغرب ، ١٩٧٧، ص ٥٦–٥٧ .

(٣٠) ثريا براد ، المصدر السابق ، ص ٥٦– ٥٨ .

(٣١) ابي عبد الله بن احمد الكنسوسي ، الجيش الروم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي ، تحقيق احمد بن يوسف الكنسوسي ، مراكش ،د.ت ، ص ٨١–٨٢ .

(٣٢) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣٣) قصر البديع : يعد هذا القصر من روائع المغرب الاقصى بناء المنصور السعدي بعد توليه الحكم بشهور قلة ، حيث اختار الزاوية الشمالية الشرقية مكاناً له استمر العمل به لمدة ستة عشر عاماً دون انقطاع للمزيد انظر : www.arwikipedia.org.ocm

(٣٤) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣٥) ابو العباس احمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، ج٥ ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، القاهرة ، ص ١٣٥ .

(٣٦) مملكة آل سكيا : تنتمي هذه المملكة الى صنهاجة وكان اول ملك لهذه الدولة هو الحاج محمد سكيا ، وقد مر الى مصر في طريقه الى الحج وهناكل التقى الخليفة العباسي ففوض اليه حكم السودان ، وعندما رجع الى بلاده سار على نهج الدولة العباسية في ادارة شؤونها للمزيد ينظر : محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(37) E–levi – proven call , Hisorens Arabes du maroc paris , 1948 , p91–93

(38) E– levi– provencal, ibid , p92 .

(39) Ibid,p92.

(٤٠) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

(٤١) جؤذر : وهو قائد الحملة العسكرية التي اعدها السلطان المنصور السعدي للسيطرة على السودان وقد تمكن هذا القائد من السيطرة على هذه البلاد في عام ١٥٩١ بعد دخوله العاصمة كاغو ، الا ان انتشار الامراض بين جنوده ادى بالقائد الانتقال الى مدية تمبسكتو التي اصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الباشوات المغاربة ، للمزيد ينظر deRense–arab.com

(٤٢) شارل اندري جوليان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٦–٢٧٧ .

(٤٣) عبد القادر زيادية وآخرون ، تاريخ المغرب الحديث ، مطبعة العهد الوطني ، الجزائر ، د.ت ، ص ١٥٢ .

(٤٤) الجدير بالذكر هنا ان الباشا الجزائري حسن البندقي كان قد تزوج من ارملة السلطان السعدي عبد الملك ، لذا اراد استخدام ولدها اسماعيل ورقة ضغط على المنصور السعدي من اجل تحقيق اهدف الدولة العثمانية للمزيد ينظر : ابراهيم شحاته حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

(٤٥) عبد الله العروي ، تاريخ المغرب (محاولة في تركيب) ،ت ذوقان فرقوط ، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٤٦) محمد عبد السلام بن عبود ، تاريخ المغرب ، ج٣ ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، ١٩٥٧ ، ص ٢٣–٣١ .

(٤٧) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٤٨) السلطان مراد الثالث هو السلطان مراد بن السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الاول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح ولد عام ١٥٤٦ وتولى الحكم في عام ١٥٧٤ قاد العديد من الحملات ضد اوربا واصبحت اليونان في عهده تابعة للدولة العثمانية كما شهد عهده نهوض الحركة التجارية بسبب زيادة الامتيازات التي حصل عليها من الدول الاوربية توفي في عام ١٥٩٥ عن عمر ناهز الخمسين ودفن في صوفيا للمزيد ينظر : mwww.wikipedia.com

(٤٩) محمد علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى – ليبية) منشورات جامعة دمشق ، ٢٠٠٠، ص ٦٢ .

(٥٠) ابراهيم شحاتة حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٥١) شارك اندريه جوليان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(٥٢) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

(٥٣) ح.و.و.ع ، ملف المغرب ، مكتب الثقافة والاعلام (تقرير خاص عن العرائش ومدينتي سبتة ومليلة) رقم الملف ١١/ ٧/ ١٩٨٧ ، ص ٤١– ٤٥ .

(٥٤) فارس ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٥٥)

(٥٦) مدينة سبتة : مدينة مغربية قديمة عرفت باسم سبته وفي عصر الاسلام اطلق عليها اسم سبته تقع اقصى الشمال الغرب قبالة المواطئ الاسبانية للسيطرة البرتغالية ومن ثم الاسبان حتى وقتنا الحاضر .للمزيد ينظر عبد الحميد السامرائي ، المؤسسات الادارية في المغرب الاسلامي اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩١١ ، ص ٢٠٠ .

(٥٧) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٥٨) زاهر رياض ، شمال افريقيا في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب الاقصى) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣–١٤٤ .

(٥٩) الملكة اليزابيث : هي ابنة الملك هنري الثامن تنتمي الى اسرة الثيودور ذات الاصول الويلزية تولت الحكم بعد شقيقتها ماري الاولى والتي كانت كاثوليكية المذهب بينما تبنت اليزابيث المذهب البروتستانتي المعتدل لقبت بالملكة العذراء ، كما تميز حكمها بالطابع الاستبدادي ، لها الفضل بترسيخ العقيدة الوطنية للمزيد ينظر : www.iripedia.org.com

(٦٠) أ ، ب ،ج روجرز ، العلاقات الانكليزية – المغربية حتى عام ٩٨١ ت يونان لبيب رزق دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨١ ، ص ٤٣ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٦٢) حسن شحاته ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٦٣) نقلاً عن ب.ج. روجرز ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٦٥) شوقي عطا الله جمل ، العلاقات المغربية – الانكليزية ، مجلة المناهل ، العدد الثالث ، حزيران ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٧ .

(٦٦) ب.ج. روجرز ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٦٨) محمد فرج ، الامة العربية على الطريق الى وحدة الهدف (تاريخ الامة العربية من الاحتلال العثمانية الى مؤتمر القمة العربية ١٥١٤–١٩٦٤ ، دار الفكر العربي، بيروت ، د.ت ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٦٩) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص٩١

(٧٠) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٩١– ٩٢ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص٩١–٩٢ .

(٧٢) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج٢ ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ،د.ت، ص ٤٧ .

أثر علماء الاندلس، البصراء والمكفوفين، في الحياة العلمية من خلال كتاب (نكث الهميان في نكت العميان) لأبي الصفاء الصفدي

(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

دراسة تاريخية

م .م . ثامر عبد علي حبيب

المديرية العامة للتربية ديالى / تربية خانقين

thamerabed1966@gmail.com

أثر علماء الاندلس، البصراء والمكفوفين، في الحياة العلمية من خلال كتاب (نكث الهميان في نكت العميان) لأبي الصفاء الصفدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) دراسة تاريخية

م . م ، ثامر عبد علي حبيب

الملخص :

بدأ البحث دراسة موجزة في حياة الصفدي، أسمه، ونسبه، لقبه وكنيته، ولادته وسيرته، شيوخه ، تلاميذه، مؤلفاته، وفاته، ثم دراسة دور العلماء باختصار دون التفريط بجوهر دورهم في الحياة العلمية ، فتم ، ذكرهم حسب الحرف الهجائية ، ثم ذكر اسم كل عالم ولقبه حسب مورد في كتاب (نكث الهميان) ثم نكمله من المصادر الأخرى إن وجد تفصيل أكثر فيه ، مراجعة سبب اللقب والكنية ، القابه العلميه التي اشتهر فيها، مكان مولده و نشأته ، بداية تعليمه ، أبرز شيوخه وتلاميذه ، العلوم التي تصدر وبرع فيها ، أهم المواقف التي مرت به وشاع فيها ذكره ، طبيعة حياته الاجتماعية من خلال ألقابه زاهد فقيرا سخيا بسيطا لينا وقورا مهيبا ... الخ ، أسلوبه وطريقة تدريسه ، تعامله مع تلاميذه ، وكذلك رأيه في كيفية المعيشة وطلب العلم عند بعضهم ، هيئته وشكله، الرحلة وأسبابها، متى أصابه الضر- فمنهم من ولد هكذا ، ومنهم في السنين الأولى، ومنهم من أصابه في آخر عمره ، ويبدو أنه من أثر الجهد في تحصيل علومه من قراءة وكتابه وسهر وجهد في التعلم والتعليم ، لأنهم أفنوا حياتهم في هذا والله (ﷻ) أعلم ،أشهر مؤلفاته، ثم نختم بالوفاة.

Achievements scientists AL ANDOLS the blinds in the scientific life through the book (ALHEMAN NAKETH) for Abi Al safaa Al safadi (dead in764 A.H) Historical study

Inst. Thamer abed ali Habeb
The Directorate General Education of Diyala
KHNAKEN Education

Abstract

The study began with a brief study of the life of safadi his name his relation his title his nickname his birth his biography his elders his disciples his writings his death and the study of the role of the scholars without compromising the essence of their role in scientific life The name of each scantest and his surname according to a resource in the book of(ALHEMAN NAKETH) the prise of which is supplemented by other sources if there is more detail in it and excelled in it the most important position that passed by and popularized the nature of his social life through his titles zahedfkira generous and the way he thought his students as well as his opinion on how to live and

ask for knowledge of some of them their from and from the journey and its causes when it is harmful some of them born so and in the first years at the end of his life and it seems that the impact of the effort in the collection of science from reading writing and the hours and efforts of learning and education because they spent their lives in this and GOD ALMIGHTY knows the most famous and then conclude the death

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) الرسول العربي الامين، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد إن نعمة الإسلام هي المصباح الذي لاغنى عنه ، فبها نسلك ونهتدي الى الطريق الصحيح الخالي من كل عثرات الحياة ، وبها ننجو منها ان واجهتنا ، أما نعمة البصر فهي درة في تاج صحة الانسان، وفقدانها مصاب جلل وعظيم ، لهذا وعد الله (ﷻ) أن من فقد حبيبتيه (عينيه) وصبر واحتسب ، فأن جزاءه الجنه.

إن دراسة تاريخ رجال هذه الأمة ، سيما علمائها هو انتصارا لها ولهم ، إذ نبين من خلالها مدى عظمتها ورقيها وسموها على باقي الأمم من جهة ، وعظمة وعزيمة وإيمان علمائها من جهة أخرى ، وفي هذه الدراسة وقع الاختيار على فئة من أولئك الذين ضربوا أروع الأمثلة في العزيمة والصبر والجلد في مواجهة واحدة من أصعب وأشد التحديات التي يتعرض لها ويصاب بها الأنسان عامة ، والعلماء خاصة ، الا وهي فقدان (البصر) ، لقد انحسرت دراستنا هذة من خلال (كتاب الصفدي ، نكث الهميان في نكت العميان) لأنه من كتب ومؤلفات علماء المشرق وأنه مخصص لهذه الفئة الكريمة تحديدا من جهة، وان الاختيار وقع على رجال الأندلس فقط ، لقلة عددهم ـ لا شأنهم ومكانتهم ـ من جهة أخرى، ففي هذا الكتاب يمكن دراستهم في بحث مصغر كهذا، لبيان تاريخهم وأثرهم في الحياة العلمية ودورهم في بناء أمجاد هذه الأمة والحفاظ على إرثها في كل مجالات الحياة لاسيما العلمية منها وبمختلف أصنافها ، فهناك العدد الكبيرمن الذين لم يفقدوا هذه النعمة ، ولم تكن لهم بصمة ، أو أثرا يذكر في حياتها ، ، وننوه هنا أن بالإمكان توسعة هذه الدراسة أكبر من حدود هذا البحث ـ مع حفظ مكانة جميع من ذكر في (كتاب نكث الهميان) ـ من العلماء الكرام ـ ، فهناك الكثير من الدراسات .(بحوث ، رسائل ، وأطاريح)ـ تناولت العديد منهم ، وفصلت في سيرتهم ودورهم في مختلف جوانب الحياة ـ العلمية ، الاجتماعية ، والسياسية ـ .

لمحة عامة عن حياة الصفدي.

إسمه ونسبه.

خليل بن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكى [١] .

لقبه وكنيته .

لقب بصلاح الدين الفاري[٢] الصفدي [٣] واتفقت المصادر أنه يكنى أبو الصفاء[٤] .

ولادته وسيرته .

ولد سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) أو (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) تقريبا[٥]

ماهرا في الرسم ، رغب بالأدب ، وبرع في الخط، منعه والده من المباشرة بنفسه في هذا الا بعد سن العشرين ، متمكن في الشعر ، له حظ وافر بالنظم والنثر والترسل والتواقيع[٦] أتسم بالمروءة وتميز بمكارم الأخلاق وحسن الشيم، محببا إلى الناس وحسن المعاشرة ، وقيل أنه من بقايا الرؤساء الأخيار[٧] تولى كتابة الإنشاء بمصر ودمشق، ثم ولي كتابة السر بحلب، ثم تولى بيت المال بالشام ،أفاده بالجامع الأموي وحدث بدمشق وحلب وغيرهما[٨].

شيوخه.

أخذ عن القاضي بدر الدين بن جماعة وأبي الفتح بن سيد الناس والتقى السبكي، والحافظين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي وغيرهم، وقرأ طرفا من الفقه، أخذ النحو عن أبي حيان والأدب عن ابن نباتة والشهاب محمود وسمع يونس الدبوسي بمصر [٩].

مؤلفاته.

بلغت نحو الخمسين ، ومنها لم يكمله ، وأشهرها التاريخ الكبير الذي سماه الوافي بالوفيات في نحو ثلاثين مجلدا ، أفرد منه أهل عصره في كتاب سماه أعوان النصر وأعيان العصر في ست مجلدات ، وكتاب نكث الهميان ... [١٠].

وفاته.

توفى رحمه الله ليلة الأحد العاشر من شوال سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) [١١]

١ـ إبراهيم بن محمد التطيلي [١٢].

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التطيلي' الضرير، نشأ بقرطبة [١٣] وسكن إشبيلية[١٤]، ويعرف بالتطيلي الأصغر، اشتهر بالشعر بعد أبي العباس التطيلي الأعمى بزمان يسير وهو القائل من قصيدة، منها في عماه:

يثني إلى وطء ما يغتاله قدما ... يهوي إلى لمس ما يعدو عليه يدا
يمشي فتحسبه يقضي الصلاة خطا ... إذا استوى راكعا من ركعة سجدا
تهوي به قدماه صولجي لعب ... تنزو السلام كرات عنهما بددا
شمس الظهيرة أعشت كوكبي بصري ... كذا سنا النجم في ضوء الضحى خمدا[١٥]

هذا ما اسعفتنا به المصادر المتاحة اذ كانت ترجمته قليلة جدا .

٢ـ أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة .

أبو العباس القيسي التطيلي الاشبيلي الضرير المعروف بالأعيمى [١٦]

نعت بالأديب البارع، ، نظمه كالسحر الحلال، ونثره كالماء الزلال، جاء بالنادر المعجز... [١٧] ومن أشهر ما يذكر عنه في الأندلس ، أن اتفق شعرائها يعمل كل واحدا منهم قصيدة وأن يتقنها ويجهد في صياغتها ، وتلقى في محفل يتنافس فيه الشعراء ، فتقدم بن هريرة قائلا:

ضاحك عن جمان سافر عن در... ضاق عنه الزمان. وحواه صدري ، مزق ابن بقي[١٨] أوراقه وخرج ، وتبعه جميع الشعراء الذين كتبوا موشحاتهم فإنهم سمعوا ما يفتضحون بمعارضته ، ولم يلقي احدهم بيتا واحدا من دهشتهم وتعجبهم [١٩] وقيل عن بيت الشعر المذكور أنه جمع فيه نصف شعر العالم كله [٢٠] توفى سنة (٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) [٢١].

٣ـــ أبن سيدة .

إسماعيل بن سيده ، أبو بكر المرسي ، الأديب الضرير، والد أبي الحسن بن سيده ، من أهل مرسيه[٢٢] لقي أبا بكر الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين. وكان من النحاة ومن أهل المعرفة والذكاء. كان أعمى، وتوفي بمرسية بعد الأربع مائة بمدة [٢٣].

٤ـــ الحسين بن يوسف بن احمد بن يوسف.

بن فتوح. أبو علي الأنصاري الأندلسي البلنسي[٢٤]. الضرير. المعروف بابن زلال بضم الزاي وتشديد اللام وبعد الألف لام أخرى، أخذ القراءات عن ابن هذيل، وطارق بن موسى صاحب شريح، وسمع منهما ومن ابن النعمة وابن سعادة، كما أجاز له السلفي[٢٥]، وسمع الحديث، وأخذ الناس عنه، ومنهم ابن الابار سمع منه بداره[٢٦]. وكان محققاً مشاركاً في علوم عديدة. آية من آيات الله تعالى في الفطنة والذكاء والحدس، وانتهت إليه أستاذية[٢٧] الإقراء[٢٨] لإتقانه وتحقيقه، وتجويده وعلو إسناده، وتفننه، وذكائه ، انتقل إلى مرسية، فأقرأ بها إلى أن توفى (٦١٣هـ/ ١٢١٧م)[٢٩].

٥ ـــ القاسم بن فيرة[٣٠].

إبن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني[٣١].الشاطبي[٣٢] المقرئ الضرير أحد الأعلام[٣٣] سمع من كبار العلماء ، وصف بأعلى الصفات الفاضلة ، زاهدا ورعا . إماماً نبيلاً محققاً ذكياً، واسع المحفوظ كثير الفنون، بارعاً في القرآت وعللها، حافظاً للحديث، كثير العناية به، أستاذاً في العربية[٣٤] إماما قدوة، عابدا، قانتا، منقبضا، مهيبا، كبير الشأن[٣٥] يجتنب فضول الكلام ولا ينطق إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة، وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه، وإذا سئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك[٣٦]سلطان القراء[٣٧] وإذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من

حفظه، ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها، وكان أوحدا في علم النحو واللغة، عارفا بعلم الرؤيا، حسن المقاصد، مخلصا فيما يقول ويفعل[٣٨] جرت مسألة فقيهة بحضوره فذكر فيها نصاً واستحضر كتاباً فقال لهم: أطلبوها منه في مقدار كذا وكذا، وما زال يعين لهم موضعها حتى وجدوها حيث ذكر، فقالوا له: اتحفظ الفقه، فقال لهم: أني أحفظ حمل جمل من كتب، فقيل له هلا درستها، فقال ليس للعميان إلا القرآن[٣٩]

قراء ببلده ثم انتقل الى بلنسية [٤٠] ومن روائع مؤلفاته القصيدة التي سماها (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات، وهي (١١٧٣) بيتا، ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها،

وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة، وما سبقه إلى أسلوبها أحد، وقد روي عنه أنه كان يقول: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله(ﷻ) بها، لأني نظمتها لله تعالى مخلصا في ذلك[٤١] ومن أبداعه نظم في كتاب (التمهيد) لابن عبد البرّ رحمه الله(ﷻ) قصيدة داليّة في (٥٠٠) بيت، من حفظها أحاط بالكتاب علما[٤٢] وهكذا كان ديدنه اذ سخر نعمة الحفظ والتاليف الذي من الله (ﷻ)عليه بهما بهمة عالية ، فكانت له أشعار مأثورة عنه في ظاءات القرآن، وفي مواضع الصّرف، وفي نقط المصحف وخطّه، وفي أنواع من المواعظ[٤٣]ومن شعره:

قل للأمير نصيحة ... لا تركنن إلى فقيه

إن الفقيه إذا أتى ... أبوابكم لا خير فيه[٤٤] ويذكر أن شعره عقدا صعبا لا يكاد يفهم، ومنه،

يلومونني إذ ما وجدت ملائما ... وما لي مليم حين سمت الأكارما

وقالوا تعلّم للعلوم نفاقها ... بسحر نفاق يستخفّ العزائما[٤٥]

ومن ورعه ان ترك بلده بعد ان طلب منه أن يلي الخطابة فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر في وصف الملوك ، خرج إلى الحج ودخل الإسكندرية سنة (٥٧٢ه/١١٧٦م)[٤٦] ثم نزل القاهرة، تزوج إلى قوم يعرفون ببنى الحميرى[٤٧] وتصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية[٤٨] فشاع أمره وبعد صيته وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء إلى أن توفي[٤٩] ومن كراماته انه رآى رسول الله (ﷺ) فى منامه عشر ليال متوالية بالروضة، وقرأ عليه فيها القرآن، فلما ختم عليه، قال له رسول الله (ﷺ) : حماك الله من الشبه[٥٠] وأخبروه أن الأذان يسمع في جامع مصر من غير المؤذّنين، ولا يدرون ما هو فقال، قد سمعته مرارا لا أحصيها عند الزوال[٥١] وجرت بينه وبين (الشيطان لعنه الله) مخاطبة، فقال له: إن فعلت كذا فسأهلكك، فقال له: والله ما أبالى بك ، وتخلف عنه اصحابه في أحد الطرق وتلقاه إثنان فسبه أحدهما سبا قبيحا، وهو يستعيذ بالله منهما الى أن تركاه ، واخبر اصحابه بعد أن لحقوا به والتفتوا يمينا وشمالا فلم يجدوا أحدا ، وكان رحمه الله يعذل أصحابه فى السر على أشياء لا يعلمها منهم إلا الله(ﷻ) [٥٢] قال

السخاوي أقطع بأنه كان مكاشفا[٥٣] وأنه سأل الله كتمان حاله ما كان أحد يعلم أي شيء هو[٥٤] وكان رحمه الله يعذل أصحابه في السر على أشياء لا يعلمها إلا الله عز وجل. وكان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر لذكائه، ولا يظهر منه ما يدل على العمى ، ولده سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ومات رحمه الله تعالى سنة (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) ودفن في مقبرة الفاضل بعد أن أضر[٥٥].

٥ـ عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي[٥٦] .

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اصبغ بن الحسين بن سعدون بن رضوان أبن فتوح الإمام الحبر أبو القاسم، وأبو زيد، ويقال أبو الحسن بن الخطيب أبي محمد ابن الخطيب أبي عمرو بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، الأندلسي، المالقي[٥٧] حافظا مصنفا ، كف بصره وهو ابن (١٧) سنة[٥٨] العلامة ، المحدث ، بارعا في اللغة والنحو والأدب ، حدث بمالقة وانتشرت مصنفاته، وهي دالة على علمه وذكائه[٥٩] أخذ القراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحيى ... ناظر في كتاب سيبويه على أبي الحسين بن الطراوة[٦٠] وسمع منه كثيرًا من كتب الأدب[٦١] مؤرخا ، حافظا للرجال والأنساب، عارفا بعلم الكلام[٦٢] والأصول، تصدر للإقراء والتدريس، وبعد صيته[٦٣]جمع بين الرواية والدراية[٦٤] ذاع صيته وطلب إلى مراكش ليسمعوا منه، وتولى فيها قضاء الجماعة وحسنت سيرته [٦٥] الف وكتب الكثير في مختلف العلوم ، واشهر ماكتب وأبدع به هو مراجعة السيرة النبوية المطهرة بكتابه الذي وسمه (الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام) وقال عنه أنه انتحيت فى هذا الإملاء بعد استخارة ذى الطول، والاستعانة بمن له القدرة والحول، إلى إيضاح ما وقع فى سيرة رسول الله (ﷺ) التى سبق إلى تأليفها أبن إسحاق ولخصها ابن هشام ، مما بلغنى علمه ويسر لى فهمه؛ من لفظ غريب، أو إعراب غامض، أو كلام مستغلق، أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه، أو خبر ناقص وجد السبيل إلى تتمته ، وذلك مستخرج من نيف على (١٢٠) ديوانا؛ سوى ما لقنته عن مشيختى، ونقحه فكرى، ونتجه نظرى، من نكت علمية لم أسبق إليها، ولم أزحم عليها[٦٦] أما في الشعر كانت له قصائد رائعة ، وأروع ما كتب وأنشد أبياته التي تمثل قمة التوكل على الله (ﷻ) ، والتوسل اليه ، والثقة به وحده ، والتي قال عنها الشيخ محيي الدين النواوي[٦٧]، ما قرأ أحد هذه الأبيات، ودعا الله (ﷻ) عقبها بشيء إلا استجيب له:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن ... أمنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك ربي أضرع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك أن تقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع[٦٨]

ولده سنة (٥٠٨هـ/ ١١١٤م) بمدينة مالقة. توفي في مراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر، (٢٦) شعبان سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) يرحمه الله (ﷻ) وكان مكفوفاً[٦٩].

٧ـ عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري.

علم الدين ابن بنت العراقي[٧٠] ولد بديار مصر، وأصله من وادي آش[٧١] من المعدودين في علماء مصر[٧٢]. كان بارعًا في علم التفسير ، ، وصنف فيه الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري[٧٣] وابن المنير[٧٤] أخذ عنه التفسير والد الشيخ السبكي [٧٥] والفقه عن ابن عبد السلام وغيره والحديث عن المنذري قراءة وسماعا والأصلين[٧٦] عن التلمساني والخسروشاهي ، ومهر وبرع في فنون العلم، وتصدر بجامع مصر ودرس بالمشهد الحسيني[٧٧] وكان سهلا، بسيطا، لينا ، متواضعا وفيه دعابة كثيرة [٧٨]. وتولى مشيخة التفسير بالمنصورية[٧٩] وأقرأ الناس مدة طويلة حتى صاروا أئمة وكتب بخطه كثيرا حتى كتب حاوي الماوردي مرات وأضر في آخر عمره[٨٠]. كما اعتنى بالعربية وكتب الخط الحسن ومهر في الكتابة والحساب وله نظم ونثر، وكان له اقتدار في التعليم وصبر على الطلبة حتى أن معظم من كان بالديار المصرية ممن قرأ عليه ومثل بين يديه، ولا يسأم من المذاكرة كثير التودد والانبساط[٨١] ومن أشهر مؤلفاته ، شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، الأنتصار للزمخشري من ابن المنير، وتفسير القرآن الكريم[٨٢] ولد في مصر سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) وتوفي يرحمه الله (ﷻ) سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)[٨٣].

٨ ـ علي بن اسماعيل بن سيدة

أبو الحسن اللغوي الأندلسي المرسي الضرير[٨٤] وقيل هو علي بن أحمد[٨٥] ، لكن ياقوت والصفدي قالا : اعتمدنا ما ذكره الحميدي لأن كتابه أشهر[٨٦] شيخا أديبا[٨٧] فقيها، حافظا لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم الحكمة[٨٨] من الذين يضرب بذكائه المثل [٨٩] من يقراء خطبة كتابه المحكم يقول أنه من أرباب العلوم العقلية لأنها ليست خطبة كتاب في اللغة إنما تصلح خطبة لكتاب الشفاء لابن سينا[٩٠] وتعجب الطلمنكي[٩١] منه غاية العجب عندما دخل مرسية وقراء عليه غريب المصنف من أوله الى آخره وهو أعمى[٩٢] لم يكن بالأندلس أشد أعتناء منه باللغة ولا أعظم بالتأليف، يفخر به أهل مرسية فخرا عظيما، وهو فوق أن يوصف بحافظ أو عالم [٩٣] وقالوا فيه: أن بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد، ولم يكن لهما ثالث وهما ضريران ، فالمشرقي أبو العلاء المعري التنوخي ، والمغربي أبن سيدة الأندلسي ، وأبن سيدة أعلم من المعري، لأنه أملى من صدره كتاب المحكم ثلاثين مجلدا وما في كتب اللغة أحسن منه[٩٤]

ولو حلف أبن سيدة أن لم يصنّف أحدا مثله لما حنث في ذلك [٩٥] أما أشهر مؤلفاته ،كتاب المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، وكتاب المخصص مرتب على الأبواب ، وكتاب شرح إصلاح المنطق، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة كبير إلى الغاية ، كتاب العالم في اللغة عال الأجناس في غاية الاستيعاب نحو مائة مجلد بدأ فيه بالفلك وختم بالذرة ، وكتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب، وكتاب الوافي في علم أحكام القوافي، وكتاب شاذ اللغة في خمس مجلدات ، وكتاب شرح كتاب الأخفش[٩٦] أضرت به ضرارته، ولكنه حجة في اللغة، موثق في نقلها. لم يكن في عصره أحد يدانيه فيها[٩٧] كان يوم الجمعة صحيحاً سوياً إلى صلاة المغرب، فدخل المتوضأ وأخرج منه، وقد سقط لسانه، وانقطع كلامه. وبقي على تلك الحالة إلى عصر يوم الأحد ، ثم توفى سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) رحمه الله (ﷻ) [٩٨] وقيل توفى سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) [٩٩].

٩ ـ محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي.

أبو عبد الله الهواري[١٠٠] المالكي الأعمى المربي عرف بابن جابر ، أضر بسبب جدري عرض له في صغره بعد دخوله المكتب في أواخر السنة الخامسة من عمره [١٠١] قرأ القرآن والنحو على أبي الحسن علي بن محمد ابن أبي العيش، والفقه لمالك (ﷺ) على أبي عبد الله محمد بن سعيد الرندي، سمع علي أبي عبد الله محمد الزواوي صحيح البخاري غير كامل [١٠٢] رحل إلى المشرق فدخل مصر والشام، ثم دمشق، وأقام بحلب سنة(٧٤٣هـ/١٣٤٢م)[١٠٣] كتب الطباق وحدث ودرس بتربة أم الصالح[١٠٤].واشتهرت رفقته مع أبي جعفر الرّعيني[١٠٥]. وهما المشهوران بالأعمى والبصير ، هو يؤلف وينظم، والرّعيني يكتب، وكانت صحبتهما عجيبة ولم يذكر مثلها سماعا ومشاهدة ، اذ كانا يتوافقان في كل الأخلاق والأقوال والأفعال، وفي شؤون حياتهما اليومية، في الملبس والمأكل والمنام، حتى في المجلس الواحد فهما متلازمين لا يجلس بينهما أحد، ومن العجب أنهما يمرضان معا، ويصحان كذلك ، ولم يزالا هكذا حتى تزوج ابن جابر[١٠٦] وتميز بقدرة النظم بلا كلفة ومشقة ، اذ كان ينظم في اليوم الواحد(٣٠٠) بيتا، ويملي على الكاتب وهو جالس على طعامه الأبيات المتعددة بلا تكلف ، وبكل بلاغة وفصاحة ودقة معنى [١٠٧] أشهر مؤلفاته هي البديعية التي سماها (الحلة السيرا في مدح خير الورى) الشهيرة ببديعية العميان ، وقصيدته الغراء الطويلة المستهلة على علم البديع التي أولها بطيبة:

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم ... وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم[١٠٨] .

وكذلك (شرح الألفية) لابن مالك، وهو كتاب مفيد جليل يعتني بإعراب الأبيات، و (نظم الفصيح) (نظم كفاية المتحفظ) وشرح على (ألفية ابن معطي) في ثلاث مجلدات، وبالمدينة اختصر الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم ، وأجاز لمن أدرك حياته[١٠٩] ومات في جمادى الآخرة سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) [١١٠] .

١٠ــ محمد بن خلصة .

الشذوني[١١١] نزيل دانية [١١٢] أبو عبد الله البصير، كان كفيفاً، من كبار النحاة والشعراء والأساتذة المشهورين[١١٣] ذكيا ظريفا، ويسمى البصير وهو أعمى[١١٤] أخذ عن ابن سيده وبرع في اللغة والنحو[١١٥] وعنه أبو عمر بن شرف وأبو عبد الله بن مطرف التطيلي ، وأبو زيد عبد الرحمن بن عامر المعافري الألتائي النحوي، قرأ عليه كتاب سيبويه ، وغيرهما [١١٦] وهو احد العلماء بالكلام [١١٧] له حظ من النثر والنظام لكنه بالأئمة العلماء أشبه منه بالكتاب الشعراء ، لأنه يسير بشعره إلى البديع[١١٨] ويذهب فيها إلى التصنيع[١١٩].

وقال ابيات يشير بها الى علمه بالنحو:

مليك إذا ألهى الملوك عن اللهى ... خمار وخمر فارق الدل والدنا

فلم تثنه الأوتار أوتار قينة ... إذا ما دعاه السيف لم يثنه المثنى

فلو جاد بالدنيا وعاد لضعفها ... لظن من استصغاره أنه ضنا

فلا عتب في إنعامه غير أنه ... إذا من لم يتبع مواهبه منا[١٢٠] توفي سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) أو ما قبلها [١٢١].

١١ــ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان.

الحافظ والعلامة، إمام النحاة أثير الدين[١٢٢] أبو حيان، النفزي[١٢٣] الأندلسي الجياني[١٢٤]غرناطي الأصل المولد والمنشأ ، قيل عنه: بحرا لايعرف الجزر، سيبويه الزمان والمبرد، تفد عليه كل طائفة [١٢٥] شيخ البلاد المصرية والشامية ورئيسها في علم العربية [١٢٦] أضر في آخر عمره [١٢٧] نشأ بغرناطة وقرأ بها القراءات والنحو واللغة وسمع كثيرًا، نظم وأقرأ بها العربية من سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) وما بعدها، سمع أيضًا بمالقة والمرية والجزيرة الخضراء وجبل الفتح وغيرها، ثم أرتحل عن الأندلس في أول سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) وسمع بسبتة وبجاية وتونس والإسكندرية ، وحج في هذه السنة فسمع بمكة ومنًى وجدة ، ومصر، وسمع على العز الحراني صحيح البخاري وعلى محمد بن إسماعيل الأنماطي صحيح مسلم وعلى عبد الرحيم بن خطيب سنن أبي داود وعلى محمد بن ابراهيم بن ترجم جامع الترمذي ، وكان واسع المعرفة بالتفسير والفقه والحديث والقراءة والعربية واللغات وغير ذلك ، نظم القراءات السبع في قصيدة لامية سماها عقد اللآلئ خالية من الرموز وجعل عليها نكتا مفيدة، ونظم قراءة يعقوب [١٢٨] وبلغ عدد شيوخه في سماع الحديث فقط (٤٠٠) شيخ ، وأجاز له جمع كثير وقد جمعهم في كتاب البيان في شيوخ أبي حيان فبلغوا (١٥٠٠) في جميع علومه[١٢٩]

ويذكر ان سبب رحلته عن غرناطة أنه حملته حدة شبيبته [١٣٠]على التعرض للأستاذ أبي جعفر ابن الطباع[١٣١].

وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير[١٣٢] وحشة فنال منه وتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته فرفع أمره للسلطان بغرناطة[١٣٣] فانتصر له وأمر بإحضاره وتنكيله فاختفى ثم أجاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق وتكررت رحلته الى أن حل بالديار المصرية [١٣٤] وكان للمغاربة في مصر ملجأ وسندا ، إذ كانت له منزلة وثروة واسعة [١٣٥] وله خبيرا في تراجم الناس ومعرفة طبقاتهم لا سيما المغاربة ، ويقيد أسماؤهم على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم، لأنهم مجاورين بلاد الفرنج، وأقرأ الناس قديما وحديثا حتى ألحق الصغار بالكبار وصار تلاميذه أئمة وشيوخا في حياته وهو الذي دفع الناس على قراءة كتب ابن مالك[١٣٦] ورغبهم فيها وشرح لهم غامضها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء، وألزم أحدا أن لا يقرىء أحدا إلا في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في مصنفاته[١٣٧] درس التفسير بالقبة المنصورية[١٣٨] وقرأت عليه الأشعار الستة الجاهلية وكان يحفظها، والمقامات الحريرية وحضرها جماعة من كبار الديار المصرية[١٣٩] و له إقبال كبير على الطلبة الاذكياء، يعظمهم وينوه بقدرهم[١٤٠] ووصفت هيئته ، أنه طوالا ، حسن النغمة ، مليح الوجه ظاهر اللون مشربا بحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها لم تكن كثة ، مهيبا، جهوريا، مع الدعابة والغزل، وعباراته فصيحة بلغة الأندلس يعقد القاف قريبا من الكاف لكنه لاينطق بها في القرآن إلا فصيحة متقنة ، وعلى الرغم من ثروته الواسعة لكن يحكى عنه غرائب من شحه[١٤١] ويبرر سبب هذا الشح بوصيته للصفدي قائلا : أوصيك احفظ دراهمك ودع يقال بخيل ولا تحتاج إلى الأرذال قال وكان يلومني على بذل الدراهم في شراء الكتب ، ويقول ـ عن نفسه ـ إذا أردت كتابا استعرته من كتب الأوقاف وقضيت حاجتي وإذا احتجت إلى درهم لم أجد من يعيرني إياه ،

رجاؤك فلسا قد غدا في حبائلي ... قنيصا رجاء للنتاج من العقم

أأتعب في تحصيله وأضيعه ... إذا كنت معتاضا من البر بالسقم

وبرر ذلك الصفدي قائلا : والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب، وورد البلاد، ولا شيء معه، وتعب حت حصل المناصب تعبا كثيرا، وكان قد جرب الناس، وحلب أشطر الدهر، ومرت به حوادث، فاستعمل الحزم، [١٤٢] وقالوا عنه أنه سيء الظن بالناس ، لكن الصفدي يقول : أنا لم أسمع منه في حق أحد من الأحياء والأموات إلا خيرا، وما كنت أنقم عليه شيئا إلا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد[١٤٣] على أنني ما سمعت في حقه شيئا، نعم سمعته كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح ـ

الذين يتحدثون عن العلماء يدعون الصلاح وليس العلماء ذاتهم ـ ، وسألته عن الشيخ أبي مدين ، فقال: هو رجل مسلم دين وإلا ما كان يطير في الهواء ولا يصلي الخمس بمكة كما يدعي فيه هؤلاء الجهلة[١٤٤] ومما تميز به أن يقول لا اعلم دون حرج وهذه من سمات العالم التي تمثل رفعته وتواضعه ، ومنها قوله

في مقامة الحريري التي أورد فيها الأحاجي: ما أعرف مفهوم الأحجية المصطلح عليها بين أهل الأدب. فإني تعبت مع نفسي في معرفة ذلك كثيراً، ولا أفاد ولا ظهر لي. وهذا في غاية الإنصاف منه والعدالة، لاعترافه في مثل ذلك الجمع وهم يسمعون كلامه بمثل ذلك[١٤٥] وذكر عنه أنه يخشع ويبكي إذا سمع القرآن ، ويجري دمعه إذا سمع الأشعار الغزلية ويفضل شعر الحماسة[١٤٦] ولده بغرناطة في أخريات شوال سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وتوفي رحمه الله (ﷻ) ـوهناك خلاف في تحديد اليوم ـ لكن الاتفاق في صفر بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) وهو ضرير بمنزله بظاهر القاهرة ودفن بمقابر الصوفية ، ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نعيه[١٤٧].

١٢ــ يوسف بن سليمان بن عيسى.

أبو الحجاج الأندلسي الشنتمري[١٤٨]

الأعلم[١٤٩] النحوي، واسع الحفظ جيد الضبط، كثير العناية بهذا الشأن، صارت الرحلة إليه في وقته، أخذ عن أبي القاسم إبراهيم الإقليلي وطبقته، وأبي سهل الحراني، ومسلم بن أحمد الأديب. وأخذ عنه أبو علي الغساني، وطائفة كبيرة. وكف بصره في آخر عمره[١٥٠] رحل إلى قرطبة سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) وأقام بها مدة، وأخذ ، عالما باللغة والعربية، ومعانى الأشعار، حافظا بجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها، مشهورا بمعرفتها وإتقانها[١٥١] جلس للطلبة وتكاثروا عليه[١٥٢] ومن اشهر مؤلفاته وكتبه ـ شرح الشعراء الستة ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ط، شرح ديوان طرفة بن العبد ، شرح ديوان علقمة الفحل ، تحصيل عين الذهب في شرح شواهد سيبويه، شرح ديوان الحماسة في مجلدين ، النكت على كتاب سيبويه[١٥٣] توفي يرحمه الله تعالى بإشبيلية سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)[١٥٤].

الخاتمة:

بعد ان انتهينا من كتابة البحث، نرى لابد من تسجيل ماتم التوصل اليه من نتائج:

١- كانت سيرة الصفدي واضحة في المصادر ، الا في لقبه (الفاري) أذ ذكر في مصدر واحد من المصادر المتاحة (الوفيات لأبن رافع) أما سيرته فكانت واضحة وأثنى عليه كل من ذكرة بالألقاب العلمية والادبية ، وتولى كتابة الانشاء والسر وبيت المال ، وكذلك أخلاقه الكريمة وصفاته الطيبة.

٢- كان الصفدي مصاحبا لبعض العلماء موضوع البحث ، وشاهدا على حياتهم ، ومزكيا لهم فيما نسب لهم من حدة لسانهم والوقيعة بالناس ، والانتقاص من بعض العلماء، ومنهم يوسف بن حيان ، قال رفقته ولم أسمع منه مانسب اليه في ذلك ، كما بين سبب شحته أو بخله من خلال راي بن حيان في ذلك ، وتبرير الصفدي سبب هذا الشح من خلال ذكره الظروف القاسية التي مر بها ابن حيان في بدايات حياته ، وكان شاهدا على ولادة ووفاة البعض منهم .

٣- منهج كتابه ، حسب الحروف الهجائية ، أما مصادره المتعددة ، من مشاهدة وسماع وأجازة ، كانت واضحة ودقيقة .

٤- تضمن كتابه الاحاديث النبوية الشريفة ، ومرويات تاريخية عن الخلفاء والولاة والامراء في تراجم علماء ورجال المشرق ، أما رجال الأندلس فلم نجد منها .

٥- كل ما ورد من ترجمة للعلماء والادباء في كتاب الصفدي (نكث الهميان) تمت مراجعتها وتوثيقها من خلال المصادر الاخرى المتاحة ، فكانت صحيحه ، وتم الاضافة عليها ما تعذر على الصفدي الحصول عليه ، وهذا وارد وينطبق على معظم المؤلفات ، لأن الاحاطة بكل تفاصيل أي أمر صعب وغير ممكن ، لسبب أو لأخر.

٦ـ ان الصفدي في كتابه هذا ، والذي خصصه لفئة من العلماء والأدباء الذين تعرضوا لمصاب عظيم مثل هذا ، قدم أحد روائع التكريم والامتنان لهم على ما قدموه لهذه الامة خاصة ، وللإنسانية عامة .

الهوامش :

(١) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ٤/ ٢٠٣؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٢/ ٢٠٧؛ ابن تغربردي ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١١/ ١٩.

(٢)الفاري ، بالفاء والراء الخفيفة، نسبة إلى قرية بالبقاع تسمى بيت فار . ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ١٧/٧؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٩/ ٢٤٣ . وينظر: ابن رافع ، الوفيات، ٢/ ٢٦٩.

(٣) صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٣/ ٤١٢؛ السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، ص ١٦٢.

(٤) السبكي ، معجم الشيوخ ، ١/ ١٧٨؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٢/ ٢٠٧؛
ابن العمادالحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ١/ ٦٤ ؛ ابن الغزي ، ديوان الإسلام ٣، / ١٩٩.

(٥)السبكي ، معجم الشيوخ ، ١/ ١٧٨؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ٣/ ٨٩؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٢/ ٢٠٧.

(٦) توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجبه. والتوقيع.
ابن منظور ، لسان العرب ، ٨/ ٤٠٦ .

(٧) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٢/ ٢٠٧؛ الشوكاني ،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٢٤٣.

(٨)ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ٣/ ٩٠؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٦/ ١٩٩.

(٩)ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ٣/ ٨٩؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٢/ ٢٠٨؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٦/ ١٩٩.

(١٠)ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ٣/ ٩٠؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٢/ ٢٠٨؛ الشوكاني ،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٢٤٣.

(١١)السبكي ، معجم الشيوخ ، ١/ ١٧٨؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ٣/ ٩٠؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٢/ ٢٠٩؛ الشوكاني ،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٢٤٤.

(١٢)التطيلي ،بضم التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى تطيلة وهي بلدة بالأندلس ، في شرقي قرطبة . السمعاني ، الانساب ، ٣/ ٥٤؛ ياقوت، معجم البلدان ، ٢/ ٣٣.

(١٣) قرطبة، مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، ياقوت، معجم البلدان ، ٤/ ٣٢٤.

(١٤) اشبيلية مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص أيضا، ياقوت، معجم البلدان ،١/ ١٩٥.

(١٥)الصفدي ، نكث الهميان ، ١/ ٦٥ ؛ ابن الابار ، تحفة القادم ص ٣٩.

(١٦)الصفدي ، نكث الهميان ، ١/ ٨٦.

(١٧)الصفدي ، نكث الهميان ، ١/ ٨٦ ؛ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ٤/ ٧٢٨ ـ ٧٥٢.

(١٨) يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي ، كان آية في النثر والنظم، بارعا في نظم الموشحات مجيدا فيها كلّ الإجادة... توفي سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م). ياقوت ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الادباء ، ٦/ ٢٨٢٠ـ ٢٨٢١.

(١٩) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ٢/ ٤٥٦ ؛ ابن خلدون ؛ ديوان المبتدا والخبر، ١/ ٨١٨ .

(٢٠) ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، ١٣/ ٣٤١.

(٢١)الصفدي ، نكث الهميان ، ١/ ٨٦.

(٢٢) مرسية مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، ياقوت، معجم البلدان ، ٥/ ١٠٧.

(٢٣) أبن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ص ١٠٥؛ القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٣٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام، ٢٨/ ٢٢١ ؛ الصفدي ، نكث الهميان في نكت العميان ص ١٨٧؛ ابن حجر ، تبصير المنتبه ، ٢/ ٧٠٦؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، ١/ ٤٤٨.

(٢٤) البلنسى ، بفتح الباء المنقوطة بواحدة واللام وسكون النون وفي آخرها السين المهملة، هذه النسبة الى بلدة بشرق الأندلس من بلاد المغرب يقال لها بلنسية . السمعاني ، الأنساب، ٢/ ٣٢٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١/ ٤٩٠.

(٢٥) الصفدي، نكث الهميان ، ١٢٢؛ الذهبي ، معرفة القراء ، ٣٢٥.

(٢٦) ابن الابار ، التكملة ، ١/ ٢٢٣.

(٢٧) الأستاذية ، مصدر صناعي من كلمة أستاذ ، المعلم والماهر في الصناعة يعلمها غيره. ينظر: ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، ١/ ١٧.

(٢٨) الذهبي ، معرفة القراء ، ٣٢٥.

(٢٩) الصفدي ، نكث الهميان ، ص ١٢٢؛ الذهبي ، معرفة القراء ، ٣٢٥.

(٣٠) فيره ، بكسر الفاء وسكون الياء آخر الحروف وتشديد الراء وضمها وهذا من لغة اللطيني من أعاجم الأندلس. ومعناه الحديد. الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢١٣ .

(٣١) بضم الراء وفتح العين المهملة وبعدها الباء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى ذي رعين من اليمن وكان من الأقيال . السمعاني ، الأنساب ، ٦/ ١٤٣.

(٣٢)الشاطبي: بكسر الطاء وموحدة إلى شاطبة مدينة بالأندلس. ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣/ ٣٠٩. السيوطي، لب اللباب في تحريرالأنساب ، ١٤٨.

(٣٣) الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢١٣ .

(٣٤) الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢١٣ .

(٣٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤١/ ٣٨٥ .

(٣٦)ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤ /٧٢ .

(٣٧) الهروي، تسلية الأعمى عن بلية العمى ، ص٦٠.

(٣٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤ /٧١ .

(٣٩) المراكشي، السفر الخامس ، ٢ /٥٤٩ .

(٤٠) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ٣ /١٠٢ .

(٤١) الشارعي، مرشد الزوار، ٦٣٠/١؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤ /٧١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣/ ١٣.

(٤٢) القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤/ ١٦١ .

(٤٣)القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤/ ١٦٢ .

(٤٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤١/ ٣٨٦ـ ٣٨٧ .

(٤٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٥/ ٢٢١٦ .

١٥

(٤٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/ ١٣ .

(٤٧) القفطي، انباه الرواة ، ٤/ ١٦٠ .

(٤٨) عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج بن أحمد ، القاضي الفاضل أبو علي ، اللخمي البيساني، العسقلاني المولد، المصري الدار، الكاتب صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الصلاحية وبعدها ، توفى سنة (٥٩٦ه/١١٩٩م). الذهبي ، سير اعلام ،١٥/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤ .

(٤٩) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ٤/ ٢٧٣ـ ٢٧٤.

(٥٠) قال الليث: التحريف في القرآن: تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه . الازهري ، تهذيب اللغة ، ٥/ ١٢. وينظر : الشارعي ، مرشد الزوار الى قبور الابرار، ١/ ٦٣٢.

(٥١) القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤/ ١٦١ .

(٥٢) ياقوت ، معجم الأدباء ٥/ ٢٢١٦ ؛ القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤/ ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٥٣) قد من الله تعالى على أرباب الكشف بنور كاشف يريهم الأشياء كما هي، ونسبة العقل إلى ذلك النور كنسبة الوهم إلى العقل ، ذلك النور يمكن أن يحكم بصحة بعض ما لا يدركه العقل ... . ينظر : الكفوي ، الكليات، ص ٩٢٨ .

(٥٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ٧ / ٢٧٢ .

(٥٥) الصفدي ، نكث الهميان في نكت العميان ، ص٢١٤.

(٥٦) جبل سهيل، بالأندلس من أعمال رية، لا يرى سهيل في شيء من أعمال الأندلس إلا فيه. ووادي سهيل بالأندلس من كورة مالقة فيه قرى، من إحدى هذه القرى عبد الرحمن السهيلي مصنف شرح السيرة المسمى بالروض الأنف . ينظر : ياقوت ،معجم البلدان ٣/ ٢٩١.

(٥٧) مالقة ، بفتح اللام والقاف، كلمة عجمية: مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ٥/ ٤٣ .

(٥٨) الصفدي ، نكث الهميان في نكت العميان ، ص١٦٨.

(٥٩) االضبي ، بغية الملتمس ، ص٣٦٧.

(٦٠) سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي درس على أبي الحجاج الأعلم وأبي مروان بن سراج وتجول في بلاد الأندلس معلماً، وله كتاب " المقدمات على سيبويه " وكانت وفاته سنة (٥٢٨هـ /١١٣٣م) . ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٧/ ٤٠١.

(٦١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤/ ٩٦.

(٦٢)الكلام، هو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام، والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة. وفي اصطلاح النحويين، هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام ، وكذلك هو علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد، وما يتعلق به من الجنة والنار، والصراط والميزان، والثواب والعقاب، وقيل: الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة. الجرجاني ، التعريفات ص ، ١٨٥ .

(٦٣) السيوطي ، بغية الوعاة ، ٢/ ٨١.

(٦٤) الدراية بمعنى الفهم وهو لنفي السهو عما يرد على الانسان فيدريه أي يفهمه وحكى عن بعض اهل العربية أنها مأخوذة من دريت إذا ختلت . ينظر : العسكري ، الفروق اللغوية ، ص: ٩٢ .

(٦٥) ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ١/ ٣٧١.

(٦٦) القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ١٦٣ .

(٦٧) النواوي الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، صاحب التصانيف النافعة: مولده في المحرم سنة (٦٣١هـ /١٢٣٣م) وتوفى (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) ... . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤/١٧٤- ١٧٦.

(٦٨) الصفدي ، نكث الهميان ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠. وينظر : السيوطي ، بغية الوعاة ، ٢/ ٨١- ٨٢.

(٦٩)ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣/ ١٤٤ ؛ الصفدي ، نكث الهميان ، ص ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٧٠) أبراهيم بن منصور بن مسلم أبو إسحاق المصري ثم العراقي الشافعي ،أحد الفقهاء المشهورين، تفقه بمصر على القاضي أبي المعالي مجلي بن جميع، ثم رحل إلى بغداد، فأخذ عن غير واحد من مشايخها من أصحاب الشيخ أبي

إسحاق الشيرازي، وغيرهم، وكان يقال له ببغداد: المصري، فلما رجع إلى مصر اشتهر بالعراقي، واشتغل بالتدريس والفتوى والإفادة والخطابة بجامع مصر إلى أن مات سنة (٤٩٦هـ / ١١٠٣م).

ابن كثير ، طبقات الشافعيين ص٤٩٥ـ ٤٩٦/ ٩٥٠.

(٧١) أش ، بالفتح، والشين مخففة، وربما مدت همزته ، مدينة الأشات بالأندلس من كورة البيرة وتعرف بوادي أش . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١/ ١٩٨ .

(٧٢) الصفدي ، نكث الهميان ، ص ١٧٧.

(٧٣)الزمخشري ، العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب "الكشاف" و"المفصل . توفى سنة (٥٣٨هـ/ ١١٣٣م) . القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ٣ / ٢٦٨، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٥/ ١٧.

(٧٤) ابن المنير ، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني ، وكان عالماً فاضلاً مفنناً ن توفى سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) . صلاح الدين ، فوات الوفيات ، ١/ ١٤٩.

(٧٥) السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٠/ ٩٥؛ ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، ص٩٥٠.

(٧٦) هما القران الكريم والسنة النبوية الشريفة .

(٧٧) في شعبان سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) ، خرج الأفضل بن أمير الجيوش بعساكر جمة إلى بيت المقدس، وقد ملك القدس، فدخل عسقلان ، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخرجه وعطره، وحمله في سفط إلى أجلّ دار بها، وعمّر المشهد، فلما تكامل، حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن أحله في مقرّه، وقيل: إنّ المشهد بعسقلان بناه: أمير الجيوش بدر الجماليّ، وكمله ابنه الأفضل وكان حمل الرأس(الشريف) إلى القاهرة من عسقلان . المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢/ ٣٢٢ـ٣٢٣ ؛ ابن قاضي شهبه ، طبقات الشافعية ، ٢/ ٢١٨.

(٧٨) ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، ص٩٥٠.

(٧٩)القبة المنصورية، هي القبة تجاه المدرسة المنصورية، وهما جميعا من داخل باب المارستان المنصوريّ، وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلّها قدرا، وبها قبر الملك المنصور سيف الدين قلاون.

المقريزي،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٤/ ٢٢٦. وينظر: المقريزي ، السلوك لمعرفة الملوك ، ٢ / ؛ ٣٨٦ السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٤٢١ .

(٨٠) الصفدي ، نكث الهميان، ص ١٧٨؛ ابن قاضي شهبه ، طبقات الشافعية ، ٢/ ٢١٨.

(٨١) ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/ ٢٠١.

(٨٢) كحالة ، معجم المؤلفين ٥/ ٣١٩.

(٨٣)الصفدي ، نكث الهميان ، ص ١٧٧.

(٨٤) أبن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ص ١٠٥؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٢٠٤ ؛ الصفدي ، نكث الهميان في نكت العميان ص ١٨٧.

(٨٥) ابن خاقان ، مطمع الانفس ، ص٢٩٢؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤١٨ .

(٨٦) الحميدي ، جذوة المقتبس٢١٣؛ ياقوت ، معجم الأدباء ، ٤/ ١٦٤٨؛ ص ١٠٥؛ الصفدي ، نكث الهميان في نكت العميان ص ١٨٧ـ ١٨٨.

(٨٧) ابن خيرالاشبيلي، الفهرسة ، ص٣٩٩ .

(٨٨)الحكمة ، هي علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضا: هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها ،الحكمة: تجيء على ثلاثة معان: الأول: الإيجاد. والثاني: العلم. والثالث: الأفعال المثلثة، كالشمس والقمر وغيرهما، وقد فسر ابن عباس، رضي الله عنهما، الحكمة في القرآن، بتعلم الحلال والحرام، وقيل: الحكمة في اللغة: العلم مع العمل، وقيل: الحكمة يستفاد منها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة هي الكلام المقول المصون عن الحشو. الجرجاني ، التعريفات ص ، ٩١ .

(٨٩) الصفدي، الوافي ، ٢٠/ ١٠٠ .

(٩٠) ابن خاقان ، مطمع الانفس ، ص٢٩٢؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤١٨ .

(٩١) الطلمنكي ، أحمد بن محمد بن عبد الله أصله من طلمنكة، بثغر الأندلس الشرقي ، غلب عليه القرآن والحديث ألف تواليف نافعة كثيرة، كباراً، ومختصرة، احتسابا ، توفى سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٨/ ٣٢ـ٣٣؛

(٩٢) ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ص٣٩٧.

(٩٣)ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/ ٢٥٩.

(٩٤) السلفي ، معجم السفر ، ص٣٤٨.

(٩٥) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ٧ / ٦١.

(٩٦) الصفدي، الوافي ، ٢٠/ ١٠١ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ٧/ ٣٦.

(٩٧) االذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٣٠/ ٤٤٩ .

(٩٨) الحميدي، جذوة المقتبس ، ص ٣١٢ ؛ الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢١٤.

(٩٩) ياقوت ، معجم الادباء، ٥/ ٢٢١٧؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، ٢ / ٢٦٠ .

(١٠٠) بنو هوارة – بطن من اوزيغ اوزيفة من البرنس من البربر . القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٤٤١.

(١٠١) السخاوي ، التحفة اللطيفة، ٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ؛الصفدي ،نكث الهميان، ص ٢٣٠؛ ابن حجر ، الدرر ، ٥/ ٧٠.

(١٠٢) الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢٣٠.

(١٠٣) الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢٣٠ ؛ ابن حجر ، الدرر، ٥/ ٧١؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، ٣٤/١ .

(١٠٤) خانكاه ، أنشأتها السيدة أم الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين تحت القلعة إلى جانب السيفية المتقدم ذكرها في– المدارس في سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) وبنت إلى جانبها تربة، ودفنت بها ولدها الصالح . سبط ابن العجمي ، كنوز الذهب فى تاريخ حلب ١/ ٣٩١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٥/ ٧٢.

(١٠٥) أبو جعفر الرعيني الأندلسي الغرناطي. نزيل البيرة من أعمال حلب، وتفقه ببلاده وبرع في فقه المالكية وغيره، وخرج من بلاده يريد المشرق رفيقاً لأبي عبد الله محمد بن جابر، توفى سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) . ابن تغربردي ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ٢/ ٢٧٠.

(١٠٦)السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ٢/ ٤٢٤ ؛ ابن العماد ، شذارت الذهب ، ٨/ ٤٦٢.

(١٠٧) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ٢/ ٤٢٣.

(١٠٨) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ٢/ ٤٢٣. وينظر : الطهطاوي ، التنبيه والإيقاظ ، ص ١٤٢.

(١٠٩) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١١/ ٣٠ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٨/ ٤٦٢؛ الزركلي ، الاعلام ، ٥/ ٣٢٨.

(١١٠) الصفدي ، نكث الهميان ص ٢٣٠. وينظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ٥/ ٧١.

(١١١) الشذوني ، بفتح الشين المعجمة وسكون الذال المعجمة وفتح الواو وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى شذونة وهذه ناحية بالأندلس، شذونة صقع من أعمال إشبيلية وهي من الأندلس، وأبو عبد الله محمد ابن خلصة الشذونى النحوي كان حيا بالأندلس بعد سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، وكان ضرير البصر . السمعاني ، الانساب ، ٨/ ٧٢؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٣/ ٣٢٩.

(١١٢) مدينة دانية على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر . الادريسي ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ٢/ ٥٥٧.

(١١٣) الصفدي، نكث الهميان، ص٢٣٤.وينظر: الحميدي،جذوة المقتبس ، ص٤٥؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٧٤؛ ابن القفطي ، انباه الرواة ، ٣/ ١٢٥؛ ابن الابار، تحفة القادم،(الضرير الداني) ص/ ٨ .

(١١٤) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب ، ٢/ ٣٩٢؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٣١/ ٣٥٣؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، ١/ ١٠٠.

(١١٥) الصفدي ، نكث الهميان ص ٢٣٤. وينظر : ياقوت ، معجم الادباء ، ٦ / ٢٥٢٥.

(١١٦) ياقوت ، معجم الادباء ، ١ / ٢٤٥؛ ابن الابار ، التكملة ، ١/ ٣١٩.

(١١٧) في اصطلاح النحويين، هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام. وهذا هو المعني به حصرا وليس بقية التعريفات بحكم تخصصه بالنحو، بالمقارنة مع بعض العلماء ذوي العلوم الكثيرة والواسعة، وتم تعريف علم الكلام بالتفصيل هامش (٦٢) . وينظر: ابن بسام ، الذخيرة ، ٣٢٢/٥.

(١١٨)البديع، هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، أي الخلو عن التعقيد المعنوي ، وذكر الشيء بصفات متتالية . الجرجاني ، التعريفات ص، ٦٨ /١٥٦.

(١١٩) التصنع، تكلف الصلاح وليس به، وتكلف حسن السمت وإظهاره والتزين به والباطن مدخول.
ابن منظور ، لسان العرب ٨/ ٢١١. وينظر: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب ، ٢/ ٤٩٣.

(١٢٠) الاصبهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس، ٢ / ٩٣.

(١٢١) الصفدي ، نكث الهميان ص ٢٣٤؛ ياقوت ، معجم الادباء ، ٦ / ٢٥٢٥.

(١٢٢) من الألقاب المشرقية . ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ٣،/ ٢٨.

(١٢٣) النفزي، نسبة إلى قبيلة من البربر . السيوطي ، بغية الوعاة ١/ ٢٨٠.

(١٢٤)جيان ، بالفتح ثم التشديد، وآخره نون: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ٢/ ١٩٥ .

(١٢٥) الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢٦٦. السبكي ، طبقات الشافعية ، ٩/ ٢٧٦.

(١٢٦) الفيروزآبادي ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، ص ٢٥١.

(١٢٧) ابن ناصر الدين ، الرد الوافر، ص٦٣ .

(١٢٨) الصفدي، نكث الهميان ، ص ٢٦٦؛ابن نقطة ، ذيل التقييد ، ١/ ٢٨٣؛ الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ١٤؛ ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٨٦.

(١٢٩) ابن ، حجر ، الدرر، ٦/ ٦٤.

(١٣٠) شبيبته ، قوته . ابن منظور ، لسان العرب، ١٥/ ١٦٤ .

(١٣١) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عياش أبو جعفر بن الطباع الرعيني الغرناطي إمام حاذق مشهور نبيل صالح، قرأ على الخطيب عبد الله بن محمد بن الكواب السبع وعلي يوسف بن يحيى بن عبد الله اللخمي ... قرأ عليه أبو حيان محمد بن يوسف وأبو القاسم محمد بن سهيل الغرناطي وأحمد بن سعد الجزيري، توفي سنة (٦٨٠ه/١٢٨١م) في ذي القعدة. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ، ١/ ٨٧.

(١٣٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم ... يكنى أبا جعفر... كان خاتمة المحدثين، وصدور العلماء والمقرئين ... إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير، والخوض في الأصلين ... ولد ببلده جيان ، وتوفي بغرناطة في **الثامن** لشهر ربيع الأول سنة (٧٨٠ه/١٣٧٨م). ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ١/ ٧٢ـ ٧٥.

(١٣٣) محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله بن الأحمر الخزرجي(٦٧١ه/١٣٠١م)... وكان قد قرأ العربية على الأستاذ أبي الحسن الأبذي وراح وهو على طريقه يحتذي. ولم يزل على حاله الى أن خانه زمانه، وغدر به سلطانه، فخلع ثم غرق، في سنة (٦٩٩ه/١٢٩٩م) . الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر ٥/ ٢٤٤ـ ٢٤٥.

(١٣٤) ابن ، حجر ، الدرر، ٦/ ٥٩.

(١٣٥) ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ٣/ ٢٨؛ وينظر: السخاوي ، الضوء اللامع ، ١٠/ ١٠

(١٣٦) مالك بن علي بن مالك بن عبد العزيز بن قطن ، ابن مالك القرشي القطني الزاهد: من أهل قرطبة؛ روى بالأندلس، عن حاتم بن سليمان، ويحيى ابن يحيى، وزنان بن الحسن... له مختصر في الفقه على مذهب مالك ابن أنس، مات بالأندلس (٢٦٨ه/٨٨١م) بعد أن كف بصره. ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣/٢ـ ٤؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٤٦ـ ٣٤٧.

(١٣٧) الصفدي، نكث الهميان ، ص٢٦٧ . وينظر : ابن ، حجر ، الدرر، ٦/ ٥٩.

(١٣٨) ينظر: ص ١١، هامش، (٧٩).

(١٣٩) الصفدي، نكث الهميان ، ص٢٦٧ .

(١٤٠) الصفدي ، نكث الهميان ، ص٢٦٧؛ ابن ، حجر ، الدرر، ٦/ ٥٨.

(١٤١) الصفدي، اعيان العصر ، ٥/ ٣٣٢ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ٣/ ٢٨ابن ، حجر ، الدرر، ٦/ ٦٣؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ١٠/ ١٠.

(١٤٢) الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر، ٥/ ٣٣٤. ؛ ابن حجر ، الدرر، ٦/ ٦٥.

(١٤٣)ابن دقيق العيد الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي، صاحب التصانيف: ولد في شعبان سنة خمس وعشرين ... صنف "شرح العمدة" وكتاب "الإلمام"، وعمل "كتاب الإمام في الأحكام" ولو كمل تصنيفه وتبييضه لجاء في خمسة عشر مجلدًا، وعمل كتابًا في علوم الحديث، وكان من أذكياء زمانه واسع العلم كثير الكتب مديمًا للسهر مكبًّا على الاشتغال ساكنًا وقورًا ورعًا قل أن ترى العيون مثله ، وله يد طولى في الأصول والمعقول وخبرة بعلل المنقول، ولي قضاء الديار المصرية سنوات إلى أن مات وكان يشدد في الطهارة ويبالغ، توفي في صفر سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٣م). الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤/ ١٨١ـ ١٨٣.

(١٤٤) الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر، ٥/ ٣٣٣. ؛ ابن حجر ، الدرر، ٦/ ٦٤.

(١٤٥) الصفدي ، نكث الهميان، ص٢٦٨.

(١٤٦) ابن حجر ، الدرر ، ٦/ ٦٤ـ ٦٥ .

(١٤٧) الصفدي ، نكث الهميان، ص٢٧٠. وينظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ٩/ ٢٧٩؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ٣/ ٢٨؛ الحسيني ، ذيل تذكرة الحفاظ ، ص١٥.

(١٤٨) شنتمرية ، بالشين المعجمة والنون وبعدها تاء ثالثة الحروف وميم بعدها راء مدينة في الأندلس من مدن اكشونبة ، وإليها ينسب الأستاذ أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري . الأعلم ذو التصانيف المشهورة. الصفدي ، نكث الهميان، ص٣٠٠. وينظر : ياقوت ، البلدان ، ١/ ١٩٩؛ الحميري ، الروض المعطار، ص ٣٤٧.

(١٤٩) الشق في الشفة العليا، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/ ٤١٩. وينظر: ياقوت ، معجم الادباء ، ٦/ ٢٨٤٨.

(١٥٠)الصفدي ، نكث الهميان، ص٣٠٠ . وينظر : ابن بشكوال، الصلة ، ص٦٤٤؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ٣/ ٥٢٤؛ السيوطي، بغية الوعاة ، ٢/ ٣٥٦.

(١٥١)الصفدي ، نكث الهميان، ص٣٠٠ . وينظر : القفطي ، انباه الرواة ، ٤/ ٦٥.

(١٥٢) ابن خلكان ، وفيلت الاعيان ، ٧/ ٨١ ؛ الذهبي، سيير اعلام ، ١٤/ ٦٥.

(١٥٣)الصفدي ، نكث الهميان، ص٣٠٠ ؛ الزركلي ، الاعلام، ٨/ ٢٣٣.

(١٥٤)الصفدي ، نكث الهميان، ص٣٠٠ .

المصادر.

ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) .

١. التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس، (بيروت : دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)

٢. تحفة القادم ، أعاد بناءه وعلّق عليه: إحسان عباس ط١(دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦ م)

الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) .

٣. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) .

الاصبهاني ، عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله (ت: ٥٩٧هـ)

٤. خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢، ت: آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١ م)

٥.ابن بسام ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ت: إحسان عباس ، ط١(طرابلس –تونس : الدار العربية للكتاب، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)

ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت : ٥٧٨ هـ / ١١٧٩م)

٦.الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني ، ط٢(القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م).

ابن تغربردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)

٧. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، ت: محمد محمد أمين ، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ت)

٨ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (مصر : دار الكتب ، د . ت)

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٨.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،ت: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ،ط٢(الهند ـ حيدر اباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)

٩. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ،ت: محمد علي النجار ، مراجعة: علي محمد البجاوي ط١(بيروت: المكتبة العلمية، د . ت).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ/١٤١٣م).

١٠ـ التعريفات ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،ط١(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

ابن الجزري ، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد بن يوسف الدمشقي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) .

١١.غاية النهاية في طبقات القراء، نشر وتحقيق : ج برجستراسر، (القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، نشر عن طبعة عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م) .

الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (ت: ٧٦٥هـ)

١٢.ذيل تذكرة الحفاظ ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) .

١٣.جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، (القاهرة : الدار المصرية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

الحميري ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) .

١٤.الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس ، ط٢ (بيروت : مؤسسة نصار للثقافة ، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م)

ابن خاقان الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي، أبو نصر (ت: ٥٢٨هـ / ١١٣٣م)

١٥.مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ،ت: محمد علي شوابكة ط١(مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٣م)

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الواحد التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

١٦. الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) .

١٧.العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت : خليل شحادة، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .

ابن خلكان ، شمس الدين أبي العباس احمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

١٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس ، (بيروت: دار صادر، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) .

ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م) .

١٩.الفهرسة ،ت : محمد فؤاد منصور، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) .

الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

٢٠ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، عمر عبد السلام التدمري، ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) .

٢١ . تذكرة الحفاظ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

٢٢. سير أعلام النبلاء، ت : شعيب الارناؤوط وآخرون ، ط٣ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

٢٣. العبر في خبر من غبر، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (الكويت : المطبعة الحكومية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) .

٢٤. معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)

ابن رافع ، تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٢٥. الوفيات ، ت: صالح مهدي عباس ، بشار عواد معروف،ط١(بيروت: مؤسسة الرسلة ، ١٤٠٢هـ)

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) .

٢٦. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ (القاهرة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

٢٧. معجم الشيوخ ، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي (٧٥٩ هـ/١٢٥٧م)

ت: بشار عواد ، وآخرون، ط١(الاردن : دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٤)

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) .

٢٨. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ط١(يبروت : الكتب العلميه، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)

٢٩. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، د. ت)

ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي بن موسى(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٣٠. المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : ضيف شوقي ، ط٣ (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)

السلفي ، صدر الدين أبو طاهر احمد بن محمد بن احمد (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م) .

٣١. معجم السفر، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، (مكة المكرمة : المكتبة التجارية ، د.ت) .

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) .

٣٢. الأنساب، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون ، ط١ (حيدر آباد : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

٣٣. طبقات الحفاظ، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) .

٣٤. لب اللباب في تحرير الأنساب ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) .

٣٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم

(لنان / صيدا : المكتبة العصرية ، د . ت)

٣٦. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،ت : محمد أبو الفضل إبراهيم

ط١(مصر: دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م).

الشارعي، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (ت ٦١٥هـ / ١٢١٨م)

٣٧. مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، ط١ (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٥ هـ)

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٤٦هـ/١٣٦٣م) .

٣٨. الوافي بالوفيات، ت: احمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .

٣٩. أعيان العصر وأعوان النصر ،ت: الدكتور علي أبو زيد، واخرون ، قدم له: مازن عبدالقادر المبارك ط١(بيروت : دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)

٤٠.نكث الهميان في نكت العميان ، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا ط١(بيروت : دار الكتب العلمية، ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).

الضبي ، أبو جعفر احمد بن يحيى (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م) .

٤١. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي(ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م) .

٤٢. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س . كولان، واليفي بروفنسال ، ط٣ (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) .

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)

٤٣. الفروق اللغوية ، ت: محمد إبراهيم سليم(القاهرة : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د . ت)

ابن العماد الحنبلي ، أبو الفرج عبد الحي بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) .

٤٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الارناؤوط ، ط١ (دمشق : دار ابن كثير ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .

العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

٤٥. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ط١(ابو ضبي : المجمع الثقافي ، ١٤٢٣ هـ)

ابن فرحون ، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٧م) .

٤٦. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، (بيروت : دار الكتب العلمية، د.ت) .

الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت : ٨١٧هـ / ١٤١٢م)

٤٧. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، ط١(سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع : ١٤٢١هـ)

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت : ٨٥١هـ / ١٤٤٦م)

٤٨. طبقات الشافغية ، ت: الحافظ عبد العليم خان (بيروت : عالم الكتب ، د . ت)

الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ)

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) .

٤٩. ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرون ، ط١ (المغرب : المحمدية ، مطبعة فضالة ،، ١٩٦٥، ١٩٦٧، ١٩٨١، ١٩٨٣).

القفطي ، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ/١٢٢٣م) .

٥٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ط١ (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .

٥١.البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق، علي شيري، ط١(دمشق: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .

٥٢. طبقات الشافعيين ، تحقيق : احمد عمر هاشم ومحمد زينهم عزب ، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٣١٣هـ/١٩٩٣م) .

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ/١٦٨٣م) .

٥٣. الكليات ، تحقيق: عدنان درويش ومحمود المصري ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

المراكشي ،أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)

٥٤. السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،ت: إحسان عباس.

ط١(بيروت : دار الثقافة، ١٩٦٥م)

المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ / ١٤٣١م)

٥٥. السلوك لمعرفة دول الملوك ، ت: محمد عبد القادر عطا ، ط١(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م) .

٥٦. لسان العرب ، ط٢ (بيروت : دار صادر ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

ابن نقطة ، معين الدين أبي بكر محمد بن عبد الغني (ت٦٢٦هـ/١٢٣١م) .

٥٧.التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق : كمال حسين الحوت، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .

الهروي ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م)

٥٨. تسلية الأعمى عن بلية العمى ، ت: عبد الكريم بن صنيتان العمري

ط١(المدينة المنورة: دار البخاري،١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

٥٩.إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، المعروف بمعجم الأدباء ، ت : إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

٦٠. معجم البلدان ، ط٢ (بيروت : دار صادر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٩٥م) .

المراجع.

ابراهيم : مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهر.

٦١. المعجم الوسيط (القاهرة : دار الدعوة ، د . ت)

الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م).

٦٢. الاعلام ، ط١٥(بيروت : دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م)

الطهطاوي، أحمد رافع بن محمد الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي (ت: ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م).

٦٣. التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ (دمشق : مطبعة الترقي ، ١٣٤٨ هـ)

كحالة : عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)

٦٤. معجم المؤلفين (بيروت : مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي / مكتبة المثنى ، د .ت)

ويليام جيمس ديورَانت (ت: ١٩٨١ م)

٦٥. قصة الحضارة ، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين (بيروت : دار الجيل، ،تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

الطين وسيلة للتدوين في تاريخ القديم

م. زينة قاسم هاشم

جامعة بغداد/ كلية الآداب / قسم التاريخ
Ali- Hassin 9000@ yahoo.com

الطين وسيلة للتدوين في تاريخ القديم

م. زينة قاسم هاشم

الملخص العربي:

يُعد الطين المادة الاساسية المستخدمة للكتاب في تاريخ القديم، كما احتل المقام الاول بين جميع المواد المستخدمة، فالطين مادة من السهولة أستخدامها ومتوفرة في البيئة الامر الذي يشجع على استخدامها، كذلك لمقامتها عاديات الزمن فلم تتأثر بحرارة الشمس او جفاف التربة او رطوبتها او حتى تعرضها للمياه. وان شكل وحجم الرقيم الطيني اهمية كبيرة في معرفة تاريخ ومكان كتابه الرقيم وذلك لتميز كل فترة بأشكال واحجام معينة من الرقم الطينية.

Abstract:

Mud clay is the basic used written in ancient history, It also occupied the first place among all the materials used, It was clays to used and available in the environment, which encouraged its use, As well as for resistance to the ravages of time did not affect the heat of the sun or dry soil or moisture or even exposed to water, and the shape and size of mud clay is important in the knowledge of the date and place of his boo, soit is distinguished for the period in different shapes and sizes of the clay figure.

Introducion :

The clay is the main material used in writing through the long ages extended to the last covenants using cunei from script.

Through the study of ancient history shows us that clay was

The first place among the raw materials used in various aspects of life .

Mud wasbuilt houses , palaces temples and eagles , many of the machines and tools used in everyday life such as spinners and others .

Mud is a strong substance that is not affected by moisture or heat So resisted the mud plates times of time , ltis not affected by moisture or heat So resisted the mud plates times of time , it is not affected by the heat of the sun or dry soil or exposed to water , mud is disting nished from other materials that can by used to beautify all colds , wood , leather and others .

الطين وسيلة للتدوين في التاريخ القديم –

المقدمة :

لقد ظل الطين المادة الاساسية المستخدمة للكتابة عبر عصور طويلة أمتدت حتى اخر عهود استخدام الكتابة المسمارية [١]، ومن خلال الدراسة والتعرف الى ما تركهُ السكان القدماء من مخلفات يظهر لنا ان الطين أحتل المقام الاول بين المواد الخام التي استخدمها في مختلف أوجه الحياة ، فمنه شيدت البيوت والقصور والمعابد والزقورات، ومنهُ صنعت الاواني الفخارية ذات الاهمية القصوى في حياة الأنسان، ومن الطين صُنعت أقدم الدمى والتماثيل التي تَجسّد الالهة ومنهُ صنعت الكثير من الآلات والادوات المستخدمة في الحياة اليومية كالمغازل وغيرها[٢] فالطين مادة من السهولة استخدامها ومتوفرة في البيئة الذي شجع على استخدام هذه المادة [٣]، وعلى الرغم من تأثير الرطوبة والحرارة الا انها قاومت الواح الطين المكتوبة والمجففة بالشمس او المفخورة بالنار عاديات الزمن فلم تتأثر بحرارة الشمس او جفاف التربة او رطوبتها او حتى تعرضها للمياه [٤]، وكما ان وزن الطين الثقيل مقارنة بغيرهِ من المواد المستخدمة للكتابة، وصعوبة المحافظة على الواح الطين الكبيرة من الكسر والتشقق حدّد من حجم الألواح الطينية المستخدمة ومن بعد اضطر الكتبه الى الاختصار في كتاباتهم، ومن هذا شاع استخدام الطين على مدى اكثر من ثلاث الاف سنة، حيث استخدام في بلاد الرافدين وبلاد ايران وبلاد الاناضول والاوراتيون، كما استخدم في كل من سوريا وفلسطين ومصر ولكن في فترات محدودة[٥]. وكانت الالواح تُصنع من الطين النقي بعد غسله ومن ثم وضعهُ في الماء وتحريكهِ كي تطفو الشوائب مثل قطع العيدان والقش والاوراق وغيرها في حين يترسب الحصى والرمل والمواد الثقيله الاخرى في قعر الإناء وهكذا يصبح الطين النقي خالياً من اية شوائب[٦]. ويمكن الحصول على الطين النقي من شواطئ الانهار[٧]، حيث تترسب خلال موسم الفيضان طبقة كثيفة من الطين الذي يكون عادة خالياً من الشوائب بسبب الغسل الطبيعي المتواصل بفعل الامواج العالية في النهر . فالبعض من الالواح يمكن ملاحظة اثار

طبعات اصابع يد الكتاب ، ويمكن ان نتصور كيف كان الكاتب يعد لوحةُ الطيني للكتابه عليه ويشكل من قطعه الطين لوحاً مربعاً او مستطيلاً صغير الحجم يمكن مسكهُ براحة يد ويسويّ حافاته وزواياه[٩]. وقد يخمر الطين او يمزج معه تبن بهدف زياده تماسكه، وقد تغطي ألواح الطين المعدة للكتابة بطبقة خفيفة من الطين الناعم المنقى جيداً تساعد على طبع العلامات بكل دقة[١٠]. ولقد استخدم الطين على هيئة الواح، وكانت الالواح بأحجام وأشكال مختلفة تبعاً للعصور التاريخية القديمة [١١].

واذا كان حجم لوح الطين كبيراً ولا يمكن مسكهُ براحة اليد بسهولة ، كان يوضع على مسطح صلب من الخشب او الحجر، ويسوّي باليد حتى يأخذ الشكل المطلوب، ويكون احد وجهي اللوح مستوياً وهو الوجه الملاصق للمسطح الصلب والاخر محدب قليلاً، وقد افاد ذلك في المحافظة على اللوح من التكسر والتشقق السريع، كما ان الكاتب كان يعمل تجاويف صغيرة غائرة في حافات وزوايا اللوح ووسطه ليفسح المجال للتمدد او التقلص دون تلف الالواح [١٢]. كما يتم تقسيم اللوح الى حقول قد تصل الى اكثر من اربعه اقسام ، واذا اضطر الكاتب الى استخدام اكثر من لوح طيني، ويعيد كتابة السطر الاخير الذي انتهى به من بداية الترقيم التالي[١٣]، وهكذا على سبيل المثال دونت ملحمة كلكامش على اثني عشر لوحاً طينياً[١٤]. اما اسطورة الخليقة دونت على سبعة الواح طينية[١٥]. اما الالواح الصغيرة وكان شكلها يختلف من فترة الى اخرى وغالباً ما كان وجهيها محدباً والاخر مستوياً [١٦].

- **أشكال الرقم الطينية ومضامينها :ـ**

ان شكل وحجم الرقيم الطيني المكتشف اهمية كبيرة في معرفة تاريخ ومكان كتابة الرقيم حيث تميزت كل فترة بأشكال واحجام معينة من الرقم الطينية ، كما يمكن اعطاء فكرة تقريبية عن مكان وزمان كتابته من شكل الرقيم الخارجي وحجمه واسلوب الكتابه عليه [١٧]. وان اصغر الرقم المكتشفة حتى الان لايتجاوز حجمه ١×١سم ، وهو عبارة عن وصل وأكبر رقيم طيني لا يتجاوز حجمه ٥٠×٥٠سم[١٨]. ففي بلاد الرافدين تم العثور على رقم طينية كبيرة تضمنت نصوصاً قانونية منها الرقيم الذي يحمل القوانين الاشورية وقد ضم هذا الترقيم٨٢٨ سطراً من الكتابة المسمارية توزعت في ثمانية حقول اربعة منها على الوجه واربع منها على القفا الا ان المحافظة على مثل هذه الرقم كانت صعبة لثقل وزنها [١٩] .

اما مضامين هذه الرقم فمنها الرسائل والعقود الاقتصادية والتجارية والقضائية وتتناول معاملات البيع والشراء والايجار والرهن والقروض وعقود تجارية ووصولات تسلم كمية من المحاصيل الزراعية ، وبعض

المعادن من الفضة والنحاس كما ان بعضها يحمل اسماء اعلام واصناف الحيوانات واسماء المدن ، اما القضائية منها فتختص بالاحوال الشخصية كعقود الزواج والطلاق والارث والتبني. وهناك النصوص المدرسية التي استخدمت لأغراض تدريب الطلبة على القراءة والكتابة وتكون دائرية الشكل [٢٠]. فقد لوحظ بعض من تلك الالواح ان عرضها اكثر من طولها . وربما اخذت الرقم هذا الشكل لانها أعّدت لتدوين قوائم مطولة بأسماء المواد والممتلكات . وكانت تقسم الى عدة حقول طولية [٢١] .

وكانت غالبية اشكال الرقم المكتشفة في العصور المبكرة قائمة الزوايا مربعة القفا او مستطيلة وحافاتها قائمة الزوايا ايضاً وجوانبها مسطحة الى درجة تسمح بالكتابة عليها، كما وجدت بعض الرقم بيضوية الشكل وذات حافات حادة غير صالحة للكتابة عليها[٢٢]. ومنها قرصية الشكل وهي نصوص مدرسية استخدمت لأغراض تدريب الطلبة على القراءة والكتابة وتضم علامة واحدة او اكثر في نفس الحقل واحياناً في حقول اخرى من نفس الرقيم مثال ذلك: مي – مي ، آ – آ ، دا – دي – دو ، أما النصوص الاخرى فتضم عبارات بسيطة متكررة ليتمكن الطالب من حفظها بسهولة وهذه النصوص على غرار القراءة الخلدونية للصف الاول الابتدائي، كما ان البعض منها يضم مقتطفات ادبية وعلمية وقانونية وتجارية[٢٣]. فقد لوحظ على بعض الالواح ذات الشكل الكروي وجود ثقوب في الوسط كانت تستخدم للتعليق قسم منها يمثل وصولات تخص تسلم مواد معينة والقسم الاخر عليه اسماء اشخاص ظهرت منذ العصر السومري القديم[٢٤].

كما تم العثور على رقم مجسمة هرمية الشكل تقريباً مثقوبة من احدى جهاتها للتعليق وعليها طبعة ختم وبضعة اسطر من الكتابة ربما استخدمت كبطاقات تعريفية تبين مضمون الرقم المحفوظة على الرفوف او انها كانت تربط ببعض الممتلكات لتحديد هوية مالكها [٢٥]. وعثر على اشكال مختلفة تحمل كتابة، منها تمثل الالهه[٢٦]. ومنها ما تكون على هيئة رئة حيوان عليها كتابات ورسوم توضح مواضيع معينة في الرئة ويستخدم هذا الأثر لقراءة الفأل[٢٧]. وهناك ما تكون على هيئة كبد الحيوان المضحى ويتناول فحص الكبد بطريقة الفال[٢٨]. فهناك العرافة مختصة بفحص كبد الحيوان الذي كان يضحونهُ للالهه لهذه الغاية، فان العراف المختص بهذه الطريقة يستطيع ان يدرس الامارات الاتي تظهر على الكبد، وقد جاءنا عن ذلك نصوص وصور تصور الكبد والاشارات الخاصة في تفسير العلامات الصالحة وغير الصالحة، وقد انتشرت هذه الطريقة من العرافة في كل من العراق القديم والحثيين والاتروسكيين والرومان [٢٩]. كما

كشفت عن نصوص مسمارية مدونة على مايشبه المسمار كبير من الطين وقد عرفت المسامير منذ العصور السومرية المبكرة وتطور شكلها واستخدمت غالباً لتكون احجار اسس خاصة توضع في اسس جدران المعابد وعليها بعض الكتابات التذكارية(٣٠).

ولابد من ذكر ان تلك الالواح حفظت داخل جدار او على الرفوف مع بطاقة تعريفية وبذلك كان لهذا الاسلوب من الكتابة والحفظ اثر كبير في ظهور المكتبات (٣١) .

مستخلص البحث :

١. اعتبر الطين مادة اساسية في حياة الانسان منذ استقراره في مستوطنات زراعية بسيطة فزرع في الاراضي الطينية وبنى البيوت وصنع الالات والادوات الزراعية والمنزلية ايضا في الطين .
٢. مادة الطين المادة الرئيسية التي استخدمت للكتابة ويرجع ذلك لوفرتها وسهولة استعمالها.
٣. من الطين صنعت الواح طينية مختلفة الاشكال والاحجام ودونت عليها بواسطة اقلام من الخشب او القصب وغيرهما .
٤. كانت الالواح تصنع من الطين النقي بعد غسله ومن ثم وضعه في الماء وتحريكه كي تطفو الشوائب مثل قطع العيدان والقش والاوراق وغيرها في حين تترسب الحصى والرمل والمواد الثقيلة الاخرى من قصر الاناء وهكذا يصبح الطين نقيا وخاليا من شوائب .
٥. في بعض الالواح الطينية تم ملاحظة بعض اثار طبعات اصابع يد الكاتب وطبعات القماش .
٦. ولشكل وحجم الرقيم الطين اهمية كبيرة في معرفة تاريخ ومكان كتابة الرقيم حيث تميزت كل فترة باشكال واحجام معينة من الرقم .
٧. ان اصغر الرقم المكتشفة لايتجاوز حجمه ١×١ سم ، وهو عبارة عن وصل يحمل التاريخ الذي دون فيه مع طبعه الختم واشارة الى مالكه .
٨. اما اكبر رقيم مكتشف فلا يتجاوز حجمه ٥٠×٥٠ سم .
٩. وللرقيم اشكال مختلفة منها المربعة والمستطيلة وكذلك البيضوية ودونت عليها مضامين في مختلف الحياة اليومية الادارية والاقتصادية البيضوية ودونت عليها مضامين في مختلف الحياة اليومية الادارية والاقتصادية ومنها القرصية الشكل وهي نصوص مدرسة لاغراض تدريب الطلبة على القراءة والكتابة ، ومنها الكروية الشكل (كرات طينية) ومثقوبة من الوسط ويمثل وصولات

تخص تسلم مواد معينة . ومنها ايضا الهرمية الشكل ومنها مجسمات فخارية باشكال آدمية وحيوانية وعليها نصوص سحرية او تعويذية.

Research extract

1. Clay has been considered the main material in human life since the stability in the simple agricultural planting in clay and the houses and machinery and household and agricultural tools and also made of clay .
2. Clay material is the main material used for the book is due to the abundance is easy to use .
3. The plates are made of pure clay after washing and then put in water and move how float impurties such as cutting sticks , and papers and other . deposits gravel and the sand and heavy material at the bottom of the bowl the clay becomes pure and impurities .
4. the clay is made of clay plates of various shapes and sizes and without them by pens of wood or reeds and others .
5. In some clay tablets , noticeable traces of prints of the fingers of the writer's hand and cloth prints .
6. The shape and size of the clay imprint is of great importance in the knowledge of the date and place of the book's figure . this is because each period has certain shapes and size
7. The smallest clay tablet discovered one size in one centimeter , it is on expression of a date bearing a date in which it is not included with the seal and its reference to the owner .
8. The largest plank is ho more than 50 in 50 centim eters .
9. The slabs are various shopes including square , rectangle , and oval shaps without them economic , administrative and Judicail matters . and pico shapoe without the text of the school to train students to read and write . and they are spherical and pierced from the middle it is the receipt of certain materials . also . hormoral shape and figurines dloodyly and have magical or magical texts .

قائمة المصـادر :ـ

١- باقر طـه، مقدمـة فـي ادب العراق القديم، كليـة الاداب، جامعـة بغداد، ١٩٧٦، ص ٤٨؛ الشيخلي، عبد القادر الجبار، الوجيز في تاريخ العراق القديم، ط٢، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤، ص ٢٧٢؛ ساكز ، هاري ، عظمة بابل، ترجمة وتعليق : د. عامر سليمان ، ط٢ ، لندن ، ١٩٦٦ ، ٤٣.

٢- سليمان، عـامر، اللغـة الاكديـة (البابليـة – الاشـورية) تاريخهـا وتـدوينها وقواعـدها، دار الكتـب للطباعـة والنشـر، الموصل ، ١٩٩١، ص١٣٥.

٣- الفتيان، احمد مالك، دراسات في التاريخ القديم ، مكتبة عادل ، بغداد،٢٠١١ ، ص ٢٨-٢٩؛ الصالحي، صلاح رشيد، بـلاد الرافـدين دراسـة فـي تـاريخ وحضـارة العـراق القـديم، ج٣، ط١، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، بغـداد، ٢٠١٧، ص ٥٦ ؛ بوتيرو، جان، بـلاد الرافدين، ترجمة الاب ابونـا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٢١١.

٤- سليمان، اللغة الاكدية، ص ١٣٥ .

٥- مصدر نفسه ، ١٣٦.

٦- كبيرا، ادورد، كتبوا على الطين، ترجمة: محمود حسين الامين ،(بغداد-١٩٦٤)، ص ٢٩.

٧- إسماعيل، بهيجة خليل، (الكتابة) حضارة العراق، ج١ ، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٤٢.

٨- كبيرا، كتبوا على الطين، ص٢٩.

٩- سليمان، اللغة الاكدية، ص١٣٦.

١٠ – سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، (موصل ،٢٠٠٠)، ص ٧٣.

١١ – روثن، مرغريـت، علـوم البـابليين ، ترجمـة: يوسـف حبـي، دار الرشـيد للنشـر، بغـداد، ١٩٦٣، ص١٩؛ علـي، فاضـل عبد الواحد، الخط المسماري واللغة الاكدية، مجلـة كلية الاداب، العدد ٣٣، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٩٤-١٩٥.

١٢ – سليمان، اللغة الاكدية، ص١٣٨.

١٣ – سليمان، الكتابة المسمارية ، ص٣٧.

١٤ – باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٨٠، ص٢٣.

١٥ – باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الاول، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ٧١- ٨٠.

١٦ – سليمان ، اللغة الاكدية ، ص١٣٨ .

١٧ – مصدر نفسه ، ١٤١.

١٨ – الشيخلي ، الوجيز ، ص ٢٧٣.

١٩ – سليمان ، الكتابة المسمارية ، ص ٧٦.

٢٠ – الشيخلي ، الوجيز ، ص٢٧٣ .

٢١ – سليمان ، اللغة الاكدية ، ص١٤٢.

٢٢ – علي ، فاضل عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، (بغداد – ١٩٩٧) ، ص٢٧ .

٢٣ – اسماعيل ، الكتابة ، ج١ ، ص٢٤٧.

٢٤ – مصدر نفسه ، ص٢٤٨ – ٢٤٩.

٢٥ – سليمان اللغة الاكدية ، ص ١٤٣.

٢٦ – ل. ديلابورت ، بلاد مابين النهرين – الحضارات البابلية والاشورية ، ترجمة محرم كمال ، مراجعة : د. عبد المنعم ابو بكر ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتابة ، ١٩٩٧، ص ١٥٩.

٢٧ – علي ، فاضل عبد الواحد ، (العرافة والسحر) ، حضارة العراق ، ج١ ، (بغداد – ١٩٨٥) ، ص ٢٠٠.

٢٨ – اسماعيل ، الكتابة ، ص ٢٥٣.

٢٩ – باقر واخرون ، العراق القديم ، ج٢، مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠، ص ٢١٣.

٣٠ – الجميلي ، عامر نجم عبد الله محمد ، الكاتب في بلاد الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (موصل – ٢٠٠١) ، ص١٠٥.

٣١ – كرير ، صموئيل نوح ، السومريون ، ترجمة : د. فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٩٣، ص٢٠.

الموقف الدولي
من مشكلة الصحراء الغربية ١٩٧٠-١٩٩٠

د. نوال زغير عذاب الخفاجي
كلية الامام الكاظم

الموقف الدولي من مشكلة الصحراء الغربية ١٩٧٠-١٩٩٠

د. نوال زغير عذاب الخفاجي

المقدمة

الصحراء الغربية هي المنطقة الجنوبية للمملكة المغربية وتطل على سواحل المحيط الأطلسي وتحاذي الحدود الموريتانية والجزائرية ،احتلتها اسبانيا منذ عام ١٨٨٤ وبالوقت الذي كانت الدول الأوربية تتنافس على مناطق السيطرة في القارة الأفريقية احتفظت اسبانيا باحتلالها لمنطقة الصحراء الغربية، واستمرت باحتلالها للصحراء الغربية دون غيرها من مناطق السيطرة والاحتلال في القارة الأفريقية ، فقد اشتهرت الصحراء الغربية عند الاسبان بانها بلاد الذهب والثروات فقد أقامت السلطات الاسبانية مطار ومناطق تجارية ومصارف على ارض الصحراء الغربية، واستمر الاحتلال الاسباني للصحراء الغربية الى عام ١٩٧٦ حيث انسحبت من الصحراء الغربية ، وبموجب اتفاقية مدريد قسمت الصحراء الغربية الى منطقة شمالية تابعة للمملكة المغربية وجنوبية تابعة لموريتانيا، واستمرت حالة تقسيم الصحراء حتى تخلت موريتانيا عن حصتها بالصحراء عندها عادت الصحراء بكاملها للمملكة المغربية وبدأت المؤامرات والصراعات على عودت الصحراء للوطن ألام المملكة المغربية وتعالت دعوات تقرير المصير من دول الجوار المحاذية للصحراء الغربية ورفعت الدعوات الى المنظمات الدولية كمحاولة لسلب الصحراء من المملكة وأعلنت ما يسمى (الجمهورية الصحراوية)بهدف تدويل المشكلة ،وبعد محاولات عديدة استمرت لغاية عام ١٩٩٠ توصلت الجان التابعة للأمم المتحدة على أجراء استفتاء لسكان الصحراء الغربية للاختيار بين البقاء مع المملكة المغربية او الانفصال وهذا الخيار لازال قائم ومرحب به من المملكة المغربية والمنظمات الإقليمية والدولية والأطراف المحاذية للصحراء ومنها الجزائر وموريتانيا وجبهة البوليساريو.

Abstract

Western desert or sahrah is a region in Morocco; more definitely, western parts of Morocco. This desert has been under the influence of Spanish invasion for decades spanning to 1976. This sahrah is extremely rich. This richness is demonstrated by, firstly, minerals like phosphate. Secondly, the geographical location, being near the Atlantic ocean this makes it important due to the marine riches especially fish. This location also has a strategic significance in local policies of western part of Arab homeland as well as international policies.

This problem has been transferred to international organizations ,e.g., United Nations and The international Court of Justice. The latter has issued that the sahrah is totally loyal and allied to Morocco. U.N. calls for a referendum for

the desert dwellers in order to find out whether they are willing to remain under the supervision of Morocco or not. There is a problem arising: the voters'

قسم البحث الى محورين المحور الأول: رؤية الأمم المتحدة لمشكلة الصحراء الغربية، اما المحور الثاني فقد تضمن موقف الدول الكبرى من مشكلة الصحراء الغربية.

اهمية البحث :استأثرت مشكلة الصحراء الغربية بأهمية كبيرة بفضل مواردها الطبيعية المتنوعة من الفوسفات واليورانيوم والحديد ،إضافة الى موقعها الاستراتيجي الذي يطل على سواحل المحيط الأطلسي. وهذا ما يفسر التنازع الغربي والإقليمي على منطقة الصحراء الغربية،واعتبرت الصحراء مشكلة لتدخل أطراف عدة بمحاولة لتقرير مصيرها.

المحور الأول

رؤية الأمم المتحدة لمشكلة الصحراء الغربية

نص ميثاق الأمم المتحدة بالمحافظة على السلم والأمن الدوليين ، لذلك وزع ميثاق الأمم المتحدة اختصاصات المؤسسات الدولية ، وقد أعطت الجمعية العامة للأمم المتحدة الصلاحيات اللازمة والتي تمثل كل الدول الأعضاء وهي المسؤولية في النظر في المبادئ العامة للتعاون في حفظ السلم والأمن الدوليين ويقع ضمن ذلك نزع السلاح وتنظيم التسلح وحل الخلافات بالطرق السلمية(١).

وفيما يخص إقليم الصحراء الغربية قدمت الدول المعنية بالإقليم مذكرات إلى الأمم المتحدة وخاصة لجنة تصفية الاستعمار ومن هذه المذكرات مذكرة المندوب الموريتاني في الأمم المتحدة مطالباً بالصحراء الغربية وإجراء مباحثات مع أسبانيا حول تصفية استعمارها للصحراء(٢) .

وكانت المملكة المغربية السباقة في المطالبة بتحرير أجزاء المملكة من الاحتلال الأسباني الذي يسيطر على الصحراء الغربية منذ ١٨٤٤ وكررت المطالبة طيلة السنوات ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، و١٩٧٠ حيث طالبت من أسبانيا باحترام المواثيق الخاصة بإنهاء الاستعمار في المنطقة وان تقوم أسبانيا بتصفية استعمارها للأقاليم تحت إشراف الأمم المتحدة (٣) .

لقد أصدرت الأمم المتحدة جملة من القرارات الخاصة بتصفية الاستعمار في الصحراء الغربية ويمكن إجمال القرارات الصادرة بعد ١٩٧٠ وهي(٤):-

١	القرار ٢٧١١	الدورة ٢٥	بتاريخ ١٤ كانون الأول	١٩٧٠
٢	القرار ٢٦٨٣	الدورة ٢٧	بتاريخ ١٤ كانون الأول	١٩٧٢
٣	القرار ٣١٦٢	الدورة ٢٨	بتاريخ ١٤ كانون الأول	١٩٧٣
٤	القرار ٣٢٩٢	الدورة ٢٩	بتاريخ ١٣ كانون الأول	١٩٧٤
٥	القرار ٣٤٥٨	الدورة ٣٠	بتاريخ ١٠ كانون الأول	١٩٧٥
٦	القرار ٣١/٤٥	الدورة ٣١	بتاريخ ١٧ كانون الأول	١٩٧٦

٧	القرار ٣١/٢٢	الدورة ٣٢	بتاريخ ٢٨تشرين الثاني	١٩٧٧

وقد أصدرت اللجنة الخاصة بمواصلة نظرها في الحالة القائمة في الإقليم وإعلام الجمعية العامة عن ذلك في دورتها ٢٩وفق المادة ٩٦من ميثاق الأمم المتحدة والمادة ٦٥من النظام الأساس لمحكمة العدل الدولية [٥] .

ونتيجة التطورات في مسالة الصحراء الغربية لاسيما بعد بحث الجمعية العامة للأمم المتحدة للمسالة أخذة الأطراف المحاذية للإقليم تبحث في مستقبل الإقليم بعد الانسحاب الإسباني ، لذلك دعا المغرب إلى عقد مؤتمر أغادر في ١٩٧٣/٧/٢٣ وحدث انقسام بين أطراف النزاع حول بقاء إقليم الصحراء الغربية وتقسيمه بين الدول المعنية[٦] .

إن إصدار اللجنة الخاصة تقريرها إلى الأمم المتحدة الخاص بتقرير المصير دفع الأسبان إلى بعث رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تعبر عن قرارها بتطبيق حق تقرير المصير وعن عزمها إجراء استفتاء خلال الستة اشهر الأخيرة من عام ١٩٧٥ ، وبهذه المناورة استطاعت إسبانيا أن تجد خلافا في مواقف الدول العربية الثلاث المغرب ، موريتانيا والجزائر ، حيث قامت المغرب بدعم موريتانيا بطلبها المقدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بإحالة القضية إلى محكمة العدل الدولية ، وحاولت محكمة العدل الدولية أن تحصل على جواب للأسئلة هل كانت الصحراء الغربية وقت استعمار إسبانيا لها أرضاً بلا صاحب ؟ وهل هناك روابط قانونية بين اقليم الصحراء والمغرب وموريتانيا وأرسلت على ضوء ذلك البعثة الدولية لزيارة الصحراء الغربية ضم ممثلي إيران وساحل العاج وكوبا وباشرت اللجنة عملها في ٢٢ /١٩٧٥/٤[٧] .

وقد تساءلت الجمعية العامة للأمم المتحدة في الثالث عشر من أيلول ١٩٧٤ أمام المحكمة الدولية .. عما إذا كانت الصحراء الغربية تتبع طرفا محددا أثناء احتلال أسبانيا لها أم لا ؟ فإذا قررت المحكمة إن الصحراء كانت لها من يحكمها قبل أن تأخذها أسبانيا، فسيكون السؤال التالي الموجه للمحكمة (انظر قضية الصحراء أمام المحكمة)[٨].

وكانت هذه التساؤلات قد جاءت في قرار تبنته لجنة تصفية الاستعمار المنبثقة عن الجمعية في١١ تشرين الأول وقد وافقت عليه ٨٨ دولة بمقابل عدم رفض أحد وامتناع ٤٣ دولة ودعمته ٢٥ دولة عربية وأفريقية تضم الجزائر والمغرب وموريتانيا [٩].

ورغم القرارات الكثيرة التي اتخذتها الأمم المتحدة في الجمعية العامة إلاّ إن الأطراف المتنازعة ظلت تماطل وتسوف في إجراءاتها حيث كانت طبيعية الخلافات السياسية داخل الأمم المتحدة وفي المنطقة المعنية حول موضوع تقرير المصير والحقوق التاريخية للصحراء الغربية،ومن تلك التصريحات تصريحات وزيري خارجية المغرب وموريتانيا أمام الأمم المتحدة ، حيث دافع الوزيرين بحجج ومذكرات قدمت إلى الجمعية العامة ، حيث بين الجانبان المغربي والموريتاني بكونهما معنيين بإقليم الصحراء ونتج

عن الجمعية العامة قرار رقم ٣٢٩٢ الدورة ٢٩ في ١٩٧٤/١٢/١٣ من نقل موضوع اقليم الصحراء العربية إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي لاستشارتها ومعرفة رأيها حول تبعية الصحراء[١٠].

إن سبب لجوء الأطراف المتنازعة إلى إحالة مشكلة إقليم الصحراء إلى الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية فسرته الأطراف عملا حسب رؤيتها فأسبانيا بينت إن الهدف الحصول على رأي يؤيد تحويل مجرى القضية في الأمم المتحدة وذلك رغم رفض أسبانيا لعرض المشكلة على القضاء الدولي [١١] .

المغرب لجأ إلى محكمة العدل الدولية في أيلول ١٩٧٤ بعد قيام إسبانيا بإعداد دستور وطلبت من الجماعة الصحراوية التصديق عليه جاء موقف المملكة المغربية لوقف المشروع ولتأكيد حقها في التراب المغربي ومن ضمنها الصحراء وفعلا نجحت المغرب في إقناع الأمم المتحدة بوقف المخطط الأسباني في إجراء استفتاء على مشروع دستور حاولت إسبانيا تنظيمه[١٢] .

ومن الجدير بالذكر إن أسبانيا كانت ترفض إعادة المشكلة الصحراوية إلى المحكمة الدولية ، حيث تلقت رفض مقابل من قبل المحكمة حيث أكدت المحكمة إن عدم الموافقة على اللجوء إلى المحكمة لا يمس الاختصاص الاستشاري وبينت المحكمة الفرق بين القواعد القضائية التي تتطلب موافقة الدول المعنية بالإقليم والرأي الاستشاري والقواعد التي تتطلبها [١٣] .

لقد اتسمت قرارات الأمم المتحدة بالتبدل والتردد والقاء المسؤولية على اطراف اخرى مما يدل إن صراعا كان يدور حول الصحراء بين الدول المختلفة ، فالدول الكبرى لم تستطع الاتفاق على حل يلبي مواقفها المتناقضة [١٤] .

وقد أوضحت الجمعية العامة للأمم المتحدة إنها ترى ان استمرار قيام حالة استعمارية في الاقليم يعرض الاستقرار في افريقيا الشمالية والغربية للخطر ،وأن تأخذ بعين الاعتبار البيانات الصادرة أمام الجمعية العامة يومي٣٠ أيلول و٢ تشرين الأول عام ١٩٧٤من قبل وزارة خارجية كل من المملكة المغربية وجمهورية موريتانيا الإسلامية وإذ تسجل البيانات الصادرة أمام اللجنة الرابعة من قبل مندوبي المغرب وموريتانيا وبموجبها اعترف كل منهما بالاهتمام المتبادل بينهما بشأن مستقبل الاقليم وقد استمعت إلى بيانات مندوب الجزائر وأسبانيا[١٥] .

وحدد الفصل الرابع عشر من ميثاق الأمم المتحدة النظام الأساسي للمحكمة وتشكيلها واختصاصاتها بعدد من المواد ، وبعد أكتمال موضوع الصحراء الغربية بالدراسة والتحليل والمناقشات والآراء والمفاوضات غير المجدية وعدم التوصل إلى حل يرضي أطراف النزاع من قبل الجمعية العامة ومجلس الامن واللجان المتفرعة فيها يتم الاتفاق على أحالة الأمر إلى محكمة العدل الدولية [١٦] .

وبذلك تكون الأمم المتحدة قد نقلت الخلاف من الأمم المتحدة إلى مستوى قانوني لتخفيف عن الأمم المتحدة أعباء التناقضات الدولية من جهة ولفتح صفحة جديد في المواجهة الدبلوماسية التي ستؤدي بدورها إلى المزيد من الارتباك والعمومية في قرارات المنظمة الدولية [١٧] .

وبعد عرض القضية أمام المحكمة الدولية قامت كل دولة من الدول المعنية بالنزاع بتقديم وجهة نظرها من قضية إقليم الصحراء الغربية ، فأسبانيا قدمت رؤيتها بان الصحراء لم تكن خاضعة لسيادة المملكة المغربية وقد استولت أسبانيا على الصحراء ١٨٨٤ وأكدت أسبانيا أن الصحراء لم تكن خاضعة لسيادة موريتانيا [١٨] .

خلال المناقشات الخاصة بالمركز القانوني للإقليم الصحراوي ظهر خلاف حول المركز القانوني للإقليم الصحراوي وقت استعمار أسبانيا وعلى ضوء الرأي الاستشاري المطلوب من المحكمة كررت الجمعية دعوتها إلى جميع الدول ، باحترام قراراتها بشأن نشاطات المصالح الأجنبية الاقتصادية والمالية في إقليم الصحراء ، والامتناع عن المساعدة للحفاظ على الحالة الاستعمارية في الاقليم سواء الاستثمارات أو بسياسة الهجرة الداخلية إلى الاقليم وذلك بإرسال بعثة إلى الاقليم لدراسة الوضع وتقديم تقرير عنه[١٩].

أما وجهة النظر المغربية أمام محكمة العدل الدولية فانقسمت إلى قسمين ، الأول قانوني حول مركز الصحراء وقت الاستعمار الإسباني لها ، والثاني خص العلاقات القانونية بين الصحراء بكونها كانت جزء من ارض المملكة المغربية قبل احتلالها من الأسبان [٢٠] .

وفي ١٩٧٥/١٠/١٦ أصدرت محكمة العدل الدولية قرارها فيما يتعلق بالسؤال الأول وبالاجتماع إن الصحراء الغربية (ريودي اورو والساقية الحمراء) لم تكن إقليما مباحا وقت استعمارها من قبل إسبانيا وفيما يتعلق بالسؤال الثاني صوت أربعة عشر صوتا ضد صوت واحد وقررت المحكمة بوجود روابط قانونية بين الاقليم والمملكة المغربية تتميز بالخصائص المذكورة في الفقرة ١٦٢ من قرارات الرأي الاستشاري ، كما أكد على وجود روابط بين الاقليم وموريتانيا تميزت بالخصائص المذكورة في الفقرة ١٦٢ ،وقد آثار الحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية ردود فعل عديدة لدى أطراف النزاع فاعتبرت المغرب إن رأي المحكمة جاء لصالحها حيث أكد قرار المحكمة على وجود روابط قانونية وولاء بين السيادة والروابط الأخرى .

وهكذا أعلنت المغرب إن استخدام المحكمة لنص البيعة جاءت مناسبة للتاريخ الذي استمرت فيه الصحراء ومؤكدة للسيادة المغربية على إقليم الصحراء الغربية[٢١] .

أما موريتانيا فقد تمسكت بالجزء الخاص بوجود روابط بينها وبين اقليم الصحراء واعتبرت إن قرار المحكمة جاء مؤكدا لوجود الشعب الموريتاني مع الشعب الصحراوي مطالبا إسبانيا بضم الصحراء

لموريتانيا، وفيما يخص الجزائر فقد فسرت رأي المحكمة الدولية وفق مصالحها مؤكد إن الدبلوماسية الجزائرية نجحت بمساعيها بحق الشعب الصحراوي بتقرير المصير[٢٢] .

وهكذا اختلفت أطراف النزاع بمصير الصحراء وتغير الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية الذي لم يتطرق إلى جوهر المشكلة التي تعكس نزاع الأطراف العديدة على اقليم الصحراء ، وقد ردت جبهة البوليساريو على الموضوع ولخصت مطالبها في مذكرة قدمتها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها ٣٠ عام ١٩٧٥ **وهذه المطالب كانت** [٢٣]:-

١. تأكيد الحق الثابت للشعب الصحراوي في الاستقلال في إطار مبدأ تقرير المصير .
٢. إلزام الدولة المستعمرة إنهاء وجودها في الصحراء .
٣. تسليم السيادة كاملة إلى جبهة البوليساريو التي تمثل الشعب الصحراوي .
٤. تحذير الدول المجاورة من آية محاولة غير شرعية للتدخل في الشؤون الداخلية .
٥. إعلان المنظمة بالإجراءات الممكنة لإعادة الشعب الصحراوي مع اعترافها بحق الشعب الصحراوي في اتخاذ كافة الوسائل في الدفاع عن وحدة ترابه .

وفي الخطاب الذي أحال به الأمين العام للأمم المتحدة الأسئلة إلى محكمة العدل الدولية طلب من السلطة الإسبانية تأجيل الاستفتاء الذي تنوي أجرائه في الصحراء الغربية إلى إن تقرر الجهة العامة السياسة التي يجب إن تتبع في إجراءات تصفية الاستعمار بالاقليم في افضل الشروط الممكنة على ضوء الرأي الاستشاري الذي ستصدره محكمة العدل الدولية [٢٤].

إن تحليل الوثائق والخطب والمعاهدات والتصريحات المقدمة إلى محكمة العدل الدولية تبين بان هناك روابط اجتماعية تربط بين القبائل التي استوطنت الصحراء الغربية وصلت من المغرب ، وان الاتصال كان مفتوحا بين الصحراء وشمال المغرب منذ عهد بعيد ، وهناك انصهار واندماج بين القبائل الصحراء الغربية منها (بني حسان) و(البربرية) و (صنهاجة) هذا الانصهار الذي حدث بين قبائل تعدى حدود الصحراء فالتواصل والاندماج لم ينقطع بين الشمال والجنوب في المغرب العربي منذ اللحظة التي وطأت فيها أقدام الاستعمار ارض المغرب وحتى تاريخ إعلان القرار التاريخي بتنظيم المسيرة الخضراء[٢٥] . والتركيبة الاجتماعية من أهم الروابط التي تربط المغرب بصحرائه حيث ان مكونات المجتمع الصحراوي الذي يغلب عليه الطابع القبلي والزوايا التي يغلب عليها الطابع الديني .

وقد بدأت الأمم المتحدة ابتداء من اتفاقية مدريد محاولة الخروج من مشكلة الصحراء بطريقة لا يظهر معها هذا الخروج وكأنه هروب من تحمل المسؤولية إذ جاء القرار (٣١/٤٥) الصادر عن الدورة ٣١ للجمعية العامة في ١٩٧٦/١٢/١ ، معلنا من علمها بالقرار الصادر عن المؤتمر الذي ضم رؤساء وحكومات منظمة الوحدة الأفريقية ، الذي يدعو إلى عقد مؤتمر خاص لإيجاد حل دائم وعادل للمشكلة الصحراوية وتقرر وضع هذه القضية على جدول أعمال الدورة (٣٢) وقد تجلى انسجام منظمة الأمم

المتحدة اكثر بعد صدور قرارها رقم (٣٢٢٠) الصادر عن الدورة (٣٢) الجمعية العامة في ١٩٧٧/١٢/٢٨ حيث عاد ليذكر بالاجتماع فوق العادي الذي قررت عقده منظمة الوحدة الأفريقية وبعد أن تمنى إيجاد حل دائم وعادل للمشكلة وفق ميثاق الأمم المتحدة ، قرر نقل القضية ووضعها على جدول أعمال الدورة (٣٣) [٢٦].

إن الجمعية العامة بعد عجز منظمة الوحدة الأفريقية وتدخل الأمين العام بنقل ملف الصحراء إلى الأمم المتحدة ، جاء المشروع الأمني الخاص بتسوية الموضوع عن طريق الاستفتاء العام ،فقد تبنته الجمعية العامة عن تقرير اللجنة الاقتصادية وغير الاستعمارية الخاصة اللجنة الرابعة (القرار A/٥٣/٥،٤) ١٩٧٥/١٠/٢ قضية الصحراء الغربية (٥٣/٦٤) فاللجنة العامة بعد تناولها القضية بشكل متردد بسبب ضغط الأطراف الدولية ، أعادت التأكيد على الحق الأصيل لجميع الأشخاص بتقرير المصير والاستقلال طبقا للمبادئ المقررة في ميثاق الأمم المتحدة وقرار الجمعية العامة رقم (١٥١٤) في ١٩٦٠/١٢/١٤ ويتضمن الإعلان عن ضمان البلدان والشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية ، ويذكر قراراها ٥٨/٧٥ المصادف في ١٩٨٨/٨/٣٠ المقدمة من المملكة المغربية والجمعية الشعبية[٢٧] .

ومن خلال ما تقدم من القرارات الصادرة من الأمم المتحدة بخصوص الصحراء تتضح بان الحقيقة قضية الصحراء الغربية خارج صلاحية الأمم المتحدة لان القوى الكبرى الممثلة في الأمم المتحدة كانت في تنافس على النفوذ والسيطرة ولم يكن للأمم المتحدة رأي فاعل خارج أرادت القوى العظمى ففي فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (السابق) كانت الصحراء ورقة ضغط من قبل أطراف النزاع الدولي تستعملها الدول العظمى من اجل الحفاظ على مصالحها الدولية باسم حقوق الإنسان والديمقراطية .

لقد أشارت إسبانيا على مجلس الأمن الدولي عام ١٩٧٥ طرح مشكلة الصحراء الغربية في جدول أعمالها وبحث افضل السبل لإيجاد تسوية سلمية لها على ضوء إعلان المملكة المغربية اعتزامها القيام بمسيرة سلمية إلى منطقة الصحراء سميت المسيرة الخضراء [٢٨].

لقد طلب مندوب أسبانيا من مجلس الأمن إقناع الحكومة المغربية بوقف المسيرة ، خشية وقوع اشتباك من شأنه يعرض السلام والأمن للخطر، المغرب من جهتها أعلنت بان مسيرتها سلمية وان المغرب حريص على الروابط التاريخية مع أسبانيا لذلك طلب الملك الحسن الثاني من شعبه ان يقاسم الغذاء مع الجيش الأسباني وان يكون السائر بالمسيرة مسالم بمسيرته[٢٩].

بعد ذلك اصدر مجلس الأمن القرار المرقم ٣٧٧ في ١٩٧٥/١٠/٢٢ على اثر المذكرة التي تقدم بها المغرب إلى المجلس وخول القرار السكرتير العام الدخول في مشاورات فورية مع الأطراف المعنية [٣٠]،**ونص قرار مجلس الأمن على** [٣١] :-

١. أعمالاً بنص المادة (٣٤٠) من الميثاق المباشرة بأي إجراء ترى الجمعية العامة اتخاذه وفقا لقرار(٣٢٩٢) الدورة (٢٩) وعدم المساس بآية مفاوضات قد تجريها الأطراف المعنية وفقا للماد (٣٣) من ميثاق الأمم المتحدة .
٢. على الأطراف إبداء التعاون وتسهيل مهمة السكرتير العام للأمم المتحدة .
٣. الطلب من أسبانيا بوصفها الدولة القائمة بالإدارة والمغرب وموريتانيا بوصفها من الأطراف المعنية بالمشكلة تقدم إلى المحكمة الدولية كل المعلومات والوثائق المتعلقة بالموضوع[٣٢] .

ولتخفيف حدة الخلاف قام وزير الخارجية المغربي الدكتور احمد العراقي) بزيارة مدريد لتقريب وجهات النظر فيما يتعلق بالصحراء[٣٣].

وقد أصدرت الأمم المتحدة القرار المرقم(٣٧٩) في ١٩٧٥/١١/٢ اكد فيه ان مجلس الامن بحث تقرير الامين العام المقدم وفقا لقرار مجلس الأمن وبحث أيضا الخطاب المؤرخ في تشرين الثاني ١٩٧٥ الصادر من القائم بإعمال ممثل أسبانيا لدى الأمم المتحدة إلى رئيس مجلس الأمن الدولي الوثيقة (م/١١٨٦٤) مؤكداً قرار ٣٧٧ الصادر في ١٩٧٥/١٠/٢٢ وقد لاحظ بقلق إن الموقف في المنطقة لا يزال خطيرا ، وقد اخذ في الاعتبار ان مسالة الصحراء الغربية معروضة على الدورة (٣٠) للجمعية العامة للأمم المتحدة [٣٤].

والزم القرار جميع الأطراف المعنية والمهتمة بالصحراء الغربية تجنب أي عمل منفرد أو إجراء يؤدي إلى مزيد من التصعيد في التوتر في المنطقة . وطالب القرار من الأمين العام الاستمرار في مشاوراته والكشف عن الأطراف المعنية بالمسالة الصحراء الغربية واتخاذ الإجراءات الضرورية والمناسبة[٣٥].

إضافة إلى ذلك لاحظ القرار بان الوضع في المنطقة خطيرا واصدر مجلس الأمن الدولي قرار ٣٨٠في ١٩٧٥/١١/٦ أكد فيه ان مجلس الامن يتابع بقلق بالغ الوضع في الصحراء الغربية،وانه تدهور بشكل خطير، ولاحظ بأسف انه رغم القرارين ٣٧٧ و ٣٧٩ والنداء الذي وجهه رئيس مجلس الامن والزيارات التي قام بها السكرتير العام للأمم المتحدة إلى كافة الأطراف المعنية لم تؤدي الى نتيجة، لذلك دعا مجلس الأمن إلى اتخاذ قرارات جديدة تخص الصحراء الغربية حيث طلب المجلس من الملك المغربي طلبا عاجلا بإنهاء فوري للمسيرة الخضراء نحو الصحراء الغربية ألا أن المسيرة الخضراء توصلت رغم قرار مجلس الأمن لذلك صدر مجلس الأمن قراره المرقم(٣٨٠) المتضمن[٣٦]: -

١. يطالب المغرب بسحب كل المشتركين في المسيرة من إقليم الصحراء .
٢. يستنكر القرار إقامة المسيرة .
٣. يطالب المغرب وكل الإطراف المعنية بقبول أي إجراء قد ترى الجمعية العامة اتخاذه وفقا للقرار رقم (٣٢٩٢) الدورة (٢٩) وأية مفاوضات قد تجريها الأطراف المعنية ، وفقا للمادة (٣٣)

من الميثاق لكي تتعاون بشكل كامل مع الأمين العام في أتمام المهمة المفوض بها من جانب قراري مجلس الأمن رقم ٣٧٩ بتاريخ ١٩٧٥[٣٧] .

لقد جاءت القرارات الثلاثة الصادرة من مجلس الأمن تؤكد على أهمية منح حق تقرير لشعب الصحراء وفقا لقرار (١٥١٤) وهو ما حاول المغرب وموريتانيا الحيلولة دون وقوعه بل إن قرارات مجلس تعارض بشدة أي عمل منفرد للأطراف المعنية بالنزاع[٣٨].

ومع ذلك فان القرارات الصادرة من مجلس الامن لم تحل مشكل إقليم الصحراء ، بل أكدت على ضرورة قيام السكرتير العام للمنظمة الدولية بتكثيف المشاورات التي يجريها مع الأطراف المعنية بل كانت للمساعي الدبلوماسية دور في تقريب وجهات نظرا كل من إسبانيا وموريتانيا ودفعها إلى عقد اتفاقية مدير الثلاثية ، خاصة بعد ان شنت هجمات مسلحة على القوات المغربية من جبهة البوليساريو منطلقة من الأراضي الجزائرية، ورد المغرب على هذه التجاوزات بتأكيد حقه في السيادة على أراضيه ضد التدخلات الخارجية،ودعا الامم المتحدة اتخاذ الإجراءات الكفيلة للحفاظ على مغربية الصحراء من التدخل الخارجي، إن المملكة المغربية قربت من الخلاف مع اسبانيا بشان الصحراء بإعطاء أسبانيا بعض الامتيازات الاقتصادية بشكل يضمن للمغرب حقها في ترابها بالصحراء الغربية، للحيلولة دون قيام صحراء تقف بوجه أمنيات وتطلعات المغرب التاريخية [٣٩].

في ١٩٨٥/٦/١٩ وصل السكرتير العام للأمم المتحدة (بيريز دي كويلار) إلى المغرب لإجراء مشاورات مع الملك الحسن الثاني وسبق ذلك في ١٩٨٥/٢/٢ ان الجمعية العامة للأمم المتحدة تبنت القرار (٥٠/٤٠) بخصوص الصحراء الغربية ودعت فيه رئيس منظمة الوحدة الأفريقية والسكرتارية العامة للأمم المتحدة لبذل قصارى جهودها لإقناع كل من المغرب والبوليساريو بالتفاوض بموجب القرار AHG/RES,104(XIX) والقرار يعد بضرورة وقف إطلاق النار بين الإطراف المتنازعة وتنظيم استفتاء لسكان الصحراء ، وفي ١٩٨٦/٥/٧ أجرى السكرتير العام للأمم المتحدة جولة مشاورات ولقاءات مع ممثلي كل من الجزائر وموريتانيا ، لتخفيف حدة الخلاف بين الأطراف[٤٠] .

ان الدور القيادي للأمم المتحدة تمثل في دور المفاوض والوسيط بين المغرب والبوليساريو وأطراف النزاع الأخرى ومنها الجزائر حيث جرى في ١٩٨٦/٤/٩ مساعي في نيويورك بقيادة الامين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار بمهمة الوساطة والتفاوض بين المغرب والبوليساريو وانظم وزير الدفاع السنغالي مع الامين العام للأمم المتحدة بدور الوساطة لتقريب وجهات النظر لإجراء استفتاء للصحراء الغربية[٤١].

ان الأمين العام للأمم المتحدة ١٩٨٦ أيقن بان منظمة الوحدة الأفريقية غير قادرة على إيجاد حل لمشكلة الصحراء بعد ان انحازت إلى جانب الجزائر والبوليساريو كما أكد ذلك الدكتور (عبد اللطيف الفيلالي) رئيس وزراء المغرب بان نزاع الصحراء الغربية من اختصاص الأمم المتحدة ، وكذلك عقب

تزايد الأنباء عن وساطة تقوم بها بعض الجهات لحث المغرب والبوليساريو على أجراء اتصالات مباشرة بينهما ، بالوقت نفسه أعلنت لجنة تحديد الهوية بمعاودة عملها ليشمل السكان المنحدرين من أصول صحراوية في قوائم الاقتراع وتقرر فتح ثلاثة مكاتب جديدة لتسجيل المقترعين ، وقد أعلنت موريتانيا استعدادها للتعاون مع الأمم المتحدة لإقامة مراكز جديدة للتسجيل [٤٢] .

إن نشاطات الأمين العام للأمم المتحدة دفعت إلى الالتقاء بسكرتير العام لجبهة البوليساريو للتشاور معه في ١٩٨٧/١/٢٨ وكذلك في ١٩٨٧/٢/٣ أجرى الأمين العام اتصالات أخرى لتقريب وجهات النظر وجمع معلومات والاطلاع على آخر المستجدات والتطورات الحاصلة في الصحراء الغربية .

وفي مهمة للأمم المتحدة متعلقة بجوانب سياسية قام السيد (عبد الرحيم أفراح) السكرتير العام المساعد الذي وصل إلى الكونغو والمغرب والجزائر في ١٩٨٧/٦/١٦ لمناقشة مسألة الصحراء الغربية مع دنيس ساسو رئيس الكونغو الذي يتولى رئاسة المنظمة الأفريقية مع الملك الحسن الثاني والسكرتير العام لجبهة البوليساريو[٤٣].

كما ان الامين العام التقى في جنيف لمناقشة ملف الصحراء الغربية مع رئيس دولة الكونغو ، ومع ممثلي المغرب والبوليساريو لمدة يومين ١٩٨٧/٧/١٥ لمناقشة ملف الصحراء الغربية،اضافة لذلك ان الامين العام للأمم المتحدة قام بزيارة للمنطقة شملت الصحراء الغربية والمغرب وموريتانيا والجزائر قام بها فريق خاص متخصص بالموضوع وكانت برئاسة السكرتير العام المساعد ويضم عدد من العاملين في منظمة الوحدة الأفريقية يبحث هذا الفريق في زيارته مسائل سياسية وفنية خاصة بموضوع الصراع استمرت من ١٩٨٧/١١/٢٠ إلى ١٢/٩/ ١٩٨٧ وبالرغم من الجهود المبذولة من قبل الامين العام وعن طريق قنوات متعددة ومختلفة تهدف إلى تقريب وجهات نظر الفرقاء الا ان هذه الجهود لم تثمر[٤٤] .

في مدينة بروسلز التقي السكرتير العام للأمم المتحدة الرئيس الزامبي (كينيث كاوندا) الذي ترأس الأطراف المعنية بالصراع ، وضمن الجهود المبذولة بخصوص حل مشكلة الصحراء خلال الفترة ٩-١٩٨٨/٤/١٠ قام السيد عبد الرحيم السكرتير العام المساعد والسيد (لاسا ديزلو)السكرتير المساعد الخاص التقى بالملك الحسن الثاني ضمن زيارة رسمية يقوم بها للمغرب لمناقشة مشكلة الصحراء ،وقد قدم الامين العام للأمم المتحدة (دي كويلار) مقترحات لإنهاء مشكلة الصحراء الغربية بتاريخ ١٩٨٨/٨/١١ يتلخص بإجراء استفتاء لسكان الصحراء وقد قبل المغرب ذلك بتحفظ [٤٥].

لقد وصلت بعثة الأمم المتحدة إلى مدينة بوجدور في الصحراء الغربية المكلفة لاستقصاء المعلومات لتنظيم الاستفتاء في الصحراء وتعتبر هذه الزيارة آخر مرحلة للبعثة في الصحراء ، والتي من المقرر ان تتوجه بعد ذلك إلى موريتانيا والجزائر وكانت بعثة الأمم المتحدة عقدت في مدينة العيون

جلسة عمل حضرها عدد من المسؤولين المغاربة ويذكر ان البعثة بدأت مهمة جمع المعلومات لتنظيم الاستفتاء برئاسة عبد الرحيم فرح مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية[٤٦].

وقد أعلن الملك الحسن الثاني قبوله بإجراء استفتاء مراقب في الصحراء الغربية ، وقال الملك انه لم يرفض الاستفتاء ولكنه رفض بعض جوانبه التي تتعلق بتقرير المصير ، وانتقد في الوقت نفسه الجزائر لانها طالبت بسحب القوات المغربية من الصحراء الغربية[٤٧].

ان مهمة الأمم المتحدة بإجراء استفتاء للصحراء الغربية واجهت صعوبات جمة ومنها فشل شيوخ القبائل الصحراوية في المغرب في تحديد معايير إثبات هوية الأشخاص المنحدرين من اصل صحراوي ، الأمر الذي يشير إلى صعوبة مهمة الأمم المتحدة في اجراء الاستفتاء لتقرير المصير في الصحراء الغربية [٤٨].

أن جولة المباحثات التي قام بها الأمين العام للأمم المتحدة دي كويلار في الدول المجاورة لازمة الصحراء الغربية، أدت إلى وضع آلية فنية وسياسية تتمثل في أجراء استفتاء لسكان الصحراء ، وقد قيمت الدوائر الدبلوماسية المغربية المحصلة التي انتهت إليها مباحثات الأمين العام للأمم المتحدة بكون **تلك المباحثات تركزت على ما يلي**[٤٩]:

١. وضع آلية مرحلية لخطة السلام ، كفيلة باحتواء الخلافات القائمة حول طبيعة الاستفتاء المرتقب وشكله وحجمه ومقتضياته المختلفة .
٢. ضمان إمكانية استئناف الحوار المباشر بين المغرب وجبهة البوليساريو وهو الأمر الذي أعلنه دي كويلار نقلا عن لسان الملك الحسن الثاني .
٣. التمهيد لاجتماعات متتالية بإشراف الأمم المتحدة لمناقشة ما هو قائم من صعوبات ولتذليل ما قد يستجد من عقبات بوجه إتمام العملية السلمية .
٤. تحريك خطة السلام الدولية لإنهاء أزمة الصحراء الغربية ، على نحو فعال بحيث يمكن تحقيق خطوات ملموسة بهذا الاتجاه .

ورغم الجهود المبذولة لتقريب الأطراف من حل يرضي الجميع إلاّ ان المصادر العربية تشير إلى وجود اختلافات حول ثلاث قضايا مهمة وهي[٥٠] :

١. طلب البوليساريو بانسحاب قسم كبير من الجيش المغربي من الصحراء ، والذي يتجاوز عدده مائة وخمسين ألف جندي خلال الفترة التي سيتم فيها الاستفتاء ،أما المغرب واجه ذلك بالرفض التام لان المغرب يرى انه من غير الممكن ترك ارض واسعة من دون توفير وسائل الحماية اللازمة لها ،وهذه الأرض الواسعة ارض مغربية والمغرب اعلم بطبوغرافية وجيوستراتيجية المنطقة، كما تقول الرباط وقد تم حل هذا الخلاف بحل وسط مفاده يرابط الجيش المغربي في مناطق يحددها الامين العام للأمم المتحدة .

٢. جبهة البوليساريو تطلب تعديل نظام الإدارة المغربية عبر استبدال الموظفين المغاربة بآخرين من الأمم المتحدة .

٣. مشكلة السكان . فالمطروح اجراء استفتاء على أساس أخر تعداد لسكان الصحراء الذي أجرته أسبانيا الذي يحدد السكان بحوالي ٧٤٦٠٠٠ نسمة إلا ان البوليساريو تريد استفتاء صحراويين يعيشون في موريتانيا والمغرب .

ان الرؤية الدولية لمنظمة الامم المتحدة كانت منسجمة مع النظام الدولي الذي كان يسود العالم المعروف بنظام القطبين والحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي،وكل القرارات غير ملزمة مالم يتفق عليها من قبل القطبين،وسادت كثير من المنازعات في تلك الفترة التي عرفها العالم بانها نزاعات وصراعات غير مباشرة تلعبها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي(٥١).

المحور الثاني

موقف الدول الكبرى من مشكلة الصحراء الغربية

إن المتتبع لمجريات الأمور في قضية الصحراء يجد أن قضية الصحراء أصبحت تندرج في قلب الصراع الدولي الدائر بين القوتين العظيمتين [الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة] والاعتراف بالجمهورية الصحراوية لا يجب البحث عنه في الصراع القائم في شمال غرب أفريقيا .ان الصراع على الصحراء الغربية لم يخرج عن الصراع عن القاعدة الاساسية القاضية بان الصراع بين دولتين في العالم هو صراع بين قوتين الكبيرتين وان الصراع بين الدول يعتبر صراع بالنيابة اذ تكون فيه الدول منفذة لطريق نيابة عن القوى المحركة لها ولصراع الصحراء الغربية بعد دولي يمكن ايجازه: ١-ان اهتمام القوى الكبرى بالصراع ليس مبحثه الصحراء في حد ذاتها بل هو نتيجة الانعكاسات الاقليمية التي اوجدها الصراع.٢-الاستقطاب الدولي والتنافس الأيديولوجي العالمي لم يمتد لدرجه كبيره الى الصراع الصحراوي وذلك لتوازن العلاقه التي اقامتها القوى الكبرى بين طرفي النزاع المغرب والجزائر(٥٢).

الموقف الأمريكي من مشكلة الصحراء الغربية

عملت الولايات المتحدة على استخدام مناهج وطرائق لتوظيف الصراعات والثورات والحروب من أجل التقسيم ومن أجل المزيد من الهيمنة والإرهاب ولم تعرف العلاقات المغربية الأمريكية ركوداً أو انقطاعاً لتغيير أقدم هيمنة دبلوماسية في المنطقة (٥٣) .

وقد تجاهلت الولايات المتحدة الأمريكية النزاع الدائر في المنطقة في البدء ولكن على ضوء الاعتبارات والمصالح السياسية والاقتصادية لم يستمر هذا التجاهل طويلاً لاسيما بعد ظهور حركة البوليساريو وخشيتها من تأثيرها بأية اتجاهات ماركسية ، لذا قامت الولايات المتحدة بالاتصال بممثل البوليساريو عن طريق مندوبها في الأمم المتحدة في أيلول ١٩٧٧ (٥٤).

وبدأ اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية في السعي لحل النزاع في المنطقة بعملية متوازنة بين الأطراف المعنية للمحافظة على مصالحها ونفوذها ، إن مواقف الولايات المتحدة لم تكن ذو أهداف إنسانية أو أخلاقية وإنما جاءت تلك المواقف على أساس مصالحها الواسعة في المغرب والجزائر وموريتانيا والصحراء ، لذا كان دورها متوازن مع الحرص على أن لا يكون لها منافساً سوفيتياً في المنطقة حتى لا يتسلل إليها غيرهم كما حدث في أنغولا وموزمبيق والصومال وغيرها من مناطق العالم [٥٥] .

وترتبط الولايات المتحدة بعلاقات غير متكافئة مع المغرب والجزائر ،فعلاقات واشنطن بالجزائر ذات طابع اقتصادي إذ أنها عقدت معها صفقة نفط أطلق عليها صفقة القرن ، في حين أن علاقاتها مع المغرب ذات طبيعة استراتيجية تقليدية فكلتا الدولتين تتقاسمان رؤية مشتركة نحو الخط الشيوعي اشتركت المغرب في عملية الكونغو عام ١٩٦١ ، والتدخل في اقليم شابا الزائيري في عام ١٩٧٧ .

وقد رحّب العاهل المغربي بأي وساطة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية لحل النزاع في الصحراء الغربية حيث أوضح العاهل المغربي بأن أمريكا لو قامت بدور من هذا القبيل لكنا مطمئنين ولكن لا بد من معرفة ملف المشكلة لتقوم الولايات المتحدة بهذا الدور، وقد كانت زيارة العاهل المغربي للولايات المتحدة هو أحاطت الرئيس جيمي كارتر بالموضوع وشرح الملف للمسئولين الأمريكيين ، فالملف ليس ملفاً بين المغرب والجزائر ،إنه يفوق مستوى العلاقات المغربية الجزائرية [٥٦] .

إن الرؤية الأمريكية للنزاع الصحراوي وكيفية حلها تتحدد بالعناصر الآتية :

١. ان الهدف من وراء تقديم الأسلحة للمغرب هو مساعدتها على الدفاع عن نفسها .

٢- ان الولايات المتحدة تعمل على خلق الظروف النفسية المواتية لحل الصراع وبالوقت المناسب الذي ينسجم ومصالحها .

٣- ان الصراع في الصحراء لا يمكن حلّه عسكرياً وانه غير ممكن وجود غالب ومغلوب .

٤- ان الأسلحة الأمريكية للمغرب تسهم في خلق التوازن العسكري الذي من شأنه يدفع الجزائر والبوليساريو إلى الدخول في تسوية مع المغرب[٥٧] .

ان الورقة الرئيسية التي تلعب عليها الولايات المتحدة لتحقيق هيمنة واسعة على المنطقة العربية هي محاولة تعزيز وتعميق الخلافات العربية وبذات الوقت تظهر نفسها انها الحامية لأصدقائها في المنطقة وهذا ما حدث في أزمة الصحراء الغربية والخلاف المغربي الجزائري[٥٨].

وتضح مما سبق ان سياسات القوى الكبرى في المنطقة إزاء مشكلة الصحراء تراوحت بين عدم الانحياز والانحياز فلم يصل مستوى الدعم والمساندة إلى أي من تلك القوى مع الطرفين المتنازعين على الصحراء ، ان ملابسات وتعقيدات المشكلة ليست بعيدة ومنفصلة عن مجمل معطيات التوازن السياسي والعسكري والاقتصادي في منطقة المغرب العربي ، وان قدرة أي طرف على مواصلة الصراع تتحدد وفقاً لإمكانياته الذاتية وحجم المساندة التي يحصل عليها من حلفائه الخارجيين[٥٩] .

ان هدف الدول الكبرى من انحيازها حيناً وعدم انحيازها حيناً هو الحيلولة دون تصعيد الموقف إلى الدرجة التي تجد فيها تلك القوى نفسها مجبرة لتحديد خياراتها وتحالفاتها بدقة الأمر الذي سيترتب عليه تضرر مصالحها مع طرف على حساب طرف آخر[٦٠] .

موقف الاتحاد السوفيتي (السابق) من مشكلة الصحراء الغربية :-

إن البحر المتوسط يعد الطريق البحري الرئيسي الأساسي الذي يؤدي إلى البحر الأسود ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط من أهم المناطق التي ترتكز عليها الإستراتيجية الغربية بوسيلة التواجد العسكري الضخم في مقاومة المخططات السوفيتية وإحباط أهدافها قد كان من المتوقع على ضوء علاقات موسكو الوثيقة بالجزائر وتوافق رؤيتها الاستراتيجية المشتركة أن يعترف الاتحاد السوفيتي بالجمهورية الصحراوية ، ويقدم الدعم الكامل لجبهة البوليساريو ،غير انه في الواقع لم تذهب موسكو إلى هذا المستوى من التأييد والمساندة ،إضافة لذلك ان الوسائل الفنية والتعبوية للحرب البحرية شهدت تطورات عميقة منذ الحرب العالمية الثانية ،فالتقدم الذي أحرزه مجالات الدفع ومعدات وأسلحة السفن والغواصات يعتبر موازياً للتطور الحاصل في المركبات الجوية بالنسبة للسيطرة على أجهزة الاتصالات والمعلومات[٦١]. واشتملت السياسة السوفيتية إزاء المشكلة الصحراوية على العناصر الآتية[٦٢] :

١. إن الاتحاد السوفيتي يؤيد حق تقرير المصير للشعب الصحراوي .
٢. من غير الممكن تجاهل جبهة البوليساريو أثناء البحث عن حل لمشكلة الصحراء الغربية.
٣. يتعين الوصول إلى تسوية سلمية عن طريق التفاوض وتحقق مطالب الشعب الصحراوي في تقرير المصير .

وقد تكون العلاقات الاقتصادية التي تربط موسكو بالرباط السبب وراء التحفظ الروسي تجاه المشكلة الصحراوية ، ففي ١٩٧٨/٣/١٠ وقعت الدولتان على اتفاق تجاري قيمته (٢) بليون دولار تحصل بموجبه على الفوسفات في مقابل الحصول للمغرب على النفط والكيمياويات وسفن الشحن من الاتحاد السوفيتي ، وقد وصفت المغرب ذلك الاتفاق الموصوف (اتفاق العصر) بأنه وسيلة لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الاتحاد السوفيتي[٦٣] .

ولم تحصل الجزائر على هذا المستوى من تطور العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، لذلك وجد السوفييت أن الوسيلة العملية لمواجهة الغرب في منطقة حوض المتوسط بأتباع الخيارات آلاتية :

١- التركيز بصورة واضحة وقوية على وسائل الحرب المضادة للغواصات في البحر المتوسط . محاولة البحث عن قواعد بحرية وجوية جديدة أو تسهيلات في بعض دول المنطقة .

لذلك دخل الصراع بطريقة غير مباشرة ويتخذ الاتحاد السوفيتي لكسر الحصار المفروض عليه بشعارات مختلفة تمكن من استقطاب بعض الدول ، وتجلى الموقف السوفيتي من الصحراء الغربية بمعارضته لضم الصحراء إلى المغرب وذلك من خلال بيان السفارة السوفيتية في الجزائر التي أصدرت في تشرين الثاني ١٩٧٥ تؤيد فيه استقلال الوحدات الصغيرة وعدم اندماجها في دول كبيرة قد لا يروقها الانضمام إليها والخضوع لنظام حكمها[٦٤] .

وقد أصدر السوفييت بيان مشترك مع الجزائر يؤكد حق تقرير المصير للشعب الصحراوي باعتبار ان المشكلة الصحراوية تهدد الاستقرار والسلام والامن في المنطقة[٦٥] .

ويمكن قياس موقف السوفييت من المشكلة من خلال الدعم الدبلوماسي والسياسي والتجهيز العسكري لقوات البوليساريو لمقاتلة المغرب ، ويلعب الخلاف العقائدي دور في تأجيج حدّة الخلاف بين الأطراف الدولية والإقليمية من خلال ما عرف آنذاك بالحروب بالنيابة ،وقد أعلن العاهل المغربي أن السياسة السوفيتية في أفريقيا تهدف إلى الاستيلاء على مصادر الثروة الطبيعية بهدف أضعاف أوربا[٦٦] .

كما ان الاتحاد السوفيتي رأى في صراعه مع الولايات المتحدة الأمريكية صراع ستراتيجي عمد إلى الانغماس المكثف في المشكلات الاقليمية ولاسيما في مشكلة الصحراء الغربية[٦٧] .

الموقف الفرنسي من مشكلة الصحراء الغربية :-

كانت السلطات الفرنسية تعتبر بمثابة حليف للنظام السياسي في الجزائر فترة حكم اليسار الفرنسي والمتمثل في (فرانسوا ميترا)الذي نسق الدبلوماسية الفرنسية مع الدبلوماسية السعودية واتخذت من باريس مركزاً لاتصالاتهما وزار الرئيس الفرنسي المغرب لتذليل الصعوبات بين الدولتين،كما ان العلاقات المغربية الفرنسية كانت باردة بسبب الموقف الفرنسي المؤيد لسياسة الجزائر وموريتانيا[٦٨].

ويلاحظ خط السياسة الفرنسية ،بان فرنسا كانت تحاول الموازنة في الحركة بين المغرب والجزائر ، وهذا ظهر عملياً في تطور مسألة الصحراء الغربية،عندما قامت البوليساريو في ليلة ٢٥-٢٦ /١٠/١٩٧٧ بالهجوم على سكة حديد زبردات – نواذيبو في موريتانيا وأسرت ٢٤ شخصاً منهم مهندسان فرنسيان ، مما دفع الحكومة الفرنسية إلى عقد اجتماعاً حربياً برئاسة رئيس الجمهورية(فاليري ديسكار) وعضوية وزير الخارجية (لوي دي غرتيفو) ووزير الحربية (ايفوت يورج) ورئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة يوم الخميس١٩٧٧/١٠/٢٧ وأرسلت في الوقت نفسه مبعوثها للشؤون الأفريقية إلى الجزائر للتفاوض ، وهكذا تحركت فرنسا في مواجهة الجزائر على الصعيدين الدبلوماسي والعسكري الذي تمثل في وصول كتيبة مظليين الفهود التابعة إلى الفرقة(١١)بسلاح الجو إلى القاعدة المعروفة بالرأس الأخضر في السنغال وأنزلت كتيبة مظلية في الأراضي الموريتانية واحتلت بعض المواقع بين الزويرات وميناء نواذيبو ورافقها طلعات استكشافية جوية بواسطة طائرات(ميراج٤) وهذا التحرك المتوازن تجاه الجزائر والمغرب تتمثل في رفض فرنسا قرار التورط في مسألة الصحراء واعتبرتها مسألة داخلية [٦٩].

الموقف البريطاني من مشكلة الصحراء الغربية :-

ان العلاقات السياسية والتاريخية والاقتصادية المتينة والمتنامية بين الرباط ولندن،تطبع الروابط المغربية البريطانية بطابع الخصوصية والتميز، وقد اكسب التشابه في نظام الحكم الملكي جمع عناصر مشتركة للتفاهم كما ان وجود بريطانيا عضو رئيسي في المجموعة الأوربية ينظر إليه مغربياً باهتمام بالغ خاصة وان المغرب قد تضرر اقتصادياً من جراء انضمام اسبانيا والبرتغال إلى عضوية السوق الأوربية المشتركة بسبب الرسوم الكمركية وتنقل البضائع بين بلدان المنطقة ويضاف إلى ذلك كله ان قضية الوحدة الترابية المغربية لها أولوية في العلاقات المغربية البريطانية وان تطابق وجهات النظر حول الحل الممكن لنزاع الصحراء الغربية خاصة وان بريطانيا هي أول دولة اعترفت بمغربية الصحراء الغربية(٧٠) .

ان الزيارات التي قام بها العاهل المغربي أكثر من مرة إلى المملكة المتحدة وخاصة التي جرت في ١٦-١٩٨٧/٧/١٧ حيث تناولت المباحثات مشكلة الصحراء الغربية ووضعية أجزاء من التراب المغربي الواقعة تحت السيطرة الاسبانية وهي سبته ومليلة والجزر الجعفرية وأكدت المباحثات أن تحرير هذه الأجزاء تتطلب إنهاء الوجود البريطاني في منطقة جبل طارق، ان المملكة المغربية تعتبر المملكة المتحدة بوابة أوربا ومن خلالها تريد إعادة أجزاء المملكة المسلوبة لإعادة الوحدة الترابية المغربية وبضمنها الصحراء الغربية(٧١) .

ان دور وتأثير الدول الكبرى في مشكلة الصحراء الغربية شجع على استمرارية هذه المشكلة ،فعلى الرغم من كثرة النزاعات الاقليمية وخاصة في منطقة الصحراء الغربية أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات تخص المشكلة الصحراوية ألا أن هذه القرارات كانت ذات طابع معنوي ولم تلق أي تطبيق بسبب مواقف الدول العظمى من مشكلة الصحراء الغربية ورغبتها في إبقاء المشكلة لإبقاء الدول المتنازعة في فلك إرادة الدول العظمى(٧٢).

إضافة إلى ذلك فإن الصراع والتنافس بين الدول الكبرى حول أفريقيا والذي تشترك فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي {السابق} والصين ودول الأطلسي ، فقد دعا الأفارقة من الدول الكبرى أبقاء الحرب الباردة بعيدة عن افريقيا في الاجتماعات الدولية ، وجعل الزعماء الأفارقة اقل اتجاهاً ايدلوجياً ، إذ انهم في تبنيهم لحركة عدم الانحياز يؤكدون دائماً دورهم الايجابي باعتبارهم قوة ثالثة محايدة تعمل للحفاظ على السلام والأمن القومي والاستقرار الدولي(٧٣).

لقد خضعت هذه المنطقة لصراع القوى الكبرى لفترة طويلة من الحرب الباردة لتؤثر سلباً او إيجابا على تماسك كيانات المنطقة ،وان انهيار المعسكر الاشتراكي المتمثل بالاتحاد السوفيتي جعل مسيرة الأحداث في مشكلة الصحراء الغربية تنخفض في حدتها وجعل التناحر بين الجزائر والمغرب أكثر ميلاً للتقارب من التصارع وهذا اثر انتصار المعسكر الغربي وزوال الاتحاد السوفيتي (٧٤).

أما الموقف الأوربي فقد توضح وجه اتهاماته الى الجزائر بسبب احتجاز سكان الصحراء في منطقة تندوف واستعمال السكان لأغراض دعائية وسياسية وحمل البرلمان الأوربي الجزائر مسؤولية كل الاعتداءات الموجهة ضد المغرب ،لان هذه الاعتداءات تنطلق من الأراضي الموجودة تحت الإدارة الجزائرية ،واقترح البرلمان الأوربي أجراء مفاوضات لإنهاء التوتر في المنطقة بين المعنيين الرئيسيين وهما الجزائر والمغرب [٧٥].

وفي عام ١٩٨٨ بدأت بوادر ايجابية للتقارب بين دول المغرب العربي فقد اصدرت وزارة الاعلام المغربية بيانا أعلنت فيه ان حكومة المغرب قررت أطلاق سراح ١٠٢ من العسكريين الجزائريين وقعوا منذ عام ١٩٧٦ في الأسر بالصحراء الغربية وجاء هذا القرار بعد ان أعلنت الجزائر قرار بالإفراج عن حوالي ١٥٠ من الجنود المغاربة كانت الجزائر أسرتهم على الحدود الجزائرية وهذا الإفراج المتبادل جاء على خلفية اتفاقات متبادلة بين المغرب والجزائر [٧٦].

وفي أجواء التقارب المغربي الجزائري صرح الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ان حرب الصحراء الغربية ما تزال تشكل احد العوائق الموضوعية امام مؤسسة وحدوية شاملة للمغرب العربي الكبير وقال " ان وحدة المغرب العربي يجب ان تتم في ظل احترام رغبة كل شعب في اختيار نظامه السياسي وعدم التدخل في شؤونه الداخلية "وتجدر الإشارة ان التقارب بين الدول العربية المغربية جاء انعكاساً لحالة التكتلات والتجمعات العربية العربية فقد شهدت المنطقة أكثر من لقاء فتجمع دول الخليج العربي في مجلس تعاون ، وتجمع العراق ومصر واليمن والأردن في اتحاد تعاون في ١٩٨٩/٢/١٦،دفع دول المغرب العربي إلى تعميق معاهدة "الإخاء والوفاق" التي وقعت عام ١٩٨٣ بين الجزائر وتونس وموريتانيا حيث كانت البذرة لتكوين اتحاد أوسع يشمل دول المغرب العربي [٧٧].وهكذا تم تشكيل اتحاد دول المغرب العربي في معاهدة ضمت المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا بتاريخ ١٩٨٩/٢/١٧ حيث تنص المادة الخامسة عشرة من المعاهدة "تتعهد الدول الأعضاء بعدم السماح بأي نشاط أو تنظيم فوق ترابها يمس امن أو حرمة تراب أي منها أو نظامها السياسي ،وتتعهد بالامتناع عن الانضمام إلى أي حلف أو تكتل عسكري أو سياسي يكون موجها ضد الاستقلال السياسي أو الوحدة الترابية للدول الأعضاء الأخرى" [٧٨].

من خلال متابعة المواقف الدولية للصحراء الغربية لم نلاحظ قرار فوري وملزم لحل المشكلة الصحراوية ،لذلك بقت المشكلة كما هي دون حل بسبب التناقضات والمواقف المترددة والمتبدلة بين دول العالم لاسيما وان دول العالم هم من يمثلون هذه المنظمات الدولية وبلا شك أن هذه الدول عرضة للمساومات مما انعكس على مواقف المنظمات الدولية.

أن المملكة المغربية رغم المخططات سواء الداخلية أو الخارجية بقت بحكمة قادتها وعلى رأسهم جلالة الملك الحسن الثاني ثابتة بترابها ومبادئها العربية الأصيلة متمسكة بوحدة التراب والأرض وفاءً

لقسم المسيرة الخضراء ، وان ما أريد به من جمهورية عربية صحراوية لم يكن الا تمزيق لوحدة الأجزاء التي قسمت من وطننا العربي ولا يريد الحكماء من العروبة مزيد من التقسيم ،وان مشكلة الصحراء الغربية ستحل بحكمة مغربية وستحافظ المملكة على أقاليمها الجنوبية .وان بقاء العرش المغربي مرهون ببقاء وحدة الأرض المغربية ومنها الصحراء الغربية ، فقد يكون الحل مقبول لدى الجميع بإعطاء أقاليم الجنوب المتمثلة بالصحراء الغربية صلاحيات الحكم الذاتي وهذا ما تنادي به المملكة المغربية وقد تجد الأطراف المناهضة للمغرب نفسها مجبرة على القبول بالواقع .وقد قالها الملك الحسن الثاني "ان استرجاعنا للصحراء شعبي العزيز أمر تم وانتهى فالصحراء صحراؤنا ولسنا مستعدين للتخلي عنها واذا كنا نرحب بكل تفاهم من شأنه ان يضع حداً للصراع فأننا لا نقبل ان يكون أي تفاهم على حساب جزء لا يتجزأ من ترابنا الوطني"[٧٩].

وخلاصة المواقف الدولية هو ما توصل اليه الامين العام للامم المتحدة بيريز دي كويلار من خلال اتفاقه مع رئيس منظمة الوحدة وممثلي كل من المملكة المغربية والجزائر وموريتانيا والبوليساريو حيث اسفرت المباحثات على الاتفاق على خطة سلام عرفت بخطة بيريز دي كويلار عام ١٩٨٨ أهم ما تضمنته التوصل الى وقف اطلاق النار والبدء لأجراء الاستفتاء لتقرير مصير الصحراء الغربية وقد أيدت المملكة هذا المقترح وبقى هذا المقترح مطروح لحل المشكلة حتى عام ١٩٩٠ وبعدها.

الخاتمة

ان التطورات السياسية خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٩٠ تشير الى وضوح الرؤية المغربية وتوجه حكيم للحيلولة دون سلب وتقسيم المغرب الى تقسيمات جديدة ، فلكل دولة من دول العالم لها تجانسها الخاص من حيث الأجناس واللغات والأديان ، فلا يمكن اعطاء كل طيف دولة خاصة به بدعوى حق تقرير المصير ، وتمسكت السياسة الحكيمة للمملكة بالثبات والدفاع عن الموقف المغربي وحقه في الصحراء الغربية بكونها جزء من التراب المغربي .

من خلال دراسة تطور المشكلة الصحراوية يمكن تصور الحلول الممكن تحقيقها لحل مشكلة الصحراء الغربية :-

١) ضم الصحراء للمغرب :- وإعطائها حكم ذاتي وبذلك يحافظ المغرب على وحدة المملكة ، ويمنع ذلك قيام دولة ضعيفة تكون لقمة سائغة للدول وعرضة لسياسات ومطامع إقليمية ودولية ، كما ان ضم الصحراء الى المغرب يحافظ على وحدة وقوة دول المغرب العربي .

٢) بقاء الصحراء الغربية إقليم جنوب المغرب وتحت الإدارة المباشرة.

ان الحلّين واردين ويمكن تحقيقهما ولكن الحل الأول هو الخيار المقبول لصعوبة استمرار الادارة المباشرة للمملكة على ارض الصحراء الغربية، خاصة وان التدخلات الإقليمية والدولية تحاول أيجاد سبب لخلق الأزمات والمشكلات السياسية مع المملكة المغربية وسيزيد من استنزاف قدرات وموارد المنطقة

ويجعل المشكلة مستديمة ، ان ضم الصحراء الغربية لأرض المملكة باعتباره إقليم جنوب المغرب وجزء لا يتجزأ من تراب المملكة، وإعطاء الحقوق السياسية للصحراء سيحافظ على وحدة المغرب العربي ويشجع اتحاد دول المغرب العربي على الوقوف بوجه التحديات الاقليمية والدولية المعاصرة والتي تتطلب التحالف والاتحاد في تجمع إقليمي وعدم الانفراد ، خاصة وان العصر الحالي عصر القطب الواحد حيث انفردت الولايات المتحدة في قوتها العالمية وأصبحت تفرض أرادتها على شعوب ودول العالم ، وبانهيار الاتحاد السوفيتي السابق انفردت الولايات المتحدة في سياساتها العالمية وأصبحت مشكلة الصحراء الغربية خاضعة لرغبات الولايات المتحدة ، من هنا كانت السياسة المتوازنة للعاهل المغربي بإقامة علاقات طيبة مع دول العالم كافة وخاصة الدول العظمى ومنها الولايات المتحدة لتوضيح المصالح المغربية المشروعة وحقه في أرضه .

ان الموقف العربي يبدو خجولاً من خلال محاولة الدول العربية مد صلاتها مع المغرب والجزائر ومحاولة الحصول على رضا الأطرف المتنازعة ومن ضمنها البوليساريو ، وترك الحل بيد الأطراف المتنازعة رغم الاتصالات الحثيثة للمملكة العربية السعودية لكنها لم تفلح في ايجاد حل نهائي .

منظمة الوحدة الافريقية احتضنت المشكلة خاصة وانها حصلت على دعوة اطراف النزاع ودعوة الجامعة العربية ولكن هذه المنظمة غير ملزمة في قراراتها ، ولجأت الاطراف الى الامم المتحدة التي اوصت باقامة استفتاء لسكان الصحراء للاختيار بين الانضمام للمغرب أو الانفصال ، ويبدوا ان حل الاستفتاء هو الخيار الامثل والوحيد امام الحق المغربي بتمسكه بارضه وسيادته على شعبه امام الجهات المعارضة لحكمة المملكة وصبرها ،فتمسك المملكة بارضها بحكمة سياسية ذكية جعلت كل الاطراف ومنها البوليساريو تتفق وتستسلم لمشروع الحل المغربي والعربي والدولي باجراء استفتاء لشعب الصحراء الغربية لتحديد خيار تجديد البيعة للمملكة وملكها وهذا ما يتفق عليه سكان الصحراء المغاربة واو عكس ذلك .

من هذه المنطلقات تشير المعطيات التاريخية والسياسية الإقليمية والدولية ، ان خيار بقاء الصحراء الغربية صحراء مغربية تتمتع بالحكم الذاتي هو خيار مقبول حتى من قبل سكان الصحراء المهاجرين الى دول اخرى لغرض الدراسة وخاصة في كوبا وهذا يدل على تمسك العربي الصحراوي بهويته وتفويت الفرصة أمام الاطراف التي تريد خلق الانفصال بين الصحراوي والمغربي باعتبار ان الصحراوي مغربي الجنسية ، وهذا الخيار يتردد في أروقة الامم المتحدة ويلقى الترحيب من قبل الكثير من دول العالم .

ان أي حل لمشكلة الصحراء الغربية لا يمكن ان يتحقق دون التفاوض بين المغرب والجزائر ، لأن الجزائر يعتبر العنصر الأول والمحرك لقيام الجمهورية الصحراوية وبمجرد ان تنتهي التدخلات الخارجية سواء كانت عربية أو غير عربية سيتم التفاهم والوصول الى حل يرضي كل اطراف النزاع وبلا

شك سيكون انضمام الصحراويين الى المملكة المغربية خطوة في ترسيخ أجزاء الوطن المتناحرة سواء في المغرب العربي خاصة والوطن العربي عامة .ومن خلال كل ما تقدم يمكن القول ان الفكر الرشيد والحكيم للعاهل المغربي الحسن الثاني وخليفته محمد السادس حقق وبر بقسم اليمين بالمسيرة الخضراء،بالحفاظ على وحدة المملكة المغربية "اقسم بالله ألعلي العظيم أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء مكافح عن وحدة وطني من البوغاز إلى الصحراء، اقسم بالله العلي العظيم أن ألقن هذا القسم أسرتي وعترتي ،في سري وعلانيتي ، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي".

ان الحفاظ على موضوع الصحراء قيد المناقشة والمباحثات على الصعيد الاقليمي والعالمي طيلة السنوات بعد الانسحاب الأسباني من الصحراء،هو نجاح سياسي حققته المملكة بالحفاظ على وحدة التراب من التجزئة التي كادت ان تؤدي الى تقسيم المملكة الى إقليمين الشمالي الرباط وإقليم الجنوب المتمثل بالصحراء الغربية،خاصة وان التوجه في السياسة الدولية وتأثيراتها في فترة الحرب الباردة كانت تقسم الدول بين المؤيد للغرب او الشمال ،وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي يلاحظ زيادة أعداد الدول من خلال تقسيم الدول الموحدة الى عدة دول ،خاصة في حالة مشابهة لحالة الصحراء الغربية لما لها من ارث استعماري ولتعدد الأطراف المؤثرة بالمسالة الصحراوية،وهذا الجهد والرؤية المستقبلية لصواب الأمور حدث بوجود حكمة مغربية تحافظ على وحدة المملكة متبعة الأسلوب السلمي والحكيم ،والحقيقة التي وضعها المغرب أمام العالم بان المملكة بصحرائها وحدة ترابية لا يمكن التنازل عنها،والعلاقة التي ربطت الشعب في الصحراء بملكه علاقة بيعة وولاء،وحل الاستفتاء الذي اقترحه الملك الحسن الثاني الا حل المنطق والواقع الذي جعل كل الأطراف تخضع له وقد اجل غير مرة بسبب عدم تحديد واضح لهوية المشمولين بالاستفتاء،أما الحل الذي دعا أليها جلالة الملك محمد السادس بإعطاء اقليم الجنوب (الصحراء)حكم ذاتي تحت السيادة المغربية فزادت من حق المغرب وأسقطت الحجج أمام كل الجهات التي حاولت وتحاول تجزئة المملكة المغربية،ويمكن القول ان احتفاظ المملكة المغربية لغاية عام ١٩٩٠ وبعدها بالصحراء الغربية يؤكد صحة المسيرة الخضراء للمملكة المغربية .

المصادر

(١) الأمم المتحدة ، ميثاق الأمم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، نيويورك مكتب الإعلام العام ، بشأن التقييم القانوني لقرارات الأمم المتحدة،بدون تاريخ ،ص٢٦-٢٨.

(٢) المصدر نفسه،ص٣٣.

(٣) السياسة الدولية ، العدد٤٤ ، ١٩٧٦، ص٢٦.

(٤) قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة،مذكرة الجمهورية الجزائرية،المصدر السابق، ص١٣٢.

(٥) السياسة الدولية ، العدد٤٤ ،١٩٧٦ ،ص٢٣١.

(٦) المصدر نفسه ، ص٢١٨.

(٧) مذكرة حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري على مذكرة الاتحاد الوطني المغربي للقوى الشعبية في ١٩٧٥/٦/١٢.

(2) Africa Research Bulletin ,op, cit, 1974, pp, 85.

(3) Ibid, pp,87.

(١) الأمم المتحدة ،الجمعية العامة،الدورة ٢٩، ١٩٧٤/١٢/١٣.

(١١) مذكرة حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري على مذكرة الاتحاد الوطني المغربي للقوى الشعبية في١٩٧٥/٦/١٢.

(١٢) جريدة الصحراء الحرة ، العدد الخاص ، السنة الحادية عشر ، شباط١٩٨٩.

(١٣) تنص الفقرة ١٦٢من حيثيات الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية إن المعلومات والاعتبارات التي أبلغت إلى المحكمة في وقت بدء الاستعمار الإسباني للصحراء الغربية كانت هناك روابط بيعة قانونية بين مراكش وبعض القبائل التي تعيش في الإقليم .

(١٤) الأمم المتحدة ، الجمعية العامة ، الدورة٣٢ ، ١٩٧٧/١١/٢٨.

(١٥)المصدر نفسه ،الدورة ١٩٧٤/١٢/١٣،٢٩.

(١٦) جمال زكريا قاسم ، مسالة الصحراء الغربية ، إصدار معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية،القاهرة،١٩٧٦ ،ص٣٦١.

(١٧) المصدر نفسه،ص٢٢٦

(١٨) المصدر نفسه،ص٣٧٠.

(١٩) جريدة الصحراء الحرة ،العدد الخاص، السنة الحادية عشر،شباط١٩٨٩.

(٢٠) من خطاب الملك الحسن الثاني،١٩٧٥، بعد صدور قرار محكمة العدل الدولية، السفارة المغربية بالقاهرة.

(٢١) السياسة الدولية ، العدد ٦٢ ، ١٩٧٥، ص٥٣ .

(٢٢) جلال كشك،المسيرة الخضراء وملحمة ملك وشعبه،وقيل الحمد لله ،لندن،الطبعة الأولى ،١٩٧٦ ،ص٧٢.

(٢٣) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص١٢٣.

(٢٤) بطرس بطرس غالي ،خطة للسلام ،نيويورك ،الأمم المتحدة ،الطبعة الثانية ،١٩٩٥،ص١٢٣.

(٢٥) الأمم المتحدة ، الجمعية العامة ، الدورة ١٩٧٦/١٢/١٠،٣٠.

(٢٦) المصدر نفسه، الدورة ،٣٢ ، الجلسة ٣٢ ، ١٩٧٧/١١/٢٨.

(٢٧) الأمم المتحدة ، الجمعية العامة ، الدورة ،٥٣، البند١١٢ من جدول الأعمال المؤقت المؤرخ ١٩٨٨/١٠/١٢.

(٢٨) عبدالوهاب بن منصور مؤرخ المملكة ،ملف الصحراء الغربية أمام مؤتمر القمة العشرين ،المصدر السابق،ص٥٦.

(٢٩) قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ،الجمعية العامة،رقم القرار ٣٤٥٣ في ١٩٧٥/١٢/١٠.

(٣٠) الأهرام المصرية ،١٩٧٥/١٠/٢٠.

(٣١) المصدر نفسه، رقم القرار٣٤٥٣ في تاريخ ١٩٧٥/١٢/١٠.

(٣٢) إيناس المهدي، مشكلة الصحراء الغربية،جامعة القاهرة،كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،قسم السياسية ، ١٩٧٨ ، ص١٣٢.

(٣٣) الأهرام المصري الصادرة ١٩٧٥/١٠/٢٠.

(٣٤) السياسة الدولية ، العدد ٤٤، ١٩٧٦، ص٩٦.

(٣٥) الأمم المتحدة،حقائق أساسية عن الأمم المتحدة،نيويورك،إدارة الإعلام العام،دار الشعب،القاهرة ،١٩٨٠، ص٢٠١ .

(٣٦)إيناس المهدي،المصدر السابق،ص٥٣.

(١) إيناس المهدي،المصدر السابق،ص٥٥.

(٣٨) السياسة الدولية ، العدد ١١١ ،١٩٩٣،ص٧٥-٩٨ .

(٣٩) جريدة الأهرام،١٩٧٩/٦/١٥ .

(٤٠)الوثائق الرسمية للقرار(١٠٨٤) / ١٩٩٦ / المؤرخ في ١٩٩٦/١١/٢٧ . ميثاق الامم المتحدة ، المواد (٩٧ ،٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١) ص ٧٦-٧٩ .

(٤١) الطليعة العربية ، السنة الثالثة ، العدد ١٥٤ ، ٢١ نيسان١٩٨٦ ،ص ٢٣.

(٤٢) ميثاق الأمم المتحدة ، المواد (٩٧ ،٩٨، ٩٩ ،١٠١،١٠٠)ص٧٦-٧٩ .

(٤٣)الوثائق الرسمية الخاصة بمجلس الامن ، جامعة الدول العربية ، مكتب الوفد العام لدى الامم المتحدة ، رقم الملف ٢٠/٣٠ في ١٩٩٦/١١/١١ ، وتقرير الامين العام عن الحالة المتعلقة بالصحراء الغربية رقم (S/1996913)في ١٩٩٦/١١/١٥ .

(٤٤) جامعة الدول العربية،الدائرة الأفريقية،تقرير عن الحالة في الصحراء الغربية،بتاريخ ١٩٩٩/٣/٩ .

(٤٥) الحياة ، إنكلترا ،١٩٩٦/٦/١٦،ص١.

(٤٦) مركز دراسات الوحدة العربية ، المصدر السابق ،١٩٨٨، ص٣٥٥ .

(٤٧)مركز دراسات الوحدة العربية ، المصدر السابق ،١٩٨١،ص٢٣٩ .
(٤٨)إيناس المهدي،المصدر السابق،ص٦٢.
(٤٩) الصباح ، العدد ٢٣٣، السنة الخامسة والأربعون ، تموز ١٩٨٩،ص٢٣ .
(٥٠) الصباح ، العدد ٢٣٣، السنة الخامسة والأربعون ، تموز ١٩٨٩،ص٢٣،وللمزيد من التفصيل ينظر:مجلة الصياد ،العدد ٢٣٣١،٦ تموز/١٩٨٩،ص ٧-١٧ .
(٢) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص١٢٨.
(١) النان ولد المامي، المصدر السابق ،ص٩٥-٩٩.
(٥٣) أحمد عسه ، المعجزة المغربية ، المصدر السابق ، ص٢٢١ .
(١) أحمد عسه ، المعجزة المغربية ، المصدر السابق ،ص٢٢٣ .
(٥٥) عبد الله هدية ، المجلة المصرية للقانون الدولي ، العدد ٢٥ ،١٩٧٩ ، ص١٦٠ .
(٥٦) الوطن العربي ، العدد ٨٥ ، ٣٠ / ٩ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٢ .
(٥٧) مجدي علي عبيد ، صراع الصحراء الغربية ، ملف خاص السياسة الدولية ، العدد ٩٥ ، ١٩٨٩ ، ص١٣١ .
(٥٨) هاني الياس خضر ، اعادة البناء [البروسترويكا] والوطن العربي ، بحث مقدم إلى كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٩١، ص ٢٦٢ .
(٥٩) جريدة أنباء المغرب ، العدد ٥٤٥ ، ١٩٩٩/٢/٦ .
(٦٠) عبد الواحد الناصر ، ممارسة المغرب لحق الدفاع الشرعي في قضية الصحراء الغربية ، الرباط المملكة المغربية ، وزارة الدولة المكلفة بشؤون الخارجية والتعاون ، قسم الصحافة والأنباء ،١٩٧٩ ، ص٨ .
(١) الأميرال بيسار لاكوست ،الستراتيجيات في البحرية المعاصرة،إصدار لجنة الترجمة،ترجمة سلام عبدالكريم محمد ،بيروت،بدون تاريخ،ص٣٧٦.
(٦٢) السياسة الدولية ، العدد ٩٥ ، كانون الثاني ١٩٨٩ ، ص١٣٠ .
(٦٣) العربي ، العدد ٨٥ ، ٣٠ / ٩ ،١٩٧٨ ، ص ٢٣ .
(٦٤) جمال زكريا و صلاح الدين العقاد ، سلسلة الدراسات الخاصة ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ،١٩٧٦ ج ٣٧، ص٦٣-٧٤ .
(٦٥) الاهرام المصرية ٢٩ / ٤ / ١٩٦٧ .
(٦٦) السياسة الدولية ، العدد ٤٨ ، تشرين الأول ١٩٧٧ ، ص ٢٢١.
(٦٧) مازن اسماعيل الرمضاني،إعادة البناء والسياسة الخارجية السوفيتية ثابت أم متغير،بغداد ، ١٩٩١ ، ص٣٣ .

(١) مجلة الحوداث،"المصالحة بين المغرب والجزائر لحل مشكلة الصحراء في اطار حدودي"،العدد ١٣٧٥،١١ اذار ١٩٨٣ .

(٢) مجلة الحوادث،العدد١٣٧٥،المصدر السابق.

(٧٠) مجلة التضامن ، العدد ٢٢٢ ،١٩٨٧/٧/١١ ،ص١١ .

(٢) المصدر نفسه،ص١٢ .

(٧٢) دراسة حول المتغيرات في المعسكر الاشتراكي وانعكاساتها الدولية،اعداد نخبة من مدرسي عمادة كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ،١٩٩١،ص٢١٥.

(٧٣) المختار ولد دادا،حياة موريتانيا الجغرافية ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية،الرباط ،١٩٩٤ ، ص ٢٩.

(٣) النان ولد المامي،المصدر السابق ،ص٩.

(١) بيان وزارة الدولة للشؤون الخارجية والتعاون المغربية،حول القرار الصادر عن البرلمان الأوربي بخصوص الصحراء الغربية،نشرته جريدة العلم المغربية ،١٩٨١/٣/١٤.

(٢) جريدة الخليج، الشارقة ،١٩٨٧/٥/٢٥.

(٣) السفير ،بيروت،١٩٨٧/١٢/١٦.

(١) شؤون عربية، القاهرة،العدد ٥٨،حزيران/١٩٨٩ .

(١) خطاب الملك الحسن الثاني ،في عيد العرش ، نشرته جريدة العمل ،الرباط،١٩٨١/٣/٤.

أضواء جديدة على مشروع سنحاريب لأرواء نينوى

راكان فرج عازر

ماجستير تاريخ قديم/ جامعة بغداد

أضواء جديدة على مشروع سنحاريب لأرواء نينوى

راكان فرج عازر

يعد الري من اهم مقومات الحضارة ودليل على مدى تقدمها في اي مكان مستوطن، نظرا لما يتطلبه من خبرات وجهود كبيرة، وادارة قادرة على توجيه تلك الامكانيات في سبيل تحقيق ذلك. كما هو دليل على مقدار قوة السلطة الحاكمة من حيث قدرتها على توفير وتوحيد تلك الامكانيات المادية والبشرية وتنظيمها. ولعل الدولة الاشورية بما نمتلكه لها من معلومات وما حفظه لنا الزمن من بقايا اثارية تعتبر من ابرز تلك القوى التي ابرزت هذا الجانب واولته الاهتمام الكبير. ولعل مشروع ارواء مدينة نينوى الذي يمثل الى حد كبير ابرز الادلة على تقدم صناعة وهندسة الري معاً في بلاد اشور[١] يحتل الاهتمام الاكبر من قبل الباحثين لسببين اولهما: كون نينوى المدينة الملكية خلال حكم الاسر السرجونية(٧٢٢-٦١٢ق.م) وبالتحديد مع تولي الملك سنحاريب الحكم(٧٠٥-٦٨١ق.م) وثانيهما: تعدد منشئات هذا المشروع من منحوتات وسدود وقنوات سهلية وعبارات.

التعريف بمشروع سنحاريب ارواء نينوى

استحوذت مدينة نينوى على اهمية كبرى ضمن الدولة الاشورية بعد مدينة اشور العاصمة كونها مدينة ذات اقتصاديات مختلفة وفوائد استراتيجية، فنهر دجلة يحيط بها من جهة الغرب والجبال من الشرق وهي على مقربة من البادية الى جانب وقوعها في منطقة وافرة من مواد البناء الضرورية ومصادر المياه[٢] التي تمثلت بنهر دجلة بشكل اساس ونهر الخوصر والابار. هذه المدينة بعد اتخاذها عاصمة للدولة الاشورية في عهد سنحاريب(٧٠٥-٦٨١ق.م) وفي سبيل تحسين المنظر الطبيعي للمدينة[٣] وارواء لأجل حدائق الملك[٤] وزيادة انتاجية الحقول الواطئة الانتاجية[٥] او غيرها من الاسباب أضحت المدينة بحاجة الى مصادر مياه جديدة.

تمثلت هذه المصادر بمياه العيون والانهر الصغيرة الواقعة شمال المدينة ثم نَقل قسم من مياه نهر الكومل باتجاهها. أعمال سنحاريب الاروائية تستمر النصوص بذكرها على مدى ١٥عاما (٧٠٥-٦٩٠ق.م) لكن بتفاصيل جديدة بحسب السنة التي كتب فيها النص مما يدل على الاستمرار في انجازه وعدم توقف التطوير فيه والاضافة له.

فمن استغلال مياه الخوصر الموجودة فيه اصلا الى قيامه بجلب مياه عيون جبل مصري(جبل بعشيقة) تم التوجه شمالا لجلب مياه العيون والانهر الصغيرة في اعالي الخوصر بعدئذ نقل مياه نهر الكومل بواسطة قناة تمتد من خنس وصولا الى مجرى الخوصر والتي تخلل مسارها انشاء العديد من

العبارات في المواضع التي اعاقته. ولقد مثل نهر الخوصر[٦] محور تلك المشاريع اذ تم استغلال مجراه الطبيعي حتى يصبح الوجهة النهائية للمياه المجلوبة باتجاه نينوى.

هذا الموضوع ازداد الاهتمام به في السنوات الاخيرة كون المياه تشكل العنصر الاساس في الاستيطان والارواء خاصة يمثل خطوة مهمة للتعرف على العوامل التي مكنت هذه سكان هذه المنطقة والمقصود بلاد اشور من التوسع والسيطرة على مناطق واسعة من العالم القديم وكذلك التعرف على مواقع المدن ومدى ما وصلت اليه المعرفة في مجال هندسة المياه. فضلا عن هذا تاتي المعلومات التي وفرتها الوسائل التكنولوجية الحديثة من صور للاقمار الاصطناعية لبقايا القنوات والمدن والبرامج التطبيقية لتشكل سببا اخر في ازدياد هذا الاهتمام. الا ان هذه الدراسات في كثير من الاحيان هي مبنية على الفرضيات في تلك الجوانب التي انعدم عنها الدليل التكنولوجي وتفتقر الى عامل الزيارة الميدانية.

تاريخية التعرف على المشروع ورسم خارطة المشروع

تعتبر منشاته عموماً من اولى الاثار الاشورية التي تم ملاحظتها من قبل الرحالة والاثاريين لكونها واضحة للعيان في اماكن بارزة وذات احجام كبيرة على الرغم من عدم ماهية سبب وجودها هناك كمنحوتات معلثايا وخنس وجروانة. على ان منشاته العديدة هذه لم تكتشف في وقت واحد بل امتدى على مدى عشرات السنين لا بل هو مستمر الى يومنا هذا وسيستمر. اذ تكشف لنا الامطار او الحفر الغير قانوني على المزيد من هذا العناصر الاثارية.

فلو تتبعنا التسلسل التاريخي لاكتشاف تلك العناصر الاثارية تكون منحوتات معلثايا – ينظر الصورة رقم (١)– من اولى تلك الشواهد التي تم ملاحظتها بسبب موقعها المشرف على مدخل سهل دهوك على يد القنصل الفرنسي رووي Rouet في ١٨٤٥/١٠/١٢[٧] الذي يعتبر ايضا اول من اكتشف منحوتات خنس – ينظر الصورة رقم (٢)– بعد اكتشافه لمنحوتات معلثايا بفترة قصيرة، التي زارها لايارد عام ١٨٥١م وبقي في الموقع مدة يومين ليستنسخ النص[٨]. اما موقع جروانة فاول من ذكره كان السير لايارد الذي زارها في العام ١٨٥١ خلال زيارته لمنحوتات خنس واشار الى انها مثلت جسراً يمتد من خنس الى نينوى[٩] . وتبعه كثيرون اخرون من المستكشفين والاثاريين دون ان يهتدي اي منهم الى ماهيتها ولعل اول من اقترب من صحة كونها عبارة لنقل المياه هو الباحث اولمستد الذي زار جروانة عام ١٩٠٨ وأشار إلى أنها تمثل عبارة يعبر من فوقها جدول[١٠] .

التعرف على العلاقة بين هذه المنحوتات وتحديدا منحوتات خنس بالمشروع الاروائي بدا مع ترجمة النص الذي نقشه سنحاريب بالقرب منها على يد الفرنسي بونيون عام ١٨٧٩[١١] اذ دل وبدون ادنى شك على ان موقع المنحوتات يشكل بداية المشروع الذي يروي نينوى، لكن دون ان يتمكن هو او احد من الباحثين من ايجاد اي مسار او ارتباط على ارض الواقع.

استمرت الحالة هذه الى العام١٩٣٥ حينما اصدر الباحثان الامريكيان ثوركيلد جاكبسون وسيتون لويد كتابهما Sennacherib's aqueduct at Jerwan الذي ضمنوا فيه نتائج حفرياتهم التي اجروها في موقع جروانة – ينظر الشكل رقم (٣)– في شهري آذار ونيسان من عام١٩٣٣[١٢] ، والحفريات في موقع صدر القناة في خنس في آذار عام ١٩٣٤[١٣] وقراءتهم للكتابات المسمارية المنقوشة على احجار عبارة جروانة – ينظر الشكل رقم (٤)– واعادة قراءة نص بافيان. هذه الجهود اسفرت عن محاولة ربط اسماء الامكنة والمواقع ومطابقتها على المواقع الاثارية الموجودة في المنطقة مستعينين بنتائج مسحهم للمنطقة والمعلومات التي حصلوا عليها من السكان المحليين. فكان مسار القناة يمتد من خنس باتجاه جروانة التي اظهرتها الحفريات عبارة اوجدها سنحاريب على احد الوديان التي اعاقت طريق القناة للمحافظة على مستوى الانحدار ومنها نحو احد فروع نهر الخوصر الطبيعية وهو فرع شفشرين لايطال المياه الى مجرى الخوصر الاصلي.

وفي مكان اخر اقرب الى العاصمة نينوى كان الاثاري البريطاني كامبل تومبسون قد سبق الباحثان الامريكيان في التعرف على احدى منشات المشروع الاصطناعية اذ تمكن في احدى جولاته في محيط نينوى عام ١٩٢٦ من العثور على بقايا سد في عقيق نهر الخوصر قرب قرية الجيلة[١٤]علل وجوده بارتباطه بالمستنقع الذي ذكره الملك سنحاريب في نصوصه[١٥] – ينظر صورة رقم(٥)–.

في العام ١٩٤٧، وخلال زيارة الاستاذ محمود الأمين لمنحوتة " شيرو ملكثا[١٦]" ضمن البعثة التي ارسلتها مديرية الاثار العامة انذاك الى الموقع، أشار حينها إلى إمكانية ارتباط نهر بهندوايا بمشروع إرواء نينوى. وقد بنى رأيه هذا على تشابه منحوتة شيرو ملكثا مع تلك الموجودة في موقع خنس فضلاً عن الموقع الجغرافي للمنطقة[١٧]. ثم كانت محاولة جون اوتس في ادخال عناصر جديدة الى المشروع بعد زيارته الى المناطق الواقعة الى الشمال مدينة نينوى الاثرية وتحديدا زيارته لمنطقة سهل القوش(١٩٥٧–١٩٥٨) أشار الى أن مياه نهر بهندوايا جرى ربطها بوادي الملح ومنه إلى قناة تقع عند مصب هذا الوادي قرب الموصل على الضفة اليسرى لنهر دجلة ومنها إلى نينوى[١٨].

واثناء زيارة الباحث البريطاني جوليان ريد للمنطقة العام ١٩٧٣ اعلن عن العثور على ثلاثة مشاهد صخرية تقع في الطرف الغربي من جبل القوش[١٩] قرب قرية فايدة وبقايا قناة محفورة في الصخر وطرح رأياً انذاك يقضي بارتباطها بمشروع سنحاريب الاروائي، كما فَسَر وجود المنحوتات على جبل معلثايا بالاعتماد على موقع المنحوتات واسلوب نحتها دليلاً على وجود عمل إروائي واعتبرها تمثل بداية قناة[٢٠]. انئذ برز مصطلح النظام الشمالي للدلالة على العناصر الاروائية في مواقع معلثايا، فايدة، وبهنداويا.

وقد كان لباحثينا العراقيين دور في الكشف عن بعض تفاصيل هذا المشروع فيما يتعلق بمرحلة النظام الشمالي و" بنظام الري في بهندوايا "خصوصاً. بدءاً من الاستاذ كوركيس

عـواد(١٩٢٨) الـذي اكتشـف منحوتـة شـيرو ملكثـا وابلـغ عنهـا مديريـة الاثـار العامـة[٢١] فمحمـود الأمـين(١٩٤٦)[٢٢] الـذي كـان أول مـن أشـار مـن البـاحثين العـراقيين والأجانـب بارتبـاط الموقـع ونهـر بهنـداويا بمشـروع إرواء نينـوى. وتناولـت تفاصـيل هـذا المشـروع بعـض مقـالات البـاحثين وهـم بنيـامين حـداد (١٩٩٧)[٢٣]، جميـل حيـدو[٢٤] (٢٠٠٠)، ومنـذر حبيـب كلـه[٢٥](٢٠٠٤) والتي تتلخص بالاتي:

إن ميـاه نهـر بهنـدوايا قـد وجـدت طريقهـا الـى نينـوى عـن طريـق قنـاة حفـرت فـي السـهل الممتـد اسفل بلدة القوش حولت مياهها الى وادي الملح ومنه الى نينوى مروراً بتربيصو.

وقـد أطلـق أغلـب هـؤلاء البـاحثين علـى نظـام شـيرو ملكثـا وبهنـدوايا وامتداداتـه تسـمية القنـاة (او السـاقية) الغربيـة لمشـروع سـنحاريب تمييـزاً لهـا عـن القنـاة الشـرقية لهـذا المشـروع والمتمثلـة بنظام خنس ونهر الكومل.

بهـذه المعطيـات والمعلومـات اسـتمر هـذا التصـور عـن المشـروع الـى العـام ٢٠٠٥ حـين نشـر الباحـث جيسـون اور مقالـة فـي مجلـة IRAQ عـن قنـوات سـنحاريب الاروائيـة[٢٦] معتمـداً بالدرجـة الاولـى علـى الصـور التـي وفرهـا لـه قمـر التجسـس الامريكـي كورونـا الـذي بواسـطته تـم اثبـات العديـد مـن الحقـائق الجديـدة منهـا وجـود قنـاة الـى الشـمال مـن قريـة تللسـقف لا زالـت اثارهـا واضحة الى اليوم.

مشروع سنحاريب في النصوص

ان معرفتنا عن مشروع سنحاريب لم تتأتى من الشواهد الاثارية الموجودة فقط بل ايضاً من خلال بعض النصوص التي قاومت عوامل المناخ والتخريب، والنصوص التي عثر عليها خلال التنقيبات الاثارية. ويمكن تحديد النصوص التي ذكرت تفاصيل المشروع بالنصوص الاتية:-

١): نص بافيان: النص كتب علم ٦٩٠ق.م[٢٧] والذي يعدّه من قبل الباحثين من أهم النصوص التي تتناول مشاريع سنحاريب الأروائية[٢٨]. والذي يورد وصفاً ملخصاً مجملاً عن أعماله الخاصة بإرواء نينوى[٢٩]. أول ترجمة له هي ترجمة الفرنسي بونيون عام ١٨٧٩م. يذكر انه انتصر على العيلاميين ووسع نينوى المدينة وبنى سوراً لها بعلو الجبال ونقل اليها المياه من حدود ارمينيا.

٢): نصوص جروانة: هي عدة نصوص قصيرة – في حالة جيدة- كتبت في الوقت نفسه الذي كتب به نص بافيان. تحوي على تفاصيل جديدة لم يوردها سنحاريب في نص بافيان عن نقل المياه من نهر الكومل الى نينوى وانشائه لعبارة من الحجر على احد الوديان التي اعاقت طريقها نحو المدينة. تمت قرائتها من لويد وجاكبسون[٣٠].

٣): النصوص الملكية لسنحاريب: وهي عديدة وتعود الى سنوات حكمه المختلفة تختلف في التفاصيل التي تتحدث عن المشروع باختلاف السنة العائدة لها[٣١]. ومن اجل التعرف على تفاصيل المشروع وتتبع التطورات التي طرأت على عليه وتسهيل دراستها يمكن تقسيم هذه النصوص على الوجه الاتي:-

أولاً: ان النصوص الممتدة بين عامي ٧٠٥-٧٠٣ تذكر ان سنحاريب انشأ قصراً ملكياً كبيراً اسماه "القصر الذي لا مثيل له"[٣٢] وانشأ على احد جوانبه متنزهاً عظيماً كما قام بتوزيع الاراضي الى مواطني نينوى في السهل الممتد الى الشمال من المدينة ولري هذه الاراضي اقام مهندسوه سدا في مجرى الخوصر عند حدود بلدة كيسيري[٣٣] لرفع مستوى المياه التي كانت تجري في مستوى واطئ ومنه حولت المياه عن طريق قناة حفرت على الجانب الغربي للنهر نحو السهل شمال المدينة ورويت الاراضي عن طريق موزعات. مرحلة قناة كيسيري هي المرحلة الاولى من مشروع سنحاريب وتتمثل بالاستفادة من المياه الجارية في نهر الخوصر فقط[٣٤].

ثانياً- النصوص الممتدة بين عامي(٧٠٠-٦٩٤ق.م)[٣٥] وهي الى جانب ذكرها للمتنزه الذي انشئه على جانب قصره الا انها تحوي على عمل جديد قام به فيه وهو زراعته " **الأشجار التي تحمل صوفاً** "[٣٦] دون ان يتطرق الى توزيع الاراضي. كما وتُظهر هذه النصوص أموراً جديدة أضيفت الى جسم المدينة، منها إقامة متنزه في أعلى المدينة وأسفلها وزراعة انواع مختلفة من الاصناف فيها. وانه في سبيل الحصول على المياه توجه شمالا نحو عيون المياه في جبل مصري[٣٧] التي وسع مجراها ودعم جوانبها وجعلها تجري نحو نينوى لتروي الحقول الواقعة في سهلها شمال المدينة ومتنزهات المدينة. وهذه هي المرحلة الثانية من مشروعه بحسب تقسيم الباحثين " مرحلة قنوات جبل مصري".

ثالثاً- النصوص التي تعود الى العام ٦٩٠ ق.م[٣٨]، تتمثل بنص بافيان ونصوص جروانة وهي تتعلق بالمرحلة الثالثة "مرحلة النظام الشمالي" والمرحلة الرابعة والاخيرة "مرحلة قناة خنس " من المشروع بحسب الباحثين وتتضمن نقل مياه نهر الكومل[٣٩] ومياه قنوات النظام الشمالي إلى مجرى نهر الخوصر ومنه إلى نينوى. اذ يذكر انه فيما كانت الناس ترفع عيونها نحو السماء لاجل المطر حفر ١٨ قناة لعيون المياه القريبة من القرى الذي اورد اسماءها وهذا النص هو الوحيد الذي يذكرها وجعل مجرى كل واحدة منها تتجه نحو الخوصر وانه من حدود كيسيري اجرى قناة الى نينوى تروي الحقول.

ويستمر سنحاريب في نصه هذا بذكر جلبه للمياه من المدن الواقعة قرب جبل تاس على حدود ارمينيا وكيف اجراها على جانب الجبل الصخري وانه روى بتلك المياه البساتين من حددود مدينة تربيصو الى مدينة الاشوريين. كما يورد الاحتفال الذي اقامة عند فتح القناة ومجيء الكهنة وكيف قام بنحت صورته في صدر القناة[٤٠].

مشروع سنحاريب والاضافات الجديدة

١- مرحلة جديدة من مشروع سنحاريب(المرحلة الثالثة/ مرحلة الثمان عشرة قناة)

أ. : ورودها في نص بافيان

في جزء من نص سنحاريب في خنس الذي يرجع الى العام ٦٩٠ ق.م يذكر الاتي:-

"في هذا الوقت، أنا وسعت نينوى سورها وسورها الخارجي الذي لم يكن موجوداً سابقاً. أنا بنيت آخر، ورفعته بعلو الجبال، حقولها (حقول نينوى) التي من خلال نقص المياه قد أهملت، في حين أن سكانها يجهلون الري ويرفعون أنظارهم إلى السماء لأجل المطر، هذه الحقول أنا أرويتها، ومن قرى: ماسيتي، بنبارينا، شاباريشو، كارشمش، كارنوري، ريموسا، خاتة، دالين، ريش عيني، سولو، دور عشتار، شيبانيبا، أسباريزة، جنجليش، نمباقاتي، تيلو، الومسوشي، والمياه التي تقع إلى الأعلى من بلدة خادابيتي ١٨ قناة أنا حفرت مجاريها باتجاه الخوصر، أنا جعلتها تجري فيه، وسميتها [القناة] بقناة سنحاريب"(٤١).

في هذا النص كما في العديد من نصوصه يذكر الاعمال التي قام بها في العاصمة الملكية نينوى وكيف كانت مهملة في ايام حكم من سبقه من الملوك ربما ليعطي فكرة لمن يقرأ النص عن عظمة العمل الذي قام به. فيما يخص الجانب الاروائي في هذه الجزء من النص يظهر أن المدينة قد أصبحت من جديد في حاجة إلى كميات إضافية من المياه على الرغم من وجود قناة كيسيري وحفر مسارات جديدة لعيون جبل مصري ربما مدفوعا بالحاجة الى سقي الحقول والبساتين سيحاً في أكثر الأحيان، لذلك كان لابد على سنحاريب من البحث عن مصادر جديدة والتي تتمثل بعيون المياه الواقعة شمالاً من مدينة نينوى. من قراءة النص يمكن استنتاج الاتي:

١) إن الاشارة الى أسماء القرى التي تقع عندها العيون ترد في نص بافيان فقط ولا ترد في أي نص آخر نهائياً- الى يومنا هذا- والنص يعود للعام ٦٩٠.

٢) انه اورد هذه القنوات ١٨ قبل قناة كيسيري التي اوردها في نصوص ٧٠٤-٧٠٢ق.م

٣) ان سنحاريب عدّ قنوات بلدات دور عشتار(٤٢)، شيبانيبا(٤٣)، وسولو(٤٤) قد أنشأت في وقت واحد مع القنوات الجديدة كما يظهر من قراءة النص الظاهر. لكننا نعلم من نصوص اقدم ان عيون المياه في شيبانيبا ودور عشتار قد تم ذكرها في النصوص العائدة٧٠٠- ٦٩٤ دون غيرها وانها قد التقت بمجرى الخوصر قرب الجيلة. نعلل ذكرها هنا ان سنحاريب قد ذكرها في هذا الموضع لانها كغيرها من القنوات ينتهي مسارها عند الخوصر.

لورود ذكر حفر هذه القنوات ١٨ قبل مرحلة قناة كيسري، ولعلمنا بقنوات المدن في جبل مصري،. وإنها مثلت مرحلة مستقلة عن المرحلة الأولى (مرحلة قناة كيسري) وأنها تلتقي بالخوصر عند الجيلة

تدفعنا هذه المعطيات إلى اعتبار هذا العمل يمثل مرحلة ثالثة من مراحل مشروعه الاروائي لاحقة لمرحلة حفر قناة كيسيري وقنوات جبل مصري تقع إلى الشمال منها بعد ثبوت التاكد من مواقع مدن دور عشتار وشيبانيبا واعتماد سنحاريب الجانب الجغرافي في ذكر اسماء القرى بحسب موقعها من الخوصر من الاعلى (أعلى مجرى الخوصر الطبيعي) إلى الأسفل. وان مياه هذه القنوات ١٨ قد حولت مباشرة الى مجرى الخوصر.

تحديد مواقع القرى لازال يشوبه الكثير من الغموض ولم يتم التثبت سوى من موقع شيبانيبا ودور عشتار وفي الوقت الذي نتفق مع الباحثين من حيث التقسيم العام لمواقع القرى بالاعتماد على الجانب الجغرافي لكن دون الركون إلى صحة اقتراحات الباحثين بالنسبة للمدن التي لم يثبت موقعها ولابد من أن التنقيبات الأثرية إذ ما أجريت في التلول الأثرية في المنطقة ستكشف عن المواقع الصحيحة للمدن.

اما عن تاريخ انشاء هذه القنوات نقول: إن تحديد تاريخ كتابة النص بافيان عام ٦٩٠ ق.م[٤٥] وإرجاع تاريخ إنشاء مشروع قنوات جبل مصري إلى ما لا يقل عن عام ٦٩٤ ق.م[٤٦] يدفعنا إلى اعتبار تاريخ حفر هذه القنوات ما بين سنتي ٦٩٤-٦٩١ ق.م

ب): مصادر مياه هذه المرحلة

إن مصادر المياه في هذه المرحلة تتمثل بمياه العيون التي تمتد على مجرى الخوصر في الشرق والغرب، إلى جانب العيون في الأقسام العلوية من الخوصر[٤٧] في سفح جبل القوش الجنوبي ومن محيط تلال قند[٤٨].

ففي السفح الجنوبي لجبل القوش تتبع عشرات العيون لاسيما العيون النابعة من أراضي قرية بيوس[٤٩]، والعيون المهمة مثل عين ديركي وعين باعذرا والجراحية، فضلاً عن العيون الموجودة على امتداد الخوصر مثل عين بَقْرَة وداشقوتان وكرماوه ورخصه وخوشابا والنفيرية وسندانك[٥٠]، وكلاته (كلاته فرحان)، وعيون جبل مصري (جبل بعشيقة)، فضلاً عن ذلك فالمنطقة تتسلم معدل أمطار عالي يبلغ (٢٥٠-٢٥٠٠ملم)[٥١]، ويعدّ نهر الخوصر هو المجرى الرئيس للتصريف للعديد من الوديان التي تصب مياهها فيه لاسيما حوض وادي النفيرية وحوض وادي سندانك[٥٢] اللذان يقطعان الجزء الشرقي لتكوين قند ويقعان ضمن نطاق هذه الدراسة.

لقد استغل المهندسون الآشوريون هذه التكوينات الطبيعية وهذه العيون حيث وجهت المياه إلى هذه الوديان، أو مجرى الخوصر الرئيس عن طريق قنوات حفرت في الأرض السهلية، إذ لا زالت بعض العيون تنبع بكميات جيدة في حين جف قسم كبير منها ولاشك أن المنطقة قد شهدت أكثر مما هي عليه اليوم.

إلى جانب ما ذكره الباحثان توجد عيون أخرى لم يذكروها مع أنها تنبع بالقرب من تلول أثرية أو تجري بقربها. فلابد وان استغل المهندسون الآشوريون مياه العين المعروفة بعين تل يمثا[٥٣]. وهي عين

غزيرة المياه تنبع من السفح الغربي لتل يمثا الواقع على بعد(٥ كم) شرق بلدة تلكيف، والتي كانت الى اربعينيات القرن الماضي من المصادر المهمة لتزويد تلكيف بالمياه[٥٤]. وهي تصب في وادي ينحدر قليلاً إلى الشرق حيث ينتهي في نهر الخوصر، وان غزارة مياهها قد دفعت المهندسين إلى استغلالها عبر قناة[٥٥].

وتذكر المصادر السريانية وجود عين ماء قديمة، كانت تنبع من شمال تللسقف من الأراضي الواقعة بين قرية دوغات وقرية شريسكة. كان ماؤها يجري إلى بلدة تللسقف عن طريق قناة تتمثل بقايا مجراها بالمجرى المعروف عند أهل البلدة باسم (شقيثا). وهي تمر جنوب تل تللسقف الأثري، وكانت تصب ماؤها في الخوصر جنوب تللسقف[٥٦]. وإجمالاً لتفاصيل هذه المرحلة نقول:-

إن بعد ذكر سنحاريب أسماء المدن التي أجرى مياهها، يذكر أنه حفر (١٨) قناة تصب مياهها مباشرة في مجرى الخوصر، ولم يذكر بأنه جمع هذه القنوات الثمانية عشرة الصغيرة في قناة ناقلة واحدة أجراها إلى الخوصر. ثم يذكر بأنه أجرى من موقع كيسري إلى أواسط نينوى المياه أي أنه أقام من موضع كيسيري قناة أخرى أجرى فيها المياه. وهذه تمثل ذكراً للمرحلة الأولى التي أشار إليها سنحاريب في أعماله الأروائية في سنة (٧٠٢ ق.م) وهي نفسها القناة التي أشار إليها الباحثون بأنها كانت تسير على الضفة الغربية لنهر الخوصر والتي يسميها سنحاريب هنا في النص" بقناة سنحاريب".

٢- منحوتة جديدة

في عام٢٠١٤ واثناء زيارة الباحث لمنطقة فايدة والى الجنوب من اللوحين التي كان قد ذكرها جوليان ريد[٥٧] بمسافة (٥٥٠م) تم التعرف الى مشهد لمنحوتة على شبه كبير بالمشهدين الذين ذكرهما ريد وهو بحالة ممتازة يبلغ عرضهِ (٤,٥٣ م) وما يظهر منه حوالي (٤٠سم)- ينظر الصورة رقم(٦)- والباقي لازال مطموراً وتظهر قبعات لآلهة عددها خمس وهذهِ هي الاشارة الأولى له اذا لم يذكرهُ احد قبلنا[٥٨] – ينظر الصورة رقم(٧)-.

خلال زيارة جوليان ريد للموقع في السبعينيات اشار الى وجود قناة حفرت على جانب الوهدة الصخرية واشار إلى أن عرضها يبلغ (٣,٢٠م) عند اللوحين[٥٩] من دون معرفة مقدار عمقها- ينظر الصورة رقم (٨).

بعد الزيارة الميدانية للموقع تأكد لنا أن القناة لم تستمر في هذا العرض على هذه الوتيرة بل يظهر أن المهندسين الآشوريين قد استغلوا ما امكن استغلاله من المنحدر ومن درجة انحداره في كل نقطة. ويظهر ان حفراً غير منظم قد جرى فيها فظهرت أبعاد العرض والعمق ففي الوقت الذي بلغ عرضها (٣,٢٠م) عند اللوحين؛ فقد بلغت على بعد (٥٠٠م) إلى الجنوب منها (٣م) بعمق (١,٠٢م) كما يظهر في الصورة رقم (٩). وقد بلغت على بعد (٥٠٠م) اخرى جنوباً أيضاً (٣,٦٠م)، وذلك بالتحديد قبل المشهد المنفرد من دون معرفة عمقها.

٣- اسم جديد(قناة خنداقي)

تنتشر ضمن عقار بلدة القوش وقرية بهندوايا العديد من اسماء التلول والاراضي والوديان التي تحمل في مدلولها اشارة لعناصر تتصل بالمياه والري مثل خنداقي[٦٠]- خبراثا- ونيراكبي[٦١] فضلاً عن أخبار وحكايات مرتبطة بهذه المواقع تتعلق بعمل عظيم لأحد الملوك الآشوريين السابقين واسطورة تتعلق بمشروع ري قامت به ملكة تدعى شيرو ملكثا وهو ليس عند السكان المحليين سوى صيغة مصحفة عن شميرام المخففة من (شمورامات) الملكة الآشورية[٦٢].

ما أظهرته سابقاً صور قمر كورونا من وجود تكوين أرضي اصطناعي من عمل الإنسان ذا نسق رائع وجميل – ينطر الصورة رقم (١٠)- يمثل قناة مائية مبدئها يكون إلى الجنوب من قرية بهندوايا الحالية، بلغت أبعادها (١٠٠م) عرضاً مع طول يبلغ (٥كم) وعمق يتراوح بين(١٥-٢٠م)[٦٣] والتي اطلق عليها الباحثون قناة (بهندوايا – ملح) يطلق أهالي القوش وبهندوايا على الاراضي التي حفرت فيها هذه القناة تسمية متوارثة هي "خنداقي" وهي تمتد في مقاطعات عقار القوش الآتية:-

(مقاطعة ١٤ بهندوايا إلى مقاطعة ٦٥ القوش الغربية، ومقاطعة ٦٧ القوش الجنوبية، ومقاطعة ٥٨ حتارة الشرقية)[٦٤]. وتذكر المصادر أنها قديماً كانت تحوي على العديد من القرى القديمة التي اندرست اليوم منها قرية " خبرا بيث دكالي" وقرية "خبرا بيث عكيل[٦٥]. وعلى الرغم من اعتماد الباحث جيسون اور وغيره على صور كورونا في الكشف عن هذه البقايا الا ان اي منهم لم الكشف عن حال هذه البقايا في الوقت الحاضر. من خلال برنامج Google Earth تم تثبيت بقايا قناة خنداقي وغيرها من القنوات وهي لا زالت تلاحظ عند التدقيق في التضاريس الارضية الظاهرة في البرنامج كما يظهرفي الصورتين رقم (١١) و (١٢).

الهوامش:

(١): فؤاد جميل،" لمحات من الحياة الاقتصادية لدى سكان العراق القديم "، مجلة الاقتصاد، العدد١٠ (تشرين الاول ١٩٧١)، ص٤٤. وكذلك

Stephanie Dalley, "Water management in Assyria from the ninth to the Seventh centuries B.C ", ARAM 13.14 (2001-2002), p.452.

(٢): سامي سعيد الاحمد، " المدن الملكية والعسكرية"، موسوعة حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ج٢، ص١٦٠.

(3): Julian Reade, studies in Assyrian geography part II: Notes on the inner provinces", RA, 72 (1978). p.174.

(٤): فوزي رشيد، "مقومات نظم الري في العراق القديم"، الري عند العرب، (بغداد: مركز أحياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٩)، ص٩١ .

(5): David Oates , studies in the ancient history of northern Iraq, 2ed, (London: British school of archaeology in Iraq, 2005).p.51.

(٦):نهر الخوصر: نهر موسمي يستمد مياهه من مناطق تغذيته حول الموصل ويمكن حصره جغرافياً بين مدينة الموصل وجبل مقلوب شرقاً ومرتفعات الشيخان والقوش شمالاً ونهر دجلة جنوباً. تبلغ مساحة حوضه (٦٤٠كم٢) ورد ذكره في النصو ص الاشورية في نصوص تغلاتفلاصر الاول (١١١٥-١٠٧٧ق.م) بصيغة (Husir) ونصوص سنحاريب بصيغة (Husur) وأُشير الى ان الخوصر اسمه بالأصل (خا- و- اسر) بمعنى احد عشر باللغة الارامية لان هذا النهر يتكون في منشأه من (١١) نبعاً صغيرا. يخترق الخوصر اطلال مدينة نينوى من شرقها الى غربها عابراً سورها الشرقي بمحاذاة بوابة انليل ومنها نحو تل قوينجق حيث يكون التواؤه عند سفح التل ليصب اخيرا في دجلة. للمزيد عن نهر الخوصر وتاريخه ينظر :-

عبد الرحمن يونس عبدالرحمن،" نهر الخوصر في المصادر المسمارية "، مجلة اثار الرافدين، مجلد ١، عدد ١(٢٠١٢)، ص١٥٨-١٧٦.

(٧): قحطان رشيد صالح، الكشاف الاثري في العراق، (بغداد: المؤسسة العامة للأثار والتراث، ١٩٨٧)، ص٨٥.

(٨): محمود الأمين، استكشافات اثرية في شمال العراق، سومر، مج٤، ج١(١٩٤٨)، ص١٨١.

(9): Layard, Discoveries among the ruins of Nineveh and Babylon, (London: 1856), p.216.

(10): Thorkild Jacobsen and Seton Lloyd, Sennacherib's aqueduct at Jerwan, (Chicago: 1935), p.4.

(١١): نشره في كتاب مستقل بالفرنسية تحت عنوان:

L' Inscription de Bavian, Texte, Traduction et commentaire philologique, (Paris: 1879).

(12): Jacobsen & Lloyd ,Sennacherib's aqueduct….., p. vii.

(13): Ibid, p. vii.

(١٤): ماكس مالوان، مذكرات مالوان، تر:سمير عبد الرحيم الجلبي، (بغداد: دار المأمون للطباعة والنشر،١٩٨٧)، ص٨٧. الجيلة: قرية مندثرة كانت تبعد حوالي (٢كم) عن اسوار نينوى اصبحت اراضيها في الوقت الحاضر ضمن حي البريد بعد التوسع العمراني لمدينة الموصل عرفت بهذا الاسم لأنه ينتشر في هذه المنطقة نوع من الطين الناعم ذو النقاوة العالية والذي يستعمل في بعض الأحيان لغايات طبية.

(15): R .Campbell Thompson and R.W. Hutchinson, A century of exploration at Nineveh, (London :1929), p.132.

(١٦): منحوتة شيرو ملكثا: تقع منحوتة شيرو ملكثا على بعد (١,٥ كم) عن قرية بهندوايا باتجاه الشمال الغربي منها، التي تقع بدورها إلى قرب من بلدة القوش بحوالي (٥,٥ كم) عند فتحة الوادي المعروف بـ "كلي بهندوايا" في جبل القوش. وهي تصور الملك سنحاريب(٧٠٥-٦٨١ق.م) للدلالة على مشروع اروائي قام به في نهر بهندوايا.

(١٧): الأمين، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(18): David Oates, studies in the ancient history of northern Iraq, 2ed, (London: British school of archaeology in Iraq, 2005).p.52.

(١٩): جبل القوش: ويعرف أيضاً بجبل" بيث عذري-باعذرا - "يقع إلى الشمال من مدينة الموصل بحوالي (٤٥كم) يمتد من الشرق إلى الغرب فهو يبدأ من وراء خنس قريباً من نهر الكومل وينتهي غرباً عند قرية دهكان ،- بضمن جبل دهكان ينتهي عند فايدة - . يبلغ ارتفاعه (٧٠٠-١٠٠٠م)، ويعرف هذا الجبل بأسماء محلية نسبة إلى القرى التي

تحاذيه، فيعرف بجبل القوش وجبل عين سفني وجبل سدك، فيه ينابيع تسقي بعض قراه إلا أن الجبل عموما يغلب عليه القحل والجفاف [كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية تاريخية اثارية في شرق الموصل، سومر، عدد ١٧(١٩٦١)، ص٦٩]. فايدة: هي مركز ناحية فايدة. تتبع إدارياً إلى قضاء تلكيف في محافظة نينوى، تقع على بعد حوالي ١٦كم إلى الشمال الغربي من بلدة تلكيف.

(20): Julian Reade, studies in ….., I,

(٢١): الأمين،" استكشافات أثرية .....، ص١٨٨.

(٢٢): المصدر نفسه، ص١٨٦.

(٢٣): بنيامين حداد، القناة الغربية لمشروع سنحاريب الاروائي، مجلة بين النهرين العدد(٩٧) العدد الخاص، السنة ٢٥ (١٩٩٧)، ص٧٩.

(٢٤): جميل يلدا حيدو،" شيرو ملكثا بين الاسطورة والواقع" ، مجلة الكاتب السرياني، العدد ٢٠-٢١(٢٠٠١)، ص٢٨-٣١.

(٢٥): منذر حبيب كله، عطاشى على ضفاف الانهار، مجلة شراغا، السنة ٥(٢٠٠٨) العد١٩-٢٠، ص

(26): Jason Ur, Sennacherib's northern Assyrian canals, New insights from satellite imagery and aerial Photography", Iraq, 67(2005).

(27): Jacobsen & Lloyd, op.cit, p.36.

(28): Ariel Bagg, "Irrigation in northern Mesopotamia water for the Assyrian capitals 12^{th} -7^{th} centuries B.C", Irrigation and drainage systems, vol: 14, No.4(Nov 2000),p.318.

(29): Ibid, p.319.

(٣٠): تقع ترجمة نصوص جروانة تقع ضمن الصفحات ١٩-٢٧ من الكتاب الذي اصدراه.

(٣١): فيما يلي استعراض لابرز للدراسات التي تناولت ترجمة النصوص المسمارية الخاصة بالملك سنحاريب:

A. H. Pognon, L' Inscription de Bavian, Texte, Traduction et commentaire philologique, (Paris: 1879).
B. D.D. Luckenbill, Ancient records of Assyria and Babylonia, (Chicago: 1927), vol: II .
C. Alexander Heidel," The Octagonal Sennacherib prism in the Iraq museum, Sumer, vol :9 (1953) .
D. A. Kirk Grayson and Jamie Novotny, The Royal Inscriptions of Sennacherib, King of Assyria (704-681 BC),(Indiana: 2012-2014),I, II,

(٣٢): يعرف هذا القصر بين الآثاريين باسم " قصر سنحاريب " او " القصر الجنوبي الغربي " للمزيد ينظر:-

Richard D. Barnett , & Evika BLeibtreu , Sculptures form the southwest palace of Sennacherib at Nineveh,(London : British Museum, 1998).

(٣٣): كيسيري : تلفظ (kisir) وتعني سد حاجز على ضفة النهر، كتل من الحجر مرصوفة [CAD, vol :9, p.422]. واشار الاستاذ سفر الى ان الكلمة ذات اصل سومري استعارها الاكديون ثم الاشوريون وهي تتألف من "كي" بمعنى ارض و"سير" بمعنى سور، فهي لذلك تعني الارض المسورة [عواد، المصدر السابق، ص٩٤-٩٥]. وقد طابقها الباحثان جاكسون ولويد موقعها مع التل المعروف" بتل يمثا". تل يمثا : تل كبير يتوسط المسافة تقريباً بين قصبة تلكيف ونهر الخوصر يبعد حوالي (٤كم) شرق تلكيف – اقل من ذلك بعد التوسع السكاني – و(٥كم) غرب الخوصر.[نجاة يونس التوتونجي، ويوسف ذنون،" دنانير ذهبية من تل يمثا "، سومر، ٤٩ (٩٧-١٩٩٨)، ج١و٢، ص٣١٣]. يقع في وسط ارض سهلة، تتبع من سفحه الغربي عين ماء غزيرة قل ماؤها اليوم تعرف بالاسم

نفسه–عين تل يمثا –.[ميخائيل ججو بزي (القس)، بلدة تلكيف ماضيها وحاضرها، (الموصل: مطبعة الجمهور، ١٩٦٩)، ص٢٣].

ان منطقة تل يمثا تحتوي بالأحرى على اربعة تلول اثرية تختلف فيما بينها في المساحة الارتفاع وللتمييز بينها اضاف الأثريون رقماً لكل منها اصغرها(يمثا ٤). وتجعل الباحثة نجاة التوتونجي (تل يمثا ١) الذي هو اوسع التلول الاربعة هو موقع كيسيري.[نجاة يونس التوتونجي، "التنقيب في تل يمثا "، سومر، ٤٧(١٩٩٤–١٩٩٥)، ج١و٢، ص٤١–٤٢]. يبلغ ارتفاع (تل يمثا١) ٢٠متراً بمساحة تبلغ(١٥٠٠م).[بزي، المصدر نفسه، ص٢٣]. وقد اظهرت التنقيبات ان (تل يمثا ١) موقع يحتوي اثار لعصور عديدة، اما (تل يمثا ٢) فالأثار التي اظهرتها التنقيبات جميعها ترجع الى الفترات الاسلامية .

(٣٤): بالاعتماد على اشارة سنحاريب الى نهر الخوصر لا يمكن عدّه كما هو اليوم نهرا موسميا بل كان دائمي الجريان كما يظهر في النص. وان كان يجري في مستوى واط.

(35): Jacobsen & Lloyd , op.cit, p.34.

(36): ARAB, vol: II, p.170. ; Alexander Heidel ," The Octagonal Sennacherib prism in the Iraq museum", Sumer, vol :9(1953),p.167.

في اشارة له الى القطن الذي كان معروفا في منطقة الخليج العربي في عصر يسبق دخوله للعراق، إذ كانت هذه المنطقة على اتصال بالهند حيث موطن القطن الأصلي عند بداية الألف الثاني ق.م [سامي سعيد الاحمد،" الزراعة والري" ، موسوعة حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ج٢، ص١٦٤]، ويشير كذلك الى أن الآشوريين قد بدأوا بزراعته أول الأمر في منطقة التجمعات المائية التي استحدثوها عند منطقة بحزاني شمال شرق نينوى.[سامي سعيد الاحمد،" الزراعة والري في العراق القديم "، ندوة الري والزراعة عند العرب ٢٧–١٩٨٨/١/٢٨، (بغداد: مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨)، ص١٥].

(٣٧): جبل مصري: كان يعتقد بان جبل مصري يتمثل بجبل مقلوب "جبل دير مار متي" وهذا الرأي كان قد طرحه فورر (Forer)، كما اعتقد كامبل تومبسون أن اسم جبل مقلوب مشتق من اسم القرية التي استملكها الملك سرجون (ماكانوبا) ينظر: [نائل حنون، مدن قديمة ومواضع أثرية دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الاشورية، (دمشق: دار الزمان،٢٠٠٩)، ص ص١٧٠، ١٨٨]. كما كان الباحث اولمستد قد طرح رأيا بأن جبل مصري يتمثل بجبال مزوري قرب اتروش في اعالي نهر الكومل بالاعتماد على التقارب اللفظي كغيره من الباحثين ممن اتبع هذا الاسلوب.

[A .T .Olmstead , History of Assyria, 2ed ,(Chicago:1960), p.332].

أما التحديد الصحيح لهذا الجبل أنما يتمثل بجبل بعشيقة وهي السلسلة الجبلية الواقعة الى الشمال الشرقي من مدينة الموصل بحوالي (٣٠كم). عرفت بهذا الاسم نسبة إلى بلدة بعشيقة التي تقع في سفحه الجنوبي. هذا الرأي طرحه الباحثان جاكبسون ولويد خلال تناولهما لمشروع سنحاريب الاروائي وقد توصلوا اليه بفضل كتابات الملك سرجون واشارته بأنه قد بنى مدينته دور شروكين اسفل جبل مصري.

(٣8): Jacobsen & Lloyd, op.cit, p.36.

(٣٩): نهر الكومل: نهير واسع نوعاً ما أصبح اليوم قليل المياه جداً. تتجمع مياهه من عدة ينابيع في جبال المزورية على امتداد القرى دزي، أساس، برهتون، كريم اوه، مكيرس، ديرة خطرة، شهيا، هارونة، كوخي وخنس. التابعة لناحية اتروش، يبلغ طوله (٦٠كم) ويصب في نهر الخازر أحد روافد الزاب الأعلى عند قرية بيران بالقرب من جبل مقلوب [منذر كله ، "الاثار الآشورية في خنس وموقعها الأثري نهر الكومل"، مجلة شراغا، السنة (٢)، عدد ٥،(

ك٢ ٢٠٠٥)، ص ٤٨]. يشغل حوض نهر الكومل مساحة(٩٣٥,٥٨ كم٢) ممتداً عبر أراضي محافظتي نينوى ودهوك. [علي عبد عباس العزاوي، ورائد محمود فيصل،" العلاقة المكانية بين البيئة الطبوغرافية والمراعي الطبيعية لحوض نهر الكومل شمال العراق باستخدام الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية "، مجلة التربية والعلم، مجلد ٢٠، العدد ١١(٢٠١٣)، ص ٣٨٥]، يسقي مزارع كثير من القرى، وقد ورد في معجم ياقوت الحموي بصيغة" جومل " [عواد ،" المصدر السابق، ص٩٤].

(40): Jacobsen &Lloyd, Sennacherib's aqueduct….., p.36-39.

(41): Ibid, p.39.

(٤٢): دور عشتار: مدينة طابقها الباحثان جاكبسون ولويد مع بلدة بحزاني الواقعة على بعد ١كم نحو بعشيقة [Jacobsen & Lloyd, op.cit, p.36]. في حين طابقها الباحث نائل حنون مع " تل مكنل" قرب بحزاني [حنون، المصدر السابق، ص١٧٤]. أما الباحث عامر عبدالله الجميلي فيعتبر بقاياها تتمثل في قرية الدراويش جنوب بعشيقة، ينظر:[عامر عبدالله الجميلي،" الجبال في الكتابات العراقية القديمة "، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد الخاص بأبحاث المؤتمر العلمي الخامس لكلية التربية ١٣-١٤/نيسان ٢٠١٢، ص٦١٧].

(٤٣): شيبانيبا: من المدن ذات الاهمية الاقتصادية خلال العصر الآشوري (٩١١-٦١٢ ق.م) حتى عرفت إحدى بوابات نينوى بالبوابة التي تتجه نحو مدينة شيبانيبا والموجودة في الضلع الشرقي من الاسوار. طابقها العديد من الباحثين مع الموقع المعروف اليوم باسم "تل بلا" ويقع هذا التل على بعد اكثر من(١,٥كم) عن بعشيقة ويعدّ من التلول الكبيرة في العراق إذ تبلغ رقعته أكثر من ٣٠ فدان [عواد، المصدر السابق، ص٦٠]. وكان "تل بلا" احد التلول التي حفر منها لايارد المجسات والانفاق خلال المدة ١٨٤٩-١٨٥١[عامر سليمان، أكتشاف مدينة تربيصو الاشورية، أداب الرافدين، عدد (١٩٧١)، ص١٧، هامش ١١] .

(٤٤): سولو: مدينة اقترح الباحثان جاكبسون ولويد الموقع الاثري المعروف باسم "موصل تبه" شمال غرب بلدة بحزاني، ينظر:

Jacobsen & Lloyd, op.cit, p.36.

(45): Jacobsen, &Lloyd, op.cit, p.36. And also
Bagg ," Irrigation northern…..", p.318.

(46): Bagg, " Irrigation northern ….", p.317.

(٤٧): من اهم تلك العيون هي العيون النابعة من أراضي قرية بيوس المهجورة فقسم من تلك العيون تشكل نهير باعذرا الذي يخترق قرية باعذرا ويسقي فيها البساتين والمزارع ثم تجري المياه الزائدة منها في وادي يعرف أيضاً بوادي باعذرا. أما القسم الآخر من العيون النابعة من بيوس فتتجمع في مجرى مائي يطلق عليه" روبال بيوس" ويجري جنوباً حتى يتصل عند التل الأثري في الجراحية بساقيتها ويستمر بالجريان جنوباً حتى يصل قريباً من قرية النفيرية التي ينضم إلى هذا الروبال قبل أن يصل إليها نهيران صغيران أحدهما قادم من قرية عين بقرة وآخر من محيط بيبان. عند وصوله إلى قرية النفيرية يدعى ب" روبال النفيرية" ومنه يجري جنوباً حتى يتصل بالخوصر عند قرية كلاته وقد جف هذا الروبال عام ٢٠٠٢. ويعرف هذا القسم من الخوصر "بالخوصر الأعلى" وينضم إلى مجرى الخوصر الرئيسي أسفل قرية كلاته فرحان فرع صغير قادم من قرية شفشرين وهو الفرع الذي عدّه الباحثان لويد وجاكبسون الفرع الرئيس للخوصر في أيام سنحاريب. وإلى الشمال من خورسيباد يصب في الخوصر نهر صوباشي الذي يعتبر أحد روافد الخوصر وينبع من المنطقة التي تتوسط جبلي بعشيقة ومقلوب. [الباحث].

(٤٨): تلول قند أو جبل قند أو طية قند أو تكوين قند: هي عبارة عن تلال مرتفعة منحوتة شبه منعزلة بفعل أعمال التعرية التي تسببها سيول الأمطار والرياح وتتخللها وديان عميقة [ميادة صبحي جودي ونور ضياء بدر،" تقسيم صلاحية

أطياف تكوين انجانه والمقدادية لأغراض صناعة الطابوق في تلول الكند محافظة نينوى "، مجلة الجيولوجيا والتعدين العراقية، المجلة (٨)، العدد (١٢) ٢٠١٢، ص٣٤]. يقدر طولها بحوالي(٢٢,٥ كم) وعرضها يتراوح بين(٢,٥ و ٤,٥ كم)، وتقع إلى الشمال من مدينة الموصل على بعد (٣٥كم) وتتبع إدارياً إلى قضاء تلكيف/ محافظة نينوى [حكمت صبحي الداغستاني، عامر داود نادر، وريان غازي البناء، "جيومرفولوجية تركيب قند شمال العراق باستخدام معطيات التحسس النائي" ، المجلة العراقية لعلوم الأرض، المجلة (٤)، العدد (١)٢٠٠٤، ص٥٨-٥٩]. لذلك فهو تكوين مستعرض من الشرق إلى الغرب أي من قرية دوغات وخوشابا في الشرق إلى أراضي قرية حتارة في الغرب، يخترق هذا التكوين رأس وادي الملح من منتصفه تقريباً صواب قرية الشرفية. أما من الشرق فيخترقه واديان كبيران يجتمعان ليشكلا نهر الخوصر وتستمد هذه الوديان مياهها من جبل القوش [كله، المصدر السابق، ص ٦٧].

(٤٩): بيوس: قرية تقع على سفح القوش الجنوبي على بعد (١٥ كم) شرق بلدة القوش، تتبع من أراضيها العديد من العيون وهي مهجورة اليوم بسبب مرض الطاعون الذي اجتاحها ١٧٣٨م كان يسكنها المسيحيون ويسكن من بقي منهم في بلدة القوش التي هاجروا إليها إلى اليوم [منذر كله "بيوس القرية المنسية"، مجلة شراغا، السنة (٢)، العدد٦(نيسان ٢٠٠٥)، ص٢٦- ١٢٥]. وهي تقع إلى الشمال من قرية الجراحية.

(٥٠): جميع هذه القرى تقع في محيط تكوين قند.

(٥١): كله، المصدر السابق، ص٦٠.

(٥٢): كما ذكر فهذه من الأحواض الثانوية لنهر الخوصر، تبلغ مساحة حوض سندانك ٢٠٠ كم^{٢}. أما حوض النفيرية يبلغ ٣٢٠كم^{٢}. مهدي الصحاف وكاظم موسى الحسن،" هيدرمورفومترية حوض رافد الخوصر دراسة في الجيومورفولوجيا التطبيقية "، الجمعية الجغرافية العراقية، العددان ٢٤و٢٥(نيسان١٩٩٠)، ص٤٢.

(٥٣): عين تل يمثا: لفظة " يمثا" آرامية تعني البحيرة فيكون لذلك المعنى تل البحيرة وهو تأكيد على غزارة مياهها [يوسف هرمز جمو، أثار نينوى او تاريخ تليكف، (بغداد: مطبعة الامة، ١٩٣٧)، ص١٦].

(٥٤): بزي، بلدة تلكيف.... ، ص٢٣.

(٥٥): التوتونجي، التنقيب في تل يمثا، ص٤٢.

(٥٦): قرياقوس حنا (الاب)، قرية تللسقف بين الماضي والحاضر، مجلة قالاسريايا (الصوت السرياني)، العددان ١٩-٢٠ (آب ١٩٧٨- كانون الثاني ١٩٧٩)، ص٩٠. إذ وردت الإشارة إلى هذه العين عن ذكر قيام رهبان" دير افني مارن" بحفر بئرين بعد أن جفت العين التي كان يجري مائها للقرية بواسطة ساقية. وكانت من الغزارة إن كانت تدير رحى خاصة في الوضع المسمى "مدكي" وترتبط بهذه العين حكايات شعبية للمزيد ينظر: حنا، المصدر نفسه، ص٩١ وما بعدها.

(٥٧): يظهر ان حفراً غير نظامي قد جرى بجانبه قبل فترة ليست بالبعيدة والمشهد الان أصبح عرضةً لعوامل التعرية.

(58): Reade, "Studies……", p.162

(٥٩): عدّت هذه الابعاد انها تمثل عرض القناة على طول مجراها عند ريد، ينظر:

Reade, "Studies……", p.162.

وتبعه في ذلك العديد من الباحثين ومنهم:

Wilkinson & others, p.29.

Ur, " Sennacherib's northern…….", p.328 .

(٦٠): خنداقي: نسبة إلى الخندق الاصطناعي (يقصد به القناة) المحفورة وسلسلة الكنود أو التلال الصغيرة المتصلة على ضفتيها. وهي لفظة محلية تعطي معنى كلمة (خندق) نفسه بالعربية. كما تعرف هذه المنطقة أيضاً ب(خبراثا) والتي تعني بلهجة السورث (الحفر) بصيغة الجمع [حيدو،" شيرو ملكثا بين الاسطورة...."، ص٣٠] .

(٦١): نيراكبي: إن لفظة نيراكبي محرفة من كلمة (نهرا كبا) بمعنى النهر الجاف. [لطيف بولا، " قرية بسقين "، مجلة شراغا، العدد (٦)، السنة الثانية(نيسان ٢٠٠٥)، ص٤٢].

(٦٢): أدمون لاسو، شيرو ملكثا أثر واسطورة، (نينوى:٢٠١١)، ص٧-٨. اورد الباحثان جورج حبيب والمطران يوسف بابانا اسطورة تتلخص بان شيرو ملكثا كانت ملكة خيرة تفكر بإقامة المشاريع فأرادت أن توصل المياه إلى القوش لإنقاذها من العطش بتحويل مياه نهير بهندوايا فأمرت وزيرها ان يتولى حفر قناة تحقق هذا الهدف. فيبدأ هذا الوزير بالعمل، ويحفر في الأرض السهلية مع العلم أن الملكة كانت قد حذرته من أن الحفر في هذه الأرض السهلية لكونها لا تصلح أن تكون صدراً للقناة بل الحفر في صخور الجبل.

فقام لأجل ذلك رهان بينها وبين هذا الوزير، اقترحه الوزير خوفاً من افتضاح أمره بعد أن بان صواب رأي الملكة. وأدرك خطأ ما ذهب إليه، لذا لجأ إلى حيلة خبيثة فأمر عماله بجلب وفرش أطوال من القماش الخام الأبيض على شاطئ نهر بهندوايا. فما ان بدأت خيوط الفجر الأولى حتى ذهب حيث تقيم ليخبرها بوصول المياه إلى القوش فما أن نظرت حتى ابصرت خطاً ابيضاً يصل إلى القوش، فظنت أنها خسرت الرهان فقيل أن من شدة حزنها ماتت في لحظتها. للمزيد ينظر:-

جورج حبيب، "اسطورة من القوش"، مجلة التراث الشعبي، عدد (١) ، السنة (١)، (بغداد: ١٩٦٣)، ص٩٥. وكذلك[بابانا، المصدر السابق، ص٥٣٥]. ويلاحظ هنا مدى التشابه بين هذه الاسطورة والاسطورة التي أوردها الباحثان لويد وجاكبسون بخصوص مشروع ارواء نينوى [Jacobsen & Lloyd, op.cit, p.28]. على أن الماء عندهم يصل تلكيف وهو هنا يراد أن يصل القوش، فلابد لذلك أنها من أصل مشترك لاسيما وان كلا البلدتين من مراكز الامتداد الحضاري على مر العصور التي لازالت تحتفظ بطابع خاص.

(63): Ur," Sennacherib's northern……", p.331.

(٦٤): كله، المصدر السابق، ص .

(٦٥): يوسف بابانا، القوش عبر التاريخ، ط٢، (دهوك: ٢٠١٢)، ص ٥٢٦.

الصور:



شكل (١): منحوتات معلثايا كما تبدو من بعيد – عدسة الباحث –.



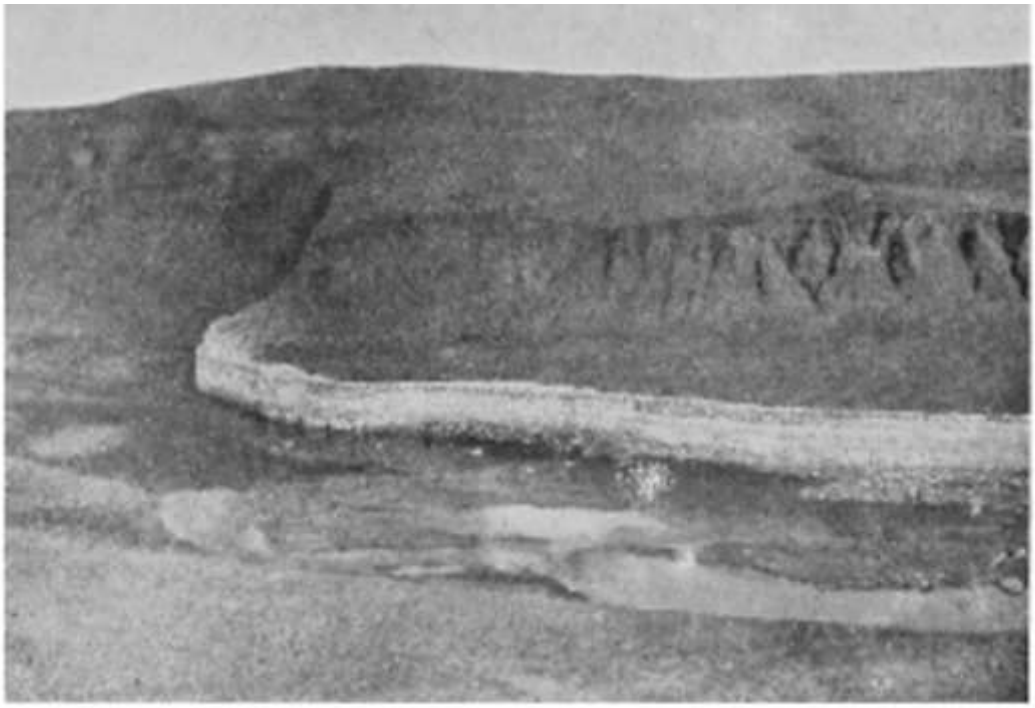
شكل (٢): لوحة سنحاريب.



شكل (٣) منظر عام لبقايا عبارة جروانة ٢٠١٤- عدسة الباحث-.



شكل (٤): بعض الكتابات المسمارية على احجار العبارة – عدسة الباحث –.



شكل (٥): سد الجيلة (١٩٢٧). عن:
Thompson & Hutchinson, A century ….., Pl. V a



شكل (٦): المشهد المكتشف حديثاً – بعدسة الباحث–.



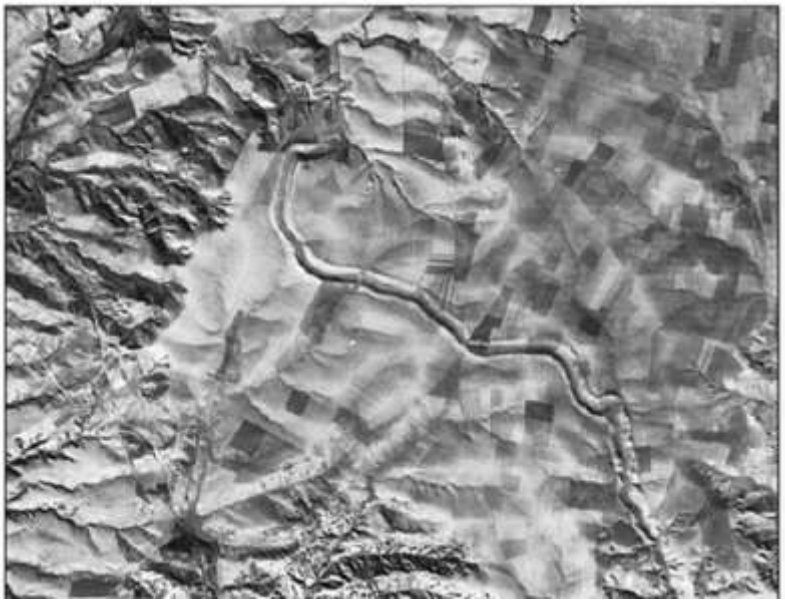
شكل(٧): صورة مقربة من المشهد المكتشف وتظهر فيه قبعات لموكب الالهة – بعدسة الباحث–.



شكل(٨): منظر لقناة فايدة (بداية الساعدة الجبلية الثانية) باتجاه الجنوب الشرقي نحو بهندوايا – بعدسة الباحث –.



شكل (٩): قناة فايدة وتظهر ابعادها (العرض+ العمق) الساعدة الجبلية الثانية – بعدسة الباحث –.



شكل(١٠): صورة لقناة خنداقي (قناة بهندوايا- ملح عند الباحثين الاجانب) التي التقطها قمر كورونا ١٩٦٩.



شكل (١١): قناة خنداقي كما تظهر في برنامج Google Earth- إعداد الباحث-.



شكل (١٢): صورة مقربة لقناة خنداقي في برنامج Google Earth – إعداد الباحث-.

أعمدة هرقل (جبل طارق)

قاعدة بحرية عربية إسلامية ٩٢-٨٦٦هـ/٧١١-١٤٦٢م

أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد

قسم التاريخ

أعمدة هرقل (جبل طارق) قاعدة بحرية عربية إسلامية ٩٢-٨٦٦هـ/٧١١-١٤٦٢م

أ.م.د.خليل جليل بخيت القيسي

الملخص :

كانت أعمدة هرقل كما كانت تسمى لدى الرومان من أهم الممرات البحرية للمبراطوريات الغربية الاوروبية سواء كانت يونانية أو رومانية أو بيزنطية شرقية ، ومن خلال هذا الممر المائي كانت تعبر الجيوش والاسلحة والمؤن وتشن الحروب على بلاد العرب ومنها بلاد المغرب الاسلامي وبعد ظهور الاسلام والدعوة الى الدين الجديد الذي انزله الله تعالى سبحانه على نبينا محمد (صل الله عليه وأله وسلم) الذي كان ولا يزال من اهم اهدافه العدل والمساواة بين البشر ودفع العدوان ، وبعد عمليات الفتح وصلت الجيوش الاسلامية الى بلاد والمغرب في سنة (٢١هـ/٦٣٣م) فتم تحرير مدينة طرابلس وبعد حروب وحملات عسكرية طويلة خضعت بلاد المغرب للعرب المسلمين ودخلوا جميعاً في الدين الاسلامي في عهد الوالي الكبير موسى بن نصير ، وبعد ان دانت المغرب له اتجهت انظاره الى بلاد الأندلس او شبه جزيرة الايبرية ، فاطلق يد قائده الكبير طارق بن زياد لفتح بلاد الاندلس ، فعبرت جيوش المسلمين من عرب وبربر ذلك الزقاق الضيق الذي لا يتجاوز عرضه ١٦ ميلاً فأول ما استولوا عليه اعمدة هرقل وجزيرة طريف لتكون قاعدة لأنطلاق الجيش الاسلامي فتم له الفتح وأخضعت الاندلس أغلبها للمسلمين وبقيت ثمان قرون تحت الحكم العربي الاسلامي ، وتسمى ذلك الجبل بأسم الفاتح طارق بن زياد والذي يعد ممراً بحرياً اسلامياً لطول تلك المدة فحافظت الدول المتعاقبة على حكم المغرب والاندلس على هذا الممر البحري الى أن اصابها الوهن والضعف فسقط جبل طارق سنة (٨٦٦هـ/١٤٦٢م) بيد ملك قشتالة هنري الرابع وبذلك فقد العرب ذلك الممر البحري الدولي المهم .

HERCULES PILLARS (GIBRALTAR)A NAVAL PASSAGE DURING THE ISLAMIC AGES (92 A.H.- 866 A.D./711 A.H.- 1466 A.D.)

Hercules Pillars as Romans were calling them were of the important naval passages for the western European empires whether the Grecian , Roman and astern Bizantic empires. Through this naval passage armies, arms, ammunitions and invasions launch on the Arab land, of it is the Meghreb Arabic country. After Islam and the call for the new religion which of its important goals are fair and equality.

After the freeing and coquesting operations, the Islamic armies reached to the Maghreb country in 22 A.H., where Tripoli freed. After 67 years of military action, the Meghreb country subdued to the Islamic religion in the reign of the just great ruler Musa ibn Nusair, directed his sight to Andalus country or Iberian peninsula, so he put all matter in hands of his great leader Tarik ibn Ziad who crossed by his Muslim armies of Arabs and berber; first of all he conquested Hercoles Pillars and Tarif peninsula to be the base of launching Arabic armies on along 8 centuries, so this mountain named Tarik ibn Ziad till our days. This mountain fall in the hand of Henry iv, king of Castile in the year 866 A.H./ 1492 A.D., after the Islamic country became weak, therefore Arabs lost the most important international naval passage.

المقدمة :

منذ أن نزل المسلمون في جبل طارق ٩٢هـ/٧١١م إلى أن احتله الاسبان النصارى عام٨٦٦هـ/١٤٦٢م اتخذت الدول الإسلامية المتعاقبة في الأندلس والمغرب الجبل قاعدة عسكرية ومعقلا مهمة باعتباره مفتاحاً لشبه جزيرة ايبرية من الجنوب ونقطة تحكم في حركة الملاحة عبر مضيق جبل طارق أو بحر الزقاق ، سواء أكان العبور من عدوة المغرب إلى الأندلس أو بالعكس. وكان الجبل أول بقعة اسبانية نزلها الفاتح الشهير طارق ابن زياد ، ومن الجبل بدأ الفتح العربي المظفر للأندلس .

وصف الجغرافيين المسلمين هذا الجبل بـ(الجزيرة) فيقول الاصطخري[١] " وبين طنجة وجزيرة جبل طارق من أرض الأندلس، عرضه اثنى عشر ميلاً ، ثم يتسع ... " وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ست اميال وهو جبلٌ منقطع عن الجبال ، مستدير في اسفله ، في نهاية البحر كهوف ، وفيها مياه قاطرة ، وبالقرب منه مرسى يعرف بـ(مرسى الشجرة)[٢] فجبل طارق شبه جزيرة في اقصى الطرف الجنوبي من اسبانيا ، ويبلغ طول شبه هذه الجزيرة حوالي ٤كم ونصف ، وعرضها كيلو متر ونصف ، وتبلغ مساحتها الكلية ٥كم مربعة ، وتبلغ أعلى قمة في الجبل اربعمائة وخمس وعشرون متراً فوق مستوى سطح البحر [٣].

واطلق الرومان على هذا الموضع المهم الي يربط بين البر الافريقي والبر الاوروبي أسم اعمدة هرقل، (PILLARS OF HERCUIES) [٤] ، كانت هذه الجزيرة الصغيرة دور مهم في التنقل والترحال والعبور والتجارة منذ زمن بعيد يعود الى عصور اليونانيين والقرطاجيين والرومان ومن ثم العرب والاسبان فهو الممر الذي عبرت من خلاله أقوام مختلفة ومتنوعة سواء من الجانب الاوربي أو من الجانب الافريقي وكل حسب مصالحه ومطامحه ، أما في الاستحواذ والسيطرة على الخيرات أو المنافع المادية كالتجارة وبناء المحطات التجارية ، كان العنصر الاوروبي دائما يعمل على السيطرة والاستعمار على الجهة المقابلة لهم واستغلال خيراتها واضطهاد سكانها ، أما الجانب الافريقي الذي تمثل بالقرطاجيين والفينيقيين القادمين من الشرق العربي والذين عبروا من خلال هذا المضيق الى الجانب الاوربي فكان هدفهم المنفعة الاقتصادية والتجارة الحرة وبناء مراكز تجارية في المدن الاوروبية للجزر البعيدة ، وذلك بهدف نشر الثقافة والاداب [٥]

وبعد زوال الحضارة المشرقية الكنعانية الفينيقية وبعد جروب طويلة مع الاوروبيين امتدت لعشرات السنين انتهت بالسقوط قرطاجنة عاصمة الفينيقيين على يد الرومان وسميت تلك الحرب بالحرب البونية الثالثة ، وذلك في سنة ١٤٩ق.م ، واستمر الاحتلال الروماني لبلاد المغرب قرون عدة الى أن بعث الله للبشرية الدين الاسلامي على يد رسوله الكريم محمد (صل الله عليه وأله وسلم) وقيام الدولة العربية الاسلامية لتحرير الارض والبشر من الاحتلال والشرك ، وكان نصيب المغرب كبيراً في هذا الجانب أذ كانت اولى عمليات الفتح سنة ٢٢هـ/٦٢٤م بتحرير طرابلس ومن ثم اندفعت الجيوش لتحرير بلاد المغرب

الذي استمر ٦٧عاماً على يد القائد الكبير موسى بن نصير(ت ٨٦-٩٦هـ) ، وبعد اتمام فتح المغرب نظر موسى الى بلاد الاندلس بعد عن وردت الاخبار من هناك بتردي الاوضاع وكثرة الظلم من قبل حكامها القوطيين ، فجهز جيشاً وسفناً بقيادة قائده طارق بن زياد الذي قبل بالقيام بهذه المهمة الصعبة فعبر الى جزيرة اعمدة هرقل لزمن طويل وبعد سيطرته على هذا الممر المهم تسمى باسمه الى هذا اليوم جبل طارق ، وبذلك اصبحت جزيرة جبل طارق ممراً بحرياً اسلامياً ومحطة عربية لنقل الجيوش من والى بلاد الاندلس لمدة ثمان قرون الى تم السيطرة عليها من قبل الاسبان سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م وبذلك انتهت السيطرة العربية الاسلامية على ذلك الممر المهم[٦] .

جبل طارق من الفتح العربي الى قيام دولة الموحدين

ويعرف بالعصر الحديث بجبل طارق (Gibraltar) أو مختصرة (Gib) مشتق ، بشيء من التحريف ، من اسم الفاتح طارق بن زياد ، موسى بن نصير ، الوالي الأموي على المغرب ، كما درج المصنفون العرب على الإشارة إلى الجبل أحيانا باسم الصخرة ، وحذا الأوربيون حذوهم في ذلك ، فالجبل يعرف بالانجليزية باسم " The Rock" . وكان نزول طارق عند حافة الجبل سنة(٩٢/ ٧١١م)، على رأس قوة تقدر بسبعة آلاف رجل[٧]. ويذكر أبن القوطية[٨] عن هذا النزول قائلاً :" وضمهم طارق إلى جبل على شط البحر منيع فنزله ، والمراكب تختلف حتى توافى جميع اصحابه " . ويذكر الادريسي أن المسلمين تحصنوا بالجبل ، وعمد طارق إلى إحراق المراكب التي جاز البحر فيها لكي يعزز ثقة جنده به ويدفعهم على الاستماتة في الجهاد [٩] .

وقال ابن عذاري[١٠] : " إن المسلمين حاولوا الطلوع في الجبل ، وهو حجارة حرش ، فوطأوا للدواب بالبراذع وطلعوا عليها ، فلا حصلوا في الجبل بنوا سوراً على أنفسهم يسمى سور العرب ، وقيل إنهم فتحوا حصن قرطاجنة . وكان في سفح هذا الجبل من نظر الجزيرة الخضراء " . وقال ابن الأثير إن طارقا نزل من الجبل إلى الصحراء[البر] [١١] وافتتح الجزيرة الخضراء وفارق الحصن الذي في الجبل[١٢].

يبدو أن المسلمين نزلوا على سفح الجبل ، واتخذوه لهم مركز لأنفسهم مؤصدة أو نقطة مراقبة في أعلاه. حيث يتسنى للجند المراقبين الرؤية لمسافات بعيدة برا وبحراً، وذلك من باب التحوط من هجوم مباغت قد يشنه النصارى. ويذكر الادريسي بخصوص جبل طارق قائلاً : " أن جبل منقطع عن الجبال مستدير ، في أسفله من ناحية البحر كهوف وفيها مياه قاطرة جارية " [١٣]. ويضيف الحميري بأن جبل طارق مرسى يُكن [يستر من كل ريح] [١٤] .

عند نزول طارق بن زياد في الجبل الذي عرف باسمه وخلده منذ نزوله ، كان ملك القوط الزريق يقود حملة في شمال اسبانيا ضد قبائل الباسك (في اقليم قطلونيا) ، فتوجه جنوباً فور سماعه بنزول المسلمين ، وفي ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ/١٩ تموز سنة ٧١١ م ، تم اللقاء بجيش طارق على ضفة وادي لكة أو بكة ما بين شريش ومدينة شذونة [١٥] وأحرز المسلمون نصراً حاسماً ، وقتل الزريق في ساحة

القتال أو اختفى ولم يعثر له على أثر . وتقدم طارق بجيشه نحو قرطبة فحاصرها ، وأوقع بالنصارى هزيمة عند مدينة استجة ، ثم توجه الى مدينة طليطلة عاصمة القوط واستولى عليها ، وواصل تقدمه شمالا في اتجاه سرقسطة ، ثم عاد لتمضية الشتاء في طليطلة . وبعد الانتصارات العظيمة والسريعة التي لم تكن في حسبان العرب المسلمين والتي أحرزها طارق بن زياد وبهذه السرعة توطدت أقدام المسلمين في شبه الجزيرة الابيرية، ولم تنقضي أكثر من خمس سنوات على نزول طارق في الجبل الذي يحمل اسمه حتى اصبحت كل شبه جزيرة ابيرية تقريبا تحت سيطرة العرب المسلمين [١٦].

تُعد المدة بين نزول طارق بن زياد في أعمدة هرقل عام ٩٢ / ٧١١ م وتشييد مدينة الفتح بأمر من الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، من أكثر الفترات غموضا في تاريخ جبل طارق ، فهل استوطن المسلمون الجبل في هذه المدة ؟ التي امتدت أربعة قرون ونصف القرن ؟ كما أن المكان الذي نزل فيه طارق غير معروف تماما على وجه التحديد ، اذ إن ما ذكره المؤرخون والجغرافيون العرب لا يعين على تحديده [١٧]. وهم متفقون على أية حال على أن طارق تحصن في الجبل بعد نزوله ، ولا شك في أن جبل طارق أدى طوال مدة حكم المسلمين للأندلس الإسلامية دورا هاما كحصن منيع ، ومرسى أمين للمراكب ، بينما تمت مدينة الجزيرة الخضراء (Algeciras) ، وأصبحت قاعدة في الطرف الجنوبي من الأندلس ، وبعد انقضاء حكم الولاة الامويين والعباسيين في بلاد الاندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م وبعد قيام الدولة الاموية في الاندلس بقيادة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك الملقب (صقر قريش) والتي امتدت في عمرها من سنة ١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٩م ، والذي اطلق عليه عصر الأمارة ، وامتاز هذا العصر بالقوة والسيطرة القوية على بلاد الاندلس ومنها جزيرة جبل طارق التي كانت حلقة الوصل بين الاندلس والبر المغربي [١٨] ، وبعد اعلان الخلافة الاموية في الاندلس سنة ٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١م ، لم يستطع أحد من ملوك القوة النصرانية الى تصل سفنه وجيوشه الى موانى العرب المسلمين لاسيما جبل طارق الذي كان محاطاً بقوة عسكرية دائمية للحفاظ عليه [١٩] . كما تم الحفاظ على هذا الممر المائي المهم في حكم دولة المرابطين الذي اتخذته محطةً لنقل جيوشه للدفاع عن المسلمين في الاندلس لاسيما في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـ/١١١٢م) وعصر أبنه علي بن يوسف الى ان قامت الدولة الموحدية بعد القضاء على الدولة المرابطية التي امتد عمرها من (٤٨٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م) [٢٠] والتي اعطت جبل طارق أهمية كبيرة في سياستها العسكرية ، فعبرت جيوش المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين نصرةً لمسلمي الاندلس فخاض معركة حاسمة وعظيمة مع ملوك الانصارى فانتصر عليهم في موقعة العقاب سنة (٤٧٩هـ/١٠٨١م) ولكن سرعان ما أنهار الحكم المرابطي وقيام الدولة الموحدية.

بناء الموحدين لمدينة الفتح في جبل طارق :

أدرك الموحدون الأهمية الحربية لجبل طارق ، فبادر الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٥٨هـ/١١٦٣م) ببناء مدينة حصينة عند سفح الجبل سماها مدينة الفتح ، كما سمى جبل طارق بجبل الفتح ، مدللا بذلك على نيته في إعادة فتح ما فقده المسلمون من قواعد ومدن وحصوان واراضي في الأندلس[٢١] .

ومنذ سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) أصبحت الجزيرة وميناؤها وتحصيناتها معقلا وقاعدة حيوية للمسلمين على بحر المضيق .وذكر ابن صاحب الصلاة عن بناء مدينة الفتح قائلاً : " ووصل الأمر العزيز ببناء مدينة كبرى ... بالجبل الميمون القديم البركة على جزيرة الأندلس ، السامق الشاهق جبل طارق وتكون هذه المدينة منزلا للأمر عند اجازة العساكر المنصورة ، ريثما تتقدم الرايات المظفرة والأعلام المنشورة إلى بلاد الروم ، وكان في الكتاب أمر جزم إلى السيد أبي سعيد عثمان ابن الخليفة أمير المؤمنين بالمشي من غرناطة بنفسه وأصحابه وجملة عسكره إلى جبل طارق ، وامره في الكتاب الكريم ، وكذلك للسيد ابي يعقوب (وكان والياً على اشبيليه) أن يستنفروا جميع الفعلة من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء أي [المهندسين المعماريين] من جميع بلاد الأندلس التي تحت نظر الموحدين ... ويستعجلوا بالوصول إلى الجبل والامتثال الى الأمر الكريم [٢٢].

وتقدم السيد أبو سعيد على ما أمر به من موضعه بغرناطة إليه ، ومشى من اشبيلية المهندس أحمد بن باسه [٢٣] بجمع البنائين ... ونزلوا فيه وابتدأوا البناء ... بسيف البحر مما يلاصقه ويليه . وزادت آمال أهل الأندلس ... وتحققوا اليمن والسعد والفتح في بنيان هذا الجبل ... وأحكم البناؤون فيه بناء من القصور المشيدة والديار ، في أسسها طيقانا وحنايا لتعتدل بها الأرض .وكان الحاج يعيش المهندس [٢٤] مدة اقامته للبناء ... قد صنع في أعلى الجبل رحى تطحن الأقوات بالريح ، عاينها الثقات مدة البناء المذكور ، فلما رجع إلى مراكش عند إكمال ما أمر به فسدت الرحى لعدم الاهتمام بها . واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناء السور والباب المسمى باب الفتوح في الفرجة التي كان يدخل منها إلى الجبل بين البحر المحدق به من كلا جانبيه ، فجاء فردة في المعاقل التي لا يتمكن لطامع فيها طمع ... [٢٥] .

وذكر الحميري[٢٦] بأنه حفرت «في سفح الجبل مواضع نبع فيها الماء ، وجمع بعضها إلى بعض حتى سال منها جدول عم المدينة ... من أعذب الماء وأطيبه يصب في صحن عظيم اتخذ له وأجري إلى الجنات المغترسة بها من أمره ، فللحين ما جاءت مدينة تفوق المدن حسنا وحصانة ، لا يدخل إليها إلا من موضع واحد هو باب الفتوح الذي ذكره ابن صاحب الصلاة ، قد حصن بسور منيع من البنيان الرفيع ، وسميت بمدينة الفتح ".

وكان ابتداء بناء مدينة الفتح في ٩ ربيع أول من سنة ٥٥٥هـ/١٩ ايار ١١٦٠م ، وتم البناء في ذي القعدة من العام نفسه ١١٦٠م [٢٧] . أي أن بناء المدينة استغرق نحو ثمانية شهور . ولما تم بناء المدينة ، عبر عبد المؤمن بن علي المجار من سبتة ونزل في مرفأ جبل طارق ، وذلك في عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م لينظر كيف يكون غزو الروم [٢٨] .

وذكر عبد الواحد المراكشي[٢٩] ان عبد المؤمن هو الذي سمى الجبل جبل الفتح " وبنى هناك مدينة هي باقية إلى اليوم سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)... ووفد عليه وجوه الأندلس للبيعة ... وكان له بالجبل يوم عظيم ... واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداءً ، ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك ، إنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم " . وذلك لشدة هيبته وعظيم سلطانه .

وأشار الشعراء في قصائدهم إلى أهمية جبل الفتح ، وما يرجونه من جهاد مظفر للخليفة عبد المؤمن في الأندلس ، فمن قصيدة القرشي المعروف بالطليق المرواني وهو يمتدح الخليفة الموحدي قائلاً:

حدث عن الروم في أقطار اندلس والبحر قد ملأ العبرين بالعرب
وطود طارق قد حل الإمام به كالطور كان لموسى أيمن الرتب
منه يعاود هذا الفتح ثانية أضعاف ما حدثوا في سالف الحقب [٣٠] .

وما أنشده عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي :

إلى جبل قد كان للفتح منزلا ولاذ به بالفتح موسى وطارق [٣١] .

ومما أنشده محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي :

لله ما جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الأجيال مذكور
من شامخ الأنف في سحنائه طلس له من الغيم جيب غير مزرور
أخلق به وجبال الأرض واجفةً أن يطمئن غدا من كل محذور [٣٢] .

وأنشد أبو جعفر بن سعيد العنسي (من آل بني سعيد أصحاب القلعة المعروفة باسمهم قرب غرناطة) قصيدة منها :

أطل على أهل الجزيرة سعدها وجدد فيها ذلك الخبر الخبر
فما طارق إلا لذلك مطرق ولابن نصير لم يكن ذلك النصر
هما مهداها كي تحل بأفقها كما حل عند التم بالهالة البدر [٣٣] .

وقد كان عبد المؤمن حين أراد العبور إلى جزيرة الأندلس استنفر أهل المغرب عامة فكان فيمن استنفره العرب الذين كانوا ببلاد بني حماد (شرق الجزائر) وهم قبائل من هلال ابن عامر، وقد استجاب له من قبائل العرب جمع عظيم وزعهم في نواحي قرطبة واشبيلية وشريش ، وانتشر نسلهم بتلك المواضع فكانوا خلقاً كثيراً ... فبالجزيرة اليوم من زغبة ورياح وجشم بن بكر وغيرهم نحو من خمسة آلاف فارس سوى الرجالة " [٣٤].

وبعد هذا كان انصراف امير المؤمنين عبد المؤمن إلى المغرب ، في أول عام ٥٥٦هـ/ ١١٦١م ، أي بعد أن أمضى نحو شهرين في مدينة الفتح [٣٥] .

جبل طارق في عهد بني مرين وبني الأحمر

انتهى حكم الموحدين في الأندلس فعلياً سنة ١٣٣ هـ / ١٢٣٠ م، وظهر امراء مستقلون هناك ، أهمهم ابو عبد الله محمد بن هود الجذامي (ت٦٣٥هـ/١٢٣٨م) الذي تمكن من السيطرة على معظم شرق الأندلس وجنوبها . وفي سنة ٩٢٨ هـ / ١٢٣١ م " ملك ابن هود جبل الفتح والجزيرة الخضراء ، ولم يبق للموحدين بالأندلس أمر ولا نهي " [٣٦] . وفي هذه الأثناء اتحدت مملكتا قشتالة وليون ، فازداد النصارى قوة ، وفي عهد ملكهم فرديناند الثالث(ت٦٥٠هـ/١٢٥٢م) ، سقطت في ايديه أهم حواضر الأندلس وقواعدها الكبرى ، كقرطبة واشبيلية ، سقطت بلنسية في يد ملك أراكون جيمس الأول (٦٣٥هـ/١٢٣٨م)، وفي هذه الفترة العصيبة في تاريخ الأندلس ، استقل في مدينة جان بادئ الأمر محمد بن يوسف بن نصر الملقب بالأحمر ، ثم استولى على غرناطة واتخذها سنة(٦٣٥هـ/ ١٢٣٥م) عاصمة له، وهو مؤسس أسرتها الحاكمة المعروفة ببني الأحمر أو بني نصر. وكان ابن نصر هذا مضطرة لمهادات فرديناند الثالث ملك اركون للاحتفاظ بمملكته وما حقق من مكاسب ، لا بل وكان يدفع له الجزية ويساعده في حروبه حتى ضد المسلمين ، وظلت سياسة ملوك بني الأحمر كملوك الطوائف من قبلهم تقوم على إبقاء التوازن بين القوى المتصارعة في الأندلس للاحتفاظ بمملكتهم . فهم تارة يستعينون بحكام المغرب ضد النصارى إذا ازداد خطر هؤلاء عليهم ، وتارة يستعينون بالنصارى ضد حكام المغرب إذا قوي هؤلاء وسيطروا على جزء من الأندلس [٣٧].

ولما ازداد خطر النصارى على غرناطة اضطر سلطانها محمد الفقيه " حكم ٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م" ، وبضغط من النازحين المسلمين من قشتالة ، بإستدعاء السلطان المريني أبي يوسف يعقوب (حكم ٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) فعبر أبو يوسف بحر الزقاق أربع مرات ، وكان جوازه الأول في سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م) ، واستولى على الجزيرة الخضراء ثم أحرز انتصارا كبيرا على القشتاليين قرب استجة في سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) ، وعلى الأثر تبدل موقف سلطان غرناطة من السلطان المريني بعد أن احتفظ هذا بثغر طريف لاتخاذه قاعدة لنزول قواته ، فتحالف مع النصارى ومع امير تلمسان يغمراسن الزياني (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م)، ليعمل هذا على إشغال المرينيين والحيلولة دون تدخلهم في شؤون الأندلس [٣٨] .

ومما يذكر أن المسلمين اتخذوا جبل طارق أثناء عملياتهم الحربية ضد النصارى محطة الحمام الزاجل لنقل الأخبار على وجه السرعة . «وكان أهل الجزيرة ... يحيط بهم العدو برا وبحرة ... وانقطعت

عنهم المواد وعميت عليهم الأنباء إلآ ما ياتيهم به الحمام من جبل طارق ... يحمل اليهم الكتاب ويرد عليهم الجواب " [٣٩].

وبعد وفاة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق ينة (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، خلفه ابنه يوسف في الحكم من سنة (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م) وفي عهده ساءت من جديد العلاقات بينه وبين السلطان محمد الفقه حاكم غرناطه الذي تحالف مع ملك قشتالة وحاصر معه جزيرة طريف التي اضطرت إلى الاستسلام بعد حصار دام أربعة شهور سنة(٦٩٠هـ/١٢٩١م) واحتفظ بها ملك قشتالة ولم يعدها السلطان غرناطة كما كان وعده [٤٠]. فعاد سلطان غرناطة إلى سياسته التذبذب ، وتحالف مع امير المسلمين أبي يعقوب يوسف ، ولكنها لم ينجحا في استرداد جزيرة طريف وذلك لانشغال السلطان المريني بمحاربة يغراسن امير تلمسان .

وإثر هجوم مباغت استولى ملك قشتالة فرديناند الرابع على جبل طارق (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، مع أنه اضطر إلى رفع الحصار الذي كان يضربه على الجزيرة الخضراء . وذكر ابن خلدون قائلاً : " وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح وجاورت النصرانية به ثغور الفرضة، وصار شجى في صدرها، وأهم المسلمين شأنه" [٤١] .

وكان من نتيجة استيلاء النصارى على جبل طارق بعد استيلائهم على طريف قبل ذلك بعشرين عاما أن أبرم سلطان غرناطة نصر أبو الجيوش (حكم ٧٠٨-٧١٣هـ/١٣٠٩-١٣١٤م) معاهدة مع السلطان المريني أبي الربيع سلمان (حكم ٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م) تخلى له بموجبها عن الجزيرة الخضراء ، في مقابل الحصول على تعزيزات مرينية عسكرية وغذائية. من (٦٩١-٦٩٤هـ/١٣٢٧-١٣٣٠م) ، وبعد هذا التنازل استولى الفونس الحادي عشر على عده معاقل غربي غرناطة ، ففزع سلطان غرناطة لذلك ، وتوجه بنفسه إلى فاس للاستغاثة بأبي الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣٣-١٣٥٢م) ، الذي هب لنجدته ، ويذكر ابن خلدون قائلاً : " فبادر السلطان محمد بن اسماعيل الرابع] بن الأحمر بزيارة السلطان أبي الحسن في فاس سنة (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) للمفاوضة في أمر الجهاد ... وشكي إليه حال الجبل واعتراضه شجي في صدور الثغور" [٤٢] . فعقد أبو الحسن لابنه أبي مالك على خمسة آلاف من أنجاد بني مرين ، وأنفذهم مع ابن الأحمر لمنازلة جبل الفتح ، «فنزل المسلمون بالجزيرة الخضراء ، وزحفوا جميعا إلى الجبل وأحاطوا به ونازلوه ، إلى أن فتحوه عنوة سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٣م) وشرع المسلمون في شحنه بالأقوات ... ووصل بعد ثلاث ليالي من فتحه ، فأناخ عليه وحاصره ، وبرز أبو مالك بن السلطان المريني ابو الحسن بعساكره من الجزيرة فنزل بإزائه ، وزحف ابن الأحمر فتزل بإزائه أيضا . ثم خاف ابن الأحمر عادية العدو ، لقرب العهد بارتجاع الجبل ، وخفة من به من الحامية والسلاح ، فبادر إلى لقاء الطاغية ...

فأجابه إلى ما سأل من الإفراج عن هذا المعقل ... وارتحل من فوره، وشرع أبو مالك في تحصين ذلك الثغر الاسلامي الهام في بقاء المسلمين بالاندلس ونصرتهم [٤٣] .

وكان استرجاع أبي الحسن المريني لجبل طارق من أيدي النصارى الاسبان بعد تملكهم له لاكثر من عشرين سنة (٧٠٩-٧٣٣هـ/١٣٠٩-١٣٣٣م) وكان فتحه بعد حصار استمر ستة أشهر [٤٤] . وكان على حد قول ابن خلدون " فتحة طوق دولة السلطان أبي الحسن قلادة الفخر آخر الأيام" [٤٥] .

لم ترض بعض العناصر المتنفذة في غرناطة عن عودة بني مرين واستيلائهم على جبل طارق ، ونقمت تلك العناصر لذلك على السلطان محمد الرابع (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م) لاستدعائة بني مرين إلى الأندلس ، فاغتيل السلطان ونصب أخوه يوسف الأول مكانه ، وأكدت دروس الماضي أهمية غلق مضيق جبل طارق نهائيا ، خصوصا وان المرينيين سيطروا الآن على جبل طارق والجزيرة الخضراء معا، وأتموا في الوقت ذاته السيطرة على سجلماسة وتلمسان ، وأصبحوا يتأهبون لمعاودة الجهاد في الأندلس [٤٦].

وفي عام (٧٣٨هـ/ ١٣٣٩م) ، هزم الامير ابو مالك ابن السلطان المريني وقتل في ساحة القتال في معركة مع النصارى، إلا أن اسطولا مرينياً نجح في العام القابل أي (٧٤٠هـ/١٣٤٠م) من تدمير الاسطول القشتالي ألارجوني المشترك في مضيق جبل طارق ، وتمكن السلطان ابو الحسن من جمع جيش لا يستهان به من البلاد المغربية للجهاد في بلاد الاندلس ، وشرع بمعاونة سلطان غرناطة يوسف الأول في سنة (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) في محاصرة ثغر المجاز الثالث جزيرة طريف في سنة (٧٤٠هـ/١٣٤٠م). وفي هذه الأثناء كان ملك قشتالة الفونس الحادي عشر يستغيث بالبابا الإعلان حملة صليبية ضد المسلمين ، وتقديم العون المالي له ، فاستجاب لدعوته فرسان كثيرون من نافار وأرجون وفرنسا وبلدان شمال اوروبا . ولما تقدمت قوات النصارى لملاقاة المسلمين المحاصرين لطريف ، فك هؤلاء الحصار ولاقوا العدو على ضفاف نهر سلادو (Salado) في(٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠م) أحرز النصارى انتصاراً على المسلمين في وقعة طريف وكان نصرا حاسما لهم ، وتعد هذه الهزيمة التي مني بها الجيش المرينيون ، فلم يحاولوا بعدها القيام بحملة عسكرية كبيرة في الأندلس فيما بعد .

وعاود ملك قشتالة الفونس الحادي عشر (٧٥٠هـ/١٣٥٠م) من حصار جبل طارق وكان حصاراً شديداً وكاد أن يستولي عليه ، لولا هلاكه وجيشه بالطاعون ، وبعث الوزير والأديب الغرناطي لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٩م) برسالة باسم سلطانه يوسف الأول إلى سلطان المرينيين ابي عنان فارس (ت ٧٥٩هـ/١٣٦٠م) ، ينقل إليه خبر " نكث ملك قشتالة العهد الذي عقده وأمل أن يستولي على جبل الفتح فضيقه حصاراً ونزل الفرج القريب وطرق الملك جند من جنود الله توئى أخذه أخذ رابية ... فهلك على الجبل حتف أنفه ... فتفرقت جموعه وأحزابه ... ورأينا ان هذه البشارة انتم أولى من تحفه بطيب رياها " [٤٧].

وكان السلطان أبو الحسن قد حصن سفح الجبل ، بعد استرداد المسلمين له سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، « بسور محيط من جميع جهاته ، حتى لا يطمع عدو في منازلته ... [٤٨] .

وفي عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، زار جبل طارق الرحالة المعروف ابن بطوطة ، الذي وصف الجبل وصفا شيقا لما كان عليه الجبل آنذاك في عهد بني مرين من حسن التحصين والبناء . قائلاً : " وأول بلد شاهده من البلاد الأندلسية جبل الفتح ... وتطوفت على الجبل ، فرأيت عجائب ما بني به مولانا أبو الحسن ... وأعد فيه من العدد ... وما زاد على ذلك مولانا أبو عنان... ووددت ان كنت ممن رابط به إلى نهاية . العمر" [٤٩]. وذكر لنا ايضاً عن تحصينات الجبل وما أحدثه السلطان أبو الحسن علي وابنه السلطان أبو عنان فارس قائلاً : " وبقايا السور الذي بناه ومن معه باقية إلى الآن سمى بسور العرب ، شاهدتها أيام اقامتي به ... ولم يكن حينئذ على ما هو الآن عليه ، فبنى به مولانا أبو الحسن عليه المأثرة العظمى بأعلى الحصن ، وكانت قبل ذلك برجا صغيرة تهدم بأحجار المناجيق ، فبني في مكانه وبني دار الصناعة ولم يكن به دار صنعة ، وبني السور الأعظم المحيط بالتربة الحمراء ، ثم جدد ابو عنان تحصينه وتحسينه وزاد بناء السور بطرف الفتح [٥٠] ، وهو أعظم أسواره غناء .. وبعث إليه العدد الوافرة والأقوات والمرافق العامة " [٥١] .

وبلغ من اهتمام السلطان أبي عنان فارس (حكم ٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) بأمور الجبل «أن أمر ... ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور ، فمثل فيه أشكال أسواره وأبراجه وحصنه وأبوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده وأهرية زرعه وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك ... فكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع إتقاناً يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال[٥٢].

ولما فر الوزير ابن الخطيب من غرناطة لاجئاً من مكائد خصومه إلى فاس عاصمة المرينيين عام (٧٧٣هـ/١٧٣١م) ، كان جبل طارق ما يزال في أيدي سلاطين بني مرين إذ يقول : " وتيسر اللحاق ببلاد سلطان المغرب والحصول بجبل الفتح من ايالته ، والجواز إلى سبتة سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م في أسطوله " [٥٣] .

وفي عام (٧٧٥هـ/١٣٧٤م) ، انتهز سلطان غرناطة محمد الغني بالله (محمد الخامس) نشوب خلافات داخلية حول وراثة العرش في المغرب ، للتدخل في شؤون المغرب ولاجلاء الحامية المغربية من جبل طارق المسماة مشيخة الغزاة وهم حامية عسكرية من خيرة فرسان بني مرين ، وفي عام (٨١٣هـ/١٤١٠م) قامت ثورة بالجبل لصالح بني مرين ، إلا أن سلطان غرناطة أبا الحجاج يوسف (يوسف الثالث) تمكن من استرداده من المرينيين ، وفي سنة (٨١١هـ/ ١٤١٥م) استولى البرتغاليون على سبتة ، فأصبحت لهم أول قاعدة في بلاد المغرب وأصبح بأمكانهم التوغل وشن الهجومات العسكرية على جبل طارق عبر بحر المضيق ، ومع ذلك بقي جبل طارق في ايدي سلاطين غرناطة نحو خمسين عاماً اخرى الا ان الوضع في غرناطة منذ عام (٨٣٥هـ/١٤٣٩م) ازداد سوءاً بسبب النزاعات المستمرة

بين افراد البيت الحاكم ، فقرر ملك قشتالة هنري الرابع (٨٥٨-٨٧٤هـ/١٤٥٤-١٤٧٤م) التدخل ، وبدأ منذ ربيع عام (٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م) في شن غارات عنيفة على أراضي مملكة غرناطة ، وكاد ان ينهار الاقتصاد الغرناطي ، لكنه انسحب وعهد لقادة مناطق الحدود بمواصلة الغارات . وكان أهم ما حققه قادة الحدود هؤلاء القادة هو الاستيلاء على جبل طارق ، وكان ذلك في سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م) على يد الدوق جوزمان صاحب مدينة شذونة [٥٤] .

وباستيلاء النصارى على جبل طارق ، تمت لهم السيطرة على ثغور بحر الزقاق الثلاثة وهي : طريف والجزيرة الخضراء وجبل طارق ، فحال ذلك دون وصول أية قوات من المغرب لنجدة مملكة غرناطة ، مما عجل في سقوطها في أيدي النصارى وفي انتهاء الوجود الإسلامي في الأندلس سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م). كما أن سيطرة الإسبان على مضيق جبل طارق أدت إلى نمو التجارة بين موانئها على ساحلي البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وأدى اسطول مدينة جنوة دورا هاما في هذه المرحلة في معاونة قشتالة في المجالين الحربي والتجاري ، لاسيما في استعمار الإسبان لجزر الخالدات " كناري" والأزور وما ديرا ، التي أصبحت محطات لجلب الذهب من السنغال وساحل إفريقيا الغربي ، بعد أن كان الذهب يصل منها قبلا إلى غرناطة الإسلامية عن طريق مدينة تلمسان [٥٥] .

وفي عام (٩٤٧هـ/١٥٤٠م) شن غزاه البحر المسلمون العاملون تحت إمرة أمير البحر خير الدين بربروسا العثماني (٩٥٣هـ/١٥٤٦م) غارة على جبل طارق ، وكادوا ان يستولون عليه ، فدمروا تحصيناته واستحوذوا على غنائم وفيرة ، فعمد الإسبان بعد هذه الغارة ، إلى تعزيز تحصينات الجبل [٥٦] .

آثار عربية اسلامية قائمة في جبل طارق :

توجد في جبل طارق حالية بعض الآثار الإسلامية ، منها بقايا الحصن العربي ، وهو حصن قائم على السفح الشمالي الغربي من الجبل ، ويعتقد الأثريون بأن الحصن يعود إلى أيام الموحدين / القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) أو حتى إلى أيام بني مرين / القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. وثمة الحمامات العربية تحت مبني متحف جبل طارق " وهي عبارة عن صفين من العقود العربية يتكون كل منها من ثلاثة عقود وتجمعها قبة منخفضة " [٥٧] .

ويرى الأثري الإسباني المعروف توريس بالباس انها من طراز غرناطي شبيه بطراز حامات قصر الحمراء [٥٨]، أما ما تبقي من سور العرب فوق أعلى الصخرة ، فيبلغ طوله نحو ١٧٥٠ قدما ، ويشتمل على مالا يقل عن ٦٠٠٠ ياردة مكعبة من الحجارة المقتطعة من الجبل [٥٩] .

ويعتقد الكاتب الاسباني [٦٠] بأن طارق بن زياد لم يقم سوى نقطة رصد أو مراقبة صغيرة على إحدى قمم الجبل ، ثم لم يلبث أن انتقل بعد نحو شهرين من نزوله لملاقاة جيش القوط ، ولذلك فإن ما

تبقي من آثار الحصن والسور يعود إلى عهود إسلامية تالية ، واستند في اعتقاده هذا إلى عدة نقاط اوجزها فيما يلي : قصر المدة التي أمضاها طارق في الجبل ، وعدم حاجته لتحصين الجبل بعد انتصاره ، وقلة عدد جنوده ، وكان في حاجة ماسة لهم جميعا في القتال . وقال ابن الاثير: " نزل طارق من الجبل إلى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل" (٦١) .

وإذا اخذنا في الحسبان انحدار سطح أرض الجبل ، وما يحتاج اليه من مواد بناء وعمال ومهندسين ، وكذلك التشابه بين مواد بناء السور وبين مواد البناء بسور تازا الموحدي، فإن كل ذلك يدل على أن الحصن والسور في جبل طارق يعودان إلى عهد الموحدين الذين شيدوا مدينة الفتح في مدة ثمانية شهور ، وكان يتوفر لديهم الوقت والمهندسون والعال (٦٢) .

وقام سلاطين بني مرين بعد استردادهم للجبل من أيدي الإسبان عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م باعادة بناء تحصيناته وتقويتها . ولعل ابن بطوطة الذي زار الجبل وشاهد تحصيناته قرب القمة قيل له إنها قديمة ، وتسميتها بسور العرب إنما كانت لمجرد التمييز بينها وبين بقية التحصينات المرينية المستحدثة (٦٣) .

نقوش عربية اسلامية في جبل طارق :

تم العثور على نقشين كتابين عربيين ،أحدهما فوق الباب الجنوبي للحصن ، والثاني في جدار مسجد أو رباط قرب برج قلهرة ، ويبدو أن العبارة الأولى في النقش الأول هي : : النصر والتمييز من الله تعالى لمولانا أبي عبد الله أمير المسلمين ابن أبي الحجاج يوسف أمير المسلمين ابن مولانا أبي الوليد أبقاه الله " ، أما بقية عبارة النقش فكتابتها غير مقروءة (٦٤) .

وتدل أسماء سلاطين بني الأحمر الواردة في النقش الأول على مدى أثر غرناطة في عهد بني الأحمر على المنشآت العسكرية والمدنية في جبل طارق منذ أن استرده المسلمون من الاسبان سنة ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣ م (٦٥) .

أما النقش الثاني ، وهو أقدم من الأول بكثير ، كما يستدل من كتابة حروفه ، فيشتمل على عبارة دينية تتعذر قراءتها ، وفي آخرها ترد عبارة لعلها : وله العاقبة الباقية (٦٦) .

والنقش الثاني أقدم نقش عربي يعثر عليه حتى الآن في جبل طارق . ويحتمل أن يكون المسجد أو الرباط الذي وجد النقش في جداره من بناء عبد المؤمن بن علي أيضا .

ولعل السلطان المريني الذي أحدث تغييرات كبيرة على تحصينات جبل طارق في منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي احتفظ بالمسجد أو الرباط دون مساس صونا لحرمته (٦٧) .

الخاتمة

تبين عبر كتابة البحث ان اعمدة هرقل كما كانت تسمى لادى الرومان أو جبل طارق كما تسمى منذ الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزية الايبرية على يد القائد طارق بن زياد ، ولمدة ثمانية قرون من سنة (٩٢هـ/٧١١م) الى سنة (٨٦٤هـ/١٤٦٢م) كانت جزيرة جبل طارق ممراً بحرياً اسلامياً وبحيرة عربية اسلامية تحكم فيها العرب المسلمين في مرور السفن والملاحة البحرية ، فكان المسلمين على ضفتي ذلك المضيق هم اصحاب القرار في عبور السفن التجارية أو السفن العسكرية الصديقة لهم ،ويعد جبل طارق أول منطقة يدخلها الجيش الاسلامي للعبور الى بلاد الاندلس وادامة زخمها هناك وعودة من يريدون العودة الى بلاد المغرب ، وفي فترة من فترات الحكم الاموي(١٣٨-٣١٦هـ٧٥٦-٩٢٩م) للاندلس أصبح جبل طارق تحت سيطرة الامويين الاندلسيين وكانوا يقدمون الدعم للمعارضين للحكم الفاطمي لبلاد المغرب الذي استمر من سنة (٢٩٦-٣٦٢هـ) وكان تحت سيطرة المسلمين وبعد زوال الحكم الاموي وضعف دول المغرب تكالبت القوى النصرانية بعد توحدهم على بلاد الاندلس فتساقطت الواحدة تلو الاخرى بيدهم ، فقام المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين (ت ٥٠٠هـ/١١١٣م) من العبور الى الاندلس ونصرة المسلمين وانتصاره على القوة النصرانية عام (٤٧٩هـ/١٠٩١م) وبعد أنهيار دولة المرابطين ظهرت قوة جديدة في بلاد المغرب تمثلت بالموحدين وقائدهم عبد المؤمن بن علي (ت٥٥٨هـ/١١٦٠م) والذي حصن جبل طارق وسماه جبل الفتح لغرض عبور الجيوش الموحدية لنصرة أهل الاندلس وتحقيق بقاءهم امنين ، وبعد انهيار الدولة الموحدية وسقوط مدن الاندلس بيد النصارى مرة اخرى انحسر وجود الاسلام والمسلمين في مملكة غرناطة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) الى (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) ، وبعد نزاعات وحروب طويلة استسلم العرب المسلمون للقوى النصرانية ووقع جبل طارق بيد الملك القشتالي سنة (٨٦٤هـ) وبذلك فقد العرب المسلمون اهم ممر بحري يتحكم بالملاحة البحرية الدولية في البحر الابيض المتوسط .

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير ، علي بن محمد ابي الكرم (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ ، نشر دار بيروت ، ١٩٩٣ .

٢- الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد الشريف (عاش في القرن السادس الهجري) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٣- ابو أسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٠هـ) ، مسالك الممالك ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

٤- ابو اسماعيل بن أبراهيم بن الحسن (ت١٢٣٧هـ) ، تاريخ الاندلس من الفتح الى السقوط من خلال مخطوط تاريخ الأندلس ، تح : انور محمود زناتي ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

٥- ابن بطوطه ، محمد بن عبد الله الواتي ، (ت ٧٧٩هـ) ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار ، دار احياء العلوم ، بيروت، د.ت .
٦- ابن بلقين ، عبد الله (ت٤٨٣هـ) التبيان أو مذكرات الامير عبد الله اخر ملوك بني زيري في غرناطة ، القاهرة ، ١٩٠٠.
٧- الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، (د.ت)
٨- الحميري : محمد بن عبد المنعم (٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح : احسان عباس ، مؤسس ناصر للثقافة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠.
٩- ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن سعيد (ت ٧٧٦هـ) ، أعمال الاعلام ، (تاريخ اسبانيا الاسلامية) ، بيروت ، ١٩٠٩ .
١٠- ـ الإحاطة في اخبار غرناطة ، نشر الدار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٥ .
١١- ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، نشره جمعة محي الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٩٧٣.
١٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الا كبر ، بيروت ،١٩٨٠.
١٣- ابن خلدون ، ابو زكريا يحيى بن محمد (ت ٧٨٠هـ) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، طبع في الجزائر ، ١٩٠٣ .
١٤- دائرة المعارف الإسلامية (EI) – ط٢ (بالإنجليزية)،
١٥- ابن ابي دينار ، ابو عبدالله محمد (ت١١١٠هـ) ، المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٥ .
١٦- ابن صاحب الصلاة ، ابو محمد بن عبد الملك (ت٥٩٤هـ) تاريخ المن بالأمامة ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٦٤.
١٧- ابن عذاري ، ابو العباس أحمد بن محمد (ت٧١٣هـ)، البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، تطوان ، ١٩٦٠ .
١٨- عنان ، محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، ١٩٩١.
١٩- ابن قوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧هـ) ، تاريخ افتتاح الأندلس ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٠٧ .
٢٠- اللغير ، فينفرد ، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين ، تج : عيد مرعي ، نشر روافد للثقافة والفنون ، دمشق ، ٢٠٠٨ .
٢١- لويس ارشبالد ، القزة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
٢٢- ليفي – بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) ١٩٨٥ .

٢٣- مازيل ، جان ، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ، ترجمة : ريا حنش ، دار الحوار ، ١٩٩٧ .
٢٤- المراكشي عبد الواحد بن علي ، (ت٦٤٧هـ) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٥ .
٢٥- ابن مرزق محمد بن محمد التلمساني (ت٧٨١هـ) ، المسند الصحيح الحسن في مأثر مولانا ابو الحسن ، ماريا خيسوس ، الجزائر ، ١٩٨١ .
٢٦- المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٢٧- المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تح : احسان عباس دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ .
٢٨- الملزوزي ، أبو فارس عبد العزيز (ت٦٩٧) ، نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك ، الرباط ، ١٩٦٣ .
٢٩- مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم ، تح : ابراهيم الابياري ، نشر دار الكتاب المصري ، د.ت .
٣٠- نعنعي ، عبد المجيد ، تاريخ الدولة الاموية في الاندلس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٥ .
٣١- نوريس ت . أج ، الاستيطان الإسلامي المبكر في جبل طارق ، مقالة نشرت في مجلة المعهد الأنثروبولوجي الملكي . مدريد ، ١٩٦١ .

1- Highfield , R, spain in the Fifteen century , Bristol, 1922, pp:20-48 , 49
2- Norris H.T., The Early Islamic settlement in Gibraltar Jourhal of Royal Ahhoplogical Instiure Vol.91(part) londonl , 1961 , pp. 93:39-510 .
3- Thomas James , the Histovy of the Herculeans srraits, Madrid , 1771 , pp: 44-48.

الهوامش:

(١) ابو أسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٠هـ) ، مسالك الممالك ، دار صادر ، بيروت ، ص٩٨ .

(٢) الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد الشريف (عاش في القرن السادس الهجري) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ج٢ ، ص٥٤٠.

(٣) المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) اللغير ، فينفرد ، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين ، تج : عيد مرعي ، نشر روافد للثقافة والفنون ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص٣٩ ؛ مازيل ، جان ، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ، ترجمة : ريا حنش ، دار الحوار ، ١٩٩٧ ، ص٢٠٤.

(٥) مازيل ، جان ، تاريخ الحضارة ، ص١٨٨ ، ٢٠٤-٢٠٥.

(٦) ابن الاثير ، علي بن محمد بن ابي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ ، دار بيروت ، ١٩٦٥ ، ج٤ ، ص٥٣٩ ؛ ابن عذاري ، ابو العباس أحمد (ت٧٢٠هـ) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ج١ ، ص٤٠-٤١ ؛ اسماعيل بن أبراهيم بن الحسن (ت١٢٣٧هـ) ، تاريخ الاندلس من الفتح الى السقوط من خلال مخطوط تاريخ الأندلس ، تح : انور محمود زناتي ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص٢٤ ؛ نعنعي ، عبد المجيد ، تاريخ الدولة الاموية في الاندلس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٤١.

(٧) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٧.

(٨) ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧هـ) ، تاريخ افتتاح الأندلس ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٠٧ ، ص٣٣؛ مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم ، تح : ابراهيم الابياري ، نشر دار الكتاب المصري ، د.ت ، ص ٦-٧؛ ابن عذاري ، ابو العباس أحمد بن محمد (ت٧١٣هـ)، البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، تطوان ، ١٩٦٠ ،ج٢، ص٨ ؛ ابن الأثير ، علي بن محمد ابي الكرم (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ ، نشر دار بيروت ، ١٩٩٣ ، ج٤ ، ص١٢٢ .

(٩) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٧٧ .

(١٠) البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٣-١٤.

(١١) البادية في اصطلاح المغارية والأندلسيين بمعني الريف ، وليس الصحراء إطلاقا .

(١٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٢٢/٤.

(١٣) نزهة المشتاق ، ص ١٧٧ .

(١٤) الروض المعطار، ص ١٢١.

(١٥) يرى المستشرق ليفي بروفنسال أن المعركة دارت رحاها على ضفاف نهر (Barbate) وبحيرة (La Janda) قرب الساحل . انظر ليفي – بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) ج١ ، ص١٩، وما يليها .

(١٦) لويس ارشبالد ، القزة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٨٥.

(17) Norris H.T., The Early Islamic settlement in Gibraltar Jourhal of Royal Ahhoplogical Instiure Vol.91(part) londonl , 1961 , pp. 93:39-510 .

(١٨) أبن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٧؛ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص٤٢-٤٣؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٩٧ ، وما يليها .

(١٩) العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص١٦٨-١٦٩ .

(٢٠) المراكشي عبد الواحد بن علي ، (ت٦٤٧هـ) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص١٤٢-١٤٣.

(٢١) ابن بلقين ، عبد الله (ت٤٨٣هـ) التبيان أو مذكرات الامير عبد الله اخر ملوك بني زيري في غرناطة ، القاهرة ، ١٩٠٠، ص١٠٣-١٠٨.

(٢٢) ابن صاحب الصلاة ، ابو محمد بن عبد الملك (ت٥٩٤هـ) تاريخ المن بالأمامة ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٦٤، ص٢٠٦، ٤٦٧ ، ٤٧٤ .

(٢٣) كان أحمد بن باشه «شيخ العرفاء كبير المهندسين» بإشبيلية ، وهو الذي تولي تشييد جامع اشبيلية الأعظم وصومعته الشهيرة المعروفة باسم (الدوارة). ص ١٣٩؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص٢٠٦ .

(٢٤) الحاج يعيش المالتي من أشهر المهندسين في عهد الموحدين ، وهو الذي صنع بمدينة بمراكش مقصورة في المسجد الجامع وضعت على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله ، كما قام في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م بتسريب الماء لسقي البحيرة الملكية . وتوصيله إلى داخل اشبيلية . وبنى كذلك خزانة للماء لتزويد احياء مدينة إشبيلية به . ابن السماك ، الحل الموشية ص ١١٩ - ١٢٠ ؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

(٢٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص١٣٨ - ١٤٠ - ١٤٣.

(٢٦) الحميري : محمد بن عبد المنعم (٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح : احسان عباس ، مؤسس ناصر للثقافة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠، ص ١٢١ .

(٢٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص١٩٩ ؛ السلاوي : الاستقصا ، ج٢ ، ص١٤٠ .

(٢٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ١٤٨ .

(٢٩) المعجب ، ص ٢١٣.

(٣٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ،ص ١٦٠-١٦١.

(٣١) نفس المصدر ، ص١٦٥.

(٣٢) المراكشي : المعجب، ص ٢١٩ – ٢٢٠ . ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن سعيد (ت ٧٧٦هـ) ، أعمال الاعلام ، (تاريخ اسبانيا الاسلامية) ، بيروت ، ١٩٠٩ ،ص ٢٦٧.

(٣٣) ابن الخطيب ، الإحاطة في اخبار غرناطة ، نشر الدار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٥ ، ج١، ص٢٢٤ ؛ ابن السماك ، الحلل الموشية ١٣٠ .

(٣٤) المراكشي : المعجب ،ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ .

(٣٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٧٢ .

(٣٦) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ،ص ٢٧٥ .

(٣٧) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٣٢٩.

(٣٨) ابن خلدون ، ابو زكريا يحيى بن محمد (ت ٧٨٠هـ) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، طبع في الجزائر ، ١٩٠٣ ، ج١ ، ص١١٦-١١٧؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص٢٩٢؛ دائرة المعارف الإسلامية (EI) ، ط١ ، مج١ ، ص ٤٦٤.

(٣٩) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص٣٣٠؛ السلاوي : الاستقصا ، ج٣، ص٥١-٥٢ .

(٤٠) الملزوزي ، أبو فارس عبد العزيز (ت٦٩٧) ، نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك ، الرباط ، ١٩٦٣ ، ص٩٩ ؛ ابن ابي زرع ، الانيس الطرب ، ص٣١٨ ؛ ابن الخطيب ،الاحاطة ، ج١ ،ص٥٧٣ ؛ الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، ج١ ، ص٢٩١.

(٤١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الا كبر ، بيروت ،١٩٨٠ ، ج٧ ، ص٥٣٠.

(٤٢) ابن خلدون ، العبر ، ج٧، ص٥٣٠ ؛ السلاوي : الاستقصا ، ج٣، ص١٢ .

(٤٣) ابن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، نشره جمعة محي الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٩٧٣، ص ٧٩ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج ٣،ص ١٢١ – ١٢٢.

(٤٤) ابن بطوطه ، محمد بن عبد الله الواتي ، (ت ٧٧٩هـ) ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار ، دار احياء العلوم ، بيروت ، د.ت ، ص٦٠١.

(٤٥) ابن خلدون ، العبر، ج٧، ص٥٣٠ .

(٤٦) ابن مرزق محمد بن محمد التلمساني (ت٧٨١هـ) ، المسند الصحيح الحسن في مأثر مولانا ابو الحسن ، ماريا خيسوس ، الجزائر ، ١٩٨١ ، ص٣١-٣٢.

(٤٧) المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تح : احسان عباس دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ج٦ ، ص١٧٥.

(٤٨)المصدر نفسه ، ج٦، ص١٤٠-١٤١ ؛ السلاوي : الاستقصا ،ج٣، ص١٢٣.

(٤٩) الرحلة ، ص ٦٥١- ٦٥٣.

(٥٠)المراكشي ، المعجب ، ص٣٦٨.

(٥١) ابن بطوطة : الرحلة ٦٥١-٦٥٣.

(٥٢)ابن بطوطة : الرحلة ، ص٦٥٢-٦٥٣.

(٥٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ٣١٨.

(٥٤) دائرة المعارف الإسلامية El – ط٢ (بالإنجليزية). مج٢، ص٣٥٣

(55) Highfield , R, spain in the Fifteen century , Bristol, 1922, pp:20-48 , 49

(٥٦) دائرة المعارف الإسلامية (El) – ط٢ (بالإنجليزية)، مج٢، ص٣٥٣

(٥٧)عنان ، محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، ١٩٩١، ص ٢٩٢.

(٥٨) نوريس بالباس (Torres Balbas) : «بقي من الآثار الإسلامية في جبل طارق بعض الأسوار وحمام ، وأهم من ذلك برج القصبة الكبير المعروف باسم قلهرة (Calahorra) الذي شيده السلطان المريني أبو الحسن ما بين عامي ١٣٤٢ و ١٣٤٤. ينظر كتابه (المدن الأندلسية) ، ٦٧/١.

(٥٩) نوريس ت . أج ، الاستيطان الإسلامي المبكر في جبل طارق ، مقالة نشرت في مجلة المعهد الأنثروبولوجي الملكي . مدريد ، ١٩٦١ ، مج ، ج١ ، ص ٤٣-٤٤.

(٦٠) المصدر نفسه ، ص٤٤ .

(٦١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٤ ،ص١٢٢.

(٦٢) نوريس ، الاستيطان الإسلامي ، ص ٦٣.

(٦٣)المصدر نفسه، ص ٤٤.

(64) Thomas James , the Histovy of the Herculeans srraits, Madrid , 1771 , pp: 44-48.

(٦٥)المصدر نفسه ، ص ٤٦.

(٦٦)المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٦٧)المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

جهود علماء الكوفة
في الدرس اللغوي خلال القرن الثاني الهجري
/ الثامن الميلادي

أ.م.د. آلآء حماد رجه
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ
Alaahammad285@Gmail.com
Alhm809@Gmail.com

جهود علماء الكوفة في الدرس اللغوي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي

أ.م.د. آلآء حماد رجه

الملخص باللغة العربية

احمد الله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه واصلي واسلم على رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي رسم الطريق الى رضوان الله وجناته، وعلى آل بيته الطبيين الطاهرين، ومن والاهم واهتدى بهديهم وسلك منهجهم باحسان الى يوم الدين.

اما بعد:

شهدت الكوفه منذ الفتح الاسلامي لها في السادس عشر الهجري/ السابع الميلادي، حضارة عربية متميزة دامت لقرون عدة، احتلت فيها الكوفة مكانة مرموقة في التاريخ العبري الاسلامي، وكانت لها المكانة ذاتها في نفوس العرب خاصة والمسلمين عامة، فما كاد يطل القرن الثاني الهجري حتى كثر فيها العطاء والتصنيف والشرح والتدوين العلمي فكتب العلماء الكتب والرسائل والمناظرات والفتاوى ... الخ، الا ان كثير من علمائنا الافذاذ لازالوا في منطقة الظل وبحاجة الى دراسات مستفيضة ودقيقة بمنهجية علمية رصينة من اجل تسليط الاضواء عليهم وتحلية تراثهم وجهدهم القيم، التي تهز اهل الهمم وتحثهم على الاقتداء بهم والسير على منوالهم، خاصة وان الكوفة بلغت مجدها الحضاري وازدهاري الفكري في عصر شهد من الحضارة والتقدم ما لم تشهده حاضرة اسلامية في ذلك الوقت، خاصة وان الكوفة نزلها او استوطنها كبار الاولياء والتابعين وفيهم الكثير من القراء والعارفين بعلوم القرآن الكريم روايةً وضبطاً وتفسيراً، امثال عصم بن ابي النجود (ت١٢٧هـ/ ٧٤٤م) وحمزه بن حبيب الزيات (١٥٦هـ/ ٧٧٢م) والكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م).

نشأ التفكير او الاهتمام بعلوم اللغة العربية مع حاجة المسلم اليها في الثقافة الدينية لمعرفة شرح وفهم النص القرآني، خاصة بعد ان دخل الاسلام اجناس مختلفة من غير العرب فكان لابد من المحافظة على هذا النص من اللحن فالقرآن الكريم دستور الامة الاسلامية الخالدة بأذنه تعالى، وحجة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وآياته الكبرى، وهو عماد اللغة التي تستمد علومها منه على كثرتها وتنوعها، لذا كان النص القرآني موضع العناية الكبرى والاهتمام الدائم، وقد اتخذت اشكالاً مختلفة فتارة ترجع الى لفظه وادائه، واخرى الى اسلوبه واعجازه، ومره الى كتابته ورسمه، او قد يعود الى تفسيره وشرحه ... الخ. ونجد ان العلماء قد قصوا كل جانب من هذه الجوانب بالبحث والدراسة وحتى بتأليف وتصنيف الكتب فيها، ودونو المجلدات التي تفتخر بها المكتبة العربية الاسلامية.

ومما لاشك فيه ان الثقافة الاسلامية منحت علوم اللغة العربية اهتماماً خاصاً، وجعلتها في المقام الاول بعد العلوم الشرعية ، خاصة وان الاخيرة تستمد من العلوم اللغوية؛ لان النحو والصرف والمعاني والبيان والشعر والعروض والبلاغة ... الخ، كلها تساعد على فهم وتوضيح مقاصد العلوم الشرعية من الاقراء والتفسير والحديث والفقه ... الخ.

اذن العلوم والدروس اللغوية هي من اهم الاسس التي تقوم عليها العلوم الشرعية، وهي التي تساعد على فهم نصوص آيات القرآن الكريم وكشف غوامضه وتبيان اعجازه وبلاغته. ومن هنا جاء عنوان البحث الموسوم ((جهود علماء الكوفة في الدرس اللغوي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي))، لنسلط الضوء فيه على دور العلماء الكوفيين في تحقيق التمكين للدين الاسلامي عن طريق تدريس العلوم اللغوية بما امنوا وعلموا مبادئه واحكامه ونشروا قيمه وفضائله، وكذلك المحاولة للوقوف على الكيفية التي حافضوا بها العلماء الكوفيين على البناء الفكري المستند على اصول سليمة وراسخة العقيدة.

لقد اقتضت طبيعة البحث ان ينقسم على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع المستخدمة.

تناولت المقدمة لمحة موجزة عن الطبيعة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لمدينة الكوفة.

اختص المبحث الاول بالعوامل التي ساعدت على نشوء وازدهار الحركة الفكرية في مدينة الكوفة.

اقتصر المبحث الثاني بالحديث عن علوم العربية من لغتها ونحوها وصرفها ومن تصدر للتدريس فيها واهم الكتب التي صنفت في علومها.

تطرق المبحث الثالث عن اثر الرحلة العلمية في التعليم والتعلم ونشوء المدرسة اللغوية في مدينة الكوفة.

وختم البحث بعدد لا بأس به من النتائج كانت اهمها:

١- اتسمت الحياة الفكرية في مدينة الكوفة بالشمول النوعي والمكاني، فقد شارك فيها جميع ابناء المجتمع من رجالاتها الاغنياء والفقراء يجمعهم الهدف الجليل هو طلب العلم ونشره ابتغاء مرضاة الله تعالى.

٢- ان الحياة الفكرية في مدينة الكوفة باركانها الثلاث من العالم والمتعلم واداة العلم كانت جزءاً لا يتجزء من الحياة الفكرية في العالم العربي الاسلامي؛ لانها لم تكن وليدة المنطقة بل اسهم الجميع فيها للعمل في بناء هذه الحياة وازدهارها.

٣- كانت الحياة الفكرية حرة طليقة، مما ساعد على كثرة النتاج الفكري لعلما ئهامن كتب ومصنفات في مختلف ميادين المعرفة.

٤- شهدت مدينة الكوفة تطاحناً سياسياً وبالرغم من شدة هذه الاحداث المؤلمة لم يتوان العلماء وطلبة العلم عن تلبية نداء الجهاد العلمي- الفكري.

٥- بلغ عدد العلماء الكوفيين اللذين اسهموا في ازدهار حركة العلوم اللغوية اكثر من ثلاثون عالم من مجموع اثنان وثمانون بعد المأتان في مختلف المجالات المعرفية.

وقد اعتمد البحث على مجموعة لابأس بها من المصادر والمراجع التي اغنت مرضوعات المباحث، كان اهمها من صنف المصادر كتاب الطبري (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) التفسير المعروف بجامع البيان في تأويل القرآن، وكتاب ابو الطيب اللغوي (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) مراتب النحويين واللغويين، وكتاب الزبيدي (٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) طبقات اللغويين والنحويين، وكتاب الانباري (ت٥٧٧هـ/١١٨١م) الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، وكتابه الثاني نزهة الالباب في طبقات الادباء، وكتاب للبغدادي (ت١٠٣٩هـ/ ١٦٨٢م)خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، وكتاب التهانوي (١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم.

ومن مصنفات المراجع كتاب بروكلمان تاريخ الادب العربي، وكتاب البستاني ادباء العرب في العصور العباسية، وكتاب التنوخي المعجم المفصل في الادب والمعجم المفصل في اللغة، وكتاب الحكيمي تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، وكتاب الطنطاوي نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، وكتاب الحموز الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، وكتاب زيدان تاريخ اداب اللغة العربية، وكتاب شمس الدين التعليل اللغوي عند الكوفيين، وكتاب جعيط نشأة الكوفة، وكتاب للبراقي النجفي تاريخ الكوفة.

الملخص باللغة الانكليزية

Since the Islamic conquest of Kuwait on the sixteenth of AH / 7 th century, Kufa has been a prominent place in the history of the Hebrews of Islam, and it has the same status in the hearts of Arabs, especially Muslims in general. In which the tender, classification, explanation and codification scientific scholars wrote books, letters, debates, fatwas, etc.,

However, many of our outstanding scientists are still in the shadow region and need thorough studies and accurate scientific methodology in order to shed light on them and the desalination of their heritage and their valuable efforts, which shake the people of inspiration and urges them to follow them and follow their example, especially as Kufa reached its glory civilization and intellectual boom in the era And it was witnessed by many of the readers and those familiar with the sciences of the Holy Quran, a novel, a sign and an explanation, such as Esam Ibn Abi Al-Najood d.(127 AH / 744ML) and Hamza bin Habib Al-Zayyat (156 AH / 774ML) And LX E (189 AH/ 804ML).

The thinking or interest in the sciences of the Arabic language arose with the need of the Muslim in the religious culture to know the explanation and understanding of the Quranic text, especially after Islam entered different races from non-Arabs. It was necessary to preserve this text from the melody. The Holy Quran is the eternal constitution of the Islamic nation. (Peace and blessings of Allaah be upon him) and his great signs, The Quranic text is the subject of great care and constant attention. It has taken different forms, sometimes due to its pronunciation and performance, and to its style and its miracles, and its time to write and draw it, or it may return to its interpretation and explanation ... etc. We find that scientists have cut every aspect of research and study and even the composition and classification of books, and Dono folders that boasts the Arab Islamic Library.

There is no doubt that the Islamic culture gave the Arabic language special attention, and made it in the first place after the forensic sciences, especially since the latter derives from the linguistic sciences; because grammar, meanings, statement, poetry, presentations, eloquence, etc., all help to understand and clarify the purposes of Islamic science From reading, interpretation, Hadith, Fiqh ... etc.

Therefore, science and language lessons are among the most important foundations on which the forensic science is based. It helps to understand the texts of the verses of the Holy Quran, revealing its mysteries and revealing its miracles and eloquence. Hence the title of the research entitled ((efforts of the scholars of Kufa in the language lesson during the second century AH / 8th century AD), to highlight the role of the Kufian scientists in achieving the empowerment of the Islamic religion through the teaching of language sciences, including security and learned its principles and provisions and published values and virtues, As well as the attempt to find out how the Kufian scholars had motivated intellectual construction based on sound and well-founded doctrines.

The nature of the research required that it be divided into an introduction, three investigations, a conclusion, and a set of sources and references used.

The introduction provided a brief overview of the geographical, historical and social nature of the city of Kufa.

The first topic deals with the factors that helped the emergence and prosperity of intellectual movement in the city of Kufa.

The second topic was limited to talking about the Arabic sciences from their language and so on, and their disbursement, and the one who was issued to teach in it and the most important books that were classified in its sciences.

The third topic dealt with the impact of the scientific journey in teaching and learning and the emergence of the language school in the city of Kufa.

The research concluded with a good number of results, the most important of which:

1 - The intellectual life in the city of Kufa Yalshmul qualitative and spatial, was attended by all members of the society of its rich and poor men gathered by the great goal is to seek knowledge and publish it in order to pleasing GodAlmighty.

2. The intellectual life in the city of Kufa, its three pillars of the world, the learner and the knowledge of science was an inseparable part of the intellectual life in the Arab-Islamic world, because it was not the birthplace of the region, but everyone contributed to it in order to build and flourish this life.

3. Intellectual life was free and enjoyed full freedom, which helped to increase the intellectual output of its scientists, books and works in different fields of knowledge.

4.The city of Kufa has been politically overthrown and despite the severity of these painful events, scientists and students of science have not failed to meet the call of scientific-intellectual jihad.

5 - The number of Kufi scientists who contributed to the flourishing of the movement of linguistic sciences more than thirty world of the eighty - two after the two in various fields of knowledge.

لمحة تاريخية لمدينة الكوفة

عرفت معنى كلمة كوفة في كتب اللغة على انها الرملة الحمراء المستديرة وبها سميت الكوفة[١]، او هي الرملة المجتمعة وقيل الكوفة الرملة ما كانت[٢]، والتكوف التجمع أي سميت لاجتماع الناس بها[٣]، من قولهم: " تكوف الرمل تكوفاً ركب بعضه بعضاً"[٤]، وكوفان اسم ارض وبها سميت الكوفة[٥]، " وكوف القوم اتو الكوفه "[٦]، والكوفان هي الدغل بين القصب والخشب[٧]، وانها سميت كوفة لـ: " موضعها من الارض وذلك ان كل رملة تخالطها حصباء تسمى كوفة "[٨].

وترجع تسميتها الى القائد سعد بن ابي وقاس الذي امر الناس بالعيش فيها فيقول البكري: " ان سعداً لما افتتح القادسية نزل المسلمون الانبار فآذاهم البق، فخرج وارتاد لهم موضع الكوفة ... وقال: تكوفوا اي اجتمعوا "[٩].

وان الكوفة لم تكن معروفة بهذا لاسم قبل تمصيرها؛ فكانت جزءاً من الضفة الغربية للفرات الاوسط، وثغراً من ثغور البادية ومحل للتبادل التجاري بين الفرس وقبائل شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام[١٠]، وبينها وبين النجف اثنا عشر كيلو متراً، ومئة وست وخمسون كيلو مترا عن بغداد وستين كيلو متراً عن كربلاء، وتحدها من الشمال الشرقي مدينة الحيرة[١١]، وارضها سهلية منبسطة ترتفع عن سطح البحر بأثنان وعشرون متراً، وجهتها الغربية اعلى من الشرقية بستة امتار، ساعدها ان تكون بمأمن من الفيضان، وفي جنوبها الغربي تمتد بحيرة مالحة عرفت ببحر النجف[١٢].

بعد انتصار جيش المسلمين بفتح العراق في معركة القادسية سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، اصبحت الحاجة ملحة الى اتخاذ قاعدة عسكرية لانطلاق الجيوش منها لاستكمال عمليات فتح البلدان الشرقية، فوقع الاختيار على مدينة المدائن[١٣]، ولما ارسل القائد سعد بن ابي وقاص وفداً الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بأمر المركز الجديد، وحين عودة الوفد اخبروه برسالة الخليفة بأن: " العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلاد "[١٤]، ففهم بوجوب اختيار مرتكزاً جديداً غير المدائن فوقع الاختيار على الكوفة، التي امتازت بموقعها المتميز وارضها الخصبة ووفرة مياهها، حتى قيل عنها: " برية بحرية، اذا اتتنا الشمال هبت في مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، واذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد ... ماؤنا عذب ومحتشنا خصب "[١٥]، وكذلك: " هي مربئة مربعة، برية بحرية، اذا اتتنا الشمال هبت في مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، واذا هبت الجنوب جائتنا بريح السواد وورده وياسمينه، وخيريه، واترجه، ماؤنا عذب، ومحتشمنا خصب "[١٦] ويقال ان: " اهل الكوفة نزل في منازل كسرى بن هرمز، بين الجنان الملتفة، والمياه الغزيرة والانهار المطردة، تأتيهم ثمارهم غضة، لم تخضد ولم تفسد "[١٧].

وتشير المصادر الى ان السبب الاساسي الذي شجع العرب المسلمين على تمصير او بناء مدينة جديدة اسمها الكوفة، يعود الى حاجة المسلمين العسكرية لتسهيل مهمة دخول الامدادات الحربية من جهة ولتكون حلقة الوصل بين مركز الدولة الاسلامية وقواتها المقاتلة[١٨]، فبدأت القبائل الداخلة تحط في الخطط واغلبها من عرب الجنوب اليمنيين والمضريين، ثم تعاقبت عليها الهجرات من مختلف الجنسيات العربية كانت ام الاجنبية[١٩].

وقد اسكنوا في فساطيط وهي خيمة او بيت من الشعر اول الامر حتى بدأ ببناء الدور من الحجر والآجر، وقسمت الى سبع مناطق عسكرية لتيسير عملية التعبئة وتوزيع الارزاق[٢٠]، ثم اصبح التقسيم رباعي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م امتزجت بها القبائل حتى كانت خطوة لنشوء حياة جديدة قائمة على اساس الالتزام المدني وليس الالتزام القبلي وسميت كل مجموعة دخلت الكوفة واستقرت بها بأسم المدينة التي جاءت منها كعرب البصرة وعرب الكوفة وأزد البصرة وازد الكوفة[٢١].

كان للكوفة دوراً متميزاً كقاعدة عسكرية انطلقت منها حركات الفتوح الاسلامية الى الشمال الشرقي والغربي من بلاد الشام وبلاد فارس[٢٢]، ثم اصبحت قاعدة سياسية مهمة بعد مبايعتها للامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بالخلافة الاسلامية، وكانت معقل للثورات على السلطة الاموية[٢٣]، وفي العصر العباسي اتخذت قاعة لهم في بادئ الامر قبل بغداد[٢٤]، وحظيت ايضاً بمكانة تجارية مهمة بين القبائل الصحراوية القادمة من الحجاز واليمن[٢٥].

<u>الحركة الفكرية في الكوفة</u>

كانت الكوفة منذ تمصيرها سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، واحدة من المراكز الثقافية المهمة، التي اسهمت في نمو الثقافة الدينية وازدهارها ونشرها في مختلف نواحيها الفقهية واللغوية، اذ ظهرت فيها الحاجة

للدراسات الدينية مع حاجتهم لقراءة وفهم آيات كتاب الله الكريم، فظهرت مجموعة من الاتجاهات او الاختصاصات التي اهتمت بدراسة القرآن الكريم قراءة وتفسيرا، وقسم آخر ركز على السيرة النبوية الشريفة وما تحويه من احاديث رسمت الطريق الى الجنة في الحياة وبعد الممات، وقسم ثالث اهتم بالدراسات الفقهية وتشريعها بما يتفق مع كتاب الله وسنة نبيه.

لقد اهتم الخلفاء منذ الوهلة الاولى بأرسال المعلمين الى البلدان المفتوحة ليعلموا اهلها اللغة العربية وقراءة كتاب الله، وكان الصحابي عمار بن ياسر (٣٧هـ/ ٦٥٧م) واخيه عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ/ ٦٥٢م)، اول الداخلين الى الكوفة، اذ دخل عمار كوالي واميرا، وعبدالله وزير ومعلم[٢٦]، ويشير الذهبي ان الخليفة بعث كتاباً بذلك جاء فيه: " اني قد بعثت اليكم عمارا اميرا، وابن مسعود معلما ووزيرا، وهما من النحاة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، من اهل بدر، فأسمعوا لهما، واقتدوا بهما، قد آثرتكم بعبد الله على نفسي "[٢٧]، فسرعان ما التفوا حوله واخذوا يتلقون عنه علوم العربية وبدأوا ينشرونه عنه، وهم البذرة الاولى في مدرسته القرائية، فكانوا كما وصفوا بأنهم: " سرج الكوفة "[٢٨].

وكان لملازمة عبد الله بن مسعود لرسولنا الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ساعده على حفظ القرآن منه ومعرفة اسباب نزول الآيات حتى وصفه الذهبي بأنه: " اشبه الناس هديا، ودلا، وقضاءا، وخطبة، برسول الله صلى الله عليه وسلم حين يخرج الى بيته الى ان يرجع "[٢٩]، وكان يسعى بالبحث عن تعلم القرآن واسباب نزول الايات سعي الجائع لاشباع بطنه وما تشبع، فيقول: " والله الذي لا اله غيره، ما انزلت سورة من كتاب الله الا انا اعلم اين نزلت، ولا انزلت آية من كتاب الله االا انا اعلم فيمن نزلت، ولو علم مني بكتاب الله تبلغه النيل لركبت اليه "[٣٠].

وكانت مدرسة ابن مسعود تسير في اتجاهين: الاول في الاقراء والثاني في التشريع[٣١]، وكان يعتمد في الاخذ بالرأي في مسألة لم يجد في القرآن ولا السنة رأي[٣٢]،وبهذا ظهرت لاول مرة مدرسة لغوية او نحوية في الكوفة، تجمل منهجاً يقوم على بسماع او الاخذ بالرأي الآخر حتى ولو كان مخالفاً، ليكون القياس الذي تخرج منه الاراء[٣٣]، وهذا ما امتازت به الكوفة عن غيرها من البصرة وبغداد، ومن امثال هذه المدرسة: ابن ربيعة السلمي (ت ٧٣هـ/ ٦٩٢م)، وابن حبيش الاسدي (ت ٨٢هـ/ ٧٠١م)، ويحيى بن وثاب الاسدي (ت ١٠٢هـ/ ٧٢١م)[٣٤]، وغيرهم.

حظي جمع الحديث النبوي الشريف وتدريسه جانباً من اهتمام اهل الكوفة، اذ ظهرت مجموعة من العلماء الذين اهتموا بتدوين الحديث امثال: ابن شريك التميمي (ت٩٢هـ/ ٧١٠م)، وابن عتيبة الكندي (ت١١٢هـ/ ٧٣٠م)، وابو عبد الله السبيعي الهمداني (ت١٢٧هـ/ ٧٤٤م)[٣٥]، وغيرهم.

وكانت في الكوفة اماكن خاصة بمثابة مجمع لقاء التلاميذ بمعلمهم، ففي بادئ الامر الكتاتيب التي زخرت بها منازل المعلمين لتعليم القراءة والكتابة وحفظ ايات من القرآن الكريم، او قد يتخذ العلماء من دورهم مقراً للدرس والتعليم، وبعدها ينتقل الى اخد مراكز العلم المعروفة، فكان المسجد واحد من اكبر

تلك المراكز، فلم يكن مكان للعبادة فقط، بل عقدت به حلقات الدرس لتعلم القرآن وقراءاته اللغوية وتفسيراته التشريعية او الفقهية، ومعرفة الحديث وروايته[٣٦]، امثال حلقات ابراهيم بن عثمان العبسي (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٥م)[٣٧] وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٥م) ، واستمرت هذه الحلقات الى بداية العصر العباسي التي تنوعت به حلقات الدرس فأخذت تحوي كل حلقة نوع من الدروس فكانت حلقات واحدة للدرس اللغوي والنحوي، واخرى للادب والشعر وحتى للرواية التاريخية[٣٨].

وكانت قصور الخلفاء واصحاب المراكز العليا مركزاً آخر لقيام حلقات الدرس فيه، ولهم الدور الفعال في تشجيع واستقبال العلماء، فأتخذوا لاولادهم المعلمين امثال ابو مسلم الهراء (ت ١٠٩هـ/ ٧٢٧م) مؤدب اولاد عبد الملك بن مروان[٣٩]، شرقي بن القطامي الذي كان معلماً ومؤدب المهدي ابن الخليفة ابو جعفر المنصور، وشيبان بن عبد الرحمن التميمي (ت ١٦٤هـ/ ٧٨٠م)، مؤدب اولاد داود بن عبد الله بن عباس عندما كان والياً على الكوفة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م [٤٠]، والكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) الذي اتخذه الرشيد مؤدباً لولده الامين[٤١]، وهذه كانت من اهم العوامل التي ادت الى نشر وتعلم العلوم العربية في الكوفة.

علوم العربية (اللغة والنحو)

حظيت علوم اللغة العربية بعناية كبيرة في الدولة العربية الاسلامية بشكل عام والكوفة بشكل خاص، وتمثلت بمظاهر متعددة، ابرزها: ان اللغة العربية في نحوها وبلاغتها وادبها، تعد مادة اساسية تدرس في مساجد المدن وسائر مراكز التعليم، وان القائمين على تدريسها والتأليف فيها كانوا اكثرهم من الطلبة الذين تعلقوا بدراسة هذه اللغة واتقانها، لانها لغة الدين، وكجزء من دراسة وتعلم واتقان القرآن الكريم وعلومه.

وقد منحث الثقافة الاسلامية العلوم العربية اهتماما خاصا، فجعلتها بالمقام الاول بعد العلوم الشرعية، لصلتها بتلك العلوم، وان علماء المسلمين رتبوا العلوم حسب: اقدارها زمنازلها، فجعلوا العلوم الشرعية في المرتبة الاولى، وجعلوا العلوم التي تخدمها في المرتبة التي تليها مباشرة، فالنحو والصرف والشعر والعروض والبلاغة، كلها تساعد على فهم العلوم الشرعية، وتوضيح مقاصد الشريعة، فيقول ابن جماعة: " القرآن والقراءات، فالحديث، فالتفسير، فاصول الدين، فاصول الفقه، فالفقه، فالنحو، فالصرف، فالشعر، فالعرض "[٤٢]، وصنف ابن خلدون العلوم بـ: " علم التفسير، وعلم القراءات، وعلوم الحديث، واصول الفقه، والفقه، وعلم الكلام، وعلم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الآداب "[٤٣]، ومما يؤكد الارتباط بين العللوم الشرعية والعلوم العربية، ان العلوم الشرعية لها امتداد من العلوم العربية بشكل عام والنحو بشكل خاص[٤٤]، فجميع القراء الذين تصدروا للقراءة يجيدون النحو اجادة تامة، فيقول الذهبي عن

ابن مسود بأنه: " ممن يتحرى في الاداء، ويشدد في الرواية، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الالفاظ "[٤٥].

ويلاحظ ان العناية بعلوم اللغة العربية واضحة في دراسة الحديث الشريف، اذ يترجم الذهبي لسيرة مسروق بن الاجدع (٦٣هـ/ ٦٨٢م) بأنه: " كان اصحاب عبد الله الذين يقرؤون الناس ويعلمونهم السنة "[٤٦] ويكمل بقوله: " تابعي ثقة، كان احد اصحاب عبد الله الذين يقرؤون ويفتون"[٤٧]، وكان الاهتمام باللغة العربية ودراستها جزءا كبيرا من دراسة علم التفسير، لان علم اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان من العلوم الموصلة الى معرفة التفسير[٤٨]، ويظهر هذا واضحاً في عناية علي بن حمزة الكسائي بتصنيف كتاب في تفسير القرآن فيقول الاخفس (ت ٢ هـ)وهو مؤدب ولده: " لما اتصلت الايام بالاجتماع سألني الكسائي ان اؤلف له كتاباً في معاني القرآن، فألفت كتابي في المعاني، فجعله اماماً وعمل عليه كتاباً في المعاني، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما "[٤٩] (معاني القرأن)، وكذلك نج الفقيه لا يمكن ان يستغني عن دراسة علوم اللغة في معرفة احكام التكاليف الشرعية العلمية، واستنباط الاحكام، فهو يبحث في مواضيع متعددة ومختلفة كالعبادات من (صلاة وزكاة وصوم وحج ... الخ)، والمعاملات من (بيع وشراء وقروض ورهن ... الخ)، فهو يواجه كل المسائل الت تخص الفرد في مجالات حياته اليومية الدينية والدنيوية[٥٠]. ومن هنا تبين لنا ان علوم العربية هي الاساس التي تقوم عليها العلوم الشرعية، والتي تساعد على فهم القرآن الكريم وتفسيره، وكشف غوامضه، وتبيان اعجازه وبلاغته.

لقد كثر عدد العلماء المعنيين بعلوم اللغة العربية والقائمين على تدريسها في داخل وخارج الكوفة، ومتخذاً من المسجد مركزاً لتدريس اللغة العربية وتعليم القرآن الكريم، ومنهم: ابو جعفر الرواسي (١٨٧هـ/ ٨٠٣م) وهو اول من وضع كتابا في النحو من الكوفيين، وله كتاب التصغير وكتاب معاني القرآن[٥١]، ومعاذ بن مسلم الهراء (ت١٠٩هـ/ ٧٢٧م) وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ/ ٨٠٤م) استاذ مدرسة الكوفة النحوية وله كتب كثيرة منها كتاب معاني القرآن وكتاب مختصر النحو وكتاب القراءات وكتاب العدد وكتاب النوادر الكبير والصغير وله رسالة فيما تلحن فيه العوام[٥٢]، ويحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) ومن اعماله كتاب معاني القرآن وكتاب المصادر في القرآن وكتاب الجمع والتثني في القرآن[٥٣]، و ابو يحيى الكوفي المعروف بأبن كناسة (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) ومن مصنفاته كتاب الانواء وكتاب معاني الشعر وكتاب سرقات الكميت من القرآن الكريم[٥٤]، ومحمد بن زياد الاعرابي (٢٣١هـ/ ٨٤٥م) ومن مصنفاته كتاب الانواء وكتاب صفة النخيل وكتاب النبات وكتاب نسب الخيل[٥٥]، وابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م) وخلف مجموعة كبيرة من المؤلفات في النحو والصرف واللغة والقراءات ورواية الشعر ومنها اختلاف النحويين واستخراج الالفاظ واعراب القرآن والاوسط في النحو[٥٦].

الرحلة العلمية ونشوء مدرسة الكوفة

ان خوف المسلمين على القرآن الكريم من التحريف او يدخله تصحيف او لحن فيفسد نص آياته، بسبب اختلاف الجنسيات الذين دخلو الاسلام بعد الفتوحات العربية الاسلامية للبلدان، وانتشار المسلمين فيها جعل ان يكون هناك قراء للقرآن يختلف من مدينة الى اخرى، ممن شهدوا حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وسمعوا منه قراءته للقرآن، في البصرة استقر جماعة منهم وجماعة اخرى في الكوفة واخرى في الشام، فاصبح اهل البصرة يقرؤن بمصحف والكوفة بمصحف واهل الشام بمصحف آخر[٥٧]، وشكلت هذه الاختلافات في القراءة خطرا خاصة وان كل فريق منهم تمسك بقراءته مستندين على حديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): " انزل القرآن على سبعة احرف فأقرؤا ما تيسر منه "، الامر الذي جعل ولاة الامر ومن اجل حماية هذا الكتاب العظيم من أي تداخلات خارجية ان يقوموا بأول خطوة بجمع آياته في نسخة واحدة منذ عهد الخليفة ابو بكر ثم دور الخليفة عثمان في توحيد نصوصه ونشرها بين العامة وامر بحرق نسخ المصاحف الاخرى[٥٨]، واستمر هذا الاهتمام الى عهد الخلفاء الامويين الذين ندبوا رجال عمدوا الى اعراب واعجام آيات القرآن ومنهم ابي الاسود الدؤلي ونصر بن عاصم[٥٩].

ومن هنا ظهر العلماء الذين حرصوا على دراسته وباتجاهات مختلفة، فنشأت المدارس النحوية التي حاولت دراسة تصحيح نصوص القرآن عن طريق الرواية وعرفوا بالقراء، واخرى درست احكام القرآن وفهمه لبناء المجتمع، وواحدة اخيرة اخذت منحاً لغوياً تعني بأعراب نصوص القرآن مستعينة برواية اللغة وعلل التأليف والاعراب وهؤلاء هم النحاة[٦٠]، ومن هنا ظهرت المدرسة النحوية في البصرة التي عنيت بدراسة القرآن الكريم، ومن اوائل الدارسين فيها عبد الله بن ابي اسحاق الخضرمي (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م) وعيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٦م) وابو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ/ ٧٧٠م) والخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ/ ٧٨٩م)[٦١]، ويشير ابن النديم على ان علماء البصرة كان لهم السبق في علوم العربية: " انما قدمنا البصريين اولاً، لان علم العربية عنهم اخذ "[٦٢]، ويعزو الطنطاوي فضل مدرسة البصرة في وضع قواعد النحو العربي بأن: " الذي استأثر به البصرة صاحبة الفضل في وضعه وتعهده في نشأته ... اشتغل فيه طبقتان من البصريين بعد ابي الاسود حتى تأصلت اصول منه كثيرة ... الاولى التي اخذت عن ابي الاسود في تثمير ما تلقته ووقفت على استنباطه ... لم تقو حركة التصنيف بينهم، فلم يؤثر عنهم الا بعض نتف في مواطن متفرقة من الفن، لم تبلغ حد الكتب المنظمة... والثانية التي كانت اكثر عددا من سابقتها، فقد كانت اوفر منها حظا في هذا الشأن، اذ وطأت لها سبيله فازدادت المباحث لديها، واضافت كثيرا من القواعد، ونشأت حركة النقاش بينها، فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط ما هيأ لها وقتها، واستطاعت التصنيف فدونت فيه بعض كتب مفيدة"[٦٣].

يعد الكسائي من اوائل الذين اهتموا بدارسة علوم اللغة العربية وادخلها الى الكوفة، اذ اعتقد بضرورة الالمام بعلوم اللغة لتساعد الناس على قراءة القرآن الكريم وتفسيره، خاصة بعد زيادة الداخلين الى الكوفة من الموالي، حتى يسهل عليهم شرح الفاظه ومعانيه، وضبط عباراته لمعرفة ما فيها من ظواهر صوتية تختلف بأختلاف الناطقين بهذه اللغة[٦٤]، فكانت اول رحلته الى البصرة لتعلم مبادئ العربية على يد صانعي علومه، فحضر اول مجالس الدرس لعيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ/ ٧٦٦م)، ومجالس الدرس للخليل بن احمد الفراهيدي، ومجالس الدرس يونس بن حبيب (ت١٨٨هـ/ ٨٣٣م)، ومجالس الاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، واخذ يتنقل في بوادي البصرة يسأل ويستفسر ويأخذ ما يمكن معرفته عن اصل علوم اللغة العربية[٦٥]، ورحل الى البصرة ايضاً يحيى بن زياد الفراء الذي حضر مجالس اللغة واخذ عن الرواة واللغويين والشعراء والادباء البصريين، وهما من وضعا البذرة الاولى للمنهج النحوي لمدرسة الكوفة الذي اختلف عن منهج نحاة مدرسة البصرة، اذ اعتمد على النقل والرواية من جهة وعلى اخضاع المسموع للعقل واحكامه من جهة ثانية، وعاب البصريين على هذا المنهج الذي اتبعته مدرسة الكوفة النحوية ونقله لنا ياقوت بأن: " قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل وغيرهما، واخذ منهم نحوا كثيرا ثم صار الى بغداد فلقي اعراب الحطمة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان اخذه باليصرة كله "[٦٦].

اذن ان مدرسة الكوفة المختصة بدراسة علوم العربية، امتازت بالقياس على كل ما ينطق به العرب في القرى والبوادي او في المدينة او ممن يمكن ان يكون اللحن دخل عليه، فيدخل القياس الشاذ والنادر من تلك اللغات (اللهجات الخاصة)، معتمدين على سلاسة القول والصيغ.

الخاتمة

وقد ختم البحث بعدد من النتائج:-

١- اتسمت الحياة الفكرية في مدينة الكوفة بالشمول النوعي والمكاني، فقد شارك فيها جميع ابناء المجتمع من رجالاتها الاغنياء والفقراء يجمعهم الهدف الجليل هو طلب العلم ونشره ابتغاء مرضاة الله تعالى.

٢- ان الحياة الفكرية في مدينة الكوفة باركانها الثلاث من العالم والمتعلم واداة العلم كانت جزءاً لا يتجزء من الحياة الفكرية في العالم العربي الاسلامي؛ لانها لم تكن وليدة المنطقة بل اسهم الجميع فيها للعمل في بناء هذه الحياة وازدهارها.

٣- كانت الحياة الفكرية حرة طليقة مما ساعد على كثرة النتاج الفكري لعلمائها من كتب ومصنفات في مختلف ميادين المعرفة.

٤- شهدت مدينة الكوفة تطاحناً سياسياً وبالرغم من شدة هذه الاحداث المؤلمة لم يتوان العلماء وطلبة العلم عن تلبية نداء الجهاد العلمي– الفكري.

٥- بلغ عدد العلماء الكوفيين اللذين اسهموا في ازدهار حركة العلوم اللغوية اكثر من ثلاثون عالم من مجموع اثنان وثمانون بعد المأتان في مختلف المجالات المعرفية.

الهوامش

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين، معجم لسان العرب، تحق: يوسف خياط، ط (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، جـ٨، ص١٥٠؛ الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط (القاهرة: مؤسسة الحلبي، د.ت)، جـ٣، ص١١١؛ الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحق: يوسف الشيخ محمد، ط (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م)، ص٦٠.

(٢) الزبيدي، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحق: حسين نصار، ط (الكويت: حكومة الكويت، ١٩٧٤م)، جـ٧، ٩٠.

(٣) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، جـ٧، ٩٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٦٠.

(٤) ابن عباد، ابو القاسم اسماعيل بن عبد الصاحب ، المحيط في اللغة، تحق: محمد حسن آل ياسين، ط (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤م)، جـ٦، ص٩٩؛ ابن سيدة، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، تحق: عبد الحميد هنداوي، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، جـ٥، ص١٢٠.

(٥) ابن منظور، معجم لسان العرب، جـ٨، ص١٥٠؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، جـ٣، ص١١١؛

(٦) ابن عباد، ابو القاسم اسماعيل بن عبد الصاحب ، المحيط في اللغة، جـ٦، ص٩٩؛ ابن سيدة، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، جـ٥، ص١٢٠.

(٧) ابن عباد، ابو القاسم اسماعيل بن عبد الصاحب ، المحيط في اللغة، جـ٦، ص٩٩؛ ابن سيدة، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، جـ٥، ص١٢٠.

(٨) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ط (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، جـ٧، ص٢٩٥.

(٩) ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع، تحق: مصطفى السقا، ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ص١٤٢.

(١٠) البلاذري، ابو الحسن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، مر: رضوان محمد رضوان، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ص٢٨٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٧، ص٢٩٥؛ البكري، معجم ما استعجم، ص١٤٢.

(١١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٧، ص٢٦٥.

(١٢) البكري، معجم ما استعجم، ص٥٧٠.

(١٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١؛ البراخي، السيد حسين بن السيد احمد، تاريخ الكوفة، ط (بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٧م)، ص٢٣

(١٤) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحق: ابو الفضل ابراهيم، ط (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م)، جـ٤، ص٤٠؛ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفربن وهب بن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، ط (ليدن: ١٨٦٠م)، ص٧٣.

(١٥) ابن الفقيه، ابو نصر احمد بن محمد بن يعقوب، مختصر كتاب البلدان، ط (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ص١٦٣.

(١٦) البكري، معجم كما استعجم، ص٢٩٩.

(١٧) ابن الفقيه، البلدان، ص١٦٣.

(١٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٧، ص٢٩٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٥.

(١٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٧، ص٢٩٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٥؛ الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، الاخبار الطوال، تحق: عبد المنعم عامر، ط (بغداد: المثنى، د.ت)، ص٢٥٤.

(٢٠) الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، ط (بغداد: دار الجمهورية، ١٩٦٧م)، ص ص٣٠- ٣٤؛ مانسينيون، لويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، تر: كامل سلمان الجبوري، ط (النجف: العربي الحديث، ١٩٧٩م)، ص ص٤٠- ٤٣.

(٢١) الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، ص ص٣٠- ٣٤؛ مانسينيون، خطط الكوفة، ص ص٤٠- ٤٣.

(٢٢) ابن الفقيه البلدان، ص ص١٧، ١٦٣-١٧٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٨.

(٢٣) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٤٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ص٧٣؛ الدينوري، ، الاخبار الطوال، ص٢٥٤.

(٢٤) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٤٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ص٧٣؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٥٤.

(٢٥) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٤٠؛ اليعقوبي، تاريخ، ص٧٣؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٥٤؛ الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، ط (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٢م)، ص٢٠٩؛ جعميط، هشام، الكوفة ونشأة المدينة الاسلامية، ط (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٣م)، ص٧٠.

(٢٦) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، حـ٦، ص٩٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٥٥؛ امين، احمد، فجر الاسلام، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٣٥م)، ص١٨٤.

(٢٧) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد، سير اعلام النبلاء، تحق: شعيب الارناؤوط، ط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م)، جـ١، ص٤٨٦.

(٢٨) ابو زكريا محي الذين بن شرف النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، جـ١، ص٢٩٠.

(٢٩) سير اعلام النبلاء، جـ١، ص٤٧٠

(٣٠) ابن سعد، الطبقات، جـ٦، ص٩٠.

(٣١) ابن الجرزي، شمس الدين محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء ط (مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢م)، جـ١، ص ص٤١٣، ٤٩٤، ٣٠٥- ٣٠٦؛ امين، ضحى الاسلام، ط (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٣٥م)، جـ٢، ص ص١٠٦-١٠٧.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ص١٤٣- ١٤٨؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحق: احسان عباس، ط (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م)، جـ٤، ص١٧٩؛ احمدعبد الستار حامد، الحسن بن زياد بين معاصريه من الفقهاء، ط (بغداد: دار الرسالة، ١٩٨٠م)، ص٦٢.

(٣٣)السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علم اصول النحو، ط (جيدر اباد: د.مط، ١٨٩٢م)، ١٠٢؛ همع الهوامع وشرح جمع الجوامع في علم العربية، ط (مصر: السعادة، ١٩٠٩م)، جـ١، ص٤٥؛ الخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة المصطفى البابي الحلي، ١٩٥٨م)، ص٣٩، ١١٦.

(٣٤) الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحق: بشار عواد معروف، ط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م)، جـ١، ص ص١٥-١٨، ٢٥- ٣٠، ٣٥- ٣٦؛ ابن الجرزي، جـ١، ص ص٤١٣، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣١٥؛ امين، ضحى الاسلام، جـ٢، ص ص١٠٦- ١١٢.

(٣٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٤م)، جـ١، ص ص٦١، ١١٤- ١١٧؛ امين، فجر الاسلام، ص ص٢٠٨- ٢١٢.

(٣٦) الدرة، سعيد، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط (عمان: الشركة الثلاثية، ١٩٦٧م)، ص٢٤٢؛ امين، فجر الاسلام، ص ص١٤٨، ١٩٩؛ الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، ط (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م)، ص١١٩؛ مصطفى، شاكر، التاريخ والمؤرخون العرب، ط (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م)، جـ١، ص ص١٧٠- ١٧٧.

(٣٧) القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف، انباه الرواة على انباه النحاة، تحق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م)، جـ٢، ص٦٣؛ الشرقاوي، عبد الرحمن، ائمة الفقه التسعة، ط (دار غريب للطباعة والنشر، د.ت)، ١٦٩.

(٣٨) الدرة، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ص٢٤٢؛ امين، فجر الاسلام، ص ص١٤٨، ١٩٩؛ ضحى الاسلام، جـ٢، ص ص٥٠- ٥٤ الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، ط (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م)، ص١١٩؛ مصطفى، شاكر، التاريخ والمؤرخون العرب، ط (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م)، جـ١، ص ص١٧٠- ١٧٧.

(٣٩) ابن النديم، الفهرست، ص٧٧؛ ابن الانباري، نزهة الالباء، ص٧٥؛ السيرافي، ابو سعيد، اخبار النحويين البصريين، تحق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم الخفاجي، ط (القاهرة: د.مط، ١٩٥٥م)، ص ص٢٧- ٣٠.

(٤٠) ابن الانباري، نزهة الالباء، ص ص١٨- ١٩؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحق: اسعد داغر، ط (بيروت: دار الاندلس، ١٩٦٥م)،جـ٣، ص ص٣٢٠- ٣٢١؛ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر، تاريخ الخلفاء، تحق: حمدي الدمرداش، ط (د.م: مكتبة نزار مصطفى البار، ٢٠٠٤م)، ص ص٢٦٩- ٢٧٠؛ الرفاعي، فريد، عصر المأمون، ط (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٢م)، جـ١، ص١٧٤؛ البستاني، بطرس، ادباء العرب في العصر العباسي، ط (د.م: دار ماردن عبود، ١٩٨٩م)، ص٦٨.

(٤١) ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي، كتاب الفتوح، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، جـ٨، ص٤١٨؛ المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص٣٥١؛ امين، ضحى الاسلام، جـ٢، ص٦٩.

(٤٢) بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ط (حيدر اباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٣هـ)، ص١٧١.

(٤٣) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ط (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت، ص ص٤٣٥- ٤٣٦.

(٤٤) طاش كبرى زادة، احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحق: كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور، ط (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٨٦م)، جـ٢، ٦؛ ابن الاكفاني، محمد بن ابراهيم بن ساعد، ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد، ط (بيروت: د.مط، ١٣٢٢هـ)، ص ص٧٤- ٨٠.

(٤٥) سير اعلام النبلاء، جـ١، ص٤٦١؛ وينظر ابضاً: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي، الاصابة في تمييز الصحابة، تحق: احمد عبد الموجود، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، جـ٤، ص١٩٩؛ المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحق: بشار عواد معروف، ط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م)، جـ١٦، ص ص١٢١-١٢٥.

(٤٦) سير اعلام النبلاء، جـ٣، ص١٣٥.

(٤٧) المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال، جـ١٦، ص١٢٧.

(٤٨) ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراء، نر: برجسترا، ط (مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٢٢م)، جـ٢، ص٢٧٦، السيوطي، بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة، تحق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط (القاهرة: عيسى البابي، ١٩٦٤م)، جـ١، ص ص٢٦٥- ٢٦٦.

(٤٩) ابو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرأن، تحق: هدى محمود، ط (القاهرة: الخانجي، ١٩٩٠م)، جـ١، ص٢٦؛ وينظر ايضاً: القفطي، انباه الرواة، جـ٢، ٣٧؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ٥٩.

(٥٠) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ط (بيروت، دار العودة، د.ت)، ص٣٥٣؛ الاشف، عمر سلمان، تاريخ الفقه الاسلامي، ط (الكويت: دار النفائس، ١٩٩١م)، ص٢٠؛ الخضري بك، محمد، تاريخ التشريع الاسلامي، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٠م)، ص ص٧- ١٠.

(٥١) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب المعروف بالوراق، الفهرست، تحق: رضا تجدد، ط (طهران: د.ت، ١٩٧١م)، ص٩٦؛ ابن الانباري، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الالباء في طبقات الادباء، تحق: ابراهيم السامرائي، ط (الزرقاء: مكتبة المنار، ١٩٨٥م)، ص٦٦.

(٥٢) ابن النديم، الفهرست، ص٩٦؛ ابن الانباري، نزهة الالباء ، ص ص٥٨- ٦١؛ زيدان، جرجي، تاريخ اداب اللغة العربية، ط (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م)، ص١٣٣.

(٥٣) ابن النديم، الفهرست، ص٩٦؛ ابن الانباري، نزهة الالباب ، ص ص٥٨- ٦١؛ زيدان، جرجي، تاريخ اداب اللغة العربية، ص١٣٣.

(٥٤) ابن النديم، الفهرست، ص٧٧؛ ؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، جـ٥، ص٤٠٤؛ القفطي، انباه الرواة، جـ٣، ص١٥٩؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، جـ٥، ١٦٨؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ١٢٦.

(٥٥) ابـن النـديم، الفهرسـت، ص٧٥؛ الحطيـب البغـدادي، تـاريخ بغـداد، جـ٥، ص٢٨٢؛ ابـن الانبـاري، نزهـة الالبـاب، ص١١٩؛ القفطي، انباه الرواة، جـ٣، ص١٢٨؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص١٠٥؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ١٠، ص١١.

(٥٦) ابن النديم، الفهرست، ص٨٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ٥، ص٢١٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص١١٩؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٢، ص٦٦٦؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ٣٦٩.

(٥٧) ابن جني، ابو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحق: محمد علي النجار، ط (القاهرة: دارالكتب المصرية، ١٩٥٦م)، جـ٢، ص ص٧- ٩؛ الانباري، نزهة الالباء، ص ص٢٠- ٣٤؛ ابن قاضي شهبة، طبقات النحويين واللغويين، تحق: محسن غياض، ط (النجف: د.مط، ١٩٧٤م)، ص ص١٣٧- ١٣٨؛ ابن مجاهد، ابو بكر، السبعة في القراءات، تحق: شوقي ضيف، ط (مصر: د.مط، ١٩٧٢م)، ص٧؛ ابراهيم، محي الدين توفيق، ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف، ط (الموصل: د.مط، ١٨٧٩م)، ص٩٩؛ ابو المكارم، علي، تاريخ النحو العربي حتى اواخر القرن الثاني الهجري، ط (القاهرة: د.مط، د.ت)، ص١٠١؛ المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط (بغداد: د.مط، ١٩٥٥م)، ص ص٣٥- ٣٨.

(٥٨) ويقصد به نسخ قراءة ابي كعب في الشام، ونسخة عبد الله بن مسعود، ونسخة ابي موسى الاشعري في البصرة. ابن جني، الخصائص، جـ٢، ص ص٦- ٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٨؛ الطبري، تارخ، جـ٢، ص١٢٣.

(٥٩) ابن جني، الخصائص، جـ٢، ص ص٦- ٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٨؛ الطبري، تارخ، جـ٢، ص١٢٣؛ ؛ ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٧.

(٦٠) الحديثي، خديجة، المدارس النحوية، ط (بغداد: مؤسسة الرافد للمطبوعات،٢٠١٢م)، ص١٦٨- ١٧٠.

(٦١) ابن الجحمي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحق: محمود محمد شاكر، ط (القاهرة: المدني، ١٩٧٤م)، جـ١، ص ص١٠- ١٤؛ ابن قاضي شهبة، طبقات النحويين واللغويين؛ ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٧؛ ابراهيم، ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف، ص٩٩؛ ابو المكارم، تاريخ النحو العربي حتى اواخر القرن الثاني الهجري، ص١٠١؛ المخزومي،مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ص٣٥- ٣٨.

(٦٢) الفهرست، ص٧٠.

(٦٣) الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، ط (مصر: دار المعارف، د.ت)، ص ص٢٥- ٣٠.

(٦٤) ابن الجرزي، غاية النهاية، جـ١، ص٥٣٨؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، جـ٧، ص٣١٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء المعروف بارشاد الاريب الى معرفة الاديب، تحق: مرجليوت، ط (القاهرة، د.مط، ١٩٢٧م)، جـ٧، ص٢٧٦؛ شوقي، ضيف، المدارس النحوية، ط (مصر: دار المعارف، ١٩٦٨م)، ص٦٨؛ ابو المكارم، تاريخ النحو العربي، ص١٠١.

(٦٥) ابن الجرزي، غاية النهاية، جـ١، ص٥٣٨؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، جـ٧، ص٣١٤؛ شوقي، ضيف، المدارس النحوية، ط (مصر: دار المعارف، ١٩٦٨م)، ص٦٨؛ ابو المكارم، تاريخ النحو العربي، ص١٠١.

(٦٦) معجم الادباء، جـ٤، ص ص١٨٤، ١٩٠، جـ٥، ص١٩٠، جـ٧، ص ص٣١٠- ٣١٢؛ المخزومي، مدرسة الكوفة، ص١٣٧؛ الحديثي، المدارس النحوية، ص ص ١٨٢- ١٨٥.

السيرة الذاية للسلطان أبـي سعيد

أ.م.د.سهاد خزعل نجيب الربيعي
د. جاسم محمد العيبي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية

السيرة الذاتية للسلطان أبي سعيد

أ.م.د. سهاد خزعل نجيب الربيعي

د. جاسم محمد العيبي

الفصل الأول

سيرة السلطان أبي سعيد الذاتية

اولاً: اسمه وولادته ونسبه:

١- اسمه:

على غرار ما هو شائع في معظم تسميات[١] أفراد أسرة هولاكو خان[٢] (٦٥٦- ٦٦٣هـ/ ١٢٥٨- ١٢٦٤م) ترد اختلافات عديدة بشأن كتابة ولفظ اسم السلطان أبي سعيد بن محمد خدابنده أولجايتو[٣] بن أرغون[٤] بن أباقاخان[٥] بن هولاكو وهو السلطان التاسع في تسلسل الحكام الايلخانيين[٦].

ورد اسمه بالفاظ مختلفة مثل "ابو سعيد"[٧] و"بوسعيد"[٨] و"بو صعيد"[٩] واللفظ الأول "أبو سعيد" هو اللفظ الأكثر شيوعاً ودقة وذلك حسبما ورد عند مؤرخي الدولة الايلخانية وبعض المؤرخين المسلمين المعاصرين لفترة حكم السلطان أبي سعيد[١٠].

٢- ولادته:

ولد السلطان أبي سعيد في شهر ذي القعدة سنة ٧٠٤ هـ/ ١٣٠٤م، وهي السنة الثانية من تولي والده السلطان أولجايتو حكم الدولة الايلخانية (٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م)[١١].

اما عن يوم ولادته فقد اتفقت المصادر التاريخية على ان ولادة السلطان أبي سعيد كانت في اليوم السادس من شهر ذي القعدة سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)[١٢].

لقد ولد السلطان أبي سعيد في مدينة (أرجان)[١٣] التي كانت في حينها مقر اقامة والده السلطان اولجايتو حيث اعتلى والده عرش الدولة الايلخانية في هذه المدينة[١٤].

وقد أشار المؤرخ القاشاني في تاريخه ان السلطان أولجايتو احتفل بولادة ابنه المولود بحضور الامراء والوزراء والخواتين واوعز بأن يسلم ابنه الى مرضعة وعندما حضرت المرضعة امام السلطان اولجايتو قال لها: "ان ارضعي ابني هذا غياث الدين والدنيا"[١٥].

لقد كرست هذه المرضعة[١٦] حياتها لخدمة أبي سعيد وصارت ترعاه وتحافظ عليه حتى بلغ اشده، ويذكر ان أبا سعيد عندما كبر كان يعاملها بكل حب واحترام وكان يعدّها اماً له[١٧]، كذلك اوعز

السلطان اولجايتو الى أتابكه[١٨] الخاص "سونج"[١٩] بأن يتولى الاشراف على تربية ورعاية ولده أبي سعيد فكان لهذا الاتابك دور مهم في حياة السلطان أبي سعيد[٢٠].

لقد تزامنت ولادة السلطان أبي سعيد مع بدء والده السلطان ولجايتو ببناء السلطانية العاصمة الجديدة للدولة الايلخانية وذلك في العام (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)[٢١] حيث اكتمل بناؤها بعد تسع سنوات فظهرت في العام (٧١٣هـ/ ١٣١٣م) احدى اعظم مدن البلاد الاسلامية[٢٢] فقد انشأ فيها الكثير من المدارس والمساجد والحمامات والاسواق المختلفة وقد تجمع بها سكان كثيرون من مختلف طبقات المجتمع الايلخاني[٢٣]. لقد كانت ارض هذه المدينة قبل انشائها محطة للقوافل ومرتعاً لدوابهم ومقراً لإقامة المسافرين في عبورهم من العراق الى أذربيجان[٢٤]

او بالعكس[٢٥]، لذلك فكر السلطان غازان خان[٢٦] (٦٩٤- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤- ١٣٠٣م) في اواخر أيامه ان يختط هذه المدينة حيث ينبع نهر أبهر[٢٧] ونهر زنجان[٢٨] القصيران. وشرع فعلاً في بنائها لولا ان الاجل لم يمتد به، فاقتفى السلطان أولجايتو (٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م) فكرة اخيه في بناء هذه المدينة[٢٩] والتي مازالت اطلالها باقية لغاية اليوم[٣٠].

٣- نسبهُ:

ينتمي السلطان أبي سعيد من قبل أبيه الى قبيله (قيات)[٣١] وهي ترجع في اصلها الى قبائل المغول المتنوعة والمتعددة وقد نبغ في هذه القبيلة رجال اشداء كان لهم شأن في مجالات الحياة السياسية فكان في مقدمتهم جنكيزخان[٣٢]، الجد الأعلى[٣٣] للسلطان أبي سعيد ومؤسس الامبراطورية المغولية[٣٤].

ولاشك ان لهذا النسب اهمية في تحديد مكانته الشخصية في اسرته فأبي سعيد لم يكن مجرد ابنً للسلطان اولجايتو بل كان موضع اهتمام ورعاية والده به خصوصاً بعد وفاة اخوته في عهد والده وبقائه وحيداً من اخوته الذكور. حيث كان هو الوريث الوحيد لأبيه على الحكم[٣٥]. لذلك انعكست هذه المنزلة فيما بعد على شخصيته حيث اصبح ينظر اليه نظرة اكثر مكانة واهمية واحقيته بوراثة العرش.

أما من قبل أمه فأنه ينتمي الى قبيلة الاويرات[٣٦] احدى القبائل المغولية التي

خالفت جنكيزخان في أول الأمر حتى انهم ناصبوه العداء، الا انهم سرعان ما قدموا له فروض الطاعة والخضوع، وعندما اعلن جنكيزخان (٥٧٠- ٦٢٤هـ/ ١١٧٤- ١٢٢٦م) [٣٧] قيام الامبراطورية المغولية اعتاد المغول ان يقسموا قبائلهم الى قسمين، قسم ينتمي الى قبيلة قيات وقسم لا ينتمي اليها فأطلقوا على القسم الأول (بيرون) ابناء النور والاطهار وقد شمل هذا اللقب عدة قبائل مغولية كانت قبيلة الاويرات واحدة منها[٣٨]. والقسم الأخر أطلقوا عليه أسم (دورلوكين) والتي تعني القبائل التي لا تنتمي الى أصل كريم[٣٩].

ثانياً: اسرته:

١- أباه:

هو السلطان أولجايتو[٤٠] محمد خدابنده بن أرغون بن اباقا بن هولاكو مؤسس الدولة الايلخانية بن تولوي[٤١] بن جنيكزخان ، الذي درجت مصادر التاريخ الاسلامي على ذكر اسم ابيه بـ"خربندة" كما يقول المؤرخ الذهبي في كتابه ذيل تاريخ الإسلام [٤٢]، وكثير من المصادر التاريخية العربية الاخرى[٤٣]، ولنا ان نقف على هذه اللفظة او هذا الاسم من خلال آراء بعض المؤرخين.

فـ(خدابنده) و(خربندة) هي كلمات فارسية[٤٤] مركبة كل واحدة منها من كلمتين هما (خدا) بمعنى الله و(بنده) بمعنى عبد، حيث تعني الكلمة الاولى (عبد الله)، والثانية مكونة هي الاخرى من (خرا) بمعنى الحمار، وبنده كما ذكرنا تعني (عبد)، لذا فانها تعني (عبد الحمار) [٤٥]، وقد ذكر المؤرخ رشيد الدين الهمذاني ان السلطان اولجايتو حتى جلوسه على عرش الدولة الايلخانية كان يحمل اسم خدابندة اي عبد الله[٤٦]، فضلاً عن ذلك فقد اجمعت المصادر الفارسية على اسم خدابندة[٤٧]. في حين نرى المؤرخ الصفدي يقول: "وانما قال ذلك المتهكم به"[٤٨] معللاً قوله في هذا بأن العامة حرفت هذه اللفظة فقالت (خربندة) بالراء. وقد رد المؤرخ القلقشندي هذا القول بقوله: "فالعامة قصدت بهذا النطق فضلات الانسان"[٤٩]. فضلاً عن ذلك ذكر القلقشندي في موضع آخر ان اسمه "خدابنده والعامة تقول خربندة"[٥٠]. وقد وافقه بالرأي المؤرخ ابن العماد بقوله: "انما الناس يحرفونه تهكماً به وبأمثاله كما يقولون في خدابنده خربندة"[٥١] ومن المستبعد ان تكون العامة تعلم هذا المعنى فالارجح انهم كانوا يقصدون بـ"خربندة" المعنى الذي ذكر سابقاً بحجة ان العامة تقول بذلك ومن خلال ما تقدم يتضح ان اسمه خدابنده. وذلك لما أشارت اليه معظم المصادر التاريخية[٥٢].

لقد اشتهر السلطان اولجايتو بأن قدومه مباركاً على الجميع وانه اينما ذهب يجلب الخير ووفرة النعمة وتصبح الحوادث المخيفة سهلة جداً[٥٣]، ووصف بأنه كان شاباً مليحاً[٥٤]، واختلفت الآراء في صفاته بين مؤيد ومعارض فقد وصفه العلامة الحلي[٥٥] بـ"صاحب الرياسة الملكية، المؤيد بالنفس القدسية، الواصل بفكره العالي الى اسمى مراتب المعالي، البالغ بحدسه، الصائب الى معرفة الشهب الثواقب غياث الحق والدين، اولجايتو خدابنده محمد خلد الله ملكه، وقرن دولته بالبقاء والنصر والتمكين"[٥٦] ووصف بأنه كان يحب الخير والصلاح[٥٧] وموصوفاً بالكرم والسخاء والعمارة[٥٨]، واكثر مجالسته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والاشراف[٥٩]، ويشير المؤرخ القاشاني الى انه تعلم عادات وتقاليد وثقافة الملوك من صغره وتعلم فنونهم مثل فن الخط حيث تعلم الخط الفارسي، فضلاً عن كيفية استعماله السلاح[٦٠].

وكان سليم الطبع قليل التعصب[٦١]، وكان له من مكارم الاخلاق الرحمة والشفقة بعباد الله ويحرص على عدم سفك الدماء الا بما هو قصاص[٦٢]. وكان محباً للنبي وأهل بيته (عليهم السلام)[٦٣]

وكان يحب الصيد ومنذ اليوم الأول لتسلمه السلطة قمع الظلم والجور والعدوان واطفأ الفتنة واقام العدل[٦٤]، وقد اشار احد الباحثين انه كان يميل للطرب والصور الحسان، فضلاً عن انه كان يحب افعال المتصارعين والملاكمين[٦٥]، ويذكر ان السلطان اولجايتو مثل اغلب الحكام الايلخانيين يميل الى اللهو والشراب الى حد كبير[٦٦].

لقد كان عهد السلطان اولجايتو (٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م) عهد تنافس بين اصحاب الديانات والمذاهب الاسلامية، حيث تريد كل ديانة ان تكسب السلطان الجديد الى ديانتها، وكل من حالفه الحظ في هذه المنافسة فأنه يأتي بالقوة والمكانة لقومه وديانته[٦٧]، ونجد هذا الصراع واضحاً، حيث تحول السلطان خلال فترة حكمه من دين الى آخر ورافق هذا التحول تغيراً في الاسم ايضاً[٦٨].

لقد كان السلطان اولجايتو رجلاً ادارياً ممتازاً وقديراً وقائداً عظيماً وكان من الملوك الايلخانيين الممتازين الذين نهضوا ببلاد فارس نهضة كبيرة وكان عهده عهد رخاء في جميع البلاد حيث اصبح رعاياه في سرور ورفاه[٦٩]، وقد ذكر المؤرخ النطنزي ان السلطان اولجايتو "كان ذا صفات جليلة وخصال حميدة لم يقترف طيلة حياته فجوراً وفسقاً"[٧٠] في حين ذكر المؤرخ الخونساري كذلك بحقه "أنه كان يعتني بالعلماء والصلحاء كثيراً ويحبهم حباً شديداً وانه قد حصل للعلم والفضل في زمن دولته رونق تام ورواج كثير"[٧١].

٢- أمه :

تدعى والدة السلطان أبي سعيد "حاجي خاتون"[٧٢] بنت تنكيز كوركان[٧٣] زعيم قبيلة الاويرات احدى اشهر القبائل المغولية[٧٤]، وامها تدعىتوداكاج[٧٥] الابنة الرابعة لهولاكو خان[٧٦].

كانت حاجي خاتون الزوجة الرابعة للسلطان اولجايتو (٧٠٣- ٧١٦/ ١٣٠٣- ١٣١٦م) كانت لها حظوة ومقام كبير عند السلطان اولجايتو حيث كان يجلها ويحترمها كثيراً فهي ام لولده ووريث عرشه ابو سعيد[٧٧].

كانت هذه الامرأة جميلة عفيفة مسلمة تشيعت وتشرفت بمذهب اهل البيت (عليهم السلام) مع زوجها السلطان حيث كانت تسمع وترى المناظرات التي تكون في حضرة زوجها اولجايتو وكانت لها مكانة مميزة بين الخواتين واسرة السلطان[٧٨].

لقد كان لها دور بارز ومهم في أحداث الدولة الايلخانية خصوصاً بعد وفاة زوجها السلطان اولجايتو سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) حيث ارسلت الرسل لولدها أبي سعيد تستعجل قدومه للعاصمة الايلخانية السلطانية عندما كان في خراسان[٧٩] والياً عليها لاعتلاء عرش والده الذي ينتظره[٨٠]، في الوقت نفسه الذي اخذت تعمل مع الامراء والقادة وخصوصاً الامير جوبان[٨١] لترتيب اوضاع العرش لأبي سعيد عندما يصل[٨٢].

كانت حاجي خاتون على رأس المستقبلين لولدها العائد من خراسان مع عدد كبير من الخواتين والحاشية والقادة والامراء[٨٣] فقد كان همها الوحيد ان يصل ولدها أبي سعيد ويعتلي عرش والده[٨٤]. وعندما اعتلى السلطان أبي سعيد كانت حاجي خاتون لا تفارق ولدها السلطان وتهدئ من روعه في بعض الاحيان لانه كان يرى انه ليس له من الملك غير الاسم[٨٥].

ويذكر بعض المؤرخين ان حاجي خاتون والدة السلطان أبي سعيد كان لها دور مهم وفعال في إخماد بعض الفتن التي حدثت بعد اعتلاء ولدها أبي سعيد عرش الدولة الايلخانية، فقد اتفقت مع زوجة ولدها ابي سعيد (الخاتون قتلغ شاه) ابنة ايرنجي[٨٦] خال السلطان اولجايتو عندما تسبب في فتنة مع بعض القادة المغول ضد سياسة الامير جوبان[٨٧]، كذلك كان لها دور في إخماد فتنة اخرى قادها اخوها علي بادشاه[٨٨] في عام (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م) [٨٩].

ويبدو ان المصادر التاريخية لم تشر الى تاريخ وفاة حاجي خاتون، الا انها ذكرت انها كانت على قيد الحياة بعد وفاة ولدها السلطان أبي سعيد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م حيث كانت في خوف عميق ووجد على ابنها الشاب وعلى إرثه الذي اصبح نهباً للطامعين[٩٠].

٣- اخوته:

كان للسلطان أبي سعيد (٧١٦- ٧٣٦هـ/ ١٣١٦- ١٣٣٥م) عدة اخوة من الذكور والاناث فمن الذكور كان له ثلاثة اخوة هم بسطام وبايزيد وطيفور[٩١]، وهؤلاء الاخوة الثلاثة للسلطان أبي سعيد لم تسعفنا المصادر التاريخية عن سيرهم الذاتية من حيث الولادة والنشأة، سوى ذكر اسمائهم والشيء القليل من المعلومات عنهم.

فهؤلاء الاخوة الثلاثة الذكور ينتسبون الى ام واحدة تدعى "اولترميش"[٩٢] وقد عاش هؤلاء في كنف والدهم السلطان اولجايتو الا انهم توفوا جميعاً في حياة أبيهم[٩٣]. فأكبرهم هو بسطام توفي في موضع يقال "جمجمال"[٩٤] عن عمر اثنتي عشرة سنة[٩٥] الا ان المصادر التاريخية لم تذكر سبب وفاته في هذا الموضع وتاريخ وفاته. اما بايزيد فقد كان حاكماً على اقليم خراسان في عهد أبيه وقد توفي في سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)[٩٦]. أما طيفور وهو الأخ الأصغر للسلطان أبي سعيد فقد توفي وهو طفل صغير[٩٧].

أما اخواته فتشير النصوص التاريخية انه كان للسلطان أبي سعيد اثنان هما "دولندي وساتي بيك"[٩٨] وقد كانتا متزوجتين من الأمير جوبان قائد الجيش في الدولة الايلخانية[٩٩].

فالأميرة دولندي هي أكبر ابناء السلطان اولجايتو وامها تدعى (بوجغان) [١٠٠] وهي الزوجة الثانية للسلطان اولجايتو[١٠١]، تزوجت هذه الاميرة في زمن والدها اولجايتو من الامير جوبان، وقد انجبت منه ولداً يدعى (جلوخان) [١٠٢].

توفيت الاميرة دولندي في زمن حكم أخيها السلطان أبي سعيد في سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)[١٠٣]. ولم تشر المصادر التاريخية الى اي دور يذكر لها في الدولة الايلخانية. اما الاخت الثانية للسلطان أبي سعيد فهي ساتي بيك وامها هي الزوجة الثالثة للسلطان اولجايتو وتدعى "دقتي خاتون"[١٠٤].

تزوجة الاميرة ساتي بيك من الامير جوبان بعد وفاة اختها الاميرة دولندي وذلك في سنة(٧١٩هـ/ ١٣١٩م)[١٠٥]،وانجبت منه ولداً يدعى "سورغان"[١٠٦].

كان للاميرة ساتي بيك دور في الحياة السياسية في الدولة الايلخانية في عهد اخيها السلطان أبي سعيد وبعد وفاته، فقد كانت تناصر الامير جوبان وتدعم موقفه وتحث السلطان مع بقية الخواتين على ذلك اثناء ما تعرض لمؤامرة في عام (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) كادت ان تطيح به وتقضي عليه وعلى مستقبله العسكري والسياسي في الدولة الايلخانية[١٠٧]. وعلى اثر ذلك كان الامير جوبان قد اعجب بسلوك وموقف الاميرة ساتي بيك هذا الاعجاب الذي ادى بالتالي بعد انتصار الامير جوبان على خصومه بتتويجه بالزواج من الاميرة ساتي بيك[١٠٨].

اما بعد مقتل زوجها الامير جوبان على يد السلطان أبي سعيد في سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) فقد انعزلت الاميرة ساتي بيك وابنها سورغان الى الكرج[١٠٩] منشغلة بحزنها على زوجها الامير جوبان ومقاطعة لأخيها السلطان أبي سعيد حتى وفاته في العام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) حيث كان لها دور واضح في الاحداث التي تلت وفاة السلطان اثناء الصراع على السلطة بين الامراء وقادة الجيش الايلخاني[١١٠]، وذلك حينما تمكن الامير "حسن بن تمرتاش"[١١١] المعروف بحسن الصغير الذي كان احد اقطاب ذلك الصراع السياسي[١١٢] من فرض سيطرته على تبريز سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)[١١٣] وعندما رفض اهلها من ان ينصبوا على عرش الدولة الايلخانية احداً من غير نسل هولاكو أو جنكيزخان وافق الامير حسن بن تمرتاش على ذلك ونادى بالاميرة ساتي بيك سلطانة على عرش الدولة الايلخانية وذلك في سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م وذكر اسمها في الخطبة وضربت السكة باسمها[١١٤].

وفي هذا الصدد ذكر عمر كحالة: "انه وجد بالمتحف البريطاني نقوداً مسكوكة باسم السلطانة ساتي بيك سكت ما بين عامي (٧٣٩- ٧٤١هـ/ ١٣٣٨- ١٣٤٠م" [١١٥].

لقد عملت السلطانة ساتي بيك خلال فترة توليها العرش على جمع شتات المملكة الايلخانية وانهاء الصراعات ما بين المتخاصمين على العرش فالتف الامراء والقادة المغول حولها[١١٦]، الا ان هذا النشاط من قبل السلطانة لم يرق للامير حسن فقد اغاضه وخاف ان ينقلب الامر عليه وتفلت الامور من بين يديه فأخذ يعمل من اجل عزل السلطانة عن العرش بحجة انها لا تستطيع وحدها ادارة الدولة الايلخانية فأجبرها على الزواج من "سليمان خان"[١١٧] وذلك في سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)[١١٨] ثم نادى به سلطاناً للدولة الايلخانية (٧٤١- ٧٤٥هـ/ ١٣٤٠- ١٣٤٤م) [١١٩].

٤- زوجاته:

كان للسلطان أبي سعيد(٧١٦- ٧٣٦هـ/ ١٣١٦- ١٣٣٥م) ثلاثة من الزوجات وكان لكل واحدة منهن دور معين في حياة السلطان السياسية والاجتماعية[١٢٠].

فالزوجة الاولى كانت تدعى (قتلغ خاتون) والتي تزوجها السلطان قبل ان يعتلي عرش الايلخانية عندما كان والياً على خراسان من قبل أبيه السلطان اولجايتو، وهي ابنة ايرنجي خال السلطان اولجايتو وهي من قبيلة "كرايت"[١٢١] احدى اشهر قبائل المغول[١٢٢].

كان لقتلغ خاتون دور مهم في حياة السلطان أبي سعيد فقد كان يحبها ويجلها ولها مقام كبير عنده وكانت هي الاخرى تبادل السلطان الشعور نفسه وقد برهنت على ذلك عندما وقفت الى جانب زوجها ضد ابيها تشاركه حربه[١٢٣] التي قادها السلطان بنفسه ضد الامير إيرنجي والد قتلغ خاتون، حيث طلبت من السلطان أبي سعيد ان تتدخل وتناشد اباها لعلها تستطيع ان تحقن الدماء في تدخلها. وقد اجابها السلطان أبي سعيد الى مطلبها، الا ان والدها الامير ايرنجي لم يكترث لرجاء ابنته[١٢٤]. وبالرغم من ذلك واصلت الاميرة قتلغ خاتون مساعيها لوقف هذه الفتنة وأخمادها قبل وقوعها فقد تواترت الرسل من قتلغ خاتون الى ابيها حتى أجابها في آخر الامر بقوله: "ان كان الايلخان حقاً في مقام اللطف والعناية بنا فليأمر بنشر الرايات البيضاء على معسكره"[١٢٥]. فقبل السلطان أبي سعيد اقتراحهم ونشر الرايات البيض على المعسكر اجابة لرغبة زوجته قتلغ خاتون[١٢٦]، لكن هذه الحركة من جانب السلطان زادت المخالفين له جرأة وحملوها على محمل الخوف[١٢٧].

فما كان من السلطان أبي سعيد الا ان اعطى الاوامر للجيش بالتأهب لهؤلاء المتمردين وقد كان دور الاميرة قتلغ خاتون دور المساند لزوجها السلطان مؤيدة له تصرفاته تجاه المتمردين عليه[١٢٨]. لقد عاشت الاميرة قتلغ خاتون مع السلطان أبي سعيد ترعى مصالحه الشخصية امينة مخلصة له حتى توفيت في سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) فحزن السلطان لموتها كثيراً[١٢٩].

أما الزوجة الثانية فهي (بغداد خاتون) ابنة الامير جوبان بن ملك بن تدان السلدوسي امير الجيوش الايلخانية[١٣٠]، كانت من اجمل النساء وكانت اخص النساء لديه[١٣١]، والنساء لدى الاتراك والمغول لهن حظ عظيم منهم إذا كتبوا امراً يقولون فيه عن امر السلطان والخواتين[١٣٢]. فكان لكل خاتون حصة من البلاد والولايات. فأذا سافرت تكون في مكان خاص بها[١٣٣]، وقد ظلت على ذلك مدة من الزمن[١٣٤]. وفي هذا الصدد اشار المؤرخ ابن فضل العمري. أنه كان يضرب بها المثل وهو يتحدث عن مشاركة نساء المغول لأزواجهن في الحكم بقوله: "ان ما كانت عليه بغداد خاتون امرأة أبي سعيد فاننا ما رأينا في زماننا ولا سمعنا عمن قارب زماننا امرأة حكمت بحكمها"[١٣٥]. لقد أشارت المصادر التاريخية بأسهاب عن قصة حب السلطان لهذه الخاتون[١٣٦]، فقد شغفت هذه الفتاة السلطان أبي سعيد حباً من اول يوم رآها فيه وكان له من العمر عشرون سنة تقريباً رغم انها كانت متزوجة من الشيخ حسن[١٣٧]،

حيث تزوجا في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) ولم يكد يمضي عامان على زواجهما حتى هام بها ابو سعيد[١٣٨]، وقرر الزواج بها، فطلب من الأمير جوبان ان يطلقها من الشيخ حسن ليتزوجها[١٣٩] .

وذلك على وفق أحكام الياسا[١٤٠]. والذي يقضي بأن الخان اذا هوى امرأة متزوجة فعلى زوجها ان يطلقها ويرسلها الى الخان عن طيب خاطر[١٤١]، دُهِشَ الامير جوبان من هذا الطلب واجابه اجابة فهم منها السلطان أنه لا يوافق على طلبه وطلب من ابنته بغداد وزوجها الشيخ حسن ان يبتعدا عن الاوردو[١٤٢]، الى قراباغ[١٤٣] لعله يصرف خاطر السلطان عن هذا الامر[١٤٤].

لكن السلطان أبا سعيد لم يرجع عن غيه، بل ازداد عشقاً وافتناناً بها، وتغير على الامير جوبان إذا احس من هذا الصديق رغبة عن عدم اجابة الى طلبه[١٤٥]. وفي تلك الايام ايام افتتانه بها انصرف انصراف كلي عن سياسة المملكة وصار يقضي أيامه في نظم الشعر متغزلاً بها متحسراً لبعده عنها[١٤٦].

وفي عام (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) وبعد مقتل الامير جوبان ورغم الاضطراب والتشويش في هذه المدة الذي سببته قضايا الامير جوبان وابناؤه لم ينسَ أبي سعيد عشقه لبغداد خاتون فأرسل قاضي القضاة الى زوجها الشيخ حسن واجبره على تطليقها[١٤٧]، وبعد انقضاء عدتها تزوجها وحقق أمله القديم واصبحت تلقب بلقب "خدا وندكار" والتي تعني ولي النعمة، وسرعان ما شغلت هذه السيدة منزلة سامية في بلاط السلطان أبي سعيد واضحت لها الكلمة الاولى في ادارة شؤون العامة، وصار لها الحكم في الممالك، وكانت تركب في موكب من الخواتين وتشد في وسطها السيف[١٤٨].

وفي عام (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) بدأت مظاهر الخلاف بين السلطان وزوجته بغداد خاتون على اثر وشاية بعض المغرضين للسلطان بأن زوجته بغداد خاتون تراسل زوجها السابق الشيخ حسن سراً من أجل التآمر عليه وقتله[١٤٩]. وازدادت هذه الخلافات حدة بين السلطان وزوجته عندما تزوج السلطان أبي سعيد للمرة الثالثة خصوصاً وان زوجته هذه المرة هي ابنة اخ بغداد خاتون والتي تدعى دلشاد خاتون ابنة خواجة دمشق[١٥٠] ابن الامير جوبان والتي تزوجها في العام (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، فاشتعلت الغيرة في قلب بغداد خاتون[١٥١].

لقد اتصفت دلشاد خاتون بعدة صفات وتميزت عن ضرتها بغداد خاتون بعدة مميزات ففضلاً عن الجمال والكرم والادب وحبها للشعر وتعهدها الشعراء والادباء وتعهدها للفقراء والاحسان اليهم وحبها لجميع اعمال الخير[١٥٢]، كانت هذه المرأة هي الزوجة الوحيدة من زوجات السلطان أبي سعيد التي حملت منه وانجبت منه طفلاً كانت بنتاً[١٥٣]، فأحبها السلطان حباً شديداً وهجر بغداد خاتون عندما علم بحمل زوجته دلشاد خاتون[١٥٤] ، وعلى أثر ذلك ازدادت غيرة وحقد بغداد خاتون على السلطان أبي سعيد وذلك حينما علمت ان دلشاد خاتون حامل من السلطان فجن جنونها واضمرت الحقد في قلبها حتى دعت السلطان الى مخدعها فسمته بمنديل[١٥٥] وعلى أثره توفي السلطان[١٥٦]. وعندما تبين أن السلطان مات مسموماً، وان زوجته بغداد خاتون هي من سمته. امر السلطان "أرباخان"[١٥٧] الذي تولى الحكم بعد وفاة

السلطان أبي سعيد مدة ستة شهور من شهر ربيع الثاني عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) لغاية شهر ايلول من السنة نفسها، بقتل بغداد خاتون بعد وفاة أبي سعيد بأيام قلائل[١٥٨].

أما دلشاد خاتون فقد استغل على بادشاه الاويراتي خال السلطان أبي سعيد حملها مطالباً ارباخان بالتنحي عن العرش لأن الوريث الشرعي للعرش هو حمل دلشاد سواء كان ذكراً ام انثى، حيث كانت دلشاد خاتون وحاجي خاتون كانتا قد لجأتا الى الأمير علي بادشاه اثناء فترة الصراع على السلطة في العاصمة السلطانية حينما كان علي بادشاه اميراً وحاكماً على بغداد من قبل السلطان ابي سعيد[١٥٩].

وعندما علمت دلشاد خاتون ان طائفة الاويرات وعلي بادشاه اصحاب اطماع وشرور وانهم ان ظفروا بالملك عاثوا بالارض فساداً، كرهت الخاتون دلشاد ان تجعل نفسها سبباً في ظلم وهلاك الناس، فادعت انها غير حامل من السلطان وتنحت بنفسها عن الدخول في هذا المعترك[١٦٠]، فلما رأى علي بادشاه ان هذه الخاتون واخته حاجي خاتون ام السلطان أبي سعيد قد تنصلت منه وخافت عواقبها وانتفت الحاجة منها بعد ادعائها بعدم الحمل تركها تذهب من حيث أتت[١٦١]، وعندما عادت الى تبريز كان الشيخ حسن الجلائري[١٦٢] قد استولى عليها حيث عرض عليها الزواج فتزوج بها حيث فعل ما كان السلطان أبي سعيد قد فعله من زواج امرأته، وبعد زواجها من الشيخ حسن الكبير (الجلائري) اصبح لها حضوة كبيرة وعظيمة عند زوجها[١٦٣] واصبحت تشاركه في حكم الدولة التي أسسها والتي عرفت باسم الدولة الجلائرية (٧٣٨-٨١٤هـ/١٣٣٧-١٤١١م)[١٦٤].

ثالثاً: ألقابه وصفاته:

١- القابهُ :

تفيد دراسة الالقاب بصفة خاصة في فهم بعض النظم والاتجاهات فهي تبرز وتوضح ميول الحكام وما يسيطر عليهم من نزعات وتشير الى برنامج حكوماتهم، وبصورة عامة تصبح الالقاب ذات اهمية قصوى اذا درست نشأتها وتطورها على مدى الزمان في ضوء ما يحيط بها من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية، فالالقاب تلقي الضوء على كثير من الاحداث السياسية والاجتماعية في التاريخ فضلاً عن انها تمثل مصدراً مهماً في دراسة تاريخ معين[١٦٥].

ومن الجدير بالذكر ان حكام المغول من بيت هولاكو كانوا يلقبون بلقب ايلخان حيث اصبح هذا اللقب هو اللقب الرسمي المتوارث لمن اتى بعده من الايلخانات[١٦٦]. ومما عرف عن المغول بصورة عامة انهم لا يفخمون الالقاب[١٦٧].

وفي عهد السلطان اولجايتو (٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م) نرى ان لقب الايلخان قد اختفى من الاستعمال بعد هدايته الى الاسلام[١٦٨]، حيث لقب بعدة القاب حين اعتلائه عرش الايلخانية بعد ان اقترح عليه امراء النويان[١٦٩]. ومنها لقب السلطان الكبير والمبارك والمغفور له، حيث اصبح لقب السلطان هو اللقب التقليدي الواضح لايلخانات مغول المسلمين[١٧٠] وهو احد الالقاب التي تلقب بها

السلطان أبـي سـعيد وهـو لقـب عربـي يلحـق بـه صـفات متعـددة كالسـلطان الاعظـم والسـلطان المعظـم والسلطان العادل[١٧١]. فضلاً عن القاب اخرى لقب السلطان أبي سعيد بها كلقب غياث الدنيا والدين وهو اللقب الذي اطلقه عليه والده عند ولادته حينما قال للمرضعة "ارضعي غياث الدنيا والدين"[١٧٢].

لقد اشتهر السلطان أبي سعيد بأشهر لقب لُقب به في المصادر التاريخية وهو لقب "بهادر"[١٧٣] والـذي حـاز عليـه بجدارة بعد ان قمـع فتنـة قادهـا احـد الامـراء المتنفذين فـي المملكـة[١٧٤]. وانتصـر بهـا انتصاراً كبيراً بفضل شجاعته وحنكته وبراعته في قيادة المعركة ومنذ ذلك الحين لقب "ببهادرخان" هذا اللقب الذي اضيف الى اسمه واضحت المراسيم والمنشورات تصدر من ذلك الوقت متضمنة هذا اللقب في كل انحاء البلاد[١٧٥].

٢- صفاته:

امتاز السلطان أبـي سـعيد بصفات عدة، فقد ترجم لـه عدد من المؤرخين المعاصرين او ممن جاءوا بعده، فظهرت صورته واضحة جلية في صفاته واخلاقه وكرمه واعماله. وقد رسمت صورته من خـلال تـاريخ الاحداث السياسية والاجتماعيـة فـي عصره ونظراً لصفاته المتعددة التـي اتصف بهـا فـي المصادر التاريخية سوف استعرض اهم تلك الصفات.

كان السلطان أبي سعيد ملكاً فاضلاً شجاعاً[١٧٦]. من خيار ملوك التتار واحسنهم طريقة واثبتهم علـى الاسـلام. فهو أول سلطان يولد من أبوين مسلمين حيث شب وترعرع في بيئة صالحة، تعلم الفقه الاسـلامي وقـرأ القـرآن علـى يـد علمـاء الـدين وكـان مـن اهـم افعالـه التقريـب بـين المـذاهب الاسـلامية والمسلمين[١٧٧]. كان يحب الخير ويكره الظلم ويؤثر العدل وينقاد للشرع[١٧٨]، كان شاعراً وصاحب ذوق شعري[١٧٩]، ومحباً للادب والفنون والعلوم الاخرى حيث نالت في عهده حظاً كثيراً من الاهتمام والانتشار فـانتعش سـوقها وراجـت بضـاعتها[١٨٠]، كـان يعشـق الموسـيقى ويجيـد الضـرب علـى العـود، حيـث صـنف الكثير من فن الموسيقى[١٨١]، وكان الى جانب شاعريته وحبه للموسيقى يحسن الكتابة والخط الجميل. فقد ذكـر المـؤرخ الصـفدي: "أنـه رأى خطـه علـى ديـوان ابـي الطيـب[١٨٢] كأنـه باكـوره زهرغـب بـالقطر الطيب"[١٨٣]. في حين وصف المقريزي اخلاق السلطان أبـي سعيد بقولـه: "انـه كان محارباً للفجور، أراق الخمـور فـي سـائر مملكتـه، وابطـل بيـوت الفـواحش، وابعـد أربـاب الملاهـي واغلـق الحانـات، وابطـل المكوس[١٨٤]، وهدم الكنائس ورفع شهادة الاسلام ونشر العدل وعمر المساجد، وخلع على من أسلم من أهل الذمة"[١٨٥].

وقد اسهبت المصادر التاريخية في صفات السلطان من اخلاق وكرم وشفقة بعباد الله، فقد ذكر ان ركب الحـاج من العراق كان قد حج في سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) وكان المقدم عليهم (امير الركب) بطلاً شجاعاً فلم يتمكن الاعراب من قطع الطريق على الحجاج فلما كانت السنة الثانية خرج الاعراب على الركب ونهبوه واخذوا منه شيئاً كثيراً، فلما عادوا شكوا للسلطان فقال لهم السلطان: "هؤلاء الاعراب

في مملكتنا ام في مملكة الناصر محمد بن قلاوون[١٨٦] فقالوا له: لافي مملكتنا ولا في مملكة الناصر وانما هم في البرية لا يحكم عليهم أحد، يعيشون بقائم سيفهم ممن يمر عليهم ، فقال السلطان هؤلاء فقراء، كم مقدار ما يأخذون من الركب نحن نحملها اليهم من بيت المال كل سنة ولا ندعهم يأخذون من الرعية شيئاً، فقال اصحاب الركب يأخذون ثلاثين الف دينار لعل السلطان يرى المبلغ كثيراً، فقال لهم هذا القدر ما يكفيهم اجعلوها في كل سنة ستين الف دينار، تحمل اليهم من بيت المال في كل سنة بصحبة مسافر او ممثل من عندنا"[١٨٧]. وفضلاً عن كرمه هذا كان سليم الطبع قليل التعصب مقرباً لذوي العلم والدين من جميع المذاهب الاسلامية[١٨٨].

وبعد التعرف على اهم صفات السلطان أبي سعيد من شجاعة وكرم واخلاق وطبيعة نفس وحبه للعلم والعلماء وسائر فنون الادب والفن بقي ان نذكر جماله وحسن منظره من خلال ما وصفه ابن بطوطه عندما التقى السلطان أبا سعيد في بغداد سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) بقوله: "أنه كان اجمل خلق الله صورة..." [١٨٩].

رابعاً: اعتلاؤه عرش الدولة الايلخانية:

كان السلطان محمد أولجاتيو (٧٠٣ – ٧١٦هـ/ ١٣٠٣– ١٣١٦م)، قد أقطع ولده أبا سعيد حكومة خراسان وذلك في العام(٧١٣هـ/ ١٣١٣م) عندما كان عمره تسع سنوات[١٩٠]، فعاش فيها أبي سعيد يدير شؤونها ويدبر امورها بسبب اهمية هذا الاقليم فهو يعد من اهم اقاليم الدولة الايلخانية والذي كان يعاني من الاضطرابات ووجود المتمردين فيه حيث كان هذا الاقليم من المدن المزدحمة والمعرضة دوماً للحوادث وعبور جيوش الغرباء[١٩١]. ولكن بتولي أبي سعيد امر خراسان قلت الفتن والاضطرابات وهجمات الجغتاي[١٩٢] عليها، ولم يجرؤ اي جيش غريب من دخول المدينة واضحى أبي سعيد يد السلطان اولجاتيو وولي عهده ونائبه فيها[١٩٣].

ونظراً لصغر سن أبي سعيد فقد عين له والده في هذه المهمة بعض الامراء والقادة فضلاً عن أتابكه الامير سونج[١٩٤]. وقد كان السلطان اولجاتيو قد امر ولده حاكم خراسان بالتصدي لغارات الجغتائيين، واعادة الامن والاستقرار لهذا الاقليم المهم[١٩٥].

والظاهر ان هذا الاقليم كان يتعرض لمثل هذه الغارات قبل تعيين أبي سعيد لحكومة خراسان، فقد هوجم هذا الاقليم اكثر من مرة قبل تولي أبي سعيد الحكم في خراسان سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)[١٩٦]، حيث قام مغول جغتاي بالتغلغل في أراضي خراسان وعاثوا فيها فساداً مما دعا السلطان اولجاتيو (٧٠٣– ٧١٦هـ/ ١٣٠٣– ١٣١٦م) الى ارسال حملة عسكرية لطردهم وذلك في سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)[١٩٧] حينما عجز امير خراسان الامير يساول[١٩٨] من التصدي لهم[١٩٩]، وقد اتفق ان قام مغول جغتاي بهجوم آخر مع وصول أبي سعيد الى هذا الاقليم إذ كان اميرها (خراسان) الامير يساول غير قادر على مقاومتهم، فالتحق بجيشه بمعسكر أبي سعيد وعملا معاً على طرد الجغتائيين من هذا الاقليم[٢٠٠]، هذا

وقد ظل أبي سعيد طوال مدة حكمه لحكومة خراسان في عهد والده السلطان اولجايتو والتي دامت ثلاث سنوات وبعض السنة دائم الانشغال بدفع خطر اولئك المغول عنها[٢٠١].

ويبدو ان سبب هذه المشاكل بين الدولتين الايلخانية والجغتائية كانت ناجمة عن ادعاء كل من الدولتين بحقهما في بعض مناطق بلاد ما وراء النهر[٢٠٢]،حيث كانت الحدود المشتركة بينهما[٢٠٣]. وأغلب الظن ان هذه التوترات والمشاكل كان لها تاريخ طويل منذ تأسيس هذه الايلخانات، عندما وزع جنكيزخان (٥٦١- ٦٢٤هـ/ ١١٦٥- ١٢٢٧م) امبراطوريته الواسعة على اولاده الاربعة[٢٠٤].

أخذت هذه التوترات تزداد يوماً بعد آخر بين هاتين الايلخانيتين، حتى بلغت حدودها القصوى في عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤- ١٣٠٣م) [٢٠٥] وذلك عندما قامت حكومة ايلخانية جغتاي بتوجيه عدة حملات على املاك الدولة الايلخانية. فتصدى لهم السلطان غازان واوقع بهم الهزيمة وذلك في عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م[٢٠٦].

ومع ان صلحاً وقع بين الدولتين الايلخانية والجغتائية في سنة(٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م) في عهد السلطان اولجاتيو (٧٠٣ – ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م) [٢٠٧]. الا ان مغول جغتاي، استغلوا بعض ظروف الدولة الايلخانية وبعض المشاكل الداخلية فتغلغلوا في اقليم خراسان كما اشرنا سابقاً[٢٠٨].

لقد استمر هذا الصراع حتى وفاة السلطان اولجايتو واعتلاء العرش الايلخاني من قبل ولده أبي سعيد عام (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)[٢٠٩] حيث ادرك امراء البلاط الايلخاني ووزراؤه وقادة الجيش هذا الخطر المتمثل بدولة جغتاي وغيرها من الاخطار ا لتي كانت تحيط بالدولة عند وفاة السلطان اولجايتو عام(٧١٦هـ/ ١٣١٦م)[٢١٠].

كان هؤلاء الامراء والقادة والوزراء منقادين للامير جوبان. فأرادوا قبل وفاة السلطان اولجايتو وقبل حضور الامير سونج الذي كان في طوس[٢١١] يشرف على امور حكومة خراسان، ان يبعدوا أبا سعيد عن مربيه الامير سونج[٢١٢]، فيكون أبي سعيد حال حضوره وهو صغير السن وبعيداً عن المخلصين له امثال الامير سونج اداة طيعة في ايديهم، الا ان ابا سعيد وحاشيته كانوا أوفياء للامير سونج فلم يخرجوا عن امره ولم يبارحوا موضعهم الى ان قدم الامير سونج، وارسل من يستطلع الوضع في العاصمة[٢١٣]. وبعد ان اطمأن بأن الاوضاع تسير باتجاه تنصيب الامير أبي سعيد سلطاناً للدولة الايلخانية خلفاً لوالده[٢١٤]. وفي ضوء هذه التطورات تحرك ركب أبي سعيد بمصاحبة اتابكة الامير سونج الى السلطانية، فاستقبل استقبالاً حاشداً من الوزراء والامراء والقادة يتقدمهم الامير جوبان وادخل العاصمة السلطانية باجلال كبير [٢١٥] ، وهناك أقام مجلس عزاء لأبيه السلطان اولجاتيو (٧٠٣ – ٧١٦هـ/ ١٣٠٣- ١٣١٦م) [٢١٦].

وفي غرة صفر من عام(٧١٧هـ/ ١٣١٧م) جلس السلطان أبي سعيد رسمياً على العرش الايلخاني وجلس الى جانبه الامراء والقادة المقربين يتقدمهم الاميران جوبان وسونج[٢١٧]، ثم بعد ايام قلائل

اصدر السلطان أبي سعيد امراً سلطانياً ينص على ترتيب اوضاع الدولة الايلخانية تحت زعامته وهذا ما سنستعرضه في الفصل الثاني.

لقد اختلفت المصادر التاريخية وتباينت الاراء في عمر السلطان أبي سعيد حين اعتلائه العرش في (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)[٢١٨]، فالمصادر الفارسية اشارت الى ان عمر السلطان أبي سعيد كان اثنتي عشرة سنة[٢١٩] عندما اعتلى السلطان أبي سعيد العرش الايلخاني ، في حين نرى بعض المصادر العربية قد اشارت الى ان عمره كان ثلاث عشرة سنة[٢٢٠]، والبعض الآخر اشارت الى ان عمره كان احدى عشرة سنة[٢٢١]، حين اعتلى السلطان العرش الايلخاني ، بينما ذكر المؤرخ ابي الفداء في تاريخه ان أبا سعيد اعتلى العرش الايلخاني وعمره آنذاك عشر سنين[٢٢٢]، في حين اشار المؤرخ القرماني انه تولى العرش وعمره ست عشرة سنة[٢٢٣].

ونحن من بين هذه الآراء المتناقضة نرجح الرأي الذي اشارت اليه المصادر الفارسية وهو ان عمر السلطان أبي سعيد كان اثنتي عشرة سنة وذلك لقرب ومعاصرة هذه المصادر لفترة حكم السلطان أبي سعيد ولكون هذه المصادر اعتمدت في حساب عمر السلطان أبي سعيد على تاريخ وفاة والده السلطان اولجاتيو (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) حيث عدّت هذه المصادر ان وفاة السلطان اولجاتيو هو التاريخ الحقيقي لتولي السلطان أبي سعيد حكم الدولة الايلخانية لان الشواهد التي واكبت وفاة السلطان اولجاتيو واجماع الامراء والوزراء والقادة على مراسلة السلطان أبي سعيد وهو في خراسان للحضور لاعتلاء العرش هي التي اكدت واعتمدت من قبل المصادر الفارسية المختلفة.

خامساً: وفاته:

توفي السلطان أبي سعيد في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م كما ذهب أغلب المؤرخين[٢٢٤]. الا ان ابن حجر العسقلاني ذكر ان وفاة السلطان أبي سعيد كانت في سنة(٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)[٢٢٥]،في اذربيجان بالقرب من مدينة أران[٢٢٦] عندما كان في طريقه لمواجهة مغول القبيلة الذهبية[٢٢٧] الذين كانوا يعدون العدة للهجوم على مدينة أران. وبينما السلطان في هذه المدينة (أران) كانت الامراض قد فتكت وانتشرت بين افراد جيشه الزاحف لمهاجمة جيش القبيلة الذهبية وقضت على معظمه واصيب السلطان أبي سعيد نفسه بحمى شديدة رقد على اثرها في الفراش لمدة اسبوعين[٢٢٨]، وقد تبين للأطباء ان سبب هذه ا لحمى من اثر انتشار السم في بدنه[٢٢٩]، ويشير اغلب المؤرخين الى ان زوجته بغداد خاتون هي من قامت بتسميمه[٢٣٠].

وقد اعترفت بغداد خاتون بعد ذلك عندما احضرت امام السلطان ارباخان الذي تولى العرش الايلخاني سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) بعد وفاة أبي سعيد وقد بررت بغداد خاتون عملها هذا بسبب جفاء السلطان لها بعد زواجه من دلشاد خاتون، فصارت تظمر الحقد للسلطان أبي سعيد في نفسها فضلاً عن انها كانت متأثرة ومستاءة من السلطان أبي سعيد نتيجة مقتل ابيها واخوته في سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)

وعلى اثر ذلك أوعز السلطان ارباخان بقتلها وذلك في السنة نفسها التي قتل فيها السلطان أبي سعيد عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)[٢٣١].

وبعد وفاة السلطان تولى الوزير غياث الدين محمد قيادة الجيش فأمر بالعودة الى العاصمة السلطانية، فضلاً عن أمره بحمل جثمان السلطان أبي سعيد الى العاصمة وقد دفن تحت القبة[٢٣٢] التي كان السلطان قد اقامها بجوار قبر ابيه السلطان اولجاتيو وكان عمره لا يتجاوز الثانية والثلاثين سنة[٢٣٣].

الهوامش:

(١) فقد ورد في المصادر التاريخية تسميات مختلفة لأسماء عدد من الايلخانات الذين حكموا الدولة الايلخانية بدءاً من هولاكو الذي ورد اسمه بعدة الفاظ مثل: هلاوون، وهلاون وهولا وغيرها. كذلك ورد اسم اباقا خان بعدة الفاظ هو الآخر مثل: ابغا وأباغا فضلاً عن اسم السلطان غازان الذي ورد اسمه في المصادر التاريخية بلفظ غزن وغزان وقازان وللمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، عطا ملك بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، تاريخ جهانكشاي، تصحيح وتعليق: حبيب الله عباسي، ط٣، نشر زوار انتشارات علمي وفرهنكي، (طهران، ١٣٨١هـ.ش)،ج٢، ص١٤٠؛ الهمذاني، فضل الله بن رشيد الدين (ت: ٧١٨هـ)، جامع التواريخ، تاريخ اسماعيليان، باهتمام: محمد تقي دانش ، ط٥، انتشارات، علمي وفرهنكي (طهران، ١٣٨١هـ ش)، ص١٥٤؛ حيدر، عبد الرحمن فرطوس، العراق في عهد محمود غازان، رسالة ماجستيرغير منشورة، (مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد ،١٩٩٨)، ص١٧.

(٢) هولاكو: بن تولوي خان بن جنكيزخان، يرجع نسبه الى قبيلة قيات المغولية، ولد هولاكو في سنة ٦١٣هـ في مدينة قراقورم عاصمة المغول ونشأ فيها، وفي حياة اخيه منكوخان قاد هولاكو الجيوش المغولية مكتسحاً بلاد الشرق الاسلامي حتى وصل الى بغداد عاصمة الدولة العباسية فاسقط الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ) وعلى اثر ذلك قام نظام سياسي جديد في الشرق الاسلامي اسسه هولاكو يتمثل بالدولة الايلخانية. توفي هولاكو سنة ٦٦٣هـ تاركاً دولة مترامية الاطراف حكم فيها اولاده واحفاده من بعده. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ هولاكو، تحقيق: بهمن كريمي، نقله للعربية: محمد صادق نشأت واخرون، شركة نسبي حاج محمد اقبال وشركائه، (القاهرة، ١٩٦٠م)، مج٢، ج١، ص٤١،ص٢١٩ ، ص٢٨١ ،ص٢٩٥؛ حيدر، عبد الرحمن فرطوس، الايلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣م)، ص١٢، ص٨٥. اما لفظ (خان) التي اضيفت الى اسمه وارتبطت به وبخلفائه من بعده فهي اول الالقاب التي تلقب بها، وتعني الرئيس او الزعيم التابع لسيد الاسرة الاكبر (القآن الاعظم) الذي يحكم الامبراطورية المغولية بأسرها. ينظر: التونجي، محمد، المعجم الذهبي، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٩م)، ص٣٥؛ دهمان، محمد احمد، معجم الالفاظ في العصر المملوكي ، ط١، دار الفكر (دمشق، ١٩٩٠م)، ص٢٧.

(٣) محمد خدابنده اولجايتو: بن أرغون بن اباقاخان تولى عرش الدولة الايلخانية بعد وفاة اخيه غازان سنة ٧٠٣هـ امه تدعى اوروك خاتون كان يعتنق الديانة المسيحية وكان يسمى نيقولا وذلك بتأثير من والدته وبعد وفاتها اعتنق الدين الاسلامي عندما كان والياً على خراسان من قبل اخيه غازان وذلك بتأثير علماء الاسلام بخراسان، شهد عهده نوعاً من الاستقرار النسبي رغم حدوث معارك في بعض الاحيان مع جيرانه، سواء من المماليك او القبيلة الذهبية، تلقب السلطان اولجايتو بعدة القاب اشهرها كان اولجايتو، وهي التي تعني المبارك والمغفور له والسلطان الكبير ، توفي

السلطان اولجايتو سنة ٧١٦هـ مخلفاً ولده السلطان أبي سعيد في حكم المملكة الايلخانية . للمزيد من التفاصيل ينظر: المستوفي القزويني ، حمد الله بن ابي بكر (ت: ٧٥٠هـ)، تاريخ كَزيدة، باهتمام: عبد الحسين نوابي، نشر امير كبير، (طهران، ١٣٣٦ هـ.ش)، ص٦٠٦ ص٦١١؛ حافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف بن عبد الله الخوافي (ت: ٨٣٣هـ)، ذيل جامع التواريخ رشيدي، تقديم: خانبابا بياتي، ط١، نشر شركة تضامني علمي، (طهران، ١٣١٧هـ. ش)، ص٧ ؛ القاشاني، ابو القاسم عبد الله بن محمد (ت: ٨٣٦هـ)، تاريخ اولجايتو (تاريخ بادشاه، سعيد غياث الدين والدنيا اولجايتو سلطان محمد)، باهتمام: مهمين همبلي، ط٢، انتشارات علمي فرهنكي، (طهران، ١٣٨٤هـ. ش)، ص ١٨ ، ٩٧.

(٤) أرغون: ابن اباقا بن هولاكو (٦٨٣- ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤- ١٢٩١م) هو الابن الاكبر لأباقا خان، تولى حكم الدولة الايلخانية بعد مقتل عمه احمد تكودار سنة (٦٨٣هـ) ، شهد عهده تسلط اليهود على مقدرات الدول حيث اسند الوزارة لرجل يهودي يدعى سعد الدولة اليهودي الذي سلط اقاربه على ولايات الدول حيث اضطهد المسلمون في حياة هذا الوزير أضطهاداً كبيراً ، توفي ارغون سنة ٦٩٠هـ . للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٢٠، المستوفي القزويني ، تاريخ كزيدة ، ص٥٩٥؛ بياني، شيرين، المغول التركيبة الدينية والسياسية، ترجمة: سيف علي، نشره المركز الاكاديمي للابحاث (بيروت، ٢٠١٣)، ص٢٩٠؛ الطائي، سعاد هادي حسن ارحيم، اعلام امراء البلاط المغولي، ط١، نشر دار عدنان، (بغداد، ٢٠١٣م)، ص١٨١.

(٥) أباقاخان: هو الابن الاكبر لهولاكو خان ، ولد سنة ٦٣١هـ ، وتولى العرش الايلخاني بعد وفاة أبيه هولاكو خان سنة ٦٦٣هـ ، سار على نهج سياسة أبيه في اقرار قوانين الياسا شهد عصره حروب مستمرة مع المماليك في مصر والشام ومع مغول القبيلة الذهبية واحياناً مع مغول جغتاي توفي اباقاخان بعد حكم دام حوالي سبعة عشر سنة وذلك في سنة (٦٨٠هـ) وللمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٣ ص٧٨؛ خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد الايلخانيين، ط٥، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٦٨م)، ص٧٩ ص٨٤.

(٦) للمزيد من التفاصيل عن حكام الدولة الاليخانية وسنوات حكمهم . ينظر : ملحق رقم (١) .

(٧)القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٤٤؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (٩٤٢هـ)، تاريخ حبيب السير في اخبار البشر، باهتمام: جلال الدين همائي، ط١، كتابخانه خيام، (طهران، ١٣٣٣ هـ.ش)، ج٣، ص١٩٨؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ ، ص٦٠.

(٨) الصفدي، صلاح الدين بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١٤، ص٢٠٢؛ ابن كثير عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ج١٨، ص١٨.

(٩) ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، ط١، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٨٥م)، ج٣، ص٤٤٣.

(١٠) ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت: ٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عرب، ط١، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ج٤، ص١١٣؛ ابن الجزري، شمس الدين ابي عبد الله محمد ابي بكر القرشي (ت: ٧٣٨هـ)، حوادث الزمان وانباء ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري) تحقيق: عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية (بيروت، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٨٧٢؛ المستوفي القزويني، تاريخ

كَزيده، ص٦٠٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦٠ ؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٤٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٩٨.

(١١) الشيرازي، اديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (ت: ٧٣٠هـ)، تاريخ وصاف الحضرة (المعروف باسم تجزية الامصار وتجزية الاعصار)، باهتمام: عبد المحمد ايتي، ط٢، نشر: بزوه هشكا، (طهران، ١٣٨٣هـ. ش)، ج٥، ص٣٤١ ؛ القاشاني ، تاريخ اولجايتو ، ص٤٤٧؛ الأمين، حسن، المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام، ط١، دار التعارف، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص٣٦٧.

(١٢)الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٤١؛ المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٠٧؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٤٤٧ ؛ إلا أن المؤرخ طقوش يذكر ولادة السلطان أبي سعيد في الخامس عشر من شوال سنة ٧٠٣هـ ينظر: محمد سهيل ، تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ط١، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص٣١٨.

(١٣) أرجان: هي ابعد كور فارس حيث تقع في اقصى حدها الغربي على نهر طاب وهو النهر الذي يفصل بين اقليم فارس وخوزستان وهي مدينة كبيرة وذات خيرات واسعة. للمزيد من التفاصيل ينظر: الحموي، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (ت: ٦٢٢هـ)، معجم البلدان، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧م)، ج١، ص٤٣؛ المستوفي القزويني، حمدالله بن ابي بكر (ت ٧٥٠هـ) ، نزهة القلوب، تعليق: بكوشن محمد، نشر كابخانه طهوري، (طهران، ١٣٣٦هـ. ش)، ص٢١٣.

(١٤) التستري، نور الله المرعشي (ت: ١٠١٩هـ)، مجالس المؤمنين، ط١، نشر العتبة الرضوية، (مشهد، ١٣٩٣هـ. ش)، ص٣١٢.

(١٥) تاريخ أولجايتو، ص١٧.

(١٦) لم أجد لها تعريفاً في المصادر التاريخية .

(١٧) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٧.

(١٨) أتابك: هو لفظ مركب من مقطعين هما (اتا) بمعنى أب وأصله (اطا) فقلبت تاء في اللفظ و(بك) بمعنى الامير وبذلك يكون معناها الوالد او الامير وللمزيد من التفاصيل ينظر: دهمان، محمد، معجم الالفاظ، ص١١؛ الشهابي، قتيبة، معجم القاب ارباب السلطان في الدولة الاسلامية من العصر الراشدي حتى بداية القرن العشرين، نشر وزارة الثقافة السورية، (دمشق، ١٩٩٥م)، ص١٥.

(١٩) الامير سونج: هو ابن سانشي بخشي بن ساريجة من قبيلة أيغور التركية، كان من قادة المغول في ايام حكم السلطان غازان (٦٩٤– ٧٠٣هـ) وعند تعيين اولجايتو حاكماً لبلاد خراسان رافقه سونج واصبح من المقربين لأولجايتو حتى تزويج السلطان اولجايتو من اخته المدعوة عادلة شاه خاتون، وعندما ولد أبي سعيد اصبح سونج اتابكا خاص له وعندما اعتلى عرش الايلخانية سنة ٧١٦هـ ، بقى بجوار السلطان يراعى شؤونه الخاصة والعامة، توفي الامير سونج سنة ٧١٧هـ ونقل جثمانه الى مدينة السلطانية حيث دفن فيها. للمزيد من المعلومات ينظر: حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٥٣ ؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧ ص٩.

(٢٠) ميرخواند، محمد بن سيد برهان الدين (ت: ٩٠٣هـ)، تاريخ روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفاء، ط١، انتشارات جاب بيروز، (طهران، ١٣٣٩ هـ - .ش) ، ج٥، ص٣٧٩. ؛ الأمين، حسن، المغول ، ص٣٦٧.

(٢١) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٠٧؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر)، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٥، ص٦١٩.

(٢٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٥٨؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية: محمد علاء الدين منصور، ط١، دار الثقافة، (القاهرة، ١٩٨٩م)، ص٤٧٧.

(٢٣) خواندمير، تاريخ حبيب اليسر، ج٣، ص١٩٦؛ الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ ايران، نشر بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٣م)، ص٣٠٧.

(٢٤) اذربيجان: هي اسم لاقليم يلفظ ازربيجان باللفظ الفارسي، يحيطه من الغرب بلاد الروم وبعض حدود بلاد الجزيرة ومن الشرق بلاد الجيل والديلم ومن الشمال بلاد تركستان، وهي بلاد واسعة ومن اهم مدنها تبريز واردبيل وغيرها وللمزيد من التفاصيل ينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ)، آثار البلاد واخبار العباد، ط١، دار صادر (بيروت، د.ت) ص٢٨٤؛ القلقشندي، ابي العباس احمد (ت: ٨٢٠هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، (د. تح) ، المطبعة الاميرية، (القاهرة، ١٩١٤م)، ج٤، ص٢٥٦.

(٢٥) القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص٤٧.

(٢٦) غازان خان: هو ابن السلطان أرغون بن اباقا بن هولاكو، وهو الابن الاكبر لارغون خان، امه تدعى قولتاق ايكاجي، تولى حكم الدولة الايلخانية سنة ٦٩٤هـ بعد قضائه على بايدوخان، وكان عمره ٢٤ سنة اعتنق الاسلام واستبدل اسمه باسم محمود ولقب نفسه سلطان، اصدر فرماناً الزم به المغول بدخول الاسلام، انشأ العديد من المساجد واهتم بالعمران وكذلك شق الانهار والقنوات واهتم بالزراعة واصدر عدة اصلاحات في البلاد للقضاء على التزوير وتنظيم القضاء وسك العملة توفي السلطان غازان عام ٧٠٣هـ، للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٢٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٤ ص٣٩٢؛ الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (من مؤرخي القرن العاشر الهجري) تاريخ الدول الاسلامية في الشرق، المعروف بالتاريخ الغياثي ، تحقيق: طارق الحمداني، ط١، دار مكتبة الهلال (بيروت، ٢٠١٠م)، ج٥، ص٥٥؛ شبولر، بارتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، نقله للعربية خالد أسعد عيد، راجعه: سهيل زكَار، ط١، دار احسان، (القاهرة، ١٩٨٢م)، ص٧٢ ص٧٤.

(٢٧) نهر أبهر: هو نهر صغير ينبع من مدينة أبهر نفسها وانه على الطريق من اذربيجان، وبعد ان يسقي نواحي أبهر يجري نحو قزوين، وان معنى أبهر مركب من أب وهو الماء وهر وهي الرحا كأنه ماء الرحا، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٨٢.

(٢٨) نهر زنجان: هو نهر صغير يقع الى الشمال الغربي من نهر أبهر على طريق اذربيجان وهو يجري غرب سفيدرود وهو اكبر من نهر أبهر. للمزيد ينظر: ابن حوقل، محمد بن ابي قاسم النصيبي (ت: ٣٦٧هـ)، صورة الارض، (د.تح)، ط١، مطبعة أبريل، (ليدن، ١٩٢٩م)، ص٢١٨؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط١، مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٩٥٤م)، ص٢٥٧.

(٢٩) القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص٤٦؛ يذكر ان السلطان اولجايتو قد اهتم بالعمران ومن اهتماماته تشييد مدينة السلطانية التي اكتمل بناؤها سنة ٧١٣هـ والتي اصبحت عاصمة الدولة الايلخانية في عهده وعهد ولده السلطان أبي سعيد حيث اصبحت مركزاً لتجمع التجار وأهل الحرف المختلفة وقد تنافس الامراء والوزراء في تزيين هذه المدينة وعندما شرع في بناء اسوارها اوعز السلطان ببناء قلعة في وسطها كانت تبدو وكأنها مدينة كاملة وقد بنى في داخل هذه

القلعة قبة ليدفن بها وعندما توفي سنة ٧١٦هـ دفن فيها وهذه القبة مازالت اطلالها باقية وهي تعرف اليوم في تبريز بالقبة السلطانية (شاه خدابنده) وهي من الأبنية الرائعة والنماذج الرفيعة للمعمار في عهد المغول. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٤١؛المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٠٧؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٨ ص٩؛ وخلال زيارة الباحث للمدينة وجد منشوراً في مدخل المدينة يشير الى ان السلطان اولجايتو خلال احدى زياراته لمدينة النجف بالعراق وبالخصوص عند زيارة الامام علي (B) طلب من علماء النجف ان ينقل قبر امير المؤمنين (B) للتبرك به وليبارك جهوده في بناء عاصمته الجديدة وعندما اكد له العلماء بحرمة نبش القبر ونقله طلب منهم السلطان بعض تراب القبر ليخلطه مع تراب مدينته الجديدة ، وقد كانت زيارته هذه في سنة ٧٠٩هـ وفعلاً حصل على هذا التراب وطلب من مستشاريه خلط هذا التراب في البناء ويذكر هذا المنشور انه ببركة تراب قبر الامام علي (B) نرى هذه القبة شامخة لهذا اليوم. ينظر : صورة رقم (١) .

(٣٠) زارها الباحث وشاهد بنفسه قبر السلطان اولجاتيو والتقط لها الصور بعدسته الخاصة، ينظر: الصور رقم (٢، ٣، ٤ ، ٥ ،٦ ، ٧).

(٣١) قبيلة قيات: هي احدى القبائل ا لمغولية وقد كانت تدعى بورحيقين، وتعني أشهل العينين، كان زعيم هذه القبيلة يدعى يوسكاي وعندما توفي آلت زعامة هذه القبيلة الى ولده جنكيزخان الذي كان صبياً لا يتجاوز عمره الثالثة عشرة، وعلى الرغم من تمرد قبيلته عليه الا انه استطاع ان يوحد القبائل المغولية تحت زعامته وكان نتيجة ذلك قيام امبراطورية المغول للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص٢٦؛ الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٥م)، ج٣، ص١٩٢؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ط١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص٢٨.

(٣٢) جنكيزخان: بن يوسكاي بن بهادر بن برتاب بن قبل بن تومنه بن باي سنقر بن قيدو. ولد سنة ٥٤٩هـ في العشرين من ذي القعدة وعندما اصبح عمره ثلاثة عشرة سنة توفي والده يسوكاي الذي كان يتزعم قبيلة قيات المغولية، اما أمه فكانت تدعى اولون اديكه والتي كان لها دور بارز في حياة ولدها بعد وفاة ابيه، كان اسمه في بداية الامر تموجين وهي كلمة تعني عند المغول القوي الصلب. استطاع بعد ان اشتد عوده وكبر ان يستعين بحلفاء أبيه في توحيد قبيلته وفرض سيطرته عليها ثم بعد ذلك وحد قبائل المغول تحت زعامته فلقب بـ(جنكيزخان) ومعناه ملك الملوك وحاكم العالم اجمع، عمل جنكيزخان على توسيع رقعة امبراطوريته فأسقط العديد من البلدان وعندما توفي سنة ٦٢٤هـ ترك دولة مترامية الاطراف للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص٢٦-٢٩؛ العريني، السيد الباز، المغول، ط١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص٤٤، ص٥٣؛ الاب، هارلود، زندكي نامه جنكيزخان مغول، ترجمه للعربية: رشيد ياسين ، نشر انتشارات سبهرادب، (طهران، ١٣١٨هـ. ش)، ص٣٨، عكاشة، ثروت، اعصار من الشرق (جنكيزخان)، ط٥، دار الشروق، (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٣٢، ص٩٤.

(٣٣) ينظر : ملحق رقم (٢).

(٣٤) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٥٨٠؛ موركَان، ديويد، مغول ها، ترجمه للفارسية: عباس مخبر، نشر مركز، (طهران، ١٣٨٩هـ. ش)، ص٦٨- ص٧٥. وينظر : خارطة رقم (١).

([٣٥]) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٧؛ بياني، شيرين، مغولات وحكومة ايلخاني وايران، ط١، نشر مركز تحقيق وتوسعة علوم انساني، (طهران، ١٣٧٧هـ. ش)، ص٢٤٨؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران وعصر المغول ، ط٥، انتشارات محور، (طهران، ١٣٨٧ هـ. ش)، ص١٦٩.

([٣٦]) الاويرات: كلمة تعني في لغة المغول (المؤتلف) كانت هذه القبيلة تسكن في المنطقة الواقعة بين نهر اونن وبحيرة بايكال، كانوا كثيري العدد وكانت لغتهم تختلف قليلاً عن لغة القبائل المغولية الاخرى، وقد تشعبت الى عدة شعب الا انهم كانوا يأتمرون بأمر ملك واحد كان يلقب (بكي) او باكي، بعد ان فرض جنكيزخان سيطرته عليهم صاهرهم، وقد تزوج هولاكو أولجاي بنت يورجي كوركان وتزوجت ابنة هولاكوخان منكوكان من جاقوركوركان وهكذا بدأت المصاهرات بين قبيلة الاويرات وقبيلة قيات، برز من هذه القبيلة عدة قادة شاركوا في ايصال الدولة المغولية الى ما وصلت اليه ابرزهم ارغون بن كوركان الذي حكم بلاد خراسان في عهد جنكيزخان وعلي بادشاه وغيره. للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني ، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٤٠٥؛ الطائي، سعاد هادي حسن ارحيم، تاريخ الترك والمغول، ط١، دار ومكتبة عدنان، (بغداد، ٢٠١٤م)، ص٢٨٢؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٣٤٦.

([٣٧]) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص١٥٤؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٠٠؛ لامب، هارلود، جنكيزخان، ص٣٨.

([٣٨]) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٨– ص٢٠؛ العريني، السيد الباز، المغول، ص٤٤.

([٣٩]) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٠١؛ بياني شيرين ، المغول ، ص٢٥.

([٤٠]) ينظر : تعريف ولقب اولجايتو في ص٩ .

([٤١]) تولوي خان هو الابن الرابع لجنكيزخان واصغر ابنائه الاربعة اطلق عليه لقب (يكه نويان) و(الغ نويان) اي امير الجيوش او الامير الكبير، كان شجاعاً وسديد الرأي والتدبير كان والده يستشيره في معظم الامور والمهمات والمصالح الرئيسية للدولة، كان يشرف على كل ما يملكهوالده جنكيزخان ومعسكراته واموله وخزائنه وذخائره وامرائه وحرسه الخاص. كان نصيبه من ممتلكات ابيه منغوليا وما تشمل من وديان وانهار فضلاً عن العاصمة قراقورم. حكم الامبراطورية المغولية بعد وفاة والده جنكيزخان عامين (٦٢٤– ٦٢٦هـ) بصفته وصياً على العرش طبقاً للعرف المغولي. توفي تولوي خان في حدود سنة ٦٣٠هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص١٧١؛ الهمذاني، جامع التواريخ، القسم الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص١٦٠– ص١٧٠؛ شبارو، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، ط١، دار النهضة، (بيروت، ١٩٩٤م)، ص٤٤.

([٤٢]) الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، ذيل تاريخ الاسلام، تحقيق: مازن بن سالم باوزير، ط١، دار المغني، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٥٣؛ ص٤٠٤.

([٤٣]) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: مركز التراث، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ٢٠٠٨م)، مج٣٢؛ ص١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٨ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٩، ص٣١٥.

([٤٤]) اسبياج، احمد، فرهنك داتشكَاهي عربي به فارس، ط١، انتشارات فرحان، (طهران، ١٣٧٩هـ.ش)، ص٣٧٩، ص٥٩٥، ص٧٠٤.

([٤٥]) ابن تغرى بردي ، جمال الدين ابو المحاسن (ت ٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة ، تقديم محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج٨ ، ص١٣٤.

([٤٦]) جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص١٩.

([٤٧]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٨٣؛ المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٠٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧؛؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٤٠؛ النطنزي، معين الدين (من مؤرخي القرن التاسع الهجري)، منتخب التواريخ، باهتمام: بروين استخري، ط١، انتشارات اساطير، (طهران، ١٣٨٣هـ.ش)، ص١١٤ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص٣٧٨ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٨٤.

([٤٨]) الصفدي، صلاح الدين بن أيبك (ت٧٦٣هـ)، أعيان العصر واعوان النصر، تحقيق: علي ابو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٨م)، ج٢، ص٧٠. ويذكر المؤرخ ابن تغري بردي كان قد وافق الصفدي في قوله. فقال: "ان خربندة اسم مهمل بمعنى الحمار وان خدابندة معناها بالفارسي (عبد الله) وقد حرفت العامة هذه اللفظة فقالت خربندة". ينظر: النجوم الزاهرة ، ج٨ ، ص١٣٤.

([٤٩]) صبح الاعشى، ج٤، ص٤١٩.

([٥٠]) صبح الاعشى، ج٤، ص٤٢٠.

([٥١]) ابن العماد، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد العسكري الحنبلي الدمشقي (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٤٠.

([٥٢]) ويذكر ان المصادر التاريخية استندت في اطلاقها اسم خربنده على السلطان خدابندة، على رواية مفادها ان ا لمغول جرياً على عادتهم في تغيير اسماء الذين يحبونهم حتى يكونوا في مأمن من الحسد فكانوا يسمون المولود باسم اول داخل عند ولادته، فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل، الحمار وهم يسمونه خربندة فسمي به. ولما اعتنق الاسلام سمي بـ خدابندة. وقد اشتهر هذا السلطان بهذين الاسمين خدابنده وخرابندة وللمزيد من التفاصيل ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج٢، ص٧٠؛ ابن بطوطة، ابو عبد ا لله محمد بن ابراهيم اللواتي (ت: ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، ط١، دار صادر (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٢٢٧-ص٢٢٨ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٣٨؛ ؛ الصياد، فؤاد، مؤرخ المغول، ص٣٤٦.

([٥٣]) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٧؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ط١، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٩٦٧م)، ص١٤٠.

([٥٤]) ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٧٢م)، ج٥، ص١١٣.

([٥٥]) العلامة الحلي: هو الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلي، ولد في الحلة عام ٦٤٨هـ كان يلقب بجمال الدين وهو من اكابر العلماء والفقهاء وهو احد تلاميذ نصير الدين الطوسي ، كان مشهوراً بالعلوم العقلية والنقلية وله عدة مؤلفات اشهرها منهاج الكرامة في باب الامامة ونهج الحق وكشف الصدق. توفي في سنة ٧٢٦هـ ودفن في مرقد الامام علي (B) في النجف للمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٢٦١؛ الاردبيلي، احمد بن محمد (ت: ٩٩٣هـ)، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان، تحقيق: اقا مجتبى العراقي واخرون، ط١، (لا ، نا)، (قم المقدسة، د.ت)، ج١، ص٢١؛ البحراني، يوسف بن احمد (ت: ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين، تحقيق: محمد صادق، ط١، مؤسسة آل البيت (قم المقدسة، د.ت)، ص٢٢٤؛ جاسم، سامي حمود، المنهج

التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود الحليين في علم الرجال، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، (مقدمة الى مجلس كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦م)، ص١٠٠.

([٥٦]) البحراني، لؤلؤة البحرين، ص٢٢٤.

([٥٧]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٣٨.

([٥٨]) ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردي (ت: ٧٤٩ هـ) تاريخ ابن الوردي، (د.تح)، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٨.

([٥٩])الحلي ،الحسن بن يوسف بن المطهر (ت: ٧٢٦هـ)، ارشاد الاذهان، تحقيق: فارس حسون، ط١، مؤسسة النشر (قم المقدسة ، د.ت)، ج١، ص١٢٠؛ القاشاني، تاريخ أولجايتو، ص٢٢٧.

([٦٠]) تاريخ اولجايتو، ص٤٤.

([٦١]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٠٦؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٤٨٠.

([٦٢]) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٨٥؛ العاملي، علي الكوراني، كيف رد الشيعة غزو المغول، ط١، دار الهدى، (قم المقدسة، ٢٠٠٦م)، ص١٩٠.

([٦٣]) خواندمير، تاريخ حبيب السير ، ج٣، ص١٩٢؛ الشاكري، حسين، المؤتمرات الثلاثة، ط١، مطبعة ستارة (قم المقدسة، ١٤٦٨هـ)، ص٩٦.

([٦٤]) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٨٧؛ العاملي، علي، كيف رد الشيعة، ص١٩٢.

([٦٥]) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ط١، مطبعة بغداد،(بغداد، ١٩٣٥م)، ج١، ص٤٤٥.

([٦٦]) الصياد، فؤاد، مؤرخ المغول، ص١٦٩.

([٦٧]) بياني، شيرين، المغول، ص٣٣٩.

([٦٨]) ميرخوند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٩٨. ويذكر ان السلطان محمد خدابنده كان مسيحياً وذلك بتأثير والدته المسيحية التي اسمته (نيقولا) تيمناً بالبابا نيقولا وعندما توفيت والدته دخل الاسلام بتأثير اخيه السلطان غازان وتسمى بـ(محمد) ينظر: حافظ ابروا، ذيل جامع التواريخ، ص٦– ص٧؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٩٥؛ كوك ريجارد، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية: فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٩٢م)، ج١، ص٢٥٤.

([٦٩]) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٦.

([٧٠]) منتخب التواريخ، ص١٢٤.

([٧١]) الخونساري، محمد باقر الموسوي (ت: ١٣١٣هـ)، روضات الجنان في احوال العلماء والسادات، ط١، الدار الاسلامية، (بيروت، ١٩٩١م)، ج٢، ص٢٨٢.

([٧٢]) خاتون: هي لفظة تعني الاميرة، والملكة، والسيدة، وتستعمل في الغالب في معاني التبجيل والاحترام وجمعها خواتين. للمزيد ينظر: النسوي، محمد بن احمد بن علي بن محمد (ت: ٦٣٩هـ)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: احمد حمدي، ط١، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٥٣م)، ص٤٤؛ عبد الرحيم، رائد، الفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي وكتب مؤرخيه، (بحث في مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية ، فلسطين، ٢٠٠٨م)، مجلد ٢٢، ص١٣٠٩.

([٧٣]) تتكيز كوركان: هو زعيم قبيلة الاويرات تزوج من ابنة هولاكو تودا كاج، وانجب منها علي بادشاه وحاجي خاتون وكانت له بنت اخرى تدعى اريقاق ابكاجي من زوجة أخرى ، وهي التي تزوج منها هولاكو خان ، وولدت له ابنه

اجاي وقد توفيت بعد هولاكوخان وكان لها ولد من غير هولاكو يدعى ايلور قتل في عهد غازان على حدود الروم. للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٢٦؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧.

(٧٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٤٠٥؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٣٤٦.

(٧٥) تودا كاج: بنت هولاكو بن تولي بن جنكيزخان، هي الابنة الرابعة لهولاكوخان كانت امها محظية من قلعة توقوز خاتون تزوجت من تتكيز كوركان من قوم الاويرات وانجبت منه حاجي خاتون وعلي بادشاه ولما توفي تزوجت ابنه سولامش ثم بعد وفاته تزوجها حفيد تتكَبز المسمى جيجال كوركان للمزيد ينظر:الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢،ج١،ص٢٣٠؛القاشاني،تاريخ اولجايتو، ص٧.

(٧٦) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠.

(٧٧) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٨.

(٧٨) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٠٧.

(٧٩) خراسان: هي بلاد واسعة أول حدودها ما يلي العراق وآخر حدودها الهند وطخارست وغزنة وسجستان وكرمان، تضم هذه البلاد عدة مدن اشهرها نيسابور وهراة وسرخس وغيرها تشتهر هذه البلاد بأنواع التجارات للمزيد من التفاصيل ينظر: الاصطخري، ابو اسحاق بن محمد (ت:٣٠٦هـ)، المسالك والممالك، (د. تح) ، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٢٩م)، ص٢٥٣ ؛ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩ هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل (بيروت، ١٩٩٢م)، مج٢، ص٤٥٥.

(٨٠) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣؛ الصياد، فؤاد، مؤرخ المغول، ص١٧٢.

(٨١) جوبان: هو ابن ملك بن تولون السلدوسي، كان امير الجيوش الاليخانية في اواخر عهد السلطان اولجاتيو وبداية حكم ابو سعيد. كان هو الحاكم الفعلي للدولة في عهد السلطان أبي سعيد وذلك لصغر سن السلطان، ففرض سيطرته على كل مفاصل الدولة وعين اولاده امراء على معظم الولايات الايلخانية، استمر تسلطه في السلطة حتى وقع الخلاف بينه وبين السلطان أبي سعيد الذي ادى بالتالي الى قتله وقتل ولده في سنة ٧٢٨هـ على يد ملك هراة الذي لجأ اليه للمزيد من التفاصيل ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٢٢٤ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٢.

(٨٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٣٠ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛.

(٨٣) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٨؛ القلقشندي، ابي العباس محمد (ت ٨٢١هـ) ، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فرج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت (الكويت، ١٩٨٥م)، ج٢، ص١٥٤ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨.

(٨٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٩؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٤١٧.

(٨٥) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٢٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٠.

(٨٦) ايرنجي: هو خال السلطان اولجايتو، ووالد زوجة السلطان أبي سعيد الخاتون (قتلغ شاه) كان من امراء المغول وكان ممن تسلم امارات عدة في عهد غازان واولجايتو وآخرها في عهد السلطان أبي سعيد امارة الروم والعراق، كان ايرنجي

جباراً ظالماً وثنياً، قتل سنة ٧١٩هـ على اثر اشتراكه وقيادته لمؤامرة من اجل الاطاحة بالامير جوبان، للمزيد ينظر: الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٤٥؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٢٠٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٧١ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٨٧.

(٨٧) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٢٢٨؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٩٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص١٨٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٨٠ . اما عن تفاصيل هذه الفتنة فسنتطرق لها بالتفصيل في الفصل الثاني.

(٨٨) علي بادشاه: هو ابن تتكيز كوركان الاويراتي وامه توداكاج ابنة هولاكوخان واخته حاجي خاتون زوجة السلطان اولجايتو وام السلطان أبي سعيد كان له دور كبير في عهد السلطان أبي سعيد خصوصاً في عمله على تحرير السلطان من سطوة الامراء المتنفذين في الدولة وخصوصاً الامير جوبان واولاده عين حاكماً على اردبيل الا انه كان يطمح في تولي منصب جوبان في قيادة الجيوش الايلخانية خصوصاً بعد ان اصبح هذا المنصب شاغراً بعد مقتل جوبان اشتراك الامير علي بادشاه في تمرد قاده بعض الامراء المغول ضد السلطان أبي سعيد من اجل فرض سيطرته على مقدرات الدولة كما كان يفعل جوبان الا انه وبشفاعة اخته ام السلطان نجا من الموت بعد ان عفا عنه السلطان اثر قضاء السلطان على هذا التمرد في اواخر عام ٧٢٩هـ، ابعد الى بغداد حاكماً عليها وبقي في منصبه هذا حتى وفاة السلطان سنة ٧٣٦هـ، وبعد تعيين خلف للسلطان أبي سعيد خرج علي بادشاه وتمرد على هذا الايلخان المدعو (أرباخان) حيث هاجمه وقتله ونصب ايلخاناً جديداً للدولة يدعى موسى خان ذلك عام ٧٣٦هـ واصبح هو قائداً للجيوش الايلخانية الا انه لم يبق في هذا المنصب سوى ثلاثة اشهر وقتل. للمزيد ينظر : حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥٣؛ خوانرمير، تاريخ حبيب السير ، ج٣، ص٢٢٧؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ط١، مطبعة القضاء، (النجف، ١٩٧٠م)، ص٤٩٤.

(٨٩) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٢٧، اما تفاصيل هذه الفتنة فسنتطرق لها في الفصل الثاني.

(٩٠)الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٠٣ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٢١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٣؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٢٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص٥٣٠- ص٥٣٤. ؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٥١٦.

(٩١) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٤٤٤.

(٩٢) أولترميش: هي الزوجة الثالثة للسلطان اولجايتو وقد تزوج منها حينما كان والياً على خراسان قبل اعتلائه عرش الايلخانية وهي ابنة قتلغ تيمور كوركان من قبيلة الكرايت المغولية المشهورة وامها هي مانقو ابنت جغتاي. للمزيد ينظر: حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١ ؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧؛.

(٩٣)حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١ ؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧؛.

(٩٤) جمجمال: هي من اعمال كرمنشاه وهي من الجزء الغربي من اقليم الجبال والذي اقتطعه السلاجقة في عهد السلطان سنجر وسماه كردستان وقد ازدهر هذا الاقليم ازدهاراً عظيماً وفي ايام المغول بنى السلطان اولجايتو عاصمة ثانية له في سلطان آباد وجمجمال قرب حافة جبل بيستون وهي منطقة كثيرة الخيرات. للمزيد ينظر: المستوفي القزويني، نزهت القلوب، ص١٦٢ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة، ص٢٢٨.

([٩٥]) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١.

([٩٦]) ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت، ط١، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ج٩، ص٣١١؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١؛

([٩٧]) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧.

([٩٨])الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٦٩ ؛ ميرخواند، تاريخ حبيب السير، ج٥، ص٥٠٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٠؛ فهمي، عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٢٤.

([٩٩])الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٧٣٣؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٣٢ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٦ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٤٩٢.

([١٠٠]) بوجغان: هي الزوجة الثانية للسلطان اولجايتو وهي ابنت لكزي كوركان من قبيلة الكرايت وقد تزوجها السلطان في خراسان عندما كان والياً فيها ينظر: القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٧.

([١٠١]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ج٥، ص٣٤٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٨٧؛ الامين، حسن، المغول، ص٣٧٧.

([١٠٢]) جلوخان: هو ابن الامير جوبان وكان شاباً صغيراً عندما قتل مع والده في مدينة هراة حيث التجأ أبيه جوبان لملكها غياث الدين الا انه غدر به وقتله املاً بحصوله على جائزة من السلطان أبي سعيد وكان ذلك في سنة ٧٢٨هـ وعندما قتل كان عمره ستة عشر عاماً. للمزيد ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٢؛ الامين، حسن، المغول، ص٣٨٢.

([١٠٣]) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٢١٨ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٢.

([١٠٤]) دقتي خاتون: هي حفيدة جوجي خان من طرف امها كرمان خاتون اما ابوها فهو اولتر بن يورت بزرك خان احد قادة المغول ومن قبيلة قونترات ينظر: الكاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٩.

([١٠٥]) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٣٢؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١١.

([١٠٦]) سورغان بن جوبان ولد في حدود عام ٧٢١هـ عاش مع امه ساتي بيك وعندما قتل ابوه جوبان كان عمره ست سنوات فرحل مع أمه ساتي بيك الى الكرج حتى حدثت الفتنة بعد وفاة السلطان أبي سعيد حيث تجمع أنصار جوبان واحفاده عند ساتي بيك ونصبوها على عرش الدولة الايلخانية عام ٧٣٩هـ وقد عين سورغان حاكماً على بلاد العجم وبعد عزل والدته عن الحكم بقي هو يدير شؤون ولايته. للمزيد ينظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٢٨؛ شبولر، برتولد، العالم الاسلامي، ص١٣٩.

([١٠٧]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٣؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص٥١٤؛ بياني، شيرين، المغول، ص٣٧٣؛ اما عن المؤامرة التي تعرض لها الامير جوبان فهي تلك التي قادها الامير ايرنجي والتي سنعرض لها بالتفصيل في الفصل الثاني.

([١٠٨])حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٠٢؛ ميرخواند، تاريخ حبيب اليسر، ج٥، ص٤٦٥؛ أقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٤٩١.

(١٠٩) الكرج: مدينة تقع بين همذان واصفهان في نصف الطريق والى همذان اقرب، وفيها ابنية حسنة جليلة وحمامات وعيون ومنابع وهي اكثر عمارة واكثر تصرفاً في الصناعات والتجارات، للمزيد ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٩٩؛ الادريسي، ابو عبد الله ممد بن عبد الله (ت ٥٥٩هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٩م)، ج٢، ص٦٧٥.

(١١٠) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٤٦؛ اقبال، عباس ، تاريخ ايران، ص٥٠٠.

(١١١) حسن بن تمرتاش: بن جوبان قائد الجيش الذي قتله السلطان أبي سعيد سنة ٧٢٨هـ، اختفى حسن بن تمرتاش المقلب بالصغير عن الانظار بعد مقتل والده تمرتاش في بلاد الروم واستمر متخفياً حتى عام ٧٣٨هـ حيث راودته فجأة حلاوة الحكم والسلطة وقد اتبع لتحقيق ذلك كل الوسائل والاساليب من خداع ومكر فقد اتصف بالحنكه السياسية اكثر من القوة استمال الكثير من الجوبانيين ومن انصارهم كما انضم اليه امراء قبيلة الاويرات اتباع علي شاه حتى ان الامير ساتي بيك ايدت ثورته خاض حسن ا لصغير حروباً كثيرة مع منافسيه على حكم الدولة الايلخانية وخصوصاً مع حسن الجلائري الكبير حقق انتصارات عديدة استطاع ان يحتل تبريز وعندها انتدب ساتي بيك سلطانه على العرش الا انه سرعان ما بدلها وعين بدلاً عنها سليمان شاه قتل حسن الصغير على يد زوجته وذلك سنة ٧٤٤هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٢٠٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٥١ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٤٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٢٨؛ ؛ اشبولر، برتولد، تاريخ مغول در ايران ، ترجمه للفارسية محمود مير افتاب ،شركة انتشارات علمي وفرهنكي ،(طهران ، ١٣٧٤هـ . ش) ، ص١٣٩.

(١١٢) للمزيد عن هذا الصراع الذي احتدم على السلطة بعد وفاة السلطان أبي سعيد والذي انتهى بتفكك الدولة الايلخانية الى عدة دويلات صغيرة متنازعة على السلطة وبالتالي ادى الى انهاء الدولة الايلخانية الى الابد وقيام عدة دول مكانها كالدولة الجلائرية والسربرارية وآل المظفر وغيرها، ينظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٨٠-ص٢٢٠؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٤٦؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير ، ج٣، ص ٥٤٦؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٥٠٤- ٥٢٠؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٣٣- ص٣٤٤.

(١١٣) خواندمير، تاريخ حبيب السير ، ج٣، ص٢٢٨؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٥٠٤.

(١١٤)ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، الدليل الشافي بعد المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١، مطبعة الخانجي، (القاهرة، د.ت)، ج١، ص٢٦١؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير ، ج٣، ص٢٢٨ .

(١١٥) كحالة، عمر رضا، اعلام النساء، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت، د.ت) ج٢، ص١٤٢ .

(١١٦) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٢٠٩؛ بياني، شيرين، المغول، ص٥٣٥.

(١١٧) سليمان خان: من احفاد يشموت بن هولاكو نصبه حسن الصغير ايلخاناً على الدولة بعد عزله ساتي بك وذلك في العام ٧٤١هـ استطاع هذا الايلخان ان يسبط سلطته على اذربيجان وأران وكرجستان والعراق العجمي قضى معظم حكمه في الصراعات مع المتنافسين على العرش الايلخاني وفي سنة ٧٤٥هـ وبعد وفاة حسن الصغير نشب الصراع بين الجوبانيين انتهى بمقتل سليمان شاه للمزيد ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص٥٥٥؛ أقبال، عباس ، تاريخ ايران، ص٥٠٤؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٤٤.

(١١٨) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ص٥٥٦؛ الامين، حسن، المغول، ص٤١٠.

(١١٩) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٣١؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٤٤.

([١٢٠]) القاشاني، تاريخ اولجاتيو، ص٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الرضا، ج٥، ص٤٩٥.

([١٢١]) قبيلة كرايت: هي احدى القبائل المغولية واقواها استطونت المنطقة الممتدة من أرخون وجبال كنتار حتى سور الصين، اعتنقوا الديانة المسيحية على المذهب النسطوري ما بين سنة (١٠٠٧- ١٠٠٩م)، وفي عهد جنكيزخان كان (اونك خان) ملكاً على قبائل الكريت وكانت تربطه مع جنكيز علاقة مودة وصداقة غير ان هذه الصداقة لم تدم طويلاً، إذ أضطر جنكيزخان الى محاربة أونك خان واخضاع قبيله بعد القضاء على ملكهم. للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢،ج١، ص٧٨؛ اشبولر، العالم الاسلامي،ص٢٠؛العريني، الباز ، المغول، ص٣٤.

([١٢٢]) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٧٨؛ الصياد، فؤاد، المغول، ص٢٨.

([١٢٣]) ميرخواند، تاريخ روضة الرضا، ج٥، ص٤٩٥؛ هذه الحرب التي قادها السلطان أبي سعيد ضد ايرنجي والد زوجته قتلغ شاه والتي ادت الى مقتل ايرنجي واصحابه وانتصار السلطان أبي سعيد فيها والتي لقب على اثرها ببهادر خان. ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كزيدة، ص٦١٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٠١، وسنستعرض هذه الحرب بالتفصيل في الفصل الثاني.

([١٢٤]) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٩٥ ؛ الأمين ، حسن ، المغول ، ص٣٧٥ .

([١٢٥])حافظ ، ابرو ، ذيل جامع التواريخ ، ص٩٩ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٥.

([١٢٦]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٠٢ ؛ الأمين ، حسن ، المغول ، ص٣٧٦ .

([١٢٧]) يذكر انه على اثر نشر الرايات البيض على معسكر الايلخان أبي سعيد استجابة لرغبة ايرنجي، فسرت هذه الحركة على ان السلطان قد دخله الخوف والرعب من معسكر اعدائه. فهبوا مندفعين بالجملة على معسكر الايلخان. ووقعت الحرب بين المعسكرين وذلك في سنة ٧١٩هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٠٧ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٦.

([١٢٨]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٠٤ ؛ طقوش ، محمد ، المغول العظام ، ص٣٢٣.

([١٢٩])ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، ج٥ ، ص٤٩٦ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٢، ص٢١٥.

([١٣٠])الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص١١١ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٢.

([١٣١])الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص١١١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٣١.

([١٣٢]) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص٢٣٠ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٢٧.

([١٣٣]) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٧ .

([١٣٤]) بروان، ادوارد، تاريخ أدبي ايران، ترجمة للفارسية : علي أكبر اصغر حكمت، نشر حباب دوم، (طهران، ١٣٣٩هـ. ش) ص٢٧.

([١٣٥]) العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠م)، ج٢، ص١٦٦.

([١٣٦])النويري، نهاية الارب، ج٣٣، ص٢٥٥ ؛ المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٨؛ اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت: ٧٥٩هـ)، نزهة النظار في سيرة الملك الناصر، تحقيق: احمد حطيط، ط١، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص٣٣٥ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص ١١١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٣؛ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٢؛ الامين، حسن، المغول، ص٣٧٦.

([١٣٧]) الشيخ حسن: هو حسن بن اقبغا بن أيلكان المعروف بالشيخ حسن بك الكبير، امه عمة السلطان أبي سعيد ابنة ارغون خان، تولى عدة مناصب في عهد السلطان ابي سعيد منها نائب الخان بعد مقتل جوبان وحاكم بلاد الروم دخل في معارك مع حسن بن تمرتاش بعد وفاة السلطان أبي سعيد حقق في بعضها انتصارات استولى على العراق وبغداد وحكم فيها مستقلاً مؤسساً بذلك الدولة الجلائرية (٧٣٨هـ- ٨١٤هـ) توفي الشيخ حسن في عام ٧٥٧هـ وقد حكم هذه الدولة سبع عشرة سنة تولى حكم الدولة من بعده ابنه اويس. للمزيد ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٨؛ الصفدي، اعيان العصر، ج٢، ص١٩١ ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥٣؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج٢، ص٩٠.

([١٣٨]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٤١؛ الامين، حسن، المغول، ص٣٨٢.

([١٣٩]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٤؛ الجاف، حسن، المغول، ص٣٨٢.

([١٤٠]) الياسا: هو القانون الذي وضعه جنكيزخان، حدد فيه حقوق وامتيازات زعماء القبائل المغولية، والنظام الضريبي في الامبراطورية، ونظام الخدمة العسكرية الى جانب القوانين الاجتماعية والاقتصادية وبالاخص التجارية منها، وقد الزم جنكيزخان نفسه بتنفيذ هذه القوانين والشرائع حتى يحتذى به في ذلك كل شعبه وخلفائه من بعده حول موارد قانون الياسا ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص١٨٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣١٠؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٣٣؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ط١، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ج٤، ص٣١٠.

([١٤١]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٣؛ طقوش، محمد، المغول العظام ، ص٣٢٦.

([١٤٢]) الاوردو: لفظ مغولي معناه المعسكر، وقد استعمل في المراجع العربية والفارسية، وفي العصر المغولي للدلالة على معسكر ايلخان الدولة المغولية بفارس. للمزيد ينظر: دهمان، محمد، معجم الالفاظ التاريخية، ص٥١٤؛ عبد الرحيم، رائد، الفاظ مغولية، ص١٣٠١.

([١٤٣]) قراباغ: تسمية تركية فارسية معناها البستان الاسود، لخصوبة السواد من أرضها وهي اقليم ذات حكم ذاتي تابع لأرمينيا. ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٨٢؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٤.

([١٤٤]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٧ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٧.

([١٤٥]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٧؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٤.

([١٤٦]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٨؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٤. ويذكر انه كتب وانشد ابياتاً من الشعر والغزل في عشق بغداد خاتون وفراقها ومن ابيات الشعر التي انشدها في حب بغداد خاتون ما يلي:

بيا بمصر ولم تا دمشق جان بيني كه ارزوى ولم در هواي ب غداد است وترجمة هذا البيت للعربية:

يا قلبي تعالى الى مصر لترى عشق دمشق الروح فان غاية قلبي في هوى بغداد

ينظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٨؛ فهمي، عبد السلام، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٢٩؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق ، ج١ ، ص٤٩٤.

([١٤٧]) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١١١ ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ ، ص١١٨ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٧.

([١٤٨]) النويري، نهاية الارب، ج٣٣، ص٢٥٥ ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١١٨ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٢٧ .

([١٤٩]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٤؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٧١؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣٢٧.

([١٥٠]) خواجه دمشق: هو أحد ابناء الامير جوبان المتميزين ووالد دلشاد خاتون زوجة السلطان أبي سعيد تولى مناصب كثيرة في الجيش والادارة في عهد السلطان أبي سعيد خصوصاً بعد سيطرة والده جوبان على مقدرات الدولة فقد كان مرافقاً للسلطان يحسب عليه انفاسه كان صاحب الديوان =
= والوزير الاول والمشرف على العاصمة السلطانية وامور القصر السلطاني وامور السلطان أبي سعيد كان سيء الخلق مع الحاشية ظالماً قاسياً جباراً، وعندما علم السلطان أبي سعيد بأفعاله خصوصاً فواحشه مع زوجات أبيه ترصد به حتى قضى عليه متلبساً في بيت إحدى زوجات السلطان فقتل وعلّق رأسه في العاصمة وكان مقتله بداية لتصفية والده جوبان واخوته من قبل السلطان أبي سعيد وذلك في العام (٧٢٧هـ). وللمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣؛ ص٣٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٩٠ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥١٢؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٣.

([١٥١]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢١؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٣٠.

([١٥٢]) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٣٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج٢، ص٧٩.

([١٥٣]) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥١؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٤٠؛ ويبدو ان المصادر التاريخية لم تشر الى اسم الفتاة التي ولدتها دلشاد خاتون من نسل السلطان أبي سعيد والتي ولدت بعد وفاة السلطان ابي سعيد.

([١٥٤])المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢٣ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٩.

([١٥٥]) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢١٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٤٢.

([١٥٦]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢٣؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٩.

([١٥٧]) أرباخان: هو ابن جوشكاب احد احفاد اريق بوقا بن تولي خان بن جنكيزخان تولى حكم الدولة الايلخانيه بعد وفاة السلطان ابي سعيد. وذلك بعد ترشيحه من قبل الوزير خواجه غياث الدين معللاً ذلك بأن السلطان أبي سعيد كان قد أوصى به وقد وافقه كبار الامراء والقادة على ذلك. بدأ السلطان ارباخان سياسته بتصفية خصومه من الامراء المنافسين له على الحكم ففر أكثرهم وتجمعوا ضده بقيادة الامير علي بادشاه الذي عارض تنصيبه منذ البداية فقاد علي بادشاه حرباً ضد السلطان ارباخان انتهت بقتله وقتل وزيره غياث الدين. للمزيد من التفاصيل ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢٣؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٢٦ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ أيران ، ص٤٩٧.

([١٥٨])النطنزي، منتخب التواريخ، ص١١٧؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٩؛ الأمين ، حسن ، المغول ، ص٣٩٠-٣٩١ .

([١٥٩]) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٢٧؛ القزاز، محمد، الحياة السياسية، ص٤٩٤.

([١٦٠]) حافظ ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص١٥١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٥٢٥.

([١٦١]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٥٢٥.

([١٦٢]) الجلائري: نسبة الى قبيلة الجلائر وهي قبيلة من نسل المغول من اولاد نوكوت من قبيلة دورليكَين عاشت هذه القبيلة عيشة بدوية وقد اصابتها مجاعة وحدث بينها وبين قبيلة قيات معرفة وقد توطدت هذه العلاقة عندما ظهر جنكيزخان حيث صاروا من اتباعه وقد برز من هذه القبيلة رجال خدموا الدولة المغولية منهم أق بوغا الذي كان امير الامراء في زمن الايلخان كيخاتو وقتل في فتنة الايلخان بايدو ثم ظهر أخوه حسين الذي تزوج بنت الايلخان أرغون وفي عهد السلطان أبي سعيد كان زعيم هذه القبيلة هو الشيخ حسن الذي انتهى به المطاف لتأسيس الدولة الجلائرية التي حكمت العراق وايران ما يقرب من ٩٠ سنة للمزيد ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٢٣٠؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٣٣؛ العريني، الباز المغول، ص٣٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٦٣.

([١٦٣]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥٤؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٣١؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج٢، ص٧٩. ويذكر ان الشيخ حسن الكبير كان قد تزوج دلشاد خاتون في العام ٧٣٧هـ وقد ا نجبت منه عدة اولاد منهم الشيخ اويس الذي تسلم مقاليد حكم الدولة الجلائرية بعد وفاة ابيه ا لشيخ حسن والامير قاسم والشيخ زاهد وابنة تدعى دوندي، توفيت دلشاد خاتون في الثامن من ذي القعدة سنة ٧٥٢هـ ونقل جثمانها الى مشهد الامام علي (B) في النجف الاشرف وللمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص١٨؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٣١؛ كحالة، عمر، اعلام النساء، ج٢، ص١٤٢؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج٢، ص٨٠.

([١٦٤]) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٥٥؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٣٣ ؛ الجاف ، حسن ، الوجيز ، ص٣٦٧ .

([١٦٥]) الباشا، حسن، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، ط١، الدار الفنية (القاهرة، ١٩٨٩م)، ص٢.

([١٦٦]) القزاز، محمد ، الحياة السياسية، ص١٣٨ .

([١٦٧]) العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٣٠.

([١٦٨]) القزاز، محمد ، الحياة السياسية، ص١٤٠.

([١٦٩]) النويان: لفظ مغولي لأمراء وقادة المغول الكبار، ونوين معناها رئيس تومان اي رئيس فرقة مكونة من عشرة آلاف، ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٢٠٧.

([١٧٠])حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧ ؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٨.

([١٧١]) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٣٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٢٦.

([١٧٢]) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٧ ؛ بياني ، شيرين ، المغول ، ص٥٢١ .

([١٧٣]) بهادر: بالدال المضمومة، كلمة تركية مغولية مأخوذة من بخاتر، والمعنى الاصلي لها وهو الشجاع او المقدام، ثم اطلق لقباً للتشريف في بلاد الاسلام، للمزيد ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، دول الاسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروة ومحمود الارناؤوط، دار صادر (بيروت، ١٩٩٩م)، ص٢٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٩٣.

([١٧٤]) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٠٦؛ اقبال، تاريخ ايران، ص٤٩١؛ وهي الفتنة التي قادها الامير ايرنجي وبعض الامراء من اجل الاطاحة بالامير جوبان والتي سنورد تفاصيلها في الفصل الثاني وللمزيد عنها ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج١، ص٦٦٦ ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٩٦- ص١٠٠ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٩١- ص٤٩٧.

([١٧٥])ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٩٣؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٠٧؛ اقبال، تاريخ ايران، ص٤٩١.

([١٧٦]) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق ،ج١، ص٤٤٧.

([١٧٧])الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٠٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٨٣.

([١٧٨]) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٢١؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، انتشارات سبهرادب، (طهران، ١٣٨٨هـ. ش)، ص٣٥٧.

([١٧٩])ابي الفداء، المختصر ، ج٤، ص٣٨ ؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٠٤؛ وللمزيد عن شعر السطان ينظر : ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٨؛

([١٨٠]) النطنزي، منتخب التواريخ، ص١٢٥؛ فهمي، عبد السلام، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٢٩.

([١٨١]) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢٢١؛ أقبال، عباس، تاريخ المغول، ص٣٧٥.

([١٨٢]) أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن حسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي، ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) في محلة تسمى كندة واليها نسبته ونشأ بالشام ثم تنقل في البادية يطلب الادب وعلم العربية وايام الناس، قال الشعر صبياً واشتغل بفنون الادب ومهر بها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها، ولا يسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام من منظوم الشعر، وفد على سيف الدين بن حمدان صاحب حلب سنة ٣٣٧هـ، فمدحه وحظي عنده، مضى الى مصر ومدح كافوراً الاخشيدي، وطلب ان يوليه فلم يوله فغضب ابو الطيب وانصرف يهجوه، قصد العراق وزار بلاد فارس ورحل الى شيراز وعاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن ابي جهل الاسدي في الطريق بجماعة من اصحابه، وكان مع المتنبي جماعة ايضاً، فاقتتل الفريقان فقُتل ابو الطيب وابنه محمد وذلك سنة ٣٥٤هـ، اعتنى العلماء بديوانه، فشرحوه حتى وصل شرحه الى اربعين شرحاً. وللمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام أخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ٢٠٠١م)، مج٥، ص١٦٤- ص١٦٥ ؛ ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر وعطا ومصطفى عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١٤، ص١٦٥؛ ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، د.ت) مج١، ص١٢٠؛.

([١٨٣]) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٦٩.

([١٨٤]) المكوس: جمع للاسم مكس: وهو الجباية، والمكوس ضريبة تؤخذ ممن يدخل البلد من التجار. للمزيد ينظر: ابن زكريا، ابي الحسن احمد بن فارس (ت: ٣٦٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ط١، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، ٢٠١٤م)، ص٨٣٢ ؛ ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: يوسف البتاعي وآخرون، ط١، مؤسسة الاعلامي، (بيروت، ٢٠٠٥م)، مج٢، ص٣٧٥٨ .

([١٨٥]) المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج٣، ص٣٠.

([١٨٦]) الناصر محمد بن قلاوون: هو سلطان المماليك في مصر والشام، ناصر الدين ابو الفتح بن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، ولد سنة (٦٨٤هـ/ ١٣٤٢م)، ولي امر السلطنة سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م)كان ملكاً عظيماً دانت له

البلاد والملوك توفي سنة(٧٤١هـ/ ١٣٤٢م) للمزيد من التفاصيل ينظر: اليوسفي، نزهة النظار، ص٣٩ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء التراث العربي، (القاهرة، ١٩٦٨م)، ج٢، ص١١٣؛ حسن ، أسامة ، الناصر محمد بن قلاوون ، ط١ ، دار الأمل (لا .ب ، ١٩٩٧م) ، ص١٧ ، ص٣٩.

(١٨٧) الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٠٤ ؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٢؛ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٧

(١٨٨) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٧.

(١٨٩) ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٢٦ ، ص٢٢٨.

(١٩٠) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٣٥؛ أقبال، عباس، تاريخ المغول، ص٣٣٨.

(١٩١) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦١ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٨٦؛.

(١٩٢) الجغتاي او الجغتائيون: هي احدى دول المغول التي تأسست بعد وفاة جنكيزخان عندما وزع ممتلكات الامبراطورية على اولاده الاربعة وكانت هذه المملكة من حصة ولده جغتاي المتوفي سنة ٦٣٨هـ حيث حكم هذه المملكة ثلاث عشرة سنة كان جغتاي ملكاً عادلاً وكان والده جنكيزخان يقول للامراء من كان يريد التفقه في معرفة القوانين واصول الملك عليه ان يتبع ولدي جغتاي عندما توفي جغتاي خلفه في الحكم اولاده واحفاده، كانت هذه المملكة مجاورة للدولة الايلخانية من جهة الشرق للمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، خلفاء جنكيزخان، ص١٥٠؛ شبولر، برتولد، العالم الاسلامي، ص٢٨٥.

(١٩٣) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦١.

(١٩٤) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٨٤، ينظر: ترجمة الامير سونج في الفصل الاول، ص١٢.

(١٩٥) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦٨.

(١٩٦) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦٨؛ طقوش، محمد، المغول العظام، ص٣١٠.

(١٩٧) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٣٦؛ الامين، حسن، المغول، ص٣٧٣.

(١٩٨) الامير يساول: اشارت المصادر الفارسية الى انه كان امير خراسان في عهد السلطان اولجايتو وعندما وصل الامير أبي سعيد حاكماً على خراسان سنة ٧١٣هـ انضم الامير يساور اليه واصبح من المقربين له وبعد ان اعتلى السلطان عرش الايلخانية كان الامير يساول حاكماً على خراسان بعد ان انفرد هذا الامير بحكم خراسان تكبر وتجبر فأصبح ظالماً اغتصب الكثير من الاموال بالجور من اهالي اقليم خراسان وعندما عجز هذا الامير عن الوقوف بوجه الامير يسور ارسل في طلبه السلطان بعد ان فر من القتال ضد الامير يسور فقتل في الطريق وهو متوجه الى السلطان وذلك في سنة ٧١٧هـ للمزيد من التفاصيل ينظر: المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٢ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٥٦.

(١٩٩) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٥٦ ؛ طقوش ، محمد ، المغول العظام ، ص٣١٨.

(٢٠٠) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٧ ؛ الأمين ،حسن، المغول ، ص٣٦٣ .

(٢٠١) حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٦٦ ؛ أقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص٣٣٥ .

(٢٠٢) بلاد ما وراء النهر: هي من أخصب اقاليم الارض منزلة واكثرها خيراً، فمياه هذا الاقليم أعذب مياه وابردها، وهواؤها صحي وفي هذه البلاد كور عدة وعظيمة امثال بخارى وسمرقند واشروسنه والصغد وفرغانه وكش وخوارزم وغيرها من

القصبات والكور الصغيرة، ويشتهر هذا الاقليم بانتاج القمح والشعير والرز وغيرها وكذلك بأنواع مختلفة من الفواكه كالتفاح والرمان والخوخ وغيرها. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص٤٩٣؛ البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز محمد (ت: ٤٨٧هـ) المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج٢، ص٢١؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة، ص٤٧٦.

(٢٠٣) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٣٦؛ أقبال، عباس، تاريخ ايران، ص٥٤٨.

(٢٠٤) الهمذاني، جامع التواريخ، خلفاء جنكيزخان، ص٢٨؛ ويذكر ان اولاد جنكيزخان الاربعة هم كل من جوجي، وجغتاي، واوكتاي، وتولوي، وقد نسبت مملكة جغتاي الى الابن الثاني لجنكيزخان جغتاي للمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص١٤٤، ص١٦١.

(٢٠٥) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (٧١٨هـ) ، جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، تحقيق: امير حسين جهانيكَلو، (طهران، ١٣٣٦ ق.ش)، ص١٤ ص١٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٩٤.

(٢٠٦) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٠٥؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٠٢.

(٢٠٧)الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٤٦٧ ؛ القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص١٦، طقوش ، محمد ، المغول العظام ، ص٣١٨ .

(٢٠٨) القاشاني، تاريخ اولجايتو، ص٢١٠ ؛ الأمين ، حسن ، المغول ، ص٣٧٣ . وينظر ص٤٤.

(٢٠٩) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٥؛ حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣.

(٢١٠)حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٧٨.

(٢١١) طوس: هي من مدن خراسان تحوي هذه المدينة على آثار وابنية اسلامية اهمها مرقد الامام علي بن موسى الرضا (B)، وتضم هذه المدينة مدينتين الاولى الطايران والثانية نوقان، وهي مدينتها العظمى، معظم أهلها من العجم، وللمزيد من التفاصيل: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٩ ؛ المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص١٨٥.

(٢١٢) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٤٧٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٤٤٧؛ اما الامير سونج فينظر ترجمته في ص١٢.

(٢١٣)حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧١ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٧٢.

(٢١٤) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٧٢

(٢١٥)حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٢ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٨ .

(٢١٦) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٢؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص٣٣٩.

(٢١٧)الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٦؛ المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦١١؛ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٢٠؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ج٢، ص٣٠٨ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٣٧٩؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٩٨.

(٢١٨) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ص١٩٨؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص٣٤٠.

(٢١٩)الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٦٤٨؛ المستوفي القزيني، تاريخ كَزيدة، ص٦١٥؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص٧٣ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٩٩.

(٢٢٠) اليوسفي، نزهة النظار، ص٣٣٥؛ اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان، وضع حواشيه، خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)،

ج٤، ص٢٥٥ ؛ ابن خلدون، العِبر، ج٥، ص٦٢٠؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ج٢، ص٣٠٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٧٤.

([٢٢١]) النويري، نهاية الارب، ج٧، ص٤١٩.الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٦٤؛ ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٦؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص١٥٤؛

([٢٢٢]) المختصر في اخبار البشر، ج٤، ص٩٦.

([٢٢٣]) القرماني، احمد بن يوسف (ت: ١٠١٩هـ)، أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعيد، ط١، دار الكتب، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج٢، ص٤٩٧.

([٢٢٤]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٨؛ المستوفي القزويني، تاريخ كَزيده، ط٦٢؛ الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص٤٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٠٣؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٣٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٢١؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٣٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٢١٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج١، ص٥١٦.

([٢٢٥]) الدرر الكامنة، ج١، ص٥١.

([٢٢٦]) أران: هي ولاية واسعة من نواحي ارمينية، قصبتها مدينة برذعة وهي اكبر مدن أران وتشتهر هذه المدينة بكثرة البساتين والعمارات وتنتج الكثير من الفواكه وفيها عدد من المساجد، يحد مدينة أران نهران هما نهر أرس ونهر الكر. وللمزيد من التفاصيل ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص٤٦٣؛ المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص١٦٠.

([٢٢٧]) القبيلة الذهبية: أو قبيلة القفجاق هي واحدة من أهم القبائل المغولية التي تأسست بعد ان وزع جنكيزخان أملاكه على اولاده الاربعة فكانت هذه القبيلة من نصيب ابنه جوجي الذي توفي في حياة أبيه فتوزعت املاكه بين اثنين من ابناء جوجي هما أوردا وباطوا، شغلت هذه القبيلة منطقة واسعة تمتد من نهر ارتش شرقاً الى أرض البلغار غرباً ومن روسيا وبلاد الصقالبة شمالاً الى مملكة الايلخانيين في فارس وآسيا الصغرى فضلاً عن بلاد ما وراء النهر وتركستان في الجنوب، وقد عرفوا باسم مغول القبيلة الذهبية نسبة الى خيامهم ذات اللون الذهبي. وللمزيد من التفاصيل ينظر: خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص٧٥؛ الرمزي ، م. م (ت: ١١٣٠هـ)، تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزام وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمية، ط١، (أرنبورغ، ١٩٠٨م)، ص٥٠٢، شبولر، برتولد، العالم الاسلامي، ص٩٩؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند ، ط١ ، دار النفائس ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ص١٣.

([٢٢٨])المستوفي القزويني، تاريخ كَزيده، ص٦٢١ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٤٢.

([٢٢٩]) المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢١ ؛ الأمين ، حسن ، المغول ، ص٣٩٠ .

([٢٣٠])الشيرازي، تاريخ وصاف، ص٣٥٦؛ المستوفي القزويني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٣– ص١٤٤؛ النطنزي، منتخب التواريخ، ص١١٧ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٣٤ ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٣، ص١٤٢.

([٢٣١]) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٥ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص٥٣٥؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج٥، ص١٤٣؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق ، ج١ ، ص٥٢٠.

(٢٣٢) حيث وجد الباحث اثناء زيارة قبر السلطان أبي سعيد في العاصمة السلطانية حجراً تشبه حجر الكاشاني الذي يستخدم في مراقد الائمة المعصومين في كربلاء والنجف وهي على شكل مربع ومزخرف بالزخارف الاسلامية مكتوب عليها الشهيد سعيد وللاسف كلمة أبي متآكلة بعض الشيء. وللمزيد ينظر : الصور رقم (٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١).

(٢٣٣) المستوفي القزيني، تاريخ كَزيدة، ص٦٢١؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص١٤٣- ص١٤٤.

Mama-Sharat, Tabni -Mama Cannels And Irisagrick City In the Light of Published Cuneiform Texts

I_7 Ma-Ma-Šarrat I_7 Tab-ni-Ma-ma ù Iri-sag-rig^{ki}

Dr. Jassim Abid Al-Ameer Jassim
Department of Cuneiform Studies
University of Al-Qadisiyah
Faculty of Archaeology

Mama-Sharat, Tabni -Mama Cannels And Irisagrick City In the Light of Published Cuneiform Texts I_7 Ma-Ma-Šarrat I_7 Tab-ni-Ma-ma ù Iri-sag-rig^{ki}

Dr. Jassim Abid Al-Ameer Jassim

Introduction

Iraq had witnessed smuggling in a large numbers of Cuneiform texts to the abroad Most of these texts came from irregular excavations, and were transferred to world museums and universities, at the end of the 19th century and the beginning of the 20th century and even in the first ten years of the twenty-first century, and beyond **,** These texts provided a lot of references and evidence, whether historical or administrative information Were important in the disclosure of many names, including cities and professions, and the names of rivers and canals and other things that of these were vague, although some were not specified in the final form, but was put forward many views on the sites of many of them **,** which contained references, although some were minor **.**

Irisagrick City: The name and geographical location

Irisagrick, the name was first mentioned in a historical formula from the late early dynastic period, which dated to the seizure of this city by the governor of Nippur city, confirming that it was not far from Nippur city. And continued to be mentioned in the Akkadian period, especially in historical formulations , A document from the kassait period refered to the name of (kuppin šar-adi) in his capacity as ruler of the city of Charakum(1) , Irisagrik city has several names such as : (iri-sag-rig^{ki}) ،(uru-sag-rig^{ki}) ،(iri-sag-pa-ḫub-du^{ki}) .It was called in Sumerian language(uru-sag-rig^{ki})(2), Which is also read as(uru-sag-pa-ḫub-du^{ki}) , and the name is read in some cuneiform sources(3), as (iri-sag-pa-ḫub-du^{ki}). Note that the word sag-rig_7 means offering , and thus the meaning may be as means the city of offerings(4) which corresponds to the Akkadian language tearm (sa-ra-gum^{ki}) or (šarrākum^{ki}), which is likely to be located in (Um al Hafryat) near Nippur city, (Um al Hafryat) archaeological site is located about 35 km south of Nippur city in Afak district within Al- Qadisiyah province ,This site is consists of a group of low-rise

mounds , it was clear in a survey which conducted by the researcher (Overt) to some pottery shreds on the surface , was a small town dating back to the warka period and its residence continued to the Seleucid period About 3000 BC . The US Archaeological Expedition (belong to the University of Chicago Expedition) was excavated in the city of Nippur, which was excavated on the site in 1972 and continued for a season which headed by Gibson(5). In addition, the city of Sharakum seems to have been one of the most important cities along the Etrungal River(6), According to the(Kish hymn), kish was the name of the Holy Temple in Sharakum This corresponds to the information about this city, which is a distance of four days from the city of Umma, Reverse current. A little distance from Adab city , and the river here certainly is the channel Etrungal passing through the Adab city, so it is likely to be the location (ie, the city of Sharakum) in (Um-Al-Hafryat)(7) . The geographical list of early dynastic periods is indicates that city of Irisagrick and Kish are located above the city of Nippur, Perhaps on the same water course as the Mama-Sharat canal(8) , and This may be based on the geographical link through the Mama-Sharat channel , (Adana) city has stated by text that it was a longe day trip by boat from the city (kar - kar), Another text mentions that the city of Sharakum lies about 25 DANA (about 270 km) from the unknown city of Lorhom, And that the Mamma-Sharat channel was known from the late period of the Third dynasty of Ur in the first and second years of the reign of King Ibi-Sin(9). Through the records of the workers who dug the channel, where it was reported had been lifting 15 of the dust from the channel Mama – Sharat, and perhaps at the beginning of its founding . The texts also provided information on the workers shares which were dig the canal during the eighth month /of the first year of the reign of King Ibi-Sin(10) .

Mamma-Sharat and Tabni-Mama channels

The cuneiform texts that came to us from the third Dynasty of Ur period contained many names of ancient cities **,** some of these cities are known and others are still unknown, But these cities, including the channels and rivers and agricultural fields have played an important role both in the political, economic or even religious in the society of Mesopotamia. Therefore, the lack of cuneiform texts determines our knowledge and perception in the real locations of most of these cities, so the information addressed by the researchers remains

dependent on the conclusion and reasoning, whether mental or geographical or based on the simple signals indicated by the texts, and one of these signals, which came from the Mama-Sharat and Tabni-Mama channels, where cuneiform texts dating back to the time of the Third Dynasty of Ur which discussed by Stinkeller , Which he studied a number of texts based on the study of ancient rivers courses in the southern part of Mesopotamia, most notably a series of water channels , Such as the Amar -Sin nitum

(11), and Mashat-Ira and ,Tabni-Mama Channels(12), And that the Mama -Sharat channel dates back to the Third Ur era. It was a very long channel . Owen supported this view , The texts that he studied from the Irisagrick city (Shrachum) included sending a number of workers from the city of Krishana, Channel Mama – Sharat(13) . Texts studied by Steinkeller reported four workers from the guruš class who took a four-day boat trip from the port city of Umma to the city of Irisagrick loaded with goods and mentioned the channel Tabni-Mama along with several water channels(14) (Text.4), In two texts of the third Ur Dynasty (Numbers 1,2) we read that the quantities of barley were distributed to 138 workers of the guruš class with full pay, 82 half-fare workers and 24 Gurus workers with full pay. As a fare to raise the soil from the Mamma-Sharat channel in the harvest year of the first year in which Ibi-Sin became king(15)(Text.1-2) , Twenty-four harvesters of the category (guruš) twelve of them half the fare of their crops 6 kur barley was disbursed as a wage to raise the soil from the channel of Mama-Sharat in the harvest year of the first year in which Ibi-Sin became king(16),(Text.3). And that this channel was not mentioned in the ancient Babylonian texts by this name, but was replaced by the name of Mama-Danat , and mama-Sharat and tabni-mama channels flow in the same area side by side(17). Royal inscriptions from the time of Rim-Sin(18) indicated to the royal achievements regarding water resources and canals were dated in the twenty-second year of the reign of King Rim-Sin. The channel of Mishat-Ira and the Mamma-Sharat Cannel may have been associated with the name of the twenty-fourth year of the reign of King Rim-Sin who dug or re-dug the two channels(19), That the city of Irisagrick (Sharakum) was mentioned in the twenty-fourth year of the reign of King Ward-Sin in Larsa, the year that King Ward-Sin restored the city of Sharakum for the control of Larsa(20), However, a Cuneiform text belong to third dynasty of Ur gives information about the location of the city of Irisagrick and relates to the registration of boats that docked atop the river

from the city of Umma and is reminiscent of the mouth of Tabni-mama channel, Moreover, the texts relating to the city of Irisagrick, published by researcher Stinkler (text 4) indicate that the channel of Tabni - Mama is located a lunge two days from the top of the river from the city of Irisagrick [(21)]. In the old Babylonian period, the Tabni-mama channel was written as tab-be ma-mi, in an economic text, Modern researchers believe that the ma-ma Sharat and Tabni-ma-ma channels are flowing in the same area because they are mentioned together in some cuneiform texts[(22)], The name of the channel meaning Tabni-ma-ma is composed of two sections, the first section (Tab-ni), a passage corresponding to the (takamu), meaning " Twin"[(23)]. And I think that this name was not absurd, because it is the correlation with the channel Mama - Sharat and as they walk in the same region and recall each other side by side, There is also a cuneiform text from the end of the third dynasty of Ur, namely the first and second years of the reign of King Ibi-Sin, in which he mentioned the records of the workers who dug the Mama-Sharat[(24)], Mamma channel name is composed of two sections, the first section (ma-ma), which is one of the names of the goddess Nin-tu, which is not known much about it except that it means the mother[(25)], The second section (šar-ra-at) is Akkadian, which means the queen[(26)] . Thus, the meaning of channel name is (Goddess Queen), means that this channel to be called in night way is a sacred channel or divine channel, whether the first section (ma-ma) or the second section (šarrat), Both are directly linked to an important aspect of the lives of the people of Mesopotamia, the first is religious and the second is my monarchy.

Mamma-Sharat channel History

The Cuneiform texts mentioned that the city of Irisagrick is situated about 25 acres from the unknown city of Lorhom, which is about 270 km, However, the specific situation of the city is the records of the workers who dug the canal and that this channel dates as we mentioned from the end of the third dynasty of Ur in the first year of the reign of King Ibi-Sin[(27)]. When the Priestess Shema Nisaba looked at the lifting of 15 delightful dust from the Mamma-Sharat channel, and perhaps at the beginning of its founding, One of the cuneiform text mentions the shares of the workers who were digging the canal during the

eighth month of the first year of the reign of King Ibi-Sin. And four texts referring to the quotas of workers who were digging the canal during the last month of the same year [(28)] . The Mamma-Sharat channel is mentioned in the royal writings of the Rem-Sin period[(29)] , king of Larsa[(30)], A quantity of barley that was prepared for the mobilization of workers who work in raising the soil of the canal was mentioned , where 11 barley of barley was received by supervisor Kozala(nu-banda ku-za-la) (in the presence of) the observer Toda in the month ... in the year ..., as a wage for workers that they working in the channel Mama - Sharat, As mentioned in the ninth month of the reign of King Ibi-Sin, that the workers are still working in digging and cavity channel. There are four other texts cited in the texts with numbers (851, 897, 759, 855), The researcher "Owen" mentioned the involvement of the workers and palace soldiers were dug this channel until the end of the first year of the reign of King Ibi-Sin, As well as four other texts came from the archives of Kirshana dated in the second year of the reign of King Ibi-Sin and also the beginning of the work of the third meal of workers, which had been sent from the city of Kirshana to the same channel[(31)].

The geographical Mamma-Sharat channel route

That the close link between the cities of Irisagrick and Kirshana (as suggested) Is the geographical link through the channel Mama - Sharat, and of Adana city, which stated in the texts of the Kirshana city that it is a day trip by boat and near the Kar-Kar city[(32)], According to the information's presented by Owen, based on the study of eighteen cuneiform texts from the city of Irisagrik, which includes information on workers and their livelihood to dig the Mamma-Sharat cannel. It is mentioned that perhaps the Mama-Sharat name was associated with the old Babylonian period (Di-i-ni-ik-tum) and that Diniktum is important port of the city located on the modern Tigris river in the area between Kut and Ammara in village known as Shuba Castle to west of the city Al-Nu'maniyah[(33)] .

The Importance of Mamma-Sharat channel

It can be said that the Mamma-Sharat channel was very importuned to the cities of Kirshana and Irisagrick, because of the geographical link between them[(34)]. where successive digging and disinfection or re-dug by a number of the kings of Mesopotamia. whether in the third dynasty of Ur or Isin- Larsa periods

or perhaps in the old Babylonian period as well, The importance clear by sending a number of workers from the city Irisagrick to work in the channel(35), Also when the High Priest of Shema - Nisaba looked at lifting fifteen delightful dust from the canal, As well as the texts that mentioned the shares of workers who had been digging in the years of King Ibi-Sin or Rim-Sin(36) , The importance of this channel can be inferred from the fact that it is a very important channel in the watering of many fields and agricultural lands, or it may have been an excellent berth anchored by the ships coming to these cities loaded with goods or carrying them from the mentioned cities. As well as the economic returns of the workers who worked in digging and disinfection. when our review lists the names cited by the researcher (Owen) we found many personal names has entered (ma-ma) in the installation of their names Indicating the importance of privacy in which they have this channel is the most prominent of these names : (ma-ma-aḫ-um) (ma-ma-im-ti), (ma-ma-iš-ti-kal), (ma-ma-ri-nu)(37) .

List of Coerces

[1]-Frayne,D.R., the Early Dynastic Lists of Geographical name,New Haven,1992,p.28f.
[2]- Gelb, I.J.,"Old Akkadain Writing and Grammar",MDA-2, Chicago, 1952,p.62.
[3]- Hilgert,M.,"Drehem Administrative Documents from the Reign of Amar-suʾen",OIP-121,Chicago,2003,p.286.
[4]- OHʾE,S.,"On the Meaning of sag-rig$_7$",Al-Rafidan-9,(1988),p.201f.
[5]- Gibson,M.G.,"Nippur and Umma", Al-Hafriyat, Orient Institute of Chicago,1977,p.78.
٦- خولة، معارج سالم، مدن على نهر الايتورونكال في عهود السيطرة الأجنبية للعراق من ٥٣٩ ق.م – ٦٣٧ م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧،ص ١٧٩ وما بعدها.
[7]- Edzard,D., and Farber,G.,Répertoire Geographique des texts Gunéifrome, RGTC-2, Wiesbaden(1974),p.234.
[8]- Owen,D., Cuneiform texts primarily from iri-sagrig/Al-šarrākā and the History of the Ur III period, vol-1,(2013),p.37.
[9]- Edzard,D., and Farber,G.,RGTC-2,p.49.
[10]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.38.
[11]- Ibid ,p.190.
[12]- Steinkeller,P.,"New Light on the Hydrology and Topography of Southern Babylonia in the Third Millennium",ZA-91,(2000),p.84.
[13]- Owen,D.,Cuneiform texts primarily.... ,p.191.
[14]- Steinkeller,P.,"New Light on the Hydrology...,ZA-91,p.84 .
[١٥]- حيدر، عقيل عبد، نصوص اقتصادية غير منشورة من عهد الملك أبي- سين (٢٠٢٨-٢٠٠٤ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد(٢٠١٤)، ص ١٠٧-١١٢.

[16]– اللامي، صابرين قاسم رشيد، نصوص اقتصادية غير منشورة من زمن الملكين شو– سين وأبي– سين (٢٠٣٨– ٢٠٠٤ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد(٢٠١٢)، ص ٥٠ .

[17]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.190.

[18]– ريم – سين : يعد الملك ريم – سين أعظم ملوك سلالة لارسا وأخرها في الحكم قضى عليه الملك حمورابي عام (١٧٦٣ ق.م)، وقد وصلت لارسا في زمن ريم – سين إلى درجة عالية من القوة والتعاظم إذ قضى على سلالة أيسن بحوالي (١٧٩٤ ق.م) ينظر:

طه، باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٤١٦.

[19]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.190.

[20]- Ibid ,p.192.

[21]- Steinkeller,P.,"New Light on the Hydrology and topography of southern Babylonian the third Millennium",ZA-91,(2001),p.84.

[22]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.189.

[23]- MDA,p.95.

[24]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.37.

[25]– فوزي، رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد،١٩٧٩، ص ٣٠.

[26]– رينيه، لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: الأب ألبير ابونا و وليد الجادر وآخرون، منشورات المجمع العلمي، بغداد،٢٠٠٤، ص ٣٩١. كذلك ينظر:

CDA,p.361.

[27]– أبي – سين : الملك أبي – سين هو آخر ملوك سلالة أور الثالثة الذي خلف أباه شو– سين في الحكم، أي أنهُ خامس ملوك سلالة أور الثالثة وقد ارتبط أسمهُ باسم الإله سين، وحكم أربعة وعشرون عاماً (٢٠٢٨–٢٠٠٤ ق.م)، للمزيد ينظر:

القطبي، مهند عاشور شناوة، مجمع الإلهة في حضارة وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد(٢٠٠٠)، ص ٢٠٥–٢٠٦.

[28]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.37.

[29]– ريم– سين: هو أحد ملوك سلالة لارسا الذي حكم بعد أخيه ورد– سين في الأعوام (١٨٢٢ –١٧٦٣ق.م)، وقد شيد مع أخيه أكثر من تسعة معابد في مدينة أور، فضلاً عن ذلك استطاع هذا الملك أن يحتل مدينة أيسن في عام (١٧٩٤ق.م). للمزيد ينظر:

جورج، رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان، بغداد،١٩٨٤، ص ٢٥٢–٢٥٣ و٦٦٧.

[30]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.38.

[31]- Ibid,p.37.

[32]– كار– كار: أحدى المدن التي لم يُحدد موقعها بالضبط لكنها تبعد حوالي ١٠٠–١٢٠كم عن مدينة الوركاء، كونها ذُكرت في مسيرة جيوش القائد أوتو– حيكال التي وصلتها في اليوم السادس من حملتهِ ضد القوات الكوتية التي يُعتقد أن تكون موقع عسكري مهم بالنسبة للكوتيين وفيها أحرز السومريون نصراً حاسماً على الكوتيين . للمزيد ينظر:

فاضل، عبد الواحد علي" أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ"، سومر– مج٣٠، بغداد ١٩٧٤، ص٥٥ ، كذلك ينظر:

Adams,R, and Nissen,H., The Uruk Country Side, Chicago(1972),p.50f.

[33]- Owen,D., Cuneiform texts primarily.... ,p.190.

[34]- Ibid,p.37.

[35]- Ibid,p.191.
[3]6-Ibid,p.37.
[3]7- Ibid,p.509.